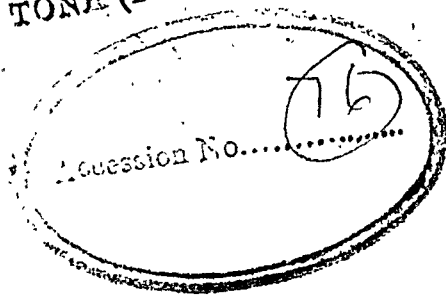


TONK (Rajasthan)



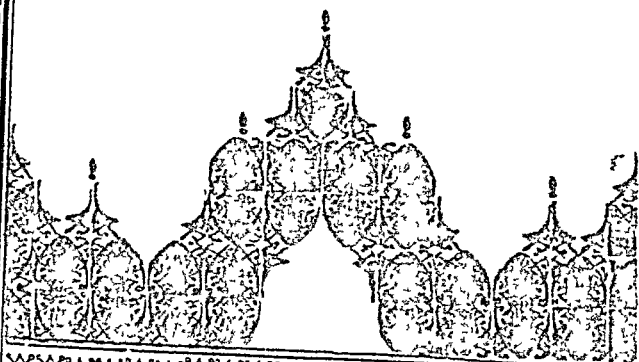
الجزء الاول من السراج المنير في الاعانة
على معرفة بعض معاني كلام ربنا
الحكيم الخبير للشيخ الامام
الخطيب الشريفي قدس
الله روحه وعم بالرحمة
ضميحه

آمين

م

خرید از بمنشی معرفت مولوی عنایت صاحب در ماه جمادی الاول ۱۲۸۹ هجری
در کتب خانه نواب محمد علی خان ببادر داخل گردید

ص ۲ ح ۹ اسم ۱



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك السلام المهيمن العالم شارح الاحكام ذى الجلال والاکرام الذى أنزل
القرآن بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتحا بالاستعاذة محتثا وأوحاه على قسمين
منشأها ومحكما فسبحان من استأنثر بالآتية والقدم ووسم كل شئ سواء بالحدوث عن
العدم ومن علينا بنينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم علينا بسكابه المفرق بين الحلال
والحرام والصلاة والسلام على خير من أوحى اليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الأسمى
المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدد ساعات
الليالي والايام وعلى آله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة
الاخيار صلاة وسلاما دائما متلازمين آناه الليل وأطراف النهار (أما بعد) فيقول فقير
رجسة وبه القريب محمد الشريفي الخطيب ان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق رجة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به تبيان النبوة وختم به ديوان
الرسالة وأنزل عليه بفضل كتابا ساطعا تبياناه قاطعا برهانه ناطقا بينات وحجج قرأنا عربيا
غير ذى عوج مفتحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية
خسنة ظاهرة باهرة في وجهه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل
مكان أعجز الخليفة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابله ثم سهل على
الخلق مع اعمازة تلاوته ويسر على اللسان قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر فهو كلام
مجزئ رفائق منطوقة ودقائق مفهومة لانها به لاسرار علومه (وقد ألف أئمة الساف) كتب

في معرفة احكامه ونزوله بكل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم
ثم خطر لي أن اقتني أثرهم وأسلك طريقتهم لعل الله أن يرزقني من مددهم ويعود علي من
بركتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشأن لقوله صلى الله عليه
وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وقول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه وفي رواية بغير علم فليتبعوا مقعده من النار وقول أبي بكر
رضي الله تعالى عنه لما سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلي وأي أرض تغلي
إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم إلى أن يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عليه
وعلى سائر النبيين والآل والصحاب أجمعين في أول عام تسعمائة واحد وستين فاستخرت
الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن يسر لي أمري فشرح
الله سبحانه وتعالى لذلك صدرى فلما رجعت من سفري واستمتر ذلك الانشراح معي وكنت
ذلك في سرى حتى قال لي شخص من أصحابي رأيت في منامي أمما النبي صلى الله عليه وسلم
أو الشافعي يقول لي قل فلان يعمل تفسير على القرآن فعن قليل الا وقد قررت في وظيفة
مشيخة تفسير في البيارستان ثم سألتني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس
العلم مقبلين بعد أن رأوني في فرغت من شرح منهاج الطالبين أن أجعل لهم تفسيراً وسطاً بين
الطويل الممل والقصر المختل فأجبتهم إلى ذلك ممثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
فيما روي أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال إن رجلاً يأتيكم
من أقطار الأرض يتفقهم في الدين فاذا أتوكم فاستوصوهم خيراً واقعدوا بالماضين من
السلف في تدوين العلم بقاء على الخلف وليس على ما فعلوه من زيد ولكن لا بد في كل زمان من
تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجهد والجهل تنبيهاً للمتوقفين وتحريضاً للمتنبطين
وليكون ذلك عوناً لي وللقاصرين مثلي مقتصرافيه على أرجح الأقوال وأعرب ما يحتاج
إليه عند السؤال وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعرب محلها كتب العربية
وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات وقد أدركت بعض أقوال
وأعرب لقوة مداركها ولو رودها ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضى أقولها (وسميته)
السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وأسأله من فضله
واحسانه أن يجعله علامة قرناً بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلاً متقبلاً مرضياً زكياً بعد
من صالح الأعمال (وقد نقلت) التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن
أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت ما أثرهم بجعني الله وإياهم والمسلمين في
مستقر رحمة بحمد وآله وصحبه (وها أنا الآن أشرع) وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق
لكل خير ومعطي كل مسؤل

قوله فقال أي سماء
كثيراً ما تستعمل
إعادة العامل الطول
الفصل وهو في
القول كثير
مصححه

وتسمى أم القرآن لأنها مفتحة ومبدؤه فكانها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً وأولها
تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعدته وأعلى جملة
معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش والوافية
والكافية لأنها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشفافية والشفاء
لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بانفاق لكن
من عدا البسملة آية منها جعل السابعة صراط الذين إلى آخرها ومن لم يعدّها آية منها جعل
السابعة غير المغضوب عليهم إلى آخرها وسميت مثاني لأنها تنفي في الصلاة أي تكثر فيها بان تقرأ
في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تنفي في كل ركعة فيه تجوز وهي مكينة على قول الأكثر
وقال مجاهد مدنية وقبل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوت
القبلة ولذلك سميت مثاني قال البغوي والاقول أصح وقال البضاوي وقد صح أنها مكينة بقوله
تعالى ولقد أنزلنا سبعاً من المثاني وهو مكي بالنص انتهى وأراد بالنص السبعة فقد ثبت ذلك
عن ابن عباس وقول الصحابي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم
والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة
وسورة التفويض وفاحة القرآن وأم الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة
السؤال والصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدتي
ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدتي يقول العبد الرحمن الرحيم
يقول الله أني على عبدتي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله بحمدني عبدتي يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدتي ولعبدتي ماسأل يقول العبد
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله
فهو لا لعبدتي ولعبدتي ماسأل ولا نهجاً جزواً فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله * وقوله
تعالى (بسم الله) أي الملك الاعظم الذي لا نعبد الاياه (الرحمن) أي الذي علمت بنعمتي ايجاده
وبيانه جميع خلقه أسفله وأعلامه أذناه وأقصاه (الرحيم) أي الذي خص من بينهم أهل وده برضاه
آية من الفاتحة وعليه قراءمكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي وقيل ليست منها
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك ويبدل الاول ما روى أنه
صلى الله عليه وسلم عدا الفاتحة سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رواه البخاري
في تاريخه وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم عدا بسم الله الرحمن الرحيم آية والحمد لله رب العالمين إلى آخرها
ست آيات وآية من كل سورة لبراءة لاجتماع الصلاة على اثباتها في المصحف بخطه واول السور

سوى براءة مع المبالغة في تجريد القرآن عن الاعشار وتراجم السور والتعويض حتى لم تكتب امين
فلو لم تكن قرأنا لما أجازوا ذلك لانه يحصل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرأنا وأيضا هي آية من
القرآن في سورة النمل قطعاً ثم اننا راها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما أننا راها في
قوله فبأي آلاء ربك تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين مكرراً في القرآن بخط واحد وبصورة
واحدة قلنا ان الكل من القرآن (فان قيل) لعلها ثبتت للفصل (أجيب) بأنه يلزم عليه اعتقاد ما
ليس بقرآن قرأنا ولثبت في أول براءة ولم تثبت في أول الفاتحة (فان قيل) القرآن انما ثبت
بالتواتر (أجيب) بأن محله فيما ثبت قرأنا قطعاً أما ما ثبت قرأنا كما فكيف في فيه الظن كما يكفي
في كل ظني خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني وأيضا اثباته في المصحف بخطه من غير تكثير في معنى
التواتر وأيضا قد ثبت التواتر عند قوم دون آخرين (فان قلت) لو كانت قرأنا لكفر جاحداً
(أجيب) بأنها لو لم تكن قرأنا لكفر منبتها وأيضا التمسك بغيرها لا يكون بالظنيات وقد وضحت
ذلك مع زيادة في شرح التنبيه والمنهاج أما براءة فليست بالبسلة آية منها باجتماع (فائدة) *
ما ثبت في المصحف الآن من أسماء السور والاعشار شئاً ابتدعه الخجاج في زمنه والباء في بسم
الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقر لأن الذي يتلوهم مقروء اذ كل فاعل يبدأ في فعله باسم
الله يضم ما يجعل التسمية مبدأ له كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
كان المعنى بسم الله أحل بسم الله أرتحل وذلك أولى من أن يضم أبداً لعدم ما يطابقه وما يدن
عليه ومن أن يضم ابتدائي لما ذكرنا (فان قيل) المصدر لا يعمل محذوفاً (أجيب) بأنه
يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما وتقديره مؤخراً كما قال الامام الرازي
أولى كما في اياك نعبد واياك نستعين لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق
للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكره (فان قيل)
قال الله تعالى أقرأ باسم ربك فقدم الفعل (أجيب) بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها لانها أول
سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في
نفسه وذكرنا أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسلة والحمد لله والباء للاستعانة وللمصاحبة
والملازمة على جهة التبرك والمعنى متبرك باسم الله أقر والثاني أولى لما فيه من النجاشي عن
جعل اسمه تعالى آية والاحسن أن تكون لهما اعمالا للفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقي
والمجازي عند من يجوزه كما مانا الشافعي والبسلة وما بعدها الى آخر السورة مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويستل من فضله ويقدر في أول الفاتحة
قولوا كما قال الجلال المحلى ليكون ما قبل اياك نعبد مناسباً له بكونه من مقول العباد (فان
قيل) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحه التي هي أخت
السكون نحووا والعطف وفائه (أجيب) بأنها انما كسرت للزومها الحرفية والجزء ولتشابه
حركتها عملها وحذفت الالف من بسم خطأ كما حذفت لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط
على حكم الابتداء دون الدرج اكثر استعمال وقالوا طوات الباء نحو وضامن طرح الالف

والحق بها بسم الله مجراها ومرساها وأنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم وإن لم تكتب في القرآن الامة واحدة لشبهها لها صورة (فان قيل) لم حذف في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم (أجيب) خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العرويين ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء * والاسم مشتق من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعاره فهو من الاسماء المحذوفة الانحياز كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولأن من دأبهم أن يتدأوا بالتحرك ويقفوا على الساكن وقيل من الوسم وهو العلامة فوزنه على الاقل افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذوف الفاء وفيه عشر لغات نظمه بعضهم في بيت فقال

سم وسموا وسم بثلاث أول * لهن سماء عاشرمت انجلى

والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الائم والاعصار ويتعدّد تارة ويتحدّ أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتر به هذا المعنى وقوله سبحانه اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعات لها عن الرفق وسوء الادب أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر

وان أريد به الصفة كما هو رأى أبى الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخالق والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهم ازاناد ان على الذات وليس اغبر الذات لان المراد بالغير ما ينفك عن الذات وهما لا ينفكان (فان قيل) لم بدأ بيسم الله دون بالله (أجيب) بأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه والفرق بين المين والتمين * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله قال الرافعي كامام ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذف الهمزة ونقلت حركتها الى اللام فصار الله بالامين متحركين ثم سكنت الاولى وادغمت في الثانية للتسهيل انتهى والاله في الاصل يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والحق انه أصل بنفسه غير مأخوذ من شيء بل وضع علما ابتداء فكما أن ذاته لا يحيط بها شيء ولا ترجع الى شيء فكذا اسمه تعالى وقيل مأخوذ من أنه اذا تحيرت العقول تحيرت في معرفته وقيل غير ذلك وهو عربي عند الأكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في ألفين وثلاثمائة وستين موضعا واختار النورى تبعاً لجماعة أنه الحى القيوم قال ولذلك لم يذكر في القرآن الا في ثلاثة مواضع في البقرة وآل عمران وطه * والرحن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للبعثة من رحم تنزيله منزلة اللازم ويجعله لازماً ونقله الى فعل بالضم والرحمة لغة رقة في القلب تقتضى التقض والاحسان فالفضل غايةها وأنعم الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي تكون انفعالات فريحة

الله تعالى ارادة اصال الفضل والاحسان أو نفس اصال ذلك فهي من صفات الذات على الاول
 ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
 كما في قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد (فان قيل) حذراً ببلغ من حاذر (أجيب) بأن ذلك أكثر
 لا كلي وبأن الكلام فيما اذا كان المتلقيان في الاشتقاق متحدى النوع في المعنى كغرت
 وغرثان لا تحذروا حذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسم صفة والرحن على
 الرحيم لانه خاص اذ لا يقال لغیر الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم
 والقياس يقتضى الترقى من الأدنى الى الأعلى كقولهم عالم فخر لانه صار كالعلم من حيث انه
 لا يوصف به غيره ولذلك رجع جماعة انه علم ولانه لما دل على جلال النعم وأصولها ذكر الرحيم
 كالتابع والتمتع والريفي ليتناول مادق منها ولطف فليس من باب الترقى بل من باب التعميم
 والتكميل وللمحافظ على رؤس الآسى وهل الرحمن مصروف أو لا فيه قولان مال السعد
 التفتما زانى الى جوار الامرين لأن شرط منع صرف فعلا ن صفة وجود فعلى وشرط صرفه
 وجود فعلا نة وكلاهما منتف هما لكن أظهرهما أنه ممنوع الصرف الحاقه بالعباه والغالب من
 نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف الحاقه بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف
 هذا مع ان المختار في منع صرف ما ذكره انتفاء فعلا نة لا وجود فعلى والحاصل انه تعارض في
 صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب (فان قيل) هذا اذا لم تدخله ال (أجيب) بأن المختار ان غير
 المصروف اذا دخلت عليه ال والعلتان فيه باق على منع صرفه وان جرت الكسرة (قوائد الاولى)
 الوقف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام
 (الثانية) عدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد ملائكة خزنة النار تسعة عشر
 قال ابن مسعود من أراد أن ينجيّه الله تعالى من الزبانية فليقلها لي يجعل الله تعالى له بكل حرف جنة
 أى وقاية من واحد (الثالثة) قال النسفي في تفسيره قيل الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا
 مائة وأربعة صحف شيت ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة
 والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب بمجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة
 مجموعة في البسملة ومعانيها مجموعة في بآئها ومعناها في كان ما كان وبى يكون ما يكون زاد بعضهم
 ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية به هذه الثلاثة التي هي الله والرحمن والرحيم ليعلم
 العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم
 كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فيتوجه العارف بمجملته حرا ومحبته الى جناب القدس
 ويتسلك بمجمل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد اللفظي لغة
 الثناء باللسان على الجليل الاختيارى على قصد التجميل أى التعظيم سواء أعلق بالفضائل وهى
 النعم القاصرة أم بالفواضل وهى النعم المتعدية فدخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء
 بغيره كالحمد النفسى وبالجميل باللسان على غير الجليل ان قلنا برأى ابن عبد السلام ان
 الثناء حقيقة في الخير والشر وان قلنا برأى الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط فائدة

ذلك تحقيق الماهية أو دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز وبالاختياري المدح فانه يعتم الاختياري وغيره تقول مدحت اللؤلؤة على حسنهادون جدهم واظهار قول الزمخشري الحمد والمدح أخوان انهم مترادفان وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة أقسام كبير وأكبر وأصغر وقد يعبر عنه بالصغير والكبير أن يشترك اللفظان في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح والا كبر أن يشتر كافي أكثر الحروف الاصول كالفلق والفلج والفلذمع اتحاد في المعنى أو تناسب والصغر أن يشتر كافي الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب وبعلي قصد التجميل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجليل عن مطابقة الاعتقاد وخالفه أفعال الجوارح لم يكن جدابلهم وتمليح وهذا لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبارا فيه بشرط الاضطراب وعرفا فعل بني عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد وغيره سواء كان ذكر باللسان أم اعتقادا ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة بالاركان كما قبل

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولساى والضمير المحجبا

فورد اللغوى هو اللسان وحده ومعلقة يعتم النعمة وغيرها ومورد العرفى يعتم اللسان وغيره ومعلقة يكون النعمة وحدها فاللغوى أعتم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والعرفى بالعكس والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة الثناء باللسان على الجليل مطلقة على جهة التعظيم وعرفا ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل فالشكر أعتم من الحمد والمدح من وجه لانه لا يختص باللسان وأخص منهما من وجه آخر لانه يختص بالثناء على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران وضد المدح الهجو * وجه الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى لحصول الحمد بالتكليم مع الاذعان لمدلولها ويجوز أن تكون موضوعة شرعا لانشاء وقيل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا أنها جملة انشاء الحامد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى * ولا م الله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وقيل التعليل والاولى أنها الاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك وبالاستحقاق بالمعنى الاخص المقابل لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية سواء أوجعت لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر أم للجنس كما عليه الزمخشري لان لام الله للاختصاص كما مر فلا فرد منه غيره أم العهد كالتى في قوله تعالى اذ هما في الغار كما نقله ابن عبد السلام وأجازها الواحدي على معنى ان الحمد الذى حمد الله به نفسه وحده به أنبياءه وأوليائه مختص به والعبرة بمحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره وأولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم والكمال كما أفاده سيوبه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوى اذا الحمد

في الحقيقة كله اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله انتهى (فان قيل) بل هو موليه مطلقا بغير وسط (أجيب) بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة أولا ثم تنتقل منه الى غيره لانه وسط في التأثير (فاقيل) لم خص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق أو نحوه من بقية الصفات (أجيب) بأن لا يتوهم اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوي وفيه اشعار بأنه تعالى حتى قادر مر يد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطابق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويربسه ولا يطلق على غيره تعالى الامم قد اكفوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعا لانه العالم عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى أنه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا في تفسير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب أبو الحسن الى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهري وذهب أبو عبيدة الى انه أصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير ووجه اشتمال الصغير وهو الانسان على نظائر ما في الكبير وهو ما سوى الله تعالى أن تفاصيله شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والى باطن معقول كعالم الملكوت وهو ما أوجده سبحانه وتعالى بالامر الازلي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فغير بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (فان قيل) لم جمع جمع قلته مع ان المقام يستدعي الاتيان بجمع الكثرة (أجيب) بأن فيه تنبيه على انه وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب فيه كانه يقول خلقتمكم أولا فانا الله ثم ربيتمكم بوجود النعمة فانا رب ثم عصيت فسترت عليكم فانا رجن ثم تبت عليكم فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين (فان قيل) انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الاسماء الثلاثة الباقية فما الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الحكمة في ذلك كانه قال تعالى اذكر أني اله ورب مرة واحدة واذكر اني رجن رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغتروا بذلك فاني مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقرأ عاصم والكسائي مالك

نألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى لا تمك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله وقرأ الباقون بغير
 ألف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهم اعموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية
 الملك التزاما لمطابقة ولا يقدح فيها أن تقول مالك الدواب والانعام والوحوش والطير دون
 ملكها لان ذلك ليس من جهة عدم شمول حياطته لذلك بل من جهة انه انما يضاف عرفا الى ما
 فيه انقياد وامثال وينقد فيه التصرف بالامر والنهي قاله السعدى الفتازنى وقيل هما
 بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم
 الدين يوم الجزاء ومنه قواهم كما تدن تدان وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهر فيه
 لاحد الا الله تعالى لمن الملك اليوم لله (فان قيل) اضافة اسم الفاعل غير حقيقية فلا تكون معطية
 معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (أجيب) بأنهم انما تكون غير حقيقية اذا
 أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا
 فاما اذا قصد به معنى الاستمرار أى هو موصوف بذلك دائما فتكون الاضافة حقيقية كغافر
 الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (فان قيل) التقيد بيوم الدين ينافي الاستقرار لكونه صريحا
 في الاستقبال (أجيب) بأن معناه الثبوت والاستمرار من غير اعتبار حدوث في أحد الازمنة
 ومثل هذا المعنى لا يمنع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كانه قيل هو ثابت المالكية في يوم
 الدين أو المراد انه جعل يوم الدين لتحقيق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر مالكيته في جميع الازمنة
 * (تنبيه) اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجد الهم منفع ما عليهم
 بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مال كالامور هم يوم الثواب والقعاب للدلالة على انه
 تعالى الخالق بالجد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على
 الوصف يشعر بعليته له (ايال تعبدوايالا تستعين) اي ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
 والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لاجل لها من الاغراب وفيه
 أقوال أخر ذكرتها في شرح القطر (فان قيل) لم كرر ضمير اياك (أجيب) بأنه كرر لتفصيل
 على انه المستعان به لا غيره (فان قيل) لم قدمت العبادة على الاستعانة (أجيب) لتوافق رؤس
 الآتى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأيضا لما نسب المشكلم
 العبادة الى نفسه أو هم ذلك فرحا واعترا فامنه بما يصد عنه فعبه بقوله وياك نستعين ليدل
 على أن العبادة أيضا مما لا تتم ولا تتيسر له الا بمعونة منه تعالى وتوفيق (فان قيل) لم عدل عن
 لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (أجيب) بأن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول من أسلوب
 الى آخر تحسينا للكلام وتنشيطا للسامع فيكون أكثر اصغاء للكلام فتعدل من الخطاب الى
 الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس فيهما فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوى والتحقيق
 كما قاله بعض المتأخرين انها ستة لان الملتفت اليه اثنان وكل منهما إما غيبة أو خطاب
 أو تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الاصل بكم فهو التفات من
 الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الاصل فساقه فهو

التفات من الغيبة الى التكلم * والاستعانة بطلب معونة وهي اما ضرورية أو غير ضرورية فالضرورية ما لا يتأتى الفعل دونها كإقذار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكاف بالفعل وغير الضرورية تحصل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحمله عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف غالباً وقد يتوقف كالأحوال واجبات المالية (فان قيل) لم أطلعت الاستعانة (أجيب) بأنهم انما أطلقوا لاجل أنها تتناول المعونة في المهمات كلها وفي أداء العبادات واستحسن هذا الرخصي قال لتلاوم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض * (تنبيه) * الضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخط حاجته بحاجتهم لعل عبادته تقبل ببركة عبادتهم وحاجته بحاجب اليها ببركة حاجتهم ولهذا شرعت الجماعة في الصلاة (فان قيل) لم قدم المفعول (أجيب) بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره الى المعبود أولاً وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصله بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حاله من أحواله الا من حيث انها ملاحظة له ومتنسبة اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبته محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان معي ربى سيدى لان الاول قدم ذكر الله تعالى على المعية والثاني بالعكس (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا والهداية الدلالة بالطف ولذلك تستعمل في الخير (فان قيل) قال الله تعالى فاذهبواهم الى صراط الجحيم (أجيب) بأنه وارد على التهكم * (تنبيه) * هدى أصله أن يتعدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضماره أقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل معاملته اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا وقد يتعدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضماره وهذا به الله تعالى تنوع أنواعه لا يحصىها عدد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتمام الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنية والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار تعالى حيث قال وهديناه النجدين أى طريقى الخير والشر وقال وأما تودفهدينا هم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أعمى يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء

قوله واستحسن هذا
الرخصي عبارته
فان قلت لم أطلعت
الاستعانة قلت
لتناول كل مستعان
فيه والاحسن أن
تراد الاستعانة به
وبتوقيفه على أداء
العبادة ويكون قوله
اهدنا بالالمطلوب
من المعونة كأنه قيل
كيف أعينكم فقالوا
اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان
أحسن لتلاوم الخ
اه فتأمل اه صححه

كما هي بالوحى والالهام والمزامات الصادقة وهذا القسم يختص بذيله الانبياء والاولياء
واياه عنى تعالى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهم داهم اقتمه وقوله والذين جاهدوا فافينا لنهدينهم
سبلنا (فان قيل) ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون (أجيب) بأنهم طلبوا زيادة ما منحوه
من الهدى والاثبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من قلب المسين
صاد الباطن الطاء فى الاطباق وقد تشتم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه قرأ
حجرة الصراط المعرف فى هذه السورة بالانتماء وهو أن ينطق القارئ بحرف متولد بين
الصاد والزاي وأشتم خلف صراط الثانى كالاول وكذا اجتمع ما فى القرآن من معرف ومنكر
وقرأ قبل جميع ما فى القرآن بالسين وقرأ الباقيون بالصاد الخالصة فى الجميع وهذه لغة قریش
وهى الثابتة فى الامام وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه والمستقيم المستوى
والمراد به طريق الحق وقيل مله الاسلام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهما متحدا
صدقا وان اختلما فهو ما (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية بدل من الاول بدل كل
من كل والعامل فيه ممتد على رأى الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل فى المبدل منه وهو
ظاهر مذهب سيبويه واختاره ابن لك (فان قيل) ما فائدة ذكر صراط الذين أنعمت عليهم بدلا تابعا
وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة (أجيب) بأن فائدته التوكيد والتعريض
على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجهه وأبلغه لانه جعل كالتفسير
والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهذا
هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد بالذين أنعمت عليهم الانبياء والملائكة
والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبداه وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء خاصة صلوات
الله وسلامه عليهم وقيل أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ * (تنبيه) * أطلق
الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تنق نعمة الاصابته واشتملت عليه
ويبدل من الذين بصلاته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه (ولا) أى وغير (الضالين) وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا
الاتية ونسكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا بهم ودال انصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم
جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضللال
وقيل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدأ فى أول البقرة
بذكر المؤمنين والثناء عليهم فى خمس آيات ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين
كفروا ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ وكذا ههنا
بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم
ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين (فان قيل) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو
لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (أجيب) بأنه يصح بأحد تأويلين أحدهما اجراء الموصول
مجرى النكرة اذ لم يقصده معهود كالحلى باللام فى قول القائل * ولقد أمر على اللئيم بسبى * أى

ثم يسبني اذ لا مروءة على الكل والثاني جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد
 وهو المنعم عليه فليس في غير اذن الابهام الذي يأتي عليه أن يتعرف * (تنبيه) * انما سمي كل من
 اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضال لا اختصاص كل منهم بما غلب عليه وقال
 صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى رواه ابن حبان وصححه وقيل
 المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
 لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اخلت احدى قوته العاقله والعامله والمخل بالعمل
 فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عدا وغضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله
 تعالى فماذا بعد اخلق الا الضلال (فان قيل) ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس عند
 ارادة الانتقام أو تعبير يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال في حقه تعالى
 (أجيب) بأنه اذا أسند الى الله تعالى أمر يديه المنتهى والغاية فمعناه ارادة الانتقام من العصاة
 وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
 ونسأله رضاه ورجته (فان قيل) أي فرق بين عليهم الاولى والثانية (أجيب) بأن محل مجرور
 الاولى النصب على المفعولية ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مناب الفاعل (فان قيل)
 لم دخلت لافي ولا الضالين (أجيب) بأنها بمعنى غير كما قرره تعالى بالجلال المحلى وأنها مزيدة كما قال
 الزمخشري أما كيد ما في غير من معنى النفي كأنه قال لا لا مغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح
 بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه * (فائدة) * أول السورة مشتمل على الحمد لله
 والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك
 يدل على أن مطلع الخبرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ومطلع الآفات ورأس
 المخالفات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته (فان قيل)
 ما فائدة غير المغضوب الخ بعد ذكر أنعمت عليهم (أجيب) بأن الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف
 كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين أنعمت
 عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل وحينئذ
 يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد السكال وقرأ آية عليهم غير المغضوب عليهم بضم
 الهاء وقفوا وصلوا وكذا جميع ما في القرآن وقرأ ابن كثير عليهم بواو بعد الميم في الوصل فاذا وقف
 أسقط الواو وكذا يفعل في كل ميم جمع بعدها خوف متحركه وأما قالون فهو مخيف ميم الجمع
 ان شاء وصلها بواو كبن كثير وان شاء لا يصلها بواو وأما ورش فانه يصل ميم الجمع بواو وان كان
 بعدها همزة قطع فصير عنده مته منفصل وفي ولا الضالين مده ان لازم وعارض فاللزم هو الذي
 على الالف بعد الضاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الميم قبل النون * والسنة
 للنصارى أن يقول بعد فراغه من الفاتحة امين مفضولاً عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذي
 هو استجب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه
 فقال افعل بنى على الفتح كأمين للالتقاء الساكنين وجازمته ألفه وقصرها قال مجنون ليلى

يا رب لاتسليني حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا
أي بالمد وقال جبريل لسأل الاسدي المسي بقطيل
تساعدني فطجل اذ سألتها * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فذكره مقصورا وكان من حقه التأخير لان التأمين انما يكون بعد الدعاء لكن قدمه للضرورة
وليس امين من القرآن اتفاقا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرّت الاشارة اليه ولكن يست
ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة
الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كان ختم على الكتاب كما رواه أبو داود
في سننه وقال علي رضي الله تعالى عنه امين ختم رب العالمين ختم به دعاء عبده رواه الطبراني
وغيره لكن بسند ضعيف بقوله الامام ويجهز به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر أنه
عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا يقوله
الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفقه والمأموم يؤمن
مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول
امين وان الامام يقول امين فن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد
الجرجاني في أماله وما تأخر وأحسن ما فسر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال
صفوف أهل الأرض تلي صفوف أهل السماء فاذا وافق تأمين من في الأرض تأمين من في
السماء غفر للعبد قال ابن حجر ومثل هذا لا يقال بالرأي فالمصبر اليه أولى وعن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يأتى إلا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
والانجيل والقران مثلها قال بل يارسول الله قال فاتحة الكتاب انما السبع المثاني والقران
العظيم الذى أوتيته ورواه الترمذى وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ناداه مناد فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ أحرفا منهما الا أعطيته وما رواه البيضاوى
عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضا فيقرأ صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
العذاب أربعين سنة حديث موضوع

(سورة البقرة مدنية)

* (وهي مائة وثان وسبع وعشرون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجعاعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور
من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر القرآن فحين يؤمن بظاها واكل العلم فيها الى الله
سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها طالب الايمان بها والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تحتمل
الاستمرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصارا لخفايش والله تعالى استأثر بعلم لا تقد رعايه

عقول الانبياء والانباء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر
 عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل
 السور وقال على رضى الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال
 داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يادا ودان لكل كتاب سر وأول سر
 القرآن فواتح السور فدعها وأسأل عما سوى ذلك وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم وأرى
 قال الزجاج وهذا حسن فإن العرب تذكّر حرفاً من كلمة تريدّها كقولهم * قلت لها قفي فقالت قاف
 اى وقفت وقيل هي أسماء السور وعليه أطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل
 وسيبويه سميت بها اشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط
 قدرتهم عنده معارضتها ونقضه الامام الرازى بأنها لو كانت اسماءها لوجب اشتهاؤها بها وقد
 اشتمرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران وقيل أسماء للقرآن قاله قتادة والحكمة في التبيان
 بهذه الاسرف الثلاثة أن الالف من أقصى الخلق وهو مبدأ المخرج واللام من طرف اللسان
 وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع الله تعالى بينها ايماء الى أن العبد ينبغي أن يكون
 أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى ولما تكثر وقوع الالف واللام في تركيب الكلام
 جاء تافى معظم الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وأول آل عمران والاعراف ويونس
 وهود ويوسف والعدو ابراهيم والنجر والعنكبوت والروم واقصمان والسجدة (فان قيل)
 هلا عددت هذه الحرف بأجمعها في أوائل القرآن وما لها جاءت مفترقة على السور (أجيب) بأن
 إعادة التنبه على أن المتهتدي به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل الى
 الغرض وأقر له في الاسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكبير جاء في القرآن
 فطالوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره (فان قيل) هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم تختلف
 أعداد حروفها فوردت ص و ق ون على حرف وطه و طس و يس و حم على حرفين والم والرو و طسم
 على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف و ك ه ي ع ص و ج ع س ق على خمسة أحرف
 (أجيب) بأن هذا على عادة اقتنائهم في أساليب الكلام وتصرف فهم فيه على طرق شتى ومذاهب
 عدة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك هذه الفواتح
 تلك المسالك (فان قيل) ما وجه اختصاص كل سورة بالقائمة التي اختصت بها (أجيب) بأنه
 لما كان الغرض هو التنبيه والمبداى كلها في تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة كان تطلب
 وجه الاختصاص ساقطاً كما اذا سمي الرجل بعض أولاده زيداً والآخر عمر الم يقل له لم خصصت
 ولدك هذا بزيد وذلك بعمر ولان الغرض هو التميز وهو حاصل بذلك (فان قيل) هل لهذه
 الفواتح محل من الاعراب (أجيب) بأن لها محلاً عند من جعلها أسماء لانها عنده كسائر الاعلام
 محلها يحتمل ثلاثة أوجه أما الرفع بأنها مبتدأ أو خبراً مبتدأ محذوف أى هذه الم أو والنصب بفعل
 مقدّر كاذ كرأوا قرأوا أوائل الم أو الخبر بتقدير حذف حرف القسم (ذلك الكتاب) الذي تقرأه

يا محمد على الناس (لأريب فيه) لاشك في أنه من عند الله تعالى (فان قيل) لم صحت الإشارة بذلك
 الى ما ليس به عيب (أجيب) بأن الإشارة وقعت فيه للعظيم ولذلك قال الطيبي أحسن ما قيل
 في توجيه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة وقيل وقعت الإشارة
 الى الم بعد ما سبق التكلم به وتعضي والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل
 بحديث ثم يقول وذلك مالا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى
 لا فارض ولا بكرعوان بين ذلك وقال نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا يأتيكم طعام ترزقانه
 الا نباتا كتبنا عليه قبل أن يأتيكم كذلك كما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل سبحانه وتعالى الى
 المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حداث البعد كما نقول اصاحبك وقد أعطيت شيئا احتفظ بذلك
 أي تمسك به وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى اناس لنلقى عليك قولاً ثقيلاً وأوفى
 الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدينة كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بني اسرائيل
 وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله يرسل محمداً وينزل
 عليه كتاباً فقال تعالى ذلك الكتاب أي الذي أخبر الانبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبي
 المبعوث من ولد اسمعيل وقيل انه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله وأنه
 في أم الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم أخبر أمته بذلك فغير منع أن يقول تعالى ذلك
 الكتاب ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر مسمى به
 المفعول للمبالغة وأفعال بني للمفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه
 مما يكتب وأصل الكتب الضم والجمع سمي الكتاب كتاباً لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء
 في القرآن على وجوه * أحدها الفرض قال تعالى كتب عليكم القصص كتب عليكم الصيام
 ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وثانيها الحجة والبرهان قال تعالى فأتوا بكتابكم ان كنتم
 صادقين أي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أي
 أجل ورابعها بمعنى مكتبة السيد رقيه قال تعالى والذين يتتبعون الكتاب مما ملكت
 أيمانكم فكانت بهم (فان قيل) كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكمن مراتب فيه
 (أجيب) بأن الله تعالى ما نفي أن أحد الا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقاً بالريب ومظنة
 له لانه لو ضوحه وسطوح برهانه بحيث لا ينبغي لاحد أن يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان
 كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينف عنهم الريب بل أرشدهم الى
 الطريق المزيج للريب وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سورة ويدلوا فيها غاية جهدهم
 حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للرؤية وقيل هو خبر بمعنى
 النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا ترفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترفثوا
 ولا تفسقوا ولا تجادلوا والريب في الاصل مصدر رابى الشيء اذا حصل فيه الزية وهي قلق
 النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك
 الى ما لا يريبك فان الشك رية والصدق طمأنينة رواه الترمذي لكن بلفظ فان الصدق

طمأنينة والكذب ريبة وصححه ومعناه اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فاذا اترتابت نفسك
 في شيء فاطركه أو اطمأنت اليه فافعله فان نفس المؤمن تطمئن الى الصدق وترتاب من
 الكذب وهذا مخصوص بذوى النفوس الشريفة القدسية الطاهرة * (تنبيه) * جملة
 النبي خبر مبتدئ وذلك و(هدى) خبر ثان أى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامثال
 الاوامر واجتناب النواهي لاتقاهم بذلك النار وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم ولا تمهم
 هم المستفوعون بالهدى كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذرون اتبع
 الذكرو وقد كان صلى الله عليه وسلم منذر الكل الناس لان هؤلاء هم الذين اتفقوا بانذاره * ولها
 ثلاث مراتب * الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى
 وألهمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغار عند قوم
 وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا
 واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فارزق
 الله بعد ذلك فهو خير الى خير * والثالثة أن يتزهد عما يشغل ستره عن الحق تعالى وهذه هى
 التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر
 التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد قرأ ابن كثير فيه هدى فيصل الهاء من فيه بياء فى الوصل
 لانها مكسورة وقبلها سا كن فان كانت هاء الكناية مضمومة وقبلها سا كن وصلها بواو فان كان
 قبلها متحرك وبعد هاء متحرك فجميع القراء يصلونها مكسورة بياء ويصلونها مضمومة بواو وقال
 المكسورة به أن يوصل ومثال المضمومة قال له صاحبه وهو ومأشبه ذلك فان كان قبلها متحرك
 وبعد هاء سا كن فالجميع على عدم الصلة بمثال ذلك به الله وله الملك ومأشبه ذلك ويدغم أبو عمرو
 الهاء فى الهاء بخلاف عنه وكذا كل مثلين ما لم يكن الحرف المدغم تاء متكلم مثل كنت تراباً وتاء
 مخاطب مثل أفأت تكبره الناس أو متواتر مثل سميع عليم أو مشدداً مثل فتم ميقات ربه ثم
 وصف المؤمنين بما هو شأنهم بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) أى يصدقون بما غاب عنهم من البعث
 والجزاء والجنة والنار والصرط والميزان والايان لغة التصديق وشرعا قبل التصديق بما علم
 بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة
 أمور اعتقاد الحق والاقرابه والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
 والاصح أنه التصديق وحده ويدل له أنه تعالى أضاف الايمان الى القلب فقال كتب فى قلوبهم
 الايمان وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال ولم تؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح فما
 مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصى فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا بآيها الذين آمنوا
 كتب عليكم القتلى فلو لم يكن الايمان التصديق فقط بل هو وترك المعاصى
 لم يكونوا مؤمنين (فان قيل) قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وغيره ان الايمان قول وعمل
 ويندوبتقص (أجيب) بأن ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ أورش والسوسى بابدال
 الهمزة الساكنة فى يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة فى الوقف (ويقومون الصلاة) أى يدعونها

ويحافظون عليها في مواقيتها بجد ودها وأركانها وهياتها يقال قام بالامر وأقامه إذا أتى به
يعطى حقوقه لأن الحقيقة بالمدح من رأي حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
الباطنة كالخشوع والقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والمراد بها الصلوات الخمس
ذكر بالفظ الواحد أن كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب
بالحق يعني الكتب والصلاة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم أي ادع عليهم وفي الشرع
اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتوحة بالتمكين محتجة بالتسليم وقرأ أورش بتغليظ اللام
في الصلاة حيث جاء (ومما رزقناهم) أي أعطيناهم (ينفقون) يخرجون المال في طاعة الله
فرضا كان أو نفلا ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصه به الاقتراخا
بالصلاة لأنهم ما يدكران معاني القرآن ويحتمل أن يراد به الاتفاق مما منحهم الله من النعم
الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبراني في الأوسط من فوعامثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث
به كمثل الذي يكنز الكثر فلا ينفق منه وإلى هذا ذهب من قال ومما خصصناه به من أنوار المعرفة
يفضون والرزق بالكسر في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أي حظكم ونصيبكم
من القرآن أنكم تكذبون وأما بالفتح فهو مصدر بمعنى اعطاء الحظ كما أنه بالكسر يكون
مصدرا أيضا كما قيل به في قوله تعالى ومن رزقناه منازقا حسنا وفي العرف اسم لكل
ما ينفع به حتى الولد والرفيق والمعتز لما استعملوا من الله أن يمكن من الحرام لأنه تعالى منع
من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق
ههنا إلى نفسه أي أنا بأنهم يتفقون الحلال الصرف الطيب وأن اتفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأجاب أهل السنة عما ذكر بأن الأسناد للتعظيم والتحريض على
الاتفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقهم بالحلال للقرينة وتسمي كوالشعول
الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاءه عمرو بن قرّة فقال يا رسول الله إن الله قد كتب عليّ الشقوة فلا أراي أن رزق الامن
دفع بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ولا كرامة كذبت أي عدوا لله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه
لوم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره من رزقناهم على شقوة لا رزقناهم على شقوة لا رزقناهم على
في الارض الاعلى الله رزقها * (تنبيه) * تقديم رزقناهم على شقوة لا رزقناهم على شقوة لا رزقناهم على
رؤس الآتى وادخال من التبعية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه في حق من لم يصبر
على الاضاعة والافليس باسراف فقد تصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أي القرآن بأسره والشرعية
عن آخرها وانما عبر عنه بالفظ الماضي وإن كان بعضه مترقا تغليبا لله وجوده على ما لم يوجد فيه يكون

مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار
 تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفي كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والجاز وهو جائز عند
 الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والانجيل وغيرهما من
 سائر الكتب السابقة على القرآن والايمان بالانزالين جملة فرض عين وبالأول دون الثاني
 تفصيلا من حيث انما تعبدون به فاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد
 يوجب الحرج ويشوش المعاش وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
 وأمثاله * (فائدة) * الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب أنزل على السيد شيت ستون صحيفة
 وعلى السيد ابراهيم ثلاثون وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والأربعة الأخرى
 التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم واختلف القراء في مد وقصر ما أنزل فقالون
 والدوري عن أبي عمرو يمتدان ويقصران وابن كثير والسوسي يقصران بلا خلاف وباقي القراء
 وهم ورش وعاصم وحجرة والكسائي يمتدون بلا خلاف ويتفاوتون في طول المد فأطولهم مد
 ورش وحجرة ودونهم عاصم ودونه ابن عامر والكسائي وهكذا كل مدم منفصل (وبالآخره هم
 يوقنون) أي يعلمون أنها كاتبة لأن اليقين هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاك فيه قاله الامام
 الرازي ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال يقن الله كذا ولا يتقن
 أن السكأل أكبر من الجزء * (فائدة) * سميت الديانديا الدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة
 لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا وهي تأنيث الآخرة صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
 الآخرة قرأ ورش الآخرة بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث جاء وكذا الارض وقد
 افلح ومن امن وما أشبه ذلك (أولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى) أي رشد (من ربهم)
 ونكر هدى للتعظيم فكانه أريذبه ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره وأكده تعظيمه بأن الله
 مانحه والموفق له * (تنبيه) * جميع القراء يمتدون أولئك بلا خلاف لانه متصل لكن مرتبة ابن
 كثير وابن عمر ودون مرتبة ابن عامر والكسائي في المتصل والمنفصل وأولاء كلمة معناها
 الحكاية عن جماعة والكاف للخطاب كافي حرف ذلك (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون
 بالجنة والناجون من النار كتر فيه اسم الإشارة تنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
 كل واحد من الاختصاصين وأن كلامهم ما كاف في تمييزهم به عن غيرهم فلا يحتاجون فيه الى
 مجموعهما (فان قيل) لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم
 أضل أولئك هم الغافلون (أجيب) بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما إذ على
 هدى من ربهم والمفلحون وان تناسبتا لعلهما مختلفتان مفهومهما وجودا ومقصودا لان الهدى
 في الدنيا والفلاح في العقبى وإثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف كالانعام والغافلون
 فانهم ما وان اختلاف مفهومهما قد اتحد مقصودا ووجودا إذ لا معنى للتشبيه بالانعام الا المبالغة
 في الغفلة في الدنيا فاناسب العطف في الاول دون الثاني * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه
 وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوده شتى بناء الكلام على اسم الإشارة

للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لظاهر قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وأصل الفلاح القطع والشق وعنه معنى الزرع فلاجل أنه يشق الأرض فهم المقتطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * ولما ذكر الله تعالى خاصة عبادته وخاصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والصلاح عقبهم بذكر أضدادهم العناية المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تنفي عنهم الآيات والنذر بقوله تعالى (آآ الذين كفروا) الكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر وإحكام الثمر كفور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة محجج الرسول به وينقسم إلى أربعة أقسام كفر إنكار وكفر بخود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر الخود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقرب لسانه ككفر إبليس واليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ما هم كفروا به وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمعاً بذا الميناً

وأما كفر النفاق فهو أن يقرب باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأقسام من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به * (نفسه) * احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي نحو أن الذين كفروا أنا نحن نزلنا الذكر أنا أرسلنا نوحاً على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة الخبر عنه والقديم يستحيل أن يكون مسبوقاً بغيره فأجاب أهل السنة بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه وحدث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث الخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه تعالى فإنه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظي حدوث الكلام النفسي (سواء عليهم) أي متساو لديهم (أأندرتهم أم لم تذرتهم) أي خوفهم وحذرتهم أم لا والانداء اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيراً في النفس من حيث أن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) بما حجت به وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله تعالى كآبي جهل وآبي إلهب وغيرهما فلا تقطع في إيمانهم واحتج بهذه الآية من جواز التكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا وقع الخلف في كلامه تعالى وهو محال والحق أن التكليف بالممتنع لذاته جائز عكلاً غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع لغيره كالذي تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فإنه جائز وواقع اتفاقاً * (تنبيه) * ههنا همزان مفتوحان من كلمة فقلولون وأبو عمرو يسملان الثانية ويدخلان بينهما ألفاً وكذا وورش وابن كثير إلا أنهم لم يدخلوا ألفاً بينهما ما لورش وجه آخر وهو أن يبدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقه ما مع ادخال ألف بينهما

والباقون بالتحقيق والقصر وجميع القترامحققون الاولى ثم تذ كرسب تركهم الايمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) أى طبع واستوثق فلا يدخلها ايمان ولا خير والختم الكتم سمي به الاستيناق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه ~~كتمه~~ (وعلى سمعهم) أى مواضعه فلا يسمعون بما يسمعون من الحق وقوله تعالى (وعلى ابصارهم) أى أعينهم (غشاوة) مبتدا وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يصرون الحق وعبر الله تعالى عن أحداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاغساء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهذه الهيئة من حيث ان الممكآت بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وروى الآيات مظهرة عليهم شناعة صفتهم ووخامة طاقتهم (فان قيل) لم وحد السمع دون القلوب والابصار (أجيب) بأنه على حذف مضاف مثل وعلى حواس سمعهم كواضعه كما رتقديره أو باعتبار الاصل فانه مصدر فى أصله والمصادر لا تثنى ولا تجمع والابصار جمع بصور وهو ادرالك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع قال البيضاوى ولعل المراد به ما فى الآية العضو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وأمال أبو عمر وألف أبصارهم وكذا كل ألف بعدها مكمورة مطرفة وانما جازا ما اتهم مع الصاد لان الرأى المكسورة تغلب المستعيلة لما فيها من التكرير (ولهم عذاب عظيم) أى قوى دائمة فى الآخرة وهذا بعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كل ما يعي الانسان ويشق عليه وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لان العظيم فوقه لان العظيم يقبض الحقيق والصغير يقبض الصغير وإذا كان الحقيق مقابلا للعظيم والصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا والكبير قد يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة والعذاب للتوسيع لانهم الماقرنا بالختم على القلوب كان المعنى نوعا عظيما منه أى على أبصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله * ونزل فى المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى (ومن الناس) أمال أبو عمر والألف قبل السين المكسورة امالة محضة وهكذا كل ألف مثلها والباقون بالفتح (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين قالوا صنف الله الاصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله ووأطأت فيه قلوبهم أسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا وثالث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسم وهذا الصنف أخبت الكفرة وأبغضهم الى الله

تعالى لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين في أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث
انهم ينسبون الى الله تعالى ما هو بى عنه كالولد والزوجة والشرىك زادوا عليهم بأموار
منكرة منها أنهم قصدوا التليس ورضوا لانفسهم بسعة الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخلطوا
به خداعا واستتراه ولذلك طول الله في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأهم وتهكم بأفعالهم وسجل
على عيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
واللام في الناس للجنس ومن موصوفة للعهد وكانه قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل
للعهد والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبى وأصحابه ونظر أوه فانهم من حيث
انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المحنوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا بأى دخولهم تحت هذا الجنس (فان قيل) خصت من بالموصوفة على تقدير الجنس
وبالموصولة على تقدير العهد (أجيب) بأن الجنس لا بهامه يناسب الموصوفة لتكبرها والعهد
لتعينه يناسب الموصولة لتعريفها واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم اختاروا الايمان من المبداء والمعاد وأذن بأنهم
منافقون فيما ينظرون انهم مخلفون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق وهو عدم التصديق
بالقلب لان القوم كانوا يهودا وكافرا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كالايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار ان تمسهم الايام معدودة وغير ذلك
ويرون المسلمين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى أن يدخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة بطرفين (وما هم بمؤمنين) لابطانهم الكفر
وهذا انكار لما ادعوا اثباته ووجد الضمير في يقول نظر الى اللفظة من لانها صالحة للتثنية
والجمع والواحد وجمع فيما بعدها نظر الى معناها (فان قيل) كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين
قولهم آمنا بالله فان الاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
فكان المطابق له وما آمنوا (أجيب) بأنه انما عدل الى ذلك لرد كلامهم بأبلغ وجهه وآ كده لان
اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين أبلغ من نفي الايمان عنهم في ماضى الزمان ولذلك أ كد النفي
بالباء ونظيره قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك
وما يخرجون منها وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل أن يقيد بما
قيدوا به وهو قوله تعالى بالله وباليوم الآخر لان وما هم بمؤمنين جوابه والآية تدل على أن من
ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عماء فقه أو منافيه لم يكن مؤمنا (يخمدون الله والذين آمنوا) اذا ظهر واخلاف ما أبطنوه من
الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ويحققوا دماءهم ويحفظوا أموالهم وأصل الخدع فى اللغة
الاخفاء ومنه الخدع للبيت الذى يخفى فيه المتاع فالخداع أظهر خلاف ما يضمر والخداعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولا أنهم

لم يقصد واخذ بعته بل المراد اما مخدعة رسوله أو وليائه على حذف المضاف لانهم يعتقدوا
 ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في نفاقهم مخدعة الله تعالى فعلم أن خداعهم مع الله
 ليس المراد ظاهره كافي قوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وعلى أن معاملته الرسول معاملة الله
 تعالى من حيث انه خليفة له كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما
 يبايعون الله وأما أن صورة صنعهم مع الله تعالى من اظهار الاليمان واستبطان الكفر وصنيع
 الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبت الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار
 استدراجهم وامتنان الرسول والمؤمنين أمر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام بحجارة
 لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين ويحتمل أن يراد بخداعون يخدعون لانه بيان لمقول
 أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا أنه أخرج في زنة قاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت
 للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه اذا جاء بالمغالبة معارض استصحبت الزنة ما ذكر
 من المبالغة وقال الجلال المحلى والمخدعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحمين
 (وما يخدعون الأنفسهم) لان وبال خداعهم راجع عليهم فيقتضون في الدنيا باطلاع نبيه
 على ما أبطنوه ويباعون في الآخرة والنفس ذات الشيء وحقيقته وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وقرأ الباقر وهم عامص وابن عامر وحزرة
 والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء ولألف بعدها وفتح الدال ولا خلاف بين
 القراء في الكلمة الاولى وهي يخدعون الله فالجميع قرأوا بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها
 وكسر الدال وأما الرسم في الموضعين فبغير ألف (وما يشعرون) أي لا يحسبون بمعنى لا يعلمون
 أن خداعهم لانفسهم لتأدي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور
 كالحسوس الذي لا يخفى الاعلى مؤف الحواس وهو المصاب بأفة (في قلوبهم مرض) أي
 شك ونفاق لان ذلك يمرض قلوبهم أي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما يعرض للبدن فيخرجه
 عن الاعتماد الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ويجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكال
 أفعالها كالجمل وسوء العقيدة والحسد والبغض وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل
 أو مودبة الى زوال الحياة الحقيقة الابدية والآية تتحمل الحقيقة والمجاز وعلى المجاز اقتصر
 أكثر المفسرين لانه أبلغ من الحقيقة (فزادهم الله مرضا) بما أنزل من القرآن لانه كلما أنزل
 آية كفر واجبا فزادوا شكوا ونفاقا واسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه خلقها وأوجدها
 والى السورة في قوله تعالى فزادهم رجسا لكونها سببا وقرأ حمزة وابن ذكوان بأمله الألف
 التي بعد الزاي محضة والباقر بالفتح (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم بفتح الادم وصف به العذاب
 للمبالغة اذا ألم انما هو للعذاب حقيقة لا للعذاب فنسبة الألم الى العذاب مجاز ويجوز كسر
 لام مؤلم كسميع بمعنى مسمع وعليه فنسبة الالم الى العذاب حقيقة (بما كانوا يكذبون) قرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال أي تكذيبهم
 النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال أي يكذبهم

في قولهم آمنا لان الايمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به قال
 السواوي تعالى لم يخشئ وهو حرام كنه لانه على به استحقاق العذاب حيث رتب على
 الكذب وما روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات أي لما روى البخاري
 ومسلم في حديث الشقعة فيقول ابراهيم اني كذبت ثلاث كذبات وذكر قوله في الكوكب
 هذا ربي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فالمراد التعريض أي وهو اللفظ المشار به
 الى جانب والقرض جانب آخر وقيل هو خلاف التصريح وهو تضييع الكلام دلالة ليس لها ذكر
 وتسمى تعريضاً لما فيه من التعريض عن المطلوب وليكن لما شبه الكذب في صورته سمي به
 انتهى وهذا ليس على إطلاقه فان من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب وما هو واجب
 وما هو حرام لان الكلام وسيلة الى المقصود فكل مقصود محمود ان أمكن التوصل اليه بالصدق
 فالكذب فيه حرام وان لم يمكن الا بالكذب فهو مباح ان كان المقصود مباحاً ومندوباً ان كان
 المقصود مندوباً وواجباً وفي حديث الطبراني في الكبير كل الكذب
 يكذب على ابن آدم الا ثلاثاً الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة
 فبرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفي حديث في الاوسط الكذب كله اثم
 الا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دينه (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء فهو عطف تفسير على يكذبون فعلمه
 نصب لكونه معطوفاً على خبر كان فيكون جرأ من السبب الذي استحقاقه العذاب الاليم أو على
 يقول فلا محال له من الاعراب لكونه معطوفاً على صلة من فلا يكون جرأ من السبب والقائل
 هو الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين (لا تفسدوا في الارض) بالكفر
 والتعويق عن الايمان والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده والفساد يعم كل
 ضار والصلاح يعم كل نافع وكان من افسادهم في الارض اثاره الحروب وافتقار بخدعة
 المسلمين ومعاونة الكفار المتحضر كفرهم على المسلمين فان ما ذكر يؤدي الى فساد ما في الارض
 من الناس والدواب والحراث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
 والاعراض عنها مما يوجب القتل والاختلاط ويخل بنظام العالم لأن ذلك افساد لان الافساد
 جعل الشيء فاسداً وصنيعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تفسدوا في الارض مجاز باعتبار المال
 أي لا تفعلوا ما يؤدي الى الفساد وليس معنى الافساد هنا الا بيان بالفساد ليصح حمل الكلام
 على الحقيقة بنسبه على ذلك السعد التفتازاني (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لا ذا ورد
 للناسخ على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأنا ليس الا اصلاح وان
 حالتنا متعسفة عن شوائب الفساد لان انما نفيد قصر مادخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
 وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة اصلاح لما في قلوبهم من المرض
 كما قال تعالى أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً قال الله تعالى يرد عليهم أبلغ رد (ألا انهم هم
 المفسدون) أي بما ذكر (ولكن لا يشعرون) أي لا يفتنون بمعنى لا يعلمون أنهم هم المفسدون
 بذلك أي لانهم يظنون أن الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم

من العذاب ووجه الابلية في ذلك تصديره بالانبهة على تحقيق ما بعده فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا وبأن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) هذا من تمام النصيح والارشاد فان كمال الايمان بمجدوع أمرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتبان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) أي كايان الناس الكاملين في الانسانية الموافقة باطنهم فيه لظاهرهم العاملين بقضية العقل فالادم في الناس الجنس فان اسم الجنس كما يستعمل لسماءه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه أول العهد والمراد به الرسول ومن معه أو عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقرأ هشام والكسائي قبل باسم القاف وهو أن تضم القاف قبل الباء ولورش في الهزمة من آمنوا وآمن المد والتوسط والقصر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فالادم في السفهاء العهد وهم من تقدم أو الجنس السفهاء بأسرهم وانما سفههم لاعتقاد فساد رأيهم أول تحقيق شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أول التجلد وعدم المبا لاتبين آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياءه * قال الله تعالى ردا عليهم أبلغ رد (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء بما فاعلوه من ابطان غير ما أظهره ووجه الابلية في تجهيلهم أن الجاهل يجمله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجمله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر (فان قيل) كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (أجيب) بأن هذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والعلم يقابله (فان قيل) لم عبر في هذه الآية بلا يعلمون وفي التي قبلها بلا يشعرون (أجيب) بأن التعبير بلا يعلمون أكثر مطابقة لما ذكر السفه لان السفه جهل فطابقه العلم ولان أمر الايمان أخروي يحتاج الى دقة نظر فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بلا يعلمون وأمر البني والفساد دنيوي فهو كالحسوس لا يحتاج الى دقة نظر فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بلا يشعرون ويشعرون مضارع شعرو يقال شعرت كذا أي حسست به أو أدركته أي فطننت له وقد استعمل بالمعنى الاول في قوله وما يشعرون وفي الثاني بقوله لا يشعرون كما يعلم مما به قرره في الآيتين وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة والكسائي السفهاء لا بتحقيق الهزتين وكذا كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والباقيون وهم نافع وابن كثير وأبو عمر وبابال النائية واواخالصة (واذا القوا الذين آمنوا) اللقاء المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته وأصل لقوا اقيموا حذف الضمة للاستئثار ثم الباء لالتقاء ساكنة مع الواو (قالوا آمننا) أي كايانكم (واذا اخلوا) منهم ورجعوا (الى شياطينهم) أي الذين ماثلوا الشياطين في عردهم وهم الظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر وأكابر المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا انامعكم) أي في الدين والاعتقاد خاطبو المؤمنين بالجملة الفعلية ومما ثلبي الشياطين

بالجملة الاسمية الموكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وقصدوا بالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به
المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار (انما نحن مستزنون) بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى نسخبرهم بظاهرنا
الاسلام لان المستزنى بالشئ المستخف به مصر على خلافه فهذا تأكيدا لما قبله وأبدل منه لان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر وأستنداف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انامعكم ان صح
ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتنعون الايمان فأجابوا بذلك * (تنبيه) * بين سبحانه وتعالى
بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار وروى الواحدى وغيره ولكن بسند ضعيف
ان ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال اقومه انظروا كيف أردوهؤلاء السفهاء
عنكم فأخذ سيد أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام
وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار البازل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
أخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه البازل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخننه أى زوج بنته عند العامة وعند العرب كل من كان من قبل
المرأة وكل منهما صحيح ههنا سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبنات وما صدر به
قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بفسوق لبسان مذهبهم وتهيبند تفاقمهم فليس بتكرير
(الله يستزى بهم) أى يجازيهم على استزائهم سعى جزاء الاستزاء باسمه كما سعى جزاء السيئة
بسيئة اما المقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثل له فى القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة أو ينزل بهم
الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستزاء والغرض منه أو يرجع وبال الاستزاء عليهم فيكون
كالمستزى بهم أو يعاملهم معاملة المستزى أما فى الدنيا فباجراء أحكام الاسلام عليهم
واستدراجهم بالامهال والزياة فى النعمة مع التمادى فى الطغيان وأما فى الآخرة فبأن يفتح لهم
وهم فى النار يا بالى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سعد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استوقف به ولم يعطف ليدل على أنه تعالى تولى مجازاتهم
ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم وأن استزاءهم لا يبالى بلحقارتهم (ويعدهم فى طغيانهم) أى
فى ضلالاتهم (يعمهون) يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر تجاوز الحد فى العصيان
والغلوفى الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انما طغى الماء عما لكم قال البيضاوى
والعمه فى البصيرة كالعصى فى البصر وهو التعمير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمها
لامنار لها اه وظاهر كلامه اختصاص العمه بالبصيرة والعصى بالبصر وهو ما ذكره ابن عطية
فبينما تبين وقال الامام وغيره العمه فى البصيرة والعصى عام فيها وفى البصر فبينما عموم مطلق
وأمال الدورى عن الكسائى ألف طغيانهم امالة محضة وفتحها المباقون (أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى) أى اختاروها عليه واستبدلوا هبته وأصل الشراء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب

من الايمان فان كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله
 اشتراء والا فالثمن ما دخلت عليه الباء فبإذله مشتروا خذ به بائع ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن
 الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
 محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى وأمال ألف الهدى
 خيرة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (فاربحت تجارتهم) أي
 ما ربحتوا فيها والتجارة التصرف بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال واستناده الى
 التجارة وهو لا ربها على سبيل الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشايتها الياء من حيث أنها سبب
 للربح والخسران واتفق القراء على ادغام التاء في التاء وكذا كل مثلي الاقل منهم ما ساكن
 (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهو لا قد أضاعوا
 الامرين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
 استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوصلون به الى ادراك الحق وينيل الكمال
 فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدن الاصل (مثلهم) أي شبههم وصفتهم في نفاقهم
 (كمثل الذي) بمعنى الذين بدل سبيل سياق الآية وتظيره والذي جاء بالصدق وصدق به أو أئامهم
 المتقون وقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقصده جنس المستوقد أو الفوج الذي (استوقد)
 أي أوقد (نارا) في ظلمة المآجاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل وهو بيان تصوير تلك الحقيقة
 وبراها في معرض المشاهد المحسوس زيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع في القلب وأقع
 للنخص قال البيضاوي والاستية اطلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
 لهبها اه والاكثر على أن استوقد هنا بمعنى أوقد كما قدرته لا بمعنى طلب الوقود (فلما أضامت)
 أي أنارت النار وأضاء لازم ومتعدي يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاء غيره (ما حوله) أي
 المستوقد فأبصروا استفادوا من ما يخافه (ذهب الله بنورهم) أي أطفأ وهذا جواب
 لما واستناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفي
 أو أمر سماوي كريح أو مطر أو لعمالة الغلبة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
 من معنى الاستصحاب والاستمسك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه
 الله تعالى وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
 لو قيل ذهب الله بنورهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة
 النور عنهم رأسا لا ترى كيف قتر ذلك وأكده بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
 ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانظماسه بالكلية
 وكيف جمع الظلمة وكيف نكروها وكيف أتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله لا يبصرون
 وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
 بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى وظلمة شديدة
 كأنها ظلمات متراكمة والآية وهي قوله مثلهم الخ مثل ضرب به الله لايمان المنافقين من

حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغنم
 والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة وازهاب أثره وانظام من نوره باهلا كهيم واقضاء حالهم باطفاء
 الله تعالى اياها وازهاب نورها هذا هو الواو اخرج ابن جرير عن ابن عباس وقيل مثل ضربه
 الله لمن آتاه ضربا من الهدى واضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فيقبي متحيرا متحسرا تقريرا
 وتوبيخا لما تضمنه قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الخ ويدخل تحت عموم
 ما تضمنته الآية هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا ما نطق به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر
 واطهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن أثر الضلالة على الهدى المجمعول له بالفطرة أو ارتد عن
 دينه بعدما آمن وقروا ورش بتريق راء يصرون هم (صم) عن الحق فلا يسمعون به سماع قبول
 وأصل الصمم صلابه من اجتماع الاجزاء ومنه قيل جبرأصم وقناة صماء وصمام القارورة يسمى به
 فقد ان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مجتمعا لا تجويف فيه يشتمل على هوا يسمع
 الصوت بتوجهه (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه والخرس في الاصل عدم القدرة على
 النطق (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه والعمى في الاصل عدم البصر عما من شأن أن يصير
 وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن
 الضلالة التي اشتروها (أو) مثلهم (كصيب) فهو معطوف على الذي استوفد أي كمثل أصحاب
 صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأوفى الاصل للتساوى للشك ثم اتسع فيه فأطلق
 للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا
 فانه يفيد التساوى في حسن المجالسة في المثال الأول وجوب العصيان في الثاني ومن ذلك
 قوله أو كصيب من السماء ومعناه بقية نسبة السباق أن قصة المنافقين مشبهة بما بين القصتين
 وأنهم مساوؤ في صحة التشبيه بما واثقت مخبري التمثيل بهما أو بأيتهم اشتت وان كان الثاني
 أبلغ كما قاله الزمخشري قال لانه أدل على فرط الخيرة وشدة الأهر وقطاعته والصيب أصله صيوب
 من صاب يصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب والاية تحتملها أي ينزل (من السماء)
 ذلك فان قدرت الصيب بالمطر فالمراد بالسماء السحاب وان قدرته بالسحاب فالمراد السماء بعينها
 والسماء كل ما علاك وأطلق وهي من أسماء الاجناس فيكون واحدا وجعا (فيه) أي الصيب
 وقيل السماء (ظلمات) جمع ظلمة فان أريد بالصيب المطر فظلمة ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه
 مع ظلمة الليل وان أريد به السحاب فظلمة سواده وتكاثفه مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع
 من السحاب قال البيضاوي والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا
 ساقها الريح من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلعب من السحاب من برق الشيء برقا هذا ما جرى عليه
 الجوهرى وغيره وهو المناسب هنا وان أطلق الرعد على الملك أيضا فهو مشترك بين الصوت
 المذكور والملك الثابت في الاحاديث ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب بيده مخراق من نار
 ينجر به السحاب يسوقه الى حيث شاء الله وصوته ما يسمع وفي بعضها أنه ملك ينطق بالغيث كما
 ينطق الزايع بغثه وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسييح كما يسوق الجادى الابل يسدائه

وفي بعضهم أنه ملك مسمى به وهو الذي تسمعون صوته (يجعلون) أي أصحاب الصيب (أصابعهم)
 أي أناملها وأنما أطلق الأصابع موضع الانامل للمبالغة لما في ذلك من الأشعار بدخول أصابعهم
 فوق العتاد فراراً من شدة الصوت (في آذانهم) وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من
 أجلاها يجعلون وهو جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من سماعها أو يغشى عليه ويقال
 لكل عذاب مهلك صاعقة وقبل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء روى
 عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا
 سمع الزعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وأمال
 الدورى عن الكسائي الألف التي بعد الذال في آذانهم أماله المحضة والباقون بالفتح * وقوله تعالى
 (حذروا الموت) نصب على العلة كقول الشاعر

واغفر (أي استمر) عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم التميم تكريماً
 قال البيضاوى والموت زوال الحياة زاد في الطوالع عما من شأنه الحياة وفيه تساهل اذ يلزم
 منه أن يكون الجنين قبل حلول الحياة فيه مينا والظاهر كما في شرح المواقف أن يقال
 عدم الحياة مما انصف بها بالفعل فينهما تقابل العدم والملكية على التفسيرين وقيل عرض
 أيضاً ذهابه فينهما تقابل التضاد لقوله تعالى خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقاً والعدم
 لا يخلق ورد بأن الخلق بمعنى التقدير لا بمعنى اليجاد والاعدام مقدرة ولو سلم بأنه بمعنى اليجاد
 فالعنى خلق أسباب الموت والحياة وبذلك علم أن القول الأول هو المعتمد وكلام أئمة اللغة طافح به
 وحاصله أن الموت مفارقة الروح الجسد وما ورد في الأحاديث من أنه جسم حيث قيل في بعضها
 أنه كبش وفي بعضها أنه على صورة كبش لا يرعى أحد الامات فقول بأنه لم يقصد بالموت فيها
 حقيقة بل قصداً أنه يصور بصورة كبش كما في خبر الشيخين وغيرهما أنه يجاء بالموت يوم القيامة
 كأنه كبش ألمح فيوقف بين الجنة والنار الخ (والله محيط بالكافرين) علموا قدرة فلا يفوتونه
 كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الآن يحاط
 بكم أي تهلكوا والجملة اعتراضية لا محل لها قال أبو حيان لأنها دخلت بين هاتين الجملتين وهما
 يجعلون أصابعهم ويكاد البرق وهما من قصة واحدة ويميل ورش الألف بعد الكاف بين بين
 وكذا الكافين حيث جاء وقرأ أبو عمرو والدورى عن الكسائي بالماله المحضة فيهما حيث جاء
 والباقون بالفتح (يكاد البرق) يقرب لأن كاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من
 الوجود لحصول سببه لكنه لم يوجد أما فقد شرطاً ولعروض مانع وخبرها مشروط فيه أن يكون
 فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقراب (يحطف أبصارهم) يختلسها واخلطف الأخذ بسرعة
 (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أي ضوئه (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا ومتحيزين فالتعالى
 شههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفارقة في ليله مظلمة أصابعهم مطروفيه ظلمات من صفاتها
 أن السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم في آذانهم من
 هوله وبرق من صفته أن يقرب من أن يحطف أبصارهم ويعميها من شدة توقيده فهذا مثل

ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمرطال القرآن لانه حياة القلوب
 كما أن المطر حياة الابدان والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به
 من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعود ذكر الجنة والكافرون
 والمنافقون يستدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه ولازعاج ما في القرآن
 من الحجج قلوبهم وانما قال الله تعالى مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم خراس على المشي
 كلما صدقوا منه فرصة مما يحبون انهمزوها ولا كذلك التوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا وقفوا
 كما مر ومنه قامت السوق اذا ركبت أى سكنت ويقال قامت السوق بمعنى نفقت فهو من
 الاضداد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بمعنى أسمعهم (وأبصارهم) الظاهرة كاذب بالباطنة
 أى ولو شاء أن يذهب بسمعهم بشدة صوت الرعد وأبصارهم بلعان البرق لذهب بهما حذف
 المفعول وهو أن يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه ولقد تكرر حذف المفعول في شأه
 وأراد اذا وقع في حيز الشك كما هنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء
 المستغرب كقول القائل

فلو شئت أن أبكي دما البكيت * عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وأقرب فيه بالمفعول لأن بكاء الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه معنى الصب ولومن حروف الشرط
 قال البضاوى وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لاتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند
 انتفاء لازمه اه وهذا مذهب ابن الحاجب وأما مذهب الجمهور وهو الاصح فانه فى الاصل
 لاتفاء الثانى لاتفاء الاول فعنى لو جئتني أكرمك أن انتفاء الاكرام لاتفاء المجئ وقيل انها
 لمجرد الربط كان ومن ثم قال التقى زانى أن لو هنا لمجرد الشرط بمنزلة أن لا بعنا هذا الاضلى وفائدة
 هذه الجملة الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه وهو أنه تعالى
 أمهل المنافقين فيما هم فيه ليعتادوا فى النجى والفساد ليكون عذابهم أشد وللتنبية على أن تأثير
 الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته
 تعالى وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) أى يشاؤه (قدير) كالتصريح بما ذكره التقرير له والشئ
 يختص بالموجود فلا يطلق على المعدوم (فان قيل) لو اختص الشئ بالموجود لما تعلقت به القدرة
 لانها الصفة المؤثرة على وفق الارادة وتأثيرها لايجاد وايجاد الموجود محال فالذى تعلقت
 به القدرة معدوم وهو شئ فالمعدوم شئ (أجيب) بأن المحال ايجاد الموجود بوجود سابق
 وهو غير لازم واللازم ايجاد موجود هو أثر ذلك اليجاد وليس بمحال والقدرة هو التمكن من
 ايجاد الشئ وقيل صفة تقضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يمكن من الفعل وقدرة الله
 تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال
 لما يشاء ولذلك قيل يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدير من القدرة لان القادر يوقع
 الفعل على مقداره وقوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفى ذلك دليل على أن الحادث حال
 حدوثه والممكن حال بقائه مقدورا وأن مقدورا العبد مقدور الله تعالى خلا فالابى على وأبى

هاشم لانه شئ وكل شئ مقدور واحتج بعض الفرق بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى ليس
 بشئ قال لانها تدل على أن كل شئ مقدور لله تعالى والله سبحانه وتعالى ليس بمقدور له فوجب
 أن لا يكون شيئاً واحتج أيضاً على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شئ قال لو كان هو تعالى شئ فهو
 تعالى مثل مثل نفسه فكان يكذب قوله تعالى ليس كمثله شئ فوجب أن لا يكون شيئاً حتى
 لا ينقض هذه الآية واعلم أن هذا الخلاف في الاسم لانه لا واسطة بين الموجود والمعدوم واحتج
 أصحابنا بوجهين الأول قوله تعالى قل أي شئ أكبر شهادة قل الله والثاني قوله تعالى كل شئ هالك
 الا وجهه والمستثنى داخل في المستثنى منه فوجب أن يكون شيئاً (واجب) عن قوله أن هذه
 الآية تدل على أن الله تعالى قادر على نفسه بأن تخصيص العام جائز في الجملة وأيضاً تخصيص
 العام جائز بدليل العقل (فان قيل) اذا كان اللفظ موضوعاً للكل ثم انه تين انه غير صادق
 في الكل كان هذا ككذباً وذلك يوجب الطعن في القرآن (أجيب) بأن لفظ الكل كما أنه
 مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجازاً في الاكثر فاذا كان ذلك مجازاً مشهوراً في اللغة لم يكن
 استعمال اللفظ فيه كذباً ورقق ورش الرأى من قدير وصلو وقفا وباقي القراء بالترقيق وقفا
 لا وصلوا* ولما عُدَّ سبحانه وتعالى فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل تعالى
 عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى (يأيها الناس اعبدوا ربكم) تحريماً للسامع
 وتنشيطاً له واهتماماً بأمر العباداة وتفخيماً للشأنها وجبر المشقة العباداة بلذة المخاطبة وبإحرف
 وضع لئلا ينداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً لمنزلة البعيدات ما لعظمته كقول الداعي يارب
 وبالله وهو أقرب اليه من جبل الوريد أو لغفلة وقلة فهمه أو لاعتناء بالمدة وزيادة الحث
 عليه ولفظ الناس يعم الموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيجد تنزيلاً للمعدوم منزلة الموجود
 لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
 قيام الساعة الا ما خصه الدليل وان قال الامام الرازي الاقرب أنه لا يتناول لأن يأيها الناس
 صرف خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله دليل منفصل وهو ما تواتر
 من دينه عليه الصلاة والسلام أن أحكامه ثابتة في حق من سيجد الى قيام الساعة (فان قيل)
 روى عن عقبة والحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن كل شئ نزل فيه يأيها الناس فكيف
 ويأيها الذين آمنوا فذكرني فكيف تكون هذه السورة مكية وقد نزلت بالمدينة (أجيب) بأن
 المراد بقولهم السورة مكية أو مدنية ان غالبها ذلك والاولى أن يقال ان ذلك أكثرى لا كلي وأن
 سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق وقد قال تعالى في كل منها يأيها الناس وسورة
 الحج مكية سوى ما استثنى وفيها من غيرها يأيها الذين آمنوا اركعوا ولا يمتنع ذلك الخطاب
 بالكفار ولا بأمرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العباداة والزيادة فيها والمواظبة
 عليها فالملطوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب تقديمه من المعرفة والقرار
 بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة
 فالكفر لا يمنع وجوب العباداة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المؤمنين ازديادهم

وشأيتهم عليها وانما قال الله تعالى ربكم تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربوبية وقوله تعالى
 (الذي خلقكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئاً صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقيد
 ان خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً
 والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
 بالقماش وقرأ أبو عمر وخلقكم بادغام القاف في الكاف بخلاف عنه (وخلق) (الدين من قبلكم)
 وهذا متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان كتقدم الجزء على الكل والواحد على
 الاثنين وهو منصوب عطوف على الضمير المنصوب في خلقكم كما علم من التقدير والجملة أخر جت
 مخرج المقرر عندهم أما الاعتراف بهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
 من خلق السموات والارض ليقولن الله أولئك كنهم من العلية بآدنى نظر وقوله تعالى (لعلكم
 تتقون) اما حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تدخلوا في سلك المتقين
 القائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبيه به على أن التقوى منتهى درجات
 السالكين وهو التبرى من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون
 ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعاً يرجون رحمته ويخافون عذابه وأما
 من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من ترجى منه
 التقوى لترجى أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب تعالى الخاطئين بقوله لعلكم على
 الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعاً واعل في الاصل للترجى وفي كلامه تعالى لتحقيق
 والآية تدل على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحده دانيته والعلم باستحقاقه للعبادة
 النظر في صنعه والاستدلال بفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثواباً فانها ما اوجبت
 عليه شكر الماعده عليه من النعم السابقة فهو كاجير أخذ الاجر قبل العمل وقوله تعالى (الذي
 جعل) أي خلق (لكم الارض فراشاً) أي بساطاً تفرش صفة ثانية أو منصوب بتقدير أمدح
 أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف ومعنى جعلها فراشاً أن جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماع
 ما في طبع الماع من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان
 يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستمدح كونها مسطحة لان كربة تشكّلها مع
 عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها فليس في ذلك الا أن الناس يقرشونها كما يفعلون
 بالمقاريش وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة (و) جعل لكم (السماء بناءً) أي قبة
 مضرورة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى المتعدد كالديار والدرهم وقيل جمع
 سماء والبناء مصدر مسمى به المبني يتما كان أوقبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
 تزوجوا ضربوا عليها خباءاً جديداً وقوله تعالى (وأترل من السماء ماء) معطوف على جعل والمراد
 بها الماء السحاب فان ماء علاء السماء أو ماء الفلك فان المطر يتدنى ائماً من السماء الى السحاب ومنه
 الى الارض كما دلت عليه الظواهر من الآيات كقوله تعالى وأترلنا من السماء ماء وقوله تعالى
 أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض وعن خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من

تحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا فيجتمع في موضع فتحي السحاب
السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء وامان أسباب سماء وبه تثير الاجزاء الرطبة من
أعماق الارض الى جوار الهواء فتعقد سحابا ماطرا (فاخرج به من) أنواع (الثمرات رزقا لكم)
تا كلونه وتعلقون منه دوابكم وخروجها بقدره الله تعالى ومشيئته وان كان جعل الماء
الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما أو أبدع في الماء قوة فاعله وفي الارض قوة قابله يتولد من
اجتماعهما أنواع الثمار وهو تعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بالاسباب ومواد كما أبدع
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاءها امر تقيما من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة * (نبية) * من الاولى
للابداء ومن الثانية للتبعض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات لا نغرات جع قلة منكرا
واكتشاف المنكرين لها أعنى ماء ورزقا كما تدعى قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا التبعض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السماء الماء
كاه ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل بالمطر كل المرزوق ويصح أن تكون من الثانية للعينين
ورزقا مفعول وهو المبين بمعنى المرزوق كقول القائل أنفقت من الدراهم ألفا فان من الدراهم
بيان لقوله عقبه ألفا (فان قيل) المحل محل جمع الكثرة فكيف أتى بجمع القلة (أجيب) بأن
الجموع يتناول بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وأوقع جمع القلة موقع جمع
الكثرة بدليل ذكر كم وكقوله تعالى ثلاثة قروء فأوقع جمع الكثرة موضع جمع القلة لان ميم الثلاثة
لا يكون الاجمع قلة وأولان الثمرات لما كانت محلا للام خرجت عن حدة القلة (فلا يجمعوا لله
أندادا) أى شركاء في العبادة (فان قيل) لم سعى ما يعبد المشركون من دون الله أنداد امع انهم
ما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنهم ساءت حاله في افعاله (أجيب) بأنهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسوها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد ان ذات واجبة بالذات قادرة على أنها
تدفع عنهم بأس الله وتمتعهم الم يرد الله بهم من خير فتعبدكم الله تعالى بهم وشنع عليهم بأن جعلوا
أنداد المن يمنع أن يكون له ندو لذلك قال موحدا الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل حسين فاروق دين
قومه أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

أدين أى أطيع من دان أى انقاد اذا تقسمت أى تفرقت

تركب اللات والعزى جمعا * كذلك يفعل الرجل البصير
ألم تعلم بأن الله أفتى * رجلا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين بسير قوم * فيربونهم الطفل الصغير

وقوله تعالى (وانتم تعلمون) حال من ضمير فلا يجمعوا ومفعول تعلمون متروك أى وحالكم انكم
من أهل العلم والنظر واصابة الراى فى لونها تلمت أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجود
للممكنات منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو مقدروها وان انداد لا تماثل
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شئ وعلى

كون وأنتم تعاون حالافا لقصود منه التوبيخ سواء أجعل مفعول تعلمون تروكا ومقدرا
 وإن كان التوبيخ في الأول كد كما صرح به الكشف لا تقمدا للحكم وقصره وهو النهي عن
 جعلهم لله أن يناديهم بالعلم فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف
 * (تنبيه) قال البيضاوي واعلم أن مضمون الآية بين أي يأيها الناس اعبدوا ربكم والذي
 جعل لكم إلى آخرهما هو الأمر بعبادة الله والنهي عن الاشرار التي تعالى والاشارة إلى ما هو
 العلة والمقتضى ويانه انه تعالى رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بأن العلة
 لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من
 المأكل والملبس أي الارض والسما والمطاعم والملابس فان الثمرة أعتم من المطعم أي قسّم
 الثمرات الملابس كالمطاعم والرزق أعتم من الماء كالمشروب ثم لما كانت هذه أمور
 لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشرار التي ولعله سبحانه وتعالى
 أراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الاشارة إلى تفصيل خلق
 الانسان وما أقاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض
 والنفس بالسما والعقل بالماء وما أقاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة
 استعمال العقل الحواس وازدواج أي اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
 من ازدواج أي اقتران القوى السماوية والارضية المنفعلة بقدره الفاعل المختار
 فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حتم مطعنا اه هذاري عن الحسن من رفوعا مرسل لا يظهر
 الآية ما ظهر من معانيها لاهل العلم الظاهر وبطنها ما تضمنته من الاسرار التي أطاع الله
 عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها وبطنها فهمها والحدأحكام الحلال والحرام والمطلع
 الاشراف على معرفتها * ولما قرر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم
 به اذ ~~كر~~ عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المجزى بفصاحته
 التي غلبت فصاحته كل بليغ مع كثرتهم وافرطهم في المضادة وتها السكهم على المغالبة بقوله
 تعالى (وان كنتم في ريب) أي شك (منزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله
 (فأنا بسورة) وانما قال تعالى مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه
 أهل الشعور والخطابة بما يريهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
 نزل عليه القرآن لجهل واحد فبكان الواجب تحذيرهم على هذا الوجه ازالة التشبهة والزاما للحجة
 فان أهل الشعور والخطابة يأثرون بأشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة شيأ فشيأ ولما كان القرآن
 منزلا كذلك طعنوا فيه بأنه مثل كلامهم فقبل لهم ان ارتبتم في نزوله منجما فأثروا بنجم منه لانهم
 اذا عجزوا عن نجم منه فحجزهم عن كاه أولى وأضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره وتنبيهه على أنه
 مختص به منقاد لحكمه والسورة من القرآن الطائفة منه المترجمة التي لها أول وآخر أقلها ثلاث
 آيات والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
 القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فان القارئ اذا ختم سورة فرج ذلك عنه بعض كربة

كالمسافر اذا علم انه قطع ميلاً وطوي بريداً والحافظ اذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من القرآن
 حظاً تاماً وفاز بباطنة محدودة مستقلة بنفسها فاعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرهما من القوائد
 وقوله تعالى (من مثله) صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير ما نزلنا ومن للتبعض
 أو للتبيين وزائدة عند الاختصاص أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن الظن وقيل الضمير
 لعبداً ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يعلم
 العلوم والوجه الاول أولى لانه المطابق لقوله تعالى في سورة يونس فأوتوا بسورة مثله واسائر
 آيات التحدى ولأن الكلام في المنزل لافي المنزل عليه حقيقة أن لا ينقل عنه ليتسقى الترتيب
 والنظم اذا المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأوتوا بقرآن من مثله ولأن مخاطبة
 الجهم الغفير بأن يأوتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جنسهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليات
 بنحو ما أتى به عبدنا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل انما اجتمعت
 الانس والجن على أن يأوتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن عود الضمير الى عبدنا يؤهم امكان
 صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فانه تعالى
 أمر أن يستمعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم سواء ~~كان مثله أم لا~~ والشهداء جمع شهيد
 بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان
 يرجوه أو الملائكة حضره ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه أدنى
 البعض من البعض ودونك هذا أي خذ من أدنى مكان منك ثم استعبر للرب فقيل هم ودون
 زيد أي في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى آخر وتخطى
 أمر الى آخر وان خلى عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
 أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا فهي لابتداء الغاية
 والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتهم معونته من انكم وجنكم وادعوا ألهتمكم
 التي تعبدونها غير الله وتزعمون أنها تشهد لكم يوم القيامة أي استمعينوا بهم في الاتيان بما ذكر
 (ان كنتم صادقين) في ان محمد صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء نفسه وان ألهتمكم تشهد
 لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف تقديره فافعلوا أي ما ذكر من الاتيان بسورة دل
 عليه قوله تعالى (فان لم تفعلوا) ذلك والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد الخبر أنه
 كذلك عن دلالة أوامره لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لم يمتنعوا
 مطابقته وورده هذا القول بصرف التكذيب الى قوله لم تشهد لان الشهادة اخبار عما عمله
 وهم ما كانوا عالمين به وقوله تعالى (ولن تفعلوا) جملة معترضة أي لا يقع منكم ذلك أبداً لا بماز
 القرآن (فاتقوا النار التي وقودها) أي مائة قدس به (الناس والحجارة) التي تحتوها واتخذوها
 أرباباً من دون الله طمعاً في شفعائهم والانتفاع بها ويدل لذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من
 دون الله حصب جهنم عذبوا ايماناً منشا جرمهم كما عذب الكاذبون بما ~~كنزوه~~ أو حجار
 الكبريت كما رواه الطبراني عن ابن مسعود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهم ما وعلمه أكثر المفسرين وان قال البيضاوي انه تخصيص بغیر دليل لان مثل هذا التفسير
 الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع وأيضا حجارة الكبريت أشد حترًا
 وأكثر التماسًا وتزيد على غيرها من الحجارة سرعة الاحتراق وتنتج الريح وكثرة الدخان وشدة
 الالتصاق بالأبدان وقيل جميع الحجارة * (تنبيه) * تفعلوا محجورون بل لا بان لان لم واجبة الاعمال
 مختصة بالمضارع متصلة بالعمول ولا نه الماصية ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
 كالدخول على المجموع وكأنه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وحاصله ان تقتضي
 الاستقبال ولم تقتضي الماضي فترجى لم لاذ كفيكون المعنى على الماضي دون الاستقبال وقيل
 ان ان بمعنى اذ ولا اشكال حينئذ وقيل كل منهما على حقيقته والمعنى ان تنفي في المستقبل عدم
 فعلكم في الماضي ولن تفعلوا في المستقبل فاتقوا النار ولن كالا في نفي المستقبل غير انه أبلغ
 وهو حرف بسيط ثنائي الوضع وقيل أصله لان حذف الهمزة منها لكثرها في الكلام ثم ألف
 لالاتقاء الساكنين ولما كانت الآية مكية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم
 نارًا وقودها الناس والحجارة وسمعه صريح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فان الصلة يجب أن
 تكون معلومة وهي معلومة هنا من سورة التحريم حيث وقعت صفة (فان قيل) الصفة أيضا
 يجب أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف كالصلة والالكات خبر اولها هذا قالوا ان الصفات
 قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بعد العلم بها أوصاف فيما في الصفة في آية التحريم ما ذكر
 في الصلة * (أجيب) * بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لالكل سامع
 وما في التحريم خطاب لاهل المؤمنين وقد علموا ذلك لسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمع
 الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارًا موصوفة بتلك الجملة فجعلت فيما خوطبوا به (أعدت)
 أي هيئت (للكافرين) وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل على ان النار مخلوقة معدة لهم
 الآن والجملة استئناف أو حال من النار باضمار قد والعامل في الحال اتقوا وهي حال لازمة
 فلا يشك بأن النار أعدت للكافرين اتقوها أم لا * (تنبيه) * قال البيضاوي في الآيةين أي
 آية ان كنتم في ريب وآية فان لم تفعلوا ما يدل على التوبة من وجوه الا قول ما فهم ما أي في مجموعهما
 من التحدي والتحريض على الجدة وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
 على عدم الايمان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتارهم
 بالفصاحة وتم الكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤ الى جلاء الوطن وبذل المهج لان
 قولهم من التحدي راجع للآية الاولى والباقي راجع الى الثانية والثاني تضمنها أي مجموعهما
 الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
 أكثر من الذابن عنه في كل عصر لان ذلك راجع للآية الثانية والثالث انه عليه الصلاة والسلام
 لو شك في أمره أي نفسه لم ادعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فقد ذهب
 حجه وهذا راجع الى الآية الاولى * ثم عطف سبحانه وتعالى حال من آمن بالقرآن ووصف
 نوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على عادة ما جرت به العادة الالهية من أن يشفع الترغيب

بالترهب تشبهط الاكتساب ما ينجي وتبسط عن اقتراف ما يردى بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي حدائق ذات شجر ومساكن وانما
 أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة
 أن يبشر الذين آمنوا ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيها لشأنهم وايداناً بأنهم أحق
 بأن يبشروا ويهنؤا بما أعد لهم والبشارة الخبر الصادق السار أو لافانه يظهر أثر السرور في البشارة
 لأن النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر
 الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من يبشرني بقدم ولدي فهو حتر فأخبروه فرادى عتق أولهم
 ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً (فان قيل) ما الجواب عن قوله تعالى فيبشرهم بعذاب أليم
 * (أجيب) * بأن ذلك ورد على سبيل التكميم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم
 وعطف سبحانه وتعالى العمل على الايمان مرتباً للحكم عليهما اشعاراً بأن السبب في استحقاق هذه
 البشارة مجوع الامر بن والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التيقن والتصديق
 أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا نفع تام بأس لا بناء عليه ولذلك قلنا ذكر امر مدين وفي عطف
 العمل على الايمان دليل على أن الصالحات خارجة عن مسمى الايمان اذا اصل أن الشيء لا يعطف
 على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجع سبحانه وتعالى الجنة لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس
 سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
 وعليون وفي كل واحدة من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
 والاعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن أن يعمل جميع الصالحات
 واللام في لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته
 فانه لا يكافي النعم السابقة فضلاً عن أن يقتضي ثواباً جزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع
 ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن بقوله تعالى
 ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعلله سبحانه وتعالى لم
 يقيد هاهنا استغنائهم بهذه الآية وأشباهاها (تجربى من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها
 (الانهار) كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنها الجنة تجري
 في غير أخذود قال الجوهري الأخدود شق مستطيل في الارض واللام في الانهار للجنس
 كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري قال البيضاوي أول العهد والمعهود هي الانهار
 المذكورة في قوله تعالى أنها من ماء غير آسن الآية اه قال التفازاني انما يصح هذا لو ثبت سبق
 قوله تعالى أنها من ماء غير آسن في الذكر اه والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
 ودون البحر كالنيل والقرات والمراد بالانهار ماؤها على حذف مضاف أو تسمية للماء باسم مجراه
 مجازاً واسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الارض أنقابها (كهارزقوا منها
 من غرة رزقا) أي اطعموا من تلك الجنان غرة ومن صله (قالوا هذا الذي رزقنا) أي أطعمنا
 (من قبل) أي من قبل هذا في الدنيا جعل الله تعالى ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفوس اليه

أول ما يرى فإن الطبائع مائلة إلى المؤلف مستنفرة من غيره أي هذا من نوعه لنشابه ما يؤتون به في الصورة كما قال تعالى (وأقرب متشابهاً) أي في اللون والصورة مختلفاً في الطعم وذلك أبلغ في باب الإعجاز والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وافتقارهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والنشابه البليغ في الصورة وقيل في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة كما حكى عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياً كأنها فاهي واصله إلى فيه حتى يتدل الله مكانها مثلها وعن مسروق نخل الجنة تنضج من أصلها إلى فرعها وغرها أمثال القلال كلما نزلت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعاً (فان قيل) على الأول التشابه هو التماثل في الصفة وهو مغفود دين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء * (أجيب) * بأن التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه وللاية كما قال البيضاوي يحمل آخره وأن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيجتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعد (وله سم فيها) أي الجنات (أزواج) من الحور العين والآدميات (مطهرة) مما يستقدرون النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن أي الوسخ وندس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال ومعنى تطهيرهن مما ذكر كما قال التفقازاني أنهن منزّهة عن ذلك مبرأة عنه بحيث لا يعرض لهن لا التطهر الشرعي بمعنى إزالة النجس الحسي أو الحسكي كما في الغسل عن الحيض والزواج يقال للذكر والآنثى قال تعالى وأصلحنا له زوجه وهو في الأصل المالمه قرين من جنسه كزوج الخنثى (فان قيل) فائدة المطعوم هو التقوى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهذه القوائد مستغنى عنها في الجنة * (أجيب) * بأن مطاعم الجنة ومنافعها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقةتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها (وهي فيها خالدون) أي دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون والأصل في الخلود الثبات المديد دام وأوليدم اذ لو كان وضعه للدوام لكان التقييد بالآية في قوله تعالى خالدين فيها أبداً تأكيداً لا تأسيساً والأصل خلافه لكن المراد به الدوام في الآيات عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن (فان قيل) الأبدان من كسبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانفكاك والاضلال فكيف يعقل خلودها في الجنات * (أجيب) * بأنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتريها الاستحالة بأن يجعل أجزائها ملازمة مقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على

احالة الاخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن ولما كان معظم الذات الحسبة مقصورة على المساكن والمطاعم والمناكم على ما دل عليه الاستقراء وكان ما ل ذلك كله الثبات والدوام وأن كل نعمة جليلة اذا قارنتها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بالمساكن والمطاعم والمناكم فبشر بالاول بقوله تعالى جنت تجري من تحتها الانهار وبالنائي بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا لآية وبالنائي بقوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأحسن ما يستلذ منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعده بالوديل على كمالهم في التمتع والسرور ولما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى وان يسلمهم الذباب وقوله تعالى كمثل العنكبوت قالت اليهود ضرب المثل بذلك مما يستحيامنهم لسته فليس من عند الله تعالى فتنزل رداعليهم (ان الله لا يستحي) أي لا يترك (أن يضرب مثلا ما بعوضة) وهي صغيرة البق ترك من يستحي أن يمثل بها الحشرات وأما بصلتها بمحفوظ المحل عند الخليل باضمار من منصوب باقضاء الفعل اليه بعد حذف من عند سيويه ويجوز كافي الكشاف نصبه باقضاء الفعل اليه بنفسه فان استحي يتعبد بنفسه أيضا يقال استحييت منه واستحييته وما أمّا الهامة تزيد الذكر قبلها اها ما وما مزيدة لتأكيده معنى مضمون الجملة قبلها كالتي في قوله تعالى فجاء رحمة من الله ولا يراد بالزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل المراد بالزيد ما لم يوضع لعني يراد منه وانما وضعت لان تذكرة مع غير حافق بده وثاقه وقوة وهو زيادة في الهدى غير قاذح في القرآن وبعوضة عطف بيان أو بدل من مثلاً ومفعول ثان ليضرب بمعنى يجعل والحياة انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا فاذا وصف به الباري سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحي من ذي الشبهة المسلم أن يعذبه ان الله حي كريم يستحي اذا رفع العبيد به أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمة وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجي الحياء فيها المشاكلة وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولوقوعه في كماله وهو قول الكفرة اما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ولما كان التمثيل يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وبراظه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء وأشار الحكماء فيتمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في الانجيل غل الصدر بالخالة والقلوب القائمة بالحفاة ومخالطة السفه بآثار الزنا بغير ونصه على ما حكاه الفخر الرازي في الاول لا تكونوا كنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك الخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أنوا هكم وتبقون الغل

في صدوركم وفي الثاني قلوبكم كالحصاة التي لا تطبخها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الريح
 وفي الثالث لا تنبروا الزنا بغير قتلدعكم فكذلك لا تخم الطوارس فيها فيشتدكم وجاء في كلام العرب
 اسمع من قراد لان العرب تزعم أنه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل
 من مسيرة سبع ليال وأعز من مخ البعوض يضرب ان يكاف الامور الشاقة (خافوقها) أي ما زاد
 على البعوضة في الجئنة كالذباب والعنكبوت والمعنى أنه لا يستحي من ضرب المثل بالبعوضة
 فضلا عما هو أكبر منه أو المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحجارة كجناحها فإنه عليه
 الصلاة والسلام ضرب جناحها مثلاً للدينابة قوله في خبر الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله
 جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرعة ماء ونظيره في احتمال الفوقية للجئة وللمعنى ما روى البخاري
 وغيره ان رجلاً يعني خرو على طنب فسطاط فقات عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فافوقها الا كتب له به ادرجة ومحبت عنه بها
 خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة
 النملة والطنب جبل الخباء والفسطاط بيت من شعر (فأما الذين آمنوا فاعملوا) أي ضرب
 المثل بذلك (الحق) أي الواقع موقعه (من ربهم) لان الحق هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره
 وهو يعي الايمان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قواهم حق اذا ثبت ومنه
 ثوب محقق أي محكم النسخ وأما حرف تفصيل يفصل ما أجل ويؤكد كدما به صدر ويضمن معنى
 الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيدي به أما زيد فذا هب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي
 هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لا الخبر لكن كرهوا
 ايلاء ما حرف الشرط فأدخلوا الفاء على الخبر وعوضوا المبتدأ عن جملة الشرط لفظاً (وأما الذين
 كفروا فاقبولون ماذا) يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذات معنى الذي وما بعده صائبة
 والمجموع خبر ما وأن تكون ما مع ذاتها واحداً بمعنى أي شيء (أراد الله بهذا) فهو منصوب المحل
 على المفعولية لا ارادفاً وذا كافي الكشف في حكم ما وحده لوقلت ما أراد الله وكان من حقه
 وأما الذين كفروا فلا يعلمون لطابق قرينه وهو الذين آمنوا ويقابل قسميه وهو يعلمون أنه الحق
 لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل التكاية عن عدم علمهم
 ليكون كالبرهان عليه والارادة صفة ذاتية قديمة زائدة على العلم ترجح أحدهم قدوريه على الآخر
 وتخصصه بوجه دون وجه بخلاف القدرة فإنها لا تخصص الفعل ببعض الوجوه بل هي موجودة
 للفعل مطلقاً وقوله تعالى (مثلاً) نصب على الحال من اسم الإشارة والعامل فيه اسم الإشارة أو
 التمييز والمعنى أي فائدة في ذلك فقال تعالى (يضل به كثيراً) بأن يكذبوا به (ويهدي به كثيراً) بأن
 يصدقوا به وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس أي لا بالنظر الى مقابليهم
 فإن المهتدين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال تعالى وقيل من عبادي الشكور ويحتمل
 أن تكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال المتنبى
 في مدح علي بن يسار

سأطلب حقي بالقنأ ومشايج + كلنهم من طول ما التثؤامرد
ثقال اذا لا قوا خفاف اذا دعوا * قليل اذا عدوا كثيرا اذا شدوا

وقال * ان الكرام كثير (أى كرما) في البلاد وان * قلوا (أى عددا) كما غيرهم قل (بضم القاف
وكسر هاى قليل كرما) وان كثروا * أى عددا (وما يضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد
الايمان بالكفر كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم مرتب على صفة
الفسق يدل على انه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال بالمثل وسبب ضلالهم به ان
كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى
حقارة المثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلاتهم فانكروا المثل واستهزؤا به وأما
الفاسق فى الشرع فهو الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو اصرار على صغيرة ولم تغلب طاعته
على معاصيه ولا يخبره ذلك عن الايمان الا اذا اعتقد حل المعصية سواء كانت كبيرة أم صغيرة
قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة جعلوا الفاسق قسما ثالثا نازلا بين منزلة
المؤمن والكافر لمشاركة كل واحد منهما فى بعض الاحكام * ثم بين سبحانه وتعالى صفة الفاسقين
بقوله (الذين ينقضون عهد الله) وهو اما المأخوذ بالعقل وهو الخجة القائمة على عبادة الدالة على
توحده ووجوب وجوده وصدق رساله وعليه يدل قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم -م ولما
المأخوذ بالرسول على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا أمرهم ولم يخالفوا حكمه وعليه يدل قوله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
الاية وقبل عهد الله ثلاثة عهد أخذ بواسطة العقل على جميع ذرية آدم بأن يقرؤا ربوبيته
وعهد أخذ بواسطة الملك على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذ بواسطة
الرسول على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه وقوله تعالى (من بعد ميثاقه) أى توكيده يحتمل عود
الضمير للعهد فهو من اضافة المصدر الى المفعول أو لله فهو من اضافة المصدر الى الفاعل
قال البيضاوى ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر (واعترض) بأن النحويين لم يذكروا منفعا لافى
صبيغ المصادر وأصله أن يكون وصفا كطعام ومسقام (وأجيب) بجمل ذلك على أنه اسم واقع
موقع المصدر كإشير اليه قوله بمعنى المصدر (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهو الرحم
لانهم قطعوا رحم النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
كقطع الرحم والاعراض عن موالاته المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والصلاة والسلام
والكتب فى التصديق وترك الجماعات وسائر ما فيه رفض خيرا وتعاطى شرقا به يقطع الوصلة
بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
وقيل مع العلق وقيل مع الاستعلاء وأن يوصل بدل من الهاء وقرأ ورش بتغليظ اللام وصل
واذا وقف رقق وغلظ وأدغم خلف النون فى الياء بغير غنة (ويفسدون فى الارض) بالمعاصي
وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستمزاز بالحق وقطع الوصل التى بها
نظام العالم وصلاحه (أولئك هم الخاسرون) بفوات التوبة والمصير الى العقوبة باهمال

العقل عن النظر واقتصاص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات
بالإيمان بها والنظر في حقائقها والاعتباس من أنوارها واشتروا النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب ثم وضح سبحانه وتعالى الكفار بقوله (كيف تكفرون بالله) أي
أخبروني على أي حال تكفرون (وكنتم أمواتا) أي نطفأ في أصلاب آبائكم لأحاساس لكم
(فأحياكم) في الارحام ثم في الدنيا بخلق الارواح ونفخ فيها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير مترسخ منه بخلاف البواقي وقرأ الكسائي بالماله وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث يوم ينفخ في الصور
أو للسؤال في القبور قال الفتازاني ولم لا يجوز أن يراد مطلق الاحياء بعد الامانة على ما يعتم
الاحياء في القبور والنشور ولا بعده فيه لشدته ارتباط الاحياء واتصالهم ما في الانقطاع عن
أمر الدنيا (ثم اليه ترجعون) تردون بعد الخسر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون اليه من
قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قيل) ان علوا أنهم كانوا أمواتا
فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون (أجيب) بأن تمكنهم من العلم بمناصب
لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما في الآية تنبيه على ما يدل على صحتها ما
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم أو لا قدر على أن يحييهم ثانيا ذنبه الخلق ليس بأهون عليه
من اعادته (فان قيل) كيف تعد الامانة من النعم المقتضية للشكر (أجيب) بأنها لما كانت
وصلة للعبادة الدائمة التي هي الحقيقة كما قال تعالى وإن الدار الآخرة لله الحيوان يعنى الحياة
كانت من النعم العظيمة مع أن المعداد عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن
الواقع حالها هو العلم بها الاكل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح حالا ويصح أن يكون الخطاب مع الكفار والمؤمنين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر كذلك بأن عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستبعد عنهم مع تلك النعم الجميلة
فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم وأن يكون مع المؤمنين خاصة لتقرير المنية عليهم وتبعد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور الكفر منكم وكنتم أو اتنا أي جهالا فأحياكم بما أفادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقة ثم اليه ترجعون فينبئكم
بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحاسة
أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها
وفيها ينمى الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت
بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ومثال ما يقابل المجاز الاقول قوله تعالى اعلما أن الله يحيي الارض بعد موتها
ومثال ما يقابل المجاز الثاني قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا لنورا يمشي به في الناس
واذا وصف بها الباري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة له هذه القوة فيها

أو معنى قائم بذاته تعالى * ثم أو ما إلى مشيئته وقدرته فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض) أي لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم به في مصالح أبدانكم بوسط كالادوية المركبة أو غير وسط كالثمرات والادوية المفردة وفي دينكم بالاستمدلال على موجدكم ففي ذلك نعمة على عباده سبحانه وتعالى وما نعلم كل ما في الأرض لا الأرض إلا أن أريد بالأرض جهة السفلى كما يراد بالسما جهة العلو وقوله تعالى (جميعاً) حال من الموصول الثاني وهو ما هي حال مؤكدة لما لا تصحده ما في العموم وهذا أقرب من جعله حالاً من ضمير لكم لأن سباق الآيات انما هو في تعداد النعم لا في تعداد المنعم عليهم ولأن المنية بتعداد النعم أظهر من المنية بتعداد المنعم عليهم لأن مقدار النعم يصل إلى كل أحد (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إلى خلقها بأمراده وأصل الاستواء طلب السواء وإطلاقه على الاعتماد للمفاهيم من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن جملة على الله تعالى لأنه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى كما قيل

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهران

والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أو جهات العلو ليطابق قوله تعالى (فسواءهن سبع سموات) فجمع الضمير العائد إلى السماء لارادة الجنس وقيل لأن السماء جمع سماءة أي جعلهن مستويات لاشقة وفيهن ولا تفاوت قال البيضاوي وشماع له تفاوت ما بين الخليقين أي في القدر والعظم وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا إلا لا تراخى في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها اهـ (وأجيب بأنه لا يدل على ذلك لأن تقدم خلق جرم الأرض على خلق جرم السماء لا ينبغي تأخر دحوها عنه وهو بسطها وردة التميز أناني بأنه ليس على ما ينبغي لأن ثم تدل على تأخر خلق السماء عن خلق ما في الأرض من عجائب الصنع حتى أسباب اللذات والآلام وأنواع الحيوانات حتى الهوام لا عن مجرد خلق جرم الأرض قال وسنذكر في حم السجدة ما يدل على تأخر خلق السماء عن خلق الأرض ودحوها جميعاً حتى قيل أنه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام ثم خلق السماء وما فيها في يومين وكثير ذلك في الروايات فلا يفيد حل ثم على تراخي الترتيب اهـ والواجب كما قاله بعض المفسرين الموافق لظاهر ما هنا وما سألني في فصلت تأويله مع الايضاح أن يقال إن خلق جرم الأرض متقدم على خلق جرم السماء وخلق وصفها أعني دحوها متقدم على خلق وصف السماء أعني تسويتها سبعاً فرجع الإشارة في قوله تعالى بعد ذلك جرم السماء لا وصفها وبذلك لم أن جعل ثم للتراخي في الوقت لا يخالف ما ذكره خلافاً لما زعمه البيضاوي (فان قيل) أليس أن أصحاب الارصاد أثبتوا بالبراهين تسعة أفلاك وهي كوكب القمر فكرة عطارد فكرة الزهرة فكرة الشمس فكرة المريخ فكرة المشتري فكرة زحل فالفلك الذي فيه الكواكب الثابتة فالفلك الاعظم وهو متحرك كل يوم وليله على التقريب دورة واحدة (وأجيب) بأن ما ذكره وليس مستنداً إلى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره قال البيضاوي

وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) أى مجمولا ومفصلا فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالم بكل كيفية الاشياء كلها اخلاقا ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق المحيى والترتيب الاينى كان علميا فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على اعادتهم وقرأ حزة والكسائي ثم استوى وفسوا هن بالامالة ووش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها (و) اذ كرى محمد (أذ قال ربك للملائكة) وقبل اذ زائدة أى وقال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وهو اما أن يقدر اذ كرى وهو الاولى أو تكون اذ مزبدة واذا واذا ظر فانوقت الآن اذ لا ماضى واذا للامستقبل وقديوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى واذا يكرى عني واذا مكرى واذا جاء اذ مع الماضى كان معناه مستقبلا كقوله تعالى اذا جاء نصر الله أى سيجى وقرأ أبو عمرو وبدا غام اللام في الراء بخلاف عنه والباقون بالاطهار والملائكة جمع ملك أصله ملاءة والتاء التأنيث الجمع وهو مقلوب ما لك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وساطط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله وكالرسل اليهم لتوسط الانبياء بينهم وبين الناس واختلف العقلاء في حقيقةتهم بعد اتفاهم على أنهم اذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة شفافه ويعبرون عنها بنورية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة والجن قادر على ذلك واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا يرؤهم أجساما لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة وزعم الحكماء يعنى الفلاسفة أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة أى المتصفة بفضائل العلم والعمل بخلاف الشريرة فانهم اعدهم الشياطين البشرية الناطقة * قوله البشرية وما بعده صفة للنفوس الفارقة للابدان يعنى مادامت فى الابدان تسمى النفوس فاذا فارقتها كانت الملائكة والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقبل ملائكة الارض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن فى الارض فكثروا فيها دهر اطويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا فيها فبعث الله تعالى اليهم جنودا من الملائكة يقال له الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رأسهم ابليس فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال وبطون الاودية وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى الله تعالى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال ما أعطانى الله تعالى هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله

تعالى له ولجنده (أني جاعل في الأرض خليفة) وجاعل من جعل الذي له مدفوعان وهما في
الأرض خليفة أعمل فيهما لانه بجنى الاستقبال ومعتقد على مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى
خالق فيتعدي لمفعول واحد وهو خليفة والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه أي جاعله بدلا
منكم ورافعكم إلى فكره واذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والهاء فيه للمبالغة
والمراد به آدم صلى الله عليه وسلم لانه كان خليفة الله في أرضه وكذا كل نبي استخلفه الله في عمارة
الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا الحاجة به تعالى إلى من ينوبه
بل اقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستثنى ملكا كما قال
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي في صورة رجل ألا ترى أن الانبياء لما فاقت قوتهم
واشتتت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان من
الانبياء أعلى رتبة كلمة بالواسطة كما كلم موسى صلاة الله وسلامه عليه في الميقات ومحمد صلى
الله عليه وسلم ليلة العراج وقيل انه خليفة من سكن الأرض قبله وقيل المراد آدم وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ أملا للاستغناء بذكره عن ذكر غيره
أو على تأويل من يخلف وفائدة قوله هذا الملائكة لتعليم المشاورة وتعظيم شأن المجمعول بأن بشر
تعالى بوجوده سكان ملكوته واقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من
المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثيرا إلى غير ذلك (قالوا أتعجل فيهما من يفسد فيهما) بالمعاصي
(ويسفك الدماء) أي يريقتها بالقتل كما فعل بنو الجان تعجبوا من أن يستخلف اعمارة
الأرض واصلاحها من يفسد فيها وقصد هم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة
التي بهتت تلك المفاسد وألغتها وليس باعتبار ضل على الله تعالى ولا طعن في نبي آدم على
وجه الغيبة فانهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو تلقى من اللوح أو استنباط
عمار كز في عقولهم ان العصمة من خواصهم أو قياس لاحد الثقلين على الآخر والافهم ما كانوا
يعلمون الغيب (و نحن نسيج) متبلسين (بجملدك) أي نقول سبحان الله وبجمده وهذه صلاة
ماعد الا دمين وعليها برزقون قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده أي يقول سبحان
الله وبجمده روى عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال
ما صطفى الله الملائكة أو لعباده سبحان الله وبجمده وقيل نصلي بأمرك قال ابن عباس
كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة (ونقدس لك) تنزهك عما لا يليق بك فاللام
صلة والجملة حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن إلى أعدائك وأنا الصديق المحتاج
والمعنى أنتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما يربحهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وقيل تقدس
لأنظر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانوا قائلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح

وسفك الدماء الذي هو أعظم الافعال الذميمة بتطهر النفس عن الآثام (قال) تعالى (انني أعلم
 ما لاتعلمون) من المصلحة في استخلاف آدم وان ذريته فيهم المطيع والعامي فيظهر العدل
 بينهم وقيل اني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو ابليس وجنوده وقيل اني أعلم أنهم مذنبون وأنا
 أغفر لهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المدة
 (وعلم آدم الاسماء) أي أسماء السميات (كلها) حتى القصعة والمعرفة وقيل علمه اسم ما كان
 وما يكون الى يوم القيامة وقيل صبغة كل شيء قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع
 اللغات ثم كل واحد من أولاده بلغة فمقرقوا في البلدان واختص كل فرقة منهم بلغة وذلك
 اما بخلق علم ضروري بها فيه أو ألقي في قلبه علمها أو بارسال ملك أو بخطاب الله أو بخلق
 الاصوات في الاجسام السميات والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمته فلم يعلم
 وآدم اسم أعجمي كسائر الانبياء الاصالحا وشعبا ولوطا ومحمدا بل قيل ان آدم أيضا عربي وعلى
 هذا فاشتقاقه من الادمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة أو الادمة بفتح الهمزة
 والدال بمعنى الاسوة أي القدوة أو من أديم الارض أي ظاهر وجهها روى الحاكم وصححه أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها وهو بفتح الحاء
 المهمة ما غلظ من الارض وصلب أي وجعت بالمياه المختلفة فخلق منها آدم ونفخ فيه الروح فصار
 حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا فلذلك يأتي بنوه مختلفين في الالوان والاخلاق والهيئات
 وأما على الاول فلا اشتقاق له لان ذلك انما يأتي في الاسماء العربية والاجمعي لا اشتقاق له
 وكنته أبو محمد وأبو البشر والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباعدة مستعدة
 لادراك أنواع المدرجات والمعقولات والمحسوسات والخيالات والموهومات وألهمه معرفة
 ذوات الاشياء وخواصها واسماؤها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
 وقرأ ورش في الهمزة من آدم بالمد والتوسط والقصر حيث جاء وقوله تعالى (ثم عرضهم على
 الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء اذ التقدير
 أسماء السميات كما مر تقريره فحذف المضاف اليه دلالة المضاعف عليه وعوض عنه الزام في
 الاسماء كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون
 المعروض نفس الاسماء اذ العرض لا يصح فيها لانهم من السموات والارض يختص بالمحسوسات
 بالعين تقول عرضت الجند عرض العين اذا مررتهم عليك ونظرت ما حالهم (فان قيل) لم قال
 عرضهم ولم يقل عرضها (أجيب) بان الاسماء اذا جمعت جمع من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها
 بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والانات بالفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان
 والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة والنهاية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم
 على الملائكة (فقال) لهم سبحانه وتعالى تسكتها لهم وتنبئها على محجزهم عن آخر الخلافة
 (أبشرون) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) السميات (ان كنتم صادقين) اني لا اخلق خلقا الا كنتم
 أفضل وأعلم منه وذلك ان الملائكة قالوا لما قال اني جاعل في الارض خليفة ليخلق ربنا

ما يشاء فلن يخلق خلقاً كرم عليه مذاوان كان فيمن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاطهر
 الله تعالى فضله عليهم بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قالوا) أي الملائكة اقرأوا بالبحر
 واشعاراً بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
 الانسان والحكمة في خلقه واطهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم
 (سبحانك) تنزيها عن الاعتراض عليك (لأعلم لنا الاما علمنا) اياه وفي هذا مراعاة للادب بتقويض
 العلم كله اليه سبحانه وتعالى وتصديراً للكلام بسبحان اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
 الحلال فانه تعالى منزوع عن أن يفعل ما يخرج عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
 موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك بيبك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
 كنت من الظالمين * (تنبيه) * اجتمع في قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أربع
 مدات الاولى أنبئوني والثانية بأسماء والثالثة والرابعة هؤلاء ان فالاول متبدل والثاني مد
 متصل والثالث مدم متصل والرابع مخير لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول بإسقاط
 الحدي الهمزتين فاما الاول فلورث فيه المد والتوسط والقصر وأما الثاني فبالمدة للجمع لانه
 متصل وأما الثالث ففيه المد والقصر كما تقدم لانه منفصل وأما الرابع وهو أولاد ان
 ففيه همزتان مكسورتان من كلمتين فقالون والبري يسملان الاولى مع المد والقصر وورش
 وقبل يسملان الثانية ويجعلانها حرف مد وأبو عمرو يسهط الاولى والثانية فن قال بإسقاط
 الاولى مد وقصر ومن قال بإسقاط الثانية فبالمدة فقط وباقي القراء يسهطون الهمزتين وهم على
 مراتبهم في المد (انك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذي
 لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وأنت ضمير فصل وقيل تأكيدي للكاف كما في قولك مررت بك أنت
 وان لم يجز مررت بانك اذا التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع وقيل مبتدأ أخبره ما بعده
 والجملة خبران (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي أخبر الملائكة (بأسمائهم) أي المسميات فسمى
 آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله تعالى لهم موثقاً
 (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيها (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون
 من قولكم أن تجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) أي تسرون من قولكم ان يخلق أكرم عليه مفا
 ولا أعلم وقيل ما أظهر وامن الطاعة وأسره ابليس من المعصية والهمزة في ألم أقل للانكار
 بمعنى النفي دخلت على حرف الجحد فأفادت الاثبات والتقريب * (تنبيه) * هذه الآيات وهي آية
 وعلم آدم وآية سبحانك وآية قال يا آدم تدل على شرف الانسان ومرتبة العلم وفضله على
 العباد والالاهة وفضل آدم بها وان العلم بما يستخلف فيه شرط في الخلافة بل العمدة فيها
 وان التعليم يصح استناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق العلم عليه لاختصاصه به يحترف به
 وان اللغات توقفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القاها
 على المتعلم مبنية له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينبغي أن يكون ذلك الوضع ممن
 كان قبل آدم من الملائكة والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم

العلم لتغابر المتعاطفين والالتسكير قوله أنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكالاتهم
 تقبل الزيادة وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى قل هل
 يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأن الأنبياء أفضل من الملائكة وأن كانوا رسلا كما ذهب
 إليه أهل السنة وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها لأنه أخبر عن علمه تعالى بأسماء المسلمات
 جميعها ولم تكن وجوده قبل الأخبار (و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما أنبأهم
 بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعتراضا بفضلهم وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
 أو أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
 ساجدين امتحانا لهم وإظهار الفضله وقضية الأول تأخيرا لمر به عن تسوية خلقه بدليل
 تأخيرهم عن أنبأهم وتعليمهم المستلزمين لتسوية خلقه وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين
 وهو الظاهر وأجيب عن دليل الأول بأن الواو في قوله واذ قلنا لا تقتضي الترتيب والسجود في
 الأصل نذال مع نظامن وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إنما المعنى الشرعي
 فالسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبله تسجودهم تفخيمه شأنه أو سبب الوجوبه
 كما جعلت الكعبة قبله للصلاة والصلاة لله فغنى اسجد والله أي إليه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث
 يكون اغوا ذجا أي مثالا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها وبمجعلها في العالم الروحاني
 والجناني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصوله إلى نظيره وما يتأينوا
 فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذلا للمارأ وفيه من عظيم قدرته وباعترافه
 وشكر المأنعم عليهم بواسطة وأما المعنى النعوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيم له
 كسجود أخوته يوسف له في قوله تعالى ونحوه السجود ولم يكن فيه وضع الجبهة بالأرض إنما
 كان الانحناء فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسلام والكلام في أن المأمورين بالسجود والملائكة
 كلهم أو طائفة منهم مثل مامتر (فسجدوا) أي الملائكة (الابليس أبي واستكبر) أي امتنع
 عما أمر به استكبارا من أن يتخذ موصلة في عبادة ربه أو يعظمه أو يتفاه بالتحية أو يخدمه
 ويسعى فيما فيه خيره ومصلحه وقال أنا خير منه والاباء امتناع واختيار واستكبر أن يرى
 الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بأكبر مما عنده يستكبر
 بذلك ويتزين بالباطل (وكان من الكافرين) أي في علم الله أو صار منهم باستقباحه أمر الله
 تعالى إياه بالسجود لآدم اعتقادا بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتضع
 للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله تعالى أنا خير منه جوا بالقوله تعالى ما منعك أن تسجد
 لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا يتولى الواجب وهو السجود ووجده والانية
 تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له وأن ابليس كان من الملائكة
 والالم يتناوله أمرهم ولم يصح استثنائه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الابليس كان من الجن
 بل واز أن يقال كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا (فان قيل) له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
 (أجيب) بأن ابن عباس روى أن من الملائكة نوعا والدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس

وقيل ان الله تعالى لما أخرجه من الملائكة جعل له ذرية وان من الملائكة من ليس بعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم الانبياء والغالب في الانس عدم العصمة ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة أن يقول انه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالآلوف منهم فغلبوا عليه لقوله تعالى الابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ولانه خالق من النار والملائكة خلقوا من النور قال البغوي والاول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله تعالى كان من الجن أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلى الجنة وقيل ان الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فاذا علم ان الاكبر وهم الملائكة مأمورون بالتدليل لاحد والتوسل به علم أيضا ان الاصاغر وهم الجن مأمورون به أيضا والضمير في فسجدوا راجع للقبليين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الابليس * (تنبيه) * من فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فيما لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على انكفر هو الكافر على الحقيقة اذا العبرة بالخطواتيم وان كان يحكم الوقت الحاضر مؤمنا (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر فيها لانها المستقر اربولت ولقطة أنت تا كيدا كدبه المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا بأن يقول اسكنكما تنبيه على أنه المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التى هى الاصل بالنسبة الى ما عطف عليها من الاكل وغيره والمعطوف عليه تبع له حتى في الوجود اذ لم يكن له من يؤنس في الجنة فخلقت حواء بالتمن ضلعه الا قصر من جانبه اليسر وهو بائم فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند رأسه كأن حسن ما خلق الله فقال من أنت قالت زوجتك خلقني الله لك اسكن اليك وتسكن الى وسعيت حواء لانها خلقت من حنى خلقها الله من غير أن يحس بها آدم ولا وجدها خلقها الما ولو وجدته الما لماعطف رجل على امرأة قط وانما صح العطف على المستكن مع أن المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعاً ويعتقر في التابع ما لا يعتقر في المتبوع والجنة دار الثواب لان الام للعهد ولا معه ودغيرها ومن زعم أنهم لم تخلق بعد قال ان الجنة بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الابهاط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر (وكلامها) أكلا (رغدا) أى واسعا الذيذا الجرفية فرغدا صفة مصدر محذوف وقيل مصدر في موضع الحال (حيث) أى أى مكان من الجنة (شتما) وسع الامر عليهم ما ازاله للعلة والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنهم من بين أشجارها التي لا تنحصر وقرأ أبو عمرو وبادغام الداء في الشين بخلاف عنه وأبدل السوسى الهمزة وقفوا وصلوا وحزة في الوقف فقط (ولا تقر باهذه الشجرة) بالاكل منها وهى شجرة الجنة أو الكافور أو شجرة

الغيب أو التين أو شجرة من أصل منها أحدث والاولى كما قال البيضاوى أن لاتين من
غير دابل قاطع أو ظاهر كما لاتين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود على التعيين (فتسكونا) أى
قتصيرا (من الظالمين) أى العاصين * (تنبيه) في هذه الآية مبالغتان الاولى تعليق النهى
بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيه على
أن القرب من الشئ يورث داعية وميل يأخذ بجماع القلب وبإلهامه عاها ومقتضى العقل
والشرع كما روى أبو داود وحديث الشئ يعصى ويصم أى يخفى عليك معانيه ويصم أذنك عن
سماع ساويه فينبغى أن لا يحو محول ما حرم عليه ما مخافة أن يعاقبه الثانية جعل قربا نهما
الى الشجرة سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى (فأزلهما
الشيطان) أى اولى سعى به لبعده عن الخير والرحمة وقرأ حمزة بآلف بعد الزاى وتحصيف اللام
أى نجاهما والباقون بغير آلف بعد الزاى وتشديد اللام أى أذهبهما (عنها) أى الجنة وأزاله
قوله هل أدلك على شجرة الخلد ومالك لا يلى وقوله ما نها كما ركبها عن هذه الشجرة الآن تسكونا
ما يكن أو تسكونا من الخالدين ومقامته اياه ما بقوله انى لك ان الناصحين واختلف فى أنه
تمثل له ما فقال لهم ذلك أو أقام اليهما على طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازالتهما بعد
ما قبل له اخرج منها فانك رجيم فقبل انه منع من الدخول بعد ذروجه الاول على جهة التكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء فلما دخل وقف بين
يدى آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحرقتها وهما أول من ناح فقنالا له
ما يبيحك فقال أبكى عليكما موتان فتفارقان ما أتمناه من النعمة وكان آدم لما رأى ما فى الجنة
من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فأتاه الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله
فى أنفسهم ما وغمما وضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى
أن يقبل منه فقاسمهما بالله انه له ما لمن الناصحين فاغترأ وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا
فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناوت حواء آدم حتى أكلها وكان سعد بن المسيب يحلف
بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء أسقته الخمر حتى سكر فأذته اليه فأكل
وقبل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخنزيرة وقيل دخل فى فهم
الحية حتى دخلت به وكانت صديقا لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم
البعير وكانت من خزان الجنة فساها ابليس أن تدخل الجنة فى فيها فأدخلته ومرت به على الخنزيرة
وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم فى ذلك كما قال البيضاوى
عند الله (فأخرجهم مما كانا فيه) من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
قال الله تعالى لا آدم أليس فيما أبجتمك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن
ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزنى لا تبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كذا
فأهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم من صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع
ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذراه ثم طعنه ثم بعنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه

ماشاء الله قال ابراهيم بن ادهم اورتنا تلك الالكة حزن اطويلا وقال سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آدم لما اكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل
 يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينتني حواء قال فاني اعدت لها ان لا تحمل الا كرها
 ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرت حواء عند ذلك فقبل عليك الرنة وعلى نباتك
 فلما اكل منها سقطت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما واخرجهما من الجنة فذلك قوله تعالى (وقلنا
 اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا من الجنة واجعا وجع الضمير لانهما اصل
 الانس فكأنهما الانس كلهم أو هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
 أو دخلها مسارقة أو من السماء لان الباب على الخلاف المتقدم وقيل هما وابليس والحية
 فهبط آدم بسريديب بأرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة وقيل
 ببيسان بالبصرة على أميال والحية باصهان وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها
 عن الواو بالضمير والمعنى متعادين فان كان الخطاب لآدم وحواء فقط فالمراد ببعضكم بعض
 الذرية أي بعض ذريةكم لبعض عدو من ظلم بعضهم بعضا وان كان الخطاب لهما وابليس
 والحية فالمراد العداء بين المؤمنين من ذرية آدم والحية وبين ابليس قال الله عز وجل ان
 الشيطان لكاعد ومبين وروى عكرمة عن ابن عباس انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من
 تركهن خشية أو مخافة تأثر فليس منا ورازموسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سالنا هن
 منذ حاربناهن وروى انه نهى عن ذوات البيوت وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنازة أسلموا فان رأيت منهم شيئا فاشذوه ثلاثة أيام فان بدل لكم
 بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان (واصكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع)
 ما تتمعون به من نيبات (الى حين) أي وقت انقضاء آجالكم (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي
 استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وهي رينا ظاننا أنفسنا الآية وقيل سبحانه
 اللهم وبمحمد ذلك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاعف عني انه لا يغفر
 الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال آدم يارب ألم تخلفني بذلك قال بلى
 قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت
 وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم رواه الحاكم وصححه وقول آدم أراجعي بخفيف الياء
 اسم فاعل أضيف الى المفعول وأنت فاعل لا اعتماد على الاستفهام أو مبتدا خبره ما قبله وقرأ
 ابن كثير ينصب الميم من آدم ورفع التاء من كلمات على أنها اتفقته والباقون برفع الميم وكسر
 التاء والكسر هذا علامة النصب لانه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة (فتاب عليه) أي قبل
 توبته وانما رتب تاب عليه بالقاء على تلي الكلمات لتضمن تلي الكلمات معنى التوبة وهو
 الاعتراف بالذنب والتندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت واكتفى بذكر
 آدم لان حواء كانت تفعاله في الحية ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة (انه هو
 التواب) الرجاء على عبادته بالمغفرة والذي يكثر اعانتهم على التوبة واذا وصف بها البارئ

أريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة (الرحيم) البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة
والرحمة وعدللتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها) أي من الجنة (جميعاً) كثر
للتأكيّد ولا اختلاف المقصود فإنّ الاوّل دل على هبوطهم الى دار بليّة يتعادون فيها
ولا يتحدّون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فنهتدى لهذا النجاة ومن ضلّه هلك وقيل
الهبوط الاوّل من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض (فأما)
فيه ادغام ان الشرطيّة في ما الزيدة (يأتينكم) ياذريه آدم (منى هدى) أي رشد وبيان
شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداي) بأن آمن بي وعمل بطاعتي وكتر افظ الهدى
ولم يضرّ اما لاظهار شأنه ونفاهته خصوصاً مع اضافته اليه أولانه أراد بالثاني أعمّ من الاوّل
وهو ما أتى به الرسل واقتضاء العقل أي فمن تبع ما أتاه راعيما فيه ما يشهد به العقل (فلا خوف
عليهم) فضلا من أن يحلّ بهم مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى
وجهه تعالى فيحزنوا عليه بل يتنعمون بالنظر الى وجهه تعالى فانه المقصود الاعظم فالخوف على
الواقع نفي عنهم العقاب فأثبت لهم الثواب على آكد وجهه وأبلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا
ولا هم يحزنون في الآخرة وأمال الدورى عن الكسائي ألف هداي محضة وورث بالفتح وبين
اللفظين والباقيون بالفتح وانما جى بحرف الشك واثبات الهدى واقع كائن لانه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا باياتنا) أي كتبنا (أولئك أصحاب
النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون) ما كانوا فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها
والآية في الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المميّزة عن غيرها بفصل * (تنبيه) * في هذه الآيات
دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنّها في جهة عالية وأنّ التوبة مقبولة وأنّ متبوع الهدى مأمون
العاقبة وأنّ عذاب النار دائم وأنّ الكافر فيه مخلد وأنّ غيره لا يتخلّد فيه بفهم قوله تعالى هم
فيها خالدون واستدل بعض الخوارج كالخشوية وهم قوم جوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على
عدم عصمة الانبياء بوجوه الاوّل ان آدم عليه السلام كان نبيا وارثا لآدم عليه السلام والمرتكب له
عاص والثاني انه جعله بارثا لآدم عليه السلام والظالم ملعون لقوله تعالى ألعنة الله على
الظالمين والثالث انه أسند اليه العصيان والغى وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة
الله بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا عسيرة
والسادس انه لو لم يذنب ماجرى عليه ماجرى (وأجيب) عن ذلك بوجوه الاوّل انه لم يكن
نبيا حائضا للمدعى مطاب بالدليل ولادليل * الثاني أن النهى للتنبيه وانما سمى ظالما وخاسرا
لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى وانما أجرى الله تعالى عليه ماجرى معاتبته على ترك
الاولى ووفاء بما قاله تعالى للملائكة قبل خلق آدم انى جاعل في الارض خليفة ولا يكون خليفة
في الارض الا بالاهباط اليها واهم بالتوبة فلا فيما فاتته الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فأنسى

ولم نجد له عزما وإسكان عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان اذ رفع الاسم بالنسيان من
 خصائص هذه الامة كما ثبت في الاخبار الصحيحة كخبر الشيخين رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
 وروى الترمذي وصححه أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ورواه الحاكم بلفظ أشد
 الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون * الرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب
 اجتهاد أخطأ فيه فانه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من
 نوعها وكان المراد بالإشارة الإشارة الى النوع لا الى شجرة معينة كما روى أبو داود وغيره أنه عليه
 الصلاة والسلام أخذ حبراً وذهبا بيده وقال هذان حرام علي ذكورا متقى حل لاناها (فان قيل)
 المجتهدان أخطأ لا يؤخذ (أجيب) بأنه انما عوتب على ذلك تعظيماً للشأن الخطيئة ليجتنبها
 أولاده وقرأ ورش بالماله الف نار بين بين وقرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالماله
 المحضه والباقون بالفتح (يا بني اسرائيل) أي أولاد يعقوب واسرائيل لقبه ومعنى اسرا
 بالعبرانية عبد وايل الله فعناء عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله وسلم عليه (أذكر انما متقى التي
 أنعمت عليكم) أي بالتهككرفيها والقيام بشكرها والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
 وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره حله الغيرة
 والجسد على الكفران والسخط وانظر الى ما أنعم به عليه حله حب النعمة على الرضا
 والشكر لله. وقيل أراد بها ما أنعم على آبائهم من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغراقه
 وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك من النعم التي لا تحصى قال
 الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وأوفوا بعهدى) أي بامتثال أمرى ومنه
 ما عهدت اليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أوفوا بعهدكم) أي الذي عهدته
 اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة * (تنبيه) * للوفاء بالعهد درجات كثيرة فأقول مراتبه
 منها هو الاتيان بكلماتي الشهادتين ومن الله تعالى حقن الدماء والمال وآخرها من الاستغراق
 في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز بالغنى الدائم واما
 ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن أوفوا بعهدى في اتباع محمد أوف بعهدكم
 في رفع الأصهار الى الاثقال والاعلال وعن غير ابن عباس أوفوا بأداء الفرائض وترك الكاثر
 أوف بالمغفرة والثواب أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيمة أوف بالكرامة والنعيم
 المقيم بالنظر الى الوسائط (وأيأى فارهبون) فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد
 والرهبة خوف مع تحرز * (تنبيه) * الآية متضمنة للوعد والوعيد الدال على وجوب الشكر
 والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي ان لا يخاف أحدا الا الله (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن
 وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة مما أنزلت أو من ضميره المحذوف (لما معكم) من التوراة
 بعواقبه له ولغيره من الكتب الالهية في القصص ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والمواعيد
 والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما
 يحالفها من جزعيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها

حق بالاضافة الى زمانها ما راعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المنة تقدم في أيام المتأخر
 لنزل على وفقه وذلك قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الامام أحمد وغيره لو كان موسى
 حيا لما وسعه الاتباع وفي ذلك تنبيه على أن اتباع تلك الكتب الالهية لا ينافي الايمان
 بالقرآن بل يوجب به وذلك عرض بقوله (ولا تكونوا أول كافرينه) أي بالقرآن بل يجب
 أن تكونوا أول مؤمن به لانكم أهل نظري مجزاه والعلم بشأنه (فان قيل) كيف فهو وعان
 التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب (أجيب) بأن المراد به التعريض بما يجب عليهم
 لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما نطق الظاهر كقولك لمن أساء أمنا نالست بجاهل أو ولا تكونوا
 أول كافر من أهل الكتاب لان خلفكم تبع لكم فانهم عليكم أو من كفر بعامه فان من كفر
 بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة (تنبيه) * أول كافر به وقع خبرا
 عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بنا أو بل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك
 كسانا حلة أي كل واحد مننا (ولا تشتروا) تستبدلوا (بأبقي) التي في كتابكم من نعت محمد صلى
 الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا أي لا تسكنوها وخوف فوات ما تأخذونه
 من سفلتكم وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم ما كل يصيبونهم من سفلتهم وجه الله
 يأخذون منهم كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فحافوا أنهم ان يمتوا صفة
 النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن يفوتهم تلك الما كل فقبروا نعتهم وكتبوا اسمه فاختاروا
 الدنيا على الآخرة فهو وعان ذلك فان حظوظ الدنيا وان جلت قليلة من ترذلة بالاضافة الى
 ما يفوت من حظوظ الآخرة (واياي فانقون) خافون في ذلك دون غيبي (ولا تلبسوا)
 أي تخطوا (الحق) الذي أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) الذي
 تحتجرونه وتكتبونه بأيديكم من تغيير صفة (ولا) (تسكنوا الحق) أي لا تسكنوا نعت النبي
 صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انكم لا بسون الحق بالباطل كاتفون فانه أفتح اذا الجاهل بعدد
 (واقموا الصلاة) أي الصلوات الخمس عواقبها وحدها (وآتوا الزكاة) أي أدوا زكاة
 أموالكم المفروضة أمرهم بفروع الاسلام بعدما أمرهم بأصوله وفيه دليل على ان الكفار
 مخاطبون بها والزكاة مأخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر أو من الزكاة بمعنى الطهارة
 وكلا المعنيين موجود في الزكاة فان اخراجها يستجاب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة
 الكرم ويظهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع
 المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد
 بسبع وعشرين مائة من تظاهر أي تعاون النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن
 صلاة اليهود لان صلاتهم لم يكن فيها ركوع أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع وقيل
 الركوع الخضوع والانتقاد لما يأمرونهم الشارع قال الشاعر
 لا تذلل الضعيف (وروي لاتهين الفقير) لك (أي اعلاك) ان تركع يوما والدهر قد رفعه
 قتر كع من الركوع بمعنى الانحناء والميل واراد به الانحطاط من الرتبة * ونزل في علماء اليهود

وكانوا يقولون لا قربائهم المسلمين سرا ابتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ولا يتبعونه
 (أتأمرون الناس بالبر) أي بالايان بمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك تفرع مع توابع وتجب
 والبر شرعا التوسع في الخير من البر بالفتح وهو القضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر
 ثلاثة بر في عبادة الله وبر في معاملته الأقارب وبر في معاملته الأجانب (وتأمنون أنفسكم) أي
 تتركونها من البر كالنسيات وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يصدقون (وأنتم تأتون الكتاب)
 أي التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول بالعمل (أفلا تعقلون) سوء فعلكم
 فيصدكم عنه أوفلا عقل لكم ينفعكم عما تعملون من عدم موافقة عاقبته لكم والآية ناعية
 على من يعظ غيره ولا يعظ بنفسه بسوء صنيعه وخبت نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
 أو لاحق الخالي عن العقل فان الجامع بين العلم والعقل يأبى عن كونه واعظا غير متعظ
 نفسه والمراد به باحث الواعظ على تركية النفس والاقبال عليه بالتكميل لها ليقوم نفسه
 ثم يقوم غيره لامنح الناسق عن الوعظ فان الاخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب
 الاخلال بالآخر ولكن روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال رأيت أله أسرى في رجالا تقرض شفاههم بقاريض من نار فقلت من هؤلاء
 يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون
 الكتاب وعن اسامة رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقدابه أي فتقطع أمعاؤه في النار فيندور كما
 يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ماشأئك أليس كنت تأمرنا بالمعروف
 ونهنا عن المنكر قال كيت أمركم بالمعروف ولا أتبه وانها كمت عن المنكر وآتبه وقال شعبة
 عن الاعمش فيطعن فيها كطحن الحمار برحاه (واستعينوا) أي اطلبوا المعاونة على أموركم بالصبر
 أي الحبس للنفس على ما تنكره (والصلاة) أفرد بها بالذكر تعظيم شأنها فانها جملة أنواع
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
 الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة
 الشيطان ومناجاة الرحمن وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
 الاطمين وهما الأكل والجماع روى الامام أحمد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي لجأ اليها وحزبه بالخاء المهملة وزاى وباء موحدة أهمه ونزل
 به وقيل الخطاب اليه وهو متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة
 وترك الرياسة والاعراض عن المال أمر بالصبر وهو الصوم ومنه سمي شهر رمضان شهر
 الصبر لانه يكسر الشهوة ويذهب في الدنيا والصلاة لانها تورث الخشوع وتبني الكبر وترغب
 في الآخرة وقيل الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال تعالى وأمر أهلكم
 بالصلاة واصطبر عليها ويحتمل أن يراد بالصلاة الدعاء (وانها) أي الصلاة ردة الكفاية اليها
 لأن الصبر داخل فيها لاستجماعها ضرر بامن الصبر كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه

ولم يقبل رضوهم الا ان رضا الرسول داخل في رضا الله عز وجل اولانهم اعم كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله رد الكفاية الى الفضة لانها اعم وقيل رد الكفاية الى كل منهما وان كل خصله منهما كما قال تعالى كلما الجنتين آتت أكلها أى كل واحدة منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر والله لكبير والصلاة وانها الكبيرة فخذف أحدهما اختصارا وقال الحسين بن الفضل رد الكفاية الى الاستعانة (الكبيرة) أى ثقيله شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ماتدعوهم اليه (الاعلى الخاشعين) أى الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والخضوع اللين والالتقياد ولذا يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (الذين يظنون) أى يستيقنون واطلق الظن على العلم لم تضمنه معنى التوقع (أنهم ملاقوا ربهم) بالبعث (وأنهم اليه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم وانما تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لأن نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقه لاجل مشاقها وتستلذ بسببه متاعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجه ملت قرة عيني فى الصلاة (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) بالشكر عليهم باطاعتى كره للتوكيد وتذكير التفضل الذى هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها وعطف على نعمتى (وأنى فضلتكم) أى أباكم الذين كانوا فى عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده قبل أن يغيروا (على العالمين) أى على زمانهم بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا قسطين وذلك التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف فى الابناء واستدل بذلك على ان الاصلح لا يجب على الله لان تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم لأن من أنى بما وجب عليه لامة له به على أحد (واتقوا) خافوا (يوما) أى ما فيه من الحساب والعقاب وهو يوم القيامة (لا تجزى) أى لا تقضى (نفس عن نفس) فيه (شيا) أى حقا لزمها (تنبيه) قول البيضاوى وارىده أى شيا مفكرا مع تنكير النفسين للتميم والاقناط الكلى تسع فيه صاحب الكشف وهو جار على مذهب المعتزلة من أنهم يتكفرون الشفاعة للعصاة وسأفى الجواب عن مذهبهم (ولا تقبل) بالتاء على التانيث كما قرأ به ابن كثير وأبو عمرو بالباء على التذكير كما قرأه الباقر (منها شفاعة) أى من النفس الثانية لقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء (ولا هم ينصرون) أى ينعون من عذاب الله اذ الضمير فى الجملة من النفوس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى لانها المحدث عنها فى قوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس والثانية منذ كورة على سبيل الفضل لا لالعمدة وتذكر ضمير ولا هم ينصرون مع أن الضمير راجع للنفوس وكان المناسب هن بالتانيث لانه معنى العباد أو الاناس كما تقول ثلاثة انفس بالتاء مع تانيث النفس لتأويل النفوس بالانشخاص أو الرجال والنصرة أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد عسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل البكائر وأجاب أهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الآية مخصوصة بالكفار والآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيد هذا أن الخطاب معهم وعلى هذا يمتشى قول البيضاوى المارة

ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاععة فتقبل كما قال تعالى حايكاً عنهم فالتامن شافعين * ومنها
 ان الآية ترتل ردالما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم * ومنها أنها لا تشفع الا باذن الله
 (و) اذكروا (اذنحيمةكم) أي آباءكم الخطاب به وبعباده لله وجودين في زمن نبينا صلى الله
 عليه وسلم بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله ليؤمنوا (من آل فرعون) أي أتباعه وأهل
 دينه والمشهور ان اصل آل أهل لان تصغيره أهيل وقال الكسائي وغيره أصله أول من آل يؤل
 أي رجع قلبه الواو الف التحوير كهاوا وافتاح ما قبلها وتصغيره أويل (فان قيل) ردالاول
 اختلاف أهل وآل معني اذا لاهل القرابة والال من يؤل اليك بقرابة أو رأي أو مذهب
 ولان الالف لم يثبت ابد الهمان الهاء (أجيب) بأن القائل بالاول جرى على القول بان اللفظة
 بمعنى أو أراد بالاهل أحدهم معاني آل وأبدل الواو من الهاء لانه قاربهم ما منحرجا وخص بالاضافة
 الى أولى القدر والشرف كالانبياء والمولود وانما قيل آل فرعون لتصوره بصورة الاشرف
 أو لشرفه في قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط من العماقة
 وعمرأكثر من أربعة مائة سنة (يسومونكم) يولونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي أشدّه
 والجملة حال من الضمير في نحيمةكم أو من آل فرعون أو منهم ما جمعا لان فيها ضمير كل واحد منهم
 (يذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن احياء هذا بيان ليسومونكم
 ولذلك لم يعطف وذلك ان فرعون لعنه الله رأى في منامه كان ناراً أقبلت من بيت المقدس
 وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطن بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فها له ذلك وسأل السكينة عن
 رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون
 بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجعل القوابل فقال له ان لا يسقطن على أيديكم غلام
 من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت وكل بالقوابل فكنت يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل
 في طلب موسى اثني عشر ألف صبى وقال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألفاً قالوا
 وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
 في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويعوت بكاهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون
 أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي
 يذبحون فيها (وفي ذلكم بلاء) ان أشدّ به الى صنيعهم فهو محنة أو الى الانجاء فهو نعمة فان
 البلاء يكون بمعنى الشدة وبمعنى النعمة ويجوز أن يشار بذلك الى الامرين فالتعالى قد يختبر
 على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير فتنة (من
 ربكم) أي بتسلطهم عليكم أو ببعثه موسى وتوفيقه لتخليصكم أو بهداه واقوله تعالى (عظيم)
 صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى فعليه
 أن يشكر عند مسارته ويصبر على مضاره لئلا يكون من خير المختبرين (و) اذكروا (اذ فرقنا) فلقد
 (بكم) أي بسبيكم (البحر) حتى دخلتموه هارين من عدوكم وذلك أن فرعون لما دنا هلاكه
 أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني اسرائيل من مصر ليلا فأمر موسى

قومه أن يسرجوا في يوتهم السرج الى الصبح وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لايعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن السنتين لكبره وكافوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فصاروا وموسى على ساقاتهم وهرون على مقدمتهم ثم علم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني اسرائيل حتى يصبح الديك قال ابن مسعود رضي الله عنه فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة ثم خرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخليل سوى سائر الشيات قال محمد بن كعب وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الاعددة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أنشرفت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف تصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر متحيرين وقالوا يا موسى كيف تصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلنا غرقنا قال الله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى ان لمدركون قال موسى كلا ان معي ربى سيهدين فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنهه فضربه وقال انقلق يا أبا خالد بان الله فانه تلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طار يقال لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يمس انخفاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فنفقوا وقال كل سبط قد قتل اخواتنا فأوحى الله تعالى الى جبال الماء أن تشبكي فصارت شبكا كالطافات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (فأنجيئناكم) أى من آل فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك أن فرعون لما وصل البحر فرأه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انطلق من هيتي حتى أدرك عبيدى الذين أبغوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعنى موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى فجاء جبريل على فرس أنى فقتلهم وخاض البحر فلما شتم أدهم فرعون ربحها اقبحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولا يكادون يعرفون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل واقبحمت الخيل خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويسوقهم حتى لا يشد رجل منهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم طرف من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اسان وذلك برأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى (وأنتم تنظرون) الى مصادرهم أو اطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق بابسة مذلة أو جنبهم التي قد فيها البحر الى الساحل أو ينظر بعضهم بعضا وعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل ومن

الآيات المجلبة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى الكليم ثم انهم اتخذوا الجبل
 وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهم بعزل من الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن
 الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ماواتر من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن
 والتحدى به والفضائل المجتعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها
 الاذكياء (واذ وعدنا موسى) بغير ألف بين الواو والعين كما قرأه أبو عمرو والباقون بألف بين
 الواو والعين لانه تعالى وعده موسى الوحي ووعد موسى ربه المجي للميعقات الى الطور وقيل
 هذا من المقابلة التي تكون من الواحد كعاقبت اللص وطاقت النمل وأمال حمزة ألف موسى
 محضة وأبو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين (أربعين ليلة) أن يعطيه عند انقضاءها
 التوراة ليعملوا بها وضرب له ميعاة تاذ القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالبالى لانها غرر
 الشهور وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء وخلق الله تعالى الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية
 لهم الليل نسلخ منه النهار و قول البياضوى ان ذلك الوعد لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
 تبع في ذلك الكشف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما كانوا بالشأم لان اتيان موسى للميعات كان
 بطور سيناء وهو بالشأم لا بصبر وقد قال البهاء بن عقيل في تفسيره لم يصريح أحد من المفسرين
 والمؤرخين بأنهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها (فان قيل) قوله تعالى فأخرجناهم من جنات
 الى قوله تعالى وأورثناها بني اسرائيل يقتضى أنهم عادوا اليها (أجيب) بأن المعنى أن الله تعالى
 أورثهم وملكهم اياها ولم يردهم اليها وجعل مساكنهم الشأم (ثم اتخذتم) قرأ ابن كثير
 وحفص عن عاصم اتخذتم باظهار الذا ل قبل التاء والباقون بادغام الذا ل في التاء (العجل)
 الذى صاغه لكم السامرى الهام ومعبودا (من بعده) أى بعد ذهابه الى ميعاتنا وذلك أن بنى
 اسرائيل لما آمنوا من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتمون اليها فوعد الله تعالى موسى
 أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب لميعات ربي أتيسكم بكتاب فيه بيان ما تأتونه
 وما تذرون واستخلف أخاه هرون فلما أتاه الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
 لا يصيب شيئا الا حي ليذهب بموسى الى ميعات ربه فلما رآه السامرى وكان رجلا صاغا غام
 قبيلة يقال لها سامرة ورأى موضع قدم القرس يخضر من ذلك وكان منافقا يظهر الاسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر ألقى في روعه انه اذا ألقى في شئ غيره وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا
 حلما كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعمل عرس لهم فأهلك الله تعالى
 فرعون وقومه فبقيت تلك الحللى في أيدي بنى اسرائيل قال السدى فأمرهم هرون أن يلقوها
 في حفرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحللى صاغها السامرى بجلال من ذهب في ثلاثة أيام
 مرصعا بالجواهر كالحسن ما يكون ثم ألقى فيه القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل
 فصارت يخور ويمشى فقال السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى أى فتركه ههنا وخارج بظلمه
 وكانت بنو اسرائيل قد خلقوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم
 يرجع موسى وقوموا فى القننة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة قال تعالى

فواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في محله
 فكانت فتنهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ورأوا العجل وسعوا قول
 السامري عكف منهم ثمانية آلاف رجل على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبدوه الا هرون مع
 اثني عشر ألف رجل قال البغوي وهو الأصح وقال الحسن كلهم عبدوه الا هرون ولذلك قال
 تعالى (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) أي بالتخاذل لوضعكم العبادة في غير محلها (ثم عَفَوْنَا) محونا (عنكم)
 ذنوبكم حين تبتم والعفو محو الجرمية من عني إذا درس (من بعد ذلك) أي الاتخاذ (لعلكم
 تَشْكُرُونَ) أي لكي تشكروا ونعمتنا عليكم * (تنبه) * انما قدرت لعل بكى أخذنا مما قيل ان لعل
 في القرآن يعني كى غير قوله تعالى في الشعراء لعلكم تتخلدون فانها بمعنى كأن أي كأنكم
 تتخلدون (و) اذكروا (إذا تينا موسى الكتاب) أي التوراة وقوله تعالى (والفرقان) عطف
 تفسيرا أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل أراد بالفرقان معجزات موسى
 كأنفلاق البحر الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايان (لعلكم تهتدون)
 أي لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكير في الآيات من الضلال (و) اذكروا (إذا قال موسى
 لهوهم) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظالمون) قرأ ورش بتعليظ اللام والباءون بالترقيق
 (أنفسكم بالتخاذل العجل) الها قالوا فأى شئ نصنع قال (فتوبوا) أي ارجعوا عن عبادة
 العجل (إلى بارئكم) أي خالقكم وقرأ أبو عمرو وباسكان الهمزة وروى عن الدوري باختلاس
 الحركة وروى عن السوسى ابدالها ياء ساكنة وأمال الدوري عن الكسائى الالف بعد الدالاء
 الموحدة واذا وقف حمزة على بارئكم سهل الهمزة بين بين قالوا كيف تتوب قال (فاقتلوا
 أنفسكم) أي ليقتل منكم البرى من عبادة العجل من عبده وقيل المراد بالقتل قطع الشهوة
 كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيا وردهذا جماعة باجماع المفسرين
 على أن المراد هنا القتل الحقيقي (ذالكهم) أي القتل (خبر لکم عند بارئکم) من حيث انه
 طهرة عن الشرك ووصله الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا
 نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين وقيل لهم من حل حبهونه أو مد طرفة الى قاتله أو اتقاء يده
 أو رجل فهو ملعون مردودة قوته وأسأت القوم عليهم الخسائر فكان الرجل يرى ابنه وأباه
 وأخاه وقرينه فلم يكنه المضى لامر الله فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله عليهم ضيابة تشبه
 سخابة تغشى الارض كالذخان وسخابة سوداء لا يصبر بعضهم بعضا فكانوا يقتتلون الى المساء
 فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهم ما الصلاة والسلام وبكوا ونضرتا ويا لارب هلك
 بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله تعالى السخابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل
 فكشفت عن ألوف من القتلى روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عدد القتلى سبعون
 ألفا فاشتهد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة
 فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فَنَابِ عَلَيْهِمْ) أي فعلهم
 ما أمرهم فتاب عليهم أي فتابوا عنهم وقبل قوتهم * (تنبه) * ذكر البارئ في قوله تعالى

فتقربوا الى بارئكم وترتيب الامر بالقتل عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباء حتى
 تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثلهم في الغباء وأن من لم يعرف حق
 منعمه حقيق بأن يسترد منه ما أنعم به عليه ولذلك أمر وابنك تركب ذواتهم بالقتل (انه هو
 الثوب) أي الذي يكثر قبول التوبة من المذنبين (الرحيم) أي البالغ في الانعام على خلقه
 (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة
 والسلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين
 رجلا من خيار قومه وقال لهم صوموا وتطهروا واطهروا واثابكم ففعلوا ذلك فخرج
 موسى الى طور سيناء لملاقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال لهم افعل فلما دنا
 موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام فغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا
 فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
 لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسعوه وهو يكلم موسى يأمره
 وينهاه وأسمعهم الله تعالى اني أنا الله لا اله الا أنا اخرجتكم من أرض يمدشديدة فاعبدوني
 ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل عليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
 جهرة عيانا وذلك أن العرب يجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم أن المراد منه العيان
 روى عن السوسى امالة الالف بعد الراء في نرى وترقيق اللام من اسم الله وروى عنه تفخيم
 اللام مع الامالة وله وجه ثالث كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام (فان قيل) كيف
 تم الالف وهي تسقط عند التقاء الساكنين (أجيب) بأنه لولا المالتها ما أميت الراء لأن
 القارئ اذا أراد أن يعي الالف لا يتمكن من الامالة الا بالامالة ما قبله (فأخذتكم الصاعقة) أي
 الصيحة فتم وقبل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وذلك اقرب العناد والتعنت وطلب المستحيل
 فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز
 المقابلة للرأى وهي محال بل المراد أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في
 الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضهم
 الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى
 يبكي ويتضرع ويدعو وماذا أقول لبني اسرائيل اذا أذنبتم وقد أهلككم لو شئت
 أهلككم من قبل واياي أتم لك ما فعل السفهاء من اقل يزل يشاهد ربه حتى أحياهم الله تعالى
 رجلا بعد رجل بعد ما نالوا اليأس ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيمون كما قال تعالى
 (ثم يمئناكم) أي أحييناكم والبعث اثاره الشئ عن محله يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت النائم
 فانبعث (من بعد موتكم) بسبب الصاعقة قال قتادة أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم
 ولوما نوبأ آجالهم لم يبعثوا وقيد البعث بعد الموت لانه قد يكون عن انحاء وأنوم كقوله تعالى
 فضر بنا على آذانهم في السكف الى أن قال ثم بعثناهم أي من النوم (لعلكم تشكرون) نعمة
 البعث أو ما كفر قوه من النعم المتتابعة (وظلنا عليكم الغمام) في التيه يتيكم حر الشمس

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه
 لم يكن لهم في التيه كثر يستريحون فسكروا إلى موسى صلى الله وسلم عليه فارسل الله غماماً يضيء رتيقاً
 أطيب من غمام المطر وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن قمر يسرون في ضوئه
 وكانت آياتهم لا تسخ ولا تبلى وغلاظ ورش اللام المقطوعة بعد الظاء (وأنزلنا عليكم المان
 والسلوى) في التيه والآن كثر من على أن المان هو الترفيعين قال مجاهد هوشى كالصمغ كان
 يقع على الأشجار طعمه كالشهد وكان يقع كل ليلة على أشجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع
 فقالوا يا موسى قتلنا هذا المان بجلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله عليهم السلوى
 جمع سلواة وهو الطير السمانى بخفيف الميم والقصر جمع سمائة وهو الطير المعروف وقيل
 هو طائر يشبهه بعث الله سحابة قطرت السماء في عرض ميل وطول ربح في السماء بعضه
 على بعض فكان الله تعالى ينزل عليهم المان والسلوى كل صباح من طلوع الفجر
 إلى طلوع الشمس فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوماً وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ
 كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت وقرأ السلوى جزء والكسافى
 بالامالة محضة وأبو عمر وبين وبين وورش بالفتح وبين اللفظين (فان قيل) لم قدم في الآية المان على
 السلوى مع أنها غذاء والمان حلواء والعادة تقديم الغذاء على الحلواء (أجيب) بأن نزول المان
 من السماء أمر مخالف للعادة فقدم لاستعظامه بخلاف الطيور الماء كولة وأيضاً هو مقدم في
 النزول عليهم (كوا) على إرادة القول أى قلنا لهم كوا (من طيبات) حلالات (ما رزقناكم)
 ولا تدخروا الغد فكمروا النعمة وادخروا فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما دخره وقوله
 تعالى (وما ظلمونا) أى بذلك فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا بهذه النعم وما ظلمونا (واكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) لأن وبال الله عليهم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لولا نبواً إسرائيل لم ينجب الطعام ولم يختار اللحم ولولا حواء لم تحن أنى زوجها
 الدهر (واذ قلنا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس كما قاله
 مجاهد أو أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء وبالهاء المهملة كما قاله ابن عباس وهى قرية الجبارين
 كان فيها قوم من بقة عاد يقال لهم العمالة ورأسهم عوج بن عنق قال ابن الأثير وهى قرية
 بالغور قرية من بيت المقدس وقيل البلقاء وقيل الرملة والاردن وفلسطين وقيل الشام
 سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها ومنه المقررة للحوض لأنها تجمع الماء (فكروا منها حيث
 شئتم رغداً) أى واسعاً لا تجز فيه (وادخلوا الباب) أى باب من أبواب القرية وكان لها سبعة
 أبواب (سجداً) أى متطامنين منحنين أو ساجدين السجود الشرعى لله شكروا على إخراجكم
 من التيه (وقولوا) مسئلتنا (حطة) أى أن تخط عنا خطايانا قال قتادة أمرى بالاستغفار
 وقال ابن عباس يلا اله الا الله لأنها تخط الذنوب وقيل معناها أمرنا حطة أى شأناً أن تخط في
 هذه القرية وتقيم فيها حتى ندخل الباب سجداً مع التواضع (تغفر لكم خطاياكم) بسجودكم
 ودعائكم وقرأ نافع ياء مضمومة على التذكير مع فتح الفاء وقرأ ابن عامر تغفر بياء مضمومة

على التأييد مع فتح الفاء أيضا وقرأ الباقر بالنون مفتوحة مع كسر الفاء وقرأ الكسائي
خطاياكم بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقر بالفتح (وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا
جعل الله تعالى امتثال قوله قولوا حطة توبة اللمسي وسبب زيادة الثواب للمحسنين (فان قيل)
كيف عطف وسنزيد مع أنه مرفوع على نفعهم مع أنه مجزوم جوابا للامر (أجيب) بأنه أخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد أي ما بأن المحسن يصد ذلك وان لم يفعل فكيف اذا فعله وانه
يفعل لا محالة وسبب اخراج ما ذكر عن صورة الجواب الى الوعد أن الزيادة اذا كانت من وعد
الله كانت أعظم مما اذا كانت مسببة عن فعلهم (فبطل الدين ظموا) منهم (قولا غير الذي قيل
لهم) فقالوا حبة في شعرة ودخلوا الزحفون على استأصمهم مخالفة في الفعل كما بدلو القول روى
معمر عن همام بن منبه أنه سمع أباه ريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني
إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلو فدخلوا الزحفون على استأصمهم وقالوا حبة
في شعرة وفي رواية في شعيرة وقوله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع
المضمر مبالغة في تنجيح أمرهم وأشاعا ربان أنزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به
موضعه أو على أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها (رجزا) أي عذابا
مقدرا (من السماء) وقيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا
وقيل أربعة وعشرون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة
(واذا استسقى موسى) طالب السقيا (لقومه) وذلك أنهم عطشوا في التيه فسالوا موسى أن
يستسقى لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت من آس الجنة
بالماء أي شجرها وهو المرسين وروى عن ابن عباس أنها كانت من هوسج طولها عشرة أذرع
على طول موسى وكان لها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقال مقاتل اسمها بنفة
جاءها آدم من الجنة فتوارى فيها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاهم موسى والام في الحجر
للههد على ما روى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حله معه كان له أربعة أوجه ينبع من كل وجه
ثلاثة أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا
أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ودفع الى شعيب فأعطاهم موسى مع العصا أو الحجر الذي فترش به لما
وضعه عليه ليتغسل ومرتبه على ملا من بني إسرائيل وهو حجر خفيف مربع كراس الرجل رخام
أو كزان وبرأه الله تعالى به عامر موهبه من الادرة وهي بضم الهمزة كبر الانبياء فلما وقف أتاه
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه
معجزة وللجنس قال البيضاوي وهذا أظهر في الجنة ويدل له قول وهب لم يكن حجرا معينا
بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيمنع عيون الكل سبطا عين ثم تسيل كل عين في جدول الى
السبط الذي أمر أن يسقيهم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا ولكن لما قالوا كيف بنا
لو أفضينا الى أرض لا تجارة فيها حمل حجر في مخلائه وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فيمنعجرو ويضربه
بها اذا ارتحل فيبديس فقالوا ان فقد موسى عصاه متاعا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تقرع

الجارة وكلها اطعمك اعلمهم يعتبرون وقوله تعالى (فانفجرت منها اثنتا عشرة غينا) متعلق بمحذوف
 أى فضر به فانفجرت أى سالت قال أبو عمرو بن العلاء انبجست عرفت وانفجرت سالت وقال
 عطاء كان يضربه موسى اثنتى عشرة ضربة فيظهر على كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة فيعرق ثم
 تنفجر الانهار ثم تسيل (قد علم كل أناس) أى سبط منهم (مشريهم) أى عينهم التى يشربون منها
 لا يدخل سبط على غيره فى شره وقلنا لهم (كأوا واشربوا من رزق الله) أى كأوا من المني والسوى
 واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتىكم بالمشقة (ولا تعذوا) أى لا تعتدوا
 (فى الارض مفسدين) أى حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس
 بفساد كقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن اصلا حارا جماعلى الفساد كقتل الخضر الغلام
 وخرقه السفينة * (نبيه) * من أنكر أمثال هذه المحجزات فلغايتها جهله بالله تعالى وقوله تدبره فى
 عتاب صنفه فانه لما أمكن أن يكون من الاجار ما يحاق الشعر كالنورة ويجذب الحديد
 كالغناطيس وينقر الخلل كالكهربان فانه اذا وضع فى اناه لا يحصل الخل فى ذلك الاناء لم يتسحق أن
 يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهوامن الجوانب الاربعة ويصيره
 ماء بقوة التدبير ونحو ذلك (و) اذكروا (اذ قلتم يا موسى ان نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم
 سموا من أكل المني والسوى وانما عبر عنهم بما بطعام واحد لعدم تبدلها كما قول العرب طعام
 مائدة الامير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه أولان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
 عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهم ما للؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون
 العذب أولانهم كانوا يجنون المني بالسوى فيصيرا واحدا أولانهم كانوا يأكلون أحدهما
 بالآخر فكانا كطعام واحد وأضرب واحد لانهم ما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا أهل فلاحه
 أى أهل زراعات فاشتاقوا الى أصلهم الردى وعادتهم الخبيثة واذا قالوا (فادع لنا ربك) أى
 فسل لاجلنا ربك (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فان دعوة موسى
 تسبب الاجابة وقوله تعالى (مما تنبت الارض) من الاسناد المجازى واقامة القابل وهى الارض
 لانها قابلة للتنبات مقام الفاعل ومن فى قولهم مما تنبت للتبعية ومن فى قولهم (من بقلها)
 للبيان والنقل مما تنبت الارض من الخضر وهو ما ليس له ساق والميراد به أطايبه التى تؤكل
 كالكرفس والنعناع والكراث (وقناتها وقومها) وهو الخبز كما قاله ابن عباس ومنه قوموا
 لنا أى اخبروا أو الخطبة كما قاله عطاء أو الثوم كما قاله الكلبى (وعدها وبصلها قال) أى الله
 أو موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أى أخس وأردأ وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعبر
 للخسة كما استعبر البعد فى الشرف والرفعة فقل بعيد الهمة بعيد المحل (بالذى هو خير) أى
 أشرف وهو المني والسوى فانه خير فى الندة والنفع وعدم الحاجة الى السعى أى تأخذون هذا
 بدل هذا والهمزة لانكار فأبوا أن يرجعوا فادعوا موسى ربه فقال تعالى (اهبطوا) أى انزلوا
 فان هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول ويستعمل متعديا عن فيكون بمعنى
 الخروج من مكان الى آخر مساو له أو أعلى منه (مصرأ) من الامصار والمصر البلد العظيم

لا العلم بفتح اللام وقيل أراد به العلم وهي مصر موسى وفرعون قال البيضاوي ويؤيده أي
 القول بأن المراد بمصر العلم أنه غير ممنون في مصحف ابن مسعود أي وهي قراءة شاذة وانما صرفه
 على هذا مع أن فيه العلية والتأنيث لسكون وسطه كما في هند ودعد لمعادلة أحد سبي منع
 الضرف بخفة الاسم لسكون وسطه أو على تأويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد
 فانصرف (فان لسكم) فيه (ماسألتهم) من نبات الارض (وضربت عليهم) أي أحيطت
 الحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألمقت بهم من ضرب الطين على الحائط (الذلة) أي الذل
 والهوان وقيل الجزية (والمسكنة) أي القفر وسمي القفر مسكينا لان القفر أسكنه وأقعدده
 عن الحركة وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجدد اليهود في غالب الامر أذلاء
 مساكين أما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وقيل الذلة فقر القلب
 فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود وقرأ حمزة والكسائي عليهم بضم الهاء
 والميم وصلوا وفي الوقف حمزة على أصله والكسائي بكسر ها وأبو عمر وبكسر الهاء والميم وقفوا
 وصلوا وباقي القراء بكسر الهاء وضم الميم وصلوا وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم (وبأوا)
 رجعوا (بغضب من الله) ولا يقال باء الالبشر وأصل البوء المساواة وقال أبو عبيدة احتملوه
 وأقروا به ومنه الدعاء أبو نعمتك وأبو ذبي أي أقروا وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما مر من
 ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله)
 بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن وبالمعجزات
 التي من جملتها ما عده عليهم من فلق البحر وظلال الغمام وإنزال المن والسلوى وانقياد العيون
 من الحجر (ويقولون النبيين بغير الحق) أي ظلمنا فانهم قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم روى
 ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقلهم آخر النهار (فان قيل) لم قال بغير
 الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق (أجيب) بأنه ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة
 بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان
 حكمه ينقسم الى الجور والحق وأنه بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقده جوار قتلهم
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أخبر بقتل الانبياء ونصر الرسل فكيف الجمع (أجيب) بأن المحل
 مختلف اذ الرسول غير النبي وبأن المراد بالنصر الغلبة باظهار الحجلة لا العصمة من القتل وانما
 حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه تعالى بقوله (ذلك جماعصوا
 وكانوا يعتدون) أي جرمهم العصيان والتعادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين
 فان صغار الذنوب أسباب تؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات أسباب مؤدية
 الى تحري كبارها وكررا للاشارة الى دلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
 ارتكابهم المعاصي واعتداؤهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وعلى
 هذا انما جاوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر والذي حسن ذلك ان تنبيه
 المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع وقرأ النبيين

نافع بالهمزة والباقون بالياء وورش على أصله في الهمز بالمد والتوسط والقصر (أن الذين آمنوا) بالانبياء من قبل (والذين هادوا) أي اليهود سموهوا به لقولهم ناهدنا إليك أي ملنا إليك وقيل لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل وكانهم سموا باسم أكبر وألا يدعقوب عليه الصلاة والسلام وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم تهودون أي يتحزرون عند قراءة التوراة ويقولون أن السموات والأرض تحزرت حين أتى الله موسى التوراة (والنصارى) جمع نصراني كنداحي والياء في نصراني للمبالغة وهو بذلك لأنهم نصرروا المسيح قال الحواريون نحن أنصار الله (فان قيل) هذا ليس جاريا على قواعد الاشتقاق فإنه يقال للواحد ناصر وفاعل لا يجمع على فعالي (أجيب) بأن ذلك كاف في الاشتقاق وإن لم يجمع المفرد على فعالي أولانهم كانوا مع في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها على الأقل أو من اسمها على الثاني (والصابنين) هم طائفة من النصارى وقيل من اليهود وقيل قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة أو الكواكب وقرأ نافع وحده بالياء أمالانه خفف الهمزة ولأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الموحدة (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) أي من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدق قلبه وبالمبداء والمعاد عملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل الإسلام دخولا صادقا (فلهم أجرهم) أي ثواب أعمالهم (عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة أو حين يحذف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب * (تنبيه) * روى في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبران أو بدل من آمن ان وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المستند إليه معنى الشرط وقد منع سيويه دخولها في خبران من حيث أنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى أن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (و) اذكروا (إذا أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حتى أعظم الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكليف الشاقة كبرت عليهم لأنها كانت شريعة ثقيلة وأبواقبوا لها فامر الله تعالى جبريل بقلع الطور فظله فوقهم وكان على قدر عسرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة رجل كالظلة وقال لهم إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأنهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم فإن قبلتم والارض تحتكم بهذا الجبل أو أغرقكم في هذا البحر أو أحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم من ذلك قبلوا وعبادوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم يسجدون فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا (خذوا) هو على ارادة القول أي قولنا خذوا

(ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدة وعزيمة (واذكروا ما فيه) بالعمل به أو تفكروا فيه فإنه
 تذكر بالقلب كما ان الدرس ذكر به باللسان أو أدرسوه ولا تنسوه (لعلكم تتقون) لكي
 تتقوا النار والمعاصي (ثم توليتهم) أعرضتهم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي بعد أخذه
 (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بتوفيقكم للتوبة أو بالامهال وتأخير العذاب عنكم
 أو بارسال محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه (لكنتن من الخاسرين) أي
 من المغبونين بالانحمال في المعاصي أو بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة * (تنبيه) * لوفى
 الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لأفاد اثباتاً وهو امتناع الشيء الثبوت
 خبره والاسم الواقع بعده عند سبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد
 الجواب مسدده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (واقدر علمتم) اللام موطئة للقسم أي عرفتم
 (الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم في السبت) بصيد السمك وذلك أنهم كانوا من داود عليه
 الصلاة والسلام يأرض يقال لها إلهاء حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان
 إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من
 كثرتها فإذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى إذا أتيتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا
 ويوم لا يسبغون لا أتيتهم كذلك نبأهم ع كانوا يفسقون ثم إن الشيطان وسوس إليهم
 وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه
 إليها الانهار فإذا كان عشية الجمعة فبحروا تلك الانهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض
 فلا تقدر على الخروج لبعدها عنها وقلة ماؤها فإذا كان يوم الاحد أخذوها فذلك الحبس
 في الحياض هو اعتدائهم ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة فبحر وأعلى الذنب وقالوا
 ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأكلوا وملحوا وباعوا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا
 نحو من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف اتهمك
 الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا والله لانسا كنسكم
 في قرية واحدة فقسموا القرية بحداد (فقلنا لهم) لا صرارهم على المعصية (كونوا قردة خاسئين)
 أي مبعدين فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفقهوا بابهم
 فلما أبطأ واتسور وعلى الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاونون قال قتادة صار الشبان
 قردة والشيخ خنذار يرفكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا
 وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فملأوا بالقردة كما ملأوا بالحمار كما في قوله تعالى
 كمثل الحمار يحمل أسفارا روى عنه ابن جرير ورده وقال انه مخالف لظاهر القرآن والاحاديث
 والآثار وإجماع المفسرين وقوله تعالى كونوا ليس بأمر الا قدرة لهم عليه وانما المراد به
 سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما أراد بهم (جعلناها) أي تلك العقوبة (نكالا) أي عبرة
 تتبكل الاعتبار بها أي تمنعه من ارتكاب مثل ما عملوا ومنه النكول عن اليعيز وهو الامتناع
 (لما بين يديها وما خلفها) أي اللام التي في زمانها وبعدها ولما يحضرتهم من القرى وما تبعها

عنها أولاهل تلك القرية وماحواليها أولاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها
(وموعظة للمتقين) الله من قومهم أو لكل متق سمعها وخصوا بالذكرا منهم المستمعون بها
بخلاف غيرهم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم) قرأ أبو عمرو بسكون الراء
وروى عن الدوري اختلاس الحركة والباقون بالحركة السكاملة والحركة ضمة (أن تذبجوا
بقرة) أول هذه القصة قوله تعالى واذ قلتم نفسا فاذارتم فيها وانما فكنت عنه وقدمت عليه
لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستنزاه بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
الى الامثال وقصته أنه كان فيهم رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
قتله ليرثه وجعله الى قرية أخرى فالقاء بياهم اسم أصبح يطلب دية وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم
القتل فسألهم فجحدوا فاشتبه امر القتل على موسى قال الكبي وذلك قبل نزول القسامة
في التوراة فسألوا موسى ليدعو الله ليعين لهم بدعائه فدعا فامرهم الله تعالى بذبح بقرة
ويضربوا القتل ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله فقال موسى ان الله يأمركم أن تذبجوا بقرة (قالوا
اتخذنا هزا) أي أنستزي بنا نحن نسأل عن امر القتل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك
استبعادا لما قاله واستخفافا به قرأ حجة بسكون الزاي في الوصل واذ وقف قال هز نصب
الزاي من غيرهم وروى عنه الادغام وهو أن يشتد الزاي وقرأ حفص هز وابضم الزاي بعدها
واو مفتوحة وقفوا وصلوا والباقون بضم الزاي بعدها همزة مفتوحة (قال أعوذ) أي امتنع
(بالله) من (أن أكون من الجاهلين) لأن الهزة في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما رمى به
على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظا عاله فلما علم القوم أن ذبح البقرة
عزم من الله استوصفوه ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبجوها لاجزأت عنهم ولكنتهم شددوا
على أنفسهم فشد الله عليهم ❦ ان تحته حكمة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له
ابن طفل وله بعله أنى بها الى غيبة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر
ومات الرجل فسارت العجلة في الغيبة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن
كان بارا بوالدته فكان يسهم الليل أثلا ثايصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا
أصبح انطلق فاحتمط على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق ثلثه ويأكل
ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له أمه يوم ما نأبالك ورثك بعله استودعها الله في غيبة كذا
فانطلق وادع الله اله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها
يجعل لك أن شعاع الشمس يخرج من جملدها وكانت تلك البقرة تسمى الذهبية لحسنها وصغرتها
فأتى الفتى الغيبة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب فأقبلت تسعى اليه حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بأذن
الله وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني
بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بنى اسرائيل لوركتنى ما كنت تقدر على أبدا
فانطلق فانك لو أحرمت الجبل أن يتقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمرك فسار الفتى

بها إلى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
 فبيع هذه البقرة فقال بكم أييها قالت بثلاثة دنانير ولا تباع بغير مشورتي وكان غن البقرة ثلاثة
 دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكا يرى خلقه قدرته وليعتبر الفتي كيف يربه بوالدته
 وكان الله به خبير فقال الملك له بكم تباع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا
 والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تسأمر والدتك فقال الفتي لو أعطيني وزنم اذهبنا لم آخذ
 الا برضا أمي فردتها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا
 ممي فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتي انها أمرتني أن
 لا أنقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا على
 أن لا تستأمرها فأبى الفتي ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة
 آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال الملك له اذهب إلى
 أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل
 فلا تباعوها الا بجل ممسكها أي جلدها ذهابا دنانير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل
 ذبح تلك البقرة بعينها فاذا لو ايسموصفوها حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بربه بوالدته
 فضلا منه تعالى ورحمة فذلك قوله عز وجل (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ما سنها وكان من
 حقه أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي لان لفظ ما يسأل به عن الجنس غالب الكنهم لما رأوا
 ما أمر ربه على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقة مته ولم يروا مثله
 (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة لا فارض) أي مسنة وسميت فارضا لانها فرضت
 سننها أي قطعت وبلفت آخره (ولا بكر) أي صغيرة (عوان) أي نصف أي وسط قال الشاعر
 * نواعم بين أبى كارد وعون * جمع عوان (بين ذلك) أي بين ما ذكر من الفارض والبكر
 (فان قيل) بين يقتضى شيئين فصاعدان أين جاز دخوله على ذلك (أجيب) بأنه في معنى شيئين
 حيث وقع مشاربه إلى ما ذكر كما تقرر وعود هذه الكلمات واجراء تلك الصفات على بقرة
 يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب بالامر ومن أنكر
 ذلك زعم أن المراد بها بقرة من جانب البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
 ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال التخصيص الثابت بالنقض والحق جواز تأخير البيان
 عن الوقت المذكور والنسخ قبل الفعل ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه
 الصلاة والسلام لو ذبحوا أي بقرة أرادوا الاجزاء ثم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 وتقرعهم بالتعادي وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا)
 ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها)
 أي شديد الصفرة ولذلك تو كذب الصفرة فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وعن الحسن
 سودا شديدة السواد وبه فسرقوله تعالى جمالات صفر قال البضاوي ولعله غير بالضرة غن
 السواد لانه من مقتضاته قال البغوي والاول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال أصفر

فاقع وأسود جالك وأخضر ناصح (تسر الناظرين) اليها أي يحجبهم حسنهم ووصفها لونها
 والسرور أصله لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه (قالوا دع لسارك بين لنا ما هي) أي
 أسالة أم عاملة وعلى هذا فليس تكرار السؤال الأول (إن البقر) أي جنسه المنعوت كما ذكر
 (تشابه) أي التباس واشتبه أمره (علينا) لكثرة فلم يحددوا إلى المقصود * (تنبيه) * لم يقل
 تشابهت علينا لأن المراد الجنس كما مر وأما ذكر لفظ البقرة كقوله تعالى أعجاز نخل منقعر
 (وإن شاء الله لمهتدون) إلى وصفها وفي الحديث لم يستغنوا ما بينت لهم آخر الأبد
 واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وإن الأمر قد ينقل عن الإرادة واللام يكن
 للشرط بعد الأمر معنى والمعتزلة والكلامية على حدوث الإرادة لأنها وقعت شرطا والشرط
 أمر يحدث في المستقبل (وأجيب) بأن تعليق الالتهاد بالمشيئة التي هي الإرادة باعتبار تعلق
 المشيئة بالالتهاد وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى لأن التعلق
 أمر اعتباري (قال) موسى (أنه) أي ربي (يقول أنها بقرة لأذلول) أي غير مثله بالعمل
 (تبر الأروض) أي تقبلها للزراعة والجملة صفة لأذلول داخله في النقي (ولانسق الحزن) أي
 الأرض المهيأة للزراعة ولا الثانية مزيدة تأكيده الأولى والفقهاء صفت لأذلول كأنه قال
 لأذلول مثيرة وساقية (مسئلة) من العيوب وإثارة العمل (الاشمية) أي لالون (فيها) سوى لون
 جميع جلدها قال مجاهد لا يابض فيها ولا سود (قالوا لا نجث) أي نطقت (بالحق) أي
 بالبيان التام الشافي الذي لا اشكال فيه فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأتمه فاشتروها بابل
 مسكها أي جلدها ذهباً كما قال له الملك وقوله تعالى (فذبجوها) فيه اختصار والتقدير فصلوا
 البقرة المنعوبة فذبجوها (وما كادوا) أي ما قاربوا (بفعلون) لتطو يلهم وكثرة مر اجعتهم
 أو لحوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها ولا ينافي قوله وما كادوا بفعلون قوله فذبجوها
 لاختلاف وقتيهما إذا المعنى ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعالياتهم
 ففعلوا كالمضطر المبالى الفعل (واذ قتلتم أنفسا) خطاب للجمع لوجود القتل فيهم
 (فأذارتهم) فيه ادغام التاء في الأصل في الدال أي تخصاصمهم وتدافعهم (فيها) أي في شأنها
 إذا المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً وتدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى صاحبه (والله
 مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكتمون) فإن القاتل كان يكتم القتل وقوله تعالى (فقلنا
 أضربوه) أي القتل عطف على أذارتهم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس وتذكر الضمير على
 تأويل الشخص أو القتل (ببعضها) أي ببعض البقرة واختلفوا في ذلك البعض فقال ابن
 عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو مالان من
 العظام وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة بحجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يلي ويركب عليه
 الخلق وقال الضحاك بلسانها قال الحسين بن الفضل لأنه آله الكلام وقال عكرمة والكلبي
 بفخذها الأيمن وقبل بعضهم منها لأبعينه ففعلوا ذلك فقام القتل حيا باذن الله تعالى وأوداجه
 تشخب دما وقال قتلي فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وقيل وفي الخبر ما ورث

قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اضممار تقديره فضرب في قال تعالى (كذلك الاحياء يحيى)
 اسم الموتى) والخطاب مع من حضر حياة القتل أو نزول الآية (ويريكم آياته) دلائل قدرته
 (تعلمكم تعقلون) لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
 كلها فتؤمنون قال البيضاوي ولعله تعالى انما لم يحياه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من
 التقرب وأداء الواجب ونفع النعيم والتنبيه على بركة التوكل أي توكل أي النعيم والشفقة على
 الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قرينة والمقرب أن يتجوزي الاحسن ويعالي بفضله كما روى
 عن عررضي الله تعالى عنه أنه ضحى بفحشية أي من الابل بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو
 الله تعالى اذ لا يتصور حياة ميت من غيره تعالى والاسباب امارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف
 أعدى عدوه الساعى في اماتة الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
 حين زال عنها أثر الصبا أي عدم التكليف وهو نظير لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر أي وهو
 نظير لا فارض وكانت محبة راتقة المنظر أي وهو نظير تسر الناظرين غير مذللة في طلب الدنيا
 أي وهو نظير لا ذلول تثير الارض مسلة من دنسها لاشية أي لاعلامه بها من قبائحها بحيث يصل
 أثره أي الذبح الى نفسه فتحيا حياة طيبة ويعرب عابه ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
 والوهم من التدارؤ والنزاع أي لان العقل يأمر بالخير والوهم يأمر بالشهوات (ثم قست
 قلوبكم) أيها اليهود أي ضلت عن قبول الحق لان القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في
 الحجر وقساوة القلب مثل في بعده عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة عن الاحياء لا للتراخي في
 الزمان بل للاستبعاد مجاز القرينة ما قبلها بمعنى أنه يبعد من العاقل قسوة القلب بعد ظهور تلك
 الآية العظيمة (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتل وما قبله من الايات فان ذلك مما
 يوجب لبس القلب (فهى كالحجارة) في قسوتها قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء
 والباقون بكسرها (أو أشد قسوة) من الحجارة وقيل أو بمعنى الواو كقوله تعالى مائة ألف
 أو يزيدون وانما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لان الحديد قابل للين فانه يلين بالنار
 وقد لا نداد عليه الصلاة والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال
 (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) أي من بعض الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب
 عليه موسى للأسباط (وان منها لما يشقق) فيه ادغام التاء في الاصل في الشين (فيخرج منه الماء)
 أي عيون نادون الانهار (وان منها لما يهبط) أن ينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله)
 وقالو بكم لا تتأثروا لاتلين ولا تشقق بامعشر اليهود (فان قيل) الحجر جماد لا يفهم فكيف يحشى
 (أجيب) بأن الله يفهمه ويلهمه فيحشى بالهامه قال البغوي ومذهب أهل السنة أن الله
 تعالى علماني الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح كما
 قال جل ذكره وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
 وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الآية فيجب
 على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله سبحانه وتعالى روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على

شير والسكرار يطلعونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف أن تؤخذ علي قيعا تبني الله بذلك
 فقال له جبل حرا الى الى يا رسول الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف
 حجرا بكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الا أن وروى عن علي أنه قال كأمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بكة فرحنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر
 بشجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى عن جابر أنه قال كان النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه
 اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعتنقه فاسكت وقال مجاهد لا ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله
 ويشهد لذلك قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
 (وما الله بغافل) أي بساء (عما تعملون) وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون بل
 يجازيكم به وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقيون بالياء على الخطأ (أفنتظمعون) أي
 أفترجون أي المؤمنون (أن يؤمنوا) أي اليهود (لكم) أي لاجل دعوتكم أو يصدقكم
 بما تنبرونهم به (وقد كان فريق) أي طائفة (منهم) أي أحبارهم (يسمعون كلام الله) أي
 التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه كعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هو لا من السبعين
 المختارين الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله
 يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء ففعلوا وان شئتم فلا تفعلوا (من بعد ما علقوه)
 أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبية (وهم يعلمون) أنهم مقفرون والهمزة لانكار أي
 لا تعلموا في ايمانهم فاهم سابقة في الكفر (واذا لقوا) أي منافقوا اليهود (الذين آمنوا) قالوا
 آمنا بأنكم على الحق وان رسوا بكم هو المبشرية في التوراة (واذا خلا) أي رجع (بعضهم الى
 بعض قالوا) أي رؤسائهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا
 ان نفاق (أنتقدونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من نعت محمد
 صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم) أي ليخاصموكم (به عند ربكم) أي بما أنزل ربكم في كتابه ويقيموا
 عليكم الحججة في ترك اتباعهم مع علمكم بصدقه جعلوا محاجتهم بكتاب الله محاجة عند الله كما يقال
 عند الله كذا وبراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في الآخرة
 وقوله تعالى (أفلا تعقلون) أمان تمام كلام اللاعنين وهم خالص اليهود وتقدره أفلا تعقلون أنهم
 يحاجونكم فيجبونكم وأمان خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفنتظمعون والمعنى
 أفلا تعقلون حالهم وأنه لا مطمع لكم في ايمانهم (أولا يعلمون) أي اللاعنون أو المنافقون أو كلاهما
 (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله
 عليهم واظهار غيره وغير ذلك فيرعو واعن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أقميون) أي عوام جهالة
 (لا يعلمون الكتاب) أي لا يعرفون التوراة والكتابة فيطالعو التوراة ويتحققوا ما فيها وقوله
 تعالى (الأماني) استثناء منقطع أي لا تكن أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتدوها

(وانهم) أى ما هم (الا) قوم (يظنون) ظنا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكلائع عن الحق بسبب شبهة قامت عنده (فويل) أى وادى جهنم كما رواه الترمذى قال سعيد بن المسيب لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اوشدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) أى المحرف من التأويلات الزائفة وقوله تعالى (بأيديهم) تأكيد كقولك كتبه بيمينى (ثم يقولون هذا من عند الله ليستروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود وغير اوصافه النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل الله فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة لكل العينين ربعة بعد الشعر حسن الوجه فكتبوها طويلا أزرق العينين سبط الشعر وغيرها آية الرجم بالجلد والتحميم أى تسويد الوجه (فويل لهم عما كتبت أيديهم) من المحرف (وويل لهم عما يكسبون) من الرشا (وقالوا) أى اليهود لما وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم النار (لن نعسنا) أى نصيبنا (النار الا أياما معدودة) محصورة قليلة روى أن بعضهم قالوا نعذب بعد دأىام عبادتنا العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام (فان قيل) لم وصف الايام مع انها جاع بالمفرد (أجيب) بأنها فى معنى الجماعة فتكون مفردا تقدير اولان جمع القلة كما قاله الرضى فى حكم المفرد فيوصف بالمفرد كما هنا ويوصف المفرد به كما فى قوله تعالى نطفة أمشاج وقيل الامشاج مفرد وعلى هذا فلا اشكال ثم كذبهم الله تعالى بقوله (قل) لهم يا محمد (أتخذتم) حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم باظهار الذاىل عند التاء والباقون بالادغام (عند الله عهدا) أى ميثاقا منه بذلك وقوله تعالى (فلن يخلف الله عهده) جواب شرط مقدرا رأى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبر الله تعالى محال (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم امامنا قطعة بمعنى بل أقولون على التقرير والتقرير وامامنا عادلة بهمزة الاستفهام بمعنى أى الامر من كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نقوه من مناس النار لهم فان بلى وبلى حرفا استدراكا ومعناه مانتى الخبر الماضى وأثبت الخبر المستقبل أى بل عسكم وتخلدون فيها (من كسب سيئة) أى قبيحة (واحاطت به خطيئته) وترأف نافع وحده خطيئة به بالجمع أى استولت عليه وشملت جميع أحواله حتى صار كالحماط بها لا يخلو عنها شى من جوانبه وهذا انما يصح فى شأن الكافر لأن غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم تحط الخطيئة به ولذلك فسرهما السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة أن يصير عليها لأن من أذنب ذنبا ولم يقطع عنه استجره الى معاودة مثله والاختم ماله فيه وارتركاب ما هو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بجماع قلبه فمصيب بطبعه ما لا الى المعاصى مستحسننا اياها معتقدا أن لا لذة سواها مفضالين ينعهم عنها مكذبا لمن ينصح فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بايات الله والفرق بين السيئة

والخطيئة أن السيئة قد تقال فيما قصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من
الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على التمسك كقوله تعالى فيشره بعد ذاب أليم
(فأولئك أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازموا أسبابها في الدنيا
(هم فيها خالدون) أي دائمون روعى فيه معنى من والآية كما ترى لاجتماعها على خلود صاحب
الكبيرة لانها في الكافر كما مر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لترجي رحمة ويخشي عذابه
* (تنبيه) * عطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (و) اذكر (إذا أخذنا ميثاق
بنى اسرائيل) في التوراة وقلنا لهم (لا تعبدون الا الله) هذا اخبار في معنى النهي كقوله تعالى
ولا يضر كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهى مسارع الى
الانتهاء فهو مخبر عنه وقرأ ابن كثير وحجة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب (وبالوالدين احسانا) أي برأيهم واطفأ عليهم ما وزنوا عند أمرهم ما فيما لا يخالف
أمر الله تعالى قال البيضاوي وهذا متعلق بضمير تقديره وتحسنون أو أحسنوا انتهى ويلزمه
ان احسانا في الآية منصوب على المصدر المؤكد لعماله المحذوف مع ان حذف عامل المؤكد
ممنوع أو نادر وقوله تعالى (وذى القربى) أي القرابة (واليتامى والمساكين) عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لأب له كنديم وذامى وهو قليل ومسكين مقبيل
من السكون كان الفقر أسكنه (وقولوا للناس حسنا) من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصدق في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والرفق بهم وقيل هو اللين في القول والمعاشرة بحسن
الخلق وقرأ حجة والكسائي بفتح الحاء والسين والباقون بضم الحاء وسكون السين مصدر
وصف به مبالغة (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) قال البيضاوي يريد أي الله به ما مافرض عليهم
في ملتهم (ثم توليتهم) في هذا التفات عن الغيبة قال البيضاوي ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضت عن الميثاق
ورفضتموه (الا قليلا منكم) أي وهو من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم
(وأنتم) قوم (معرضون) أي عادةكم الاعراض عن المواثيق والتولية كاعراض آبائكم
(و) اذكروا (إذا أخذنا ميثاقكم) وقلنا (لا تنفكون دماءكم) أي تريقونها بقتل بعضكم بعضا
(ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وانما جعل غير الرجل
نفسه لاتصاله به نسباً أو ديناً أو قبيلاً لا تفعلوا ما يردكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تفترقوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي (ثم أقررتهم)
بهذا العهد أنه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) على أنفسكم هذا تو كيد كقولك أقر فلان شاهداً
على نفسه وقيل أنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار
اليهم مجازاً (ثم أنتم) يا هؤلاء تقولون أنفسكم (فيه استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار
والشهادة عليه أي ثم بعد ذلك يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون قريقامنكم من ديارهم

(تظاهرون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بتخفيف الظاء والباقون بتشديد هاء أي تتعاونون
 عليهم بالانغم أي المعصية (والعدوان) أي الظلم (وان يأتوكم أسارى) قرأ حمزة بفتح
 الهمزة وسكون السين ولا ألف بعد السين والباقون بضم الهمزة وفتح السين والف بعدها
 (تقدوهم) قرأ عاصم والكسائي بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح
 التاء وسكون الفاء ولا ألف بعدها أي تقدوهم من الأسر بالمال أو غيره وقوله تعالى (وهو)
 أي الشأن (محترم عليكم أخراجهم) متعلق بقوله تعالى وتخرجون فريقتان منكم من ديارهم
 وما بينهما اعتراض ومعنى الآية قال السدي إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة
 أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم
 وأعيانهم وأمة واحدة وجدته في بني إسرائيل فاشتروهم بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة
 حالفوا الأوس وحالفت النضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم
 ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا استحلوا مقتلهم فقتلوا منهم وتقدوهم قالوا أمرنا بالفداء
 فيقال فلم تقتلوا منهم فيقولون حياء أن يستنزل حلفاؤنا فغيرهم الله تعالى بقوله (أقتلونهم)
 بعض الكتاب وهو الفداء (وتكفرون ببعض) وهو ترك القتل والاخراج والمظاهرة
 (فأجزاء من يفعل ذلك منكم الأخرى) أي هوان وعذاب (في الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرع وأريحا من
 الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) أي عذاب جهنم وانما رد من فعل منهم ذلك إلى
 أشد العذاب لأن عصيانه أشد (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ نافع وابن كثير وشعبة بالياء
 على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الحياة الدنيا
 بالآخرة) بأن آثروا عليها (فلا يخفف عنهم العذاب) في الدنيا بقصان الجزية والتعذيب
 في الآخرة (ولا هم ينصرون) أي بدفعها عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي
 التوراة بجملة واحدة (وقفين من بعده بالرسول) أي أتبعناهم رسولا في أثر رسول كقوله تعالى
 ثم أرسلنا رسلا تنزيها يقال فقام إذا تبعه آياه (وآتيناهم بن مريم البينات) أي المعجزات
 الواضحات كاحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والاخبار بالغيبات أو الانجيل وعيسى
 بالعبانية إيشوع ومريم بمعنى الخادم (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير
 بأسكان الدال حيث جاء والباقون بضمها وهذا من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح
 المقدسة وهو جبريل وصف به لطهارته وتأييده به أن أمر أن يسير معه حيث سار حتى يصعبه
 إلى السماء وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
 أولانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث أي الخبيث وقيل اسم الله الاعظم الذي كان
 يحى به الموتى ولما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى
 كما تزعم محمات ولا كما تنقص علينا من الانبياء فعلت فأتينا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا فقال الله
 تعالى (أفكلاما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لاتهوى) أي تحب (أنفسكم) من الحق

وقوله تعالى (استكبرتم) أى تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ
 (ففرىقا) أى طائفة (كذبتم) كوى وعسى عليهما الصلاة والسلام والفاء السبية الاستكبار
 للكذب أو التنبيل (وفرىقا تقتلون) كزكريا ويحيى عليهما السلام (فان قيل) هلا قال وفرىقا
 قتلتم (أجيب) بأنه انما ذكر بلفظ المنارع على حكاية الحال الماضية استحضار الهاني النفوس
 فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل قال الزمخشري "وان يراد وفرىقا تقتلونهم بعد أى
 الا ان لانكم درتم حول قتل محمد لولا انى أعصمهم منكم وذلك صرعوه وسعتم له الشاة وقال
 صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا وان قطعت أبهرى (وقالوا) للنبى
 صلى الله عليه وسلم استهزاء (قلوبنا غلف) جمع أغلف أى مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جئت به
 ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذى لم يحتم كقواهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وقيل أصل
 غلف بالسكون غلف بالضم خفف والمعنى انها أوعية العلم لا تسمع علما الا وعتة ولا تعى ما تقول
 أى فمات قوله ليس بعلم أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ثم ردا لله تعالى عليهم أن تكون
 قلوبهم كذلك بقوله تعالى (بل) للاضراب (لعنهم الله بكفرهم) أى بسبب كفرهم والمعنى انها
 خلقت على الفطرة والفقن من قبول الحق وانكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم
 كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فنى أين لهم دعوى العلم والاستغناء
 عنك (فقل لا ما يؤمنون) ما مزيدة لتأ كيد القلة أى ايمانهم ايمان قليل جدا وهو ايمانهم
 ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق
 لما معهم) من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه (وكانوا) أى اليهود (من قبل) أى من قبل مجيئه
 (يستفتحون) أى يستنصرون (على الذين كفروا) أى مشركى العرب اذا قابلوهم يفتحون
 اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نبجده صفته ونعته فى التوراة ويقولون
 لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عادوارم
 (فلما جاءهم) أى اليهود (ما عرفوا) من الحق وهو بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (كفروا به)
 حسدا أو خوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب لما الثانية (فلعنة الله) أى
 عذابه وطرده (على الكافرين) أى عليهم وانما أتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا الكفرهم
 فنكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للعموم ويدخلون فيه دخولا أواميا أو قصديا لانهم
 المقصودون بالذات وتناول الكلام لغيرهم على سبيل التبعية فهو كما اذا ظلمك انسان فقلت
 ألا لعنة الله على الظالمين كان ذلك الظالم أواميا أو مقصودا فى الدعاء والباقون تبعها (بنس
 ما اشتروا) أى باعوا (به أنفسهم) أى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا مميزة لفاعلى بنس
 المستمكن أى بنس الشئ شيئا اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم (أن يكفروا) أى كفرهم
 (بما أنزل الله) من القرآن (بغيا) أى حسدا وطلب الما ليس لهم وهو علة يكفروا كما قال
 البيضاوى دون اشتروا وان قاله الزمخشري لفصل المخصوص بين بغيا الذى هو العلة وبين
 الماعول وهو اشتروا وحسده على (أن ينزل الله من فضله) أى الوحي (على من يشاء) للرسالة

(من عباده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون نون ينزل وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (فبأوا) أي رجعوا (بغضب على غضب) أي مع غضب واختلاف في معنى ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي الأول كفرهم بعبادة العجل والثاني الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الأول بكفرهم بعميسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وللكافرين عذاب مهين) أي ذوا هانة بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن وغيره فيم سائر الكتب المنزلة (قالوا تؤمن بما أنزل علينا) أي التوراة يكفيننا ذلك (ويكفرون) الواو للحال (بما ورأه) أي بما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن استغنى وراء ذلك أي سواء وقال أبو عبيدة بعبادته أي من القرآن وقوله تعالى (وهو) أي ما ورأه (الحق) حال وقوله (مصدقاً لما معهم) أي من التوراة حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم كفر وبما يوافق التوراة فقد كفر وأما ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أي قتلتم (أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيتهم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل آبؤهم لرضاهم به وعزمهم عليه قرأ نافع وحده أنبياء الله بالهمز في كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش الا المذ فقط لانه متصل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي الآيات النسخ في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كالعصا واليد وقلق البحر (ثم اتخذتم العجل) أي الها (من بعده) أي من بعده هابه الى الميقات وقوله تعالى (وأنتم ظالمون) أي بالتخاذل حال أي اتخذتم العجل ظالمين لعبادته أو بالاخلال بآيات الله أو اعتراض أي وأنتم عادة تكم الظلم (وإذا أخذنا ميثاقكم) على العمل بما في التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حين امتنعتم من قبولها اليسقط عليكم وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي بجهد واجتهاد (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (فالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وقيل سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب قال أهل المعاني انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالآذان وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتباعا (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي خالط حبه قلوبهم كما يدخل الشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشرب كقوله تعالى اغمايا كالون في بطونهم نارا * (فائدة) قال البغوي في القصص ان موسى عليه السلام أمر أن يبرد العجل بالماء ثم يذر في النهر وأمر بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت محالة الذهب على شارب به (بكفرهم) أي بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا مجسمه أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فقد كن من قلوبهم ما سؤل لهم السامري (قل) لهم يا محمد (بئسما) أي شيا (يا أمركم به إيمانكم) بالتوراة عبادة العجل وإضافة الأمر الى إيمانهم ثم تكلم كما قال قوم شعيب أصلوا نك تأمركم وكذلك إضافة الإيمان اليهم في قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بعبادة العجل (قل) لهم (ان)

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) أي خاصة (من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم
 صادقين) في قولكم وذلك إن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم لن تمسنا النار إلا أياما
 معدودة ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو قولا لهم نحن أبناء الله وأحبناؤه فكذبهم الله عز وجل
 وأزهمهم الجنة فقال قل لهم يا محمد ذلك لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتغنى بسرعة
 الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبرر بن الجهم أنه رضى الله
 تعالى عنهم فقد كان على رضى الله تعالى عنه يطوف بين الصفيين في غلالة فقال له ابنه الحسن
 ما هكذا نرى المحاربين فقال له يا بني لا يسالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن
 حذيفة أنه كان يتغنى الموت فلما احتضر قال حبيب أي الموت جاء على فاقة أي وقت حاجق إليه
 وقيل بل أراد بالحبيب لقاء الله لا أفلم من ندم يعني على التني أراد به أنه كان يتغنى الموت وما ندم
 على التني حين جاء الموت وقال عمار بصفيين الآن ألقى الأحبة محمد وحزبه وكان كل واحد من
 العشرة يحب الموت ويحن إليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي
 إلا مات * (تنبيه) * خالصة نصها على الحال من الدار ومن الضمير خبر كان العائد إلى الدار
 وتعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قديم في الثاني (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من
 موجبات النار من الكفر بمعهد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع
 الكفر والعصيان ولما كانت البدع العامة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه
 ومنها أكثر منافعها عن النفس تارة كما هنا وعن القدرة أخرى كما في قوله تعالى يد الله
 فوق أيديهم وهذه الجملة أخبار بالغيب وكان أخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا (فان قلت)
 من أعلم أنهم لم يتمنوا (أجيب) بأنهم لو تمنوا النقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكن ناقولوه من
 أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الإسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك
 (فان قيل) التني من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علم أنهم لم يتمنوا
 (أجيب) بأن التني ليس من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه لم يلى كذا فإذا قاله
 قالوا تني وليت كلمة متق ومحال أن يقع التمني بما في الضمائر والقلوب ولو كان التني بالقلوب
 وتمنوا قالوا قد تمينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فان قيل) لم يقولوه لأنهم علموا أنهم
 لا يصدقون (أجيب) بأنه كم حكى عنهم من أشباه قائلوا يا المسلمين من الافتراء على الله
 وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا يحمل له إلا الكذب الصرف
 ولم يبالوا فكيف ينعون من أن يقولوا أن التني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن
 يكونوا صادقين في قولهم وأخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق
 مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خفي لا سبيل إلى الإطلاع عليه (والله أعلم بالظالمين) أي
 الكافرين فيجازيهم في ذلك فيه تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه
 عن هولاء (ولتحدثهم) اللام لام القسم والنون تأكيده القسم تقديره والله لتحدثهم يا محمد

أى اليهود (أحرص الناس على حياة) هو من وجد بعنى علم المتعدى الى مفعولين ومفعولاه
 هم أحرص (فان قيل) لم قال على حياة بالتذكير (أجيب) بأنه أريد حياة مخصوصة هي فرد
 من افرادها وهي الحياة المتطاوله (و) أحرص (من الذين أشركوا) أى المنكرين بالبعث عليها
 لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (فان قيل) ألم يدخل الذين أشركوا تحت
 الناس (أجيب) بيلي ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا
 لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانهم اجتمعهم فاذا زاد
 عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقرر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ (يؤذ) يتنى (أحدهم
 لوي عمر ألف سنة) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يؤذ يقول الله تعالى
 اليهود أحرص الناس على الحياة من الجحوس الذين يقولون ذلك لان تحية الجحوس فيما بينهم
 عش ألف سنة (وما هو) أى أحدهم (بمن حزنه) أى مبعده (من العذاب) أى النار وقوله تعالى
 (أن يعمر) فاعل من حزنه أى تعميره (والله بصير عما يعملون) فيجازيهم به * وسأل عبد الله بن
 صور يارسول الله صلى الله عليه وسلم عن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدو ناعادانا مزارا
 وأشدّها انه لما نزل على نبينا أخبرنا أن بيت المقدس سيخرب به بختنصر وأخبرنا بالحين الذى
 يجي فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من بنى اسرائيل فى طلبه لمقتله فانطلق حتى لقيه بيا بل غلاما
 مسكينا فأخذه لمقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره به لا كحكم فلا يسلطكم عليه
 والافتم تقتلونه وكبر بختنصر وقوى فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) روى انه كان
 لعمر رضى الله تعالى عنه أرض بأعلى المدينة وكان حمزة على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم
 ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحبينك وانا لنطمع فيك فقال والله ما أحبككم لحبكم
 ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لآزاد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم
 وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذلك عدو لنا يطلع محمد على اسرارنا وانه
 صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام أى السلامة فقال عمر
 وما منزلت ما من الله قالوا جبريل عن عيسى وميكائيل عن يساره وبينهم ماعداة فقال لئن كان
 كما تقولون فليسابعه دقين أى اقرب منزلتهما عند الله ولا تفتن أكفر من الجبر أى لان الكفر
 نتيجة الجهل والبلادة والحما مثل فيهما ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع
 فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال عليه الصلاة
 والسلام لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيته فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقال
 مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدو لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا ومعنى
 جبريل عبد الله فجبر هو الله وابل هو العبد وقرأ آية والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء
 مكسورة مدودة أى بعدها ياء انظمة وقرأ شعبة كذلك الا انه حذف الباء بعد الهمزة وكسر الراء
 والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الا ابن كثير فتح الجيم ومنع الصرف فيه
 لتعريف والعجبة (فانه) أى جبريل (نزله) أى القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى اضمار ما لا

يسبق ذكره فيه غفلة بشأن صاحبه حيث يجعل اقرب شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى
عن اسمه الصريح بذكره من صفاته (على قلبك) يا محمد وقوله تعالى (بإذن الله) أي بأمره حال
من فاعل نزل (مصدقاً) أي موافقاً (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدي) من الضلالة
(وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) هذه أحوال من مفعول نزل وجواب الشرط فانه نزل
والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربة الانصاف أو كفر بما معه من الكتب بعبادته ابالك
لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتاباً مصداقاً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علة مقامه أو
من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقبل الجواب محذوف مثل فليت غيظاً وفيه
عدوى وأنا عدوه كما قال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله
عدو للكافرين) والمراد بعبادة الله مخالفة عباداً ومعاداة المقربين من عباده وصدر الكلام
بذكره تعالى تفخيماً للشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه (فان قيل) لم أفرد
المليكين بالذكر مع دخولهما في الملائكة (أجيب) بأن ذلك لفضلهما فكا أنهم من جنس آخر
وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وبأن الحاجة كانت فيهما
والواو فيها بمعنى أو يعني من كان عدواً واحداً لا عدواً بالواحد كافر بالكل وقدم جبريل
لشرفه وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب
ونزولها ينزل الملائكة وتغريهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب قرأ أبو عمرو
وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع بهمزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة
والنبايون بهمزة بعد الالف وياهمهم على مراتبهم في المدة ونزل في ابن صوري لما قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية نأخذ فنتبعك (واقعد أنزلنا اليك)
يا محمد (آيات بينات) وأضحت مقصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها
الافاسقون) أي المتزددون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
أعظميته كأنه متجاوز عن حده (أو كلما عهدوا عهداً) الهمزة لان نكار والواو للعطف على
محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عهدوا الله عهداً على الايمان بالنبي أو ان خرج النبي
أن لا يعاونا عليه المشركين وقوله تعالى (نبذ) أي طرحه (فريق منهم) أي اليهودية نقضه
جواب كلامه هو محل الاستفهام الانكارى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض وقوله تعالى (بل)
للاعتقال (أكثرهم لا يؤمنون) رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وقوله تعالى (ولما جاءهم رسول
من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدقاً ما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين آمنوا
والكتب كتاب الله) أي التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفرهم بما يصدقه وبذلك
فيها من وجوب الايمان بالرسول المؤيد بالآيات وقبل كتاب الله هو القرآن نبذوه بعدما أئزهم
تأقيه بالقبول وقوله تعالى (ورأى ظهروهم) أي لم يعملوا بما فيها من الآيات بالرسول وغيره مثل
لا عراضهم عنه بالكلية بالاعراض عما يرى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كانهم لا يعلمون)
ما فيها من أنه نبي حق أو فيه شك يعني ان عالمهم بذلك رصين ولكنهم كبروا وعاندوا وعن سفيان

ادرجوه في الدياج والحري ورجلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وقوله تعالى
 (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتوا) أي ماتت (الشياطين) والعرب نضع المستقبل موضع
 الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلو أي تقرأ (علي) عهد (ملك سليمان)
 من السحر وكانت دفننه تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه
 وقالوا للناس انما ملككم سليمان به ذاقه لوه فأما علماء بني اسرائيل وصلحاهم فقالوا معاذ الله
 أن يكون هذا من علم سليمان عليه الصلاة والسلام وأما من فلاؤهم فقالوا هذا علم سليمان
 وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وبقيت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث
 الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي
 كانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره
 فيأتون الكهنة ويخاطبون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويحبرونهم بها فاكتب الناس
 ذلك وفسا في بني اسرائيل أن الحسن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
 فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا أسمع أن أحدا يقول إن الشياطين تعلم الغيب
 الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب
 وخلف من بعدهم خلف غافل شيطان على صورة انسان فألقى نقرام بن اسرائيل فقال هل
 أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحضروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم
 المكان وأقام ناحية فقالوا ادن فقال لا وليكن ههنا فان لم تجده فاقتلوني وذلك أنه لم يكن
 أحد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق ففجروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان
 إن سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفسا في الناس
 أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فذلك أكثر ما يوجد السحر
 في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك وأنزل تكديسا لمن زعم ذلك
 واتبعوا ماتوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) أي لم يعمل السحر وعبر عنه
 بالكفر ليدل على أنه كفر اذا استعمله أو احتج فيه الى تقدم اعتقاد كفر هذا مذهب الشافعي
 وعند أحمد يكفر مطلقا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه وقرأ
 ابن عامر وحزرة والكسائي بكسر النون من ولكن محققة ورفع نون الشياطين والباقيون نصب
 النون من ولكن مشددة ونصب نون الشياطين (يعاون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم
 واضلالهم والجملة حال من ضمير كفروا * (تنبيه) * السحر لغة صرف الشيء عن وجهه يقال
 ما سحر له عن كذا أي ما صرفك عنه واصطلاحا من اوله النفوس الخبيثة لا قوال وأفعال يترتب
 عليها أمور خارقة للعادة * واختلاف فيه هل هو تخيل أو حقيقة قال بالاول المعتزلة واستدلوا
 بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى وقال بالثاني أهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة
 الصحيحة والساحر قد يأتي بفعل أو قول يخبر به حال المسحور فيرض أو يموت منه ويفرق به
 بين المرء وزوجه ويحرم تعليمه أو تعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر السحر الا على يد فاسق ولا يظهر

الكرامة على يد فاسق ويحرم أيضا تعليم أو تعلم الكهانة والتجسيم والضرب بالرمل واللعن
والشعر والشعبذة ويحرم اعطاء العوض أو أخذها بالنص المصرح في حلوان الكاهن
والباقى بعنه والكاهن من يخبر بواسطة النجم عن الغيبات في المستقبل بخلاف العراف فانه
الذي يخبر عن الغيبات الواقعة كعين السارق ومكان السرور والصالاة قال في الروضة
ولا يفتخر بجهالة من يتعاطى الرمل وان نسب الى علم وأما الحديث الصحيح كان من الانبياء
يخطون وافتى خطه فذل القهنا من علمت موافقه له فلا بأس ونحن لانعلم الموافقة فلا يجوز لنا
ذلك وقول البيضاوى وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات كالادوية
أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحر اعل التجرؤ لما فيه من الدقة لانه أى السحر
في الاصل أى اللقمة لما خفي سببه مردود بل هو مذموم أى حرام كما صرح به النووي في الروضة
وغيرها وقوله تعالى (وما أنزل على الملكتين) عطف على السحر أى ويعاونهم ما أنزل على الملكتين
وقيل عطف على ماتن لولأى واتبعوا ما أنزل أى ما اله سماه وتعلمه من السحر فالانزال بمعنى
الالهام والتعليم قال البيضاوى وهما ملكان أنزلتا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا
بينه وبين المجنونة قال وما روى أى في كتب السير أنهم مامثلا بشمرين وركب فيهما الشهوة
فمعرضا لامرأة يقال لها زهرة فملتمعا على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلت
منهما فحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وخسلة أى الرمز أو ما روى لا يخفى على ذوى
البصائر اه قال شيخنا شيخ الاسلام زكريا بأن يقال عبر عن العقل والنفس المطمئنة بالملكين
وعن النفس الامارة بالسوء بالزهرة وعن مفارقة الموت بالصعود الى السماء وقيل هما رجلان
سما ملكين باعتبار صلاحهما وقيل ما أنزل نبي معطوف على ما كفر تكذيبا لله ودي هذه
القصة وقد طول البغوى في هذه القصة واعتمد ما رده البيضاوى وقال شيخنا المذكور عن
شيخه ابن جرير لها طرفا تفيد العلم بصحتها فقد رواها امر فوعة الامام أحمد وابن حبان والبيهقي
وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة والبيضاوى لما
استبعد ما روى ولم يطلع عليه قال ولعله الخ وقوله تعالى (يبابل) ظرف أحوال من الملكتين
أو الضمير في أنزل وهى بلاد فى سواد العراق وقوله تعالى (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان
للملكتين ومنع صرفهما للعلمية والعجبة ومن جعل ما فيها أنزل نافذة أبدا لهاروت وماروت من
الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض (وما يعلمان) أى الملكان (من أحد) أى أحدا ومن
صلة (حتى) ينجاه (ويقول) له (انما نحن فتنة) أى ابتلاء من الله تعالى للناس لمتحنهم بتعليمه
وأصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا أذبتهما بالنار لتمييز الجيد
من الردي وانما وحدا الفتنة لانها مصدر والمعادرات تفتى ولا تجمع (فلا تكفر) بتعليمه أى فلا
تعليمه معتقدا حله فتكفر على ما تقدم فان أبى الا لتعليم علماء قيل انهم يقولون انما نحن فتنة
فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدى فان أبى الا لتعليمه قال لانه انت هذا الرماد قبل عليه
فيخرج منه نور ساطع فى السماء فتلك المعرفة وينزل شئ اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه

وذلك غضب الله تعالى وعلى القول بأنهم أرباب فلا يعلمونه حتى يقولوا له انما نمتون ان فلا تكن
 مثلنا (فيعلمون منهم) الضمير لمدل عليه من أحد أي فستعلم النياس من المالكين (ما) أي
 سحرا (يفرقون به بين المرء وزوجه) بأن يغض كلا منهما في الآخر بسبب حيلة أو غش به كالنقش
 في العقد ويخوذ ذلك مما يحدث الله تعالى عنده الفراق انما لا منه لأن السحر له أثر في نفسه
 بدليل قوله تعالى (وما هم) أي السحرة (بضارين به) أي السحر (من أحد) أي أحدًا ومن صلة
 (الاباذن الله) أي ارادته لأن الأسباب غير مؤثرة بالذات بل بإرادته تعالى (ويتعلمون ما يضرهم)
 في الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر لأنهم يقصدون به العمل أولًا والعلم يجرى إلى العمل غالبًا
 (ولقد) اللام لام القسم (علوا) أي اليهود (الذم لام) الابتداء علقوا علموا عن العمل ومن
 موصولة (استراه) أي استبدل ما تلو الشياطين بكتاب الله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق)
 أي نصيب في الجنة (ولبئس ما) أي شيا (شروا) أي باعوا به أنفسهم أي الشارين أي حظها
 من الآخرة أن يتعلموه حيث أوجب لهم النار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون اليه من
 العذاب ما تعلموه (وقيل) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن لم يعمل بعلم كان كمن لم يعلم
 (ولو أنهم) أي اليهود (أمنوا) بالنبي والقرآن (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كنبذ كتاب الله
 تعالى وتباع السحر ويجواب لو محذوف أي لا يثبوا دل عليه (لثوبة) أي ثواب وهو مبتدأ
 واللام فيه للقسم وقوله تعالى (من عند الله خير) خبره أي خير مما اشتروا به أنفسهم
 (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله تعالى خير مما آثروه عليه فجهلهم الله تعالى لترك التدبر والعمل بالعلم
 (بأيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) أمر من المزاعاة وكانوا يقولون
 ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين وكانت كلمة يتسبون بها
 عبرانية أو سريانية وهو راعنا قالوا فيما بينهم كأنسب محمد أسرا فأعلنوا به الآن فكانوا يأتون
 ويقولون يا محمد راعنا وهم يعنون به ذلك المسبة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فقطن لها
 وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لن سمعتمني
 من أحد منكم يقولوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه فقالوا أولستم تقولون بها
 فأنزل الله تعالى النهي عن ذلك لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأمر راعنا هو في معناها وهو قوله تعالى (وقولوا انظرونا) أي انظر إلينا وقبل اسمع منا قاله مجاهد
 وقيل لا تعجل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع اليهود حيث قالوا
 سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجسدة حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه من قولكم راعنا
 (وللكافرين) أي الذين تمها ونوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) أي مؤلم وهو
 النار ونزل في تكذيب جمع من اليهود يظهر موتة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم
 الخير (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب) وقوله تعالى (ولا المشركين) أي من العرب عطف
 على أهل الكتاب ومن اللسان لأن الذين كفروا يحنس تحتهم نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله
 تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والموتة محبة الشيء مع غيبه ولذلك

تستعمل في كل منهما (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) فسر الخبير بالوحى والمعنى أنهم
يحسدونكم به وما يجبون أن ينزل عليكم من شئ منه وفسر بالعلم والنصرة والمراد به ما يعتم ذلك كما
قاله البضاوى ومن الاولى مزيدة اللام تبغراق ومن الثانية لا بداء الغاية (والله يختص برحمته)
أى بنبوته كما قاله على رضى الله تعالى عنه ومجاهدا وبالإسلام كما قاله ابن عباس ومقاتل (من يشاء)
ولا يشاء الاما تنقضه الحكمة ولا يجب عليه شئ وليس لأحد عليه حق (والله ذو الفضل) وهو
ابتداء احسانه بلائله وقوله تعالى (العظیم) فيه اشعار بأن اتیان النبوة والاسلام من الفضل
العظیم ويدل الاقل قوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا * ولما طعن السكفاري في النسخ وقالوا ان
محمد اياما مرأى صحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقوله الامن تلقاء نفسه يقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا كما أخبر الله تعالى بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما
أنت مفتر نزل (ما تنسخ من آية) فبين وجهه الحكمة في النسخ بهذه الآية والنسخ في اللغة
شيان أحدهما بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب الى كتاب
فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال
نسخت الشمس الظل أى ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا
وهو المراد من الآية وهذا على وجوه أحدها أن ثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية
للاقارب وآية عدة الوفاة بالحول والثاني أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم والثالث
أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى أن قومًا من الصحابة قاموا ليلة ليقرأ سورة فلم يذكر واسمها
الابسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال صلى الله عليه وسلم
تلك سورة وفعت بتلاوتها وأحكامها رقىل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها
تلاوة وحكمًا ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس
الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى أربعة أشهر
وعشر ومصابة الواحد للعشرة بمسابقة الاثنين قال البغوى والنسخ انما يعترض على الاوامر
والتواهي دون الاخبار اه والنسخ اصطلاحا رفع تعلق حكم شرعى بدليل شرعى ويقارن
التخصيص بأن التخصيص لا يرد الاعلى متعددا وبأنه غير مشروط بالنص بخلاف النسخ فيه
وبأنه يفيد عدم ارادة المخرج في الاصل والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستمر
وقرأ ابن عامر تنسخ بضم النون الاولى وكسر السين من أنسخ أى تأمر له أو جبريل بنسخها
والباقون بفتح النون والسين وما شرطية جزمة للنسخ منتصبة به على المفعولية (أو ننسأها)
أى نؤخرها فلا نزل حكمها ولا نرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بفتح النون الاولى وفتح السين وحمزة ساكنة بعد السين ولم يدل هذه الهمزة أحد من السبعة
وقرأ الباقون بضم النون وكسر السين ولا همزة بعد السين أى ننسأها أى نمنعها من قلبك وقال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهم ما نتركها لانسخها قال الله تعالى نسوا الله فانساهم أى تركوه فتركهم
وجواب الشرط (نأت بنجر منها) أى بما هو أضع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجركم وإن كان

كلام الله كله خيرا (أو مثلها) في التكليف والثواب والمنفعة وتكون الحكمة في تبديلها بغيرها
 الاختبار (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فيقدر على النسخ والالتيان بمثل المنسوخ وبما هو
 خير والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال إذا لصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
 المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
 الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر
 قد يضر في غيره واحتج بهم من منع النسخ بل بديل أو يبدل أنقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة
 فان النسخ هو المأني به بدلا والسنة ليست كذلك قال البيضاوي والكل ضعيف اذ قد
 يكون عدم الحكم والانتقل أصح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة ما أتى به الله واستدل بهذه
 الآية المعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازم الحدوث وأجاب أهل السنة
 بأنهم من عوارض الامور والمتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم لامن عوارض هذا المعنى
 وقوله تعالى (ألم تعلم) هنا وفيما تر خطاب لمكرى النسخ فالهمزة للانكار وقيل خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والمراد أتمته فالهمزة للتقرير (أن الله له ملك السموات والارض) يفعل
 فيها ما يشاء ويحكم ما يريد فهو مالك أموركم ويدبرها ويمجربها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم
 بما يشهدكم به من ناسخ ومنسوخ وهذا كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز
 النسخ وان ذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي) أي ولي يحفظكم ومن
 صله (ولانصير) ينزع عنكم عذابه وفرق بين الولي والنصير بأن الولي قد يضعف عن النصرة
 والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فينبغي سماعهم وخصوص من وجهه ونزل لمسأل أهل
 مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسعها لهم وأن يجعل الصفاد بها (أم تريدون أن تسألوا
 رسولكم كما سأل موسى) أي سأله قومه (من قبل) أي من قولهم له أن الله جهرة وقيل قالوا هل
 نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا أو اثنتا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا ونجزلنا
 أنهارا حتى تتبعك وقال عبد الله بن أمية لنؤمن لك حتى تأتي بكتاب فيه من الله رب العالمين
 الى ابن أمية اعلم اني أرسلت محمدا الى الناس وأم امام عادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه
 مالك الامور قادر على الاشياء كلها بأمر وينهي كما أراد وتقرعون بالسؤال كما اقترحت
 اليه ود على موسى عليه الصلاة والسلام واما منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح
 عليه (ومن يتبدل الكفر باليمان) أي يأخذ به بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح
 غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ الطريق الحق والسواء في الاصل الوسط وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم باظهاره عند الصاد حيث جاء وأدغمها الباؤون ونزل في نقر من اليهود قالوا
 لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمت فارجعوا الى ديننا
 فنحن أهدي سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت
 الله أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال
 حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالإسلام ديننا وبالقرآن

اماما وبالكعبة قبله وبالمؤمنين اخوانا ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال
 أصبتم الخير وأفلحتم ما (ود) أى غنى (كثير من أهل الكتاب) من اليهود (لو يردونكم)
 أى يردوكم يا معشر المؤمنين فلو مصدريه بمعنى ان فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ (من بعد
 انما نكتم كفارا) مر تدين وقوله (حسدا) مفعول له كأننا (من عند) أى من تلقاء (أنفسهم)
 أى لم يأمرهم الله بذلك وانما جعلهم عليه أنفسهم الخبيثة (من بعد ما تبين لهم) في التوراة
 (الحق) في شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم (فاعفوا) عنهم أى اتركوهم (واصفحوا) أى اعرضوا
 عنهم فلا تجازوهم وكان هذا قبل آية القتال ولهذا قال تعالى (حتى يأتي الله بأمره) فيهم من
 القتال وقد أذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا
 منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وابى النسخ جماعة من
 المفسرين والفقهاء واحتجوا بان الله تعالى لم يأمر بالعفو والصغ مطلقا وانما أمر به الى غاية
 وما بعد الغاية يخالف ما قبلها وما هذا سيده لا يكون من باب النسخ بل يكون الاول قد انقضت
 مدته والاخر يحتاج الى حكم آخر (أن الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام من الكفار
 وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على قوله فاعفوا كما أنه تعالى أمرهم بالصبر
 والمخالفة والجمالية بالعبادة والبر (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى طاعة كصلاة وصدقة
 (تجدوه) أى ثوابه (عند الله) فيجازيكم به (إن الله بما تعملون بصير) لا يصعب عنده عمل عامل
 (وقالوا) أى كثير من أهل الكتاب من اليهود والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كان هودا)
 جمع هابيد كعباد وعود (أو نصارى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظر وابتدى
 النبي صلى الله عليه وسلم أى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود ولادين الا دين اليهودية
 وقالت النصارى ان يدخل الجنة الا النصارى ولادين الا دين النصرانية فجمع الله بين القولين بقية
 بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنتم من اللباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل
 كل واحد منهم بالصاحبه ونحوه (تلك) أى القولة (أمانتهم) أى شهواتهم الباطلة التي تمسوها
 على الله تعالى بغير حق (قل) لهم يا محمد (ها أنزلناكم) أى جئكم على اختصاصكم بدخول
 الجنة (إن كنتم صادقين) في دعواكم اذ كل قول لا دليل عليه فهو غير صحيح وهذا
 مقص بل يقول لهم ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وتلك أمانتهم اعترض
 وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) أى انقاد
 لأمره وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة فغيره أولى (وهو محسن) في عمله وقيل مخلص
 وقيل مؤمن (فله أجره) أى ثواب عمله ثابته (عند ربه) لا يصعب ولا ينقص والجملة جواب
 من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها التضمنة بمعنى الشرط فيكون
 الرتبة قوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى
 يدخلها من أسلم فلا يحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله فله أجره عند ربه كلاما معطوفا
 على يدخلها من أسلم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة وما قدم نصارى نجران

على النبي صلى الله عليه وسلم أنَّهُم أجبار اليهود قناطر واحتي ارتفعت أصواتهم فقالت لهم
 اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء
 من الدين وكفروا بموسى والتوراة أنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء)
 أي يعتد به و~~كفروا بعيسى والانجيل~~ (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أي يعتد به
 و~~كفروا بموسى والتوراة~~ (وهم) أي الفريقان (يتلون الكتاب) أي المنزل عليهم وفي كتاب
 اليهود تصديق عيسى وفي كذب النصارى تصديق موسى والجملة حال وأل في الكتاب الجنس أي
 قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب (كذلك) أي كما قال هؤلاء (قال الذين لا يعلمون) كعبدة
 الاصنام والمعطلة وهم الذين لا يثبتون الصانع وقوله تعالى (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك أي
 قال كل ذي دين ليسوا على شيء وبجهم الله تعالى على المكابرة والتشبه بالجهال (فان قيل)
 لم وبجهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء (أجيب) بأنهم لم يقصدوا ذلك وإنما
 قصده كل فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه كما ترجع ان مالم ينسخ حق
 واجب القبول والعمل به * (تنبيه) * اذا وقف حجة وهشام على شيء فليهما أربعة وجوه
 السكون والروم والادغام والروم معه وسكن حجة قبل الهزيمة بخلاف عن خلاف في الوصل وأدغم
 أبو عمرو والكاف في القاف بخلاف عنه (فالله يحكم بينهم) أي بين الفرق الثلاثة وهم اليهود
 والنصارى والذين لا يعلمون (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين فيقسم لكل
 فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار
 وقرأ أبو عمرو ويحكم يسكون الميم عند الباء والاختلاف بخلاف عنه (ومن أظلم) أي لأحد أظلم
 (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل
 هذا عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في تعطيله وأنزل في أهل الروم الذين خربوا بيت
 المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابا إلى أن بناء المسلمون في أيام عمر بن
 الخطاب رضي الله تعالى عنه أوفى المشركين لما صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن
 البيت (فان قيل) قد قال مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت
 المقدس أو المسجد الحرام (أجيب) بأنه لا يمنع أن يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول
 لمن آذى صالحا ومن أظلم من آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمتروك فيه
 الاخس بن شريق (أو لئلك) أي المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي مساجد الله
 (الآخاتين) أي على حال التهيؤ وارتفاع الفرائض من المؤمنين أن يطشوا بهم فضلا ان
 يستولوا عليها ويخربوها وينع النبي صلى الله عليه وسلم عنها وقال قتادة لا يوجد نصراني
 في بيت المقدس الا انهم ضربوا بأبلغ اليه في العقوبة وروى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من
 النصارى الا متكررا مسارقة وقبل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يجتري بعد هذا العام
 مشرك ولا يظوفني بالبيت عريان وقيل ان هذا خبر بمعنى الامر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها
 أحد آمننا واختلف في جواز دخول الكافر المسجد فجوز أبو حنيفة ومنعه مالك وفرق

الشافعي بين المسجد الحرام وغيره فنع من الأول وجوز في الثاني بشرط اذن المسلم والحاجة
 وغلظ ورش اللام من أظلم بعد الظلم (لهم في الدنيا خزي) أي هوان بالقتل والسبي والجزية
 (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يكفرهم وظلمهم وهو النار ونزل لما عبرت اليه ود المؤمنين في نسخ
 القبلة وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هذا وتارة هذا كما قاله عكرمة أوفي صلاة
 الساقطة على الرحلة في السفر حيثما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر (ولله المشرق والمغرب)
 أي ناحيتا الارض أي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعهم أن تصالوا
 في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض كلها مسجدا (فأينما تولوا) وجوهكم أي
 جهة وهو الصدر في الصلاة (فتم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقال الكلبي فتم
 الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه أي الا هو (ان الله واسع) أي
 غني يعطي من السعة يسع فضله كل شيء (عليم) بتدبير خلقه ونزل لما قالت لليهود وعزير ابن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (وقالوا اتخذ الله ولدا)
 فقال الله تعالى وذا عليهم (سبحانه) تنزيها له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء
 وقرأ ابن عامر قالوا بغبروا وقبل القاف والباقون بالواو وقبل القاف (بل له ما في السموات
 والارض) ملكا وخلقاً ومن جملة ذلك العزيز والمسيح والملائكة والملكية تنافي الولادة وغير
 بما تغلب المالا يعل لكثرة (كل له قاتنون) أي منقادون كل تبار ادمنه لا يتبعون عن مشيئته
 وتكوينه وفي ذلك تغليب للعقل لشرفه والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه الاول
 قوله سبحانه والثاني قوله بل له ما في السموات والارض والثالث كل له قاتنون واحتج بها الفقهاء
 على أن من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفي الولد بابنات الملك وذلك يقتضي تنافيهما (بديع
 السموات والارض) أي موجد هما لا على مثال سبق وهذا وجه رابع يشعر بفساد ما قالوه
 أيضا لان الوالد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها
 فاعل على الاطلاق منزوع عن الصفات فلا يكون والدا (واذا قضى أمرا) أي أواد ايجاد شيء
 وأصل القضاء اتمام الشيء قولاً كان كقوله تعالى وقضى ربك أو فاعلا كقوله تعالى
 فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعليق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجب
 (فانما يقول له كن فيكون) وهذا مجاز من الكلام وتمثيل وانما المعنى أن ما قضاة
 من الامور وأراد كونه فانما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور
 المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الابهاء وفيه تقرير لمعنى الابداع
 دائما وهذا وجه خامس يشعر بفساد ما قالوه أيضا لان اتخاذ الولد بما يكون بأطوار ومهلة
 ونفع له تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر بنصب النون من يكون جوا باللام والباقون
 بالرفع على معنى فهو يكون (فان قيل) المعلوم لا يحتاج (أجيب) بأنه لما قدر وجوده
 وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصع خطابه (وقال الذين لا يعلمون) للنبي صلى الله عليه
 وسلم وهم اليهود كما قاله ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد ومشركو العرب كما قاله

فتادة وثق عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا) أى هلا (يكلمنا الله) كما يكلم الملائكة أو يوحى
 اليها بأمر رسولهم (أو تأتينا آية) أى علامة مما اقترحناه على صدقك (كذلك) أى كما قال هؤلاء
 (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لا تنبأ بهم (مثل قولهم) من التعت وتطلب
 الآيات فقالوا أرننا الله جهرة وهل يستطيع ربك أن ينزل علينا ما نأمن من السماء (تشابهت
 قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في الكفر والعناد وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) الحقائق ولا يعترفون بشبهة ولا عناد وفيه إشارة الى أنهم قالوا
 ذلك لا لخلقنا في الآيات أو لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق)
 أى القرآن كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو الاسلام وشرائعهم كما قاله
 ابن كيسان قال تعالى وقل جاء الحق (بشيرا) أى مبشرا من أجاب الى ذلك بالجنة (ونذيرا)
 أى منذرا من لم يجب اليه بالنار أى انما أرسلناك لان تبشر وتذير لا تخير الناس على الايمان
 وهذه تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يغم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم
 على الكفر (ولا تستل عن أصحاب الجحيم) أى النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا بعد أن نمت
 وبلغت جهنم في دعوتهم كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأنا فاع تسأل
 بفتح التاء وسكون اللام على النبي قال عطاء عن ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية فنهى عن السؤال عن أحوال
 الكفرة والاهتمام بأعداء الله تعالى لكن الخبر ضعيف والمختار انه نزل في كفار أهل
 الكتاب وقرأ الباقر بن بضم التاء واللام على النبي أى وأستعسول عنهم كما قال تعالى فانما
 عليك البلاغ وعلينا الحساب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أى دينهم
 أى لن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفي هذا مبالغة في اقاطه
 صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا يسألونه الهدنة ويطلبونه انه ان أمهلهم اتبعوه
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته قال
 الميضاوى ولعلمهم قالوا مثل ذلك فيكى الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال (قل) تعليما للجواب
 (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى هو الذى يصح أن يسمى هدى وهو الهدى
 كما ليس وراءه هدى وما يدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو أهواء (ألا ترى الى قوله تعالى
 (ولئن) اللام لام القسم (اتبع أهواءهم) أى آراءهم الزائفة التى يدعونك اليها الخطاب معه
 صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمتة كقوله تعالى لن أشركك ليحبطن عملك (بعد الذى جاءك
 من العلم) أى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة (مالك من الله من ولى) يحفظك
 (ولا نصير) يعينك منه ونزل في جماعة من أهل الكتاب قدموا من الحبشة وأسلموا (الذين آتيناهم
 الكتاب) وهو مبتدا (يتلونه حق تلاوته) أى يعرفونه كما أنزل لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
 من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة حال مقدرة وحق نصب على المصدر والخبر (أولئك
 يؤمنون به) أى بكتابتهم دون المحرفين (ومن يكفر به) أى بالكتاب الموثق بأن يحرفه (فأولئك

هم الناسرون) اصيرهم الى النار الموقدة عليهم * ولما صدر قصة بني اسرائيل بالا مريد ذكر النعم
 والثناء بحقوقها والحمد لذر عن اضاءتها والخوف من الساعة وأحوالها في قوله تعالى يا بني
 اسرائيل اذ كروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي الخ كرز ذلك بقوله تعالى (يا بني
 اسرائيل اذ كروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانهم -
 (أتقوا) أي خافوا (يوما لا يحصى) أي لا تغني (نفس عن نفس) فيه (شيأ ولا يقبل منها عدل)
 أي فداء (ولا تنفعها شناعة ولا هم يصرون) أي ينعون من عذاب الله وختم بالمكسر الكلام
 معهم مبالغة في النصيحة (تنبيه) «اتقوا» القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير (و) اذ كروا
 (اذ ابتلى) أي اختبر (ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر وفوائده ابتلاء الله العباد ليس يعلم
 أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا واختلقوا
 في الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها ابراهيم عليه اله لاله والسلام فقال عكرمة عن ابن عباس هي
 ثلاثون من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين
 والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وفي سأل سائل الى
 قوله تعالى والذين هم بشهادتهم قائمون وقال طاووس عن ابن عباس ابتلاء الله تعالى بعشرة أشياء
 هي الفطرة خمس في الرأس أي الشامل للوجه قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسؤال
 وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار وتنف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء
 وفي الخبر ان ابراهيم أقول من قص الشارب وأقول من اختتن وأقول من قلم الاظفار وأقول من
 رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال الوفا قال يا رب زدني وقارا وقال قتادة هي مناسك
 الحج أي فرائضه وسننه كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرها وقال الحسن
 ابتلاءه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر
 عليها وبالختان فبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها وقال مجاهد هي الآيات التي بعدها في قوله
 تعالى اني جاعلك للناس اماما الى آخر القصة وقرأ ابن عامر ابراهيم بفتح الهاء وألف بعدها جميع
 ما في هذه السورة وهي خمسة عشر حرفا وفي النساء ثلاثة أحرف وهي الاخيرة وفي الانعام
 الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم
 ثلاثة أحرف وفي العنكبوت حرف وفي الشورى حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف
 وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفا وقرأ ابن ذكوان
 في البقرة خاصة بالوجهين وابراهيم اسم أعجمي ولذلك كان غير منصرف وهو ابن آزر كما
 في سورة الانعام وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقيل بابل وقيل حران ولكن نقله أبوه
 الى بابل أرض نمرود بن كنعان والضمير في ربه لابراهيم وحسن لتقديمه لفظا وان تأخر رتبة لأن
 الشرط تقدمه لفظا وأرتبة (فأعتهن) أي أداهن تامات وقام بها حق القيام لقوله وابراهيم الذي
 وفي (قال اني جاعلك للناس اماما) يقتدي بك في الخير وجاءل من جعل الذي له مقعولان والامام
 اسم من يقر به وامامة ابراهيم عاقمة مؤبدة اذ لم يبعث من بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا

بالتبعية (قال) ابراهيم صلى الله عليه وسلم (ومن ذريتي) أى أولادى اجعل أئمة يقتدى بهم في
الخير (قال) الله تعالى (لا ينال) أى لا يصيب (عهدي) بالامامة (الظالمين) منهم ففي ذلك اجابة الى
مطلوبه وتنبية على انه قد يكون من ذرية مظللة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله تعالى
وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة والاتباع منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكبر قبل النبوة وأن الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تحب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وقرأ حفص وحزرة عهدي بسكون الياء وقتعها
الباقون ومن سكن الياء أسقطها في الوصل لفظا لانتفاء الساكنين (وم اذكر) (اذ جعلنا البيت)
أى الكعبة غلب عليها كالنجمة على الثريا وأدغم أبو عمرو وهشام ذال اذ في الجيم وأظهرها
الباقون (مثابة) أى مرجعا (للناس) من الخراج والعمار وغيرهم يشوبون اليه من كل جانب
(وأمننا) أى آمنناهم من الظلم وايداء المشركين والاعارة الواقعة في غيره قال تعالى أولم يروا
اننا جعلنا حرمنا آمنا ويتخطف الناس من حولهم كان الخاني يأوى اليه فلا يترضى له حتى يخرج
وهذا على طريق الحكم لا على وجه الخبر فقط فلا ينافي ذلك الوقوع قال القاضي أبو يعلى وصف
البيت بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في
الكعبة ولا في المسجد الحرام (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وهذا امر استحباب ومقامه
الحجر وهو بفتح الحاء والجيم الذى فيه أثر قدميه كان يقوم عليه عند بناء البيت أو عند دعاء الناس
الى الحج وهو موضعه اليوم روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا تتخذ مصلى فقال لم أو مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن ابن عباس انه قال
قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وافقت الله تعالى في ثلاث ووافقت ربي في ثلاث فقلت
يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فأترل الله تعالى هذه الآية وقلت يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر لو أمرت أمتهات المؤمنين بالحجاب فأترل الله تعالى آية الحجاب قال وبلغنى
معانة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن وقلت لهن ان اتهمتن أو لبيدن الله
تعالى لرسوله خيرا منكن فأترل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدلهن أزواجا خيرا منكن وفى
الخير الركن والمقام يا قوتسان من بواقيت الجنة ولولا ما سمعها من أيدي المشركين لاضاء تاما بين
المشرق والمغرب وقيل المراد بالتخذ والخالج الامر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبه ما قولان أرجحهما عدم الوجوب وقيل مقام ابراهيم الحرم
كاه وقيل مواقف الحج واتخذاه مصلى أن يدعى فيها ويقترب الى الله تعالى * (تنبيه) * من فى
من مقام ابراهيم لتبعية (وقيل) بمعنى فى وقيل زائدة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء
باقظ الماضى عطف على جعلنا أى واتخذ الناس من مقام ابراهيم مصلى والباقيون بكسر هاء باقظ
الامر (وعهدنا) أى أمرنا (الى ابراهيم واسماعيل) قيل سمى به لأن ابراهيم كان يدعو الله أن
يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن) أى بأن (طهرايتي)

من الاوثان والانجاس وما لا يليق به أو اخلاصه (لنظائفين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده
 او المعتكفين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقرأ نافع وهشام
 وحفص يفتح الياء والباقون بالسكون (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
 أى مكة أو الحرم (بلدا آمنا) أى إذا آمن كقوله تعالى فى عيشة راضية أو آمنا أهله كقول
 القائل ليل نائم (وارزق أهله من الثمرات) انما عاد بذلك لانه كان بواد غير ذى زرع وفى
 القصص ان الطائف كانت من مداثر الشام باردن فلما دعا ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى
 جبريل عليه الصلاة والسلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها
 موضعها الآن فنها كثر غرات مكة وقوله تعالى (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من
 أهله فاس ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيده بالمؤمن كما قدرت
 به (قال) تعالى (و) أرزق (من كفر) لأن الرزق رحمة ذنوبية تعم المؤمن والكافر بخلاف
 الامامة والتقدم فى الدين (فأمتعته) فى الدنيا بالرزق وقرأ ابن عامر بسكون الميم وتخفيف
 التاء والباقون بفتح الميم وتشديد التاء وأما الهمزة بعد الالف فالجميع انفقوا على ضمها (قليل)
 أى مدة حياته والكفروان لم يكن يسبب التمتع لكنه يسبب تقديله بأن يجعه له مقصورا بمخلوط
 الدنيا غير متوصل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره) أى أبلجته فى الآخرة
 (الى عذاب النار) فلا يجده عنها محيصا (وبئس المصير) أى المرجع والمخصوص بالذم محذوف
 وهو العذاب قال مجاهد وجد عند المقام أنا لله ذوبكة أى صاحبها صنعت يوم خلقت الشمس
 والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة أملاك حنفاء بآتيها رزقها
 مباركة لاهلها فى اللحم والماء (و) اذكر (اذ رفع ابراهيم القواعد) أى الاسس والحدود
 (من البيت) حكاية حال ماضية كأنه قال اذكر ان يرفع (فان قلت) وأى فرق بين العبارتين
 (أجيب) بأن فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد
 الابهام من تفخيم شأن المبين وقوله تعالى (واسمعيل) عطف على ابراهيم يقولان يا ربنا
 نقبل منك) بناءنا (أنك أنت السميع) للقول فتسمع دعاءنا (العليم) بالفعل فنعلم بنياتنا روت الرواة
 ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بألثى عام فكانت زبدة بيضاء على الماء فحدثت
 الارض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأُنزل
 الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب
 غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى
 وتصلى عنده كما يصلى حول عرشى وأنزل الحجر الاسود وكان أبيض فاسود من لمس الحبيص فى
 الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله تعالى له ملكا يدله
 على البيت فخرج البيت وأقام المناسك قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة
 على رجله فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل
 يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبا الحجر الاسود فى

جبل أبي قبيس صيانه من الفرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى أمر
 ابراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكرفيه اسمه تعالى فسأل الله عز وجل أن يبين له
 موضعه قال ابن عباس فبعث الله له مهاجرة على قدر الكعبة فجعلت تسير و ابراهيم عشي في ظلها
 الى ان وافت به مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها ابراهيم أن ابن علي ظلها ولا ترد
 ولا تنقص وقيل أرسل الله تعالى جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى واذنونا
 لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل بناؤه الجارة
 ولما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب قال
 ابن عباس بنى البيت من خمسة أجبسل طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشأم
 والحدودى وهو جبل بالجزيرة زبينا فواءعه من جبل حرا وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى
 موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأناؤه بحجر فقال ائتني
 بأحسن من هذا فضى اسمعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها
 فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل أقول من بنى الكعبة آدم ثم اندرس من الطوفان ثم
 أظهره الله تعالى لابراهيم حتى بناه وقيل بنه الملائكة قبل آدم وقد بنى الى يومنا هذا سبع مرات
 المرة الاولى هل كان الباني الملائكة أو آدم ثم ابراهيم ثم العماقة ثم جرهم ثم قريش وقد
 حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان ينقل معهم الجارة ثم ابن الزبير في خلافته
 ثم الحجاج الثقفي وهو الموجود اليوم (ربنا واجعلنا مسابين) أى متقادين مخلصين خاضعين
 (لك) والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان (و) اجعل (من ذريتنا) أى أولادنا (أمة)
 أى جماعة (مسلمة) خاضعة منقادة (لك) ومن للتبعيض أى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا
 الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشقة ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم الاتباع الا ترى أن
 المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كفوا على السداد كيف يتسبيون لسداد من وراءهم وخصا
 بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فعلم ان فى ذريتهما ظلمة وأن الحكمة الالهية
 لاتقضى اتفاق الناس كلهم على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه مما يشوش
 المعاش ولذلك قيل لولا الحق الذين صرفوا أنفسهم الى الدنيا لخربت الدنيا ويصح أن تكون
 من التبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا ومنكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف وهو
 واو ومن والمعطوف وهو أمة كما فى قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وقيل أراد
 بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنا) علمنا (مناسكا) شرائع ديننا واعلام حجتنا والنسك فى
 الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصمد والتمتع باللباس
 وغيره والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما وبعث لهما جبريل عليه السلام فأراهما
 المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمى الوقت عرفة والموضع
 عرفات وقرأ ابن كثير والسوسى أن ربنا يسكون الرأ وقرأ الدورى عن أبي عمرو باختلاس حركة
 والرأ والباقون بالحركة الكاملة (وتب علينا) سأله التوبة مع عصمته مما هضمنا لانفسهم ما

وارشاد الذريتينهما أولما سلف منهما هو اقبل النبوة (أنت أنت التواب) لمن تاب (الرحيم) به
(ربنا وابتع فيهم) أي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل (رسولانهم) أي من أنفسهم
روى انه قيل له قد استحيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذ لم
يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يأت نبي من ولد إسماعيل الا النبي صلى الله عليه
وسلم والمكمل من ولد اسحق فهو الحجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان آدم لم يخلد في طينته وسأخبركم بأول أمرى انادعوة أبي إبراهيم
وبشرى عيسى وروى أئمتي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت له قصور الشام
وأراد بدعوة إبراهيم هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ككل الانبياء من بني اسرائيل
الا عشرة نوح وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب
ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين (يتلو) أي يقرأ (عليهم آياتك) القرآن ويلغهم ما يوحى
اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي ما تكمل به
نقوسهم من المعارف والاحكام وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى
يجمعهما وقال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظمتك أودعتك الى مكرمة أو هنئتك عن قبيح فهي
حكمة وقيل هي فهم القرآن وقيل الفقه في الدين وقيل السنة (ويزكيهم) أي يطرهم من
الشرك وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا هم للانبياء بالتبليغ والتعديل (أنت
أنت العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل هو الذي لا يوبد منه وقيل هو المنيع
الذي لا تتأله الايدي ولا يصل اليه شيء (الحكيم) في صنعه (ومن) أي لا (يرغب) أحد (عن مله
إبراهيم) فيتركها الظهورها ووضوحها (الامن سفة نفسه) أي جهل أنهم مخلوق لله تعالى
يجب عليه عبادته وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما
قد علمنا ان الله عز وجل قال في التوراة اني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد في آمن به فقد
اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبي مهاجرا أن يسلم فأ نزل الله تعالى هذه الآية
قوله البضاوى وغيره قال الاسيوطي لم أقف على ذلك في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير
المسندة والمثبت مقدم على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله أوحى
الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك واعرفني فقال يا رب كيف اعرف نفسي وأعرفك
فأوحى الله تعالى اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والبقاء وهذا معنى
من عرف نفسه فقد عرف ربه (ولقد اصطفيناك) أي اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلة
(وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى وفي هذا حجة وبيان لخطا من
رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين وكان مشهودا بالاستقامة والصلاح يوم
القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه أو متسفة أدل نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر (تنبيه) قال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناك في الدنيا
والآخرة وانه لمن الصالحين وقوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) اما نظرف

لاصطفيناه أى اخترناه فى ذلك الوقت وأما منصوب بأضمار اذكر كأنه قال اذكر ذلك الوقت ليعلم
 انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
 السر حين دعاه ربه فكانه قال له كما قال عطاء أسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض أمرك اليه
 قال أسلمت أى فوضت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد
 من الملائكة حين أتى فى النار (ووصى بها) أى بالمال المتقدّم ذكرها وأبأسلمت على تأويل
 الكلمة أو الجمل وقيل بكلمة الاخلاص وهى لاله الا الله وقرأ نافع وابن عامر وأوصى بسكون
 الواو الثانية وهزمة مفتوحة بين الواوين والباقون بواوين مفتوحتين ولاهزمة بينهما وهذا
 أبليغ قال الزجاج لأن أوصى يصدر بالمرة الواحدة ووصى لا يكون الا مرات كثيرة وأمال
 ورش بين بين وجره والكسافى محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (ابراهيم بنه) قال مقاتل وهم
 أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقد ذكر غير مقاتل انهم ثمانية وقيل أربعة
 عشر (و) وصى بها أيضا (يعقوب) بنه وهم اثنا عشر روييل وشمعون ولوا ويهوذا
 ويشئوخور وزبوليون وودان ويقتوفى وكودا وأوشير وبنامين ويوسف وسمى
 بذلك لانه والعص ككانا توأمين فتقدم عيص فى الخروج من بطن أمته وخرج يعقوب عقبه
 وقوله تعالى (يا بئى) على اضممار القول عند البصر بين متعلق بوصى عند الكوفيين (ان الله
 اصطفى لكم الدين) أى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى (فلا تعوتن الاوائتم
 مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه الى مصادفة الموت وعن الفضيل بن عياض
 انه قال الاوائتم مسلمون أى محسنون بربكم الظن لما روى جابر رضى الله عنه انه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحد الا وهو يحسن الظن بربه
 * ولما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنه باليهودية
 نزل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين وقول الاسيوطى لم أقف
 على ذلك فيه مأمّر (اذ حضر يعقوب الموت) أى حين احتضر وقرأ نافع وابن كثير وأبوهر و
 بتخفيف الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى (اذ) بدل
 من اذ قبله (قال ابنه ما تعبدون من بعدى) أى بعد موتى أى أى شئ تعبدونه وأراد به
 تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات فليس الاستفهام على حقيقة قال
 عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الموت والحياة فلما أخبر يعقوب قال أنظرنى حتى
 أسأل ولدى وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضرا جلى فانتعبدون
 من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك) وقوله تعالى (ابراهيم واسماعيل واسحق) عطف بيان
 لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جله آباءه تغليب الاب اسحق والجد ابراهيم أولان الم
 أب والخالة أم لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة
 والسلام عم الرجل صنواً بيه أى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوا النخلة وقال فى العباس
 هذا بقية آباءى وقال ردو اعلى أبى فانى أخشى ان تفعل بى قريش ما فعلت ثقيف بعروة بر

مسعود وقوله تعالى (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالنصية ناصية كاذبة
وقوله تعالى (ويحني له مسلمون) حال من فاعل نعبداً أو من مفعوله أو منهم ما وأم منقطعة ومعنى
الهمزة فيه اللانكار أي لم يحضروه وقت موته فكيف ينسبون اليه ما لا يليق به أو متصلة
بمعدوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك
وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقوله تعالى (تلك) مبتدأ والاشارة الى الامة
المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون وأنث لتأنيث خبره وهو (أمة قد
خات) أي سلفت وقوله تعالى (لها ما كسبت) أي من العمل جزاؤه استئناف (ولكم)
الخطاب لليهود (ما كسبتهم) والمعنى ان أحد لا ينفعه كسب غيره مة قدما كان أو متأخرا فكذا
ان أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما كسبتهم وذلك انهم اقتضوا
بأوائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باءالهم وتأوني
بانسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيدي لما قبلها
(وقالوا) أي أهل الكتاب (كونوا هودا أو نصارى) أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى فأول التفصيل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في رؤسهم وود المدينة
وفي نصارى نجران وذلك انهم خاصوا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها أحق بدين فقالت اليهود
نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى
والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل أفضل
الكتب وديننا أفضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل من الفريقين
للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك وقوله تعالى (تمتدوا) جواب الامر وهو كونوا قال الله
تعالى (قل) لهم يا محمد (بل) تتبع (ملة ابراهيم) وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كأنه يقول
اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على ملة ابراهيم خذف على فصار منصوبا وقوله تعالى
(حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجهه هذفاً لکن هذا جرح حقيقة وملة كالجزء
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وقوله تعالى (وما كان من المشركين) تعريض
لاهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا آمنا بالله)
خطاب للمؤمنين بقول الكشاف ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أي قولوا لتكونوا على
الحق والافتاتم على الباطل وكذلك قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على تأويل اتبعوا
ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته يرده قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما أنزل الينا) أي
من القرآن وانما قدم ذكره لانه أول الكتب بالنسبة الينا ولانه سبب للايمان بغيره (وما أنزل
الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسمعي واسحق ويعقوب والاسباط) جمع سبط وهو الحافد
وكان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حفدة
يعقوب أو أبناءه وذرايرهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (فان قيل) الصحف انما أنزلت على
ابراهيم (أجيب) بأنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها كانت أيضا منزلة

اليهم كما أن القرآن منزل النبا (وما أوتي موسى) من التوراة (و) ما أوتي (عيسى) من الانجيل (فان قيل) لم أفرد التوراة والانجيل بحكم أبلغ وهو الاتباع لانه أبلغ من الانزال لكونه مقصودا منه ولم يقل والاسباط وموسى وعيسى (أجيب) بأن أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما فلهذا أفردنا بالذكر (وما أوتي) أى أعطى (النيون) أى المذكورون (من ربهم) من الكتب والآيات وقرأنا نافع بالهمزة والباء قون بالياء ولورش في الهمز المذات والتوسط والقصر (لأن فرق بين أحد منهم) كاليهود والنصارى فنؤمن ببعض ونكفر ببعض بل نؤمن بجميعهم (فان قيل) كيف صح اضافته بين الى أحد وهو مفرد (أجيب) بأنه في معنى الجماعة وعلة السعد التقارنى بأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث قال ويستترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير موجب (ونحن له) أى الله (مسلمون) أى مدعون أى مخلصون روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية وقوله تعالى (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التمجيز والنبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام قال تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وأما ان مثل صله أى آمنوا بما آمنتم به كقوله تعالى ليس كمثل شيء أى ليس كهوشى وكفى في قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله أى عليه وقيل الباء صلة كفى في قوله تعالى وهزى اليك يجذع النخلة وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى أعرضوا عن الايمان به (فانما هم في شقاق) أى في خلاف ومنازعة معكم يقال شاق مشاقة اذا حالف كان كل واحد من المتخالفين يحرص على كل ما يشق على صاحبه (فسيكفيكم الله) يا محمد شقا قهم في ذلك تسليمة وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من عاداهم وقد كفاهم اياهم يقتل بنى قريظة ونفى بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقوله تعالى (وهو السميع العليم) اما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة وأما وعيد المعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ولا مانع من حمل الكلام على الوعد والوعيد معا (صبغة الله) أى دينه الذى فطر الناس عليه بظهور أثره على صاحبه كالصبغ للثوب أو المشكاة فان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولدوا على دينه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودية ويقولون هو طهير لهم مكان الختان فاذا نزعوا به ذلك قالوا الآن صار نصرايا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا اللهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لأمثل صبغتكم وطهرنا به تطهير لأمثل تطهيركم وأيقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولا نصبغ صبغتكم وهو صدموك ولا مئنا ونصبه بفعل مقدر أى صبغنا الله تعالى وقيل نصب على البدل من مله ابراهيم وقيل نصب على الاعراء (ومن) أى لأحد (أحسن

من الله صبغة) أي لاصبغة أحسن من صبغته أي لادين أحسن من دينه وصبغة تميز وقوله
 تعالى (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله قال الزمخشري وهذا العطف برّد قول من زعم
 أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمافيّه من فلك
 النظم وأخراج الكلام عن التمام وناسقه واتصافه على أنهم مصدر ومؤكده الذي ذكره
 سيبويه والقول ما قالت حسّام اه نعم إن قدر قولوا في ونحن له عابدون معطوفاً على الزموا
 بتقدير الإغراء أو اتبعوا ملة إبراهيم بتقدير البدل لم يلزم ما قاله ولما قالت اليهود للمسلمين نحن
 أهل الكتاب الأول وقبلنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب لأنهم عبدة الأوثان ولو كان محمد
 نبيا لكان منا لأننا أهل الكتاب نزل (قل) لهم (أتحاجوننا) أي تجادلوننا أو تحاصروننا
 (في الله) أي في شأنه أن اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم ويقولون لو أنزل
 الله على أحد لانزل علينا وترون أنكم أحق بالنبوة معنا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا
 في أشعباداه وهو يصيب برحمة وكرامته من يشأ من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به بعمى
 دون عربي إذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا) فنجازيها (واسم أعمالكم) فنجازون
 بها أي كما أن لكم أعمالا لا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فحقن كذلك فالعمل هو أساس
 الإضروبه العبرة (ونحن له مخلصون) في الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء فلا
 تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة والهمزة للانكار والجل الثلاث أحوال
 وقرأ أبو عمرو وبادغام النون في اللام بخلاف عنه وله فيه الروم والاشتماء وقوله تعالى (أم يقولون)
 قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحزرة والكسائي بالياء والباقيون بالياء على الغيبة فعلى القراءة
 الثانية أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى القراءة الأولى يحتمل أن تكون معادلة للهمزة
 في أتحاجوننا بمعنى أي الأمورين تأتون المحاجة وادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء في قولكم
 (إن إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل) لهم يا محمد (أأنتم
 أعلم أم الله) الله أعلم وقد نفي الله تعالى الأمرين عن إبراهيم بقوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا
 ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وأحجّ تعالى على ذلك بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والإنجيل
 إلا من بعده والمذكورون معه تبع له فهم اتباعه في الدين وفاقا (ومن) أي لا أحد (أظلم منكم)
 أي أخفى عن الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) أي شهادة الله تعالى لإبراهيم بالحنيفية
 والبراءة عن اليهودية والنصرانية وهم أهل الكتاب لأنهم كتبوا هذه الشهادة وكتبوا شهادة الله
 تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله أي شهادة
 كائنة من الله في الله صفة لشهادة وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم وقوله
 تعالى (تلك أمة قد خلت أهيأما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تنكير
 للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاعتكال عليهم وقيل
 الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم رقيب المراد بالامة في الأول
 الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء) أي الجهال الذين خفت

أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كراهتهم التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ
(ما ولاهم) أى اى شئ صرف النبي والمؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) وهى بيت المقدس
وقيل هم المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا قد تردد على محمد
أمره واشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم والاتبان بالسبب الدالة على
الاستقبال من الاخبار بالغيب (فان قيل) ما فائدة الاخبار بذلك قبل وقوعه (أجيب) بأن
فائدته توطئ النفس واعداد الجواب فان مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد عن
الاضطراب اذا وقع وقيل الرضى يرأس السهم والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان
مأخوذة من الاستقبال وصارت عرفا لله كان المتوجه نحو الصلاة قال الله تعالى (قل)
لهم يا محمد (لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها ملكا وخلق عبده لا يختص به مكان دون
مكان بخاصة ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وانما العبرة بامثال أمره لا بخصوص المكان فى أمر
بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى ضراط) أى طريق
(مستقيم) وهو ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من توجيههم نارة الى بيت المقدس وأخرى الى
الكعبة وقوله تعالى (وكذلك) الكاف فيه للتشبيه أى كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم
(جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أى خيارا عدولا قال تعالى قال أوسطهم أى خيرهم
وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها لا افراطها ولا تفريطها لان الافراط المجاوزة لما لا ينسفى
والتفريط التقصير عما ينبغي كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور وهو الوقوع
فى الشئ بقله بمبالاة وبين الجبن لان الافراد يتسارع اليها الخلل والاضطراب محفوفة روى
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابعد
العصر فارتل شيئا الى يوم القيامة الا ذكر فى مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
النخل وأطراف الحيطان فقال اما انتم لييق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقى من يومكم هذا
ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هى أخيرها وأكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى (لنكفرنوا
شهداء على الناس) أى يوم القيامة ان رسلكم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى
يركعكم ويشهد بعد التكم على السجدة أى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم
من الكتاب أنه تعالى ما يجلى على أحد ولا ظلم بل اوضح السبل وأرسل الرسل قبلنا وانصروا
ولكن الذين كفروا جعلهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك
على معاصرتكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى أن الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد
واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فيسكرون ويقولون ما جاءنا من بشر ولا نذير فيطأب
الله تعالى الانبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيوفى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فتقول الامم من أين علموا أنهم قد بلغوا وانما أنوا بعدنا فتسأل هذه الامة فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوفى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال أمتهم فيركعهم ويشهد بعد التكم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فان قيل) هلا قيل لكم شهيد الذهادة لهم لاعليمهم (أجيب)
 بأن الشهيد لما كان كالقرب والمهين على المشهود له حتى بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى
 والله على كل شيء شهيد (فان قيل) لم آخرت صلة الشهادة أولا وقد مت آخرها (أجيب) بأن
 الغرض في الاقول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
 عليهم (وما جعلنا) أى صيرنا لك (القبلة) الا آن وقوله تعالى (التي كنت عليها) ليس بصفة
 للقبلة انما هو ثانی مفعول جعل اي وما جعلنا القبلة للجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة
 وكان صلى الله عليه وسلم يصلي اليها فلما اجبر أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس تألفا لليهود
 فصلى اليها ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حوّل الى الكعبة (الا تعلم من يتبع الرسول) فيصدق
 (من ينقلب على عقبيه) أى يرجع الى الكفر شكافي الدين وظننا أن النبي في حيرة من أمره
 وفي الحديث ان القبلة لما حوّل ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا يرجع محمد الى دين
 آباءه (فان قيل) كيف قال الله تعالى لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها (أجيب) بأنه أراد به علم ظهور
 وهو العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد
 ومعناه أى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب ونظيره قوله تعالى ولما يعلم الله
 الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل لي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما
 أسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه وأهل الرضى عنده وقيل ومعناه التميز التابع من الناكص
 كما قال الله تعالى ليزا الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز التابع لان العلم يقع التميز
 فالعلم سبب والتمييز مسبب فأطلق السبب وهو العلم على المسبب وهو التميز * (تنبيه) * العلم
 في الآية أما بمعنى المعرفة فيتعدي الى مفعول واحد وهو من يتبع وأما معلق لما في من من معنى
 الاستفهام وأما أن يكون مفعوله الثاني من ينقلب أى لي علم من يتبع الرسول يميز من ينقلب
 الاستفهام وعلى الاقول كيف يكون العلم بمعنى المعرفة والله تعالى لا يوصف بالانها تقتضى سبق
 جهل والله تعالى منزوع عن ذلك (أجيب) بأن ذلك لشيوعها فيما تقتضى أن يكون مسبباً بالعدم
 وليس العلم الذي بمعنى المعرفة كذلك اذا مراد به الادراك الذي لا يتعدي الى مفعولين بل قال
 الولي العراقي قد وقع اطلاق المعرفة على الله تعالى في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال
 الصحابة أو كلام أهل اللغة وقوله تعالى (وان) هي المحففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانها
 (كانت) أى التولية (الكبيرة) شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على
 الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
 شكر سعيكم وأعد لكم الثواب العظيم أو صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب
 نزولها ان حي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت
 المقدس ان كانت هدى فقد تحوّلتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله به ما من مات منكم
 عليها فقد مات على الضلالة فقال المسلمون ان الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله
 تعالى عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحوّل القبلة

من المسلمين أسعد بن زراره من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال
 آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لقد صرفك الله الى
 قبله ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه
 الآية (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاتهم (فان قيل) لم قدم
 الرؤف على الرحيم مع أنه أبلغ (أجيب) بأنه قدم محافظة على الفواصل وقرأ أبو عمرو وشعبة
 وحزرة والكسائي لرؤف بقصر الهمة والباقون بمدّها ولورش في الهمة المذو التوسط
 والقصر على أصله (قد) للتحقيق (نرى نقاب) أي تردد (وجهك في السماء) أي في جهتها متطلعا
 الى الوحى ومتشوقا الى الامر باستقبال الكعبة وهذه الآية وان كانت متأخرة
 في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع
 وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى
 المدينة أمره الله تعالى أن يصلى الى نحو حجرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود
 اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدونه من نعمة في التوراة وكان يجب أن يوجه الى الكعبة لانها
 كانت قبله ابراهيم أبيه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كان يجب ذلك من أجل أن اليهود
 كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا وتببع قبلتنا فقال لجبريل عليه السلام وددت لو حولاني
 الله تعالى الى الكعبة فانها قبله أبي ابراهيم فقال جبريل انما أنا عبد مملوك وأنت كريم على ربك
 فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
 الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم
 يسأل فنزل قوله تعالى (فلنولينك) أي فلنحولنك (قبلة) أي الى قبله (ترضاه) أي تحبها
 وتهواها لا اغراضك الصالحة التي أضمرت او وافقت مشيئة الله تعالى وحكمته (قول) أي اصرف
 (وجهك شطر) أي نحو (المسجد الحرام) أي الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة
 وان كنت بعيدا عنها وقول البيضاوى والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان في استقبال عينها
 حرجا عليه وجهه ضعيف والحرام المحرم فيه القتال ومنوع من الظلمة أن يتعترضوه وقوله تعالى
 (وحيت ما كنتم) من بجور أو برشرق أو غرب خطاب للامة (قولوا وجوهكم) في الصلاة
 (شطرها) وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقول البيضاوى
 وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل
 الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين فيه تحريف فان ظاهره أنه صلى الله عليه
 وسلم كان اماما في قصة بنى سلمة وانه تحول في الصلاة وليس كذلك فقد روى البخارى عن ابن عمر
 أنه قال بينما الناس يصلون في صلاة الصبح اذا ناهم أت أي من بنى سلمة فقال ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم
 الى الشام فاستداروا الى الكعبة ولما تحولت القبلة قالت اليهود وما هو الا شيء يتدعه محمد من
 تلقاء نفسه فتارة يصل الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكان جوارنا يكون

صاحبنا الذي تنتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب يعلمون انه) أي التولى الى الكعبة (الحق) أي الثابت (من ربهم) لما في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يحول اليها وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي بالتاء على الخطاب المؤمنين أي وما أنا بغافل عن جزائكم وثوابكم والباقون بالياء على الغيب أي عما يعمل اليهود أي فأجازهم في الدنيا والآخرة ففي الآية وعده للمؤمنين وعيد للكافرين ولمقاتلات اليهود والنصارى اتينا بآية على أن الكعبة قبله نزل (ولئن) اللام موطئة للقسم (أثبت الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (بكل آية) أي برهان وحجة على أن التوجه الى الكعبة هو الحق وقوله تعالى (ماتبعوا قبلك) جواب للقسم المضمرة والمعنى ان تركهم اتباعك ليس على شبهة تزيلها بإيراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك أنك على الحق * (تنبيه) * كان مقتضى الظاهر ما يتبعون لكن أتى بالماضي لتحقيق وقوعه كقوله تعالى أتى أمر الله وقوله تعالى (وما أنت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا السكان جو أن يكون صاحبنا الذي تنتظره تغير ايمانهم له وطعمه عافى رجوعه (وما بعضهم بتابع قبله بعض) أي انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطاع الشمس لا يرجحون اتفاقهم كالاترجح موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (فان قيل) كيف قال تعالى وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبله وللنصارى قبله (أجيب) بأن كلنا القبلتين باطله مخالفة لقبلة الحق فكأننا لحكم الاتحاد في البطلان قبله واحدة وقوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة أو على سبيل الفرض والتقدير (من بعد ما جاءك) بين لك (من العلم) بالوحى في القبلة (انك اذا) ان اتبعتهم (لن الظالمين) أي من المرتكبين الظلم الفاحش وفي هذا الطغى للسامعين وزيادة تحذير واستفظة لخال من ترك الدليل بعد انارته وتبع الهوى وتهيج للشباب على الحق وقد أكد سبحانه ونعالى التهديد في ذلك وبالغ فيه قال البيضاوى من سبعة أوجه الاول الاتيان باللام الموطئة للقسم الثانى القسم المضمرة الثالث حرف التحقيق أى التأكيد وهى ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في الخبر أى وهو من الظلمين السادس جعله من الظالمين أى تعريف الظالمين الدال على المعروفين ولم يقل انك ظالم فان فى الاندراج معهم ايهاما بحصول أنواع الظلم لأن آل فى الظالمين للاستغراق السابع التقييد بجحى العلم تعظيما للعق المعالوم وبحر رضا على اقتضائه ويحذير عن متابعة الهوى واستفظة على الظهور والذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) أى علماءهم (يعرفونه) أى محمد صلى الله عليه وسلم لسبق ذكره بلفظ الرسول مرتين وقول البيضاوى تعالى للزخشرى وان لم يسبق ذكره ممنوع وقيل القرآن وقيل التحويل ويدل للاول قوله تعالى (كما يعرفون أبناءهم) أى من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه كيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما أعرف اخي ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتى بابى فقال عمر وكيف

ذلك قال لست أشك في محمد انه نبي وأما ولدي ففعل والدته خانت فقال عمر وفقك الله تعالى يا ابن
 سلام فقد صدقت (فان قيل) لم خص الانباء من الاولاد (أجيب) بأن الذكور أشهر وأعرف وهم
 لصحبة الاء أزم وبقلوبهم الصق (وان قرى قامتهم) أى أهل الكتاب (ليكنون الحق) أى صفته
 صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ولا يظهر منه عناد أو قوله تعالى (الحق من ربك)
 كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك والمعنى انه الحق أى ما ثبت أنه من الله تعالى كالذى
 أنت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه أهل الكتاب؛ اما خبر مبتدأ محذوف أى هذا الحق ومن ربك
 حال أو خبر بعد خبر والمعنى أن ما جاءك من العلم أو ما يكتونه هو الحق لا ما يزعمون (فلا تكونن من
 المتترين) أى من الشاكين فى أنه من ربك أو فى كتابهم الحق عالمين به أى فلا تكونن من هذا
 النوع وهو أبلغ من لا تتر وليس فيه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع
 منه بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر وأما ان المراد به أمة (ولكل) أى أمة من
 الامم (وجهة) أى قبله أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليا) وجهه
 فى صلته وقرأ ابن عامر وحده مولاها بفتح اللام وألف بعدها أى هو مولى تلك الجهة قدولها
 والباقون بكسر اللام وياء بعدها وعلى هذا فأحد المفعولين محذوف أى هو موليا وجهه كما مر
 تقديره والله تعالى موليا اياه (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا الى الطاعات وقبولها من أمر
 القبلة وغيره مما تنالوا به سعادة الدارين (أين ماتكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا)
 يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الاحياء والجمع * (تنبيه) *
 رقق ورش الرءاء المفتوحة بعد الياء الساكنة واتفق المصاحف على قطع أين من ما هنا (ومن
 حيث خرجت) أى من أى مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت
 (وانه) أى هذا الامر (الحق من ربك) وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمرو
 بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
 الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) * (تنبيه) * مامة مقطوعة من حيث فى موضعى هذه
 السورة وكرر سبحانه وتعالى التولى لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات لتأكيد أمر القبلة
 وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان فكرر عليهم ليثبتوا ويقوموا
 ويحسدوا ولا يلهو بالباطل ولا يلهو بالباطل ولا يلهو بالباطل (ولان الله تعالى على كل شئ قدير) فأتى بالآية فائدة فى الاول ان أهل
 الكتاب يعلمون ان أمر محمد وأمر القبلة حق لمشاهدتهم له فى التوراة والانجيل وفى الثانية
 انه تعالى شهد انه حق وشهادة الله تعالى مغيرة لعلم أهل الكتاب وفى الثالثة بيان العلة وهى
 قطع حجة اليهود وأولان الاحوال ثلاثة أولها أن يكون الانسان فى المسجد الحرام وثانيها
 أن يخرج عنه ويكون فى البلد وثالثها أن يخرج عن البلد فالآية الاولى مخولة على الاول
 والثانية على الثانى والثالثة على الثالث وقوله تعالى (لئلا يكون للناس) أى اليهود والمشركين
 (عليكم حجة) أى مجادلة فى التولى علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
 تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد بننا ويتبعنا

في قبلتنا ويدفع احتجاج المشركين بأنه يدعي له ابراهيم ويخالف قبلته وقرأ ورش بإبدال
 الهمزة من اللاماء مفتوحة وقفوا وصلوا وجزء يدها وقفوا وصلوا والباقيون بهمزة مفتوحة
 وصلوا وقفوا وقوله تعالى (الا الذين ظلموا منهم) بدل واستثناء متصل أى لئلا يكون لاحد من الناس
 حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وجبال بلده أو بدا
 له فرجع الى دين آباءه ويوشك أن يرجع الى دينهم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا مطاعنهم في
 قبلتكم فانهم لا يضر ونفكم (واخشوني) بامتنال أمرى فلا تخافوا ما أمرتكم به * (تنبيه)
 الماء هنا ثابتة في الرسم وهي في القراءة ثابتة وقفوا وصلوا (فان قيل) أى حجة تكون لغير الذين ظلموا
 لو لم يتحول حتى احتز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (أجيب) بانهم كانوا يقولون ماله لا يعول
 الى قبله آبيه ابراهيم كما هو مذكور في نفعه في التوراة (فان قيل) كيف أطلق الحجة على قول
 المعاندين (أجيب) بأن المراد بالجنة ما يتسك به حقا كان أو باطلا كما قال تعالى حجهم داخضة وقوله
 تعالى (ولا تمنعني عليكم ولعلكم تهتدون) أى الى الحق علة لمخدوف أى وأمرتكم بذلك لانتاجي
 النعمة عليكم واراد في اهتداءكم أو عطف على علة مقدره كأنه قيل واخشوني لا وفقكم ولا تمنعني
 عليكم قال الكشاف وقيل هو معطوف على لئلا يكون وجرى عليه البضاوى والسيوطى
 قال البضاوى تعالى للكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة أى ورؤية الله تعالى وعن
 على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال شيخنا القاضي زكريا روى الحديث
 الترمذى وذكره مع الاثر بعده ربما يرجع العطف على المقدر وقوله تعالى (كما أرسلنا)
 امامتنا على ما قبله وهو أتم أى ولا تمنعني عليكم في أمر القبلية أو في أمر الآخرة اتما
 كما تمها بارسالنا (فيكم رسولا منكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامامتنا على ما بعده وهو
 فاذا كرونى أذكركم أى كما ذكرتم بالارسل فاذا كرونى (يتلو عليكم آياتنا) أى القرآن (ويزكيكم)
 أى يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى ما فيه الاحكام
 * (تنبيه) * قدم هنا يزكيكم على يعلمكم باعتبار القصة وأخرى دعوة ابراهيم يزكيكم على يعلمكم
 باعتبار الفعل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى بالتفكير والنظر اذ لا طريق لمعرفة سوى الوحي
 (فاذا كرونى) بالطاعة كالصلاة والتسبيح (أذكركم) قال ابن عباس بمعونتي وقال سعيد بن جبير
 يغفرنى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء كما قال تعالى فلولا أنه كان من
 المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه
 اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاذ ذكرته فى ملاخير من ملته
 وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعانا وان اتانى بمشي
 آتيته هرولة وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان
 ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملاذ ذكرتك فى ملاخير منى وان دنوت منى
 شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعانا وان مشيت الى هرولت اليك وان
 سألتنى أعطيتك وان لم تسألنى غضبت عليك وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

يقول الله عز وجل "أنا مع عبدي ما ذكرني وتذكرت" وفي رواية جاء اعرابي الى النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من
 ذكر الله وقرأ ابن كثير يفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المدة (واشكر والي) نفعتي
 بالطاعة (ولا تكفرون) بحمد النعم وعصيان الامر فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد
 كفره (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على الطاعة والبلاء وعلى المعاصي وحظوظ
 النفس (والصلاة) خصها بالذكر لانها أتم العبادات لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومنها جادة رب
 العالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصر واجابة الدعوة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم
 (أموات بل) هم (أحياء ولكن تشعرون) أي لا تعلمون كيف حالهم في حياتهم قال البيضاوي
 وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي أمر
 لا يدرك بالحواس بل بالوحي اه وهذا ما علمه أكثر المفسرين قال ابن عادل ويحتمل ان
 حياتهم بالجسد وان لم نشاهدوا أيديهم حياة الروح ثابتة لجميع الأموات بالاتفاق فلو لم تكن
 حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم تكن له منزلة اه وقدير بيان الشهداء فاضلوا على
 غيرهم بأنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلفها وغيرهم من المؤمنين ممنعون بما دون ذلك
 وفي الحديث أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شئت ثم تأوى
 الى قناديل تحت العرش وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على
 أرواحهم في فصل اليهم الروح أي الاستراحة أي التلذذ والتمتع والفرح كما تعرض النار
 على أرواح آل فرعون غدقوا وعشوا فيصل اليهم الوجع والغم وعلى هذا فخصهم بالشهداء
 لاختصاصهم بالقرب من الله ومنزلة السرور والكرامة والارواح جوارها رفاة بأنفسها تبقى
 بعد الموت دركة كما عليه جمهور الصحابة والتابعين ونظمت في الآيات والسنن (ولنبأونكم)
 أي ولنتخبرنكم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب القسم تقديره والله لننبأونكم
 والابتلاء اظهارة المطيع من العاصي لا يعلم شياً لم يكن عالماً به (بشيء) أي بقليل (من الخوف)
 أي خوف العدو (والجوع) أي القحط وانما قل به بالنسبة لما وقاهم عنه فيخفف عنهم ويريمهم
 أن رجته لا تفارقهم أو بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما أخبرهم قبل وقوعه
 ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال) بالخسران والهالك (والانفس) بالقتل والموت
 وقيل بالمرض والشيخ (والثمرات) بالجواريح وعن الشافعي رضى الله تعالى عنه الخوف خوف
 الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات موت الاولاد وعن أبي سنان قال دفنت وادى سنانا وأبو
 طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال الأبشر له حدثني
 انك يا ابن عرب عن أبي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم
 ثمره قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله
 تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد وقوله تعالى (وبشر الصابرين) أي على

ما يصيبهم من المكنز وعطف كما قال الله تبارك وتعالى ولنبأكم عطف المضمون على المضمون
 أى الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لمن صبر ثم ينهم بقوله (الذين إذا أصابتهم مصيبة
 قالوا إن الله عبيد أولئك) (وانا إليه راجعون) فى الآخرة والمصيبة تعم ما يصيب الإنسان من
 مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وعن أم سلمة زوج النبی صلى
 الله عليه وسلم ورضى عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب
 عبداً فقول ان الله وانا إليه راجعون اللهم أوثرنى فى مصيبتى واخلف لى خير منها الا آجره الله
 تعالى فى مصيبتى واخلف عليه خير منها قالت فلما توفى أبو سلمة استرجعت الله لى فقلت اللهم
 أوثرنى فى مصيبتى واخلف لى خير منها قالت فأخلف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى
 روايه من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبتى وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرثه
 وقال سعيد بن جبیر ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الأمة يعنى الاسترجاع ولو أعطيا أحد لا عطى
 يعقوب فى قصة فقد يوسف ألا تسمع الى قوله يا أسفا على يوسف وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل
 باللسان مع القلب بأن تصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه فيرى ما أبقي
 عليه أضعاف ما استرده منه فيموتون على نفسه ويستسلم لربه والمبشر به محمد وفى دل عليه (أولئك
 عليهم صلوات) أى مغفرة (من ربهم ورحمة) أى لطف واحسان والصلاة فى الاصل من الآدى
 أى ومن الجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم وجمع
 الصلاة للتبسية على كثرتها كالتبسية فى بليتك بمعنى لا انقطاع لمغفرته (وأولئك هم المهنددون) الى
 الصواب حيث استرجعوا واصلوا القضاء الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نعم
 العدلان ونعمت العلواة والعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقد ورد أخبار فى ثواب
 أهل البلاء وأجر الصابرين منها أنه صلى الله عليه وسلم قال من يرد الله به خيراً يصبر منه ومنها انه
 صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى
 الشوك يشا كلها الا كفر الله بها من خطاياها ومنها أن امرأة جاءت الى النبی صلى الله عليه وسلم
 وبها ألم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يشفينى فقال ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان
 شئت فاصبرى ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب على ومنها أنه صلى الله عليه وسلم سئل
 عن أشد الناس بلاء قال الأنبياء والأئمة فالأمثل يمتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه
 صلوا ابتلى على قدر ذلك وان كان فى دينه رقة هوّن عليه فما زال كذلك حتى عشي على الارض
 ماله ذنب ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب
 قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء
 بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم
 قال مثل المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح يثنيه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل
 المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال يحب للمؤمن ان
 أصابه خير جسد الله وشكر وان أصابته مصيبة جسد الله وصبر فالؤمن يؤجر فى كل أمره

(أَنَّ الصَّاعِ وَالْمَرْوَةَ) هُمَا عَلَمَا جَبَلَيْنِ بِمَكَّةَ فِي طَرَفِي الْمَسْجَى قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَذَكَرَ الصَّفَا لَأَنَّ آدَمَ وَقَفَ عَلَيْهِ وَأَثَرُ الْمَرْوَةِ لَأَنَّ حَوَاءَ وَقَفَتْ عَلَيْهَا (مَنْ شَعَّرَ اللَّهَ) أَيُ أَعْلَامَ دِينِهِ جَمَعَ شَعِيرَةً وَهِيَ الْعَلَامَةُ أَيُ مِنْ أَعْلَامِ مَنَاسِكِهِ وَمَتَعَبِدَاتِهِ (فَنَجَّ الْبَيْتَ وَأَعَقَرَ) أَيُ تَلْبَسَ بِالْحُلِيِّ أَوِ الْعِمْرَةِ وَالْحُلِيَّ لُغَةً الْقَصْدُ وَالْإِعْتِمَادُ الرَّازِي بَارَةً فَعَلِمَا بَشَرًا عَلَى قَصْدِ الْبَيْتِ وَزِيَادَتِهِ عَلَى الْوُجْهِينِ الْمَعْرُوفَيْنِ (فَلَا جَنَاحَ) أَيُ لَا أُنْمَ (عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ) فِيهِ ادْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ (بِهِمَا) أَيُ بَأَنَّ يَسْعَى بَيْنَهُمَا لِسَبْعًا (فَإِنْ قِيلَ) كَيْفَ قِيلَ إِنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلَ لِاجْتِنَاحِ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا (أَجِيبُ) بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّفَا سَافٍ وَعَلَى الْمَرْوَةِ نَائِلَةٌ وَهُمَا صَمْتَانِ يَرَوِي أَنََّّهُمَا كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً زَيْنًا فِي الْكَعْبَةِ فَسَخَا جَرِينِ فَلَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ عَبْدًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَعَوْا مَسْحُوهً وَمَا لِمَا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَكُسِرَتِ الْأَوْتَانُ كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا لِأَجْلِ فَعَلِ الْجَاهِلِيَّةُ فَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ شَعَائِرَ اللَّهِ وَالْإِجَاعَ عَلَى أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مُشْرُوعٌ فِي الْحُلِيِّ وَالْعِمْرَةِ وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي وَجُوبِهِ فَعَنْ أَجَدِّ أَنَّهُ سَنَةٌ وَبِهِ قَالَ أَنَسُ وَابْنُ عَبَّاسٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فَانَّهُ يَفْهَمُ مِنْهُ التَّخْيِيرُ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِأَنَّ نَفْيَ الْجَنَاحِ يَدُلُّ عَلَى الْجَوَازِ إِذَا خِيلَ فِي مَعْنَى الْوُجُوبِ فَلَا يَدْفَعُهُ وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ وَاجِبٌ يَجِبُ بِدَمٍ وَعَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ أَنَّهُ رُكْنٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْعُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْدُؤُوا عِبَادَةَ اللَّهِ بِهِ يَعْنِي الصَّفَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا) أَيُ فَعَلَ طَاعَةً فَرَضًا كَانَ أَوْ نَفْسَلًا أَوْ زَادَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حُجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ أَوْ طَوَافٍ وَنُصِبَ خَيْرًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ مُضَرٍّ مَحْذُوفٍ أَيُ تَطَوَّعًا أَوْ بِحَذْفِ الْجَارِ وَابْتِصَالِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ أَيُ بِخَيْرٍ وَقَرَأَ حِزْمَةُ وَالْكَسَاؤُ يُطَوَّعُ بِالْيَاءِ عَلَى التَّذْكِيرِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْوَاوِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ وَأَصْلُهُ يَطَوَّعُ فَأَدْغَمَ مِثْلَ يَطُوفُ وَالْبَاقُونَ بِالنَّاءِ عَلَى الْحُضُورِ وَتَخْفِيفِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ) لِعَمَلِهِ بِالْإِيمَانَةِ عَلَيْهِ (عَلِيمٌ) بِنَيْتِهِ * (تَنْبِيهِ) * الشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَ الْعَبْدَ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ فَانَّهُ يَشْكُرُ الْيَسِيرَ وَيُعْطِي الْكَثِيرَ * وَنَزَلَ فِي عِلْمَاءِ الْيَهُودِ (أَنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) النَّاسَ كَأَحْبَارِ الْيَهُودِ (مَا تُرْتَلِّمُونَ الْبَيْنَاتِ) كَأَيَّةِ الرَّجْمِ وَنَعَتْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالْهَدَى) أَيُ مَا يَهْدِي إِلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِيمَانُ بِهِ (مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ) أَوْ ضَحْنَاهُ (لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) أَيُ التَّوْرَةِ أَيُ لَمْ نَدْعُ فِيهِ مَوْضِعَ اشْتِكَالٍ وَلَا اشْتِبَاهَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فَعَمِدُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَبْنِيِّ الْوَاضِحِ فَكْتُمُوهُ وَلَيْسُوا عَلَى النَّاسِ (أَوَلَيْسَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) وَأَصْلُ اللَّعْنِ الطَّرْدُ وَالْبَعْدُ (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) أَيُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَلْعَنَهُمْ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ * (تَنْبِيْهَانِ) * أَحَدُهُمَا اخْتِلَافٌ فِي هَوَاءِ اللَّاعِنِينَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا هُمَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ وَقَالَ عَطَاءٌ هُمَا الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ وَقَالَ الْحَسَنُ هُمَا جَمِيعُ عِبَادِ اللَّهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ الْبَهَائِمُ تَلْعَنُ عَصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا أَمْسَكَ الْمَطَرُ وَتَقُولُ هَذَا مِنْ شَرِّ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ * ثَانِيَهُمَا هَذِهِ الْآيَةُ تَوْجِبُ أَظْهَارَ عُلُومِ الدِّينِ مَنْصُوصَةً وَمُسْتَبْطَةً وَتَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ أَخْذِ الْآجِرَةِ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ رَوَى الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَنْتُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

الله عليه وسلم وإيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحد بشي أبدا وتلا أن الذين يكتون الآية
 (الذين تابوا) أي رجعوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه (وأصلحوا) ما أفسدوا من
 أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله تعالى في كتابهم فكتموه (فأولئك ألقوا
 إليهم) ألقوا في جهنم وأقبلت قلوبهم (وأنابا للتوب) أي الرجاء لقلوب عبادي المنصرفة عني إلى
 (الرحيم) بهم بعد أقبالهم على (أن الذين كفروا وما توابوا وهم كفار) أي من لم يتوب من الكافرين
 حتى مات (وأولئك عليهم لعنة الله) لعنة (الملائكة و) لعنة (الناس أجمعين) لعنهم الله أحياء
 ثم لعنهم أمواتا وقال أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم
 تلعه الناس فان قيل قد قال الله تعالى والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر وأهل دينه
 لا يلعنونه (أجيب) بأجوبة منها أن المراد منهم من يعتدل بعنه وهم المؤمنون قاله ابن مسعود
 وعلى هذا فيكون من العام الذي أريد به الخاص ومنها أنهم يلعنونه في القيامة قال تعالى
 يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت أمة لعنت أختها ومنها أن اللعنة من الأكل كثير يطلق
 عليها العنة جيع الناس تغليب الحكم الأكثر على الأقل ومنها أنهم يلعنون الظالمين والكافرين
 ومن لعن الظالمين أو الكافرين وهم منهم فقد لعن نفسه ومعنى لعنة الله لهم تبرؤهم منهم وطردهم
 وتبعدهم عن الرحمة والثواب ودعاؤه عليهم بذلك (خالد بن فيهما) أي اللعنة أو النار المدلول بها
 عليها (لا يخفف عنهم العذاب) طرفه عين (ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يعيهاون
 ولا يؤجلون أولا ينظرون ليعتذروا كقوله تعالى ولا يؤذونهم فيعتذرون أولا ينظرون اليهم نظر
 رحمة * ولما قال كفار قرئش يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا نزل (ولهم اله واحد) وسورة
 الاخلاص والواحد هو الذي لا نظيره ولا شريك وقوله تعالى (لا اله الا هو) نقرر للوحدانية
 ودفع لان يتوهم أن في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة وقوله تعالى (الرحمن الرحيم)
 كالدليل على الوحدة اية فانه لما كان مولى النعم كلها أصولها بقوله الرحمن فانه مولى جلائل
 النعم وفرعها بقوله الرحيم فانه مولى لطائف النعم ودقائقها وما سواه تعالى اما زعمه أو زعم
 عليه فلم يستحق العبادة أحد غيره وهو ما خبرنا آخر ان قوله الهكم أولم يدعوا محمد وف وعن
 أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في هاتين الآيتين اسم الله
 الاعظم والهكم اله واحد الخ والله لا اله الا هو الخ القويم * ولما سمع المشركون هذه الآية
 وكان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية تعرف بها
 صدقك فنزل (ان في خلق السموات والارض) الى آخر الآية (فان قيل) لم جمع السموات وأفرد
 الارض (أجاب) البيضاوي بأن السموات طبقات متفاصلة بالذات محتلفة بالحقيقة بخلاف
 الارضين اه وهذا انما يأتي على قول بعض الحكماء ان المراد بالارضين الاقاليم والاولى ما أجاب
 به البغوي من أن كلامها جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب
 أي فهي طبقات كالسموات والآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد
 ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والآية في الارض

مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الانهار والجبال والبحار والجواهر
والنبات وغير ذلك (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما فى المجرى والذهاب يخلف
أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلقه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل
والنهار خلقه قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزياة والنقصان والليل جمع ليلة
والليلالى جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار فى الذكر لانه أقدم قال تعالى وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار (والفلك) أى السفن (التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس) من التجارة
والحل والآية فيها تسخيرها وجرها على وجه الماء وهى موقورة لا ترسب تحت الماء * (تنبيه) *
انث الفلك لانه بمعنى السفينة لان واحد السفن وجمعه سواء اذ لو كانت بمعنى المركب لذكرها مع
أنها فى اللغة تذكر وتوث قال تعالى اذ أنبى الى الفلك المشحون وضمه الجمع غير ضمة الواحد تقدير
اذهى فى الجمع كالضمة فى جر وفى الواحد كالضمة فى قفل قال البيضاوى والقصد به أى الفلك الى
الاستبدال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه أى البحر والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الأمر اه فعمل
الآية فى البحر لافى السفن والاولى جعل الآية فيهما وقوله لان منشأهما البحر هو قول الحكماء
والاشاعرة على خلافه وهو الذى دللت عليه الاخبار قال شيخنا القاضى زكريا وحاصله أن السحاب
من شجرة مثمرة فى الجنة والمطر من بحر تحت العرش (وما أنزل الله من السماء من ماء) أى مطر
* (تنبيه) * من الاولى للاهداء والثانية للبيان قال البغوى قيل أراد بالسحاب السحاب
يخلق الله الماء فى السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد بالسحاب المعروفة يخلق الله الماء فى
السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض اه وفيه ما مر (فأحيياه
الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يبسها وجدوبتها (وبث) أى فرق ونشر بالماء (فيها)
فى الارض (من كل دابة) فان قيل هل بث عطف على انزل أو أحييا (أجيب) بأنه عطف على
أنزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فأحيياه الارض عطف على أنزل فانصل به وصارا جميعا
كالشئ الواحد فكانه قيل وما أنزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على
أحيياه على معنى فأحييا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحياى المطر (وتصرف الرياح) الى قبول ودبور وجنوب وشمال فالقبول الصبا وهى التى تهب
من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور تقابلها والشمال التى تهب من جانب القطب
والجنوب تقابلها قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسببت الريح ريحا لانها تريح
النفوس قال شريح القاضى ما هبت ريح الشفاء سقيم أو لسقم صحيح (فائدة) البشارة فى ثلاث
من الرياح الصبا والشمال والجنوب اما الدبور فهى الريح العقيم لبشارة فيها وقيل الرياح
ثمانية أربعة للرحمة وهى المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب وهى
العقيم والصومير فى البر والعاصف والعاصف فى البحر وقرأ جزة والكسافى الريح بالتوحيد
والباقون بالجمع (فائدة أخرى) كل ريح فى القرآن ليس فيها ألف ولا همزة انفق القراء على توحيدها

وما فيها ألف ولام كما هنا اختلافاً في جمعها وتوحيدها إلا الحرف الأول في سورة الروم الرياح
 مبشرات انفقوا على جمعها والريح تذكروا وتؤتت والسحاب أي الغيم (المسخر) أي المذل
 بأمر الله يسير حيث شاء الله (بين السماء والأرض) بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع أن الطبع
 يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقبل تسخير السحاب لتقليبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه
 من السحب لأن بعضه يجري بعضاً (آيات) أي دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (القوم
 يعقلون) أي ينظرون بعبون عقولهم ويعتبرون لانهادلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
 وقول البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فحج بها أي لم يتفكر فيها
 ولم يعتبر بها قال الولي العراقي لم أقف عليه وقال السيوطي لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ ثم
 قال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل على الليلة أن في خلق السموات والأرض
 واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قبل للوزاعي
 ما غاية التفكر فيهن قال يقرأهن وهو يعقلهن انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضاً في هذه الآية
 ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضاوي وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث
 على البحث والنظر فيها انتهى ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه لأن يليق العبد ربه
 بكل ذنب ما عدا الشرك خيره من أن يلقاه بعلم الكلام لأنه محمول على التوغل فيه فيصير فلسفياً
 (ومن الناس) وهم المشركون (من يتخذ من دون الله) أي غيره (أنداداً) أي أصناماً يعبدونها
 (يحبونهم) بالتعظيم والخضوع (كحب الله) أي كحبهم له كما قال الزجاج يحبون الأصنام كما
 يحبون الله لأنهم أشركوا مع الله فسوا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحبون آلهتهم
 كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على
 الله ما سواه والمشركون محبتهم لأغراض فاسدة موهومة تزول بآدنى سبب ولذلك كانوا
 إذا اتخذوا صنماً أحسن منه طرقوا الأول واختاروا الثاني وربما يأتى كونه كما أكلت باهله
 الهامان حيس عند الجماعة ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء فيقبلون على الله كما أخبر
 الله تعالى عنهم فقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله
 تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء وقيل إنما قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله
 لأن الله أحبهم وأوثق أجوده ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى يحبهم
 ويحبونه فحبة العبد لله طاعته والاعتناء بتحصيل مرضيه ومحبة الله للعبد ارادة إكرامه
 واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي (ولو يرى الدين ظلوا) أي باتخاذ الانداد (اذيرون)
 أي يبصرون (العذاب) يوم القيامة واذ يعني إذا وأجرى المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لأن
 اذ موضوعه الماضي والمعنى هنا على الاستقبال لتحققه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (إن)
 أي بآيات (القوة) أي القدرة والغلبة (لله) وقوله تعالى (جميعاً) حال (وإن الله شديد العذاب)
 وجواب لو محذوف والتقدير لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً اذ عاينوا العذاب لندموا أشد
 الندم والفاعل ضمير السامع أو الذين ظلوا ويرى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين

وقرأ نافع وحده بالتاء على الخطاب أى ولوترى يا محمد ذلك لرأيت أمر اعظيها وأمال السوسى
 الالف المنقلبة بعد الراء فى الوصل بخلاف عنه وغلط ورش اللام بعد الظاء وقرأ ابن عامر يرون
 بضم الياء والباقون بفتحها (اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ الذين اتبعوا) وهم الرؤساء (من الذين
 اتبعوا) وهم الاتباع أى ينكر الرؤساء ضلال الاتباع يوم القيامة حين يجمع الله القادة
 والأتباع (و) قد (رأوا العذاب) أى رآه فى الدنيا والى الحال وقد مضى كما قدرتها وقيل عطف
 على تبرأ وقوله تعالى (وتقطع) عطف على تبرأ وقوله تعالى (بهيم) بمعنى عنهم (الاسباب)
 أى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا من القربات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة (وقال
 الذين اتبعوا) أى الاتباع (لو أن لنا كفرة) أى رجعة الى الدنيا (فتسبرأ منهم) أى الرؤساء
 (كما تبرأؤنا) اليوم ولولم تكن ولذا أوجب بالقاء (كذلك) أى مثل ذلك الراء القطيع
 (يربهم الله أعمالهم) أى السيئة وقوله تعالى (حسرات) أن تتقلب ندمات (عليهم) ثالث
 مضاعف يلى يرى ان كان من رؤية القلب والافعال وقوله تعالى (وما هم بخارجين من النار) أصله
 وما يخرجون لأن المناسب ان تعطف جملة فعلية على جملة فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة
 للمبالغة فى الخلود والاقطاع عن الخلاص والرجوع الى الدنيا واختلف فى سبب نزول قوله
 تعالى (يا أيها الناس كوا معي فى الارض حلالا) فقال البيضاوى نزلت فى قوم حرموا على
 أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس أى لاعلى وجه التورع كما نفعه الصوفية وما قاله
 قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضى زكريا والمشهور انهم نزلت فيهم آية المائدة وهى يا أيها
 الذين آمنوا لا تتحرموا طيبات ما أحل الله لكم وأما هذه الآية فانهم نزلت فى الكفار
 الذين حرموا البحار والسواكب والوصائل ونحوها ومن ثم عبر هنا بيا أيها الناس وثم
 بيا أيها الذين آمنوا * (تنبيه) * حلالا لمفعول ككلوا وحال وقوله تعالى (طيبا) أى مضافة
 مؤكدة وأما طاهر من كل تشبه وهو ما يستطيعه الشرع قال الكشاف ومن للتبعيض
 لان كل ما فى الارض ليس بما كول هذا ان جعلنا حلالا لا حلالا فان جعلناه مفعولا نحن لا بداء
 كما قاله السعد التفتازانى لان من التبعيضية فى موضع المفعول أى كوا وبعض ما فى الارض
 (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طريقه كما قاله الزجاج أو المحقرات من الذنوب كما قاله
 أبو عبيدة فقد خلو فى حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام وقرأ ابن عامر وقبل
 وحفص والكسائى بضم الطاء والباقون بالسكون (انه لكم عدو مبين) أى بين العداوة
 أو مظهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه وقد أظهر عداوته بامتناعه
 من السجود لآدم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بأنه لا يأمر بخير قط بقوله (انما يأمر كرم بالسوء)
 أى القبيح شرعا (والفحشاء) أى ما تجاوز الحد فى القبح من العظائم وعن ابن عباس أن السوء
 من الذنوب ما لا حد فيه والفحشاء من المعاصى ما يجب به حد وقال السدى الفحشاء هى الزنا
 وقيل الخلل قال البيضاوى واستعير الامر لترينه ونعته لهم تسفيهم الرأى بهم وتحقير الشأنهم
 انتهى قال شيخنا القاضى زكريا ولا حاجة الى صرف الامر عن ظاهره لان حقيقة طلب الفعل

ولا ريب أن الشيطان يطلب النسوة والفشاء من يريد اغواءه (و) يأمركم أيضاً (إن تقولوا على الله ما لا تعملون) كتحليل المحرمات وتحريم الطيبات واتخاذ الأنداد وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله من التوحيد وتحليل الطيبات متصلاً بما قبله وهو نازل في مشركي العرب وكفار قريش والضمير في لهم عائداً على الناس المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً عدل عن الخطأ عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الحقي ماذا يجيبون وقيل مستأنف والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور روى عن ابن عباس أنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قالوا) لا تتبعه (بل تتبع ما ألفينا) أي وجدنا وأدرنا وأعلمنا وألني تتعدى إلى مفعولين وهما قوله (عليه آباءنا) من عبادة الأصنام وتحريم الجائر والسواقي فأنهم كانوا خيراً واعلم منا قال الله تعالى (أولو كان) أي أيتبعونهم ولو كان (آباؤهم لا يعقلون شيئاً) أي من أمر الدين لأشياء مطلقاً فأنهم كانوا يعقلون أمر الدين لفظه عام ومعناه الخصوص (ولا يهتدون) إلى الحق والهمزة للأنكار والواو للحال أو العطف وجواب لو محذوف أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لا تبعوهم (ومثل) أي صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم إلى الهدى (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءاً ونداءاً) أي صوتاً ولا يفهم معناه والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأختل

فانق بضأنك يا حير فأنما * منك نفسك في الخلاء ضللاً

وأما نعق الغراب فبالغين المعجزة والمعنى أنهم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهايم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (وقيل) معنى الآية مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناقع بالغم ولا ينتفع من نعيته بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة إلا العناء والدعاء كما قال تعالى وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ثم وصف سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم فقال (صم) أي هم صم عن سماع الحق تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل ما يقال له أنه أصم (بكم) عن الخير لا يقولونه (عمى) عن الهدى لا يبصرونه (فهم لا يعقلون) الموعظة لا ضلال نظرهم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات أي حلالات (ما رزقناكم) روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يديه إلى السماء يا رب يا رب أشعث أغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني استجاب لذلك * ولما وسع الله تعالى الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحسروا وطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على ما رزقكم وأحل لكم (إن كنتم إياه تعبدون) أي إن صم

انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادة لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو بعدم عند عدمه روى البهقي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اني والجن والانس في نساء عظيم أخلاق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري * ثم بين سبحانه وتعالى المحرمات بقوله (انما حرم عليكم الميتة) أي أكلها اذ الكلام فيه وكذا ما بعده اوهى التي ماتت من غير ذكاة شرعية وألحق بها بالسنة ما بين من حي وخص منها السمك والجراد والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا لا مخصصه الدليل كالتصريف في المدبوغ (والدم) أي المسفوح كما قال تعالى في سورة الانعام أودع ما سفعوا روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهم ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكلبد والطحال وهو في حكم المرفوع بل رفعه ابن ماجه وغيره لكن بسند ضعيف (ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وعبر عن ذلك باللحم لانه معظم المقصود منه وغيره تبع له (وما أهل به لغير الله) أي ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم (فمن اضطر) أي ألبأه الضرورة الى أكل شيء مما ذكروا كاه (غير باغ) أي خارج على المسلمين وقيل مجاوز للمقدار الذي أحل له (ولا عاد) أي متعدي على المسلمين بقطع الطريق وقيل لا يقصر فيما أبيع له فبدعه وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة فلم يرضخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة وقال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف العلماء في قدر ما يحل للامضطرأكله من الميتة على قولين أحدهما أن يأكل مقدار ما يمسيك رقة وهو قول ابن أبي حنيفة والراجح عند الشافعي والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك (فلا أثم) أي لا حرج (عليه) في أكل ما ذكروا أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسرون فمن اضطر في الوصول والباقون بضمها * (فائدة) * قال البغوي غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير تصلح في موضعها لا فهي حال واذا صلح في موضعها لا فهي استثناء (أن الله غفور) لمن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص للعباد في ذلك (فان قيل) انما تفيد قصر الحكم على ما ذكروا ومن محرم لم يذكر (أجيب) بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحله الكفار لا مطلقا وقصر ما ذكر على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها * (تنبيه) * ألحق بالباغي والعادي كل عاص بسفوره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي * ونزل في علماء اليهود وروسائهم الذين كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمال وكل كانوا يرجون أن يكون النبي المنعوت منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ما كنتم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أي بالمكتموم (ثمنا) أي عوضا (قليلا) أي يسيرا أي المال كل التي

يصيبونها من سفلتهم (أو لئلا ما يأتون في بطونهم) أي ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه
 وأكل في بعض بطنه (الأنار) أي ما يؤذيهم إلى النار وهو الرشوة وعن الدين ولما كان يقضى
 بهم إلى النار لأنها عقوبة عليهم فـ كانهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم
 (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي لا يكلمهم بالرجة وبما يبشرهم انما يكلمهم بالتوبيخ أو يكون
 عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلان إذا كان عليه غضبان لما ثبت بالنصوص أنه تعالى
 يسألهم والسؤال كلام فحمل نفي الكلام على الغضب فهو كناية ويجوز إبقاء الكلام على ظاهره
 وتحمّل نصوص السؤال على أنه يقع بألسنة الملائكة (ولا ينكحهم) أي ولا يطهرهم من دنس
 الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وهو النار (أو لئلا الذين اشتروا) أي استبدلوا (الضلالة
 بالهدى) فأخذوا به في الدنيا (و) استبدلوا (العذاب بالمغفرة) أي المعذرة لهم في الآخرة
 لولم يكفوا الحق للمطامع والأغراض الدنيوية (فما أصبرهم على النار) أي ما أشد صبرهم وهو
 تعجب للمؤمن من ارتكاب موجباتها من غير مبالاة ولا فأس صبر لهم كما قال الحسن والله ما لهم
 عليها من صبر ولكن ما أجراهم على العمل الذي يقربهم إلى النار وقال الكسائي فـ ما أصبرهم
 على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه روى عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي البس بركة
 اختصم إلى رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال ما أصبرك على عذاب الله
 تعالى (ذلك) أي الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده (بأن) أي بسبب أن (الله نزل الكتاب) وقوله
 تعالى (بالحق) متعلق بنزل فرضه بالكذب أو الكتمان وقوله تعالى (وإن الذين اختلفوا
 في الكتاب) اللام فيه إما الجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعضها وإما
 للعهد وحينئذ الإشارة إلى التوراة واختلافهم حيث آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها بآيتمته
 وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم صهر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأوابن (لني شقاق)
 أي خلاف (بعبد) عن الحق واختلف في الخطاب بقوله تعالى (ليس البر) أي وهو كل فعل
 مرضي (أن تولوا وجوهكم) أي في الصلاة (قبل المشرق والمغرب) على قولين أحدهما أنهم
 المسلمون والثاني أهل الكتابين فعلى الأول معناه ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه
 الآية قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وعلى الثاني ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة
 النصارى إلى المشرق فانهم أكثر الخوض في أمر القبلة حين حوات وأدعى كل طائفة أن
 البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما
 في هذه الآية قاله قتادة والربيع ومقاتل وقال قوم هو عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصوراً
 بأمر القبلة وقرأ حفص وحزق بنصب البر على أنه خبر مقدم والباقيون برفعه وقوله تعالى (ولكن
 البر من آمن) على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البرأي ولكن البر
 الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
 والكتاب) أي الكتب أن أريد به الجنس والألفا القرآن (والنبيين) والتأويل الأول أولى
 لأن السابق في الآية انما هو نفي كون البر توبة الواجب والذي يستدرك انما هو من جنس

ما ينبغي وقرأ نافع وابن عامر بكسرتون ولا يمكن مخففة ورفع راء البر والباقون بنصب النون
 مشددة ونصب الراء والنبيين تقدم أن نافعاً يقرؤه بالهمز والباقون على البدل وورش على أصله
 من المد والتوسط والقصر (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى) أى مع (حبه) له كما قال عليه الصلاة والسلام
 لماسئل أى الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش أى الحماية وتحشى الفقر
 وتأمل الغنى ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقة قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل
 الضمير لله أى على حب الله (ذرى القربى) أى القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على
 المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثمان صدقة وصله (واليتامى) جمع يتيم وتقدم تعريفه
 (والمساكين) جمع مسكين وهو من له مال أو كسب يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه بخلاف الفقير
 فإنه من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من كفايته وسيمأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى سورة
 براءة (واب السبيل) أى المسافر يقال للمسافر ابن السبيل للملازمة الطريق وقيل هو الضيف
 ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
 (والسائلين) أى الطالبين الذين ألبأتهم الحاجة إلى السؤال قال صلى الله عليه وسلم للسائل
 حق وإن جاء على ظهر فرسه رواه الامام أحمد وفى رواية رذوا السائل ولو بطلق محرق (وفى
 الرقاب) أى فكها معاونة المساكين وقيل فرض الاسراء وقيل ابتاع الرقاب لعتقها (وأقام
 الصلوة) المفروضة (وأتى الزكاة) المفروضة (فان قيل) قد ذكرنا أن المال فى هذه الوجوه
 ثم نبأ بان الزكاة فقد دل ذلك على أن فى المال حقاً سوى الزكاة (أجيب) بأن المتقدم
 فى التطوع وإن قال الشعبي أن فى المال حقاً سوى الزكاة وتلاهذه الآية فى الحديث نسخت
 الزكاة كل صدقة رواء الدارقطنى والبيهقى أى نسخت الزكاة وجوب كل صدقة وروى ليس
 فى المال حق سوى الزكاة (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما
 بينهم وبين الناس إذا وعدوا وأبجروا وإذا حلفوا أو نذروا وفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا أثنوا
 أدوا * (تنبه) * الموفون عطف على من آمن وقيل رفع على المبتدأ والخبر أى وهم الموفون
 وقوله تعالى (والصابرين فى البأساء) أى شدة الفقر (والضراء) أى المرض (وحين البأس)
 أى وقت شدة القتال فى سبيل الله تعالى نصيب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على الشدائد
 ومواطن القتال على سائر الأعمال وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال كما إذا سجد البأس
 أى اشتد الحرب ولقى القوم القوم اتقيماً برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحداً أقرب إلى
 العدو منه (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر
 (وأولئك هم المتقون) الله التاركون للكمالات الانسانية بأسرها والى عليها صريحاً وضمناً فانها أكثرها
 وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير إلى
 الأول بقوله تعالى من آمن إلى والنبيين وإلى الثانى بقوله تعالى وأتى المال إلى وفى الرقاب وإلى
 الثالث بقوله تعالى وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظر إلى إيمانه

واعتماده وبالتقوى اعتبارا معاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان * ونزل في حين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم ما قتلى وجراحات يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وكان لاحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وفأقسموا النقتل بالعبد الحر منهم وبالمراة من الرجل منهم وبالرجل من الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم القصاص) وهو المساواة والمماثلة (في القتل) وصفا وفعلا (الحر يقتل بالحر) ولا يقتل بالعبد (و) يقتل (العبد بالعبد) يقتل (الانثى بالانثى) وبينت السنة أن الذكرا يقتل بالانثى وإن المماثلة تعتبر في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولا ثمة في ذلك خلاف وأدلة مذكورة في الفقه وكلهم على هدى من ربهم (ثم عني له) أى من القاتلين (من) أى دم (أخيه) المقتول (شيء) بأن ترك القصاص منه وتشكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ولومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف الى العفو وأيدان بأن القتل لا يقطع اخوة الايمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر (فاتباع) أى فعل العافي اتباع للقاتل (بالمعروف) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى وهو الأصح عنده الواجب القصاص عينا والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسعها فلا شيء (فان قيل) ان عفا يتعدى بعن لابلالام فاوجه قوله فن عني له (أجيب) بأن عفا يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنهك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب والجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول عفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما فى الآية كأنه قيل فن عني له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (وأداء) أى وعلى القاتل أداء الدية (اليه) أى العافي وهو الوارث (باحسان) أى بلا مغل ولا بنس (ذلك) الحكم المذكور في العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع لان أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو وتسعة عليهم ونيسرا (فن اعتدى) أى ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أى العفو على الدية أرجحانا (فله عذاب أليم) أى مؤلم في الآخرة بالنار وفى الدنيا بالقتل وأخذ الدية ان عني عنها وقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكير الحياة ليدل على أن فى هذا الجنس من الحكم نوعان الحياة عظيمها وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة قال الزمخشري وتم قتل مهلول بأخيه كليب حتى كاد يفتنى بكر بن وائل وكان يقتل بالقتول غير قتاله فتشور النسبة ويقع بينهم التماجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاصد للقتل اذا علم أنه ان قتل يقتل يمنع فيكون فيه بقاءه وبقاء من

ثم بقتله وفي المثل القتل أنفي للقتل وقيل في المثل القتل قتل القتل وقيل المراد بالحياة الحماية
 الاخرى فان القتلى اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذه في الآخرة هذا بالنسبة للآدمي وأما
 بالنسبة لله تعالى فان تاب فكذلك والافهوت تحت المشيئة ثم نادى ذوى العقول الكاملة بقوله
 (يا أولي الألباب) للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ثم بين سبحانه
 وتعالى مشروعية ذلك بقوله (لعلكم تتقون) القتل مخافة القودأ وتعملون عمل أهل التقوى في
 المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له وهو خطاب له فضل اختيصاص بالأئمة (كتب)
 أي فرض (عليكم) اذا حضر أحدكم الموت أي حضرت أسبابه وظهرت أمواته (ان ترك خيرا)
 أي ما لا نظيره قوله تعالى وما تفرقوا من خير وقيل مالا كثير الماروي عن عائشة رضي الله تعالى
 عنها أن رجلا أراد الوصية فسأله كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت
 انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فتركه لعيالك وعن علي رضي الله تعالى عنه
 أن مولى له أراد أن يوصي وله سبع مائة درهم فنهه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال
 الكثير وقوله تعالى (الوصية) مرفوع بكتب وذكر فعلها النفاصل ولا يهاجمني أن يوصي ولذلك
 ذكر الراجع في قوله فن بدله بعد ما سمعه والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
 وجواب ان أي فليوص (لوالدين والاقربين بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
 الثلث الماروي عن سعيد بن مالك رضي الله تعالى عنه قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
 يعودني فقلت يا رسول الله أوصي بعالي كاه قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث
 والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يكفون الناس بأيديهم
 أي يسألون الناس الصدقة بأ كفهم وقوله تعالى (حقا) مصدر قال البضاوي تبع الترخشي
 وغيره مؤ كذا لمضمون الجملة قبله أي حق ذلك حقا وردة أبو حيان بأن قوله تعالى على المتقين
 متعلق بحقا وصفة له وكل منهما يخرج عن التأكد اما الاول فلان المصدر المؤكد لا يعمل
 انما يعمل المصدر الذي ينحل الى حرف مصدرى والفعل أو المصدر الذي هو بدل من اللفظ
 بالفعل وأما الثاني فلان حقا مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكدا وقيل حقا نعمت مصدر كتب
 أو أوصى أي كتب أو أوصاه حقا وقيل حال من مصدر أحدهما معترف أو قيل نصب على المفعولية
 أي جعل الوصية حقا (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية المواريث بقوله صلى الله عليه
 وسلم ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا الوصية لو ارث بضاعتي الا أصبح من أن الكتاب ينسخ
 بالسنة وان لم تتواتر وبذلك ظهر ما في قول بعضهم ان الكتاب لا ينسخ بالسنة وان الحديث من
 ألا حداد (فن بدله) أي غيره من الاوصياء والشهود (بعلم ما سمعه) أي وصل اليه علمه وتحقق
 عنده (فانما أئمة) أي الإيصاء المبدل (على الذين يبدلون) والميت يرى منه وفي هذا اقامة
 الظاهر مقام المضمحل (إن الله سمع) لما وصي به الموصي (عليه) بفعل الوصي فيجازيه عليه وفي
 هذا وعيد للمبدل بغير حق (فن خاف من موص) أي توقع وعلم كقوله تعالى فان خفت أن لا يقبها
 حدود الله أي علمت وقرأ جزءا بما لا يالاف بعد الخاف من خاف حيث جاء وقرأ أشعة وحجرة

والكسائي يفتح الواو من موص وتشدّد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد
 (جنفاً) أي ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية (أو أعماً) بأن نعمد الخيف في الوصية (فأصلح بينهم)
 بين الوصي والموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع (فلا ثم عليه) في هذا التبديل لانه تبديل
 باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله عفو ورحيم) فيه وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر
 الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم الصيام) هو
 لغة الامساك عما تنازع فيه النفس ومنه قوله تعالى فقولني اني نذرت للرحن صوماً أي صمتاً لانه
 امساك عن الكلام وفي الشرع الامساك عن المفطرات مع النية فانها معظم ما تشبهه النفس
 (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والاثم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله
 تعالى عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أدخل الله أمة من افتراضها عليهم
 لم يفرضها عليهم وحدهم وفي قوله تعالى كتب عليكم الخ تؤكد للحكم وترغب على الفعل
 وتطيب على النفس وفي موضع التشبيه في كاف كما كتب قولان أحدهما أن التشبيه في حكم
 الصوم وصفته لافي عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذا نام أحدكم قبل أن يطعم أهله لم يحل له
 أن يظلم الى الليلة القابلة والنساء عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقد أرخص لكم هذا
 فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية فانها
 فرق بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد الايام لما روى
 أن رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان أي وهو يضم الميم موت يقع على الماشية
 فزادوا عشر اقبله وعشر بعده فجعلوه خمسين وقيل كان يقع في الحز الشديد وكان يشق عليهم
 في أسفارهم ويضربهم في معاشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في
 فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وقالوا يزيد عشرين يوماً تكفروا صمنا
 قال السدي عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة أيام أولاً كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوماً ثم
 ان ملكهم اشتكى فنهج فجعل الله عليه ان هوشى من وجهه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فزاد فيه
 أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ووليه ملك آخر فقال أتموه خمسين يوماً وعلى هذا تكون الآية محكمة
 لا منسوخة (لعلكم تتقون) بصومكم للمعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما
 قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة أي مؤن النكاح فليتزوج
 فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أي قاطع لشهوته
 أو لعلكم تنظّمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقوله تعالى (أياماً) نصب بصوموا
 مقدراً للدلالة الصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما (معدودات) أي قلائل كقوله تعالى
 دراهم معدودة وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير بهال هيلاً ويحكي حثياً
 أو موقعات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقوله تسهيلات على المكلفين وقيل هي عاشوراء
 وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نعت
 بشهر رمضان (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضطره الصوم ويعسر معه (أو على سفر) أي مسافراً

سفر قصر (فعدة من أيام آخر) أي فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام آخر ان افطر
 لحذف الشرط وهو ان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو أيام المرض والسفر للعلم بها
 واختلافوا في المرض الذي يبيح الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب أهل الظاهر الى أن ما ينطلق
 عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين فقد دخل عليه في رمضان وهو يأكل
 فاعتل بوجع اصابه وفي السفر الذي يباح فيه الفطر والاصح فيه أيضا ما قدرناه وهو
 مرحلتان وقال الاوزاعي أقله مرحلة وقال أبو حنيفة وأصحابه ثلاثة أيام (وعلى الذين
 يطيقونه) أي ان افطروا (فدية) هي (طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مذكور على الاصح
 من غالب قوت بلده وقال بعضهم نصف صاع من القمح أو صاع من غيره وقال بعضهم ما كان
 المفطر يتقونه يومه الذي أفطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاء وسحوره واختلف
 العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة
 ابن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في صدر الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا
 ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لانهم كانوا لم يتعودوا الصيام ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله
 تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الاحكامل والمرضع اذا أفطر تاخوفا على الولد
 فانها باقية بلا نسخ في حقهما وذهب جماعة منهم الى أن لفظة لا مقدرة في الآية أي وعلى الذين
 لا يطيقونه لكبر أو مرض لا يرجي برؤف فدية وهو قول سعيد بن جبير وجعل الآية محكمة وقرأ
 نافع وابن ذكوان بغير تنوين في فديته وخفف الميم من طعام والباقون بتنوين فدية ورفع الميم
 من طعام وقرأ نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين وألف بعد السين وفتح النون والباقون
 بكسر الميم وسكون السين ولا ألف بعدها وكسر النون منونة (فمن تطوع خيرا) بالزيادة على
 القدر المذكور في الفدية (فهو) أي التطوع (خيره) فيثيبكم الله عليه (وان تصوموا) أي
 أيها المطيقون مبتدأ خبره (خير لكم) أي من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) أي ما في
 الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب ان كنتم محذوف دل عليه خير لكم أي فالصوم خير
 لكم وقوله تعالى (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده أو بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
 الصيام بدل اشتمال أو بدل كل من كل ان قدر مضاف أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر
 رمضان أو الشهر من الشهر ورومضان مصدر رمض اذا حرق فأضيف اليه الشهر وجعل علما
 ومنع من الصرف للعمية والالف والنون (فان قيل) اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
 والمضاف اليه جميعا فوجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان
 ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم لم يعد من أدرك رمضان فلم يغفر له
 (أجيب) بأن ذلك على حذف المضاف لامن اللبس قال التقطاراني وجازا لحذف من الاعلام
 وان كان من قبيل حذف بعض الكلمة لانهم أجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف
 اليه حيث أعربوا الجزأين وانما أسماء العرب بذلك اما لا ريبا فيهم فيه من حر الجوع والعطش
 واما الارغاض الذنوب فيه وقيل لما نقلوا أسماء الشهر وعن اللغة القديمة سموها بالازمنة

التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمضان الحرق قال أئمة اللغة كان أسماء الشهر وفي اللغة
القديمة مؤتمر ناجر خوان وبصان حنين ورنه الاصم وعمل نائق عادل
هواع يرالفغيرت الى محترم صفر ربيع الاول وبيع الثاني جمادى الاولى جمادى
الثانية رجب شعبان رمضان شوال ذى القعدة ذى الحجة على الترتيب وسمى المحرم
لتحريم القتال فيه وصفر لخلو مكة عن أهلها الى الحروب والريغان لا رباع الناس فيه ما
أى أقامتهم وجماديان لجود الماء فيها ورجب لترجيب العرب اياه أى تعظيمهم له وشعبان
لتشعب القبائل فيه ورمضان لرمض الفصال فيه وشوال لشول اذ ناب اللواقح فيه وذو القعدة
لنقصه فيه عن الحرب وذو الحجة لحجهم فيه (الذى أنزل فيه القرآن) جملة من اللوح
المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم تنزل منجما الى الارض وقيل ابتدئ فيه انزاله وكان
ذلك ليلة القدر وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربعة وعشرين رواه الامام أحمد وغيره
* (فائدة) * قال ابن عادل يروى ان جبريل عليه السلام نزل على آدم اثنتي عشرة مرة
وعلى ادريس أربع مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى نوح خمسين مرة
وعلى موسى أربع مائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين
ألف مرة وقرأ ابن كثير القرآن بنقل حركة الهمزة الى الراء وتصور الراء مفتوحة وألف بعده هاء
المعرف والمنكر حيث جاء وكذا يقرأ حجة في الوقف وقوله تعالى (هدى الناس وبنات من
الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزل وهو هداية للناس لا يجاز من الضلالة الى الحق
وهو آيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل مما فيه من الحكم والاحكام
(فان قيل) فما معنى قوله وبنات من الهدى بعد قوله هدى للناس (أجيب) بأنه تعالى ذكر اولا
انه هدى ثم ذكر أنه بنات من جملة ما هدى به الله وفرقه بين الحق والباطل من وجبه وكتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فن شهد) أى حضر (منكم الشهر فليصمه) وقوله
نعمالى (ومن كان مريضا أو على سفر) أى فأفطر (فعدة من أيام أخر) فقد تم مثله وكرهنا
يتوهم نسخته بتعميم من شهد (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى يريد أن يسر عليكم
ولا يعسر ولذلك أباح لكم الفطر في المرض والسفر واختلفوا هل الفطر في السفر أفضل
أو الصوم والاصح انه ان شق عليه الصوم فالفطر أفضل والا فالصوم وروى عن ابن عباس
وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام
فعله القضاء واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وأجاب
الاول عن الحديث بأنه مجمل على من يشق عليه الصوم فقول جابر بن عبد الله رضى الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى زحاما ورخلا قد نزل عليه فقال ما هذا
قالوا هذا صائم فقال صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر والدليل على جواز

الصوم في السفر قول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه كأنما فرمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وقوله تعالى (واتكملوا العدة وتسكبوا لله على ما هذاكم ولعلكم تشكرون) أي الله غلى نعمه علل الفعل محذوف دل عليه ماسبق أي وشرع جلة ماذا كرم من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بالقضاء وبرعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله تعالى واتكملوا العدة علة الأمر برعاة العدة وقوله تعالى وتسكبوا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر وقوله تعالى وعللكم تشكرون علة الترخيص من تعظيم الله تعالى بالجد والثناء عليه ولذلك عد نوعان ألف والنشر لطيف المسالك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالمحمد والثناء عليه ولذلك عدى بحرف الاستعلاء لكونه مضماً معني الحد كأنه قيل وتسكبوا والله حامدين على ما هذاكم وقيل تكبير عبد الفطر وقيل التكبير عند الإلهال وقراء شعبة ولتكم لو بفتح الكاف وتشديد الميم والباقون بسكون الكاف وتخفيف الميم * (تنبيه) * ورد في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين أخبار منها مارواه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلفت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى نادياً يا بني الخير أقبل ويا بني الشرأ قصر والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ومنها مارواه أيضاً انه صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها مارواه سلمان قال خطب بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعاً من تقرب فيه بخصلته من الخير كان كن أدنى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كن أدنى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعمق رقبتة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كأنما نجد ما يفطر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الله بهذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرّة أو شرربة من ماء ومن أسقى صائماً سقاء الله عز وجل من حوضي شربة لا يظلم بعدها حتى يدخل الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عمق من النار فاستكثر وفيه من أربع خصال خصّلتين ترضون بهما ربكم وخصّلتين لا غنى لكم عنهما فأما الخصّلتان اللتان ترضون بهما ربكم فهما هاتان لا اله الا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعدّه

س أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعمه وشربه وشهوته من أجل لي للصائم فرحان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ونزل الوفاء بالصائم أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنسة وعن سهل بن سعد أنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وعن ابن عمر
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب اني
 منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن رب منعتك النوم بالليل فشفعني
 فيه فشفعان * وسأل جماعة النبي صلى الله عليه وسلم أي أقرب ربنا فنادى فنادى فنادى
 (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) أي فقل لهم اني قريب وهو غييل لكمال علمه بأفعال العباد
 وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم ونحوه قوله تعالى ونحن أقرب اليه
 من جبل الوريد وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي بان الله ما سأل تقريراً للقرب ووعد
 للداعي بالاجابة وقرأ ورش وأبو عرو وبأبواب المياه فيه ما وصلا لا وقفوا واختلف عن قالون فيه ما
 والباقيون بمحذوها ووصلا ووقفا (فان قيل) ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع وقوله
 ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب (أجيب) بأنهم اختلفوا في معنى الآيتين فقيل
 معنى الدعاء هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وان لفظهما عام
 تقديره أجيب دعوة الداع ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء أو أجيب
 دعوة الداعي ان وافق القضاء أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه ان لم يسأل محالا وعن
 أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجيب الله لادمع ما لم يدع باثم
 أو قطعه رحمة أو يستجبل قالوا وما الاستجبال يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب فلا
 أراك تستجيب لي فيحسر عند ذلك فيدع أي يترك الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله أجيب
 أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من اجابة الدعوة فاما اعطاء الامنية فليس بمذكور فيها
 وقد يجيب السيد عبده أو الوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كاشنة لاحالة عند حصول
 الدعوة وقيل معنى الآية أنه لا يخيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يقدر له ادخر الثواب
 له في الآخرة أو كف عنه به سواء لقوله صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدعوا لله
 بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من السوء بمثلها ما لم يدع باثم أو قطعه رحمة وقيل ان الله
 يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويحجب اعطاء من لا
 يحبه لانه يغيض صوته وقيل ان للدعاء آدابا وشرايط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها
 كان من أهل الاجابة ومن أدخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب
 (فليس تهيبوا الي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعوني بهماتهم وقوله تعالى
 (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات والمداومة على الايمان (لعلهم) أي لكي (يرشدون) والرشد اصابة
 الحق (أحل لكم ليلة الصيام) أي الليلة التي تصبحون منها صائمين (الرفث الى نسائكم) الرفث
 كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخفى لو عن رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كافة الوطء
 والجماع فانه يجب أن يكنى عنه بلازم من لوازمه كالرفث وعدى بالي لتضمنه معنى الافشاء وكفى
 عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفشى بعضكم الى بعض
 استهجا بالما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك سماه فيما يأتي خيانة قال ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما ان الله تعالى حيي كريم يكره ان يكره في القرآن من المباشرة والملازمة والافضاء
والدخول فالرفث انما عني به الجماع وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من
النساء قال أهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والنساء
الى اوان العشاء الاخرة او يرقدها فاذ اصاب العشاء او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب
والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء
فلما اعتسل أخذ بيكي ويلوم نفسه فأقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أعذرت الى
الله واليك من نفسي هذه الخاطئة انى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة
طيبة فسوّات لى نفسي فجمعت أهلى فهل تجددى من رخصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما كنت جدرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعتزوا بعذرهم فترزل في عمر وأصحابه هذه الآية وفي تجويز
المباشرة في جميع الليل دليل على جواز تأخير الغسل الى الفجر وصحة صوم المصحح جنبا
(هن لباس) أى سكن (لكم وأنتم لباس) أى سكن (لهن) كما قال تعالى وجعل منها زوجها
يسكن اليها وكما قيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وقيل سمي كل
واحد من الزوجين لباسا ليجردهما عند النوم وتعاقهما واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير
كل واحد من الزوجين صاحبه كالثوب الذي يلبسه قال الجعدى

اذاما للجميع شئ عطفها * تنفث فكانت عليه لباسا

والجميع المضاجع وما زائدة وتنفث عطفها امال شقها وتنفث مالت والشاهد في قوله فكانت عليه
لباسا وقيل أن كلامهم ما يستريح حال صاحبه وينعنه من الفجور كما جاء في الخبر من تزوج فقيده
أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أى تظلمونها بتعريضها للعقاب وتقبيص
حظها من الثواب بالجماعة بعد العشاء كما وقع ذلك لعمر وغيره وقال البراء لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله هذه الآية (فتاب
عليكم) أى قبل توبتكم (وعفا عنكم) أى محاذنوبكم ولم يل أحد افغا لانه واوى
(قالا ن) أى اذ انسح عنكم التحريم (باشروهن) أى جامعوهن حلالا وسمى الجماعة مباشرة
لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه (وابتغوا) أى واطلبوا (ما كتب الله لكم) أى ما قسم
لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أى لا مباشر والقصاء الشهوة وحدها ولكن لا بتقاء
ما وضع الله له النكاح من التماسل أو قصد العفة وقال مجاهد ابتغوا الولد فان لم تلده هذه فهذه
وقال مقاتل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح
المحفوظ وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم
وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر فقوله تعالى (وكلا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الايض من الخيط الاسود من الفجر) أى الصادق نزل في رجل من الانصار قال عكرمة اسمه
أبو قيس وذلك انه ظل نهاره يعمل في أرض وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بقر فقال لامرأته
قدنى الطعام وأرادت المرأة أن تطعمه شيئا فخذت تعمل له في شئ وكان في ابتداء الاسلام

من صلى العشاء أو نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما قرغت من طعامه اذ هو قد نام وكان قد أعبا وكل فابقطه فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجبهاً ودافلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً فذكر له حاله فأنعم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُتزل الله هذه الآية وقد شبه سبحانه ونعالى أول ما يمد من الفجر المعترض في الاق و ما يعتد معه من غبش الليل بخطين أبيض وأسودوا كتنفي بيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالة عليه ويصح أن تكون من التبعيض فأنما يمدو بعض الفجر وعلى كل منهما فهم مع مدخولها في محل الحال والمعنى على التبعيض حال كون الخيط الأبيض بعضاً من الفجر وعلى البيان حال كونه هو الفجر (فان قيل) كيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالي أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أقوم من الليل فلا يتبين لي الأسود من الأبيض فلما أصبحت غدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال ان كان وسادتي اذا العريضا وروى أنك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار من الليل (أجيب) بأنه غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاد الرجل وقلة فظنته وقال سهل بن سعد الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناله فأُتزل الله تعالى بعد ذلك من الفجر (فان قيل) كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تأخير البيان وهو يشبه العتب حيث لا يفهم منه المراد (أجيب) بأن ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائزاً واستثنى أولاً بأشتماره ما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم (ثم أتوا الصيام) من الفجر (الى الليل) أى الى دخوله بغروب الشمس كما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم أى دخل وقت افطاره • (تنبيه) • انما قدرت في الآية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز الزانية في النهار في صوم رمضان كما هو مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه ولأن الى يكون الغياب ينقض شيئاً فشيئاً والاعتام فعل الجزاء الاخير فقط وهو لا ينقض كذلك وفي الآية دليل على نفي الوصال لانه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشيء منتهاه وما بعدهما يخالف ما قبلها (ولا تبشروهن) أى نساءكم (وأنتم عاكفون) أى مقيمون (في المساجد) بنية الاعتكاف والمراد بالباشرة الوطء والآية ترأت في نفر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى أهله خرج اليها فاجمعها ثم اغتسل ثم يرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك لئلا وهنوا راحتي يفرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يختص بمسجد دون مسجد وأن يكون في المسجد لا في غيره اذ ذكر المساجد لا جائز أن يكون لجعلها شرطاً في منع مباشرة المعتكف لمنعه منها وان كان خارج المسجد ويمنع غيره أيضاً منها

فما فتعين كونها شرطاً للصحة الاعتكاف وإن الوطء محرم في الاعتكاف ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد أمامادون الجماع من المباشرات فإن كان بشهوة فحرام ولا يطل اعتكافه إن لم ينزل فإن أنزل وكان بلا حائل فكالجماع والافلاعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلى رأسه فأوجله وكان لا يدخل البيت إلا الحاجة الإنسان (تلك) الأحكام المذكورة وهي قوله تعالى فلا تباشروهن إلى قوله تعالى في المساجد (حدود الله) حدها العبادة بقوا عندها (فلا تقربوها) نهى تعالى أن يقرب الحد الحاجر بين الحق والباطل لئلا يداين الباطل فضلاً أن يتخطى عنه وهذا أبلغ من قوله تعالى في آية أخرى فلا تَعِدُّوهَا لكن في ذلك ما مورات وهي لا ينهي عن قربانها فالمراد منها اضدادها بناء على أن الأمر بالشئ نهى عن ضده أو مستلزم له ليصح النهي عن قربانها ويجوز أن يراد بحدود الله محارمه ونواهيه وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام إن لكل ملك حي وإن حيي الله في أرضه محارمه فنرفع حول الحي يوشك أن يقع فيه رواه الشيخان (كذلك) أي كما بين لكم ما ذكر (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا مخافة الأوامر والنواهي فينجوا من العذاب (ولأنهم كانوا أموالكم ينكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) أي الحرام شرعاً كالغصب والسرقة وقوله تعالى (وتدلو) مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بأخباران والادلاء الاتقاء أي ولا تلقوا (بها) أي بحكمومتها وبالأموال رشوة (إلى الأحكام لتأكلوا) بالنعام (فريقاً) أي طائفة (من أموال الناس بالاثم) أي بما يوجب اثماً كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو متلبس بالاثم فالباء أماً للسمية فتسكون متعلقة بتأكلوا أو لاصحابه فتعلق بمعدوف وتكون مع مدخولها حالاً من فاعل تأكلوا (وأنتم تعملون) أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية مع العلم أقبح روى أن عبدان الحضرمي أتى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فخكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم بالخلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً فارتدع عن اليمين وسلم الأرض لعبدان فنزات وهو دليل على أن حكم القاضي لا ينقد في باطن الأمر وفيه خلاف ظاهر ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لخصمين اختصما إليه انما أنا بشروا أنتم تحتصمون لدى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته أي أقوم وأقدر عليهما من بعض فأقضى له على ما أسمع منه فن قضيت له بشئ من أخيه فانما أقطع له قطعة من نار فبكوا وقال كل واحد منهما حتى لصاحبه فقال اذهبا فتواخيا ثم استهما ثم ليحال كل واحد منهما لصاحبه وسأل معاذ بن جبل ونعيلة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يسدود قيقا كأنه يطير يزيد حتى يمتلئ نوراً ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود قيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فتزل (يسئلونك) يا محمد (عن الأهلة) جمع هلال مثل رداء واردة والهلال اسم له أول الليلة الأولى والثانية والثالثة وبعدها يسمى قراوهنا سماه بأول حالته لأن الناس يعرفون أصواتهم بالذكور عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد (قل) لهم

(هي مواقيت) جميع ميعات أي معالم (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم ومحال
ديونهم ونصيباتهم وأفطارهم وعدد نسايتهم وأيام حبسهم ومدة جملتهم وغير ذلك وقوله تعالى
(والحج) عطف على الناس أي يعلمون بها وقته أداء وقضاء هذه هي الحكمة الظاهرة في ذلك
ولهذا خالف بين الألهة وبين الشمس فلما استمرت الألهة على حالها لم يعرف حال ماذكر ولما كان
الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً
ولاداراً من بابها فان كان من أهل المدر فقب نقباً في ظهر بيته ويدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً
فيه فبصد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج
من الباب حتى يحل من أحراره ويرون ذلك برا الآن يكون من المحس وهم قريش وكنانة
وخزاعة وثقيف وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية وبنو حسان الشدته في
دينهم والحجاسة الشدة والصلابة قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتاً لبعض
الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعه بن تابوت على أثره من الباب وهو محرم
فأنكر وأعليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تدخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك
دخلت فدخلت على اثرك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحس فقال الرجل فان
كنت أحس فاني أحس رضىت بهم بذلك وبسمتك ودينك فأنزل الله تعالى (وليس البر أن تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر) أي ذا البر (من اتقى) الله بترك مخالفتها ووجه اتصال هذه
الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من
غير أبوابها أو أنه تعالى لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضاً من أفعالهم في الحج ذكره
للاستطراد وأنهم لما سألوا عما لا يعنيههم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيههم وهو
معرفة الحلال والحرام ويحتضن بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على أن اللائق
بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وعلى أن المراد به التنبيه على تعكيرهم السؤال
وتعميلهم بحال من ترك أبواب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن تأتوا
مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) في الأسرام كغيره
اذ ليس في العدول برأ وبأشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تبشر عليها والمراد توطئ
النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله تعالى حكم وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه كما في السؤال من الاتهام عقارة الشك لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون (واتقوا الله) في تغيير الأحكام (لعلكم تفلحون) لكي تغوزوا بالهدى والبر
وقرأ ورس وأبو عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جاء معرفاً كان أو منكراً وكسرهما
الباقون ولا خلاف في وليس البر ههنا أن الرأى مرفوعة للجميع وقرأ نافع وابن عامر ولكن بكسر
النون مخففة ورفع الرأى والباقون بفتح النون مشددة ونصب الرأى ولما صدقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم علم عن البيت عام الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصددهم المشركون

عن البيت الحرام وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا مكة ثلاثة أيام فطوف بالبيت فلما
كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا
لهم ويقا تلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون ذلك نزل (وقاتلوا) أى جاهدوا
(في سبيل الله) لاعلاء كلمته واعزاز دينه (الذين يقاتلونكم) من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم
بالابتداء بالقتال (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذا المحبة حقيقتهما
بحال في حق تعالى لانها ميل النفس وسبب ذلك انهم كانوا منعوامن قتل الكفار وأمروا
بالصبر على اذا هم بقوله تعالى لتبلون في أموالكم الآية ثم أمروا به اذا انه دوا به بهذه الآية
ثم أبيع لهم ابتداءه في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم الآية ثم أمروا به
مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى (واقاتلوهم حيث ثقفوهم) أى وجدتموهم
في حل أو حرم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه حيث جاء (وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم عام الفتح (والفتنة) أى الشرك منهم (أشد)
أى أعظم (من القتل) لهم في الحرم أو الاحرام الذى استعظموه أو المحنة التى يقتتن بها
الانسان كالخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتآلم النفس بها قبل لبعض
الحكماء ما أشد من الموت قال الذى يتنى فيه الموت وقال القائل

لقتل بجدا السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بجدا فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة كما قال تعالى ذوقوا عنتكم (ولا تقاتلوهم) أى لا تبدؤهم (عند
المسجد الحرام) أى في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم) فيه فانهم هم الذين
هتكوا حرمة وقرأ جزء والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التاء الفوقية من تقتلوهم
والباء من يقتلوكم وسكون القاف ولا ألف بعد القاف وضم التاء فيهما والباقيون بفتح التاء
والياء وفتح القاف وبعد القاف ألف وكسر التاء وأما فان قاتلوكم فحذف جزء والكسائي الالف
وأثبتها الباقيون والمعنى على قراءة جزء والكسائي حتى يقتلوا بعضهم جعل وقوع القتل في
بعضهم كوقوعه فيهم كقول بعض العرب قتلنا بنى أسد أى بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا تقتلكم
(كذلك) أى القتل والخراج (جزء الكافرين) أى يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان اتهموا) عن
الكفر وأسأوا (فان الله غفور) يغفر لهم ما قد سلف (رحيم) بهم فلا يؤاخذ بذلك (وقاتلوهم
حتى لا تكون) أى توجد (فتنة) أى شرك (ويكون الدين) أى العبادة (لله) وحده لا يعبدون
سواه (فان اتهموا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فلاغدوان) أى اعتداء يقتل
او غيره (الاعلى الظالمين) أى فلا تعتدوا على المستهين اذ لا يحسن أن يظلم الامن ظلم والقاء
الاولى للتعظيم والثانية للجزاء وسعى جزاء الظالمين عدوانا لا مشاكاة كقوله تعالى في اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه (الشهر الحرام) أى الحرم مقابل (بالشهر الحرام) وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما خرج معمر في ذي القعدة سنة ست وضد ما يشركون عن البيت بالحديبية ورجع
في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمره سنة سبع واستعظم المسلمون قتالهم في الشهر الحرام

نزات هذه الآية أي هذا الشهر بذلك وفتك بهتكم فلا تبالوا به وقوله تعالى (والحرمات
 قصاص) احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها بحري فيها القصاص وانما
 جمعها لانه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام أي فلما هتكوا حرمة شهركم
 بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم غنوة واقتلواهم ان قاتلوكم أي كما قال تعالى (فمن اعتدى
 عليكم) بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
 سمى الجزاء باسم الاعتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (واتقوا الله)
 في الانتصار لانفسكم منهم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين)
 بالعون والنصر فيحرمهم ويصلح شأنهم (وأنفقوا في سبيل الله) أي طاعته سواء الجهاد وغيره
 (ولا تقاتلوا بأيديكم) أي بأنفسكم عبر بالأيدي عن الانفس كقوله تعالى بما كسبت أيديكم
 أي بما كسبتم والباء زائدة (الى التهلكة) أي الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد
 أو الاسراف فيها حتى يفقر نفسه ويضيع عياله وعن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو
 روى ان رجلا من المهاجرين جل على صف العدو فصاح به الناس ألقى يده الى التهلكة
 فقال أبو أيوب الانصاري نحن أعلم بهذه الآية وانما نزات فينا صعبنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهلنا وأولادنا وأموالنا فلما قسا
 الاسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى اهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم
 فيها فكانت التهلكة الاقامة في الازل والمال وترك الجهاد فزال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله
 حتى كان آخر غزوة غزاه ابا قسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سورها وهم
 يستسقون به وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين وعبيدة
 السلماني الاقاء الى التهلكة هو القتوط من رجة الله تعالى قال أبو قلابة هو الرجل يصيب الذنب
 فيقول قد هلكت ليست لي توبة قبياس من رجة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن
 ذلك كما قال تعالى انه لا يباس من روح الله الا القوم الكافرون (وأحسنوا) أي بالنفقة
 وغيرها (ان الله يحب المحسنين) أي يثيبهم (وأتموا الحج والعمرة لله) أي أدوها بما يحقوقهم ما وفي
 الآية حينئذ دليل على وجوبها اذا الاصل في الامر الوجوب وما روى عن جابر أنه قال
 يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا معارض بما روى أن رجلا قال لعمر رضي الله تعالى
 عنه اني وجدت أي علمت الحج والعمرة مكتوبين على أهلاتي بما جعنا فقال هديت لسنة نبيك
 ولا يقال انه فسر وجدانهم مكتوبين بقوله أهلاتي بما جعنا لان رتب الاهلل بهم على الوجدان
 وذلك يدل على أنه سبب الاهلل دون العكس وقيل اتمامها أن تحرم بهم ما من ديرة أهلك روى
 ذلك عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهم ما سافر وقيل أن
 تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصهما للعبادة ولا تشوب بهما بشي من التجارة والاعراض
 الدنيوية (فان أحصرتم) أي منعتم عن اتمامها يقال أحصره وأحصره العدو اذا منعه قال

تعالى الذين أحصر وافي سبيل الله وقال القائل

وما هجر إلي أن تكون تباعدت * عليك ولأن أحصرتك شغول

لكن الأشهر أن يقال في العدو حصرة وفي المرض أحصره والمراد هنا حصر العدو وقوله تعالى
 فإذا أمنتم ولتزل الآية في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهم لا حصر إلا حصر
 العدو وأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل فحمل
 على من شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي وأشرطى وقولي اللهم محلي
 حيث حبستني ومحلي بكسر الحاء محل الحبس والحصر ويجوز أن يكون مصدرامياً (فما استيسر
 من الهدى) أي فإن أردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو فالواجب أو فأهدوا ما استيسر من
 الهدى وهو بدنة أو بقرة أو سبع من أحدهما أو شاة ذبجها حيث أحصر في حل أو حرم
 عند الأكرانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية به وهي من الحل وقيل لا بد أن يبعث
 به إلى الحرم لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي لا تحلقوا حتى تبلغوا
 الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وحل الأولون بلوغ
 الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان أو حراماً لكن يندب إرساله إلى الحرم
 خروجاً من خلاف أبي حنيفة واقتضاه تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعي
 وذهب أبو حنيفة إلى وجوب القضاء ولا بد من نية التحلل عند الذبح أو الحلق أو التقصير بعده مع
 نية التحلل وبذلك يحصل التحلل والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان (فإن كان منكم مريضاً)
 أي مرضاً يجوجه إلى الحلق (أو به أدى من رأسه) كقمل وصداع فحلق في الإحرام (فقضية)
 أي فعلية فدية أن حلق ولو بعض شعر رأسه ثلاث شعرات فأكثر ولا (من صيام) وهو ثلاثة أيام
 (أو صدقة) وهي ثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
 (أو نسك) وهو بدنة أو بقرة أو سبع واحد منهما أو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لعلك إذا ذهوت رأسك قال نعم يا رسول الله قال حلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم
 ستة مساكين أو أنسك شاة وكان كعب يقول أنزلت في هذه الآية وأولئك خير وألحق بالمعذور
 من حلق لغير عذولانه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب والدهن واللبس لعذر
 وغيره (فإذا أمنتم) من العدو بان ذهب أو كنتم في حال سعة وأمن (فمن تمتع بالعمرة) أي بسبب
 فراغه منها بمحظورات الإحرام (إلى الحج) أي الإحرام به بأن يكون أحرم به في أشهره (فما
 استيسر) أي فعلية ما تيسر (من الهدى) وهو ما تقدم يذبحه بعد الإحرام بالحج ويجوز تقديمه
 على الإحرام به بعد الفراغ من العمرة (فمن لم يجد) أي الهدى لفقدته أو فقده (فصيام) أي
 فعلية صيام (ثلاثة أيام في الحج) أي في حال إحرامه به ولا يجوز له أن يقدمه على الإحرام لانه
 عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته ولا تأخير عنه والأفضل أن يحرم قبل السادس لكرهه
 صوم عرفه ولا يجب عليه أن يحرم قبل زمن يسع الصوم بل يستحب له لكن إذا أحرم وجب عليه
 الصوم ولا يجوز أن يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق على أصح قول الشافعي وهو ما عليه

الاكثر (وسبعة) من الايام (اذا رجعت) الى وطنكم مكة وغيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال
 الحج وفيه التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى (تلك عشرة) أن لا يتوهم أن الواو بمعنى
 أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما كان
 ممثلاً وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليجاط به من جهتين فيمتد كد العلم فإن أكثر العرب
 لم يحسنوا الحساب وفي أمثال العرب علمان خير من علم وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة
 فإنه يطلق لهما وقوله تعالى (كاملة) صفة مؤكدة تنفيذ المبالغة في محافظته العدد بأن لا يتهاون
 بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله
 الله لا تنقص أو مبنية كمال العشرة فإنه أول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتم مراتبها وقيل
 كاملة في وقوعها بدلا من الهدى بحيث لا يقصر ثواب الصوم عن ثواب الهدى (ذلك) أي
 الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد
 الحرام) وهم من مساكنهم دون مرحلتين من الحرم اقر بهم منه والقريب من الشيء يقال
 انه حاضره قال تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي قرية منه وفي ذكر الادل
 اشعاراً بشرط الاستيطان فلما قام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتقع فعليه ذلك وهو أصح قولي
 الشافعي والشافعي لا والاهل كناية عن النفس وألحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من
 يحرم بالعمره والحج معاً ويدخل الحج عليه قبل الطواف (واتقوا الله) بالمحافظة على أوامره
 ونواهيه وخصوصاً في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه ليكون علمكم بشديد
 عقابه لطفوا لکم فی التقوی (الحج أشهر) أي وقته كقولك البرد شهران (معلومات) وهي
 شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم الثور عندنا والعشر كله
 عند أبي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وعلى الاولين انما سمى شهرين وبعض شهر أشهر اقامة
 لبعض مقام الكل أو اطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
 لحفصة وعائشة (فن فرض) على نفسه (فمن الحج) بالاحرام به عندنا وبالطلبية وبسوق الهدى
 عند أبي حنيفة وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج
 وهو قول ابن عباس وجماعة من الصحابة واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال ينعقد احرامه
 عمره لأن الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلما انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص
 فائدة كما أنه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينعقد
 احرامه عن الفرض وانما انعقد عمره لأن الاحرام شديد التعلق وذهب جماعة الى أنه ينعقد
 احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة أما العمره بجميع السنة وقت لها الا أن
 يكون عليه بقية من أعمال الحج كلحى (فلارفت) أي جاع فيه كما قال ابن عباس وجماعة
 من الصحابة وقيل الرفت غشيان النساء والقبلة والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام
 وقيل هو الفحش والقول القبيح (ولا فسوق) أي ولا خروج عن حدود الشرع بالسيات
 وارتكاب المحظورات وقيل هو السباب والنابز باللقاب (ولا جدال) أي خصام مع الخدم

والرفقة وغيرهما (في الحج) أي في أيامه فنفى الثلاث على قصد النهي للمبالغة والدلالة على أهم
 حقيقة بأن لا تكون وما كان منها مستقبلا في نفسه في الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة
 والتطريب بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتحسينه بحيث يخرج الحروف عن هيأتها فانه
 يقيم في كل كلام لكنه في قراءة القرآن أقبح وقرأ ابن كثير وابوعمر وبرقع الشاء من رقت
 والقاف من فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رقت ولا فسوق والباقيون ينصبهما ولا
 خلاف في ولا جدال فالجميع بالنصب ولا تنوين على معنى الاخبار ~~بأنه~~ قبل ولا شك
 ولا خلاف في الحج وذلك أن قریشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر
 العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسي فردا إلى وقت واحد
 ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه
 هو الرقت والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة
 يوم ولادته أمه فانه لم يذكر الجدال (وما تفعلا من خير) كصدقة (بعلمه الله) فيه حث على الخير
 حيث عقب به النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق
 البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي
 وتزودوا والمعادكم التقوى فانهم اخبروا روى البخاري وغيره أن أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج
 بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نخرج بيت الله تعالى أفلا يطعمنا فكم يكونون كالأعلى الناس
 فيسألونهم وربما يقضى الحال بهم إلى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا أي ما تبلغون
 به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فان خير
 الزاد التقوى أي ما يتقى به سؤال الناس وغيره (واتقون يا أولي الألباب) أي يا ذوى العقول فان
 قضية الألباب خشية الله تعالى وتقواه وحنهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود به هو الله
 تعالى فيستبرأ من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل العرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي
 الألباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح) في (أن تبتغوا) أي تطلبوا (فضلا) أي رزقا (من
 ربكم) بالتجارة في الحج نزلت ردع الناس من العرب كانوا يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا
 دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقيم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج
 ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وروى البخاري أنه كانت عكاظ ومجينة وذو المجاز
 أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثروا
 فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبغى لهم وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قيل له هل كنتم تكثرهون
 التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وعكاظ سوق لقيس ومجينة
 وهي ينبع الميم أشهر من كسرها وفتح الجيم وتشديد النون سوق لكثرة بئر الظهران وذو المجاز
 وهو بفتح الميم وبالزاي سوق لهذيل (فأذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) وأصله أفضتم أنفسكم
 فحذف المفعول كما حذفوه من دفعوا من موضع كذا أي دفعوا أنفسهم واختلفوا في المعنى
 الذي لاجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى إبراهيم

عليه الصلاة والسلام المناسك ويعول عرفت فيقول عرفت فسمى المكان لذلك عرفات واليوم
 عرفة وقال الضحاك كان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط وقع في الهند وحواء بجدة فجعل
 كل واحد منهما يطلب صاحبة فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فقارفا فسمى المكان واليوم بما ذكر
 وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوا بالتلبية وأناه من أناه أمره الله تعالى أن
 يخرج إلى عرفات ونعمته فلما بلغ الجرة الأولى استقبله الشيطان يردّه فرماه بسبع حصيات
 يكبر مع كل حصاة فطار فوقه على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار ووقع على الجرة الثالثة فرماه وكبر
 فلما رأى الشيطان أنه لا يطعمه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فحاز
 فسمى ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالعت فسمى المكان واليوم بما ذكر (فان
 قيل) هلا منعت الصرف وفيها السببان العلمية والتأنيث (أجيب) بأن التأنيث لا يخلو ما
 أن يكون بالناء التي في لفظها واما بناء مقدرة كما في سعاد فالتى في لفظها ليست للتأنيث وانما هي
 مع الالف التي قبلها علامة جمع التأنيث ولا يصح تقدير الناء فيها الآن هذه الناء لاختصاصها
 بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تعد ناء التأنيث في بنت لان الناء التي فيها هي بدل من
 الواو لاختصاصها بالمؤنث كماء التأنيث فأثبت تقديرها وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة
 لان اذا تدل على ان المذكور بعدها محقق لا بد منه فكانه قيل بعدا فاضتكم من عرفات التي
 لا بد منها اذ كروا لله والافاضة من عرفات لان تكون الابدال الوقوف بها فوجب أن يكون
 الوقوف بها واجبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج
 (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء
 (عند المشعر الحرام) وهو جبل في آخر المزدلفة يقال له قرح وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
 وقف به يذكر الله تعالى ويدعو حتى أسفر جدارواه مسلم وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وأقامتين ولم يسمع بينهما شيئا
 ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى
 أتى المشعر الحرام استقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووجد ولم يرل واقفا حتى أصبح جدا وقوله تعالى
 عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالأقرب من جبل الرحمة
 والافالمزدلفة كما هو وقف الا وادى محسرو يسمى مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم
 الحج ووصف بالحرام لحرمته وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتي المغرب والعشاء
 وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه
 الليلة لا ينامون وقيل سميت جمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء عليهما الصلاة والسلام وازدلف
 اليها أى دنأ منها وقيل وصفت بفعل أهلها لانهم يزدلفون الى الله تعالى أى يتقربون بالوقوف فيها
 (واذكروه كما هداكم) لعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله) أى الهدى
 (لن الضالين) أى الجاهلين بالايان والطاعة وان هي الخوفة من الثقلية واللام هي الفارقة
 وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان تطئفك لمن الكاذبين أى ما تطئفك الامن

الكاذبين (ثم أفيضوا) يا قريش (من حيث أفاض الناس) وذلك أنهم وحلفاءهم ومن دان
بدينهم وهم المحس كانوا ينفقون بالمزداقة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم ويقولون
نحن أهل الله وقطان حرمه ولا نخرج منه فأمر وأن يسألوهم وهم وثم للترتيب في الذكرو في الكلام
تقديم وتأخير تقديره في فرض فيه الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقبل لتفاوت ما بين
الافاضتين أي التراخي الثانية عن الأولى رتبة إذا الأولى هي الصواب والثانية خطأ كما في قوله
أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غيرك ثم فالتأتأ بتفاوت ما بين الأحسان إلى الكريم
والى غيره وبعد ما بين ما وقيل ثم بمعنى الواو كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا (واستغفروا
الله) من ذنوبكم في تغيير المناسك وغيره (إن الله غفور رحيم) يغفر ذنوب المستغفرو ينعم عليه
(فاذا قضيت) أي أديت (مناسككم) أي عبادات حجكم كان ربيتم جرة العقبة وطفتم
واستقرتم يعني وأدغم أبو عمرو الكاف في الكاف بخلاف عنه ولم يدغم مثلين من كلمة في القرآن
الاهنا وفي سورة المدثر وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر (فادكروا الله) بالكسب والتحميد
والثناء عليه (كذكركم آباءكم) وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت بين المسجد يعني
وبين الجبل فيعدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم فأمرهم الله تعالى بذكره وقال
فاذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسن إليكم واليهم وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم فاذا كروا الله كذكرا الصبيان الصغار والآباء وذلك أن الصبي يقول ما يتكلم به
بذكر أبيه لا بذكر غيره فقال الله تعالى فاذكروا الله لا غير كذكرا الصبي آباءه (أو أشد ذكرا) من
ذكركم آباءهم ونصب أشد على الحال المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له (فن التماس
من يقول ربنا آتنا نصيبنا في الدنيا) وهم المشركون كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا
يقولون اللهم اعطنا غنما وبلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم إن أبي كان عظيم
الفتة كبيرا الجفنة كثيرا المال فأعطني مثل ما أعطيته (وما له إلا آخرة من خلاق) أي نصيب
لآلئهم مة مصورة على الدنيا (ومنهم) أي الناس (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار) بعدم دخولها وهم المؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال على
رضي الله تعالى عنه الحسننة في الدنيا المرأة الصالحة والحسنة في الآخرة الجنة يدل له قوله صلى
الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وروى عنه أيضا أنه قال الحسننة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الخوراء وعذاب النار المرأة السوء وقال الحسن الحسننة في الدنيا
العلم والعبادة والحسنة في الآخرة الجنة وقال السدي الحسننة في الدنيا الرزق الحلال
والحسننة في الآخرة المغفرة والثواب وأدغم أبو عمرو واللام في الراء بخلاف عنه (أو أملك)
الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) أي ثواب (مما كسبوا) أي من جنس ما كسبوا من
الأعمال الحسننة أو من أجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطاياهم أعزقوا ويجوز أن يكون
أو أملك للفرقين جميعا وإن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب)

أى اذا حسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعى صدر ولا روية فذكر قال الحسن أسرع
 من لمح البصر وفي الحديث يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا (واذكروا الله)
 أى كبروه أديار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (في أيام معدودات) أى أيام
 التشريق الثلاثة وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى دراهم معدودة والايام المعلومات
 عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر والتكبير في الايام المعدودات عقب كل صلاة ولو فائتة ونافلة
 مشروعة في حق الحاج وغيره لكن غير الحاج يصح من صبح يوم عرفه الى عقب عصر آخر أيام
 التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه اسناده وأما الحاج فيكبر من ظهر يوم النحر لانها اول
 صلاته بمعنى ولا يسكن التكبير عقب صلاة عيد الفطر لعدم وروده (فن تجل) أى استجبل بالفقر
 من منى (في يومين) أى في ثلثي أيام التشريق بعد رمي جماره بعد الزوال عند الشافعي وأصحابه
 قال في الكشف وعند أبي حنيفة وأصحابه ينقر قبل طلوع الفجر (فلا اثم عليه) بالتجمل
 (ومن تأخر) حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره بعد زواله عندنا وقال في الكشف يجوز
 تقديم الرمي على الزوال عند أبي حنيفة (فلا اثم عليه) بذلك أى هم مخيرون في ذلك (فان قيل)
 أليس التأخير أفضل (أجيب) بأن التخيير يقع بين الفاضل والافضل كما خبر المسافر بين الصوم
 والافطار وان كان الصوم أفضل عند عدم المشقة وقيل ان أهل الجاهلية كانوا فرقتين منهم
 من جعل المتجمل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنى الاثم عنهما جميعا وذلك
 التخيير ونفى الاثم عن المتجمل والمتأخر (لمن اتقى) الله تعالى في حجه لانه الحاج على الحقيقة
 عند الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
 ولدته أمه (واتقوا الله) في مجامع أموركم ليعبأ بكم (واعلموا أنكم اليه تحشرون) في الآخرة
 فيجازيكم بأعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله) أى يعظم في نفسه ومنه الشيء العجيب
 الذى يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة واسمه أى وسى الاخنس
 لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 منافقا حاول المنظر حلوا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم يحلف انه مؤمن به ومحبه له ويقول يعلم
 الله انى صادق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وقوله تعالى (في الحياة الدنيا)
 متعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا لان ادعاءه
 المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما أراد بالايان الحقيقي
 والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة أو يعجبك قوله
 في الحياة الدنيا حلوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الدهشة
 واللكنة أو لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما في قلبه)
 أنه موافق لكلامه (وهو آلد الخصام) أى شديد الخصومة لك ولا تباعل بعدوته لك وقال الحسن
 آلد الخصام أى كاذب القول وقال قتادة شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم
 بالحكمة ويعمل بالخطيئة وفي الحديث ان أبغض الرجال الى الله الآلد الخصم (واذا تولى)

أى انصرف عنك بعد الاثنية القول وحلاوة المنطق (سجى) أى مشى (فى الارض ليفسد فيها)
قال ابن جرير بقطع الرحم وسفك دماء المسلمين (وبهك الخرب والنسل) وذلك ان الاخنس
كان ينفه وبين تقيف خصوصية فيبتهم ليلافا حرق زرعهم وأهلك مواشيهم وقيل واذا كان واليا
فعل ما يفعله ولاية السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع
الله تعالى بشؤم ظله القطر فيهك الحرث والنسل وحكى الزجاج عن قوم ان الحرث النساء والنسل
الاولاد قال وهذا ليس بمنكر لان المرأة تسمى حرثا أى ويدل له قوله تعالى فاقموا حرثكم أى شئتم
(والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به لان المحبة وهى ميل القلب محالة فى حقه تعالى فهى
مستعملة فى حقه تعالى فى معنى الرضا (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة) أى حمله
الانفة والحجة على العمل (بالاثم) الذى يؤمر باتقائه (خسبه) أى كافيه (جهنم) جزاء وعذابا
وهى علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنااروسميت بذلك لبعدها عن غيرها وأصلها من الجهم
وهو الكراهة والغلاظ فالنون زائدة وقيل معرب نقل من العجمية الى العربية وتصرف فيه
وأصله كهناهم أبدا الكاف جيماء أسقطت الالف وقوله تعالى (ولبئس المهاد) جواب قسم
مقدروا مخصوص بالذم محذوف العلم به تقديره جهنم والمهاد القراش (ومن الناس من يشترى
أى يبيع (نفسه) أى يذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (استغما
مرضاة الله) أى طلبا لرضاه وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيبي بن سنان الرومى أخذه
المشركون فى رهط من المؤمنين فعدبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من
غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام
بمكة ماشاء الله ثم خرج الى المدينة فلما قاه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم فى رجال فقال له أبو
بكر ربح يعلك أبا يحيى فقال وماذا فقال أنزل الله فيك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فعلى هذا
يكون بشرى بمعنى يشتري لابي يحيى يبيع ويبدل وقيل نزلت فى الزبير والمقداد بن الاسود وذلك
ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انافدا سلمنا فابعت المينا نفرا
من علماء أصحابك يعلون تاديك وكان ذلك مكرامنهم فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو هريرة عشرة ومن جعلتم خبيب فقتلوه وأسر واخيبيأ قال أسره والله ما رأيت أسيرا خيرا
من خبيب والله وجدته يوميا كل قطعا من عنب فى يده وانه لم يوفق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان
كان الارزق ارضه الله خبيبا ثم أرادوا قتله فخرجوا به من الحرم ليقتهلوه فى الحل وأرادوا أن يصلبوه
فقال دعونى أصلى ركعتين فتركوه حتى صلاهما ثم قال لولا أخشى أن تحسبوا ان مابى من جزع
لذبت اللهم أحصهم عددا وافتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم انشأ يقول

ولست أبانى حين أقتل مسلما * على أى شق كان فى الله مصرى

وذلك فى ذات الآله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ومزع

ثم صلبوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى ثم قام
عقبه بن الحرث فقتله فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال أيكمن ينزل خبيبا عن خشبته

وله الجنة فقال الزبير أيا رسول الله وصاحبى المقداد فخر جاسر ان بالليل ويكمنان بالنهار حتى
وصلنا له ليلنا واداحول الخشب أربعون من المشركين نيام فأنزله الزبير ووجهه على فرسه وسارا
فاتبعه الكفار فلم يجدوه فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوه ما أقذف الزبير خبيما
فألتعته الارض فسمى بليع الارض ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام
وأخى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود فان شئتم ناضلتمكم وان شئتم نازا نكم
وان شئتم أنصرفتم فأنصرفوا الى مكة وقدماعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة لتباهى بهذين من أصحابك فتزات فيهما هذه الآية (والله رؤوف بالعباد)
حيث أرشدهم لما فيه رضاه ونزل في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (بأيها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أى الاسلام وقوله تعالى (كافة) حال من السلم لانها أتوت كما
تؤت الحرب كما قال القائل

أباخرشة أما أنت ذا نفر * فان قسوى لم تأكلهم الضبع
في السلم تأخذ منا ما رضيت به * والحرب تكفيك من أنفاسها جزع

أى ادخلوا في جميع شرائعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل وألبانها
بعدها أسلموا فأمر وأن يدخلوا في جميع شرائعه (ولا تتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان)
أى تزيينه من تحريم السبت ولحوم الابل وألبانها وقرأ نافع وابن كثير والكسائى السلم بفتح
السين والباقون بكسرها وتقدم الكلام في خطوات لابن عامر وقيل وحفص والكسائى بضم
الطاء (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ملتم عن الدخول في جميعه (من بعد
ما جاءكم البينات) أى الحجج الظاهرة انه حق (فأعلموا ان الله عزيز) لا يعجزه شئ عن انتقامه
منكم (حكيم) فى صنعه * (تنبيه) قول البيضاوى حكيم لا ينفق الإيجق تبع فيه الزمخشري
وهو مذهب المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بقدر ما يستحقه العاصى ومذهب أهل السنة انه
ينتقم ويعاقب من شاء بما شاء وان كان مطعنا اذ هو متصرف فى ما سلكه يفعل ما يشاء بن شاء وان
لم يقع منه الانتقام الامن أساء وروى أن قارئاً فرغ من قراءة غفران رحيم بدل عزيز حكيم فسمعه اعرابى
لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزوال لانه اغراء عليه
قوله تعالى (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفي أى ما ينظرون (الآن يأتيهم الله) أى أمره
أو بأسه كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك أى عذابه وقوله تعالى فجاءهم بأسنا أو يأتيهم الله بيأسه
خذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم (فى ظلال) جمع ظلة وهى ما أظلك (من
الغمام) أى من السحاب الايض سعى غماما لانه يغم أى يستر وانما يأتيهم العذاب فيه لانه
هظنة الرحمة وهى نزول المطر فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث
لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (و) تأتيتهم (الملائكة) فانهم
الواسطة فى اتيان أمره وألآتون على الحقيقة بيأسه قال البغوى والاولى فى هذه الآية وفيما
شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ويكلى علمها الى الله تعالى ويغتنق قد أن الله تعالى منزله عن

عنده عشرة أيام جازقربانها قبل الغسل (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعتدوا إلى غيره أما الملامسة فيما بعد ما بين السرة والركبة والمضاجعة معها قبل الغسل ولوقبل انقطاع الحيض فجاز قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان يأمرني صلى الله عليه وسلم فأترقبها بشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه إلى وهو معتكف فاعفاه وأنا حائض وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت حضت وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخيلة فأنسلت فخرجت منها فأخذت ثياب حضيقي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدخلني معه في الخيلة (أن الله يحب) أي يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) أي المتزهرين عن الفواحش والاقذار كجماعة الحائض والأتان في غير القبل (نساؤكم حرث لكم) أي مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات (فأنوا حرثكم) أي محله وهو القبل (أنى) أي كيف (سنتم) من قيام وعود واضطجاع واقبال وادبار روى الشيخان أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها أي من خلفها في قبلها جاء وادها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فترت هذه الآية (وقدموا لأنفسكم) من الاعمال الصالحة كالسجدة عند الجماع وطلب الولد أي ما يدخلكم من الثواب (واتقوا الله) في أمره ونهيه (واعلموا أنكم ملاقوه) بالبعث فتزودوا مالا تنفعكم به فانه يجازيكم بأعمالكم (وبشرا المؤمنين) بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصحههم ويشمر من صدقه وامتنل أمره منهم وقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف أن لا ينطق على مسطح حين خاض في حديث الألف لاقرانه على عائشة رضي الله تعالى عنها أوفى عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم ختنه أي زوج أخته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته فالتعرضة كل ما يعرض فيمنع عن الشيء أي لا تجعلوا الحلف سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعي أحدكم إلى صلته رحم أو بر فقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بينه في ترك البر كما قال تعالى (أن تبروا) أي مخافة أن لا تبروا فهو في موضع نصب مفعول من أجله وعند الكوفيين لا تبروا كقوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أي لا تضلوا وقال أبو اسحق في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف أي أن تبروا وتنفوا خير لكم وقيل التقدير في أن تبروا فلما حذف حرف الجر نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فتكره العين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكره لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بين فرأى غيرها خيرا منها فليذكر عن يمينه ويفعل الذي هو خير بخلافها على فعل البر ويحجوه فهي طاعة (والله سميع) لا قوالكم (عليم) باحوالكم (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) واللغو كل مطروح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما سبق إلى اللسان على عجلة لصلته كلام من غير عقد ولا قصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لغوا اليمين كقول الإنسان

لا والله وبلى والله ورفع بعضهم وبهذا قال الشافعي رضي الله عنه وقال قوم هو أن يحلف على
 شيء يرى أنه صادق ثم يمين أنه خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال زيد بن أسلم هو
 دعاء الرجل على نفسه كقول الإنسان أعني الله بصري اذ لم أفعل كذا وكذا فهذا الغول يأخذ
 الله به قال تعالى ويدعو الإنسان بالشردعاء بالخير وقال تعالى ولو يجعل الله للناس الشر
 استعجالهم بالخيرات قضى اليهم أجلهم (ولكن يؤخذ كما كسبت قلوبكم) أي قصده من الإيمان
 إذا حنتم (والله غفور) حيث لم يؤخذكم بالغف (حليم) حيث لم يجعل بالمواخذة على عين الجدة
 تر بصالة توبة * (تنبيه) * اليمين لا ينعقد إلا بالله العظيم أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته
 فاليمين بالله كأن يقول والذي أعبدته والذي نفسي بيده وبأسمائه كأن يقول والله والرحمن
 وبصفاته كأن يقول وعزة الله وعظمته الله وجلال الله فإذا حلف بشيء من ذلك على أمر مستقبل
 ثم حنث وجبت عليه الكفارة وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى في سورة المائدة وإذا حلف على
 أمر ماض أنه كان ولم يكن وهو عالم به حالة ما حلف ففيه اليمين الغموس وهي من الكبائر ويجب
 بها الكفارة كما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال بعض العلماء لا كفارة فيها كما كثر
 الكبار وأما الحلف بغير ما ذكر كالحلف بالكعبة وبيت الله ونبي الله وأبيه ونحوه فلا يكون
 يمينا ولا تجب به الكفارة إذا حنث وهو يمين مكروه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه عمر
 وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ينهاكم أن تحلفوا
 بأبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت (الذين يؤولون من نسائهم) أي يحلفون أن
 لا يجامعوهن ولا يلا الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي عن قال
 قتادة كان الأيلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية
 كان الرجل لا يحب المرأة ولا يريد أن يترجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها أبدا الأيما
 ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرب الله لهم أجلا في الاسلام كما قال تعالى (تربص)
 أي انتظار (أربعة أشهر) أي للمولى حق التثبت في هذه المدة فلا يطالب بغيثة ولا طلاق ولذا قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه لا ايلاء الا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده (فان فائوا) أي رجعوا
 في المدة أو بعدا عن اليمين الى الوطء لان الفية وعزم الطلاق مشروعا عقب الايلاء وحصول
 التربص فلا بد أن يكون مدخول الفاء واقعا بعدهما (فان الله غفور) لهم ما أتوه من ضرر المرأة
 بالحلف (رحيم) بهم (وان عزموا الطلاق) أي صمموا عليه بأن لم يفتوا فليوقعوه (فان الله
 سميع) لقولهم (عليم) بعزمهم أي ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفية أو الطلاق ففيه دليل
 على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال فان الله سميع
 فدل على أنه يقتضى مسوعا والقول هو الذي يسمع وقال بعض العلماء إذا مضت أربعة أشهر يقع
 عليه طلاق بانه وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليه
 طلاق واحدة رجعية ولو حلف أن لا يلاها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى بل حالفا إذا
 وطئها قبل مضي تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين إن كان الحلف بالله ولا يجتص الايلاء بالحلف

سمات الحوادث وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة انتهى وأما أئمة الخلف فانهم يؤولون
هذه الآية بنحو ما أولناه وأمثالها بحسب المقام وهو احكم ومذهب السلف اسلم وكان
مكحول ومالك والليث وأحمد يقولون في هذا وامثاله أمرها كما جاءت بلا كيف (وقضى
الامر) أي تم أمرها كما هو فيهم وفيهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوّه وتيقن وقوعه
(والى الله ترجع الامور) في الآخرة فيجازيهم وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح التاء
وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى (سئل) أمر الرسول أو لكل
أحد (بنى اسرائيل) توحيًا (كم آتيناكم) كم استقهامية معلقة سئل عن المفعول
الثاني وهي ثلث مفعولي آتيناكم وعينها (من آية) أي معجزة (بينة) أي ظاهرة في الدلالة على
صدقه من جاء بها كقلب العصا حمية وبراء الاكمة والابرص وخلق الجعر وانزال المني والسلوى
فبدّلوها كفرا (ومن يبدل نعمته الله) أي ما أنعم به عليه من الآيات لانها سبب الهداية
التي هي أجل النعم كفرا (من بعد ما جاءته) أي وصلته وغداً من معرفتها (فإن الله شديد
العقاب) فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة وهي التبديل (زين للذين كفروا الحية
الدنيا) أي حسنت في أعينهم وأسررت محبتها في قلوبهم حتى تم الكوا عليهم وأعرضوا عن غيرها
والمزين في الحقيقة هو الله تعالى اذا ما من شي الا وهو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلق الله فيها من الامور البهيمية والاشياء الشهوية من بين العرض واختلاف في سبب نزول هذه
الآية فقيل نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه وكانوا يتعمدون بما بسط لهم في الدنيا من
المال ويكدبون بالمعاد (ويستخرون من الذين آمنوا) أي يستهزئون بالفقراء من المؤمنين قال
ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبالا وخبايا وأمثالهم
وقال قتادة نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتعمدون في الدنيا ويستخرون من
ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلبهم
وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وغير قتال (والذين اتقوا) أي الشرك وهم
هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين وأحوالهم غالبية
لخالهم لانهم في كرامة وهم في عوان أو هم غالبون عليهم متطاولون يصحكون منهم كما يتطاول
هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فالיום الذين آمنوا من الكفار يصحكون روى
عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر
أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء واذا أهل الجنة محبوبون
الامن كان منهم من أهل النار فقد أمر به الى النار وروى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا قال رجل من
أشراف الناس هذا والله حري أن خطب أن ينكح وأن شفع أن يشفع قال فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول

الله هذا رجل من فقراء المسلمين هـ ذا حرى أى حقيق ان خطب أن لا ينسج وان شفع ان
 لا يشفع وان قال أن لا يسمع ا قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض من
 مثل هذا (والله يرزق من يشاء) فى الدارين (بغير حساب) أى رزقا واسعا بغير تقدير فى الدنيا
 للكفار استمد راجا كما توسع على قارون وللمؤمن ابتلاء كما توسع على عبد الرحمن بن عوف وفى
 الآخرة للمؤمن خاصة تفضلا (كان الناس أمة واحدة) أى متفقين على الحق روى عن أبى
 العالبة عن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية
 أمة واحدة مسلمين ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم وقال الكلبى هم
 أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقال قتادة وعكرمة كان الناس من
 وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهم عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق
 والهدى ثم اختلفوا فى زمن نوح وقال مجاهد أراد آدم وحده كان أمة واحدة سمي الواحد
 بلفظ الجمع لانه أصل النسل وأبو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منهم الناس فكانوا مسلمين الى
 أن قتل قابيل وهابيل فاختلفوا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال كان الناس على
 عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمة واحدة كافرين كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من
 النبيين عليهم السلام كما قال تعالى (فبعث الله النبيين) أى اختلفوا فبعث الله وانما
 حذف لدلالة فيما اختلفوا فيه عليه وبجمله الانبياء كما رواه الامام أحمد مر فوعا فى حديث
 ورد عن كعب مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسول منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور
 منهم فى القرآن باسمه العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبيا وهم آدم وادريس ونوح
 وهود وصالح و ابراهيم واسماعيل وإسماعيل وإسماعيل وإسماعيل وإسماعيل وإسماعيل وإسماعيل
 وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل
 وأيوب ويونس ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وذوالقرنين وعزير واقمان على
 القول بنسبة الثلاثة (مبشرين) من آمن وأطاع بالجنة (ومنذرين) من كفر وعصى بالنار
 (وأنزل معهم الكتاب) المراد به الجنس فهو عنى الكتب لكنه تعالى لم ينزل مع كل واحد
 كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن له كتاب يخصه وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وقوله تعالى
 (بالحق) حال من الكتاب أى متلبسا بالحق شاهد به (ليحكم بين الناس) أى الله أو الكتاب
 أو النبي المبعوث ورجح الثانى التقطازانى وقال لا بد فى عوده الى الله من تكافى المعنى أى
 يظهر حكمه الى التنبى من تكافى فى اللفظ حيث لم يقل ليحكموا ورجح أبو حيان الأول وهو
 الظاهر قال والمعنى أنه أنزل الكتاب لفصل به بين الناس ونسبة الحكم الى الكتاب مجاز كما أن
 اسناد النطق اليه فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق كذلك (فيما اختلفوا فيه)
 من الدين (وما اختلف فيه) أى الدين (الا الذين أولوه) أى الكتاب المنزل لازالة
 الخلاف أى عكسوا الامر ففعلوا ما أنزل من يلا الاختلاف سبيلا لاسمى كمال الخلاف
 فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم اليينات) أى الحجج الظاهرة على التوحيد

ومن متعلقة باختلاف وهي وما بعد ما تقدم على الاستثناء في المعنى (بغيا) من الكافرين (بينهم)
 حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) وقوله تعالى (من الحق)
 بيان لما اختلفوا فيه أي فهدي الله الذين آمنوا الحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأذنه) أي
 بإرادته قال ابن دريد في هذه الآية اختلفوا في القبلة ففهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي
 إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهديانا الله للجمعة واختلفوا في الصيام فهديانا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهديانا الله
 للجمعة واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصريا فهديانا
 الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله النصارى الها فهديانا الله للحق فيه (والله يهدي من
 يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) هو طريق الحق لا يضل سالكه (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة
 ولما ياتكم مثل) أي شبه (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من المحن قصبوا وكأصبروا
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قتادة نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين
 ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى وبلغت
 القلوب الحماجر وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد عليهم الأمر
 لأنهم خرجوا بلا مال وتركواديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله
 وأظهروا اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسروا النفاق فأنزله تعالى هذه
 الآية تطميناً لقلوبهم وقيل نزلت في حرب أحد واختلف في معنى أم فقال الفراء الميم صلة
 أي أحسبتم وقال الزجاج هي بمعنى بل أي بل حسبتم ولما بمعنى لم أي ولم يأتكمكم وقوله تعالى
 (مستم البأساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي المرض والجزع جله مستأنفة مبنية لما قبلها
 (وزلزلوا) أي أزعجوا أزعجا شديدا بما أصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا
 معه) لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر (حتى) يأتى (نصر الله) الذي
 وعدناه استطالة التأخره فأجيبوا من قبل الله (ألا أن نصر الله قريب) آتيانه وفي هذا إشارة
 إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
 والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان وغيرهما حفت الجنة بالمكاره
 وحفت النار بالشهوات وفي رواية لهم حجت أي جعلت المكاره حجابا دون الجنة فمن خرقه
 دخلها والشهوات حجابا دون النار فمن اقتحمه دخلها وقرأ نافع يقول بانزع على أنها حكاية حال
 ماضية وقائدها تصور تلك الحال العجيبة واستحضار صورته في مشاهدة السامع ليتعجب منها
 وقرأ الباقر بالنصب (يسئلونك) يا محمد (ماذا) أي الذي (ينفقون) وهو السائل كما قال ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهم ما عمرو بن الجوح الانصاري وكان شيخا فانيا ذا مال عظيم فقال
 يا رسول الله ماذا تنفق من أموالي وأين تضعها فنزل (قل) لهم (ما أنفقتم من خير) أي مال
 قل لا كان أو كثيرا (قلوا الذين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي هم أولى به
 سألي عن المنفق فأجيب ببيان المصروف لانه أهم فان اعتداده النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال

عمروان لم يكن مذكورا في الآية واقصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
 (وما تفعلوا من خير) انفاق وغيره (فان الله به عليم) فيجازيكم به * (تنبيه) * ليس في الآية
 ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل لان الزكاة لا تعطى للوالدين ولالاقرنين من الاولاد
 واولاد الاولاد فلا ينفق على الانفاق على من ذكره تطوعا وعلى الانفاق على الفقراء من
 الوالدين والاولاد واولاد الاولاد وذلك ليس بنسخ (كتب) أي فرض (عليكم القتال)
 للكفار (وهو كره) أي مكروه (لكم) طبعاً المشقة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)
 وهو جميع ما كلفتم به فانه الموجب لسعادتكم فلعن لكم في القتال وان كرهتموه خيرا لان فيه اما
 الظفر والغنيمة واما الشهادة والاجر (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع ما نهيتكم عنه
 فان النفس تحبه وتمناه وهو يهوى بها الى الردي في ترك القتال وان أحببتموه شر لان فيه الذل
 والفقر وحرمان الاجر وانما ذكر عسى لان النفس اذا راضت ينعكس الامر عليها (والله يعلم)
 ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به (يسئلونك) يا محمد (عن الشهر الحرام)
 المحرم روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جادى الآخرة
 قبل قتال بدر شهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة ليرصد عير القريش فيهم عمرو
 ابن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسر واثنين واستاقوا العير وفيها تجارة من تجارة
 الطائف وكان ذلك غرة رجب وعلم بظنونه جادى الآخرة فصالت قريش قد استحل محمد الشهر
 الحرام الذي يأمن فيه الطائف ويتفرق فيه الناس الى معايشهم فسفل فيه الدماء وأخذوا الاسارى
 وعبر بذلك أهل مكة من كان بهم من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقتلتم
 فيه وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توينا ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم العبر والاسارى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الغنيمة وعى أول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه تشنيعا وتغييرا
 وقيل أصحاب السرية قالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب
 فلاندرى أن رجب أصبناه أم في جادى فانزل الله تعالى هذه الآية وأكثر الاقاويل على أنها
 منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى (قتال فيه) بدل اشتال من
 الشهر (قل) لهم (قتال فيه كبير) أي عظيم وزرنا وقد تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وصد) فهو
 مبتدأ أي منع الناس (عن سبيل الله) أي دينه (وكفر به) أي الله (و) صد عن (المسجد الحرام)
 أي مكة (واخراج أهله منه) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ وما عطف
 عليه (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) مما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام
 خطأ وبناء على الظن ومما تقرّر علم أن المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقول البيضاوى
 ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله تعالى وكفر به على وصدة مانع منه مجاب عنه
 بأن الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى فكأنه لا فصل بالاجنبي بين سبيل الله وما عطف
 عليه ويصح أيضا أن يكون معطوفا على الياء من به ان يجوز العطف بدون إعادة الجار كما جرى

عليه ابن مالك وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البيضاوى (والفتنة) أى
 الشر لمنكم (أكبر من القتل) لكم فيه فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس الى
 مؤمضى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر والحرام فغيروهم ثم أنتم بالكفر واخراج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون) أى الكفار
 (يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) الى الكفر في ذلك اخبار عن دوام
 عداوة الكفار لهم وانهم لا يتسكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعامل لا للغاية كما قيل
 لانه أقيد من حيث ان فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية أى يقاتلونكم كي يردوكم
 وقوله تعالى (ان استطاعوا) فيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبقى
 على وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافراً ولتلك حبطت) أى
 بطلت (أعمالهم) أى الصالحة (في الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد
 بالموت يفيد أنه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه
 خلافاً لابي حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث قال ان الردة تحبط الاعمال مطلقاً لقوله تعالى
 ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله (وأجيب) بأنه محمول على المقيدين بالادلة فلا يجب عليه أن
 يعيد الحج الذى أتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يبطل ثوابه كما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى
 عنه وان خالف فيه بعض المتأخرين (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة ولما
 ظن السرية أنهم ان سلوا من الانم فلا يحصل لهم أجر أنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين
 هاجروا) أى فارقوا عائلاتهم ومنزلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (فى سبيل الله) لاعلاء
 دينه وكرسجانه وتعالى الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهم مستقلان فى تحقيق الرجاء
 (أولئك يرجون رحمة الله) أى ثوابه أثبت لهم الرجاء اشعاراً بان العمل غير موجب ولا قاطع
 فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) للمؤمنين لما فعلوه خطأ وقلة احتياط (رحيم)
 بهم بأن يحزل لهم الاجر والثواب (يسئلونك عن النحر والميسر) روى أنه لما نزل بمكة قوله تعالى
 ومن نحر النخيل والاعتناء بتخذون منه سكر او زفا حسنا كان المسالون يشربون ما وهى
 لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة قالوا أفتنا فى النحر يا رسول الله فانهم امة
 للعقل فنزلت هذه الآية فشر بها قوم وتر كهذا آخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
 فدعانا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا فحضر
 صلاة المغرب فقاموا بعضهم ليصلى بهم فقرا أقل ياء بها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا الى
 آخر السورة يحدف لاف أنزل الله تعالى ياء بها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
 تعلموا ما تقولون ففرم السكركم فى أوقات الصلاة فتر كهذا قوم وقالوا الاخير فى شيء محمول بيننا
 وبين الصلاة وتر كهذا قوم فى أوقات الصلاة وشربوها فى غير وقتها حتى كان الرجل يشرب
 بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر وشرب بعد صلاة الصبح فيصبحوا اذا جاء وقت
 الظهر ثم ان عتيان بن مالك صنع طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضى الله

تعالى عنه وقد كان شوى لهم رأس بعير فأكوا منه وشربوا الخمر حتى اشتدت فيهم ثم افتخروا
عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الأشعار فأشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار ونفر لقومه فأخذ
رجل من الانصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشحبه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكاه الانصارى فقال عمر اللهم بيننا في الخبز بينا لنا شافيا فنزل انما الخمر
والميسر الى قوله فهل أنتم متشهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا يا رب قال القفال الحكمة
في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا فعلم
انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق وسمى عصر
العنب والتمر اذا اشتد وغلا خمر الاله يخرم العقل كما سمي سكر الاله يسكره أى يحجزه وهو حرام
مطلة او كذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة تنقيع الزبيب والتمر اذا طبع حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتهد حل شربه مادون السكر وسمى القمار ميسر الاله أخذ مال الغير يسر والمعنى
يسئرونك عن تعاطيهم لقوله تعالى (قل) لهم (فيهما) أى فى تعاطيهم ما (اثم كبير) أى عظيم بالمحصل
بسيهما من الخاصة والمشاعة وقول الفحش وقرأ جزء والكسافى بالناء المثلثة والباقون بالباء
الموحدة (ومنافع للناس) بالذات والفرح ومصادقة القسان وتشجيع الجبان وتوفرا مرواة
وتقوية الطبيعة فى الخمر واصابة المال بلا كد فى الميسر (ولاعهما) أى ما ينشأ عنهما من
المفاسد (أكبر) أى أعظم (من نفعهما) المتوقع منهما ولذا قيل ان هذا هو المحرم الخمر فان
المقصد اذا تراجعت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل وانظاهرا أن المحرم لها آية المائدة كما مر
(ويستلونك) يا محمد (ماذا يتفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة
فقالوا ماذا نتفق فقال الله تعالى (قل) لهم (العفو) قرأ أبو عمرو ورفعه الواب بتقدير هو والباقون
بنصبها بتقدير اتفقوا واختلفوا فى معنى العفو وهو نقيض الجهد فقيل ان يتفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستقرا الوسع كما قال الشاعر

خذى العفو منى تستدبى مودتى * ولا تنطق فى سورتي حين أعضب

وسورة الغضب شدته وحدته وقال قتادة وعطاء والسدى هو ما فضل عن الحاجة وكانت
الصحابة رضى الله تعالى عنهم يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم
هذه الآية وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى روى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض الغنائم فقال خذها منى صدقة فأعرض عنه صلى الله عليه
وسلم حتى كثر رمرا فقال هاتهما مغضبا فأخذها فخذفها فخذفها فأصابه لشبهه ثم قال بأق
أحدكم بما له كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا
خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول قال ابن الأثير والظاهر قد مرنا فى مثل هذا الشبا عا الكلام
وعسكينا كأن صدقته مستندة الى ظهر قوى من المال وقال عمرو بن دينار الوسط من غير
اسراف ولا اقتسار كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
(كذلك) كما بين لكم ما ذكر (يسين الله لكم الآيات) قال الزجاج انما قال كذلك على

الواحد وهو مخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قيل كذلك أيها القبيل وقيل
 هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لان خطابه يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى يا أيها النبي
 اذا طلقتم النساء (لعلمكم تتفكرون في) زوال الدنيا) وفنائها فتزهدوا فيها (و) في اقبال
 الآخرة) وبقيتها فتزغبوا فيها (ويسئلونك) يا محمد (عن النياحي) وقد مر أنهم جمع بينهم
 وان اليتيم ظقل لأب له قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال
 اليتيم إلا بالتي هي أحسن وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية تخرج المسلمون
 من أموال اليتامى تحرجا شديدا فان واكلوهم يأثموا وان عزلوا مالهم من مالهم وصنعوا لهم
 طعاما وحدهم فخرج فاشتمت ذلك عليهم فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى
 (قل اصلاح لهم) أي اليتامى في أموالهم بتيمتها ومداخلتهم معهم (خير) من محاببتهم
 (وان تخالطوهم) أي تخلطوا وانفقتم بفققتكم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم في الدين ومن
 شأن الاخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك وقيل المراد بالخالطة المصاهرة (والله يعلم الفساد
 لأموالهم بخالطته (من المصلح) بها فيجازي كالأمنه في ذلك وعيدو وعدان خالطهم لافساد
 واصلاح (ولو شاء الله لا عنسكم) أي لا ضيق عليكم بتحريم الخالطة وما أباح لكم مخالطتهم
 وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عزيز) غالب
 على أمره يقدر على الاعنات وغيره (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة
 (ولا تنسجوا) أي لا تترقبوا أيها المسلمون (المشركات) أي الكافرات (حتى يؤمن) روى
 أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين
 سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عنقا وكانت خلية في الجاهلية فأنته وقالت
 يا مرثد ألا تخلفون فقال لها ويحك يا عنقا ان الاسلام قد حال بيننا وبينك ففان هل لك أن تترج
 بي فقال نعم ولكن اسمأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع اليه قال يا رسول الله أيجل لي
 أن أترجج بهم فأفترزت هذه الآية هذا ما أورده الواحد وغيره ~~والكن~~ الذي رواه أبو داود
 وغيره انه سبب في نزول آية النور الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة الآية والآية وان كانت
 شاملة للكليات لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله والمحصنات من الذين أولوا الكتاب وقد تروج
 عثمان بنصرانية فأسلمت وترجج حذيفة يهودية وطلمة بن عبيد الله بنصرانية (فان قيل)
 كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم يشرك إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن بن
 فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله ومن يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك الله غير الله
 انتهى وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
 عما يشركون (ولامة مؤمنة خير من) أي من حرة (مشركة ولو أعجبتكم) لجمالها ومالها
 نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملا
 الاعلى على سوادك ودمايت فأتعتها وترجج بها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة
 كان له أمة فأتعتها وترجج بها فاطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنتسكح أمة وعرضوا عليه

حرمة مشركة فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا
 منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومها بإجماع (ولعبد مؤمن خير من) أى من حر
 (مشرك ولو أعجبكم) لما له وجاله وقيل المراد بالامة والعبد المرأة والرجل حرين كانا
 أورقيقين لأن الناس عبيد الله وأماؤه (أو تلك) أى أهل الشرك (يدعون الى النار) أى الى
 الكفر المؤدى الى النار فلا تلق مصاهرهم وموالاتهم (والله يدعو) أى أولياؤه المؤمنون
 فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه تفخيم الشأنهم أو يدعو على لسان رساله وهذا كما قال
 أبو حيان أبلغ في التباعد من المشركين اجراء للفظ على ظاهره والاول ذكر اطالب المعادلة بين
 المشركين والمؤمنين (الى الجنة والمغفرة) أى العمل الصالح الموصل اليها فهم الإحقاق بالواصلة
 (بإذنه) أى بأمر الله ورضاه على التفسير الاول أو بقضائه وإرادته على التفسير الثانى فوجب
 اجابته بتزويج أوليائه (وبين) أى الله (آياته للناس لعلهم يتذكرون) أى لئلا يتذكروا
 فيتعظوا (ويستلونك) يا محمد (عن المحيض) أى الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه روى
 أن أهل الجاهلية كانوا لم يسألكموا الحيض ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود فإن اليهود كانت
 اذا حضت المرأة منهم أخرجهن من البيت ولم يؤاكلوهن ولم يجامعوها فى البيت
 واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدرداء فى نفر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الله تعالى
 (قل) لهم (هو) أى الحيض أو مكانه (أذى) قدراً أو محله قدراً (فان قيل) لماذا ذكر الله تعالى يستلونك
 بغير واولئنا ثم اثنائنا (أجيب) بأن السؤالات الاول كانت فى أوقات متفرقة والثلاثة
 الاخيرة كانت فى وقت واحد فذلك ذكرها بحرف الجمع وهو واو العطف وهى الجمع فى الحكم
 لا الزمان (واعترض) هذا الجواب بأنه كان يجب على هذا أن تدخل الواو على اثنين من الثلاثة
 الاخيرة لأن العطف يكون فى الثانية والثالثة منها (وأجيب) بأنهم لم يمسألوها عما كانوا يتفقون
 فأجيبوا بمصرف النفقة أعادوا سؤالهم بالواو ما يتفقون فأجيبوا بالعفو ولما كان السؤال
 الثانى عن محاطة الميتامى فى النفقة وهو مناسب لما قبله عطف بالواو ولما كان الثالث سؤالاً
 عن اعتزال الحيض كما اعتزل الميتامى فناسب ما قبله فى الاعتزال عطف بالواو ولا كذلك
 الثلاثة الاول اذ لا تعلق بينها (فاعتزلوا النساء) أى اتركوا وطأهن (فى المحيض) أى وقته
 أو مكانه لأن ذلك هو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفریط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن
 ولا يسألون بالحيض وما استدلل به البيضاوى من قوله صلى الله عليه وسلم إنما أمرتم أن تعتزلوا
 مجامعتهم اذا حضن ولم تأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم قال شيخنا القاضى
 ذكر يالم أمرهم هذا اللفظ فى بعض التفاسير لغيره وقوله تعالى (ولا تقر بهن) أى بالجماع (حتى
 يطهرن) تأكيده للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريح ما قرأه
 شعبة وحزرة والسكساقى بتشديد الطاء والهاء أى يطهرن بمعنى يغتسلن والباقون يسكون
 الطاء وضم الهاء محققة والتزام قوله تعالى (فاذا طهرن فأتوهن) أى الجماع فانه يقتضى تأخر
 جواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لا يكره الحيض وهو

بالله تعالى فلو قال لزوجه ان وطئتك فعبدي حر او ضرتك طالق أو قلته على عتق رقبة أو صوم
 أو صلاة فهو مول لان المولى من يلزمه أمر يتبع بسببه من الوطء (والمطلقات يترصن) ينتظرن
 (بأنفسهن) عن الذكاح (ثلاثة قروء) تضي من حين الطلاق جميع قروء بفتح القاف وضعها
 وهو يطلق الحيض لقوله عليه الصلاة والسلام كبرواه أبوداود وغيره دعي الصلاة أيام اقرائك
 ولطهر الفاصل بين حيضتين وهو المراد في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال به
 بعض العلماء لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
 في الحيض وأما مارواه أبوداود والترمذي وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الأمة
 تطليقتان وعدتهن احيضتان فلا يقاوم مارواه البخاري في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليسكها
 حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل أن يس فذلك العدة التي امر الله
 تعالى ان تطلق لها النساء أي بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن (فان قيل) مامعنى ذكر
 الانفس فهلا قيل يترصن ثلاثة قروء (أجيب) بأن في ذكر الانفس تمهيداً للتعليق على التبرص
 وزيادة بحث لان فيه ما يستمكن منه فيحملهن على أن يترصن وذلك أن نفس النساء طوايح
 أي نواظر الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبن على الطاموح ويجبرن على التبرص
 وكان القياس في جميع قروء ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون في ذلك
 فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هي الانفوس
 كثيرة قال البيضاوي ولعل الحكم لماعم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
 بناء الكثرة وجوب ذلك في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة لهن لقوله تعالى وان طلقتموهن
 من قبل ان تمسوهن فالكتم عليهن من عدة تعتدوهن وفي غير الآية والصغيرة فعدهن ثلاثة
 اشهر والحوامل فعدهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والاما فعدهن قرآن بالسنة
 (ولا يحل لهن أن يكتن ما خلق الله في أرحامهن) من الولدان كانت حاملاً ومن الحيض ان
 كانت حائضاً (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) قال البيضاوي ليس المراد تقييد في الحبل
 بايمانهن بل التسمية على أنه ينافي الايمان أي كماله وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن
 يفعل (وبعولتهن) أي أزواجه المطلقات والبعولة جمع بعل والنساء لاحقة لتأنيث الجمع
 كالعمومة والخطوة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة تعبت به بالغة
 كما في رجل عدل أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن (أحق بردهن) أي بمراجعتهن
 (في ذلك) أي في زمن التبرص (فان قيل) كيف جعلوا أحق بالرجعة فكان للنساء حقا فيها
 (أجيب) بأن أفعول ههنا بمعنى الفاعل فان غير البعل لاحق له في الرد فكانه قيل وبعولتهن
 حقيقون بردهن وقيل انه على بابة التفضيل أي أحق منهن بأنفسهن لو أبين الرد أو من آبائهن
 وسمى الزوج بعد الانقسامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك (ان أرادوا) أي
 البعولة (اصلاحاً) بالرجعة لا ضرراً للمرأة وليس المراد من هذا اشتراط قصد الاصلاح للرجعة
 بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرر والصارف عن اعتبار مفهوم هذا الشرط الاجماع

(ولهن) على الأزواج (مثل الذي) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعاً من حسن
العشرة وترك الضرر ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في معنى ذلك أني أحب أن
أترين لامرأتي كاتجب أن تترين لي لهذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكل المؤمنين إيماناً أحسبهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم
(فان قيل) ما المراد بالامانة (أجيب) بأن المراد أن لهن حقوقاً على الرجال مثل حقوقهم عليهن
في الوجوب واستحقاق المطالبة عليهما في الجنس اذ ليس الواجب على كل منهما من جنس
ما وجب على الآخر فلو غسأت ثيابه أو خبزت له لم يلزمه أن يفعل مثل ذلك ولكن يقابلها بما يليق
بالرجال (وللرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لأن المرأة تنال من الرجل من اللذة مثل
ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها ولأن حقوقهم في أنفسهن بالوطء
والتمتع وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر وقيل بصلاحيته للإمامة والقضاء والشهادة
وقيل بالجهاد وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالقتل (والله عزير) في ملكه قادر على الانتقام
من خالف الأحكام (حكيم) فيما دبره من خلقه بشرعها الحكم ومصالح (الطلاق) أي التطبيق
كالسلام بمعنى التسليم أي الذي يراجع به (مترنان) أي اثنتان روى عن عروة بن الزبير قال كان
الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امرأته فإذا قاربت انقضاء
عدهم أراجعها ثم طلقها كذلك ثم أراجعها بقصد مضارتها فترت هذه الآية وروى أبو داود
وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم أو تسريحاً بإحسان
(فأمسك) أي فعليك أمساكهن إذا رجعتهن بعد الطلقة الثانية (بمعروف) وهو كل
ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصبغة (أو تسريحاً بإحسان) بالطلقة الثالثة
أو بأن لا يراجعها حتى تبين منه * (تنبيه) * اختلف العلماء فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً
فذهب الأكثر ومنهم الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالحر يملك
على زوجته الأمة ثلاث طلاقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الاطقتين وذهب الأقل ومنهم
أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة فملك العبد على
زوجه الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة الاطقتين (ولا يحل لكم) أيها
الأزواج (أن تأخذوا مما آتيتوهن) من المهور (شيئاً) إذا طلقتهن روى أنها نزلت في جملة
أخت عبد الله بن أبي بن ساول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته إلى أبيها فقال
أرجعي إلى زوجك فأتى أكره للمرأة أن لاتزال رافعة يديها تشكوز زوجها فلما رأت أباهم
يشكها رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل خلفه فجاءه فقال له مالك ولاهلك فقال
والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إلى منها غيرك فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فقالت هو مني أكرم الناس حباً وزوجه ولكن لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي
ورأسه شيء والله لا أعيبه في دين ولا خلق ولكن أكره الكفر في الإسلام ما أطبقه بغضاً أي أكره
أن أقت عنه إن أقع فيما يقتضي الكفر بغضاً فيه ويحتمل أن تريد كفران العشرة أني رفعت

جانب الخباء فرأيت في عدة فاذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامه وأقصمهم وجهياً فقال ثابت
 قد أعطيتهم حديقة فقل لها فلتزدها على وأخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتلكين
 أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتهم وأخل سبيلها ففعل
 وفي رواية أقبل الحديقة وطلقها فاطمة (الأن يخافاً) أي الزوجان (أن لا يقيم أحدهما الله)
 أي لا يأتيا بما حدهما من الحقوق وقرأ جزء يخافاً بضم الياء بالبناء للامعة قول فان مع صلتهما بدل
 استعمال من الضمير في يخافاً والباءون بغضها بالبناء للفاعل (فان خفتم) أيها الأئمة والحكام
 (أن لا يقيم أحدهما الله) أي ما حده من الأحكام (فلا جناح عليكم ما فيما افقدت به) أنفسهما من
 المال المطلقة أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله وهذا هو الأصل والألا
 فيجوز على عوض وان لم يخافاً * (تنبيه) * علم مما تقر بأن الخطاب في الأول للزوجين وثانياً
 للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره ويجوز أن يكون الخطاب كله للأئمة
 والحكام ولا ينافي ذلك قوله تعالى ان تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً لانهم الذين يأمرون بالأخذ
 والائتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (تلك) أي الأحكام المذكورة
 (حدود الله) وهي ما منع الشرع من المجاوزة عنه (فلا تعدها) أي فلا تعدوها بالخطأ
 وقوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) تعقيب للنهي بالوعد بمبالغة
 في التهديد * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
 ما ساق الزوج اليها فضلاً عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كإرواء البيهقي أيما
 امرأه سألت زوجها طلاقاً من غير بأس أي ضرر فإمرأته عليها راحة الجنة وما روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لجيلة أتردين عليه حديقته فقالت أودها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
 أمّا الزائد فلا فالجهو واستكروها الخلع ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساد وان
 يصح بلفظ المفاداة فانه سهاء افتداء (فان طلقها) أي الزوج بعد الثنتين (فلا تحل له من بعد) أي
 بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) أي تتزوج (زوجاً غيره) أي المطلق والنكاح يتناول العقد
 والوطء وتعلق بظاهر الآية من اقتصر على العقد كإبن المسيب والجهو وعلى أنه لا بد من
 الاصابة لما روى الشيخان ان امرأة رافعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رافعة
 طلقني وان عبد الرحمن بن الزبير أي بفتح الزاي وكسر الباء تزوجني وانما معه مثل هدية الثوب
 فقبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتردين أن ترجعي الى رافعة لاحق تذوق عسليته
 وتذوق عسليتك فالآية مطلقة قبلتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
 مستفاداً من لفظ الزوج والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل انتشار شهت تلك اللذة
 بالعسل وصغرت ولحقها الهاء لان الغالب على العسل التأنيث فانه الجوهرى وروى انها
 لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان زوجي قد مسني فقال
 لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت في قولك الاول فلن أصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبابكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول

فان زوجي الاخر مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت حمير وقالت له مثل ذلك فقال لها
 عورتين رجعت اليه لا رجعتك والحكمة في التحلل الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى
 المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوز أبو حنيفة رضي
 الله تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه
 الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا أوفى بمحلل ولا محلل له الا رجعتما
 * (تنبيه) * شملت الآية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الاثلاث ثم ملكها فانه لا يحل له
 أن يطأها بملك المين حتى تنكح زوجا غيره (فان طلقها) الزوج الثاني بعد ما أصابها (فلا جناح
 عليهما) أي المرأة والزوج الا قول (أن يترابعا) الى النكاح بعة قد جدد بعد انقضاء العدة
 (ان ظنا) أي ان كان في ظنهما (أن يعمدا حدوا لله) أي ما حده الله وشترعه من حقوق الزوجية
 هذا هو الاصل والافهول ليس بشرط الرجوع ولم يقل ان علما أنهم ما يقيمان لان اليقين مغيب
 عنهما لا يعلمه الا الله قال في الكشف ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ
 والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
 يظن ظنا (وتلك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله بينهن القوم يعلمون) أي يتدبرون ما أمرهم
 الله تعالى به ويفهمونه ويعملونه بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي قارب
 انقضاء عدتهن ولم يرد انقضاء العدة حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها
 فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد ذلك فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء
 العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها (فامسكوهن) بان
 تراجعوهن (يعرف) من غير ضرار وقيل بأن يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول بالبلوطه
 (أو سرحوهن) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أملك بأنفسهن
 (ولا تمسكوهن) بالرجعة وقوله تعالى (ضرارا) مفعول له (لتعندوا) أي لا تقصدوا بالمراجعة
 المضارة بطويل الحبس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته
 حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)
 أي أضربها بتعريضها الى عذاب الله وقرأ أبو الحارث اللبث بادغام اللام من يفعل في الذال حيث
 جاء والباقون بالانطمار (ولا تعضلوا آيات الله هزوا) أي مهزوا بها بخالفتم لان كل من خالف
 أمر الشرع فهو مهزوا آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب
 فتزلت وروى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدتهن جد وهزلتهن جد الطلاق
 والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) التي من جملتها الاسلام والايمان وبعثة النبي صلى
 الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة أفرد ههنا بالذكر
 اظهار الشرف ههنا وذكرها مقابلاتها بالشكر والقيام بحقوقها (يعظكم به) أي بما أنزل عليكم ليدعوكم
 به الى دينهم (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء فنفى ذلك تأكيده وتوبيخا (واذا

طلقت النساء فبلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) أي تمنعهن من (أن ينكحن
 أزواجهن) أي المطلقين لهن وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سياق الكلامين أي
 وهما أمسكوهن الخ وفلا تعضلوهن على اقتراب البلوغين فالمراد بالاول المقاربة وبالثاني
 الوصول كانهن زوايا العضل الحبس والتضييق ومن العضل بهذا المعنى عضلت الدجاجة اذا
 علق بيضتها فلم تخرج * (فائدة) * رسمت التاء في نعمت بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي بالتاء ويحذف الكسائي في الوقف ووقف الباقر بالتاء على الرسم والمخاطب بذلك
 الاولياء لما روى أنها انزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي
 الآية دليل على أن المرأة لا تزوج نفسها اذ لو عصى كانت منه لم يكن العضل الولي فائدة
 ولا يعارض ذلك باسناد النكاح اليهن لانه انما أسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقبل
 الخطاب الاولياء والازواج وقيل للناس كلهم أي لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد بينهم
 وهم راضون به كانوا كالفاعلين له وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم) أي الازواج والنساء ظرف
 لان ينكحن اولاً تعضلوهن وقوله تعالى (بالعرف) أي بما يعرفه الشرع ويستحسنه من
 كونه بعد حلال حال من ضمير تراضوا وأوصفة مصدر محذوف أي تراضيا كاتنا بالمعروف
 وفيه دلالة على أن العضل عن التزويج من غير كف غير منهي عنه (ذلك) أي النهي عن العضل
 (يوعظه من كان منكم يومئذ باقعه واليوم الآخر) لانه المنعطاء والمنتهى به (فان قيل) لمن الخطاب
 في قوله ذلك يوعظه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد كما
 في قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فغوه (ذلكم) أي ترك العضل (أزكى) أي انفع
 (لكم وأطهر) لكم ولهن من دنس الانعام لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة
 بينهما (والله يعلم) ما فيه المصلحة (وأنتم لاتعلمون) ذلك لقصور علمكم وقوله تعالى (والوالدان
 يرضعن أولادهن) خبر عنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن وهو أمر استحباب
 لا أمر اجبار لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة
 الطلاق فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن فان رغبتم الا تم في الارضاع فهي أولى من غيرها
 أما اذا لم يوجد من يرضعه فيجب عليها الرضاعة والوالدان يرضعن المطلقات وغيرهن وقيل يختص
 بالمطلقات اذ الكلام فيهن (حولين) أي عامين (كاملين) صفة مؤكدة كما في قوله تعالى تلك عشرة
 كاملة لأن العرب قد تسمى بعض الحول حول ولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر
 معلومات وانما هو شهران وبعض الثلث وقال تعالى فننجلي في يومين فلانم عليه وانما
 ينجل في يوم وبعض يوم. وقال قتادة فرض الله على الوالدان ارضاع حولين كاملين ثم أنزل
 التخفيف فقال (لمن أراد أن يرضع الرضاعة) أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك حدة
 محدود وانما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أي الوالد (رزقهن)
 أي اطعام الوالدات (وكسوتهن) أجورهن على الارضاع اذا كن مطلقات واختلاف
 في استئجار الام للارضاع بخوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة مادامت زوجة أو معتقة كراح

(فان قيل) لم قال تعالى المولود له دون الوالد (أجيب) بأنه تعالى اتعاهد كذا ذلك ليعلم ان
الوالدات اغا ولدن لهم لان الاولاد لآباء ولذلك يتسبون اليهم لا الى الاتمهات وأنشد للمأمون
ابن الرشيد

فانما أتمهات الناس أوعية * مستودعات والآباء ابنا

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم الا ترى أنه ذكره باسمهم الوالد حيث لم
يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود له جاز عن والده
شيأ وقوله تعالى (بالمعروف) يفسره ما يعقبه وهو قوله تعالى (لا تكلف نفس الا وسعها) أي
طاقته فلا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه (لا تضار والدة بولدها) أي بسببه بأن تكلفه على
أرضاعه أو تكلف فوق طاقته (ولا يضار) (مولود له بولده) أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته
واضافة الولد الى كل منهما للاستعفاف وللتبسيه على أن الولد حقيق بأن يتفقا على
استصلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وتضارب ضم الراء بدل من قوله لا تكلف والباقيون بقصها
(وعلى الوارث) أي وارث الأب وهو الولد أي على الولي في مال الولد (مثل ذلك) أي الذي كان
على الأب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل هو وارث الولد الذي لو مات الولد لورثه وقيل الباقي
من الابوين أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا بإسماعنا وإبصارنا واجعلهما الوارث
أي الباقي منا والمعنى واجعل كلامهما في لزومه لنا مدة الحياة كأنه باق بعد الموت (فان أرادنا)
أي الوالدان (فصلا) أي فطامه صادرا (عن تراض) أي اتفاق (منهما وتشاور) بينهما فظهر
مصلحة الوالد فيه (فلا جناح عليهما) في ذلك زاد على الحولين أو نقص وهذه توسعة بعد التحديد
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حذرا أن يقدم أحدهما على ما يضربه لغرض أو غيره
(وان أردتم) خطاب للاولياء (ان تسترضعوا) مرضع غير الوالدات (أولادكم) يقال
أرضعت المرأة الطفل واسترضعته أي اه غذف المفعول الاول للاستغناء عنه كما يقال استجبت
الحاجة ولا تذكر من استنجسته وكذلك حكم كل مفعول يكون أحدهما عبارة عن الاول هذا
ما جرى عليه الرخصى من أن استرضع يتعدى لمفعولين بنفسه والجمهور على أنه انما يتعدى الى
الثاني بحرف الجر وتقديره هنا ولادكم (فلا جناح عليكم) في ذلك (اذا سلمتم) اليهن (ما آتينكم)
أي أردتم ايتاءه لهن من الاجرة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وانما قدر
ذلك لان ما تحقق ايتاءه لا يتصور تسليمه في المستقبل وقوله تعالى (بالمعروف) صله سلم أي
بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لساؤل ما هو الاولى والاصح للطفل وقرأ ابن كثير بقصر همزة
آتينكم من أي اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ما تيا أي مفعولا والباقيون
بالمد وهم على مراتبهم وقوله تعالى (واتقوا الله) مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الاطفال
والمراضع ثم حثهم على ذلك وهددهم بقوله تعالى (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه
شيء منه (والذين يتوفون) أي يموتون (منكم ويذرون) أي يتركون (أزواجا يترصنون)

أى يتظنون (بأنفسهن) وهو خبر يعنى الامر وهو امر ايجاب أى يجب عليهن ان يتربصن
بعدهم عن النكاح. (أربعة أشهر وعشرا) أى عشرة أيام وكان القياس تذكرا العدد بأن
يؤتى فيه بالتاء ولكن لما حذف المعدود جاز فيه ذلك كفى قوله تعالى ان لبثتم الا عشر اثم ان
لبثتم الا يوما لأن قوله فى سورة طه ان لبثتم الا يوما بعد قوله ان لبثتم الا عشر ايدل على ان المراد
بالعشر الايام وان ذكر بما يدل على اليأس لانهم اختلفوا فى مدة البث فقال بعضهم عشر
وبعضهم يوم فدل على ان المقابل باليوم انما هو أيام المألى وكفى قوله صلى الله عليه وسلم من صام
رمضان واتبعه ستامن شوال قال البضاوى ولعل المقضى لهذا التقدير أى به مدة المدة ان
الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر ان كان ذكر او لاربعة ان كان أنثى فاعتبر أقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادئ فلا يحس بهم أى بالحركة اه وهذا
فى غير الحوامل أما هن فعدتهن ان يضعن جلهن بآية الطلاق وفى غير الاماء فأنهن على النصف
من ذلك بالسنة وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الحامل تعد بأقصى الاجلين
احتياطاً وحكى عن أبى الاسود الدؤلى انه كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر
الفاء فقال الله وكان أحد الاسباب الباعثة لعل رضى الله تعالى عنه على ان امره أن يضع كتابا
فى النحول لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أجله ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون
بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن على أى يستوفون أجلهم (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت
عدتهن (فلا جناح) أى لا حرج (عليكم) أيها الاولياء (فيما فعلن فى أنفسهن) أى من
التعرض للخطاب وما تراسم عليهن للعدة دون العقد فان العقد الى الولى وقيل الخطاب بذلك
الاثمة أو المسلمون جميعا (بالمعروف) أى بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه أنهم لو فعلن
ما ينكر فعلى الخطاب أن يكفهن فان قصر فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) عالم بما ظنه
كظاهره فيجازيكم عليه (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) والتعرض بعض فى الكلام
ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول المائل جئتكم لاسلم عليكم
ولا نظرا الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وجئتكم بالتسليم معنى تقاضيا ويسمى التلويح لانه
يلوح منه ما يريد والفرق بينه وبين الكتابة ان الكتابة هى الدلالة على الشئ بذكروا زامه
وروا عنه كقولك طويل النجاد لا طويل وهو بكسر النون جائل السيف وكثير الرماذ للمضيف
(من خطبة النساء) المعتدات للوفاة والخطبة بالضم والكسر اسم الهيئة غير أن المضمومة خصت
بالوعظ والمكسورة بطاب المرأة للنكاح والتعرض بالخطبة مباح فى عدة الوفاة وهو أن
يقول رب راغب فيك من يجد مثلك انك الجميلة وانك الصالحة وانك لعلى كريمة وانى فيك لراغب
وان من غرضى ان أن أتزوج وان جمع الله بينى وبينك بالحلال أعجبتنى ولان تزوجتك
لا حسن اليك ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
فيه من غير أن يصرح بالنكاح فلا يقول انك عيني والمرأة تحببه بمثل ان رغبت فيه روى ابن
المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبو جعفر محمد بن على وانا فى عتقي

فقال قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقد حى في الاسلام فقلت
قد غفر الله لك أخطيبي في عدتي وأنت يؤخذ عندك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرايتي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن
عمر أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يديه حتى أثر الحصى
في يده من شدة تحامله عليها كانت تلك خطبة وأما عدة الفروقة في الحياة فيحمل لغير صاحب
العدة التعريض في غير رجعية لعدم ساطنة الزوج عليها أما التصريح فحرام إجماعاً وأما
الرجعية فلا يحمل التعريض لها لأنها في كم الزوج أما صاحب العدة فيصل له التعريض
والتصريح إن حصل له نكاحها والافلا (أو أكنتم) أى أضمرتم (في أنفسكم) من نكاحهن
فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً قال السدى هو أن يدخل فيسلم ويهدى إن شاء ولا يتكلم بشئ
(علم الله أنكم ستذكرونهن) بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض وفيه نوع توخي
(ولكن لا تواعدوهن سرا) أى نكاحاً فالسر كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر
قال الاعشى

ولا تقربن جارة نسرهما * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

وقال امرؤ القيس

الازمعت سبابه اليوم انى * كبرت وأن لا يحسن السرامنى

ثم عبر بالسر الذى هو كناية عن الوطء عن عقد النكاح لأن العدة سبب في الوطء وقيل هو
الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فإذا
رفقتي عدتك أظهرت نكاحك قاله الحسن وقيل هو أن يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان
يقول آتيك الأربعة والخمسة وخذ ذلك (فان قيل) أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
سرا (أجيب) بأنه محذوف للدلالة مستدكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن
فأذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا (الآن تقولوا قولاً معروفاً) أى ما عرف شرعاً من
التعريض فلكم ذلك (فان قيل) أين المستثنى منه (أجيب) بأنه محذوف أى لا تواعدوهن
مواعدة الأمواعدة معروفة غير منكورة والأمواعدة بقول معروف قال في الكشف ولا
يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سر الادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقال
البيضاوى وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو أى التعريض غير موعود أى بل منهج سرى أى في السر على أن المواعدة
في السر عبارة عن المواعدة بما يستعجب لان مسارتهم في الغالب مما يستعجب من المجاهرة به
(ولا تعزموا عقدة النكاح) أى على عقده وفي ذلك مباغاة في النهي عن عقد النكاح
في العدة لان العزم يتقدم على المسد فاذانهاى مما يتقدمه فهو أولى بالنهي كما في قوله
تعالى ولا تقربوا الزنا (حتى يبلغ المكاتب) أى المكتوب (أجله) بأن ينهى ما فرض فيه
من العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم وغيره (فاحذروه) أى

خافوا عقابه (واعلموا أن الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خوفاً من الله (حليم) لا يعاجل حكمه بالعقوبة (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أي تجامعهوهن (أو) لم (تقرضواهن) فريضة أي مهر أو ما صدريه ظرفية أي لا تنع علىكم في الطلاق زدن هدم المسيس والقرض بانهم ولا مهر والتبعة بكسر الباء ما يتبع المال أو البدن من نوائب الحقوق وهو من تبع الرجل يحق وقرأ جزء والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم وقوله تعالى (ومتعهن) عطف على مقدر لأنه طلب فلا يعطف على لا جناح لأنه خبر أي فطلقوهن ومتعهن والحكمة في إيجاب المتعة جبراً يحاش الطلاق ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً أو ما قيمته ذلك وإذا تراضيا بشئ فذلك وإن تنازعا في قدرها قدرها قاض بإتجاه بقدر حالهما من يساره وعساره ونسبها وصفاتها كما قال تعالى (على الموضع) أي الغنى منكم (قدره) أي ما يطيقه ويليق به (وعلى المقتر) أي ضيق الرزق (قدره) أي ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لأنصاري طلق امرأته المفوضة قبل أن يمسيها أمتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمس الزوج وألحق بها الشافعي رضي الله تعالى عنه المسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بفتح الدال والباقون بسكونها وقوله تعالى (متاعاً) تأكيد المتعهن بمعنى تمتعها وقوله تعالى (بالمعروف) أي شرعاً صفة متاعاً وقوله تعالى (حقاً) صفة ثانية لمتاعاً أي متاعاً واجباً عليهم أو مصدره وأكد أي حق ذلك حقاً (على المحسنين) أي المطيعين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتنال أو إلى المطلقات بالتيسع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلاً فله سلبه ترغيباً ونحوه أيضاً وما ذكر الله تعالى حكم المفوضة اتبعها حكم قسميها بقوله تعالى (وان طلقوهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف وهو دليل على أن الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لأنه قسميها (الا) لكن (أن يعفون) أي الزوجات فلا يأخذن شيئاً (فان قيل) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (أجيب) بأن الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) وهو الزوج المالك لعقدته وحله كما يعود إليه بالتشطير فيترك لها الكل وقيل هو الولي إذا كانت المرأة محجورة وهو قول قديم للشافعي وهو مروي عن ابن عباس وقوله تعالى (وان تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعاً كانت الغلبة للمذكر أي وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي أن يتفضل بعضكم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو يترك المرأة نصيبها حتمها جميعاً على الإحسان (إن الله بما تعملون بصير) لا يضيع فضلكم وإحسانكم بل يجازيكم به (حافظوا على الصلوات) الجنس بأدائها في أوقاتها ولعل الأمر

بالصلاة انما وقع في تضاعيف أحكام الاولاد والازواج لئلا يلهمهم الاشتغال بشأنهم عنها
 (والصلاة الوسطى) أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للفضل الاوسط وانما أفردت
 وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وعلى صلاة العصر على الرابع لقوله صلى الله عليه وسلم
 يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة يوتهم ناراً وفضلها الكثيرة
 اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة قال صلى الله عليه وسلم لم يعاقبون فيكم ملائكة
 بالليل وملائكة بالنهار وقبل صلاة الصبح لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الجزء
 المشترك بينهما ولا نها مشمودة تشهدا للملائكة الحافظة نص عليها الشافعي رحمه الله تعالى
 لكن ربح الاصحاب الاول عملاً بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبي وقيل صلاة الظهر لانها
 وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لانه صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال
 أفضل فقال أحزمها وهو بجاء مهملة وزاى أقواها وأشدّها وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة
 بالعدد لان عددها بين عددى الركعتين والاربع وقيل صلاة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
 طرفي النهار لا يقصران وهما المغرب والصبح وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا يعينها
 أي مهمها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على أدائها جميعها كما أخفى الله القدر في شهر
 رمضان وساعة اجابه الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها
 (وقوموا لله) في الصلاة (فائين) أي مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو
 طاعة أو ساكتين لحديث زيد بن أرقم كما تكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن
 الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح (فان خفتهم) من عدو أو سبع
 أو سبل أو نحو ذلك (فرجالاً) جمع راجل أي مشاة صلوا (أو ركباناً) جمع راكب أي كيف أمكن
 مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع
 والصلاة في حال الخوف على أقسام وهذه صلاة شدة الخوف وسبأني بقية الاقسام ان شاء
 الله تعالى في سورة النساء ولا ينقص عدد الركعات بالخوف عند أهل العلم وروى مجاهد
 عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة على لسان نبيهم في الحضر أربعة
 وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وفي الآيات دلائل على وجوب الصلاة حال المقاتلة واليه
 ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يصلي حال المشي
 والمقاتلة ما لم يمكن الوقوف وقال سعيد بن جبيرة رضي الله تعالى عنه اذا كنت في القتال وضرب
 الناس بعضهم بعضاً قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر واذكر الله فذلك صلاتك
 (فاذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) أي صلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها (كما علمكم ما لم
 تكونوا تعلمون) قبل تعليمهم من فرائضها وحقوقها والكافي يعني مثل ومأمورة أو مصدرية
 (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهن) قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي
 وصية بالرفع أي فعليهم وصية والباقون بالنصب أي فليوصوا وصية وقوله تعالى (متاعاً) نصب
 على المصدر أي متعوهن متاعاً أي ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (إلى) تمام (الحول) من

موتهم الواجب عليهم تربيته وقوله تعالى (غير اخراج) نصب على الحال أى غير مخراجات من
مسكنهن نزلت هذه الآية فى رجل من أهل الطائف يقال له الحكم بن الحرث هاجر الى
المدينة وله أولاد ومعه أبواؤه وامرأته فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه
وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً وأمرهم أن يتفقوا عليهم أن تركه زوجهما
حولاً وكانت عمدة الوفاة فى ابتداء الاسلام حولاً وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت
قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها
الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصى بها فكان كذلك
حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله نفقة الحول بالربع والثلث ونسخ عمدة الحول بآية أربعة
أشهر وعشر السابقة (فان قيل) كيف نسخ الآية السابقة المتأخرة (أجيب) بأنها
متقدمة فى التلاوة متأخرة فى النزول كما فى قوله تعالى سيقول السلفاء مع قوله قد نرى قلب
وجهك فى السماء (فان خرجن) من قبل أنفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة (فلا جناح
عليكم) يا أولياء الميت (فما فعلن فى أنفسهن من معروف) شرعاً كالترين وترك الاحداد وقطع
النفقة عنها أخبرها الله تعالى بأن تقيم حولاً ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة
لها ولا سكنى الى أن نسخته بأربعة أشهر وعشراً (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه
لا يستل عما يفعله (ولم تطلقات متاع) أى يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان وقوله تعالى (حقاً)
نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله (فان قيل) لم كرر الله تعالى ذلك (أجيب) بأن ذلك لحكمة
وهى أن الآية السابقة فى غير المسوسة وهذه أعظم منها فشمل المسوسة أيضاً (كذلك) أى
كما بين لكم ما سبق من أحكام الطلاق والعدد (يبين الله لكم آياته) وعد سبحانه وتعالى أنه
سيمين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشاً ومعاداً (لعلكم تعقلون)
أى تدبرون فتستعملون العقل فيها وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجيب وتشويق الى استماع
ما بعده لمن سمع بقصصهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يرو ولم يسمع
وهذا هنا أولى فانه صار مثلاً فى التعجيب أى ينته علمك (الى الذين خرجوا من ديارهم وهم
ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً وقوله تعالى (حذر الموت)
مفعول لهم قوم من بنى اسرائيل كانوا فى قرية يقال لها دار وردان جهة واسط وقع بها
الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقي فى القرية وسلم الذين خرجوا
فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أحمسنا كانوا أحرز منا لوصفنا كما صنعوا
لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانياً لنخرجن الى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادباً فنجح فلما نزلوا المكان الذى ينتغون فيه النجاة ناداهم ملك
من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موتوا فأتوا جميعاً ثم أحياهم الله تعالى كما قال تعالى (فقال
لهم الله موتوا) أى فماتوا (ثم أحياهم) ليعتبروا ويتقنوا لان ما ضر من قضاء الله وقدره وقيل قوم
من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففر واحذرا الموت فأماهم الله ثمانية أيام أو أكثر

ثم أحياهم بدعاء نبيهم حزقيل بكسر الميم والقاف وسكون الزاي ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وكان يقارله ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعظمت فوجه الله تعالى إليها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسعى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل قال اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا من أن تقتلوا معي جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الانبياء السبعين قال لهم ذهبوا وما أدري أين هم ومنع الله حزقيل من اليهود فلما مر حزقيل على تلك الموقى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقديسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام من أعلى الوادى وأدناه حتى انترق بعضها ببعض كل عظم جسد الترق بجسده فصارت أجسادا من عظام اللحم ولادم ثم أوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها الاجسام ان الله يأمرك أن تكسى لحما فاكنت لحما ثم أوحى الله اليه ان ناد أيتها الاجساد ان الله يأمرك أن تقوى فبعثوا احياء ورجعوا الى بلادهم وقال مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فارجعوا الى قومهم وعاشوا وهداير عليهم ثم أثار الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكنف حتى ماتوا لا جالهم التي كتبت لهم ولوجأت آجالهم ما بعثوا واستمرت ذلك في أسباطهم قال ابن عباس وأثر ذلك ليوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود وفائدة هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء فان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفترقا ولى أن يكون في سبيل الله تعالى (ان الله لذو فضل على الناس) أى عامة فليذكر كل أحد ماله عليه من الفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) كما ينبغي اما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره * (تنبيه) * انما كرر الناس ولم يضره ليكون أنص على العموم لئلا يدعى مدع أن المراد بالناس الاول أهل زمان فيخص بالثاني أكثرهم (وقالتوا في سبيل الله) أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا (واعلموا أن الله سميع) لا قوالكم فيسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليهم) بأحوالكم فيعلم ما تضررونه فيجازيكم (من ذا الذي يقرض الله) الذى تفرد بالعظمة بانفاق ماله في سبيل الله ومن استغفاه مائة مرة فوعده الموضع بالآبداء وذا خبره والذى صفة ذا أو بدل واقرض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه فهو اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملون لطلب ثوابه وأصل القرض فى اللغة القطع سمي القرض به لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه ليرجع اليه مثله وقيل فى الآية اختصار معناه من ذا الذى يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله أى عباد الله كما جاء فى الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمه فى قال يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي (قرضا حسنا)

أى جامعاً لطيب النفس وإخلاص النية وقيل لاين به ولا يؤذى ولما كانت النفس مجبولة على
 الشح بما عندها إلا لفائدة رغبها سبحانه وتعالى في ذلك بقوله (فيضاعفه) أى جزاءه (له) فى الدنيا
 والآخرة وأول هذه المضاعفة أن الزائد ضعف ليس كسراً كان صلى الله عليه وسلم لا يقترض
 قرضاً الا وفى عليه زيادة وقال خياركم أحسنكم قضاءً وقد أنبأ سبحانه وتعالى أن اقتراضه بما هو
 فوق ذلك لانه يضاعف القرض بمثله وأمثاله بقوله (أضعافاً كثيرة) من عشر إلى أكثر من سبعمائة
 كما سيأتى روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح
 الانصارى يا رسول الله ان الله يريد منا القرض قال نعم يا أبا الدحداح قال انى يدلك يا رسول
 الله فناولته قال فانى قد أقرضت ربى حاطلى وحاططه فيه ستمائة نخلة وأتم الدحداح فيه
 وعيالها فجاء أبو الدحداح فناداها يا أتم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضت ربى
 عز وجل وقرأ ابن عامر وعاصم فيضاعفه نصب الفاء على جواب الاستفهام جعل على المعنى فان
 من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فى معنى أى يقرض الله أحد والباقون يرفعونها واسقط الالف
 وشدد العين ابن كثير وابن عامر والباقون بآبائات الالف وتخفيف العين ولما رغب سبحانه
 وتعالى فى اقراضه أتبعه بجملة حالية من ضمير يضاعف مربة مربة فقل (والله يقبض) أى
 يسك الرزق عن يشاء ابتلاء (ويبدط) أى يوسع لمن يشاء امتحاناً بحسب ما اقتضته حكمته
 سبحانه وتعالى وقرأ قبله وأبو عمر وابن عامر وحده وحده بالسبب بخلاف عن ابن ذكوان
 وخالد والباقون بالصاد والرسم بالصاد (واليه ترجعون) أى فيجازيكم على ما قدمتم
 (ألم ترالى الملا من بنى اسرائيل) أى الى قصتهم والملا من القوم اشراقهم وأصل الملا الجماعة
 من الناس لا واحد له من اقله كالقوم والرهط والابل والخليل والحبش ومن للتبعيض (من
 بعد) موت (موسى) ومن للابتداء (اذ قالوا لنبي لهم) أى كثيراً لمفسرين على أنه شمويل قال
 مقاتل هو من نسل هرون وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه الصلاة والسلام وقيل
 هو شعرون وأنما سمي بذلك لأن أمته دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب دعاءها فسمته شعرون
 تقول سمع الله دعائى والسين تصير شيناً بالعبرانية وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك انه لما مات
 موسى عليه الصلاة والسلام وخلف فى بنى اسرائيل الخلو فوعظمت الخطايا سيطر الله عليهم
 قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالة فظهروا على بنى
 اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذرايرهم وأسروا من ابناؤهم لو كهم
 أربع مائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلا كثيراً
 وشدة ولم يكن لهم حينئذى يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى
 فخبسوها فى بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها لباغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها
 وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته شعرون تقول سمع الله دعائى
 فكبر الغلام فاسلمته لتعالم التوراة فى بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام
 أنه جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالتى ربك فان الله قد بعثك فيهم نبياً فلما أتاهم

كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة فان كنت صادقا (ابعث) أى أقم (انما ملكنا قتال) معه
 (فى سبيل الله) قنتظم به كلنا ونرجع اليه ويكون ذلك آية من نبوتك وانما كان قوام بنى اسرائيل
 بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبي يقيم له امره
 ويشير عليه برشده ويأتم به بالخبر من ربه ولما قالوا له ذلك (قال) لهم (هل عسيتم) قرأ نافع بكسر
 السين والباقون بقصهما وقوله تعالى (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) مع ذلك الملك
 (أن لا تقتلوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير المتوقع به بمعنى التثبت للمتوقع وان كان
 الشائع من التقرير هو الحمل على الاقرار (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا
 من ديارنا وأبنائنا) بسببهم وقتلهم أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجب به
 ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد (فلما كتب عليهم القتال تولوا)
 عنه وجبنوا واضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واتصروا على
 الفرقة على ما سياتى ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم
 فى ترك الجهاد * (تنبيه) * هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما هو اعلام
 بما يستقبل الآتون كما قال القائل اياك أعنى واسمعى يا جاره فلذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذ
 بجملته خطأ بالهذه الامة بكل ما قص له من أقاصيص الاقوين ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم
 ربه أن يعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون
 ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش
 الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه
 بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت اطوله وكان أطول من
 كل أحد أى فى زمانه برأسه ومنكبه وكان رجلا دينا غايلا يعمل الاديم قاله وهب وقال السدي
 كان سقا يستقى على حماره من النيل ففضل حماره فخرج فى طلبه وقال وهب بل ضاقت حمارى
 طالوت فارسه وغلامه فى طلبها فربيت شويل فقال الغلام لطالوت لودخلنا على هذا النبي
 فسألناه على أمر الحمار ليرشدنا ويعدولنا فدخلنا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمار
 اذنس الدهن الذى فى القرن فقام شويل فقااس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت
 قرب رأسك فقر به فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أهرنى الله أن
 أملكه عليهم فقال طالوت أمانات أن سبطى أدنى اسباط بنى اسرائيل وبنى أدنى بيوتهم قال
 بلى قال فبأى آية قال بأية انك ترجع وقد وجدت الحرف فكان كذلك ثم أخبرهم بنبيهم بذلك
 كما قال تعالى (وقال لهم نبيهم) الذى تقدم ذكره (ان الله قد بعث اليكم) أى لاجل سؤالكم
 (طالوت ملكا) وهو اسم أعجمى كطالوت وداود وانما استع من الصنف لتعريفه وبجمته
 (قالوا أنى) أى كيف (يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له ذلك (ونحن) أى والحال اننا نحن
 (أحق) أى أولى (بالملك منه) وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة
 فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وسبط

المملكة سبطهم وذابن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت
 من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا يعملوا ذنبا عظيما كانوا يشربون النساء
 على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوّة منهم وكانوا يسمون سبطا لا ثم فلما قال
 لهم نبيهم ذلك أنكروا لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو دباغ (ولم) أى والحال أنه لم
 (يؤت سعة من المال) يستعين بها على إقامة الملك ولما استبعدوا تلكه لفقره وسقوط نسبهم ردّ
 عليهم ذلك بأمر وحكاه الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى (قال) أى نبيهم (إن الله اصطفاه) أى
 اختاره للملك (عليكم) والعهد في التلك اصطفاه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم
 بالمصالح منكم هذا الأمر الأول والثاني قوله (وزاده) عليكم (بسطة) أى سعة (في العلم) الذى
 يحصل به نظام المملكة فيتمكن به من معرفة الأمور السياسية (و) فى (الجسم) الذى به يتمكن من
 الظفر عن بارز من الشجعان وقصده من سائر الاقران ويكون أعظم خطرا فى القلوب وأقوى
 على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فى العلم فكان أعلم بنى اسرائيل
 يومئذ والجسم فكان أجملهم وأتهم خاقا كان الرجل القائم يمد يده فيتناول رأس طالوت
 والثالث قوله (والله يؤتى ملكه) أى الذى هو له وليس غيره فيه شئ (من يشاء) فانه تعالى
 مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتبه من يشاء سواء كان غنيا أم فقيرا كما أتاكوه
 بعد ان كنتم مستعبدين عند آل فرعون والرابع قوله (والله واسع) أى واسع الفضل يوسع على
 الفقير ويغنيه (عليهم) بن يلقى بالملك من السيب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما أذعنوا بذلك وطلبوا
 منه آية تدل على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (إن آية) أى علامة
 (ملكه أن ياتىكم التابوت) أى الصندوق وكان فيه صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنزله
 الله تعالى على آدم صلى الله عليه وسلم وكان من عود الشمارى عجبتين أولاهما مكسورة
 وبينهما ميم ساكنة خشب تعمل منه الامشاط مموها بالذهب نحو من ثلاثة أذرع فى ذراعين
 فكان عند آدم الى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ ابراهيم ثم كان عند
 اسمعيل لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى أن وصل الى موسى
 ثم تداوله أنبياء بنى اسرائيل ثم استقر عند بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تكلموا وحكم
 بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم كما قال تعالى (فيه سكينه)
 أى طمأنينة لقلوبكم (من ربكم) فى أى مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا قاله قتادة
 والكلبي فلما عصوا وفسدوا وسلط الله عليهم العمالة أقبح جالوت فغلبوهم على التابوت
 وأخذوه وقال على هى صورة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة
 رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد
 وزبرجد وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه
 قلوب الانبياء وقال وهب هى روح من الله تكلم اذا اختلفوا فى شئ يخبرهم ببيان ما يريدون ولما
 كان الكليم وأخوه عليهما الصلاة والسلام أعظم أنبياءهم قال (و) فيه (بقية مما ترك آل موسى)

وَأَلْهَرُونَ) وَالْهَمَا أَنْفُسُهُمَا وَالْأَلْ مَقْعَمٌ لَتَغْنِيْمٍ شَأْنُهُمَا وَقِيلَ أَبْنَاؤُهُمَا وَقِيلَ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ مُوسَى وَهَرُونَ وَالْبَقِيَّةُ هِيَ رِضَاضُ الْأُلُوحِ أَيْ فَنَاتِهَا وَعَصَامُ مَوْسَى وَبَنِيهِ وَتَعْلَاهُ وَعِمَامَةُ هَرُونَ وَقَفَنِيْزُ مَنْ الْمَنْ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ يَأْتِيكُمْ (أَنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتِيْلُكُمْ) عَلَى مَلِكِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّهِمْ وَأَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءَ خُطَابٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَمْلَتِهِ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى وَضَعْتَهُ عِنْدَ طَالُوتَ فَاقْرَأْ بِأَمْرِكَ وَقِيلَ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ مُوسَى فَتَزَلَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَوْهُ لَمْ يَشْكُوا فِي النَّصْرَةِ وَاقْرَأْ بِأَمْرِكَ وَتَسَارَعُوا إِلَى الْجِهَادِ فَقَالَ طَالُوتُ لِحَاجَتِي فِي كُلِّ مَا أَرَى لَا يَخْرُجُ مَعِيَ رَجُلٌ يَنْبِيءُ بِنَاءٍ لَمْ يَفْرَغْ مِنْهُ وَلَا صَاحِبِ تِجَارَةٍ مُشْتَغِلٌ بِهَا وَلَا رَجُلٍ عَلَيْهِ دِينَ وَلَا رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَنْبِيءَ بِهَا وَلَا ابْنَتِي إِلَّا الشَّابَّ النَّشِيطَ الْفَارِغَ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ اخْتَارَهُ عُمَانُونَ أَلْفَاوُكَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا فِي حَرِّ شَدِيدٍ فَشَكُّوا قَلَّةَ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ وَقَالُوا إِنْ الْمَاءُ لَا تَحْمِلُنَا فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِيزَانًا كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَلَمَّا فَصَلَ) أَيْ خَرَجَ (طَالُوتُ) أَيْ الَّذِي مَلَكَوهُ (بِالْجَنُودِ) مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَيْ الَّتِي اخْتَارَهَا وَالْجَنُودُ جَمْعُ جُنْدٍ وَهُمْ اتِّبَاعُ يَكُونُونَ نَجْدَةً لِلْمُسْتَبْعِ (قَالَ إِنْ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ) أَيْ مُحْتَبِرَكُمْ لِيُظْهِرَ مِنْكُمْ الْمَاطِيعَ وَالْعَاصِيَّ وَهُوَ أَعْلَمُ (بِنَهْرٍ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسَّيْدِيُّ هُوَ نَهْرُ فِلَسْطِينَ وَقَالَ قَتَادَةُ نَهْرُ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ عَذْبٌ (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أَيْ مِنْ مَائِهِ فَلَيْسَ مِنِّي أَيْ مِنْ أَتْبَاعِي (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) أَيْ يَذُقْهُ (فَإِنَّهُ مِنِّي) أَيْ مِنْ أَتْبَاعِي وَنَاغَا عِلْمُ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ إِنْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا قِيلَ أَوْ بِإِخْبَارِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (الْأَمِنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ) أَيْ فَاصْطَفَى بِهَا وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا فَانْتَهَى عَنْ شَرْبِهَا وَنَاغَا قَدِّمَتْ عَلَيْهِ الْجَمْلَةُ الثَّانِيَةُ لِلْعَنَانِيَةِ بِهَا كَمَا قَدَّمَ الصَّابِقُونَ عَلَى خَيْرَانِ فِي قَوْلِهِ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْمَعْنَى الرِّخْصَةُ فِي الْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ وَقَرَأْنَا فَع وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَغُرْفَةٌ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَالْبَاقُونَ بضمها * (فَائِدَةٌ) * قَالَ أَبُو عَمْرٍو بَنُ الْعَلَاءِ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَنْشُدُ وَقَدْ كُنْتُ خَرَجْتُ إِلَى ظَاهِرِ الْبَصْرَةِ مُتَقَرِّبًا إِلَى مَنَاسِكَرٍ مِنَ طَلَبِ الْحِجَابِ

صبر النفس عند كل ملء * ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضيق في الامور فقد تسك * شف لا واهاب غير احتيال
ربما تجزع النفوس من الام * رله فرجة كل العقال *
قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجو مقارع الابطال

فَقِيلَتْ مَا وَرَاءَ لِي يَا عَرَبِي قَالَ مَا الْحِجَابُ فَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ أَمْ جِئْتُ الْحِجَابُ أَمْ يَقُولُهُ فَرَجَةٌ لِأَنِّي كُنْتُ أَطْلُبُ شَاهِدًا لِاخْتِيَارِ الْقِرَاءَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ غُرْفَةً بِالضَّمِّ (فَقَسْرُ بَوَائِمِهِ) لِمَا وَافَقُوهُ بِكَثْرَةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى (الْأَقْلِيلَ مِنْهُمْ) أَيْ فَاقْتَصَرَ عَلَى الْغُرْفَةِ نَصَبًا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ رَوَى أَنْ مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً كَمَا أَمَرَ اللَّهُ قَوِي قَلْبِهِ وَصَحَّ عِيَانُهُ وَعَبَّرَ النَّهْرَ سَالِمًا وَكَفَّتْ تِلْكَ الْغُرْفَةُ الْوَاحِدَةَ فَاشْرَبَ بِهَا وَارْتَوَى وَالَّذِينَ شَرَبُوا وَخَلَعُوا أَهْلُ اللَّهِ اسْوَدَّتْ شَفَاهِهِمْ وَغَلَبَتْهُمُ الْعَطَشُ فَلَمْ يَرَوْا وَابْقُوا إِلَى

شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو واختلفوا في عدد الذين لم يشر بوا قال البغوي الصحيح انهم
 ثلثمائة وبضعة عشر أى عدد أهل بدر وقال السدى كانوا أربعة آلاف ويؤيد الأول ما روى
 عن البراء أنه قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة
 أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلثمائة ويروى ثلثمائة
 وثلاثة عشر وفي هذا ايدان بأن أعظم الجيوش جيش يكون فيه من أهل الورع بعدد التائبين
 من أصحاب طالوت الذين كان بعددهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم بدر وهم
 ثلثمائة وثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين ولما كان قصص بنى اسرائيل مثالا لهذه
 الامة كان مبتلى هذه الامة بالنهر فابتلاهم بنهر الدنيا الجارية خلالها وفي افراد الابدان
 بان الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا بيدن لاشتمال المدين على جانب الخير والشر (فلما
 جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) أى وهم الذين اقتصروا على الغرفة
 (قالوا) أى الذين شربوا (الطاقة) أى لاقوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بقنا لهم وجنبوا
 ولم يجاوزوه * ولما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذا القول نبه على أنه لا ينبغي أن يصدر عن
 يظن أن أحله مقدر لا يزيد بالجن والاحجام ولا ينقص بالجرأة والاقدام وانه يلقي الله تعالى
 فيما يريه على عمله وان النصر من الله باللقوة والعدد فقال (قال الذين يظنون) أى يوقنون
 (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم من فئة) أى جماعة وهي جمع لا واحد له من
 لفظه وجمعه فئات وفنون في الرفع وفئين في النصب والخفض وكم يحتمل أن تكون خبره بمعنى
 كثير ومن مينة وأن تكون استفهامية ومن مؤكدة والاول أولى بقرينة المقام (قائلة) كما كان
 في هذه الامة في يوم بدر (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى بارادته وتيسيره ثم انظر الى هذا الحال
 العجيب وهو انه لما ندبهم اتسبب جيش لا يحصون فاشترط عليهم الشاب القارغ من بناء دار
 وبناء باهر أه فلم يكن الموجود بالشروط الا ثمانين ألفا ثم امتحنوا بالنصر فلم ينبت منهم الا ثلثمائة
 وثلاثة عشر وهم دون الثلث من ثمن العشرين المتصفين بالشروط من الذين هم دون الدون
 من المتدين الذين هم دون الدون من السائين في بعث الملك الخارجين معه كما قال القائل

ألم تَعْلَمْ ————— لم بأنى صيرفى * أحل الاصدقاء على محكى
 ففهم بهرج لا خ ————— يرفيه * ومنهم من أجوز به بشك
 وأنت الخالص الذهب المصفى * بتزكى ومثلى من يزكى

ثم بين سبحانه وتعالى أن ملاك كل ذلك الصبر بقوله (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فلا
 يخذل من كان معه (ولما برزوا) أى ظهر واوهم على ما هم عليه من الضعف والقلة (بجالوت)
 اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشأم في زمن بنى اسرائيل جبار من العمالق من أولاد عيلق
 ابن عاد (وجنوده) على ما هم فيه من القوة والكثرة التجؤا الى الله بالدعاء كما نبه على ذلك بقوله
 (قالوا ربنا أفرغ) أى اصيب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بقوة قلوبنا على الجهاد (وانصرتنا

على القوم الكافرين) وفي الدعاء ترتيب بليغ اذ سألوا أولا فراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزموهم باذن الله) أي بارادته (وقتل داود جالوت) قال أهل التفسير عبر انه رمع طالوت فيمن عبر ايشا أبوداود وفي ثلاثة عشر ابنا لله وكان داود أصغرهم فأرسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى أو ابرز من يقا مني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فها هو القاء جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا في ذلك فأوحى الله تعالى اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله تعالى به جالوت وكان داود أصغرهم يرى الغنم فأوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء فقال له طالوت هل لك أن تقمل جالوت وأزوجه ابنتي وناصفك ملكي قال نعم قال أنت من نفسك أن تقوى به قال نعم أنا أرى فيمجي الاسديا خذ شاة فاقوم اليه وأفتح لحية عنها وأشقهما الى قفاه فترداود في الطريق فكلمه ثلاثة أشجار وقالت له انك تقمل جالوت بناخملها في مخلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة وكان من أشد الناس وأقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد اتدب له داود وأخذ مخلاته وقتلدها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت فلما نظر الى داود أتى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابقى عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلع والجر كما يؤتى الكلب قال نعم أنت شر من الكلب قال لاجرم لا أقسمن لحك بين سبع الارض وطير السماء قال داود وأيقسم الله لحك فقال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ووضعته في مقلعه ثم أخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعته في مقلعه فصارت كلها حجرا واحدا وداود رما بالمقلع ورمى به فسخر الله له الرمح حتى أصاب أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من وراءه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وختر جالوت قبلا فأخذه داود ويحيزه حتى ألقاه بين يدي طالوت وفرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره ففسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك فهرب فسلط عليه العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يشي في البرية فقال اليوم أقتله فركض على أثره فاشتد داود وكان اذا فرغ لم يدركه فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فبعده فيه الى أن قتل طالوت وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل بداود وأعطوه خزان طالوت وما كوه على أنفسهم قال الكبي والضحك ملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ولم يجمع بنو اسرائيل على ملك واحد الاعلى داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل

وطالوت ولم يجتمعوا لاحد قبله بل كان الملك في سبط والنبوّة في سبط وقيل الملك والحكمة العلم والعمل (وعلمه بماء شام) كصنعة الدروع كان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير والصوت الطيب والالخان ولم يعط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدفوا الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير ويركد الماء الجارى ويسكن الريح والسلسلة كان لا يسمها ذوعا حة الا برأ وكانوا يتحكون اليها بعده الى أن رفعت فن تعدى على صاحبها وأنكر له حقاً أتى السلسلة فن كان صادقا مديده اليها فقتلها ومن كان كاذبا لم يملها وكان ذلك الى أن ظهر فيهم المنكر والخديعة فأودع بعض ملوكهم رجلا جوهره خفية فلما طلبها منه أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهره الى عكازة فنقرها وضجها الجوهره واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقام صاحب الجوهره فتناول السلسلة بيده ثم قام المنكر وقال لصاحب الجوهره خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان الوديعه التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فتديده فقتلها فغضب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (ولو لا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (ببعض) أى ولو لا دفع الله بجمود المساكين الكفار (لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد وألفسدت الارض بشؤم الكفر فيكون المعنى ولو لا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والتجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بال مؤمن عن الكفار وبالصالح عن الفاجر وقد روى ان الله عز وجل "ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر الآية وروى عن ابن عباس أنه قال يدفع الله تعالى عن يصلى عن لا يصلى وعن يحج عن لا يحج وعن يزكى عن لا يزكى وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بإصلاح الرجل المسلم ولده وولدوله وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وعن ابن مسعود ان الله عز وجل "في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعة واذا مات واحد من الاربعة أبدل الله مكانه من الثمانية واذا مات واحد من الثمانية أبدل الله مكانه من العامة فيهم يحيى ويميت قال لانهم يسألون الله اكثرا لالام فيكثرون ويدعون على الجبابرة فينقصون ويستسقون فيسقون ويسألون فتمت لهم الارض ويدعون فيدفع الله أنواع المبلاء (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أى كلهم أو لا بالايجاد وثانيا بالادفاع فهو يكف من ظلم الظلمة اما بعضهم ببعض أو بالهالخين ويسبغ عليهم غير ذلك من آثواب نعمه ظاهرة وباطنة (تلك) أى هذه الآيات التي قصصناها عليك من حديث الاثرين وعليك طالوت واثبان

التابوت وانخرام الجبابرة على يدي صبي وهو داود وقتل داود جالوت (آيات الله) الذي جلت عظمته
 وعت قدرته وقوته (تلاوها) أي نقصها (عليك) يا محمد (بالحق) أي بالوجه المطابق الذي لا يشك
 فيه أهل الكتاب لانهم يجدونه في كتبهم كذلك وأرباب التواريخ (وانك) أي والحال انك
 (لن المرسلين) بمادلت هذه الآيات عليه من علمك بها من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقي
 على مدى الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة وختم هذه الآيات بانه صلى الله عليه
 وسلم منهم تشوقت النفس الى معرفة أحوالهم في الفضل هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون فأشار
 الى علوم مقادير الكل في قوله (تلك الرسل) بأداة البعد اعلا ما بعد مراتبهم وعلو منازلهم وانها
 بالمثل الذي لا ينال والمقام الذي لا يظال * (تنبيه) * تلك مبتدأ والرسل صفة أي الرسل
 التي ذكرت قصصها في السورة والتي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جماعة
 الرسل واللام للاستغراق والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بجمعة ليست لغیره
 لما أوجب ذلك من تفضيلهم في الحسنات بعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان أكثر السورة
 في بني اسرائيل وأكثر ذلك في اتباع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر وصفه مع وصف نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم فقال (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى ومحمد صلى الله عليه و
 وسلم كلم موسى ليلة الخيرة وهي بفتح الحاء تحيره في معرفة طريقه من مسيره من مدين الى
 مصر وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبين التكليمين بون عظيم
 ومنهم أيضا آدم كما ورد في الحديث (ورفع بعضهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (درجات) على
 غيره بعموم الدعوة وختم النبوة والاتباع الكثيرة في الأزمان الطويلة ونسخ جميع
 الشرائع وبكونه رجة للعالمين وبتفضيل أئمة على سائر الامم وبالمعجزات المتكاثرة المستترة
 وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السموات والارض عن الاتيان بسورة من مثله والآيات
 المتعاقبة تتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الغالبة للخصر ولولم يوثق القرآن وحده
 كفي به فضلا منيفاعا على سائر ما أوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات
 وبانتفاع القمر بشارته وحنين الجذع بفراقه وتسليم الحجر عليه وكلام البهائم والزهادة
 برسالته ونبح الماء من بين أصابعه وغير ذلك مما لا يحصى به الا الله تعالى وروى عنه صلى الله
 عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما
 كان الذي أوتيته وجيا أو جاءه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة وروى عنه
 أنه قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب من مسيرة شهر وجعلت لي
 الارض مسجدا وطهورا فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم
 تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عامة وروى
 عنه أنه قال فضلت على الانبياء بست أوتيت جوامع الحكم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم
 وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون (وايتنا عيسى
 ابن مريم اليينات) من احياء الموتي وغيره (وايتناه) أي قويناه (بروح القدس) وهو جبريل

يسمى ربه حيث سار وخص عيسى صلى الله عليه وسلم باسمه لا فرط اليه وفي تحقيره والنصارى
 في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله وأبهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى بعضهم حيث لم يقل
 ورفع محمد صلى الله عليه وسلم لما في الأبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من
 الشهادة على أنه العلم الذي لا يشبهه والتميز الذي لا يلبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول
 أحدكم أو بعضهم برأيه الذي تعورف واشتهر فيكون أنفهم من التصريح به وأنويه محبه وسئل
 الحطيطه عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أو أدنفسه ولو قال
 ولو شئت لذكرت نفسه لم يفهم أمره (ولو شاء الله) أى الذى له جميع الامر هدى الناس جميعاً
 باتفاقهم على دين واحد (ما اقتتل الذين من بعدهم) أى بعد الرسل أى ما اقتتل أممهم (من بعد
 ما جاءتهم البينات) أى المعجزات الواضحات على أيدي رسلهم لا اختلاف فهم في الدين وتضليل
 بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا) اختلفت تعال ذلك (فهم) أى فتسبب عن اختلاف فهم ان كان
 منهم (من آمن) أى ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح * ولما كان من
 الناس من أعصى الله قلبه فغلب أفعال المختارين من الخلق اليهم استعلا لا قال الله تعالى معلماً
 أن الكل بخلفه تأكيداً لما مضى من ذلك ومعيداً ذكر الاسم الأعظم (ولو شاء الله ما اقتتلوا)
 بعد اختلافهم بالإيمان والكفر (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء فضلاً منه ويخذل
 من يشاء عدلاً منه والآية دليل على أن الأنبياء متفاوتة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على
 بعض ولكن بنص لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل لا بالاعتقاد وان الحوادث بيد الله لقوله
 تعالى يفعل ما يريد تابعة لمشيئته تعالى خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً * ولما كان الاختلاف على
 الأنبياء سبباً للجهاد الذى هو حظيرة الدين وكان عماد الجهاد النفقة أتبع ذلك قوله رجوعاً الى
 أول السورة من هنا الى آخرها وأتى التأكيده بلطف الامر لما تقدم الحث عليه من أمر النفقة
 (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أى مما أوجبت عليكم أنفاقه من الزكاة قاله السدى
 وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير أى فلا تجلو بالانفاق فإنه لا أداء وأمن
 البخل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وصرف الامر بالتبعض الى الحلال
 الطيب يمنع احتجاج المعتزلة به فى أن الرزق لا يكون الا حلالاً لكونه مأثوراً به واتبعه بما
 يرغب ويرهب من حلول يوم التناد الذى تنقطع فيه الأسباب التى أقامها سبحانه وتعالى في هذه
 الدار فقال (من قبل أن يأتى يوم) موصوف بأنه (لا يبيع فيه) أى فداء (ولا خلة) أى صداقة
 تنفع (ولا شفاعة) بغير إذنه والمعنى أنه لا يقضى فيه أسير عيال ولا رعى الصداقة من مساو
 ولا الشفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى لشي من ذلك ولا يكون الا ما يريد وقرأ ابن كثير وأبو
 عمرو بالنصب في بيع وخلة وشفاعة ولا تنوين على الاصل والباقيون بالرفع والتنوين على أنهم فى
 تقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة * ولما حث سبحانه وتعالى على الانفاق ختم الآية
 بذكر الكافرين بكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة تخليصهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك
 اليوم فهم لا يتفقون لخوفه وارهابه فقال بدل ولا نصرة لكافر (والكافرون) أى المعالوم

كفرهم في ذلك اليوم (هم) المختصون بأنهم (الظالمون) أي الكاملون في الظلم لا غيرهم وقوله سبحانه (الله لا اله الا هو) مبتدا وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير (الحق) أي الدائم البقاء (اليوم) أي الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم (لا تأخذ سنة) وهي ما يتقدم النوم من القدر الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاق العاقل

وسنان أقصده (أي أصابه) النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

أي لا يأخذ نعاس (ولا نوم) وهو حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الا بخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس (فان قيل) تقديم السنة على النوم قياس المبالغة عكسه (أجيب) بأن هذا ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق على وجود النوم فهو على طريقة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قصدا الى الاطاعة والاحصاء ولانه لما عبر بالاختصاص الذي هو معنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان وجله لا تأخذ سنة ولا نوم في التشبيه بينه وبين خلقه وتأكيد لكونه خياقيوما فان من أخذ نعاس أو نوم كان باقفة تفل بالحياة فأصر في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده من قوله له ما في السموات وما في الارض الخ وقوله تعالى (له) أي بيده وفي تصرفه واختصاصه (ما في السموات وما في الارض) أي ملكا وخالقا تقرر اقيوميته واحتجاج على فقرده في الالهية والمراد بما فيها ما وجد فيه ما د اخلا في حقيقة ما كالكمواكب والنبات والمعادن او خارجا عنها ما متمكنا منها ما كالملائكة والانس والجن وقوله تعالى (من ذا الذي) أي لأحد (يشفع عنده الا بانه) له بيان لكبرياء شأنه وانه لأحد ابيه أو بدينيه يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعة وتواضع افضل أن يدفعه عناد او محاصرة (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلق من أمر الدنيا (وما خلفهم) أي من أمر الآخرة قاله مجاهد وقال السكبي ما بين أيديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقيل ما بين أيديهم ما قدموا من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه (ولا يحيطون بشئ) أي قليل ولا كثير (من علمه) أي لا يعلمون شيئا من معلوماته (الابحشاء) أن يعلمهم به منها اخبار الرسل (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هريرة هو موضع أمام العرش والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع أن سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقه في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقه في فلاة ويروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أن السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قاعة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور

قوله ان
كذا في
بأيدينا
سبعين و
ان حرا
مصحف

يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد المجمل وملك على
صورة سيمد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع من السنة الى السنة وملك على صورة سيد
الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان ما بين حلة العرش
وحلة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام
لولا ذلك لاحترق حلة الكرسي من نور حلة العرش وقيل المراد بالكرسي علمه وقيل ملكه
وقيل تصوير لعظمته وتمثيل مجزده (ولا يؤده) أي لا يشقه ولا يشق عليه (حفظهما) أي السموات
والارض (وهو العلي) أي الرفيع فوق خلقه المتعالى عن الاشياء والانداد (العظيم) أي
الكبير الذي لا شيء أعظم منه المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية تسمى آية الكرسي
مستقلة على أتمها المسائل الالهية فانه ادلة على أنه موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجودا غيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزعه عن التحيز والحلول
مبتر أعنى التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتبر به ما يعتري الارواح مالك الملك والمالكوت
ومبدع الاصول والفرع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من أذن له عالم بالاشياء
كلها جلها وخذنها كليها وجزئها واسع الملك والقدرة اذ المقدور كل ما يصح أن يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يدركه وهم عظيم فلا يحيط به فهم ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي رواه مسلم وروى النسائي وابن
حبان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل الجنة وروى البيهقي في شعبه أنه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤاظب عليها الا صديق أو عابد وروى البيهقي أيضا ان من قرأها اذا أخذ مضجعه امنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والايات حوله وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأله أي آية من كتاب الله أعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدره ثم
قال ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده ان لها لسانا وشفتين تقديس الملك عنه ساق العرش
وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حين يصبح آية الكرسي وأتين من أول حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي فان قرأها حين يمسي حفظ
في ليلته تلك حتى يصبح وروى ما قرئت آية الكرسي في دار الايجرتما الشياطين ثلاثين يوما
ولا يذخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فانزلت آية أعظم منها
وتذاكر الصلابة أفضل ما في القرآن فقال لهم على رضي الله تعالى عنه أين أنتم عن آية الكرسي
ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولاخرو سيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم
الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (لا اكره في الدين)
أي على الدخول فيه أي في أعطى الجزية لم يكرهه على الاسلام فهو عام مخصوص بأهل الكتاب
لما روى أن أنصاريا كان له ابنان تنصر اقبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله
لأدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله

أيدخل بعض النار وأنا أنظر فنزلت وقبل عام منسوخ فكان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر
 بالقتال فصارت الآية منسوخة بآية السيف قاله ابن مسعود (قد تبين الرشد من الغي) أي
 ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد يؤصل إلى السعادة الأبدية وأن الكفر غي يؤدي إلى
 الشقاوة السرمدية والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت بنفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة
 فلم يمتحج إلى الإكراه والإلجاء (فمن يكفر بالطاغوت) أي فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام
 (ويؤمن بالله) أي بالتوحيد ونصديق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم
 بالعقد الوثيق المحكم في الدين (لا انفصام) أي لا انقطاع (لها) قال التفاتاً في شبه المدين
 بالدين الحق والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبل المحكم
 المأمون تقطعها ثم ذكر المشبهة به وأراد المشبهة وقال الرخصمى وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
 والاستدلال بالمشهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده
 واليقين به اهـ والوثقى تأنيث الاوثق وقبل العروة الوثقى السبب الذي يتوصل به إلى رضا الله
 تعالى (والله سميع) لما يقال (عليم) بالنيات والأفعال وقيل سميع لدعاتك إياهم إلى الإسلام
 عليم بخرجك على إيمانهم (الله ولي) أي ناصر ومعين (الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا بالقوله
 تعالى (يخرجهم) أي بلطفه وتأنيده (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان أو أنهم
 الثابتون على الإيمان بأن يخرجهم من الشبهة في الدين إن وقعت لهم بما هم يدينهم ويوقعهم
 له من أجلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين وعن ابن عباس أنهم قوم كانوا كفروا
 بعيسى وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين كفروا أولادهم الطاغوت) أي الشيطان
 وقال مقاتل هو كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم) أي
 يدعوهم (من النور) الذي منوهه بالفطرة (إلى الظلمات) أي الكفر (فان قيل) كيف
 يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط (أجيب) بأن الطبراني روى عن ابن عباس
 أنها نزلت في قوم آمنوا بعيسى فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به وأنه تعالى ذكر
 الإخراج في مقابلة يخرجهم من الظلمات فهو على العموم في حق جميع الكفار كما يقول الرجل
 لا يسه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه كما قال تعالى إخباراً عن يوسف عليه الصلاة والسلام أني
 تركت مله قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم وقبل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام واسناد
 الإخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا بأني تعلق قدرته تعالى وإرادته به والطاغوت يكون
 مذكراً ومؤنثاً واحداً وجمعاً قال تعالى في المذكر والواحد يريدون أن يتحكموا إلى الطاغوت
 وقد أمر وأن يكفر وإبه وقال تعالى في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في
 الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقوله تعالى (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعبد
 وتحذير قال البيضاوي ولعل عدم مقابله بوعده المؤمنين تعظيم لشأنهم ولما كان الترويض والحاجج
 للجليل من أخرجته الشياطين من النور إلى الظلمات ذكره عقب ذلك فقال (ألم تر) أي تعلم بما
 تحذيرك به عما هو عندك كالمشاهدة لمالك من كمال البصيرة وبما أودعناه فيك من المعاني المنيرة

(إلى الذي) وهو غروذ (حاج) جادل وخاصم (إبراهيم في ربه) وهو أول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الأرض وادعى الربوبية (إن) أي لان (آناه الله الملك) فطني أي كانت تلك الحاجة
من بطر الملك وطمعانه فأورثه الكبر والعنق فحاج لذلك وقال مجاهد ملك الأرض مشرقها
ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسلمان صلى الله عليه وسلم وذو القرنين
وأما الكافران فغروذ بن كنعان وتختنصر لم يملكها غيرهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى
يعطي الكافر الملك فقبها حجة على من منع إتياء الملك للكافر من المعنزة وأول الملك بالمال
والخدم الذي يتسلط به على غلبة الناس لا الملك الحقيقي وبهم ذا أول الرنخشمري (أذقال
إبراهيم ربي الذي) قرأ حجة ربي بسكون الياء والباقون بنصبها (يحيى ويميت) أي يخلق الموت
والحياة في الأجساد وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له غروذ من ربك فقال له إبراهيم
ذلك واختلفوا في وقت هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر إبراهيم الأصنام صغره غروذ ثم
أخرجه ليجرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا إليه وقال آخرون كان هذا بعد القائه في النار
وذلك أن الناس قطوا على عهد غروذ وكان الناس يمتارون من عنده فكان إذا آناه الرجل
في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأناه إبراهيم فقال له من ربك فقال له
ذلك (قال أنا أحيى وأميت) قرأنا فاعبده الالف من أنا فمصرمة آمنه صلا والباقون بالقصر
قال أكثر المفسرين دعا غروذ برجلين فقتل أحدهما واستخما الآخر فجعل ترك القتل أحياء فانتقل
إبراهيم إلى حجة أخرى لا يجوز بل لما رآه من غباوته فان حجه لازمة لأنه أراد بالاحياء أحياء
الميت فكان له أن يقول فأحي من أمت أن كنت صادقاً لكانه انتقل إلى حجة أوضح من الأولى
ذكرها الله تعالى بقوله (قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس) وهو الذي أوجدها (من المشرق)
أي في كل يوم قبل أن توجد أنت بدهور (فأت بها) أنت (من المغرب) ان كنت صادقاً فيما
تدعيه ولو يوماً واحداً وفي ذلك استعار بأن الله تعالى لا بد وأن يأتي بالشمس من المغرب ليكون
في ذلك اظهار تصرفه لها حيث شاء يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث
قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية مقاربة لقيام الساعة وطلوع الأرواح من أبدانها
(فبنت الذي كافر) تحير ودهش وانقطعت حجته ولم يعط إبراهيم طعاماً فرجع فرغى كئيب
رمل أعفر فأخدمته تطييباً للقلوب أهله إذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت
امرأته إلى متاعه ففقت حجه فإذا هو أجود طعام رآه فأخذته وصنعت له منه وقرينه له فقال لها من
أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله تعالى رزقه فحمد الله تعالى (فان قبيل)
كيفية غروذ وكان يمكنه ان يعارض إبراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأتي به من المغرب
(أجيب) بأن الله تعالى صرفه عن ذلك اظهاراً للنجحة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه الصلاة
والسلام أو أنه خاف ان لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكانت زيادة في فضيلة وانقطاعه ثم بعث الله
تعالى إلى غروذ بن كنعان ملكاً أن آمن بي واتركك على ملكك قال فهل رب غيري فخامه الشاسنة
فقال له ذلك فأني عليه ثم آناه الثالثة فأني عليه فقال له ذلك الملك فاجع جموعك إلى ثلاثة أيام

فجعل الجبار رجوعه فأمر الله تعالى الملك ففتح عليه باباً من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من
 كثرتها فبعتها الله عليهم فأكلت شحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام وغرود كما هو لم
 يصيبه من ذلك شيء فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فكت أربع مائة سنة يضرب
 رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جباراً أربع مائة سنة فعذبه
 الله تعالى أربع مائة سنة كذلك ثم أماته الله وهو الذي بنى صراطاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء
 ليعاقل أهلها فأرسل الله تعالى عليه الريح فهدمته وسأنى قصته في غافر إن شاء الله تعالى (والله
 لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر إلى شجرة الاحتجاج (أو كالذي مر على قرية) فيه حذف تقديره
 أو رأيت مثل الذي حذف لدلالة ألم تر عليه لأن كليهما كلمة تعجب وتخصيصه بحرف التشبيه لأن
 المنكرين للأحياء كثير والجاهل بكيفية أكثر من أن يحصى بخلاف مدعى الزبوية وقيل الكاف
 مزينة وتقدير الكلام ألم تر إلى الذي حاج أوى الذي مر والمر عزير بن شرحبيل والخضر أو الكافر
 بالبعث وبؤيد هذا نظمه مع غرود في سلك وكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيى وأكثر المفسرين
 على الأول والقرية بيت المقدس حين خرج بها بختنصر وقتل بنى إسرائيل حتى أقتلهم ثم أمر
 جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترساً باباً فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم أمرهم أن
 يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغارهم وكبيرهم من بنى إسرائيل فاختر
 منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوكة الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة وفرق من
 بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق فثلاثاً قتلهم وثلاثاً سبواهم وثلاثاً أقرهم بالسأم وقيل هي القرية التي
 خرج منها الألوف وقيل غيرهما (وهى حاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى سقطوها بأن سقط
 السقف أو لأنها سقطت الجدران عليه لما أخرجهما بختنصر (قال أنى) أى كيف (يحيى هذه الله
 بعد موتها) أى بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة أهلة
 وهذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الأحياء واستعظام لقدرة الحي إن كان القاتل مؤمناً
 واستبعاد أن كان كافراً (فأما نه الله) وأبشيه (مائة عام) ميتاً (ثم بعثه) بالأحياء ليريه كيفية ذلك
 (قال كم لبنت) أى مكنت أى لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله كم لبنت وعن ابن عباس أن عزيراً
 كان عبداً لصاحبه حكيماً خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف انتهى إلى خربة حين قامت
 الظهيرة فأصابه الحر فدخل الخربة وهو على جواره فنزل عن جواره ومعه سلة فيماتين وسله فيها
 عنب فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة كانت معه فاعتصر من العنب الذى كان معه في
 القصعة ثم أخرج خبراً يابساً معه فألقاه في تلك القصعة في العصور ليتل فمأكله ثم استلقى على قفاه
 وأسند رجليه إلى الحائط فظفر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهى ساقطة على عروشها ورأى
 عظاماً بالية فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملكاً
 الموت فقبض روحه فأما نه الله مائة عام فلما أتت عليه مائة عام وكان فيما بين ذلك في بنى إسرائيل أمور
 واحداث فبعث الله إلى عزير ملكاً خلق قلبه ليعقل به وعينه لينظر بهم ما في عقل كيف يحيى الله
 الموتى ثم ركب خلقه وهو يتنظر ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى

ويعقل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبثت (قال لبثت يوماً) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى
في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن
الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) أي بل بعض يوم (قال) أي
الله أو الملك له (بل لبثت مائة عام) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار الشاء المثلثة في كم لبثت
وفي قال لبثت وفي بل لبثت والباقيون بالأدغام ثم قال له الله أو الملك (فانظر الى طعامك) وكان ينأ
أو عنبا (وشربك) وكان عصيراً أولبنا (لم يتسنه) أي لم يتغير عروق الزمان فكان التين أو العنب
كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر أو اللبن قد حلب من ساعته قال الكسائي أي
كأنه لم يأت عليه السمنون وإنما أفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد (فان قيل)
إذا كان المار كافر فكيف يسوغ أن يكلمه الله (أجاب الزمخشري) بأن الكلام كان بعد
البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً وقال أبو حيان لانص في الآية ان الله كلمه شفهاها وقرأ حمزة
والكسائي لم يتسن باسقاط الهاء اذا وصلها بما بعدها والباقيون ثابتهاً وفي الوقف ثابته للجمع
(وانظر الى جارك) كيف هو فراه ميتاً وعظامه بيض وكان له جوار قد ربطه وقيل وآه حيا مكانه كما
ربطه حفظ بلا مأ ولا علف كما حفظ الطعام والشراب من التغير وقوله تعالى (ولجعل آية للناس)
معطوف على محذوف تقديره فعلنا ذلك لعلم ولجعلك آية وقيل الواو زائدة مقحمة أي لجعلك
عبرة ودلالة على البعث بعد الموت (وانظر الى العظام كيف نشرها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
بالراء ومعناه تحميمها والباقيون بالزاي ومعناه نرفعها من الارض ونزدها الى أما كتبها من الجسد
وفي الآية تقديم وتأخير وتقديرها وانظر الى جارك وانظر الى العظام كيف نشرها ولجعلك آية
للناس واختلافه في معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد به عظام جواره وهذا يؤيد كون جواره
كان ميتاً قال السدي ان الله أحيا عزيزاً ثم قال له انظر الى جارك قد هلك وبليت عظامه فبعث
الله ريحاً فجاءت بعظام الجار من كل سهل وجبل الذي ذهبت به الطيور والسباع فاجتمعت
فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصارت جواراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحماً ودماً
كما قال تعالى (ثم نكسوها لحماً) فصارت جواراً لاروح فيه ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الجوار
فنفخ فيه فقام الجار ونشق باذن الله تعالى وقال الاقلون أراد به عظام هذا الرجل فأحيا الله
عينه وزأسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى جارك فنظر فرأى جواره قائماً واقفاً كهيمته
يوم ربطه وهذا يؤيد كون جواره كان حياً وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف
ولما قال الضحالة وقادة وتقدير الآية أي على هذا وانظر الى جارك وانظر الى عظامك كيف
نشرها روى أن عزيزاً لما أحياه الله تعالى ركب جواره حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر
الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بجوار عظامه فأتى عليها مائة وعشرون
سنة كانت أمة لهم فخرج عزيز عنهم وهي بنت عشرين سنة فقال لها عزيزاً هذه منزل هذا منزل عزيز
فالتفت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا اسمه يدكر عزيزاً فقال فاني أنا
عزيز فقال سبحان الله فان عزيزاً فقد ناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال ان الله أماته مائة سنة ثم

بعثني قالت فان عزيزا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعوا للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع
 الله أن يرده علي بصري حتى أراك فان كنت عزيزا عرفتك فدعاريه ومسح يده علي عينيما فصحتما
 وأخذ سدها فقال قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال
 فظفرت اليه فقالت أشهد أنك عزيز فانطلقت الي بني اسرائيل وحدثهم في أديبتهم ومجاليهم وابن
 العزيز شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس قال الضحك عاد الي قرية شابا
 وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وبجائز وهو أسود الرأس والحية فقالت هذا عزيز قد جاءكم
 فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعالي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم أن الله أماته
 مائة عام ثم بعثه فنهض الناس واقبلوا عليه ونظروا اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل
 الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزيز فقال بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا أحد يحفظ
 التوراة فيما حدثنا عزيز فقرأ لهم التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
 هو ابن الله وسبأ في الكلام علي ذلك في سورة براءة ان شاء الله تعالى (فلما تبين له ذلك بالمشاهدة
 وفاعل تبين مضر تقديره فلما تبين له ان الله علي كل شيء قدير) قال أعلم ان الله علي كل شيء قدير
 فحذف من الاول دلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا وقرأ حمزة والكسائي بوصل
 الهمزة قبل العين وسكون الميم والباقون بقطع الهمزة ورفع الميم (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب
 أنني) أي أبصرني قرأ ابن كثير والسوسي يسكون الراء من أنني وقرأ الدوري باختلاس الكسرة
 والباقون بكسرة كاملة (كيف يحيى الموتى) قال الحسن وقادة والضحاك كان سبب هذا
 السؤال من ابراهيم عليه السلام أنه مر علي دابة مية قال ابن جرير كانت جنفة حمار فرأها وقد
 توزعت دواب البحر والبر فكانت اذا مدت البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها وما وقع
 منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جاءت السباع فأكلت منها وما وقع منها يصير ربا فاذا ذهبت
 السباع جاءت الطير فأكلت منها وما سقط قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم تعجب
 منها وقال يا رب قد علمت انك اتجمعها من بطون السباع وخواصل الطير وأجواف دواب البحر
 فأرني كيف يحييها فاذا دابقها فاعاتبه الله بقوله (قال ألم تؤمن) بقدرتي علي الاحياء سأله مع علمه
 بايمانه بذلك ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى) يا رب آمنت (ولكن ليطمئن قلبي)
 أي ليسكن قلبي الي المعايينة والمجاهدة أراد أن يصير له بعد علم اليقين عين اليقين فان العيان يفيد
 في المعرفة والعلم أئنة ما لا يفيد الاستدلال وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من
 ابراهيم ولوليت في الشك طول ما لبث يوسف لا جبت الداعي فقال أبو سليمان الخطابي ليس
 فيه اعتراف بالشك علي نفسه ولا علي ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذ لم أشك في قدرة
 الله تعالى علي احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك علي سبيل التواضع والهضم من
 النفس وكذلك قوله ولوليت في الشك طول ما لبث يوسف وقيل سبب سؤاله أنه لما قال له
 نمرود أنا احبي وأمنت قال له ان احياء الله برذال روح الي بدنهم فقال غر وذهل عاينته فليقدر أن
 يقول نعم وأنتقل الي تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان شئت عنه مرة

أخرى (فان قيل) بم تعلق اللام في ليطمئن (أجيب) بأنها تعلق بمحذوف تقديره ولكن
 سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (وقيل) بل كان قصده بالسؤال رؤية الهوى ولكنه طلبها لتوحيها
 فأجيب بالمنع منها لتوحيها وموسى عليه الصلاة والسلام لما سألتها تصرحاً أجيب بالمنع تصرحاً قال
 تعالى (خذ أربعة من الطير) قال مجاهد وابن جرير أخذوا سوا وديكاً وجماعة وغراباً وانما خص
 الطير لانه أقرب الى الانسان شها كدوير الرأس والمشى على رجلين واجمع لخواص الحيوان
 لان فيها ما يتكلم وما يمدى للطريق كالقطاة وللمياه كالدهد وفي هذا إيحاء الى أن احتواء
 النفس بالحياة الابدية انما يتأتى بامانة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس والسولة
 المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بمال الغراب والترفع والمسارة الى
 الهوى الموسوم بمال الحمام ومنهم من ذكر التفسير بدل الحمامة وروى بدلها البطة وبدل الغراب
 الغرورق (فصره) أي فأمسكهن واضمهن (اليلك) قرأه بكسر الصاد والباقون بضمها
 (فان قيل) ما معنى أمره بضم الطير الى نفسه بعد أن يأخذها (أجيب) بأنه ليتأملها ويعرف
 اشكالها وهياتها وحلاها لئلا تلبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يا تينك
 سعيها وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتفخ ريشها ويقطعها ويفرق اجزائها ويخلط ريشها
 ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى
 (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) واخته فوافى عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقادة
 أمره الله تعالى أن يجعل كل طائر أربعة اجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل جزء من
 كل طائر وقال السدي وابن جرير جزءاً سبعة اجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن
 ثم دعاهن تعالين باذن الله فجعل كل قطرة من دم طائر نصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى
 الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الاخر وابراهيم بنظر حتى صارت جثثا بغير رؤس ثم
 أقبلن الى رؤسهن سبعاً فالتقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا تينك سعيها) أي
 سريعاً وقبل مشيها لانها لو طارت لربما توهم متوهم انها غير تلك الطير وان أرجلها غير سليمة قال
 البيضاوي وفي ذلك اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
 البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها ويجزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاول عنه مسرعات
 متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهداً على فضل ابراهيم وعينه أي بركنه حيث سلك
 مسلك الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراه ما أراد ان يريه في الحال على
 أيسر الوجوه وأراه عزيراً بعد ان أمناه مائة عام (واعلم ان الله عزير) لا يعجز عما يريد (حكيم)
 ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله (مثل الذين ينفقون) أي يذلون (أموالهم) يطلب النفس
 (في سبيل الله) الذي له الكمال كله أي في طاعته كمثل زراع ومثل ما ينفقون (كمثل حبة)
 مما زرعها فلا بد من حذف كما تقرأ ويقال مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة
 (أثبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) والمثبت هو الله سبحانه وتعالى ولكن الجنة لما كانت
 سبباً أسند إليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء وقرأنا في ابن كثير وابن عامر وعاصم

بأظهار تاء التأنيث عند السين والباء قون بالادغام ومعنى انباتها سبغ سنابل أن يخرج منها
ساق يشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل تصوير الاضعاف كأنها
مصورة بين عيني الناظر (فان قيل) كيف صح هذا التمثيل ولم تر سنبله فيها مائة حبة (أجيب)
بأن ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة
فملح جهها هذا المبلغ وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا يجوز ضرب
المثل به وتأول ذلك الخصال فقال كل سنبله أثبت مائة حبة (فان قيل) هلا قال الله تعالى سبع
سنبلات لانه جمع قلة كما قال الله تعالى وسبع سنبلات خضر (أجيب) بما تقدم في قوله تعالى
ثلاثة قروء (والله يضاعف لمن يشاء) بفضل تلك المضاعفة أو يضاعف على هذا ومن يدلن شاء
ما بين سبعين الى سبع مائة الى ما شاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله على حسب حال المنفق من
اخلاصه وقبلة ومن أجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أي غني يعطي
عن سعة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله) أي في طاعته قال الكبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنهم ما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان عندى ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها النفسى وبعالى أربعة آلاف وأربعة آلاف
أقرضتم اربى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وأما
عثمان فجهاز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير باقتناهم واحلاسها وألف دينار قال عبد الرحمن بن
سيرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقال يارب
عثمان وضيت عنه فارض عنه (ثم لا يتبعون ما انفقوا منا) أي على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد
أحسنتم اليه وجبرت حاله فبعد دون عليه النعمة فخذ الله عبادته المن بالصنعة واختص به صفة
لنفسه لانه من العباد تعبير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وكان السلف يقولون اذا صنعتم
صنعة فانسوها والعرب يتدحون بترك المن ويذمون عليه فمن الاول قول القائل
زاد معروفاً عندى عظماً * أنه عندك مسنة ورحقير
تناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

ومن الثاني قول القائل

وان امرأ أسدى الى صنعة * وذكريها مرة للنجيل
وقيل طم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن ويطلق المن أيضاً على النعمة
يقال افلان على منة أي نعمة وأنشد ابن الأنباري
فنى علينا بالاسلام فانما * كلامك يا قوت ودر منظم
وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا الآية (ولأذى) له كأن يذكرك ذلك الى
من لا يحب وقوفه عليه أو يطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وشم للتفاوت بين الاتفاق وترك المن

والأذى (أهم أجرحهم) أي ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم) أي فلا يخافون
فقد أجورهم (ولاهم يحزنون) في الآخرة بسبب أن لا يوجد (قول معروف) أي كلام حسن
وردد على السائل جميل لأن القول الجميل وإن كان يرذل السائل يفرح قلبه ويروح روحه وقيل
عدة حسنة (ومغفرة) أي بأن يستر عليه خطئه ولا يهتك ستره ويتجاوز عنه إذا وجد منه ما ينقل
عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها إليه (يتبعها أذى) أي من وتغيير السائل أو قول يؤذيه
(فإن قيل) لم يوجد ذكر المنة فيقول يتبعها من أو أذى (أجيب) بأن الأذى يشمل المنة وغيره كما
تقرر وانما نخص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر تحفظهم منه ولذلك قدم على
الأذى قال بعضهم الآية واردة في صدقة التطوع لأن الواجب لا يحل منعه ويحتمل أن يراد بها
الواجب فإنه قد يعدل به عن سائل إلى سائل وعن فقهاء نفاها عن الواجب لا يحل منعه ويحتمل أن يراد بها
قول لا اختصاصها بالصفة وهي معروف وأما المعطوف وهو مغفرة فلا يحتاج إلى مخصص
لتبعيتها (والله غني) عن صدقة العباد وانما أمرهم ليتبعهم عليها (حليم) بتأخير العقوبة
عن الممان والمؤذى بصدقته (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجورها لأن الصدقة
وقعت فلا يصح أن تبطل (بائن والأذى) (فإن قيل) ظاهر هذا اللفظ أن مجموع المنة والأذى
يطلقان الجرح فيلزم أنه لو وجد أحدهم مادن الأخر لا يبطل الأجر (أجيب) بأن الشرط
أن لا يوجد واحد منهما مادن الأخر لأن قوله تعالى ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى يقتضي أن
لا يقع هذا ولا هذا أي فتبطل بكل واحد منهما الباطل (كأذى) أي كإبطال أجر نفقة الذي
(ينفق ماله رثاء للناس) أي مرائبهم إيوافقته ويقولون أنه كريم سخى (ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر) وهو المنافق لأن الكافر معلن بكفره غير مراء (فذلكه) أي هذا المرأى في انفاقه
(كمثل صفوان) وهو الحجر الأملس (عليه) أي استقر عليه (تراب) والتراب معروف وهو
اسم جنس لا يثنى ولا يجمع وقال المبرد هو جمع واحد ترابة وفائدة هذا الخلاف أنه لو قال
لزوجته أنت طالق عدل التراب أنه يقع عليه طاقته على الأول وهو الأصح وثلاث على الثاني
(فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فترك صلدا) أي أملس نقياً من التراب
وقوله تعالى (لا يتدرون على شيء مما كسبوا) استئناف لبيان مثل المناق المنفق رياء أي
لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لا ذهاب
المطر له (فإن قيل) كيف قال تعالى لا يتدرون بعد قوله كاذبي ينفق (أجيب) بأنه تعالى أراد
بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشريك الأصغر قالوا يا رسول الله
وما الشريك الأصغر قال الرياء يقول الله تعالى لهم يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين
كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حدثه أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد أي أمر مليه قضى بينهم وكل
أمة جاثية وأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول

الله تعالى للقارئ الم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى قال فإذا علمت فيما علمت قال كنت أقوم
 به آنا الدليل وأنا النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت
 أن يقال فلان قارئ وقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أدعك
 محتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فإذا علمت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأصدق فيقول
 الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى
 بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يارب أحرمت بالجهاد في سبيلك فقالت
 حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرى
 وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي فقال يا باهر برة أولئك الثلاثة أول خلق
 الله تسع بهم النار يوم القيامة (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخير والرشاد وفيه
 نعيم بآن الرياء والمن والأذى على الاتفاق صفة الكفار ولا بد أن تحتجبوا عنها (ومثل)
 نفقات (الذين ينفقون أموالهم ابتغاء) أي طلب (مرضاة الله) أي رضاه (وتبئنا من أنفسهم)
 أي تبئنا بالنظر في اصلاح العمل واخلاصه بالجل على الحلم والصبر على جميع مشاق التكليف
 فان من راض نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح فان بذله أشق شيء على النفس
 لان النفس اذا رضيت بالتعامل عليها وتسكفها بما يصعب عليها ذلت خاضعة لاصحابها وقل
 طمعها في اتباعها لشهواتها فيسهل عليه حملها على سائر العبادات ومتى تركها وهي مطبوعة
 على النقائص زاد طمعها في اتباع الشهوات فن لا تبغض مفعول به مثلها في قولهم هزم من عطفه
 وحرك من نشاطه (فان قيل) ما معنى التبغض (أجيب) بأن معناه ان من بذل ماله لوجه الله
 تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فهو الذي ثبتها كلها أو تصديقا للاسلام وتحقيقا
 للجزاء من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله تعالى علم ان تصديقه وإيمانه
 بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه فن على هذا لا بد ان الغاية كقوله تعالى حسدا
 من عند أنفسهم (كمثل الجنة) أي بستان (بربوة) وهي المكان المرتفع الذي تجري فيه الانهار
 فلا يعلم الماء ولا يعلمه على الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها أحسن وأزكى وقرأ ابن عاصم
 وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها (أصابها وابل) أي مطر شديد كثير (قالت) أي أعطت
 (أكلها) أي غرستها وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسكون الكاف والباقون بضمها (ضعفين)
 أي مثلي ما يثمر غيرها بسبب الواابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثاله لان الضعف قدر
 الشئ ومثله معه فيكون الضعفان أربعة واستظهره البقاعي وقال أبو حيان يحتمل انه التاكثير
 أي ضعفا بعد ضعف أي اضعافا كثيرة لان النفقة لا تضاعف بحسنة فقط بل بعشر وسبع مائة
 وأزيد ونصبه على الحال أي مضاعفا (فان لم يصبها وابل فطل) أي مطر خفيف يصيبها ويكفيها
 لارتفاعها والمعنى تكثر وتكو كثيرا المطر أو قل فكذلك نفقات من ذكر تركت وعنده الله
 كثرت أو قلت (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به فقيه وعدو وعيد (أبو أدحكم) أي أوجب
 حبسا شديدا (أن تكون لهجنة) أي بستان (من نخيل) جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق

ثمها من اعلاها في كاهانفع حتى في خشبها مثلها كمثل المؤمن الذي يتنفع به كله (واعناب)
 جع غناب وهو شجر الكرم لا يتحقن ثمرة بجهة العلو اختصاص الخل بل يتفرع علوا وسفلا وعينه
 ويسرة مثله كمثل المؤمن المتقى الذي يكرم بتقواه في كل جهة * ولما كانت الجنان لا تقوم
 ولا تدوم الا بالماء قال تعالى (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت هذه الاشجار (له فيها) أي
 الجنة ثم مع غر النخل والغناب (من كل الثمرات) فهي محتوية على سائر أنواع الاشجار وانما
 خص النخل والغناب بالذكر لشر فهما وكثرة منافعهما وحسن منظرهما (وأصابه) أي والحال
 انه أصابه (الكبر) أي كبر السن فصار لا يقدر على اكتساب (وله ذرية ضعفاء) بالصغر كضعف
 هو بالكبر (فأصابها) أي الجنة (اعصار) وهو الريح العاصف الذي يرتفع الى السماء كأنها
 عود وتسميها العامة الزوبعة وجميعه أعاصير والاعصار من بين سائر الرياح مذكروا لهذا وجع اليه
 الضمير مذكروا في قوله (فيه نار فاحترقت) تلك الجنة فقد هأأ حوج ما كان اليها وبقي هو وأولاده
 بحجرة متخيرين لاحيلته لهم وهذا مثل ضرب به الله تعالى لعمل المنافق والمرأى يقول عمله في حسنه
 كحسن الجنة يتنفع به كما يتنفع صاحب الجنة بها فاذا كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء صغار
 أصاب حسنه اعصار فيه نار فاحترقت أحوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها الكبره وضعفت
 أولاده عن اصلاحها ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولأولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا
 متخيرين بحجرة لاحيلته لهم كذلك يسل الله تعالى عمل المنافق والمرأى في الآخرة حين لا مغيب
 لهما ولا نوبة ولا اقالة والاستغفام يعني التني وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما ضرب لرجل
 عمل بالطاعات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله (كذلك) أي مثل هذا
 البيان (يبين الله) أي الذي له السكال كله (لكم الايات لعلمكم) أي لكي (تتفكرون) فيها فتعتبرون
 بها * ولما ذكر سبحانه وتعالى ان الانفاق على قسمين وبين كل قسم وضرب له مثلا ذكر كيفية
 الانفاق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا) أي زكوا (من طيبات) أي جياذ (ما كسبتم)
 من المال والتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث وعن
 عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل
 من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل
 من عمل يده وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده والزكاة واجبة في مال التجارة فبعد
 الحول تقوم العروض فيخرج من قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم فزكاة فزكاهما قال سمرة بن
 جندب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي يعتد بالبسع (ومما)
 أي ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاف
 وهو طيبات من الثاقلان المتقدم ذكره وفي هذا أمر باخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق أهل
 العلم على ايجاب العشر في النخل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء
 أو من نهر يجري الماء فيه من غير مونة وان كان مسقيا بساقية أو نضج فقيه نصف العشر لقوله
 صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما يسقي بالنضج نصف العشر

وعنه صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا غر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة (ولا تيمموا) أى لا تقصدوا (الخبث) أى الردى (منه) أى المذكور (تتفقون) في الزكاة حال من ضمير تيمموا (ولستم يا غديبه) أى الخبيث (الآن نغمضوا) أى نساخحو (فيه) بالحبا مع الكراهة مجاز من أغضض بضره إذا غضضه وروى عن البراء قال لو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه الأعلى استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشواربه فنهوا عن ذلك هذا إذا كان المال كله أو بعضه جيداً فإن كان كل ماله ردياً فلا بأس باعطاء الردى (واعلموا أن الله غنى) عن اتفاقكم وانما يأمركم به لاتتفعا عكم (حميد) أى يجازى المحسن أفضل الجزاء على أنه لم يزل محموداً ولا يزال عذباً أو أتاب (الشيطان بعدكم الفقر) أى يخوفكم به ان تصدقتم ويقال وعدة خيراً ووعدته شراً قال تعالى في الخير عدكم الله مغامم كثيرة وقال في الشر النار وعدة الله الذين كفروا فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر وعدته والفقر وشو الحال وقلة ما في البدو أصله من كسر الفقار ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك مالك فانك اذا تصدقت افترقت (ويأمركم بالفحشاء) أى بالجل ومنع الزكاة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذا الموضع (والله يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير وفيه اشعار بأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره لما له من الاحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الانسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة في الدارين وكل نعمة منه فضل ثم أكد ذلك بقوله تعالى (والله واسع) فضله (عليم) بالمنفق وغيره وفيه اشارة الى أنه لا يضيع شيئاً وان دق وعن ابن عباس وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عين الله ملاي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايت ما أنفق منذ خلق السموات والارض فإنه لم يتقص ما في عينه قال وعرشه على الماء ويده الاخرى القسط يرفع ويخفض وعن أنسما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنفق ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا نوعي فيوعى الله عليك (يوتى الحكمة) أى العلم النافع المؤدى الى العمل وقال السدى هي النبوة وقال ابن عباس وقادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثال ذلك وقال الضحاك هي القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه وقوله تعالى (من يشاء) مفعول أقول أخر للاهتمام بالمفعول الثاني وهو الحكمة (ومن يوتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) لمصيره الى السعادة الابدية (وما يذكر) فيه ادغام التاء في الاصل في الدال أى ما يتعظ بما قص من الآيات أى ما تفكر فان المتفكر كالتذكر لما أودع الله تعالى في قلبه من العلوم بالقوة (الأولوالالباب) أى أصحاب العقول الخالصة من

شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم) أى أدبتم (من نفقة) قليلة أو كثيرة سرا
أو علانية زكاة أو صدقة تطوع (أو نذرتم من نذر) بشرط أو بغير شرط فوفيتهم به (فإن الله يعلمه)
فيجازيكم به (فإن قيل) لم وحد الضمير في يعلمه وقد تقدم شيان النفقة والنذر (أجب) بأن
العطف بأوهى لاحد الشئين تقول زيداً وعمراً كرمته ولا يجوز أن كرمته ما بل يجوز أن يراعى
الاول نحو زيداً وهند منطلق والثاني نحو زيداً وهند منطلق والآية من هذا ومن مراعاة
الاول وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها ولا يجوز أن يقال منطلقان ولهذا أول النماة قوله
تعالى ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما كما سيأتى ان شاء الله تعالى (وما للظالمين) يمنع
الزكاة والنذر أو بوضع الاتفاق في غير محل من معاضى الله تعالى (من أنصار) أى من ينصرهم
من الله ويمنعهم من عذابه فهو على طريق التوزيع والمقابلة أى لناصر الظالم قسط فسقط ما يقال
ان نفي الانصار لا يوجب نفي الناصر (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات) أى النوافل
(فنعما هي) أى فنعمة شيئاً ابدوها وقرأ ابن عامر وجزء والهمزة كسائي بفتح النون والباقون
بكسرها وقرأ قاتلون وأبو عمرو باختلاس كسرة العين والباقون بالكسرة الكاملة (وان
تحفوها) أى تسروها (وتؤتوها للفقراء) أى تعطوها لهم في السر (فهو خير لكم) أى أفضل من
ابدائها وايتاؤها للفقراء أفضل من ايتائها للاغنياء مثل صلى الله عليه وسلم هل صدقة السر أفضل
أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وفي الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال صلى الله
عليه وسلم سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى
فاجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله تعالى خالفاً فاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات
منصب ورجل فقال انى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه نعم ان كان ممن يقتدى به فالأظهار في حقه أفضل أم اصدقة الفرض فالأفضل
اظهارها كالأمانة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل وليقتدى به لئلا يهتم
ولا يجوز دفع شئ منها للاغنياء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اصدقة السر في التطوع
تفضل علانية بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانية أفضل من سرها بمائة وعشرين ضعفاً
* (تنبيه) * الصدقة تطلق على الفرض والنفل قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وقال
عليه الصلاة والسلام نفقة المرء على عياله صدقة والزكاة لا تطلق الا على الفرض (وسكفر
عنكم من سيئاتكم) أى بعضها وقيل من صلاته وقرأ ابن عامر وحفص بالياء التحية والباقون
بالنون وقرأ أنافع وجزء والهمزة كسائي بجزم الراء بالعطف على محل فهو والباقون بالرفع على
الاستئناف وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) فيه ترغيب في الاسرار لانه عالم بساطن الشئ
كظواهره لا يخفى عليه شئ منه * ولما منع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من التصديق على فقراء
المشركين كي تحملهم الحاجة ليسلموا نزل (ليس عليك هداهم) أى لا يجب عليك أن تجعل
الناس مهديين فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها وانما عليك الارشاد

والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالن والاذى وانفاق الخبيث وقوله تعالى (ولكن الله يهدي من يشاء) أى هداية التوفيق صريح بأن الهداية من الله وبشيئته وانما تخص بقوم دون قوم أما هدى البسان فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطوهم بعد نزول الآية (وماتفقوا من خير) أى من مال وقوله تعالى (فلا تنفكوا من خبر ما تبدل منكم) خبر ما تبدل منكم أى نهى لانفسكم لان ثوابه اهلها فلا تنفكوا به على غيركم ولا تؤذوهم بالتناول عليهم ولا تنفقوا الخبيث وقوله تعالى (وماتفقوا من غير وجه الله) عطف على ما قبله أى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فمالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى (وماتفقوا من خير يوفى اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن انفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجلها والجلتان تأكيد للدولى وهى و ماتفقوا من خير فلا تنفكوا أو ما يخاف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولمسك تلفارا واه البصارى (وأنتم لا تقطلون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا تفضل من الله تعالى عليكم وهذا فى صدقة التطوع أباح الله تعالى ان توضع فى أهل الاسلام وأهل الذمة وقيل جئت اسماء بنت أبى بكر فاتتها أمهات نسائها وهى مشركة فأبى أن تعطيها فنزلت وروى النسائي والحاكم ان ناسا من المسلمين كانت لهم أمهات نسائها فى اليهود ورضاع وقد كانوا يتفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن يتفقوا عليهم فنزلت وعن بعض العلماء لو كان المنفق عليه أشرف خلق الله كان لك ثواب نفقتك وأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا فى المسلمين أهل السهمان المذكورين فى سورة التوبة لكن جوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وقوله تعالى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى صدقاتكم للفقراء أو متعلق بفعل مقدرا كجعلوا ما تنفقون للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) أى حبسوا وانفسهم على الجهاد وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو ما من أربع مائة لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر كانوا يسكنون صفة المسجد يستغفرون أوقافهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية يعينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المشهورون بأصحاب الصفة فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أنماهم به اذا أمسى (لا يستطيعون ضربا) أى سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (بحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنياهم من التعفف) أى لاجل تعففهم عن السؤال وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما (تعرفهم) أيها المخاطب (بسميهم) أى بعلامتهم من التخصع والتواضع وصفرة الوجوه وربانة الحالة (لا يسألون الناس) شيئا فينفقون (الجاهل) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الخاف ومثل ذلك قول الشاعر

لا يفزع الارب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجر

أى ليس فيها أرب، فيفزع له ولها ولا ضب فينجر وليس المعنى انه ينقى الفزع عن الارب والانبجار عن الضب والالحاف الاحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق الابشى يعطاه من قوالهم لحفى من فضل لحافه أى اعطانى من فضل ما عنده وقيل انهم ان سألوا سألوا بلطف ولم يلحقوا

قال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحي الحليم المتعفف ويغض البذي السائل الخلف وقال
صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيه ذهب فبأني بحزمة حطب على ظهره فيكف بها
وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله
ما يغنيه جاء يوم القيامة ومساأته في وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خسون
درهما أو قيمتها (وما تنفقوا من خير) أي مال (فإن الله به عليم) فيجازيكم وفي هذا ترغيب
في الانفاق (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أي يعملون الاوقات
والاحوال بالصدقة لمصرهم على الخير نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تصدق
بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وفي علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه كانت عنده أربعة دراهم ليعال غيرهما فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال الاوزاعي نزلت في الذين يبطون الخيل للجهاد فانما
تعلم ليلا ونهارا سرا وعلانية روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسائي سبيل الله ايماننا
بالله وتصديقه ابوعده فان شبعه وربيه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى (قل لهم أجزهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء لليسية (فان قيل) أي
فرق بين قوله: اقلهم أجزهم وقيامهم لهم أجزهم (أجيب) بأن الموصول ثم يضمن معنى الشرط
وضمنا هنا (الذين يأكلون الربوا) أي يأخذونه وهو لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص
غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما وهو ثلاثة
أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر وربا اليد وهو البيع مع تأخير
قبضهما أو قبض أحدهما وربا النساء وهو البيع الى أجل وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع
المال كقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فنبه بالاكل على مساواه من وجوه
الاتلافات ولان نفس الربا الذي هو الزيادة لا يؤكل وانما يصرف في المأكول وقال صلى الله عليه
وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه والمحلل له فعلمنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل
* والكان بين الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد لان الصدقة عبارة عن تقبض المال بأمر الله
بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه فكانا كلمتين متضادتين ذكر عقب
الصدقة ويرسم بالواو والالف بعد الواو وانما رسم على لغة من يفهم وهو عيل الالف أي يخرج
الواو كما كتبت الصلاة والزكاة وقيل لان أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربو
بالواو الساكنة فعلاوههم الخط على لغتهم وزيدت الالف بعد هاتسهما الواو والجمع (لا يقومون)
اذ ابغثوا من تبورهم (الا) أي قياما (كما يقوم الذي يتخبطه) أي يصصره (الشيطان) وقوله
تعالى (من المس) أي الجنون متعلق بمتخبطه من جهة الجنون فيكون في موضع نصب فانه
أبو البقاء والمعنى ان كل الربا يعث يوم القيامة وهو كالمصرع تلك سيماه يعرف بها عند أهل
الموقف (فان قيل) لم نسب هذا للشيطان (أجيب) بأنه وارد على ما ترجم العرب ان الشيطان
يقبض الإنسان فيصصره والحبط الضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تظا الناس

وتضرب الارض بقواغها ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يمتدى فيه انه يحبط بحبط
عشواه وتخططه الشيطان اذا مسه به بخل او جنون لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش
(ذلك) أي الذي نزل بهم (بأنهم) أي بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) في الجواز
(فان قيل) ما الحكمة في قلب القصة ومن حق القياس أن يشبهه بمحل الخلاف بمحل الوفاق
لان حل البيع متفق عليه وهم أرادوا قياس الربا عليه فكان نظم الكلام أن يقال انما الربا مثل
البيع (أجيب) بأن هذا من عكس التشبيه مبالغة اذ به صار المشبه مشبها به وبالعكس
وشأن المشبه به أن يكون أقوى من المشبه أو بأنهم لم يكن مقصودهم أن يتسكوا بنظم القياس
بل كان غرضهم ان البيع والربا متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص
أحد المتلين بالحل والآخر بالحرمة وعلى هذا التقدير فأي ما قدم أو أخر جاز وقوله تعالى (وأحل
الله البيع وحرم الربوا) انكار لردو بينهم وإبطال القياس لمعارضته النص * (تنبيه) * أظهر
قولي الشافعي أن هذه الآية عامة في كل بيع الاما خص بالسنة وانه صلى عليه وسلم نهى
عن يوع والثاني انها مجمله والسنة مبينة لها وتظهر فائدة الخلاف في الاستدلال به في مسائل
الخلاف فعلى الاول يستدل به وعلى الثاني لا يستدل (فن جاءه) أي بلغه (موعظة) أي وعظ
(من ربه) وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) أي فاتبع النهي وامتنع من أكله (فله ما سلف)
أي ما مضى قبل النهي فلا يسترد منه ما أخذ من الربا وقيل ما مضى من ذنبه قبل النهي
مغفوره (وأمره الى الله) بعد النهي ان شاء عصمه حتى ثبت على الانتهاء وان شاء أخذ له
حتى يعود وقيل أمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له من أمر نفسه شيء
(ومن عاد) الى تحليل الربا مشبهه بالبيع في الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
لانهم ككفر وايد ذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن أكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة
والمصور وأنه صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا أهوئنا عند الله عز وجل كالذي ينسج
أمه (يحق الله الربوا) أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر
فالى قل (ويربى الصدقات) أي يضاعف ثوابها ويشارك فيها أخرجت منه روى الشيخان انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل الصدقة ويربها كإربي أحدكم فلو روى الامام أحمد
ما نقص مال من صدقة (والله لا يحب كل كفار) أي مصر على تحليل المحرمات كمن يحلل الربا
(أنهم) منهم من في ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله وبرسوله وبما جاءهم عنه (وعملوا الصالحات)
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وانما عطفها على ما يعمرها الشرفهما (لهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم) من آت (ولهم يحزنون) على فائت وتقدم مثل هذه الآية ولكن جرت عادة
الله سبحانه وتعالى في القرآن مهما ذكر وعيد اذ كرعه وعدا فلما بالغ هنا في وعيد الربا تبعه بهذا
الوعد (فان قيل) ان الانسان اذا بلغ عارفا بالله وقبل وجوب الصلاة والزكاة عليه مات فهو من
أهل الثواب بالاتفاق فدل على ان استحقاق الثواب لا يتوقف على حصول العمل (أجيب)
بأنه تعالى انما ذكر هذه الخصال لالاجل ان استحقاق الثواب مشروط بهذه ابل لاجل ان لكل

منهم ما أثر في جلب الثواب كما قال تعالى في ضد هذا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ثم قال تعالى
ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ومعلوم أن من ادعى أن مع الله الها آخر لا يحتاج في استحقاقه العذاب
إلى عمل آخر وإنما جمع الله تعالى الزنا وقتل النفس مع دعاء غير الله تعالى الها البيان أن كل
واحد من هذه الخصال يوجب العقوبة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واذروا ما بقى من الربوا)
أي اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا الذي أخذتم بعضه قبل التحريم (آن كنتم مؤمنين)
أي يقولونكم وأن ان بعنى إذا كان دليل الايمان امتثال ما أمرتم به روى انه انزلت لمطالب بعض
الصحابه بعد النهى بربا كان له قبل (فان لم تفعلوا) أي تذرروا ما بقى من الربا (فانذروا) أي اعلوا من
أذن بالشئ اذ اعل به أي فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) انكم (فان قيل) هذا حكمهم
ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا (أجيب) بأن مقتضى ذلك انهم يقاتلون ان لم يرجعوا قال سعيد
ابن جبيرة عن ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب
الله تعالى النار وحرب رسوله صلى الله عليه وسلم السيف وقر أشعبة وجزءه فاذنوا بفتح الهمزة
ومدها وكسر الذا ل أي فأعلموا به غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طريق
العلم والباقون بسكون الهمزة وفتح الذا ل (وأن تبته) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه
(فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال (فان قيل)
دلا قال تعالى بحرب الله ورسوله (أجيب) بأن هذا أبلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم
من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * ولما نزلت هذه الآية قال المزابون بل تتوب الى الله
فانه لا يثبت لنا بحرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكلمن عليه الدين العسرة وقال لمن
لهم الدين اخرجونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى (وأن كان ذو عسرة
فمنظرة) له أي عليكم تأخير (الى ميسرة) أي وقت يسره * (تنبيه) * في كان هذه وجهان
أظهرهما ما انها ناتجة بمعنى حدث ووجد أي وان حدث ذو عسرة فتكتفى بفاعلها كسائر
الافعال والثاني انها ناقصة وخبرها محذوف قال أبو البقاء تقديره وان كان ذو عسرة لكم عليه
حق أو نحو ذلك وقدره بعضهم وان كان ذو عسرة غريباً وقرأنا نضع بعض البسبب والباقون
بفتحها (وأن تصدقوا) أي بالابرام وقرأ عاصم بخفيف الصاد والباقون بالتشديد على ادغام
التمام في الاصل والتخفيف على حذفها (خير لكم) أي أكثر ثواباً من الانتظار وهذا مما فضل
المدبوب فيه الواجب فان الابرام مندوب اليه والانتظار واجب فيهرم حبس المعسر وهل القول
قوله في اعساره أو لا بد من بينة تشهد بذلك ينظر ان كان الدين عن عوض كالبيع والقرض فلا
بدن بينة وان كان عن غير عوض كالضمان والاتلاف والصدقات فالقول قول المعسر بينة
وعلى الغريم البينة الا أن يعرف له مال فلا بد من بينة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على
الانتظار فافعلوا وقيل المراد بالتصدق الانتظار نفسه وردها كما قال الامام بأن الانتظار قد علم
معاقبل فلا بد من حله على فائدة جديدة قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة وروى من أنظره عسراً أو وضع عنه أثباته الله من كرب يوم القيامة

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة
 نلقى روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط قال لا قالوا نذكر قال الا انى رجل
 كنت اذان الناس فكنت امر قتياني بأن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله
 تعالى تجاوزوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم
 لا ظل الاظله (واتقوا يوم ترجعون) أى تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيامة أى فتأهبوا
 لمصيركم اليه وقرأ أبو عمرو وبفتح التاء وكسر الجيم والباءقون بضم التاء وفتح الجيم (ثم توفى) فيه
 (كل نفس) جزاء (ما كسبت) أى عملت من خيرا أو شرا (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة
 أو زيادة سيئة * (فائدة) * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما هذه آخر آية نزلت على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل وضعها على رأس مائتين وخمسين آية من سورة البقرة وعاش
 بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال
 سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليتين خلتما من شهر ربيع الاول وقيل ثلاث ساعات
 وقال الشعبي عن ابن عباس آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الر باولها
 منع الله من الربا اذن في السلم والقرض بما يعيهما فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتم بدين)
 كنتم وقرض (الى أجل مسمى) أى معلوم ولذا قال بعض العلماء لالة ولا منفعة يتوصل اليها
 بالطريق الحرام الا والله سبحانه وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا
 مشروعا (فان قيل) المدانة مفاعلة وحقيقة فما أن يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع
 الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق (أجيب) بأن المراد من تدانتم تعاملتم والتقدير تعاملتم بما
 فيه دين (فان قيل) هلا كتنى بقوله اذا تدانتم الى أجل وأى حاجة الى ذكر الدين (أجيب) بأنه
 ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله (فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن
 النظم بذلك الحسن وثلاثتهم من الدين المجازاة ولانه أبين لتوزيع الدين الى موجب وحال
 وفائدة قوله مسمى لعلم أن من حق الاجل أن يكون معلوما كالوقت بالسنة والاشهر والايام
 ولو قال الى الحصاد أو المدراس أو رجوع الحاج لم يجوز للجهل بوقت الاجل وانما أمر بكتابة
 الدين لان ذلك أوثق وأمن من النسيان وأبعد من الجحود (فان قيل) ان كلمة اذا لاتقتضي العموم
 والمراد من الآية العموم لان المعنى كلما تدانتم بدين فاكتبوه فلم يدل عن كلما وقال اذا
 تدانتم (أجيب) بأن كلمة اذا وان كانت لاتقتضي العموم الا أنها لاتمتنع من العموم وههنا
 قام الدليل على أن المراد هو العموم واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هى واجبة
 والا كثرون على أنه أمر استحباب فان ترك فلا بأس بك قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
 في الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين والشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله تعالى فان
 آمن بعضكم بعضا فليؤدوا الذين آمنن أمانته ثم بين كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب) أى كتاب
 الدين (ينسبكم كاتب بالعدل) أى بالحق في كتابته لا يري في المال أو الاجل ولا ينقص وهو
 في الحقيقة أمر للمعتدلين باختيار كاتب فقيه دين حتى يحكى مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع

مع أن ظاهره أمر للكاتب (ولايأب) أي لا يمتنع (كاتب) من (أن يكتب) إذا دعى إليها
(كامله) أي فضله (الله) بالكاتب فلا يخجل بها بل ينفع الناس بها كما نفعه الله بتعليمها كقوله
تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك والكاف متعلقة بآب (فليكتب) تلك الكتابة المعلقة أمر بها
بعد النهي عن الإبقاء أكيدا (وإملا الذي عليه الحق) أي ولكن العمل على الكتاب من عليه
الحق لأنه المقر المشهود عليه والاملا والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما
القرآن فالاملا مل هو هنا وهو لغة الجواز والاملاء قوله تعالى فهي تلي عليه بكرة وأصد ملا وهي
الغنة تميم (وامتق الله ربه) أي كل من المملي والكاتب (ولا يخش) أي لا ينقص (منه) أي من
الحق أو مما ألقى عليه (شأنان كان الذي عليه الحق شغيبا) أي مبذرا (أو ضعيفا) أي صغيرا
أو كبير الختل عقله لكبره (أو لا يستطيع أن يعمل هو) لخسر أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليعمل
وليه) أي متولى أمره من والد أو وصى أو قيم ووكيل ومترجم (بالعدل) وفي هذا دليل على جريان
النيابة في الإقرار قال البيضاوي وله من مخصوص بمانع طاه القيم أو الوكيل أي دون المترجم
ودونهما فيما لم يعاطاه (واستشهدوا) أي وأشهدوا (شهادين) أي شاهدين (من رجالكم)
أي البالغين الأحرار المسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار وأجاز ابن سيرين شهادة العبد
وأبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فإن لم يكونا) أي الشاهدان (رجلين فرجل) أي
لشاهد أو فالمستشهد رجل (وأمرأتان) وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال
في الأموال حتى تثبت برجل واحد وأمرأتين واختلغا في غير الأموال فذهبت جماعة إلى أنه تجوز
شهادتهما مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة
إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبا
كالولادة والرضاع والنيوابة والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل واحد وأمرأتين وشهادة أربع
نسوة وانفردوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات (من ترصون من الشهداء) أي
من كان مرضيا لدينه وأمانته * (تنبيه) * شروط قبول الشهادة سبعة الإسلام والحرية
والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة واتقاء التهمة حتى فقد شرط منها لم تنفع تلك الشهادة وإنما
اشتراط التعدد في النساء لأجل (أن تضل) أي تنسى (أحدهما) أي الشهادة لنقص عقلهن
وضبطهن (فتذكر) قرأ ابن كثير وأبو عمر وبسكون الذال وتحفيف الكاف والباقون يفتح
الذال وتشديد الكاف وقرأ حمزة برفع الراء والباقون بالنصب (أحدهما) أي الذكرة
(الأخرى) أي النامية قال الزنجشري ومن يدع التفسير فقد كره أي فجعل أحدهما الأخرى
ذكر أي انتهى إذا اجتمعا كالتبعية الذكر وقرأ حمزة وحده ان فصل أحدهما على الشرط
تذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فينقم الله منه وجهه إلا ذكر يحمل العلة أي أنه ذكر
ان ضلت ودخلت على الضلال لأن الضلال سبب الإذكار وهم ينزلون كل واحد من السبب
والمسبب منزلة الآخر (ولايأب) أي ولا يمتنع (الشهادة إذا ما) أي إذا (دعوا) لإدعاء الشهادة
والتحمل فإمر به وسعوا شهداء على هذا الثاني تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع (ولأنسأموا)

أي تلو من (أن تكتبوه) أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تكسبوا من أن
 تكتبوه فكفي عن السامعة التي تكون بعد الشروع للكثرة بالكسل الذي يكون استداء
 لكونهم من لوازمه لأن الكسل صفة المفاق قال تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
 وقال صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسبت (صغيراً) كان ذلك الحق (أو كبيراً) قليلاً
 أو كثيراً وقوله تعالى (إلى أجله) أي وقت حلوله الذي أقربه المديون حال من الهاء في تكتبوه
 (ذلكم) أي الكتب (أقسط) أي أعدل (عند الله وأقوم للشهادة) أي أعون على أقامتها لأنه
 يذكرها * (نبيه) * يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام
 وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم أو هما مبنيان
 من أقسط وأقام لأن قسط وقام بمعنى جار والمعنى هنا على العدل والفعل منه أقسط
 فليزم أن يكون أقسط في الآية من المزيد المقصد الزيادة في المقسط قال تعالى إن الله يحب
 المقسطين لأن المجرد لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر قال تعالى وأما القاسطون
 فكانوا لجهنم حطباً وكذا أقوم معناه أشد إقامة لأقياماً وبنائهما من ذلك على غير قياس
 والقياس أن يكون البناء من المجرد لأن المزيد ويجوز أن يكون بنائهما من قاسط بمعنى
 ذي قسط أي عدل وبمعنى قويم أي ذي استقامة على طريقة النسب كلاين وناصر فيكون
 أفعل لأفعل له وانما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لوجوده (وإدنى) أي وأقرب إلى
 (أن لا ترتابوا) أي تشكوا في قدر الحق وجنسسه وانهم ودوا لاجل ونحو ذلك (الآن تكون
 تجارة حاضرة) وهي تم المبايعة بين أوعين (تدبرونهم أي تبيعكم) أي تتعاطونهم أي يبد (فليس
 عليكم جناح) أي لا بأس إذا تبايعتم يداييد (أن لا تكتبوها) فهو استثناء من الأمر بالكتابة
 لبعده منته ذن التنارع والفسيان وقرأ عاصم بنصب التاء فيه ما على أن تجارة هي الخبر
 والاسم مضمرة تقديره الآن تكون التجارة تجارة حاضرة والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة
 هي الاسم والخبر تدبرونهم وأعلى كان الناقة (وأشهدوا) أي ندبوا (إذا تبايعتم) عليه سواء كان
 ناجزاً أو كالمأفاهة أدفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطاً في جميع المبتاعات
 ويجوز أن يراد بهذا التبايع الذي هو التجارة الحاضرة على أن الشاهد كاف فيه دون الكتابة
 وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) أصله يضارر أدغمت إحدى الرأين في الأخرى ونصبت
 لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلافوا عنهم من قال أصله يضارر بكسر الراء الأولى وجعل
 الفعل للكاتب والشهيد ومعناه نهى عن ترك الإجابة وعن التحريف والتغيير في الكتابة
 والشهادة ومنهم من قال أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشاهد
 منعوين ومعناه النهي عن الضرار بهما مثل أن يجعلا عن مهمم ويكلفا الخروج عما أحدهما ولا
 يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنذ تجبته حيث كان والمنهى حينئذ المتبايعان فالآية شحذة
 للبناء للفاعل وللبناء للمفعول تحمل عليهم معاً وأعلى كل منهما والأولى أولى (وان تفعلوا)
 ما نهىتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الأمان (واتقوا الله)

في مخالفة أمره ومنه (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شيء عليم) كترلفظ
 الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الأولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم
 الله لشأنه عز وجل ولأنه أدخل في التعظيم من الضمير وهذا آخر آية الدين وقد حث سبحانه وتعالى
 فيها على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد قال تعالى ولا تنفوا السهائم
 أموالكم الآية قال الفقهاء رحمه الله تعالى ويدل على ذلك أن ألفاظ القرآن جارية في الأكثر
 على الاختصاص وفي هذه الآية بسط شديد لآثره أنه قال إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
 ثم قال ثانيا وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال ثالثا ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكان هذا
 كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل لأن العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا فليكتب
 وهذا إعادة للأمر الأول ثم قال خامسا وليعلم الذي عليه الحق وفي قوله تعالى وليكتب بينكم
 كاتب بالعدل كناية عن قوله وليعلم الذي عليه الحق لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يلي عليه
 ثم قال سادسا وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعا ولا يجنس منه شيئا وهذا كالمستقادمين
 قوله وليتق الله ربه ثم قال ثامنا ولا تأسأوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله وهو أيضا
 تأكيد لما مضى ثم قال تاسعا ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فذكر هذه
 الفوائد الثمانية لتلك الكيدات السابقة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال
 الحلال وصونه عن الهلاك ليتسكن الإنسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والاعراض
 عن مباحط الله تعالى من الربا وغيره والمواظبة على تقوى الله (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين
 وتداينتم فعلي بمعنى في الثمانية وهم إن المعنى على نية سفر (ولم تجدوا كاتباً فربهن) أي فعليكن
 ربهن (مقبوضة) تستوثقون بها وينت السبعة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب
 فقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم دوعه في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير
 أخذها لاهله فالتقيدهما ذكر لأن التوثيق به أشد وعن مجاهد والضحالك أنه ما لم يجوزاه إلا
 في السفر أخذا بظاهر الآية وأفاد قوله تعالى مقبوضة اشتراط القبض أي في لزوم الرهن
 لا في صحته والاكتفاء به من المرتين ووكيله ولا يشترط القبض عند مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 ضم الراء والهاء ولا أنف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها وكلاهما جمع
 رهن بمعنى مرهون (فإن آمن بعضكم) أي الدائن (بعضاً) أي المديون واستغنى بأمانته
 عن الارتهان (فليؤد الذي آثمن) أي المدين (أمانته) أي دينه سمى أمانة لأنه لائمانه عليه بترك
 الارتهان به وقرأ ورش فليؤد أي الهمزة واو واو إذا وصل السوسى وورش الذي بائع من أربلا
 الهمزة ياء وفي الابتداء همزة مضمومة للجميع (وليتق الله ربه) في الخيانة وإنكار الحق وفيه
 مبالغات من حيث الاتيان بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكر الله والرب وذكره
 عقب الأمر بأداء الدين (ولا تسكروا الشهادة) أي الشهود إذا دعيت لأفاسها والمديونون وعلى
 هذا فشهداتهم أقرارهم على أنفسهم (ومن يكتفها فإنه آثم قلبه) فإن قيل خلاصه على قوله
 فإنه آثم ومما قد ذكره القلب والجله هي الآية لا القلب وحده (أجيب) بأن كتمان الشهادة

هو أن يضمها ولا يتكلم بها فلما كان أي الكتمان انما مقترفا أي مختلطا بالقلب أشد إليه لانه محل
 كتمان الشهادة واسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا ترى أنك تقول اذا أردت
 التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الاعضاء
 والمضغة التي ان صلت صلب الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
 في أصل نفسه وملاك أشرف مكان فيه وللا يظن أن كتمان الشهادة من الاثم المتعلقة باللسان
 فقط وليعلم ان القلب أصل متعلقة ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب
 أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالاصول التي تشعب منها ألا ترى ان أصل الحسنات
 والسيئات الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثام
 القلوب فقد شهد له بانه من معاطم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أكبر الكبائر
 الاشرار بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الخنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة * (تنبيه) *
 آثم خبران وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه بآثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء
 وآثم خبر مقدم والجملة خبران وقوله تعالى (والله بما تعملون عليم) تمديد لانه لا يخفى عليه منه
 شيء (لله مافي السموات ومافي الارض) خلاقا وملاكا قال الجلال السيوطي وعبيد اوله لذكره
 بعد ملكا لئلا يتوهم ان مالم لا يعقل (وان تدوا) أي تظهروا (مافي أنفسكم) من سوء
 والعزم عليه (أو تخفوه) أي تسروه (يحاسبكم) أي يجزكم (به الله) يوم القيامة والالية حجة
 على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرة (ويعذب من يشاء)
 تعذيبه وهذا صريح في نفي وجوبه وقرأ ابن عامر وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع الباء من
 يعذب على الاس متناف والباقون يجز مهمما عطفاء على جواب الشرط وادغم الراء المجزومة في
 اللام السوسى واختلف عن الدوري وقول الزمخشري ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ
 فاحشا وراويه عن أبي عمرو يعني السوسى مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب اللحن الى أعلم
 الناس بالعربية ما يؤذن بجعله عظيما والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة
 والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الأهل النحوي ودولانه مبني
 على القول بأن الراء انما تدغم في الراء لتكرره القاءت بادغامها في اللام ورد بأن ذلك قراءة أبي
 عمرو وهي متواترة مع أن القول بامتناع ادغام الراء في اللام انما هو مذهب البصريين وأما
 الكوفيون بل وبعض البصريين كابن عمرو فقاتلون بالجواز كما نقله عنهم أبو حيان ونقل
 أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر صحة ادغام صارلى وصارلك عن العرب ومن حفظ حجة على من لم
 يحفظ ووجه الجعبري ادغام الراء في اللام بتقارب مخرجيهما على رأى سيبويه وتشاركهما على
 رأى القراء وتجانسهما في الجهر والانفتاح والاستفال (وانه على كل شيء قدير) فيقدر على
 جزائكم ومحاسبتكم وقوله تعالى (آمن) أي صدق (الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم
 (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن فيه شهادة وتنصيب من الله تعالى على صحة ايمانه
 والاعتماد به وانه جازم في أمره غير شاك فيه وقوله تعالى (والمؤمنون) عطف على الرسول

(كل) من الرسول والمؤمنين واختلفت في تنوين كل فقبل تنوين عوض من المضاف اليه وقبل تنوين التمكن قال الشيخ خالد الوقاد وهو الاصح (آمن بالله وملائكته) وقرأ (وكتبه) حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء وأفبعدها على التوحيد على أن المراد به الجنس والباقون بضم الكاف والتاء على الجمع (ورسله) يقولون (لأنفرك بين أحد) أي جمع (من رسله) فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى فأحد اسم لمن يعلم أن يخاطب يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث فثبت أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه ويجوز أن يقدر القول مفردا باعتبار كل وانما احتيج الى التقدير لاجل قوله تعالى لانفرك ولو قال تعالى لا يفرقون لم يحتج الى ذلك (وقالوا سمعنا) أي ما أمرنا به سماع قبول (وأطعنا) أمرنا نسألك (غفرانك ربنا واليك المصير) أي المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال فاشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعوا على الركب وقالوا أي رسول الله كفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكاين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم وذلت أنفسهم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى بقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي ما تسعه قدرتها وان شق فضلا ورجة (لها ما كسبت) من الخير أي ثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر أي وزره فلا يتفقع بطاعتها غيرها ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكنسبه مما وبسوت به نفسه كما يفعله تقديم الخبر وهو لها وعليها من الحصر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسهم ما لم تتكلم أو تعمل به (فان قيل) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكساب (أجيب) بأن في الاكساب اعتمالا أي اضطرابا في العمل مبالغة واجتهادا فلما كان الشر مما تشتهيه النفوس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت أشد حبا واجتهادا في تحصيله وأعملت فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعمال قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) أي لا تعاقبنا (ان نسينا أو أخطأنا) أي بما أتى بنا الى النسيان والخطا من تقريظ وقلة مبالاة لان المؤاخذة انما هي بالمقدور والنسيان والخطا ليس بمقدورين ويجوز أن يراد نفس النسيان والخطا أي لا تؤاخذنا بما كما أخذت به من قبلنا قال الكلبي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه

(فان قيل) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فامعنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (أجيب) بأن المراد
 بذلك كرههما مامهما مسببان عنهما من التفریط والاعفان ألا ترى الى قوله وما أنسانيه الا الشيطان
 والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفریط الذى منه
 النسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامتة
 وذكره بلفظ الدعاء على معنى التحدث بنعمة الله فيه قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث
 (ربنا ولا تحمل علينا صرا) أى لا تكفنا أمرنا بثقل علينا حمله (كما حمله على الدين من قبلنا)
 أى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة واخراج ربح المال فى الزكاة وقطع موضع النجاسة
 من الجلود والثوب وغير ذلك قاله الكشاف قال البيضاوى وخمسين صلاة فى اليوم واليلة
 ونسبها غيره من المفسرين الى اليهود ولا تنافى بينهما اذ المراد من بنى اسرائيل هم اليهود منهم فلا
 يرد على هذا ما قيل ان بنى اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون صلاة بل ولا خمس صلوات مع أن من
 حفظ حجة على من لم يحفظ (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أى قوة (لنا به) من البلاء والعقوبة ومن
 التكليف التى لا تنفى به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والامساك
 التخاص منه والتشديد ههنا لتعدي الفعل الى مفعول ثانى لا للمبالغة (واعف عنا) أى ارحم
 ذنوبنا (واغفر لنا) أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة بها (وارحما) وتعطف بها
 وتفضل علينا فاننا لاثال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك (أنت ولانا) أى سيدنا
 ومولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) بأقامة الحجج والغلبة فى قتالهم فان من حق
 المولى أن ينصر مواليه على الأعداء والمراد بالكافرين عامة الكفر روى سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس فى قوله تعالى غفرنا لك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا
 ان نسينا أو أخطانا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا صرا قال لا أجل عليكم ولا تحملنا
 ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا الخ قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
 ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين وروى مسلم وغيره
 انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن عبد الله انه قال
 لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدة المشهى وهى فى السماء السادسة اليها
 ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
 اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فرأى من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
 أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا
 المقدمات وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى آيتين أولهما آمن الرسول من
 كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألف سنة من قرأها بعد العشاء الاخرة
 أجزأناه عن قيام الليل والكتابة باليد تمثيل وتصوير لاثباتهما وتقديرهما بألف سنة تصوير
 لقدمهما لأن مثل هذا يقال لطول الزمان للتأكيد وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أوتيت
 خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤت من نبي قبلى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه أي عن قيام الليل أو عن كل ما يسوء وهذا
 بركة قول من استنكر أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
 كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فقاموا بها فان تعلمها
 بركة وتركتها حسرة وإن تستعليها البطله قيل وما البطله قال السورة أي انهم مع حذقهم
 لا يوفقون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها أو سموها بطله لأنهم ما كهم في الباطل
 ولبطالتهم عن أمر الدين والفلسطاط الخمية أو المدينة الجامعة سميت به السورة لاشتمالها
 على معظم أصول الدين وفروعه والارشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة
 إعاد وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه رأى الجعرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا هو
 في الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف والمعتمنة
 لجادلة وزوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات
 الارض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فلا
 ربحا لشيطان انتهى

(سورة آل عمران مدنية)

باتفاق وآياتها مائتان أو الاربعة وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة
 وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

سم الله الذي له صفات الكمال فاستحق التفرد بالالوهية (الرحمن) الذي سرت رحمة خلال
 جود فشملت كل موجود بالكرام والجلود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف اليه وقوله تعالى
 تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة (الله لا اله الا هو) لم يقطع أحد من القراء السبعة
 هذه الهمزة التي في الله في الوصل وإذا وقف على المبدأ بالهمزة ولو لكل من القراء مد على الميم
 سل في الوصل وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين كما هو مذهب سيبويه وجهود النحاة (فان
 أصل التقاء الساكنين الكسر فلم عدل عنه (أجيب) بأنهم لو كسروا لكان ذلك منقضا إلى
 قلام الجلالة والمقصود تفخيمهم بالتعظيم فاوثر الفتح لذلك كما حركوها في نحو من الله وأيضا
 سل الميم ياء وهي أخت الكسرة وقبل هذه الياء كسرة فلو كسروا الميم الأخيرة لالتقاء
 الساكنين لتوالي ثلاث متجانسات فحركوها بالفتح وأما سقوط الهمزة فواضح وبسقوطها التقي
 الساكنان وقيل ان هذه الفتحة ليست لالتقاء الساكنين بل هي حركة نقل أي نقلت حركة الهمزة
 قبل لام التعريف على الميم الساكنة فنحو قد افلح في قراءة ورش وهذا مذهب القراء وجرى
 من نحو شري وأطال الكلام فيه ورد أبو حيان بما يطول ذكره وقوله تعالى الله مبتدئ وما
 خبره وقوله تعالى (الحى القيوم) نعت له والحى هو الفعال الدال والقيوم هو القائم بذاته
 ثم بسند يبرخلقه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة
 (الله الا هو الحى القيوم) وفي آل عمران (الله لا اله الا هو الحى القيوم) وفي طه (عنت الوجوه

قوله فلا يقر
 كذا في الذنوب
 هي بأيدي
 الجمل ان
 وجل كتب
 ان يخلق الخ
 عام فأنزل
 الثلاث
 ختم بين
 البقرة من
 في نفسه لم
 الشيطان
 ثلاث ليال

للبحر القيوم ونقل البندنجي عن أكثر العلماء ان الاسم الاعظم هو الله قال النكبي والربيع
 ابن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية في وفد نصارى نجران وكانوا سبينا بكافد مواء على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفي الأربعة عشر ثلاثة
 نفر يؤل اليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه
 واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم واسمه الابهيم وأبو حارثة بن علقمة خبرهم دخلوا
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الخبثات والحرب بن كعب
 يقول من وراءهم مارا ينادون أمثالهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم يصلوا الى المشرق فكلم السيد
 والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلمنا قبلك قال كذبتم عني
 من الاسلام ثلاثة أشياء دعاؤكم الله ولدا وعبادتكما للصليب وأكلتكم الخنزير قالوا ان لم يكن
 عيسى ولدا لله بن أبوه وخاصة هو جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألسنتم تعلمون
 انه لا يكون ولدا الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألسنتم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأنى
 عليه القناء قالوا بلى قال ألسنتم تعلمون أن ربنا قديم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل
 علمت عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألسنتم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
 قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم
 كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألسنتم تعلمون أن عيسى جلسته أمته كما تحمل
 المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
 قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى بضع
 وعشرين آية منها (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن متلبسا (بالحق) أي بالصدق في اخباره
 أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال أي محققا (مصداقا لما بين يديه) أي قبله من
 الكتب (فان قيل) كيف يسمى ما مضى بأنه بين يديه (أجيب) بأن تلك الاخبار لغاية ظهورها
 وكونها موجودة سماها بهذا الاسم (وأُتزل التوراة) بجله على موسى عليه الصلاة والسلام
 (والانجيل) بجله على عيسى عليه الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل تنزيل القرآن واختلف
 الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والنصر يف أول لا يدخلهما ما لكونهما أهميين
 فلا يناسب كونهما مشتقين ورجح هذا الزمخشري وقال قالوا الان هذين اللفظين اسمان غير انيان
 لهذين الكتابين الشريعتين وقوله تعالى (هدى) حال بمعنى هادين من الضلالة ولم يثنه لانه مضدر
 للناس) أي على العموم ان قلنا متعبدون بشرع من قبلنا وهو رأي والا فالمراد بالناس قومهما
 وانما عبر في التوراة والانجيل بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضى للتكرير لانهم أنزلوا دفعة واحدة
 بخلافه وقيل ان القرآن أنزل من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا بجله واحدة ومن سماء الدنيا
 مجمعا في ثلاث وعشرين سنة فثبت عبر فيه بأنزل أريد الاول أو ينزل أريد الثاني (فان قيل)
 برذا الاول بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب بقوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك

وبقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى وبالحق أنزلناه ويرد الثاني بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (أجيب) بأن القول بذلك جرى على الغالب (وأنزل الفرقان) أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد الكتب الثلاثة ليعلم ما عداها فكانه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل ولم يجمع لانه مصدر بمعنى الفرق كالغفران والكفران وقيل القرآن وكرره بجماله ونعت له مدحا وتعظيما واظهار الفضله من حيث انه يشار كهما في كونه حيا منزلا ويميز بأنه معجز يفرق به بين الحق والباطل وقيل أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال تعالى وآتينادود زبوراقال الزمخشري وهو ظاهر ولما قرر سبحانه جميع ما يتعلق بمعرفة الله أتبع ذلك بالوعيد زجر المعرضين عن هذه الدلائل الباهرة فقال (أن الذين كفروا بآيات الله) من القرآن وغيره (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) أي غالب على أمره فلا ينعشه شيء من ان تجاوز عهده ووعيده (ذوات مقام) من عصاه والنعمة عقوبة الجرم أي يعاقبه عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها أحد (إن الله لا يخفى عليه شيء) كائن (في الارض ولا في السماء) لعلمه بما يقع في العالم من كل شيء (فان قيل) لم خصهما بالذكور مع انه عالم بجميع الاشياء (أجيب) بأنه تعالى انما خصهما به لان البصر لا يتجاوزهما (فان قيل) لم قدم الارض على السماء (أجيب) بأنها انما قدمت ترقيا من الأدنى الى الأعلى وهذه الآية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) أي من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وحسن وقبح وتعام ونقص وغير ذلك كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه تعالى عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفدخبران من النصاري حيث قالوا عيسى ولد الله واستدلوا على ذلك بأنور منها العلم فانه كان يخبر عن الغيوب ويقول لهذا انك آتيت في دارك كذا ويقول لذاك انك صنعت في دارك كذا ومنها القدرة وهي أن عيسى كان يحيى الموتى ويرى الالكه والابرص ويخلق من الطين كهية الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا فكانه تعالى يقول كيف يكون ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أب المصور ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر النصاري عن قولهم التثليث فقال (لا اله الا هو العزيز) في ملكه وفيه اشارة الى كمال القدرة وقد قدرته تعالى أكمل من قدرة عيسى على الامانة والاحياء (الحكيم) في صنعه وفيه اشارة الى كمال العلم فعلمه أكمل من علم عيسى بالغيوب وأن علم عيسى ببعض الصور وقد قدرته على بعض الصور لا يدل على كونه الهابل على أن الله أكرمه بذلك اظهار المعجزه وعجزه عن الاحياء في بعض الصور يوجب قطع ما علمه الالهية لان اله هو الذي يكون قادرا على كل الممكنات عالم بجميع الجزئيات والكلبيات قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك أو قال يبعث إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد وقال وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق

عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما
يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وروى أنه
صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النفقة بعد ما تستقر في الرحم أربعين أو خمسة
وأربعين ليلة فيقول يا رب شئ أم سعيد فيك ثبنا فيقول أي رب ذكر أو أنثى فيه كتبان
فيكتب عمله وأجله ووزقه ثم تطوى الصحف فلا يراذ فيها ولا ينقص (هو الذي أنزل عليك)
يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت عن الاحتمال
والاشتباه فهي واضحة الدلالة (هن أم الكتاب) أي أصله المعتمد عليه في الأحكام ويعمل
المتشابهات عليها وترد إليها ولم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها
كـ الآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل كل آية منهن أم الكتاب كما قال تعالى وجعلنا
ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية وقوله تعالى (وآخر) نعت لمحدوف تقديره
وآيات آخر (متشابهات) أي محتملات لا يتضح مقصودها لاجال أو مخالفة ظاهرا لا بالقصص
والنظر (فان قيل) لم جعل بعضه متشابهها ولا كان كله محكما (أجيب) بأن في المتشابهة
من الانسلا حكمة عظيمة وهي التمييز الثابت على الحق والمزلزل فيه وليظهر فيها فضل
العلماء ويراد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتخصيل العلوم المتوقف عليها استنباط
المراد بها فإني ألواها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
الدرجات العلى عند الله (فان قيل) لم فرق ههنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن
محكما في موضع آخر فقال الركاب أحكمت آياته وجعل كـ متشابهات في موضع آخر
فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهات (أجيب) بأنه حيث جعل الكل محكما فعنه أن آياته
حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وحيث جعل الكل متشابهات فعنه أن آياته يشبهه
بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ * (تنبيه) * أخر جمع أخرى وانما لم يصرف
لأنه وصف معدول عن الأخريات ففيه الوصف والعدل وعما علمان فيمعان الصرف
(فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق كالمبتدعة (فيقتبعون ما تشابه منه) أي
فيتملقون بظواهره أو يتأويل باطل (ابتغاء الفتنة) أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن
يؤولوه على ما يشتهونه (وما يعلم تأويله) أي الذي يجب أن يحمله عليه (الآن الله والراحمون
في العلم) أي الذين يتوابعون ما فيه وسئل مالك بن أنس عن الراسخين في العلم قال العالم
العامر بعلم المتبع وقال غيره هو من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى بينه
وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين
نفسه * (تنبيه) * اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله والراحمون
واوالعطف أي أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراحمون في العلم وهم مع علمهم

(يقولون آمنابه) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالاً مغناه
والراسخون في العلم قائلين آمنابه وذهب الاكثرون الى أن الواو في قوله والراسخون واو
الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وغيرهما
وقالوا لا يعلم تأويل التشابه الا الله ويجوز أن يكون لا قرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يعلم
عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وعند الزبانية ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق ممتعون في التشابه بالايان
به وفي المحكم بالايان به والعمل وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في
العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنابه قال في الكشف والاول هو الواجهة اه ووجه شيخنا
القاضي ذكره بقوله لان التشابه على الثاني يصير الخطاب به كخطاب بالمهمات اه ومع هذا
فالوجه هو الثاني لانه أشبه بظاهر الآية ويدل له وجود أحد هاتين ذمتي طلب التشابه بقوله
تعالى فآما الذين في قلوبهم زيغ الآية وثانيها انه مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمننا
به وقال في أول البقرة فآما الذين آمنوا فاعلمون أنه الحق من ربهم فهو لاء الراسخون لو كانوا
عالين بتأويل التشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيئاً على
سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به وثالثها لو كان قوله والراسخون معطوفاً لصار قوله يقولون
آمنابه ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة وكان الاولى أن يقال وهم يقولون أو يقال ويقولون
(فان قيل) في تصححه وجهان الاول أن يقولون خبر مبتدأ والتقدير هؤلاء العالمون بالتأويل
يقولون آمننا الثاني أن يكون يقولون حالاً من الراسخون (أجيب) بأن الاول مدفوع
بأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه الى اضممار أولى والثاني أن ذال الحال هو الذي تقدم
ذكره وهم الراسخون فوجب أن يكون قوله آمنابه حالاً من الراسخون لامن الله وذلك ترك للظاهر
ورابعها قوله تعالى (كل) أي من المحكم والتشابه (من عند ربنا) معناه أنهم آمنوا بما عرفوا
تفصيله وبما يعرفون تفصيله ولو كانوا عالين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة
وخامسها نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير
لا يسع أحد اجتهاله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
تعالى وسئل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (فان قيل)
ما الفائدة في لفظ عند ولو قال كل من ربنا لحصل المقصود (أجيب) بأن الايمان بالتشابه
يحتاج فيه الى مزيد التأكيد (فان قيل) لم حذف المضاف اليه من كل (أجيب) بأن دلالة على
المضاف اليه قوية فالامن من اللبس بعد الحذف حاصل (وما يذكر) بادغام التاء في الأصل
في الذال أي ما يعجز عني القرآن (الأولوالاسباب) أي أصحاب العقول * (تنبه) * وجه
اتصال هذه الآية وأولها هو الذي أنزل عليك الكتاب بما قبلها وأولها هو الذي يصوركم
في الارحام انه لما بين أنه قيوم وهو القائم بمصالح الخلق والمصالح قسمان جسماني وروحاني

فالجسماني أشرفها تعديل البنية على أحسن شكل وهو المراد بقوله تعالى هو الذي يصوركم
 في الارحام وأما الروحاني فأشرفها العلم وهو المراد بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ولما حكي
 سبحانه وتعالى عن الراشدين في العلم أنهم هم يقولون آمنابه حكي أنهم يقولون (ربنا لا تزغ) أي
 لا تغل (قلوبنا) عن طريق الحق الى اتباع المتشابه بنأويل لا ترتضيهم (بعد اذهديتنا) وفتنتنا
 لدينك والايمان بالحكم والمتشابه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من
 أصابع الرحمن ان شاء أقامه أي القلب على الحق وان شاء أزاغه عنه رواه الشيخان وغيرهما
 وقيل لا تلبنا لا ياترغ فيها قلوبنا وعلى هذا اقتصر الرخصي ووجهه بأن ما ذكر كناية أو مجاز
 اذ لا تحسن من الله الا زاغة ليسل نعيمها وهذا بناء على مذهبه من الاعتزال وأما مذهب أهل
 السنة فالزيع والهداية خلق الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب
 والابصار ثبت قلوبنا على دينك وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كرشة بأرض فلا تقلمها الرياح ظهروا وبطنا (وهب لنا)
 أي أعطنا (من لدنك) أي من عندك (رحمة) أي توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان
 والهدى أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال
 من الله تعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء (ربنا انك جامع الناس) أي
 تجمعهم (ليوم) أي في يوم (لاريب) أي لا شك (فيه) أي في وقوعه وما فيه من الحشر والجزاء
 وهو يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم كما وعدت وقوله تعالى (ان الله لا يخلف الميعاد) أي
 مواعده بالبعث يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام الراشدين فيكون فيه
 التفات عن الخطاب وكانهم لما طلبوا من ربهم الصون عن الزيع وأن يخصهم بالهداية
 والرحمة قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية وانما الغرض
 الاعظم منه ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ووعدك حق فمن
 زاغ قلبه بقي هناك في العذاب أبدا لا يباد ومن وفقته وهديته ورحمته بقي هناك في السعادة
 والكرامة أبدا لا يباد * (تنبيه) * احتج الوعيدية بهذه الآية على القطع بوقوع وعيد
 الفساق قالوا ان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد وقد أخبر في هذه الآية أنه لا يخلف الميعاد
 واجيب بأن الانسليم القول بالقطع بوقوع وعيد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط بعدم العفو كما
 هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق فكما أنكم أثبتتم ذلك الشرط بدليل منفصل فكذلك نحن أثبتنا
 شرط عدم العفو بدليل منفصل سلمنا أنه توعدهم ولكن لانسلم أن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد
 ويكون قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقوله تعالى
 ذق انك أنت العزيز الكريم فيكون من باب التهكم وذكر الواحدى في البسيطة أنه يجوز أن
 يحتمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب لانهم
 يدحون بذلك كما قال القائل

اذ اوعده السراء أنجز وعده * وان وعد الضراء فالعقوباته
وقال الآخر أيضا

واني وان أوعده أو وعدته * لخلف ابعادي ومنجز موعدي

ولما حكى الله سبحانه وتعالى دعاء المؤمنين وتضرعهم حتى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم بقوله تعالى (ان الذين كفروا) وهو عام في الكفرة وقيل المراد بهم وقد فجران أو اليهود أو مشركو العرب (ان تغني) أي ان تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولأولادهم من الله شيئا) أي من عذابه وقيل من رحمته أو من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوي أي على أن من البذل والمعنى ان تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعته شيئا أي بدل رحمته وطاعته قال أبو حيان وأثبت البدلية جهور البهامة تأباه (وأولئك هم وقود النار) أي حطبها وفي ذلك كمال العذاب لأن كماله أن يزول عنه ما ينفع به ثم يجتمع عليه الأسباب المؤلمة فالأول هو المراد بقوله تعالى ان تغني عنهم أموالهم ولأولادهم فان المرء عند الشدة يفرغ الى المال والولد لانهم ما أقرب الامور التي يفرغ اليها في دفع النوائب فينبغي تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا وإذا تعذر عليه الانتفاع بالمال والولد وهما أقرب الطرق فاعداه بالاعذار والى وتطيره يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأما الثاني من أسباب كمال العذاب وهو اجتماع الأسباب المؤلمة فهو المراد بقوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا هو النهاية في العذاب فانه لا عذاب أعظم من أن تستعمل النار فيهم كاستعمالها في الحطب اليابس وقوله تعالى (كدأب آل فرعون) أما استئناف مرفوع المحل خبر مبتدأ مضمرة تقديره دأبهم في ذلك كدأب آل فرعون وأما متصل بما قبله أي ان تغني عنهم كالم تغني عن أولئك أو توعد النار بهم كما توعد النار بآل فرعون وقوله تعالى (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون فيكون في محل جر وقيل استئناف فيكون في محل رفع على الابتداء والخبر وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بنفوسهم) وعلى الأول تكون هذه الجملة مفسرة لما قبلها وقوله تعالى (والله شديد العقاب) فيه تهويل للمؤاخذه وزيادة تخويف للكفرة * ولما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله تعالى أن ينزل بكم مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي ثم رسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك اقيت أقواما أنعمارا أي جهال الجمع غمرا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة وانا والله لو قاتلتك لعرفت أنا نحن الناس نزل (قل) يا محمد (لذين كفروا استعجلون) في الدنيا بالقتل والامر وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم (ومشركون) في الآخرة (الى جهنم وبئس المهاد) أي القراش والمخصوص بالذم محمد وفي أي بئس المهاد جهنم وفي هذه الآية اخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد وقع خبره على موافقته فكان هذا الخبرا بالغيب فكان معجزة ولهذه المنزلات هذه الآية قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله غالبكم ومهاشركم الى جهنم وقرأ آية سورة الكساف بالياء فيها على

الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (فان قيل) أي فرق بين القراءتين من جهة المعنى (أجيب)
 بأن معنى قراءة التاء الامر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار
 بما سيعلمون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة
 بالياء الامر بأن يحكي لهم ما أخبر به من وعيد بلفظه كأنه قال أدا اليهم هذا القول الذي هو قولي
 للتسيعلمون ويحشرون (قد كان لكم آية) أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول لكم انكم
 ستعلمون (فان قيل) لم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة (أجيب) بأنه انما ذكر الفعل للفصل
 بينه وبين الاسم المؤنث بل كم فان الفصل مسوغ لذلك مع المؤنث الحقيقي كقوله
 ان امرأته منكن واحدة * بعدى ويعبدك في الدنيا والمغرور

قال القراء وكل ما جاء من هذا النصف هذا وجهه والخطاب لمشركي قريش وقيل لليهود وقيل
 للمؤمنين (في فتنين) أي فرقتين (الفتح) يوم بدر (فئة) مؤنثة (تقاتل في سبيل الله) أي طاعته
 وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وكانوا اثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة
 وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية
 المهاجرين علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم
 سبعون بهرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمز بن أبي هريرة وكانهم رجالة وكان
 معهم من السلاح ستة أدرع وغاية سيوف (و) فئمة (أخرى كافرة) تقاتل في سبيل الشيطان
 وهم مشركو مكة وقوله تعالى (يرؤهم مثلهم) قرأه نافع بالتاء على الخطاب أي ترى المؤمنون
 المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويوقنوا بالنصر الذي وعدهم به في قوله
 ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كانوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى
 ان يكن منكم عشرين صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على الغيبة أي يرى المشركون
 المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا تسعمائة وخمسين أو مثلي عدد المسلمين وكانوا اثلاثمائة وثلاثة
 عشر (فان قيل) هذا مناقض لقوله تعالى في سورة الانفال ويقتل لكم في أعينهم (أجيب) بأنه
 قلهم أولا حتى اجترأ عليهم فلما لا قوهم كثروا امداد من الله تعالى للمؤمنين في أعينهم حتى
 غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين (رأى) أي في رأي (العين) أي رؤية ظاهرة
 مكشوفة لابس فيها عناية كسائر المعانيات وقد نصرهم الله تعالى مع قتلهم (والله يوفى) أي
 يقوى (ينصر من يشاء) نصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو (ان في ذلك) المذكور (عبرة)
 أي حكمة (لاولى الابصار) أي لذوى البصائر فلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب
 الشهوات) أي ما تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزين هو الله تعالى لا ابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا
 ما على الارض زينة لها لتبلوهم أولانه من أسباب التعيش وبقاء النوع الانساني وأولانه يكون
 وسيلة الى السعادة الآخرة اذا كان على وجه يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزين وذهب
 اليه المعتزلة واستدلوا بقول الحسن الشيطان والله زينها لانا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها وانما
 سميت شهوات مبالغاة وانما الى أنهم انهم كانوا في محبتها حتى أحبوا شهواتها كقوله تعالى

أحبت حب الخير والشهوة مستتر ذلة عند الحكام مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالهميمة
ثم بين ذلك بقوله تعالى (من النساء) اعبدوا ما بين لأنهم حبايل الشيطان (والبنين والقناطر)
جمع قنطار وهو المال الكثير قيل مل مسك ثور أى مل عبادة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه
القنطار مائة ألف دينار وقال ابن عباس والضعك ألف ومائتا مثقال (المقنطرة) أى الجمعية
وقال السدى المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال الفراء المضغفة بالقناطر
ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سعى الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة
فضة لأنها تنفض أى تتفرق (والخيل المسومة) أى الحسان وقال سعيد بن جبير هى الراعية
يقال أسام الخيل وسومها والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحداً فرس كك القوم والنساء
(والانعام) جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) أى الزرع
(ذلك) أى ما ذكر من النساء وما بعده (متاع الحياة الدنيا) أى يتعقب به فيها ثم يفنى (والله عنده
حسن المآب) أى المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
دون غيره من الشهوات الدنائة (فان قيل) المآب قسمان الجنة وهى فى غاية الحسن
والنار وهى خالية عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصداً للطاغين مآباً (أجيب)
بأن المقصود بالذات هو الجنة وأما النار فمقصودة بالعرض والمقصود بالآية التهيب فى الدنيا
والترغيب فى الآخرة (قل) يا محمد لقومك (أو نبشكم) أخبركم (بخير من ذلكم) أى المذكور
من الشهوات وهذا استفهام تقريرى * (تنبيه) * هنا همزتان مختلفتان من كلمة الاولى مفتوحة
والثانية مضمومة قرأ القون بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وأدخل بينهما ما ألفوا وورش يسمل
الثانية من غير ادخال ألف وينقل حركة الهمزة الاولى الى اللام من قل فتصير اللام مفتوحة
والثانية مضمومة وابن كثير كورش لأنه لا ينقل الحركة الا فى لفظ القرآن وقرآن وأبو عمرو
يسمل الثانية ويدخل بينهما ما ألفوا كقاولون وله وجه آخر وهو عدم ادخال ألف بينهما والباقون
بتحقيقهما وقوله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أى
مقدّرين الخلود فيها اذا دخلوها كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل أدلك على رجل عالم عندي رجل عالم من صفته كيت وكيت ويجوز أن تتعلق اللام بخير
وترفع جنات على هو جنات (وأرواح مطهرة) من الحيض وغيره مما يستقدّر من النساء
وقوله تعالى (ورضوان من الله) قرأه شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وهما الغنان الكسر
لغة الجحاز والضم لغة تميم وقيل بالكسر اسم وبالضم مصدر وعن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون ايسك ربنا وسعيدك والخير في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
يارب وقد أعطيتنا ما لم ندع أحداً من خلقك فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا
وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً * (تنبيه) * قد نبه
سبحانه وتعالى فى هذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأجلها رضوان الله لقوله

تعالى ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها (والله بصير) أي عالم (بالعباد) أي
 بأعمالهم فيجازي كل منهم بعمله أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقوله تعالى
 (الذين) نعت للذين اتقوا وللعباد وأبدل من الذين قبله (يقولون) يا ربنا آتانا أي صدقنا
 (فأغفر لنا ذنوبنا) أي استرها علينا وتجاوز عنا (وقعا عذاب النار) * (تنبيه) * في ترتيب سؤال
 المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجزئ الإيمان دليل على أن مجزئ الإيمان كاف في استحقاق
 المغفرة والاستغفار لا لسببها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى (الصابرين) أي على الطاعة
 وعن المعصية وعلى اليأس والضراء نعت (والصادقين) أي في إيمانهم وأقوالهم قال قتادة هم
 قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية (والقانتين) أي
 المطمئنين لله (والمعتقين) أي المتصدقين (والمستغفرين بالأسحار) أي أو آخر الليل كان
 يقولوا اللهم اغفر لنا خطيئتنا بالذكر لأن وقت الغفلة واذن النوم وفي هذا كما قال البيضاوي
 جهر لقامات السالك على أحسن الترتيب أي الذكرى فإن معاملتهم مع الله أمانا توسل وأما
 طلب والتوسل أمانا للنفس وهو منهها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشتملها وأما
 بالبدن وهو أمانا قولي وهو الصدق وأمانا على وهو القنوت الذي هو لازمة الطاعة وأمانا بالمال
 وهو الانفاق في سبيل الخير وأمانا الطلب فالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجاهع لها
 انتهى وتوسيط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكما لهم فيها
 أول تغاير الموصوفين بالصفات وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب من الدعاء في غيرها إلى
 الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصعب والعقل أجمع لمعانى الالتقاط التي ينطق بها
 لاسيما المتمسك بقلبهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون وعن الحسن كانوا يصلون
 في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فذا نهارهم وهذا يلهم فعن أبي
 هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى سماء الدنيا أي
 أمره كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب
 له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له وحكي عن الحسن أن لقمان قال
 لابنه يا بني لا تكن أبجز من هذا الديك يصوت في الأسحار وأنت نائم على فراشك وعن زيد بن أسلم
 أنه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وعبر بالسحر لقربه من الصبح (شهد الله) أي بين خلقه
 بالدلائل وانزال الآيات (أنه لا اله) أي لا معبود بحق في الوجود (الاهو) قال النكفي قد قدم
 خبران من أخبار السام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه
 ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلها
 عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قال له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالافانا سألت
 عن شيء فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقنا فقال لهم أسلا قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله
 عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الرجلان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خلق الله
 الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الله الأرواح قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة

فشهد لنفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا أرض ولا بحر ولا جوف فقال
 شهد الله أنه لا اله الا هو (و) شهد بذلك (الملائكة) أي أقربوا بذلك (و) شهد بذلك (أولو العلم) أي
 بالايان بذلك والاحتجاج عليه (فان قيل) ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم الله تعالى هذا التعظيم
 حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله (أجيب) بأن المراد بهم أنهم
 الذين يشنون وحدانيته وعدله بالحج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد
 من الانبياء والمؤمنين وفيه دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وقوله تعالى (فأما) أي
 بتدبيره صنع عاتقه حال من الله وانما جازا فراده تعالى به الغدوم اللبس وان اختلف في جاني زيد
 وعمروا بكافد منه الزمخشري وتبعه البيضاوي وجوزة أبو حيان وقال يحمل على الاقرب
 كما في الوصف في نحو جاني زيد وعمروا بالطويل أو حال من هو والعامل فيه إما معنى الجملة أي تفرد
 (بالقسط) أي بالعدل وقوله تعالى (لا اله الا هو) كقولنا كيد ومزید الاعتناء بغير فائدة
 التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة ولينى عليه قوله تعالى (العزيز) أي في ملكه (الحكيم)
 أي في صنعه فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لان العزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم
 القيام بالقسط فاقى بهما التقرير الامر من على ترتيب ذكرهما ورفعها معا على البذل من الضمير
 الاول أو الثاني أو على الخبر المندوف وعن أبي غالب القطان قال أثبت الكوفة في تجارة
 فنزلت قرية من الاعمش وكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنفذ رالي البصرة
 فقام من الليل يتجسس فزبهم هذه الآية أي شهد الله الى آخرها ثم قال الاعمش وأنا شهد بجماعتهم
 الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعان الدين عند الله الاسلام قالها من رآها
 قالت لقد سمع فيها فصليت معه وودعته ثم قلت اني سمعتك ترددتها فلما بلغت فيها قال والله
 لأحدثك بها الى سنة فمكثت على بابها ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد
 مضت السنة فقال حدثني أبو واثل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني
 بصاحب يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندى عهد أو أنا حق من وفى بالعهد أدخلوا
 عبدي الجنة روى هذا الحديث الطبراني والبيهقي لكن بسند ضعيف وقوله تعالى (ان الدين)
 أي المرضي (عند الله) هو (الاسلام) جملة مستأنفة موكدة للاولى أي لادين مرضى عند الله
 سوى الاسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى
 ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقرأ الكسائي يفتح همزة
 ان قيل على أنه بدل من أنه الخ بدل اشتمال وضعفه أبو حيان لان فيه فصلين البدل والمبدل منه
 بأجنبي قال والصواب انه معمول للحكيم باسقاط الجواز أي الحكيم بأن الدين والباقون بكسرهما
 على الاستئناف (وما اختلف الذين أتوا الكتاب) أي من اليهود والنصارى وقيل من أرباب
 الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاة آخرون
 مطلقاً وفي التوحيد فثبت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كما أحق بأن تكون
 النبوة فينا من قريننا لانهم أميون ونحن أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم)

بالتوحيد انه الحق الذي لا محمد عنه (بغيا) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب
 وهو لا بمذهب الاحسان (بينهم) وطلب الرئاسة وقيل هو اختلاف في نبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم من بعد ما جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث آمن به بعض وكفروا به بعض وقيل هو
 اختلافهم في الايمان بالانبياء فمن آمن بعيسى ومنهم من آمن بعيسى ولم يؤمن ببقية الانبياء
 وقوله تعالى (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) أى المجازاة له وعيد لمن كفر منهم
 (فان حاجوك) أى جادلئك الذين ككفروا يا محمد في الدين (فقل) لهم (أسألت وجهي لله) أى
 أخذت نفسي وجهي لله وحده لم أجعل فيهما غيره شركا بأن أعبدوه ولا أدعوا اليها معه يعنى
 أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندى وما جئت بشئ
 مبتدع حتى تجادلوني فيه وخص الوجه بالذكور لشرقه فهو تعبير عن جله الشخص بأشرف
 أجزائه الظاهرة وقوله تعالى (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسألت وحسن لفواصل ويجوز
 كما قال في الكشف أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه أى نظرا الى أن المشاركة بين
 المتعاطفين في مطلق الاسلام أى الاخلاص لافيه بقية وجهه حتى يمنع ذلك لاختلاف
 وجهيهما (وقل للذين آمنوا والكتاب) وهم اليهود والنصارى (والأمة) أى الذين لا كتاب لهم
 وهم مشركو العرب (أسألتكم) أى فهل أسألتكم كما سألت أنا فقد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام
 ويقتضى حصوله لا محالة أم أنتم بعد على الكفر وهذا كقولك ان لخصت له المسئلة ولم تق من
 طرق البيان واكتشف طريقا لاسلكته هل فهمتها في هذا الاستفهام استقصار وتعير بالمعاند
 وقوله الانصاف لان المنصف اذا انجبت له الحجة لم يتوقف ادعانا للعق وكذلك في هل فهمتها توبخ
 بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام هنا الامر أى أسألوا كما قال تعالى فهل أنتم مستهون أى استهوا
 (فان أسألو فقد اهتدوا) أى تفعلوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
 الى النور فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسألتنا فقال لليهود
 أنشهدون أن عيسى كلمة الله وعبدوه ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أنشهدون أن عيسى
 عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال عز وجل (وان قولوا) أى عن
 الاسلام لم يضروك (فانما عليكم البلاغ) أى فانك رسول منبه ما عليكم الا أن تبلغ الرسالة وتنبه
 على طريق الهدى وقد بلغت وليس اليك الهداية (والله بصير بالعباد) أى عالم عن يؤمن ويمن
 لا يؤمن فيجازى كل منهم بعمله وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
 النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) أى بالعدل (من الناس) وهم اليهود قبل اولهم
 الانبياء وقتلوا أتباعهم ومن فى عصره صلى الله عليه وسلم كفروا به وقصدوا قتله صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين لكن الله تعالى عصمهم وعن أنبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى
 الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر معروف ونهى عن منكروا روى أنهم
 قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلواهم من يومهم وخبر ان (فبشرهم)
 أى أعلمهم (بعذاب أليم) أى مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم (فان قيل) لم أدخل القاء في خبر ان مع أنه

لا يقال ان زيدا فقام (أجيب) بأن الموصول متضمن معنى الشرط فكأنه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم (وأولئك الذين حبطت أعمالهم) أى ما عملوه من خير كصدقة
وصلة رحم (فى الدنيا والآخرة) فلا يعتد بهم لعدم شربها (ومالهم من ناصرين) أى مانعين عنهم
العذاب (ألم تر) أى تنظر (الى الذين أولوا نصيبا) أى حظا (من الكتاب) أى التوراة أو جنس
الكتب السماوية ومن لا تبعيض أو البيان قال البيضاوى وتكبر النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
انتهى أما التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه الزمخشري وأما التحقير ففيه نظر إذا نصيب
المراد به الكتاب وبعضه لاحقارة فيه وقد يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يعملوا به
(يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
أو التوراة واختلفو فى سبب نزول هذه الآية فروى سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس أى موضع صاحب
دراسة كتبهم على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعم بن عمرو وانزل
ابن زيد على أى دين أنت قال دين ابراهيم فقال له ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهما الى التوراة فهى بيننا وبينكم فأيسأ عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية
وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رجلا وامرأة من أهل
خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم ففكر هو ارجعها الشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى النبي صلى
الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فيكم عليهم بالرجم فقال له النعمان بن أوفى
وعدي بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى
وبينكم التوراة قالوا قد أنصفنا قال فن أعلمكم بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن صوريا
فأرسلوا اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن
سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهودان المحسن والمحصنة اذانينا وقامت عليهما البيعة رجلا وان كانت حبلى تترى حتى تضع
ما فى بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود وانصرفوا فأنزل
الله عز وجل هذه الآية (سميتولى فريق منهم) وأتى بتم لاستبعاد توليهم مع علمهم بأن الرجوع
الى كتاب الله تعالى واجب للتراخي فى الزمان اذ لا تراخي فيه وقوله تعالى (وهم معصرون)
أى عن قبول حكمه جلة حالمة من فريق وانما ساغ التخصيص بالصفة (ذلك) إشارة الى ما ذكر
من التولى والاعراض (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (ان تمسنا النار الا أياما معدودات) أى
قالوا ذلك بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد المائل والطمع القارغ عن
حصول المظموع فيه وهو الخروج من النار بعد أيام قليلة وهى أربعون يوما مستدة عبادة
آياتهم المحل ثم نزول عنهم (وعزهم فى دينهم) والغرور هو الاطباع فيما لا يحصل منه شئ
(ما كانوا يفترون) أى من أن النار ان تمسهم الا أياما قلائل أو ان آياتهم الانبياء يشفعون لهم

أوانه تعالى وعدي يعقوب أن لا يعذب أولاده الا تحلة القسم * (تنبيه) * في دينهم متعلق بغفرهم
ولا يصح تعلقه يفترون خلافا للسطو لان ما قبل الوصول لا يتعلق بما بعده (فكيف) حالهم
أو فكيف صنعهم (اذا جعناهم ليوم) أي في يوم (لاريب) أي لا شك (فيه) وهو يوم القيامة
وفي ذلك استعظام لما يحق بهم في الآخرة روى أن أقول راية أي علم ترفع يوم القيامة من
رايات الكفار راية اليهود فيصحبهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار
(ووفيت كل نفس) أي من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (ما كسبت) أي عملت من خير
أو شر وفي ذلك دليل على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يتخلف في النار وان دخلها لان توفية
ايمانها وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص ان دخلها (وهم لا يظلمون)
أي بنقص حسنة أو زيادة سيئة * (تنبيه) * ذكر ضمير وهم لا يظلمون وجعسه باعتبار معنى
كل نفس لانه في معنى كل انسان ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمتة
ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيئات هيئات من اين لمحدم ملك فارس والروم أولم
يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فانزل الله سبحانه وتعالى (قل اللهم)
أي يا الله والميم عوض عن ياء النداء ولذلك لا يجتمعان والتعويض من خصائص هذا الاسم
كما اختص بدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وكما اختص بدخول تال القسم عليه
وأما قولهم ترب الكعبة فمادر (مالك الملك) أي مالك العباد وما ملكو أقال الله تعالى في بعض
الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد
أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتملوا بسب الملوك
ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما ترونوا بولي
عليكم (توني) أي تعطى (الملك) أي في الدنيا (من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك من تشاء)
منهم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وقال الكلبي توفى الملك لمحمد
وأصحابه وتنزعه من أبي جهل وصناديد قريش وقيل توفية لآدم وذريته وتنزعه من ابليس
وأصحابه وتنزعه من أبي جهل وصناديد قريش وقيل محمدا وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف
وجنودهم (وتعزم من تشاء) من خلقك وقيل محمدا وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف
ظاهرين عليها (وتذل من تشاء) منهم وقيل أباجهل وأصحابه حرت رؤسهم وألقوا في القليب
وقيل تعزم من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمصيبة وقيل تعزم من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء
بالحرص والطمع وقيل تعزم من تشاء بالتهجد وتذل من تشاء بتركه (يندك) أي بقدرتك (الخيز)
أي والشرا وقصر على الأول المسارعة الادب في الخطاب أو أكتفي بذلك راجعا للمقابلين
كافي قوله تعالى سراييل تقيمكم الحزأى والبرء ولان الكلام وقع فيه اذ روى البيهقي وغيره
أنه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشر أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بخاء
وأخذ المعول منه فضر به اضربه فصدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لا يقيم أي المدينة فكان بها
مصمما حاجاء في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضواء لي منها قصور والخيرة كانتها

أنساب الكلاب أى فى سياحتها وصغر شأنها وانضمام بعضها الى بعض واللابتان حرتان يكتشفانها
 والحرة كل أرض ذات حجارة سوداء كانت محترقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال أضأت لى منها
 القصور والحرم من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضأت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
 أن أمتى ظاهرة على صكها أى الاراضى التى أضأت فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون
 عنكم أيها المؤمنون ويعذكم الباطل ويخبركم أنه يصرون يثرب أى المدينة قصور الحيرة وأنها تفتح
 لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف فبرزت وبه أيضا على أن الشريعة بقوله
 (انك على كل شئ قدير) والشريعة ثم عقب ذلك ببيان قدرته على تعاقب الليل والنهار والموت
 والحياة وسعة فضله فقال (توبخ) أى تدخل (الليل فى النهار) حتى يكون النهار خمس
 عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتوبخ) أى تدخل (النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس
 عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت)
 كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (وتخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان
 والبيضة من الطائر وقال الحسن وعطاء تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن
 فالؤمن حتى القوادى والكافريت القوادى قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وقال الزجاج
 تخرج النبات الغض الظرى من الحب اليابس وتخرج الحب اليابس من النبات الحى
 النامى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة الميت بسكون اليماء والباقون بكسر اليماء
 مشددة (وترزق من تشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل
 عمران شهد الله الى قوله أن الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قرله بغير حساب
 معلقات ما بينهما وبين الله عز وجل حجاب قان يارب تهمطنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله
 عز وجل لى حلفت لا يقرأك أن أحد من كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه
 ولا استكنه حظيرة قدسى ولا تظن اليه بعينى المكشوفة كل يوم سبعين مرة ولا قضين له كل يوم
 سبعين حاجة أدناها المغفرة ولا عيذنه من كل عدو وحاسد ولا نصرته منه (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء) يوالونهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنزلت فى المنافقين عبد الله بن
 أبى وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأقونهم بالاخبار يرجون أن يكون لهم الظفر
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين أن يوالوا الكافرين
 اقربا بينهم أو صداقة قبل الاسلام وغير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها معاشر وقوله
 تعالى (من دون) أى غير (المؤمنين) إشارة الى أنهم الاحق بائنا والآلة وأن فى والاهم
 من دوحه عن موالاة الكفرة والحبه فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان
 (ومن يفعل ذلك) أى يوالى الكفرة (فليس من الله) أى من ولاية الله (فى شئ) يصح أن يسمى
 ولاية شرعية فإن ولاية المتعادين لا يحجة ان لما بينهما من التضاد كما قال القائل
 فليس أخى من ودى رأى عينه * ولكن أخى من ودى فى المغائب

تودع دوقى ثم ترعسم أنى * صديقك ليس النول عنك بعازب
 بعين مهملة وزاى أى بغائب والنول بضم النون الحق والجنون ثم استثنى فقال (الآن تنقوا
 منهم نقاة) أى الآن تخافوا منهم مخافة فلستكم موالاتهم باللسان دون القلب كما قال عيسى عليه
 الصلاة والسلام كن وسطاى فى معاشرتهم ومخالفتهم وامش جابباى من موافقتهم فيما
 يأمرون ويذرون وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فى بلد ليس قوا فيها قال معاذ بن جبل ومجاهد
 كانت الثقة فى بدء الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين وأما اليوم فقد أعز الله الاسلام
 فليس ينبغي لأهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم (ويحذركم الله) أى يخوفكمكم (نفسه) أن يغضب
 عليكم ان واليتوهم (والى الله المصير) أى المرجع فيجازيكم فلا تتعرضوا للخط بمخالفة أحكامه
 وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى عنه فى القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر
 منه عقاب بصدره فلا يلى عنه بما يحذر من الكفرة (قل) لهم يا محمد (ان تخفوا ما فى
 صدوركم) أى قلوبكم من موالاة الكفار وأغيرها بما لا يرضى الله (أو تبذروه) أى تظهروه
 (يعلمه الله) ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وقال الكلبي ان تسروا ما فى قلوبكم لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهروه بجره وقمالة يعلمه الله (وهو الذى) يعلم ما فى السموات
 وما فى الارض لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلايتكم (والله على كل شئ قدير)
 فهو قادر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما تنهيت عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه
 لان نفسه متصفه بعلم ذاتى يحيط بالعلماء والموالات كلها وقدره ذاتية نعم المقدورات بأسرها فلا
 تعصوه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عايم الاحماله قادر على العقاب بما رلوعلم بعض عباده
 السلطان انه أراد الاطلاع على أحواله بأن يوكل من يقبض عن مواطن أموره لاخذ حذره
 منه كل الحذر فبال علم أن العالم الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ
 بك من اعتزازنا بسترنا ونسألك الیقظة من سنة الغفلة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا)
 نصب يوم ضم نحو اذ كرو قوله تعالى (وما علمت) أى علمته (من سوء) مبتدأ خبره (تودلوا ان بينها)
 أى النفس (وبینه) أى السوء (أمد بعيدا) أى غاية فى نهاية البعد فلا يصل اليها وكرر سبحانه
 وتعالى (ويحذركم الله نفسه) قال البيضاوى للآ كيد والتذكير وقال التقطازانى الاحسن ما قيل
 ان ذكره أقوال للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للبحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر وقوله
 تعالى (والله رؤف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهم وحذرهم راقية بهم ومراعاة
 اصلاحهم وعن الحسن من راقية بهم أن حذرهم نفسه وقرأ أبو عمرو وشعبة وجزة والكسائى
 رؤف بقصر الهمة والباقون بالمد وورش على أصله فى المد والتوسط والقصر ونزل فى اليهود
 والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه (قل) لهم يا محمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
 يحببكم الله) وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما وقف النبى صلى الله عليه وسلم
 على قرين وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصناما لهم وعلقوا عليها بئس النعام وهم يسجدون
 لها فقال يا معشر قرين والله لقد خالفتم ملأى بكم ابراهيم واسماعيل فقال له قرين انما نعبدها

خب الله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون
 الاصنام لنقر بكم اليه فانهونى يحببكم الله فأنارسوله اليكم وحبته عليكم أى اتبعوا شريعتي
 وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنون لله اتباعهم أمره وايتا طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله
 للمؤمنين ثأفه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور)
 لمن اتبعنى ما خلف من ذنبه قبل ذلك (رحيم) به وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل أقولهم تصديقا من عملهم فمن ادعى محبته وخالف
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكأب الله يكذبه واذا رأيت من يذكرك محبة الله ويصدق
 بيديه مع ذكره ويطرب وينعم ويصدق فلا شك أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه
 وطربه ونعمرته وصعقته الا لاند تصور في نفسه الخبيثة صورة مستحسنة معشقة نفسها اها الله يحبها
 واذا عانه ثم صفق وطرب ونعم وصعق عند تصورها ورجا رأيت المني قد لا ازار ذلك المحب عند
 صعقته وحق العامة حواله قدموا أذقانهم بالدموع لما رأوه من حاله * ولما نزلت هذه الآية
 قال عبد الله بن أبي لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى
 عيسى نزل قوله تعالى (قل) لهم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما يأمرهم به من التوحيد (فان قولوا)
 أى أعرضوا عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) أى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما أتى
 بالظاهر ولم يقل لا يحبهم لفصده العموم والدلالة على ان التولى كفر وأنه من هذه الخبيثة يتقى محبة
 الله وأن محبة مخصوصة بالمؤمنين ولما أوجب الله سبحانه وتعالى طاعة الرسل عليهم الصلاة
 والسلام وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا على الطاعة فقال تعالى
 ان الله اصطفى (أى اختار) آدم ونوحا وآل ابراهيم) وهم اسم بيل واسحق وأولادهما الرسل
 وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهرون ابناء عمران
 ابن يصر (على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قوا على ما لم يقو
 عليه غيرهم وبهذه الآية استدلى على فضل الرسل على الملائكة وقيل آل عمران عيسى وأمه
 مريم بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين ألف وغنا ثمانية سنة وقيل آل ابراهيم وآل عمران
 أنفسهما وقوله تعالى (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضهما من) ولد (بعض) منهم
 وقيل بعضهما من بعض في الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (والله سميع)
 لا قول الناس (عليه) بأحوالهم فيصطفى من كان منهم مستقيما القول والحال واذا كرر (اذ قالت)
 امرأت عمران) وهى حنة بنت فاقوذ أتم مريم وعمران هو عمران بن ماثان رئيس بني اسرائيل
 وليس هو عمران أباموسى وهرون اذ كان بين العمرانين ألف وغنا ثمانية سنة كما مر وكان بنو ماثان
 رؤس بني اسرائيل وأخبارهم وملوكهم (فائدة) رسمت امرأتها المجرورة ووقف ابن كثير
 وأبو عمر والكسافى بالهاء والباقون بالتاء ووقف الكسافى بالفتح والامالة واذا وقف حنة
 سهل الهمزة وروى أن حنة كانت عاقرا عجوزا فبينما هى في ظل شجرة أدراأت طائرا يطعم فرخه
 فحنت الى الولد وعنته فقالت اللهم ان لك على تذا شكري ان رزقتنى ولدا أن أصدق به على نيت

المقدس فيكون من خدمه فملت فلما أحست بالجل قانت يا (رب اني نذرت) أن أجعل لك
 ما في بطني محررا (أى عسقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس وكان هذا النذر
 مشروعا في عهدهم في الغلمان فقال لها زوجها يحبك ما صنعت أرايت ان كان ما في بطنك
 أنثى لا تصلح لذلك فوقعها جميعا في هتم من ذلك وهلك عمران وخنة حامل بحريم (فقبل منى)
 ما نذرته (انك أنت السميع) اقولى (العليم) بنيتى (فلما وضعتها) أى ولادتها جارية والضمير لما
 في بطنها وانما أنت على المعنى لان ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل النفس أو النسمة
 ولم يكن يحزر الا الغلمان وكانت ترجو أن يكون غلاما ولذلك نذرت تحريره (قالت) معذرة
 يا (رب انى وضعتها أنثى) * فان قيل كيف جازاته صاب أنثى حالها من الضمير في وضعتها وهو
 كقوله وضعت الانثى أنثى (أعجب) بأن الاصل وضعت أنثى وانما أنت لتأنيث الحال لان الحال
 وصاحبها بالذات واحد وأما على تأويل النفس أو النسمة فهو ظاهر كأنها قالت انى وضعت
 النفس أو النسمة أنثى (والله أعلم) أى عالم (بما وضعت) قرأ ابن عاصم وشعبة بسكون العين وضم
 التاء فيكون من كلامها قالته تسلمة لنفسها أى ولعل الله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير
 من الذكر وقرأ الباقر بنفتح العين وسكون التاء فيكون من كلام الله تعالى تعظيما لموضوعها
 وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالأنثى التى وضعت وما عاقبه من عظام
 الامور وأن يجعلها وولدها آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لاتعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وقرأ أبو
 عمر والله أعلم بسكون الميم واخفائها عند الباء بخلاف عنه والباقر بالانظهار وقوله تعالى
 (وليس الذكر كالأنثى) بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه
 ومعناه وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها واللام فيها للعهد أما معهود لأم الانثى
 ففي قولها انى وضعتها أنثى وأما معهود لأم الذكر ففي قولها محررا ويجوز أن يكون معنى
 قولها وليس الذكر كالأنثى أى وليس الذكر والأنثى سمين فيما نذرت لما يعترى الانثى
 من الحيض والنفاس فتكون اللام للجنس وقوله تعالى (وانى سميتها مريم) عطف على انى
 وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضان كقوله تعالى وانه اقسام لو تعلمون عظيم وانما ذكرت
 ذلك لربها تقربا اليه وطلب لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقة لاسمها فان مريم
 في لغتهم بمعنى العابدة * (تنبيه) * فى قوله تعالى حكاية عنها سميتها مريم دليل على ان الاسم
 والمسمى والتسمية امور متغايرة أو معنى سميتها مريم جعلت اسم المولود مريم (وانى أعيدنها)
 أى أجبرها (بك) أى يحفظك (وذريتها) أى أولادها (من الشيطان الرجيم) أى المطرود روى
 الشيخان ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الامرم وابنها ولا يبعد
 كما قال الطيبي اختصاص عيسى وأمه بهذه القضية دون الانبياء لجواز أن يمكن الله تعالى
 الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء ولا يمنع كما قال التفتازانى أن يس الشيطان المولود
 حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسمع وليست تلك المسة للاغواء ليدفع أنه لا يتصور في حق
 المولود حديث يولد وحينئذ نقول البيضاوى معناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود أى

لا يسه فيه اخراج الحديث عن ظاهره وتبع فيه الزمخشري وهو ما سلمه المعتزلة حيث أنكروا
هذا الحديث وقد حووا في صحته لان الشيطان انما يدعوا الى الشر من له تمييز وعن أبي هريرة رضى
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعمه الشيطان في جفنيه باصبعه
حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعمه قطعنه في الحجاب (فمقبلها ربه) أى قبل مريم من أمها
ورضى بها في النذر مكان الذكّر (بقبول حسن) وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم يقبل قبها أنثى (وأنتها بنا نأحسنا) أى أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم
كما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قرأ عاصم وحذرة والكسائي بتشديد الفاء وقصروا
زكريا غير عاصم في رواية ابن عباس على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا
لها وضافنا لمصالحها فلا بد من تقدير مضاف في الآية وهو مصالح لان كفاالة البدن لامعنى لها
وقرأ الباقر بتحقيق الفاء ومتوازا زكريا مرفوعا على الفاعلية روى أن حنة لما ولدت مريم لقتها
في خرقه وجلتها الى المسجد الأقصى ووضعتهما عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها الانما بنت امامهم الاعظم في العلم والصلاح فقال زكريا أنا أحق بهم لان خالتهما عندي
فقلت الاحبار لا تقل ذلك فانهم التزكت لاحق الناس بهم التزكت لامتها التي ولدتها فكانت تترع
عليها فكون عندهم من خرج سهمه وكانوا تسعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن وألقوا
فيه أقلامهم على أن من ثبت قلبه في الماء وصعد فهو أولى بهم فثبت قلب زكريا فأخذها وضماها
الى خالته أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه
لا يرقى اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجدها عذفا كهيئة
الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كما قال تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب)
أى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال أيضا للمسجد
محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا أن يرقى اليه بدرج (وجد عند هارزقا) قال الربيع بن
أنس كان زكريا اذا خرج يغلق عليهم اسبعة أبواب فاذا دخل عليها غرقتها وجد عند هارزقا كهيئة
الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فاذا وجد عند هارزقا (قال يا مريم أتى لك هذا)
أى من أين لك هذا الرزق الاتى في غير أوانه والابواب مغلقة عليك (قالت) وهى صغيرة (هو
من عند الله) يأتيه به من الجنة قبل تكلمت في المهد وهى صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو
صغير في المهد ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفي هذا دليل وأى دليل على
كرامة الاولياء وليس ذلك معجزة زكريا كما زعم جماعة لان ذلك مدفوع باشتباه الامر عليه حتى
قال لها أتى لك هذا ولو كان معجزة له لادعاهما وقطع بهما لان النبي شأنه ذلك ويدل عليها غير ذلك
كقصة أصحاب الكهف وابشهم في الكهف سنين عددا بلا طعام ولا شراب وقصة آصف من
اتبانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ورؤية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر
جيشه بنها وندحين قال ياسارية الجبل وسماع سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرب خالد
رضي الله عنه السم من غير أن يضره وبالجملة فكمرا مات الاولياء حق ثابتة بالكتاب والسنة

وليس يعجب الكارخان من أجل البدع والاهواء اذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوها به من
رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء فوق عواقي أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يمزقونهم
وبسومهم بالحيلة المتصوفة ولم يعرفوا ان مبنى هذا الامر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة
واقفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة وانما العجب من بعض فقههاء أهل السنة حيث قال فيمار روى
عن ابراهيم بن آدم أنهم رأوا بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم عكة ان من أئمة قد جاوز ذلك
يكفر والانصاف ماذا كره الامام التقي حين سئل عما يحكى أن الكعبة كانت تزور بعض الاولياء
هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة وروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم جامع في زمن خطبته فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها رغبين وبضعة
سلم في طبق مغلى أثره به فرجع بذلك اليها وقال صلى يابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فبهنت وعلت ان ذلك نزل من عند الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لك
هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام الحمد
لله الذي جعل شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين
وجميع أهل بيته فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانهم افهذه كرامة
لفاطمة رضى الله تعالى عنها وفي هذه الرواية دليل على ان قوله تعالى (ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب) أى رزقا واسعا بلا تبعته من كلام مريم رضى الله تعالى عنها ويحتمل أن يكون من كلام
الله تعالى ولما رأى زكريا كرامة مريم ومنزلها عند الله قال ان الذى قد رعى أن يأتي مريم
بالضاحية في غير حينها من غير سبب قادر على أن يصلح زوجتي ويهب لى وإداني غير حينه على
الكبر فطمع في الولد وذلك أن أعلى بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد شاح وأيس من الولد
قال الله عز وجل (هناك دعا زكريا ربه) أى في ذلك المكان أو الوقت قال الزمخشري قد
تسمعون هنا وهم وحيث الزمان أى لمشاهدة الزمان للمكان في الظرفية فاستعير له فدخل زكريا
المحراب ونابح ربه في جوف الليل (قال) يا رب هب لى أى اعطنى (من لدنك) أى من عندك
(ذرية طيبة) كما وهبها لحنه العجوز العاقر أى ولدا مباركا تقيما صالحا راضيا وذرية يكون
واحدا وجهاد كراوتى وهو هنا واحد ليل قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى وانما قال طيبة
لتأنيث لفظ الذرية (انك سمع) أى مجيب (الدعاء) لمن دعا فلا تردنى خائبا (فنادته الملائكة)
أى جنسهم كقولهم فلان يركب الخيل فان المنادى كان هو جبريل وحده وقرأ آية والكرسى
فناداه بالامانة والتذكير والباقون بالتاء (وهو قائم يصلى في المحراب) أى المسجد وذلك ان
زكريا كان هو الحبر الكبير الذى يقرب القرى ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم
في الدخول فينبأهم وهو قائم يصلى في المحراب والناس ينتظرون أن يؤذن لهم في الدخول فاذا هو
برجل شاب عليه ثياب بيض ففرع منه فناداه وهو جبريل وقرأ (ان الله يبشرك بيحيى)
ابن عامر وحمة بكسر الهمزة على ارادة القول أولان النداء نوع من القول والباقون
بالفتح على بأن وقرأ آية والكرسى بفتح اليا من يبشرك وسكون الباء الموحدة وضم الشين

مخففة والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين المشددة واختلفوا
 في أنه لم يسمي يحيى قال ابن عباس لأن الله أحياه عقر أمه وقال قتادة لأن الله أحيا قلبه بالإيمان
 وقيل لأن الله تعالى أحيا قلبه بالطاعة حتى أنه لم يهتم بعصية وهو اسم أعجمي منع صرفه للتعريف
 والجمعة كومي وعيسى وقيل عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل كينسي وجعه يحبون
 كوسون وعيسون (مصدقا بكلمة) كائنه (من الله) أي بعيسى أنه روح الله وسعى كلمة لأنه خلق
 بكلمة كن وقيل لأن الله أخبر الأنبياء بكلامه في كتابه أنه يخلق نبيا بلا أب فسماه بكلمة لحصول
 ذلك الوعد وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل
 يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهم الصلاة والسلام وقول البيضاوي وكان يحيى وعيسى ابني خالة
 من الأب فيه تجوز إذ يحيى ابن خالة أم عيسى لابن خالته وعيسى ابن بنت خالة يحيى لابن خالته
 (وسيدا) أي يسود قومه فيصير متبوعا وقال الفضالة السعيد الحسن الخلق وقال سعيد بن
 جبير السعيد الذي يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السعيد الفقيه العالم (وخصورا) أي مبالغا
 في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روى أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه للعب فقال
 ما للعب خلقت وقال سعيد بن المسيب المصور وهو المعسر الذي لا مال له فيكون المصور بعيسى
 المصور كانه ممنوع من النساء وقيل كان له مثل هبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون
 أغض لبصره وقيل هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين
 أحدهما أن الكلام خرج مخرج النناء وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء والثاني أنه أبعد من
 الحاق الآفة بالأنبياء (ونبيا) تاشئا (من الصالحين) لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كانوا من
 جملة الصالحين فن على هذا التبعيض كقوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين (قال رب أنى)
 أى كيف (يكون لى غلام) أى ابن (وقد بلغنى الكبر) أى أدركنى كبر السن وأثرى وكان عمره
 مائة وعشرين سنة وقيل تسعاً وتسعين سنة (وأمرأتى عاقراً) أى لا تلد من العقر وهو القطع لأنها
 ذات عقر من الأولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة (فان قيل) كيف قال زكريا بعدما وعده الله
 تعالى أن يكون له غلام أنى يكون لى غلام أكان شاكى وعد الله وفى قدرته (أجيب) بأنه قال
 ذلك استبعاداً من حيث العادة كما قالت مريم أو استعظاما ونجماً واستغفها ما عن كيفية حدوثه
 أى أتجعلنى وأمرأتى شاباً أو ترزقنا ولداً على الكبر منا أو ترزقنى امرأة أخرى وقيل إن زكريا
 لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس هو من الله إنما هو من
 الشيطان ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك فى سائر الأمور فقال ذلك دفعاً للوسوسة
 (قال) الأمر (كذلك) أى من خلق غلام منكماً (الله يفعل ما يشاء) لا يعجزه عنه شئ ولا يظهر
 هذه القدرة العظيمة ألهمه الله السؤال لإيجابها فلما تأقت نفسه إلى سرعة المنشئ به (قال رب
 اجعل لى آية) أى علامة أعرف بها حمل امرأتى لا تلقى النعمة إذا جاءت بالشكر (قال آيتك) عليه
 (أن لا تكلم الناس) أى تمنع من كلامهم (ثلاثة أيام) أى لبلى إليها كما فى سورة مريم ثلاث ليال
 (الأرض) أى إشارة يداً ورأس والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام حينئذ ما دل

على ما في الضمير وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة
 مع إبقاء قدرته على التكليم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح) أي وصل
 (بالعشي) وهو من حين نزول الشمس إلى أن تغيب (والابكار) وهو من طلوع الفجر إلى وقت
 الضحى (فان قيل) لم يحبس لسانه عن كلام الناس (أجيب) بأنه إنما فعل به ذلك لتخلص
 المدة المذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره فورا منه على قضاء حق تلك الذممة الجسمية
 وشكرها التي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك
أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مستقما من السؤال ومنزعا منه
وقال فتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له بسؤاله الآية بعدم مشافهة الملائكة أيام فلم يقدر
على الكلام ثلاثة أيام (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل قال لها شفاها
(يا مريم إن الله اصطفاك) أي اختارك بأن تقبل من أمك ولم يقبل قبلك أئى وفرغك للعبادة
واغنالك برزق الجنة عن الكسب وتكليمها لها شفاها كرامة لها وقيل كان معجزة لزكريا
وقيل كان ارهاصا أي تأسيسا لنبوته عيسى صلى الله عليه وسلم بطريق الخوارق قبل البعثة
كاظلال الغمام لبنيان صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بطريق الشأم وانما حل على هذا التأويل
لانهم ليست بنبيه على الاصح بل حكى البيضاوى الاجماع على انه تعالى لم ينبي امرأة لقوله تعالى
وما أرسلنا قبلك الا رجالا لكن نوزع في دعوى الاجماع لان الخلاف ثابت في نبوة نسوة
خصوصا مريم اذ القول بنبوتهما مشهور (وطهرتك) أي من ميسس الرجال ومما ليس تقدر
من النساء (واصطفاك) ثانيا (على نساء العالمين) بهدايتك وارسال الملائكة اليك وتخصيصك
بالكرامات السنية كالولاد من غير أب ولم يكن لاحد من النساء * (فائدة) * أفضل نساء العالمين
مريم كما في الآية اذ قيل بنوتهما ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة أمهما
ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون (فان قيل) روى الطبراني خبر نساء العالمين مريم بنت عمران ثم
خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون (أجيب) بأن
خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة (يا مريم اقنتي لربك) أي أطيعه
(واسجدى واركعى مع الراكعين) أي وصلى مع المصلين في الجماعة أو وانظمى نفسك
في جملة المصلين وكوفى معهم في عبادتهم ولا تكونى في عداد غيرهم (فان قيل) لم قدم السجود
على الركوع (أجيب) باحتمال أنه كان كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل
الركوع في الشرائع كلها أو للتنبية على أن الواو لا تقتضى الترتيب (ذلك) أي ما قصصناه عليك
يا محمد من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى (من أنباء الغيب نوحيه اليك) أي من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم) أي عندهم (اذ يلقون أقلامهم) في الماء أي سهاهم
التي طرحوها فيه وعلمها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة
اختاروها للقرعة تبركها بالعلموا (أيهم يكفل مريم) أي يحضنها ويربها فأى متعلق بمعدوف
كأعلم من التقدير (وما كنت لديهم اذ يمتصمون) في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته

من جهة الوحي (فان قيل) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم من غير شبهة وترك في استماع الانبياء من حفاظها وهو موهوم (أجيب) بأنه كان معلوما عندهم علماً يقيناً انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي مع علمهم بأنه لاسماع له ولا قراءة ومثل ذلك قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذا اجتمعوا أمرهم واذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أي يابن (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وانما خاطبها بنسبته اليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب اذ عادة الانبياء نسبتهم الى آبائهم لا الى أمهاتهم ونسبته اليها فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قيل) هذه ثلاثة أسماء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (أجيب) بأن الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقب المشرفة كالصديق والقاروق وأصله مسيحاً بالعبرانية ومعناه المبارك لقوله وجعلني مباركاً أينما كنت واشتقاقه من المسيح لانه مسح بالبركة أو بباطنه من الذنوب أو مسح الارض ولم يبق في موضع أولانه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن أو لان جبريل مسحه بمحاه حتى لم يكن للسمطان عليه سبيل أولانه كان مسح القدم لا أخص له وقال ابن عباس سمي مسيحاً لانه مامسح ذاعاها البرئ ويسمى الدجال مسيحاً لانه ممسوح احدى العينين وعيسى معرب يشوع وهو بالشين المججمة السيد قال البضاوي اشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حرة وهو تكلف لاطائل تحته وقوله تعالى (وجيهاً) أي اذا جاه حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لمكنها موصوفة (فان قيل) لم ذكر ضمير الكلمة (أجيب) بأن المسمى به اذكر (في الدنيا) أي بالنبوة والتقدم على الناس (و) في (الآخرة) بالشفاعاة والدرجات العلى (ومن المقررين) عند الله تعالى لعلو درجته في الجنة ورفعته الى السماء وصحبته للملائكة (ويكلم الناس في المهد) أي صغيراً قبل أن أوان الكلام كما ذكر في سورة مريم قال اني عبد الله آتاني الكتاب الانية وحكى عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحديثه فاذا شغلني عنه انسان سجع في بطني وأنا اسمع والمهد ما يهد للصبي من مضجعه وقوله تعالى (وكهلاً) عطف على في المهد أي ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء وقد رفع بعد كهولته وقيل انه رفع شاباً وعلى هذا المراد كهلاً بعد نزوله وذكر تعالى أحواله المختلفة المتساقفة ارشاداً الى أنه بعزل عن الألوهية (فان قيل) فافائدة البشارة بكلامه كهلاً والناس في ذلك سواء (أجيب) بأنه بشرها بأنه يبقى الى أن يسكهل وبعدم التفاوت بين الحالين كما مر وقوله تعالى (ومن الصالحين) أي من عباد الله الصالحين حال من كلمة أو من ضميرها الذي في يكلم (فان قيل) لم ختم الصفات المذكورة بقوله ومن الصالحين بعد كونه وجهاً في الدنيا وفسرت بالنبوة ولا شك أن النبوة أرفع من منصب الصلاح بل كل واحدة من الصفات المذكورة أشرف من كونه صالحاً (أجيب) بأنه لا يكون كذلك الا ويكون في جميع الافعال والتروك ومواظباً على المنهج الاصلح وذلك يتناول جميع

المقامات في الدين والدنيا في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح وإيذا قال نبي الله سليمان بن
 داود عليهما الصلاة والسلام بعد النبوة وأدخلني برحمتك في عبادة الصالحين فلما عتد صفات
 عيسى عليه الصلاة والسلام أردفها به هذا الوصف الدال على أرفع الدرجات (قالت رب) أي
 ياسيدي فقوله الله عز وجل وقيل قالته لجبريل قاله البغوي وقال الزمخشري ومن بدع التفسير
 ان قولها رب ندا لجبريل بمعنى ياسيدي (أني) أي كيف (يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)
 أي ولم يصبني رجل بتزوج ولا غيره قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن جرت العادة بأن يولد مولود بلا أب
 أو استقفا ما عني أن يكون بتزوج أو بغيره (قال الامر) كذلك من خلق ولد منك بلا أب (الله
 يخلق ما يشاء) القائل جبريل أو الله وجبريل حكى لها وقوله تعالى (إذا قضى أمرا) أي أراد كون
 شيئا (فإنما يقول له كن) صروقا (فيكون) ابن عامر بفتح النون والباقون بضمها أي فهو يكون لانه
 تعالى كما يقدر أن يخلق الاشياء مدرة جابا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك فنفتح
 جبريل في جيب درعها فخلعت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم وسيأتي ان شاء الله تعالى
 الكلام عليه هناك وقوله تعالى (ونعلمه الكتاب) أي الكتابة (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل
 (والتوراة والإنجيل) كلام مستأنف ذكر تطييبا لقلوبها وإزاحة لآلامها من خوف اللوم حين
 علمت أنها تلد من غير زوج وقيل المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
 وقرأ نافع وعاصم بالياء والباقون بالنون (و) فجعله (رسولا إلى بني إسرائيل) أما في الصبا وبعد
 البلوغ وتخصص بني إسرائيل لخصوص بعثه اليهم ولرد على من زعم انه مبعوث إلى غيرهم
 (فائدة) كان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى عليه الصلاة والسلام ولما
 بعث اليهم قال لهم اني رسول الله اليكم (أني) أي بأني (قد جئتكم بآية) أي علامة (من ربكم)
 تصدق قولي وانما قال بآية وقد أتى بآيات لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة
 * ولما قال ذلك لبني إسرائيل قالوا وما هي قال هي (أني) قرأ نافع وحده بكسر الهمزة على
 الاستئناف وفتح الياء من اني نافع وأبو عمر ووسكنها الباقون (أخلق) أي أصور (لكم من الطين
 كهية الطير) أي مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيرا والالكاف اسم مفعول
 وقرأ ورش بالمد على الياء من هية والتوسط كما تقدم في شيء (فأنفخ فيه) الضمير لئلكاف أي
 في ذلك المماثل للطير أي في فيه (فيكون طيرا بأذن الله) أي بأمره نبيه بذلك على أن احياه من الله
 تعالى لامنه وقرأ نافع بالفتح بعد الطاء بعد عا هزمة مكسورة ورقق ورش الراء على أصله والباقون
 بـسا سـا كنه بعد النطاء من غير ألف فقرأه الجميع نظرا إلى أنه خلق طيرا كثيرا وقرأه
 المفرد نظرا إلى أنه نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه أكل
 الطير خلقا لانه له أسنان ولان بني ثديا وتحيض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه
 فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليعتبر في فعل الخلق من فعل الله وليعلم ان الكمال لله عز وجل
 (وابرى) أي أشفى (الأكه) وهو الذي وادأعى أو ممسوح العينين قال الزمخشري ويقال لم
 يكن في هذه الامة أكه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير ولعل هذا على التفسير

الثاني (والابصر) وهو الذي به برص وهو يباحض شديد يقع الجلد ويذهب دمويه وانما
 خص هذين المرضين بالذكر لانهم اعمى الاطباء وكان الغالب في زمن عيسى الطب فأرأهم
 المعجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خسون
 أنفا من أطواقهم أن يبلغه أناه ومن لم يطق أناه عيسى وما كانت مداوانه الا بالداء وحده
 على شرط الايمان وانما حال ثانيا (وأحيى الموت باذن الله) وكثر باذن الله دفعوا لتوهم الالوهية
 فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس قد احيى عيسى أربعة أنفس عازر
 وابن الجوز وابنة العاشر وسام بن نوح عليه السلام فأما عازر فكان صديقه قاله فأرسلت أخته
 الى عيسى عليه السلام ان أهلك عازر عوت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأقى هو وأصحابه
 فوجدوه قدماء منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقى بنا الى قبره فأطلقت معهم الى قبره فدعا الله
 سبحانه وتعالى فقام وخرج من قبره وبقي وولده وأما ابن الجوز فقيه ميتا على عيسى يحمل على
 سرير فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل
 السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي وولده وأما ابنة العاشر فكان رجلا يأخذ العشور
 ماقت له بنت بالامس فدعا الله تعالى فأحيها فبقيت وولدها وأما سام بن نوح فان عيسى عليه
 السلام جاء الى قبره ودعا فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة وما كانوا
 بشيئون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة فقال لا والله قد دعوت الله تعالى فأحيى
 ثم قال له مت فقال بشرط أن يعيدنى الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل به ما
 قال (وأنبئكم) أى أخبركم بما ترون (وما تدخرون) أى تخبئون (في بيوتكم)
 حتى تأكلوه فكان يخبر الرجل بما كل الباردة وبما كل اليوم وبما أدخره للعشاء وقال
 السدى كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما تصنع آبائهم ويقول للغلام انطلق فقدأ كل
 أهلك كذا وكذا ورفوا لك كذا وكذا قال فيسطلق الصبي الى أهله ويكيه عليهم حتى يعطوه ذلك
 الشئ فيقولون من أخبرك بهم ذاقه يقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا
 الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا قال فما في هذا البيت قالوا خنازير
 قال عيسى كذلك يكونوا فقهون عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل فبهت به
 بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمته جلسته على حمار لها وخرجت هاوية الى مصر وقال قتادة انما هذا
 في المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالنمل والساوى وأمره وأن لا يخونوا ولا يخبؤوا
 لئلا تخافوا وخبوا فجعل عيسى يخبرهم بما كلوا من المائدة وأدخروا منها فسخنهم الله خنازير
 (ان في ذلك) الذى ذكرته لكم (لاية لكم ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين للحق غير معاندين وقوله
 تعالى (ومصدقاً) منصوب باضمار فعل يدل عليه قد جئتمكم أى وجئتمكم مصدقاً (لما بين يدي)
 أى قبلى (من التوراة ولا أحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيما في شريعة موسى عليه الصلاة
 والسلام فأحل لهم أكل الشحوم والثروب وهو شحم رقبتي يغشى الكرش والسمك ولحوم
 الابل والعمل في السبت وقيل أحل الجميع فبعض يعنى كل كقبول البيد

تزال أمكنة اذالم أرضها * أوبرتبط بعض النفوس حمامها

يعنى كل النفوس (فان قيل) كيف يكون مصداق التوراة والا حلال يدل على أن شرعه كان
 نامحاشا لشرع موسى (أجيب) بأنه لا تناقض كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عاميه
 بالتناقض والتحايز فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان وانما كرر (وجئتكم
 بآية من ربكم) للتأكيد وليبين عليه (فانقوا الله) أى في مخالفة أمره أى جئتكم بآية بعد
 أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابرام والاحياء والانباء بالحقيقت وبغيره من ولادى من
 غير آب ومن كلامى في المهد وغير ذلك فهى في الحقيقة آيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد
 في الدلالة على رسالته (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم شرع في
 الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال (ان الله ربي وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا
 القول لم يختلفوا فيه (فاعبدوه) أى لازموا طاعته التى هى الايمان بالاوامر والالتها عن
 المناهى (هذا) الذى دعوتكم اليه (صراط) أى طريق (مستقيم) أى هو المشهور ودله بالاستقامة
 روى الامام أحمد وغيره ان رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لأستل عنه أخذا
 بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم * ولما قال لهم ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به كما قال تعالى (فلما
 أحس عيسى) أى علم (منهم) علما لاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (الكفر قال من أنصاري)
 قرأ نافع بفتح الياء والباقون بالسككون أى اغواني وقوله (الى الله) متعلق بمحذوف حال
 من الباء أى من أنصاري ذاهبا الى الله تعالى ملتجيا اليه تعالى لا نصردينه وقيل الى هنا معنى مع
 أوفى أو اللام (قال الحواريون نحن أنصار الله) أى أعوان دينه واختلفوا في الحواريين فقال
 السدى لما بعث الله تعالى عيسى الى بنى اسرائيل كذبوه وأخرجوه فخرج هو وأمه يسحان
 في الارض فترلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان تلك المدينة جبارا متعددا
 ذلك الرجل يوما فتمأخذا فدخل منزله ومرم عند امرأته فقالت لهما مريم ما شأن زوجك أراه
 كنييا قالت لا تسئلي قالت اخبرني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا لدا كما يجعل على كل رجل
 منايوما أن يطعمه وبنوده ويسقيهم خرافا لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا
 سعة قالت فقولى له لاتهم فاني امرأتي فبدعوا له فبكى ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك قال
 عيسى ان فعلت ذلك وقع شرقي قالت فلا تبالي فانه قد أحسن البناؤا كرما قال عيسى قولى له
 اذا اقترب ذلك فأملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء
 القدور مرقا ولما اوماء الطواجي خمر المير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال
 من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال فان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي
 من أرض أخرى فلما خلط على الملك شد عليه قال فأنأ أخبرك عندى غلام لا يسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خرا فلما أحضره وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه ذات قبل
 ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله تعالى فجعل الماء خرا ليجاه اليه حتى يحيى
 ابنى فدعى بعيسى اليه فكلهمه في ذلك فقال عيسى لا أفعل فانه ان عاش وقع شرقي الملك لا عليك

قال عيسى ان احييته تتركى انا و ائى تذهب حيث تشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل ملكته قد عاش تباروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا ناموته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتلوا وذهب عيسى وأمه فترابا لحواريين وهم بصطادون السمك فقال ماتصنعون قالوا نصطاد السمك قالوا ومن أنت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فقالوا (أمنا) أى صدقنا (بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل اقومهم وعليهم (ربنا أمنا بما أنزلت) من الانجيل (وأتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالوحداية أومع النبيين الذين يشهدون لاتباعهم أومع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس وقال الحسن كانوا اقصارين سمو بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها على الاول سمو احواريين لبياض ثيابهم وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا اقصارين وصباغين فدعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال يا عيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج فى سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها بجمعة على اللون الذى يصبغ به فيجب أن تكون فارغاً منها عند قدومى وخروجى فطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الحواري ز الثياب كلها فى الحب فقال ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب فقال قم فانظري فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أبيض الى أن أخرجهما على الالوان التى أرادها فجعل الحواري يتعجب وعلم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فما من هو وأصحابه وهم الحواريون وقال الكلبى وعكرمة الحواريون الاصفياء وهم كانوا اصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحور وهو البياض الخالص وحوارى الرجل صفوته وخالصته وقبل للعضريات الحواريات خلوص ألوانهن ونظافتهن قال القائل

فقل للحواريات يكرين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النواج

قال الله تعالى (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر به وذلك أن عيسى عليه الصلاة والسلام بعد اخراج قومه اياه وأمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فموا بقتله وتواطوا على الفتك به ووكوا به من يقتله غيلة ونهى بالكسر أن يخدع غيره فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قله فذلك مكرهم اذ المكر من المخدع والخديعة والخيلة وأما من الخلق وهو قوله تعالى (ومكروا لله) أى بهم (والله خير الماكرين) أى أعلمهم به فقال الزجاج مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه فى مقابله كقوله تعالى الله يستخزى بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى بهم فى هذه الآية بأن ألقى شبهه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى قتل روى أن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساجر ابن الساحرة والفاعل ابن الداعلة فقد قوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم فعضهم الله خنازير فلما رأى ذلك

يهود اراس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا اليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل فأدخله في خوخة في سققتها كوة فرفعه الله تعالى الى السماء من تلك الكوة فأمر يهود اراس اليهود رجلا من أصحابه أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه فلما صلب جاءت أم عيسى وامرأة كان عيسى دهاها فأبرأها الله تعالى من الجنون يكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما على من تسكيان ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الاخير وان هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم فانه لم ييك عليك أحد بكاهها ولم يحزن حزنا ثم اجمع لك الحوارين فيهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله تعالى اليها فاشتعل حين أهبطوا ورجعت له الحوارين فيهم في الارض دعاة ثم رفعه الله تعالى اليه وذلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تحدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه الصلاة والسلام اليهم وروى ان الله تعالى أرسل اليه صحابة فرفعته فعاقت به أمه وبكت فقال لها ان القيامة تجعنا وكان ذلك ليلة القدر بيوت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وقالت أهل التواريخ جلت مريم بعيسى وله ثلاث عشرة سنة وولده لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله تعالى اليه على رأس ثلاثين سنة ورفع له من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين وقوله تعالى (اذ قال الله) ظرف خير الماكرين أولمكر الله أولمضمر مثل اذكر (يا عيسى اني متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه اني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لاقتلا بأيديهم أو قابضك من الارض من توفيت مالى أى قبضته أو متوفيك نائما كما قال تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل أى يميتكم اذ روى انه رفع نائما ومميتك عن الشهوات العاتقة عن العروج الى عالم الملكوت (ورافعلك الى) أى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى اذ روى ان الله تعالى رفعه وكساه الریش وألبسه النور ووقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكا سماويا أرضيا وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفع له وقال الضحاك ان فى الآية تقديما وتأخيرا معناه انى رافعلك الى (ومظهر لمن الذين كفروا) أى مخرجك من بينهم ومنجيهم منهم ومتوفيك بعد انزالك من السماء روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ليموشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم بيننا المال حتى لا يقبله أحد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشرية بيننا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفى حديث مسلم انه يمكث سبع سنين وفى حديث عند أبى داود والطحايسى أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فيجمل على أن مجموع لبته فى الارض قبل الرفع وبعده أربعون وقيل الحسين بن الفضل هل تعجز نزول

عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى ويحكم الناس في المهدي وكهلا وهو لم يتكهل في الدنيا وإنما
معناه كهلا بعد نزوله من السماء انتهى وهذا إنما يأتي على القول بأنه رفع شاباً وأما على القول
بأنه رفع بعد ثلاث وثلاثين فلا دليل فيه إذا الكهولة من الثلاثين إلى الأربعين (وجعل الذين
اتبعوك) أي صدقوا بقولك من النصاري ومن المسلمين لأنه متبعوه في أصل الاسلام وان
اختلفت الشرائع (فوق الذين كفروا) بك من اليهود والنصارى أي يعلمونهم بالحق والسيف
(إلى يوم القيامة) وقيل المراد بالذين اتبعوه النصاري والذين كفروا اليهود إذ لم تستمع غالبية اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وملك النصاري قائم إلى قريب من قيام الساعة وعلى هذا يكون
الاتباع بمعنى الادعاء في المحبة لا اتباع الدين (ثم إلى مرجعكم) الضمير لعيسى ومن آمن معه
ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين
ثم بين الحكم بقوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية
والذلة (و) أعذبهم في الآخرة بالنار (فان قيل) الحكم مرتب على الرجوع إلى الله تعالى
وذلك في القيامة فكيف يصح في تبينه العذاب في الدنيا (أجيب) بأن المقصود التأديب من غير
نظر إلى الدنيا والآخرة كما في قوله خالد بن زيد في مادامت السموات والأرض (وما لهم من نصيرين)
أي مانعين منه (وأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفى لهم أجورهم) أي أجور أعمالهم
وقرأ حفص بالياء والباقيون بالنون (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم
بالجميل وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ما سبق من خبر عيسى ومريم وامرأة عمران وهو مبتدأ
خبره (تأوه) أي نقصه (عليك) يا محمد وقوله تعالى (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ
محذوف أو حال من الهاء (والذكر الحكيم) أي القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه يوافق
بالحكمة لكثرة حكمه وقيل هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة يضاء ولما قال
وفد نجران للرسول صلى الله عليه وسلم مالك سبيت صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول انه عبد
قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلتمه ألقاهم إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل وأيت انسا نا
قط من غير أب نزل (ان مثل عيسى) أي شأنه وحالته الغريبة (عند الله كمثل آدم) أي كشأنه
في خلقه من غير أب وقوله تعالى (خلقهم) أي آدم (من تراب) جملة مفسرة لما شبه عيسى
بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان قيل) كيف شبه به
وقد وجد هو من غير أب وآدم بغير أب وأم (أجيب) بأن مثله في أحد الطرفين ولا يمنع
اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة متشارك في بعض الاوصاف ولأنه
شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهو ما في ذلك نظيران ولأن الوجود من
غير أب وأم أعرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبّه به الغريب بالأعرب ليكون أقطع
للغصم وأحسب لمادة شبهته إذا نظر فيها هو أعرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى
قال فخر قيل أولى لان عيسى أحيا أربعة أنفس وخر قيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ

الاكده والابرس قال فخرجيس اولى لانه طبع وأحرق ثم قام سالما ومعنى خلق آدم من تراب
 أى صور جسده من تراب (ثم قال له كن) أى أنشأه بشرا بأن نفخ فيه الروح كقوله تعالى ثم
 أنشأناه خلقا آخر وقوله تعالى (فيكون) حكاية حال ماضية أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من
 غير أب فكان ويجوز أن تكون ثم لتراخي الخبر لا لتراخي الخبر عنه وقوله تعالى (الحق من ربك)
 خبر مبتدأ محذوف أى أمر عيسى وقوله تعالى (فلا تكن من الممترين) أى الشاكين خطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا
 (فن حاجك) أى جادل من النصارى (فيه) أى عيسى (من بعدما جاءه من العلم) أى من
 البينات الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل) لهم (تعالوا) أى هاؤا بالراى والعزم
 (ندع) جزم فى جواب الامر وعلامة جزمه سقوط الواو (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
 وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وانما قدمهم على النفس لأن الرجل
 يحاط بنفسه لاجلهم ويحارب دونهم فيجمعهم (ثم ينهل) أى تنصرع فى الدعاء ونبالغ فيه
 (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) بأن نقول اللهم العن الكاذب بأمر عيسى فلما قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد فخران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
 فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلبعضهم بعض وقالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال
 والله لقد عرفت يا معشر النصارى أن تمجدانى ثم رسل واقعد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم
 والله ما باهل قوم نيا قاطعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم وأن نعلمتم انهم كنن فان أبيتم
 الا الإقامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
 الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محمضا للحمسين أخذوا بيد
 الحسن وفاطمة ثم شى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنها وهو صلى الله عليه وسلم لم يقول لهم
 اذا أنادعوت فأمنوا فقال أسقف نجران وهو اسم سريانى لرئيس النصارى وعالمهم وهو
 غير العاقب يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لزاله
 فلا تباهاوا فتملكوا ولا يبق على وجه الارض نصراى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا
 أن لا نباهلك وان نترك على دينك وثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
 أبيتم المباهلة فأسلوا يكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ثم تأبوا فقال انى أنابذكم فقالوا ما لنا
 بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخمفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى
 اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب نؤديه للمسلمين وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين
 فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بهما المسلمون ضامنون
 لها حتى يؤدوها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسى بيده ان
 العذاب تدلى على أهل نجران ولولا عنوا المسخو اقرده وخنازير ولا اضطرم عليهم الوادى نارا
 ولا ستم اصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى
 حتى هلكوا كلهم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه

مرط من جبل تمن شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
 اغتار يد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفي ذلك دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى
 فضل أهل الكساء رضي الله تعالى عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين * (فائدة) * وسعت لعنة هذا
 بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء (ان هذا)
 أي الذي قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص) أي الخبر (الحق) الذي لا شك فيه وقرأ
 قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء من لهو والباقون بالرفع حيث جاء وهو ما فصل
 بين اسم أن وخبرها وأما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبران (فان قيل) لم جاز دخول
 اللام على الفصل (أجيب) بأنه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أولى لأنه
 أقرب إلى المبتدأ وأصلها أن تدخل على المبتدأ (وما من الله الا الله) انما صرح فيه عن الزيادة
 لاستغراق تأكيد الرد على النصارى في تسليمهم (وأن الله لهو العزيز) في ملكه (الحكيم)
 في صنعه فلا أحديساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة فلا يشركه في الألوهية (فان تولوا)
 أي اعرضوا عن الايمان (فان الله عليم بالفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر
 ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
 النفس بل والى فساد العالم * ولما قدم وفد فخران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به
 وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 كلا الفريقين يرى من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه
 الاسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد الا أن تتخذ ربنا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت
 النصارى يا محمد ماتريد الا أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزيز بنزل (قل يا أهل الكتاب) وهو يعم
 أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة) العرب تسمى كل قصة لها شرح
 كلمة ومنها سميت القصيدة كلمة وقوله تعالى (سواء) مصدر بمعنى مستو أمرها لا تختلف فيها
 الرسل والكتب (بيننا وبينكم) هونعت الكلمة لان المصادر لا تنى ولا تجمع ولا تؤنث فاذا
 قصت السنين مدت واذا كسرت أوضحت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم فسر الكلمة بقوله
 (أن لا نعبد الا الله) أي نوحده بالعبادة ونخلص له فيها (ولا نشرك به شيئا) أي ولا نجعل غيره
 شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلا لان يعبد (ولا يتخذ به ضنا بعضا) أي بايمان دون الله
 أي ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدثوا من التبريم والتحليل
 لانهم بشر مثلنا روى الترمذي لما نزل قوله تعالى اتخذوا أhabارهم وربهانهم أربابا من دون
 الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
 فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك أي أخذكم بقولهم (فان تولوا) أي اعرضوا عن
 التوحيد (فقلوا) أنتم لهم (اشهدوا) أنا مسلمون أي موحدون دونكم فقد رمتكم الحجة
 فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك كما يؤول الغالب إلى غلب في جسدال أو صراع أو نحو ذلك

اعترف بأني الغالب وسلم لي الغلبة قال البيضاوي تنبسه انظر ما راعى أي الله سبحانه وتعالى
 في هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن التدرج في الجراح فينبأ أولاً أحوال عيسى وما
 تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح أي يزيل شبهتهم فلما رأى
 عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباحلة بنوع من الاعجاز ثم لما عرضوا عنها وانقادوا وبعض
 الانقياد عاد اليهم بالارشاد وسلك طريقاً أسهل والزم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى
 والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد أي ينفع ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والذنر
 لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون (يا أهل الكتاب) وقدم ترانه يعم اهل
 الكتابين اليهود والنصارى (لم تصاحون) أي تخاصمون (في ابراهيم) برهكم انه على دينكم
 (وما انزلت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الامن بعده) أي بمن طويل
 اذ كان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت
 اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تعقلون) بطلان قولكم حتى لا تجدوا
 مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم يا هؤلاء) هاللقبيبه وأنتم مبتدا خبره (حاججتم) أي جادلتم
 (فبما لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعم أنكم على دينهما (فلم تصاحون فيما ليس لكم به
 علم) من شأن ابراهيم وليس له ذكر في كتابكم (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وأنتم لاتعلمون) أي جاهلون
 به ثم قال تعالى تبرئة لابراهيم (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً) أي ما اتلا
 عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلماً) أي موحد امتقاد الله تعالى وليس المراد انه كان على
 دين الاسلام واللاشترك الا لزام لانهم يقولون له الاسلام حدثت بعد نزول القرآن على محمد
 صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم قبله بقية طويلة فكيف يكون على ملة الاسلام الحادثة بنزول
 القرآن فعلم أن المراد بكون ابراهيم مسلماً انه كان على ملة التوحيد لا على هذه الملة (وما كان
 من المشركين) كالم يكن منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لا شرا كههم عزيزا والمسيح
 (أن أولى الناس) أي أحقهم (بابراهيم) من أمته (الذين اتبعوه) من أمته (وهذا النبي) والذين
 آمنوا والله ولي المؤمنين أي ناصرهم وحافظهم ولما دعا اليهم ومعاذاً وحذيفة وعمار الى
 دينهم نزل (ودت) أي غنت (طائفة من أهل الكتاب لويضلونكم) عن دينكم ويردوكم الى
 الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم) أي أمثالهم أو أنتم اضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم
 فيه (وما يشعرون بذلك) يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطق به التوراة والانجيل
 ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) انها آيات الله عز وجل أو بالقرآن
 العزيز وأنتم تشهدون نعمته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون
 الحق) أي القرآن المستعمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) أي بالتخريف والتزوير
 (وتسكتون الحق) أي نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من
 أهل الكتاب) أي اليهود قالوا الجماعة منهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي أقرآن أي
 أظهر والإيمان به (وجه النهار) أي أوله وانما سمي أوله وجهاً لانه أحسنه ولانه أول ما يرى

بعد الليل (واكفروا) به (آخره لعلمهم) أي المؤمنين (يرجعون) غن دينهم اذارأوكم رجعتهم
واختلف في هذه الطائفة فقال الحسن والسدي هي اثنا عشر من يهود خيبر وقيل قريظة
نواطروا وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أو قولوا اننا نطرنافي كتبنا وشاورنا
علماء فافوجدنا محمد ليس بذلك فظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه واتهموه
وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به منافيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هم
كعب بن الاشرف ومالك بن الصبيح قال لا أصحابهم مما مات تحت القبة وشق ذلك على اليهود
آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى
قبلتهم آخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلمهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم ف يرجعون الى
قبلتنا (ولا تؤمنوا الا لمن تبع) أي وافق (دينكم) أي ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم أو لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم أولى وأهم فأطلع
الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم * (تنبيه) قال البغوي اللام في ان
صلة أي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى أن يكون ردف لكم أي ردوكم
(قل) يا محمد (ان الهدى هدى الله) الذي هو الاسلام وماعاده ضلال وقوله تعالى (أن يؤتى)
بمعنى الجحد أي ما يؤتى (أحد مثل ما أوتيت) يا أمة محمد (أو يحاجوكم) أي الا أن يجادلكم
اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله تعالى (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم
ذلك وهذا معنى قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل والحسن وهو حسن وقال الفراء ويجوز
أن تكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقل أي حتى يعطيك حقل ويكون معنى
الآية ما أعطى أحد مثل ما أوتيت يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم أي يوم
القيامة وقال مجاهد قوله قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل
بالكلام الأول اخبار عن قول اليهود بذهابهم لبعض أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيت من العلم والحكمة والكتاب والآيات من المن
والسوى وعلق البحر وغيرهما من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانكم أصبح ديننا
منهم وقرأ ابن كثير وحده بهمزة واحدة وقال الزمخشري ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من
الهدى وأن يؤتى أحد خبران على معنى قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيت أو يحاجوكم
حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حججكم قال ويجوز أن يتصب
أن يؤتى بفعل مضارع عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى
الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيت لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار
لان يؤتى أحد مثل ما أوتى قال تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) من عباده (والله
راسخ) أي كثير الفضل (عاجم) عن هؤلاء (يختص برحمته) أي بنوته (من يشاء والله ذو الفضل
لعظيم) ففي ذلك رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن أهل الكتاب من ان قامنه بقطار)
ي عمل كثير (يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش أغفاماتى أوقية

ذهباً فأداه اليه (وممنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفضاض بن عازوراء استودعه
 رجل آخر من قريش ديناراً فجذبه (الامادت عليه قائماً) أى الآن أودعته واسترجعته منه
 وأنت قائم على رأسه لم تفارق رده اليك وان فارقه وأخرته نكل ولم يرده وقيل المأمون على
 الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والناثنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم وقرأ حجة
 وأبو عمرو وشعبة يؤده ولا يؤده اليك باسكان الهاء فهو وصل بنية الوقف فهو وسكون وقف بالنية
 لا بالفعل وقالون يا ختبلاس حركة الهاء وحفص والكسائي بالحركة الكاملة والالف في قطار
 ودينار بالامالة لابي عمرو والدورى عن الكسائي وورش بين بين والباقون بالفتح (ذلك) أى
 ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (ليس علينا
 في الاقيمين) أى العرب (سبيل) أى اثم لاسم تحللهم ظلم من خالفهم ونسبوا ذلك الى الله تعالى
 قالوا لن يجعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل بقوله عز من قائل (ويقولون على
 الله الكذب) أى في نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وقال الحسن وابن جريج ومقاتل
 بايع اليهود رجلاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا اتقا ضوهم ببيعة أموالهم فقالوا ليس لكم
 علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانا قطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم
 وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم
 قال عند نزول هذه الآية كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي أى
 منسوخ متروك الا الامانة فانها مودة الى البر والعاجر أى والديون من الامانة لان المراد
 من الامانة الرضا بالذمة وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه أى بلى على اليهود في الاقيمين سبيل ثم ابتداء
 فقال (من أوفى بعهد) أى ولكن من أوفى بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة (وانتق) الله بترك المعاصي وفعل الطاعات
 (فان الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أى يحبه بمعنى يشبههم (فان قيل) فابن
 الضمير الراجع من الخبر الى من (أجيب) بأن عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير ونزل في
 أحبار من اليهود حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة وغيرهما
 وأخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشترون أى يستبدلون (بعهد الله) اليهم في الايمان للنبي
 صلى الله عليه وسلم والوفاء بأداء الامانة (وايمانهم) أى حلفهم به تعالى كاذباً من قولهم والله
 انؤمنن واننصرنه (ثمنا قليلاً) من الدنيا (أوئلك لا خلاق) أى لانصيب (لهم في الآخرة
 ولا يكاهم الله) أى بما يسترهم أو بشئ أصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة (ولا ينظر اليهم)
 أى ولا يرحمهم (يوم القيامة ولا يزيكهم) أى ولا يثني عليهم بالجميل ولا يظهرهم من الذنوب (ولهم
 عذاب أليم) أى مؤلم وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فخلف اقدارها بما لم يشترها به
 وقيل نزلت في جماعة من اليهود جاؤا الى كعب بن الاشرف في سنة أصابتههم عتارين فقال لهم
 اتعملون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان أمركم وأكسوكم فخرمكم الله خيراً
 كثيراً فقالوا لعله اشتبه علينا فرديد حتى تلقاه فانطلقوا فكثيراً ما صفة غير صفته ثم رجعوا اليه

وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعث الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
 كان يبنى وبين رجل خصومة في بئر وأرض فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 شاهدك أو عينه فقلت اذا اختلف ولا يالي فقال من حلف على عين يستحق بهاملا هو فيها فجر
 لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك هذه الآية وعن أبي ذر رضى الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا ينزلهم
 عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسرنا ومن
 هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره وعن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم
 عذاب اليم رجل حلف على عين على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف عينا بعد صلاة العصر
 أنه أعطى بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ما فأن الله تعالى يقول اليوم
 امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك (وان منهم) اى اهل الكتاب (لقرىقا) اى طائفة
 ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحبي بن اخطب (يلوون السننهم بالكتاب) اى يقتلونهم
 بقراءته عن المنزل الى ما حرقوه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال
 لوى لسانه عن كذا اى غيره (لنحسبه) اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون (من الكتاب)
 الذى انزل الله (وما هو من الكتاب) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح السين والباقون بكسرها وقوله
 تعالى (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأ كيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة
 تشنيع عليهم به ويان لانهم يزعمون ذلك تصر يحا لاتعريض اى ليس هو نازل من عنده (فان قيل)
 نفي الله تعالى ككون التحريف من عنده وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى
 والاماصح نفيه عنه تعالى (اجيب) بأن المثني هو الانزال كما تقر ولا كون التحريف غير
 مخلوق لله تعالى بكسب العبد وقوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأ كيد ايضا
 وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان) اى ما ينبغي
 (لبشر ان يؤتبه الله الكتاب والحكم) اى الفهم للشرعية (والنبوة) اى المنزلة الرفيعة بالانباء
 (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) فقال مقاتل والضحال نزلت في نصارى نجران كانوا
 يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه رباقا فقال تعالى ما كان لبشر اى عيسى ان يؤتبه الله الكتاب
 اى الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر اى محمد ان يؤتبه الله الكتاب اى القرآن وذلك
 ان ابا زافع القرظلى من اليهود والسيد من نصارى نجران قال لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 اتريد ان نعبدك وتتخذك رباقا فقال معاذ الله ان تأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى الله ولا بذلك
 امرنى فزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
 قال ما ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والبشر
 جميع بنى آدم لا واحدا من لفظه كالقوم ويوضع موضع الجمع والواحد (واكن) يقول
 (كونوا ربانيين) اى علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفخيما كما يقال رقباني

ولحماني وهو الشديد التمسك بدين الله تعالى وطاعته وقيل الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل بكاره وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصيرة لسياسة الناس وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال هو الذي يربي علمه بعمله وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اليوم مات رباني هذه الامة (بما كنتم تعملون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب كونكم تعملون الكتاب وبسبب كونكم تدرسون له فان فائدة التعليم والتمتع معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل فيكتفي بذلك دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكثر روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله كمثل من غرس شجرة حسنة توقعه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ويجوز أن يكون معناه تدرسون على الناس كقوله تعالى لتقرأه على الناس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين الله تعالى منقطع حبث لم يثبت النسبة اليه الا للمتسكين بطاعته وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر وبفتح التاء وسكون العين وفتح اللام مخففة والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة (ولا يأمركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بنصب الراء عطفا على يقول أي البشر والباقون برفع الراء على أنه استئناف أي الله (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى وقوله تعالى (أيأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر والله على الوجهين السابقين وقوله تعالى (بعد اذانهم مسلمون) دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون على أن يسجدوا له (و) اذكر (اذ) أي حين (أخذ الله المشاق النبيين) أي عهدهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام من لما فتكون متعلقة بأخذوا والباقون بالفتح على الابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ المشاق وما موصولة على الوجهين أي للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرأ نافع آتيناكم بالنون مفتوحة بعد الياء بعدها ألف والباقون بياء مضمومة (ثم جاءكم) تقدم أن حمزة وابن ذكوان يميلان الالف محضة والباقون بالفتح (رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم أي ان أدركتموه وأمهمهم تبع لهم في ذلك وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو سماهم نبيين تهكم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لان أهل كتاب والنبيون كانوا منا (قال) الله تعالى لهم (أأقررتكم) بذلك قرأ قالون وابوعمر وتسهيل الهمزة الثانية والفاء بينهما وبين الهمزة الاولى وابن كثير كذلك الا أنه لا يدخل الفاء بينهما ولورش وجهان احدهما كابن كثير والثاني انه يبدل الثانية حرف مد ولهشام في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما (واخذتم) أي قبلتم تقدم ان ابن كثير وحفصا يظهران الذال المعجمة عند التاء من اخذتم والباقون بالادغام (على ذلكم أصري) أي عهدى سمي به لانه مما يؤصرى يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقده (قالوا أقررتنا قال فاشهدوا) على أنفسكم واتباعكم بذلك (وأنام معكم

من الشاهدين) عليكم وعليهم وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
 وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فن تولى) أى أعرض (بعد ذلك) أى المساق
 والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) أى المتزددون من الكفرة روى أن أهل
 الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلا الفريقين برى عن دين ابراهيم فقالوا اما نرضى بقضائك ولا نأخذ ذنوبك فنزل (أفغير دين
 الله يبعون) وهذه الجملته معطوفة على الجملته المتقدمة وهى فأولئك هم الفاسقون والهمزة
 متوسطة بينهما لانكار ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره آية ولون فغير دين الله يبعون وقدم
 المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى معنى الهمزة متوجه
 الى المعبود الباطل فقرأ ابو عمرو وحفص بالياء على الغيبة والباقيون بالتاء على الخطاب على
 تقدير وقول لهم (وله سبحانه وتعالى (اسلم) أى خضع واقفاد (من فى السموات والارض طوعا)
 أى بالنظر فى الأدلة واتباع الحق والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف ومعانية ما يلجئ الى
 الاسلام كسحق الجبل على بنى اسرائيل وادراك العرق فرعون وقومه والاشراف على الموت
 لقوله تعالى فلما رأوا بأأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال الحسن اسلم اهل السموات طوعا وأهل
 الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقيل هذا يوم الميثاق حين قال
 ألسنت بربكم قالوا بلى فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا فنفعه والكافر
 كرها فى وقت البأس فلم ينفعه قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأأسنا واتصب طوعا
 وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) قرأ حفص بالياء على الغيبة
 والباقيون بالتاء على الخطاب (قل) لهم يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم
 واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أى أولاده (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم
 لا نفرق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه
 وعن تبعه بالايان فلذلك وحده الضمير فى قل وجعه فى آمنا وعليها لان القرآن كما هو منزل
 عليه منزل على متابعيه بتوسط تلميغه اليهم أو بأن يسلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوك اجلالا
 له (فان قيل) لم عدى أنزل فى هذه الآية بعلى وفيما تقدم من مثلها فى سورة البقرة بالى (أجيب)
 بأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فعدى تارة بالى لانه ينتهى الى الرسل وتارة بعلى لانه
 من فوق وما قيل من أنه انما خص ما هنا بعلى وما هناك بالى لان ما هنا خطاب للنبي وكان واصلا
 اليه من الملائكة على بلا واسطة بشرية فتناسب الايمان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب
 للامة وقد وصل اليهم بواسطة النبي الذى هو من البشر فتناسب الايمان بالى المختصة بالاتصال
 قال الرحمن شرى فيه تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله تعالى
 آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (فان قيل) لم قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل
 (أجيب) بأنه انما قدم لان المنزل عليه هو المعروف للمنزل على سائر الرسل ولانه أفضل الكتب

المتزلة (وتمن له مسلمون) أى موحدون مخلصون له في العبادة لا يجعل له شريكاً فيها ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار وهدم اثنا عشر رجلاً ارتدوا عن الاسلام وخربوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً منهم الحرث بن سويد الانصاري (ومن يتبع غير الاسلام ديناً) أى غير التوحيد والاعتقاد لحكم الله فهو مشتمل على الايمان بهـ هذا التقدير وديننا تميز بين الاسلام والدين يشتمل على التصديق والاعمال الصالحة فالاسلام كذلك لأن المميز لا يتخالف المميز وعلى هذا حمل الاسلام على الدين في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والدين هو الوضع الالهي السابق لكل خير (فان يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) اصابه الى النار المؤبدة عليه وقوله تعالى (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) لفظه استهزاء ومعناه جحداً لا يهديهم الله يعلم من تصميهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم (و) بعدما (شهدوا ان الرسول حق و) قد (جاءهم البينات) أى الحجج الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى الكافرين (أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافر يلعن من كفر الحق والمترد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه * (تنبيه) * دلت هذه الآية بمنطوقها على جواز لعن القوم المذكورين وبفهومها على نفي جواز لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا بعد ايمانهم قال البيضاوي واعل الفرق انهم أى هؤلاء مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يوسون عن الرحمة بخلاف غيرهم أى فلا يلعن الكافر الا على المعين حياً ولا ميتاً ما لا يعلم موته على الكفر وكالا صلى المرتد وأما لعن الكافر على العموم فيجوز (خالد بن قيس) أى اللعنة أو النار أو العقوبة المدلول باللعنة عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى يمهلون (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) علمهم تصديقاً لتوبتهم (فان الله غفور) لهم يقبل توبتهم (رحيم) بهم يفضل عليهم وذلك أن الحرث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار ندب فأرسل الى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ونزل في اليهود (ان الذين كفروا) بعيسى والانشييل (بعد ايمانهم) موسى والتوراة (ثم ازدادوا كفراً) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالاصرار والعناد والطعن فيه والصدع عن الايمان ونقض الميثاق (ان تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أى الثابتون على الضلال (فان قيل) قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فبما عني قوله تعالى ان تقبل توبتهم (أجيب) بأن محل القبول اذا كان قبل الغرغرة وهؤلاء توبتهم كانت بعدها وانهم لم يتوبوا أصلاً فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها أو ان توبتهم لا تكون الانفاً (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء) أى مقدار ما يؤموا من (الأرض) شرقها الى غربها (ذهباً) تغليظاً في شأنهم وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة (فان قيل) لم قال في الآية الاولى ان تقبل بغير فاء وفي هذه بقوله فلن يقبل بالقاء (أجيب)

بأن الفاء انما دخلت في خبر ان لشبهة الذين بالشروط وايدنا بتسبب امتناع القديبة على الموت
على الكفر بخلافه في الآية الاولى لادليل فيه على السبب كما تقول الذي جاءني لهدرهم لم يجعل
المجي سببا لاس- تحقاق الدرهم بخلاف قولك فله ذرهم ونصب ذهباً على التمييز كقولهم عشرون
درهم ما وقوله تعالى (ولو افاقدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية
ولو افاقدى بل الارض ذهباً ومعطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم بل الارض
ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افاقدى به من العذاب في الآخرة ويجوز أن يراد ولو افاقدى بمثله
كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا في الارض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف كثيراً في كلامهم
كقوله ضربته ضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله (أولئك لهم عذاب أليم) أي مؤلم
(وما لهم من ناصرين) أي مانعين عنهم العذاب ومن مريدة للاستغراق روى أنس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الارض
من شيء أكنت تفقدى به فيقول نعم فيقول أريدت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم
أن لا تشرك بي شيئاً فأيبت الآن تشرك بي (لن تنالوا البر) أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو
كمال الخير أولن تنالوا بر الله تعالى الذي هو الرحمة والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) من
أموالكم وأما غيرها وغيرها كبدل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والنفس
في سبيله وقال الحسن لن تكونوا أبراراً روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالصدق
فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقاً وما يكذب يهدي الى الكذب والكذب يهدي الى الفجور وان الفجور
يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وكان
السافرجهم الله اذا أحبوا شيئاً جعله الله روى لما نزلت هذه الآية جاء أبو طلحة فقال يا رسول
الله ان أحب أموالى الى يبرح وهو بفتح الباء الموحدة وكسرهما وفتح الراء وضمة ما مع المدة
والقصر ضبعة بالمدينة وكانت مسبعة قبله المسجود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحسب ذلك مال رايح أو قال رايح واني أرى أن تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة افعل
يا رسول الله ففهمها في أقراره قوله صلى الله عليه وسلم يحسب كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء
وتكرار المبالغة وهي مبنية على السكون فان وصلت كسرت وفوتت وربما شددت وقوله رايح
أو رايح يقال اضيعة الانسان مال رايح بالياء أي يروح نفعه اليه ورايح بالياء الموحدة أي ذور يروح
كقوله لابن وتامر أي ذولبن وذو غروب زيد بن حارثة بقرص له كان يحمله فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فكان زيداً وجد في نفسه وقال
انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان الله قد قبلها منك وكتب
عمر رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الأشعري أن يتساع له جارية من سبي جلولا يوم فحمت
مداثن كسرى فلما جاءت أعجبه فقال ان الله تعالى قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

فَاَعْتَقَهَا وَقَالَ لَوْلَا اَنْيُّ لَأَعُوذُ فِي نَبِيِّ جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ بَهِيمًا (وَمَا تَقْوَانِ مِنْ شَيْءٍ) أَيْ مِنْ أَيْ شَيْءٍ
 تَتَّبِعُونَهُ أَوْ غَيْرِهِ وَمِنْ بَيَانِ مَا (فَأَنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فَيُجَاوِزُكُمْ بِجَبِّهِ هـ وَلَمَّا قَاتَلَ إِلَهُهُ وَدَّرَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ زَعَمَ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ لَا يَأْكُلُ لَحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَائِغِهَا
 وَأَنْتَ تَأْكُلُهَا فَأَنْتَ أَتَى عَلَى مِلَّتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ كَانَ ذَلِكَ حَلَالًا لِإِبْرَاهِيمَ
 وَقَالُوا كُلُّ مَا تَحَرَّمَهُ الْيَوْمَ كَانَ حَرَامًا عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى انْتَهَى الْيَانِزِلُ (كُلِ الطَّعَامَ) أَيْ
 الْمَطْعُومَاتِ أَوْ كُلِ أَنْوَاعَ الطَّعَامِ (كَانَ حَلَالًا) أَيْ حَلَالًا أَكَلَهُ (ابْنُ إِسْرَائِيلَ) وَالْحَلْلُ مُصَدَّرٌ
 يَسْتَوِي فِي الْوَصْفِ بِهِ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوقُ وَالْمَقْرَدُ وَالْجَمْعُ قَالَ تَعَالَى لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
 (الْأَمْحَرُ إِسْرَائِيلَ) وَهُوَ يَعْقُوبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ التَّوْرَةُ) أَيْ
 لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا مِنْ حُرْمَةِ لَحُومِ الْإِبِلِ وَالْبَائِغِهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ بَلْ كَانَ الْكُلُّ حَلَالًا لَهُ وَلِبَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَانْمَاحَرَمَهَا إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ فَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ حُرْمَتُهَا وَاخْتَلَفُوا
 فِي الطَّعَامِ الَّذِي حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي سَبِيهِ فَقَالَ مَقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ كَانَ ذَلِكَ الطَّعَامُ لِحِمَانِ
 الْإِبِلِ وَالْبَائِغِهَا وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَضَ مَرْضًا شَدِيدًا وَطَالَ سَقَمُهُ فَتَذَرَّتْ عَافَاةُ اللَّهِ مِنْ سَقَمِهِ
 لِيَحْرَمَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِ فَحَرَّمَهُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ هِيَ
 الْعُرُوقُ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَكَى عَرَقَ النَّسَا وَهُوَ يَفْتَحُ النَّوْنَ وَالْقَصْرَ عَرَقَ يَخْرُجُ مِنَ الْوَرَلِ
 فَيَسْتَبْطِنُ الْفَخْذَ وَكَانَ أَصْلُ وَجَعِهِ أَنَّهُ كَانَ نَذْرًا وَهَبَهُ اللَّهُ اثْنَيْ عَشَرَ وَادًا وَأَتَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
 ضَجِيحًا أَنْ يَذْبَحَ آخَرَهُمْ فَنَاقَاهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ يَا يَعْقُوبُ أَنْكَ رَجُلٌ قَوِي فَهَلْ لَكَ فِي الْمَصْرَاعِ
 فَعَالِجُهُ فَلَمْ يَصْرَعْ وَاحِدًا مِنْهُمْ مَا صَاحِبُهُ فَعَغَزَ مَلَكٌ غَزْرَةً فَعَرَضَ لَهُ عَرَقَ النَّسَا ثُمَّ قَالَ لَهُ أَمَا لِي
 لَوْ شِئْتَ أَنْ أَصْرَعَكَ لَفَعَلْتَ وَلَكِنْ غَزَزْتُكَ هَذِهِ الْغَزْرَةُ لِأَنَّكَ كُنْتَ نَذَرْتَ أَنْ أَتَيْتَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ مِنْ
 ضَجِيحًا ذَبَحْتَ وَلَدًا لِتُجْعَلَ اللَّهُ لَكَ بِهِ هَذِهِ الْغَزْرَةُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجًا فَكَانَ لَا يَنَامُ بِاللَّيْلِ مِنَ الْوَجْعِ
 فَخَلَفَ يَعْقُوبُ لِنَّ عَافَاةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَأْكُلَ كُلَّ عَرَقٍ وَلَا طَعَامًا فِيهِ عَرَقٌ فَحَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ
 بَنُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَّبِعُونَ الْعُرُوقَ يَخْرُجُونَ مِنْ اللَّحْمِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا أَصَابَ يَعْقُوبُ عَرَقَ
 النَّسَا وَصَفَّ لَهُ الْأَطْبَاءُ أَنْ يَجْتَنِبَ لِحِمَانِ الْإِبِلِ فَحَرَّمَهَا يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي حَالِ
 هَذَا الطَّعَامِ الْحَرَّمِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ نَزُولِ التَّوْرَةِ فَقَالَ السَّيِّدِيُّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ
 مَا كَانُوا يَحْرُمُونَهُ قَبْلَ نَزُولِهَا وَقَالَ الْفَخَّاكُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَرَامًا عَلَيْهِمْ وَانْمَاحَرَمُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ اتِّبَاعًا لَابِيهِمْ ثُمَّ أَضَافُوا تَحْرِيمَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ تَعَالَى
 (قُلْ) لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ (فَأَتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاذْكُوهَا) لِيَتَبَيَّنَ صِدْقُ قَوْلِكُمْ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِيهِ فَهَيِّتُوا
 وَلَمْ يَأْتُوا بِهَا وَفِي أَخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا فِي التَّوْرَةِ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَنَ
 أَقْتَرَى) أَيْ ابْتَدَعَ (عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أَيْ ظَهَرَ بِالْجَلَّةِ بِأَنَّ التَّحْرِيمَ انْمَا كَانَ مِنْ
 جَهَةِ يَعْقُوبَ لَا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ (فَأَوَّلُكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أَيْ الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى (قُلْ) أَيْ لَهُمْ (صَدَقَ اللَّهُ) تَعْرِضُ بِكَذِبِهِمْ أَيْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ فِي هَذَا بِكَمِيعِ مَا أَخْبَرَهُ
 وَأَنْتُمْ الْكَاذِبُونَ (فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) أَيْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ مِلَّةُ

ابراهيم حتى تخلصوا من اليهودية التي وطنتمكم في فساد دينكم ودينكم حيث اضطررتكم
 الى تحريف كتاب الله تعالى لتسوية اغراضكم والتمسكم تحريم الطبيبات التي أحلها الله تعالى
 لابراهيم عليه السلام ومن تبعه (حقيقاً) أي ما لا عن كل دين الى دين الاسلام وقوله تعالى
 (وما كان من المشركين) فيه إشارة الى ان اتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجب في التوحيد
 الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الاقراط وهو تحريف التوراة وعن التفریط وهو ترك
 العمل وفيه إشارة الى التعريض بشرك اليهود ولما قالت اليهود للمسلمين بيت المقدس قبلتنا
 وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة أفضل نزل (ان أول
 بيت وضع للناس) أي جعله الله معبد لهم وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
 والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بألني عام وكان زبدية يضاء على وجه الماء فدحيت الارض
 تحتها بناء الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى وبينهما أربعون سنة كافي حديث
 الصحيحين ولما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طقنا قبلك بألني عام وقيل
 أول من بناه آدم فأنطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضع قبل آدم بيت يقال
 له الضراح بضاد مجمة وحامه ملة تسمى بذلك لانه ضريح من الارض أي بعدو يطوف به الملائكة
 فلما أهبط أمر بأن يحججه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة
 السموات قال اليساوى وهذا القول لا يلائم ظاهر الآية وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه
 قوم من جرهم ثم العمالة ثم قريش (للذي) أي للبيت الذي (بيكة) بالباء لغة في مكة سميت
 بذلك لانما تبتك أعناق الجبارة أي تدفها فلم يرمها جبار بسوء الاوقصه الله وسميت مكة بالميم
 لانه ماء من قول العرب مك القصيل ضرع أمه وامته ~~مكة~~ اذا امتص كل ما فيه من اللبن
 وتدعى أم رحم لان الرجة تنزل بها وقوله تعالى (مباركاً) حال من الذي أي ذا بركة لانه كثير
 الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده أو طاف حوله من الثواب وتكفير
 الذنوب (وهدي للعالمين) لانه قبلاتهم ومتعبدتهم ولأن فيه آيات عجيبة كما قال تعالى (فيه آيات
 بينات) كتحريف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار فلا تعلق فوقه وأن ضواري
 السباع تتخاطب الصيود في الحرم ولا تتعرض لها واذا قصدت الجارحة صيداً فدخلت الحرم
 كفت عنه وأنه بلد صار اليه الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار وان الصلاة فيه تضاعف
 مائة ألف وان كل جبار قصده بسوء قهره الله تعالى ~~كأصحاب القبيل~~ وجملة فيه آيات
 انات مفسرة لهدي أو حال كبار كاهدي وقوله تعالى (مقام ابراهيم) مبتدا حذف خبره أي منها
 قام ابراهيم أو خبر مبتدا محذوف أي احدها أو يدل من آيات يدل بعض من كل وهو الحجر الذي
 م عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان أثر قدميه فيه فاندريس من كثرة المسح بالأيدي
 فل الذي اندرس بعضه فاني رأيت أثر قدمين فيه وفي هذا دلالة على قدرة الله تعالى وقوة
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام لان تأثير القدم في الصخرة الصماء وغوصه فيها الى الكعبين
 لانه بعض الصخرة دون بعض وابقاء دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظه

مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين معجزة عظيمة واختلف
 في سبب هذا الاتر على قولين أحدهما أنه لما ارتفع بيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع
 الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وهذا هو المشهور والقول الثاني أنه لما جاز إبراهيم
 من الشام إلى مكة قالت له امرأة اسمعيل أنزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فخافته بهم هذا الحجر
 فوضعت على شقه اليمين فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حوّلته إلى شقه اليسر
 حتى غسلت الشق الأخر فبقي أثر قدميه عليه قال البيضاوي وقيل عطف بيان وردة هذا القول
 بأن آيات نكرة ومقام إبراهيم معرفة ولا يجوز الخالف في عطف البيان باجماع البصريين
 والكوفيين وقوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) جلة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث
 المعنى على مقام لأنه في معنى آمن من دخله أي ومنها آمن من دخله وذلك بدعوة إبراهيم عليه
 الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد آمناً وفي الاقتصار على ذكر هاتين الآيتين وطى ذكر
 غيرهما دلالة على تكرار الآيات كانه فيل فيه آيات يثبت مقام إبراهيم وأمن من دخله
 وكثير سواهما ونحوه في طى الذي ذكره جرير

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم * من العبيد وثلاث من مواليها

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
 والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم
 القيامة آمناً رواءاً بوداً ودالداً رقطي وغيرهما وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال الحجون
 والبقيع يؤخذ باطرافهم ما يشتران في الجنة والحجون مقبرة مكة والبقيع مقبرة المدينة وعند
 الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيره الم يتعرض له الا أنه
 لا يوقى ولا يطعم ولا يسترى ولا يابى حتى يضطر إلى الخروج فيقتل وكان عمر بن الخطاب يقول
 لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند الامام الشافعي رحمه الله تعالى
 لا يلجأ إلى الخروج بل يقتل للامر في خبر الشيخين يقتل ابن خطل وقد كان ارتد وتعلق باستار
 الكعبة وأما قوله ومن دخله كان آمناً وخبر من دخل المسجد فهو آمن فعداه جمع بين الأدلة أن
 من دخله بغير استحقاق قتل كان آمناً ومن دخله بعد استحقاق قتل قتل وأما إذا ارتكب الجريمة
 في الحرم فيستوفي منه بالاتفاق (ولله على الناس حج البيت) أي قصده للزيارة على وجه مخصوص
 وهو أحد أركان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن
 محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وقرأ حفص وجزء والكسائي
 بكسر الحاء وهي لغة نجد وقرأ الباقر بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وهما الغتان فصيحتان ومعناها
 واحد وقوله تعالى (من استطاع إليه) أي الحج أو البيت (سبيلاً) أي طريقاً بديل من الناس
 مخصص له وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواء الحاك وغيره (ومن
 كفر) أي بما فرضه الله من الحج أو كفر بالله (فإن الله غني عن العالمين) أي الانس والجن
 والملائكة وعن عبادتهم وقيل وضع كفر موضع لم يحج تأكيده الوجوبه وتشديد اعلى تاركه

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ملك زاد وراحله تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت
يهودياً أو نصرانياً أو أترماً يرضعوه في القلبيظ من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر
* (تبيينه) * في هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت أى انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج
عن عهده ومنها انه ذكر الناس ثم انه أبدل منه من استطاع اليه سبيلاً وفيه ضربان من
التوكيد أحدهما ان الأبدال تشنية للمراد وتكريره والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام
والتفصيل بعد الإجمال إيرادله في صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل على
المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وفيه من الدلالة على الاستغناء
عنه يبرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فأنهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج
فحجوا فآمنت به ملته واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وهم المشركون واليهود
والنصارى والصابئون والمجوس قالوا الا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحججه فنزل ومن كفر الخ
وعنه صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى
حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البرجانه وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حجوا هذا
البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لاتأكل منها دابة الا نفقت اى ماتت (قل يا أهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله) الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج
وغیره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وانهم وان زعموا أنهم
مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد) أى والحال ان الله تعالى شهيد
(على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أى تصرفون (عن سبيل الله)
أى دينه الحق بالمأمور بساؤله وهو الاسلام (من آمن) بتسكينكم النبي صلى الله عليه وسلم
وكنتمكم نعمته وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون في صدقهم عن دين الله ويمنعون من أراد الدخول
فيه جهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العداوة والحروب ليعودوا لئلا وانما كرهوا الخطاب والاستغناء بمباغعة التوبيع ونفي
العذر لهم وأشعاراً بأن كل واحد من الامرين مستقيم في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وقوله تعالى (تبغونها) أى السبيل (عوجاً) حال من الواو أى باغين طالعين لها اعوجاجاً أى
ميلان عن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس وتوهمو ان في دين الاسلام عوجاج عن الحق
بجمع النسخ وبغير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما * (فائدة) * قال أبو عبيدة العوج
بالكسر في الدين والقول والعمل وبالفتح في الجدار وكل شخص قائم (وأنتم شهداء) أى عالمون
بأن الدين المرصى هو دين الاسلام كفى بكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر

والله كذيب وانما يؤخركم لوقتكم فيجازيكم (فان قيل) لم ختم الآية الاولى بقوله تعالى والله
شاهد على ما تعملون وهذه الآية بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون (أجيب) بأنه لما كان
المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون
ولما كان في هذه الآية صدقهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفون ويحتالون فيه قال وما الله
بغافل عما تعملون ولما مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مسجد لهم يتحدثون فغاضه
ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا
اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعث وهو موضع بالمدينة
وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه
للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معهم من المهاجرين والانصار فقال أبدو عوى الجاهلية
وأنا بين أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألق به بينكم
فعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فآلقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين نزل (يا أيها الذين آمنوا ان طيعوا
فر يقامن الذين أوتوا الكتاب) أي شاسا وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قال جابر
ما رأيت يوما قط أقيع أولا وأحسن آخر امثل ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب
والنوبخ (وكيف تكفرون) أي ولم تكفرون (وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) محمد
صلى الله عليه وسلم والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المجز
تلى عليكم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينكم ويعظكم وينصح شهمكم (ومن يعصم بالله) أي ومن يتسل بدينه أو يلبج
اليه في مجامع أسوره (فقد هدى) أي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلا نا فقد أفلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصل ومعنى التوقع في قد ظاهر لان
المعصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصدا الكريم متوقع للفلاح عنده (الى صراط) أي طريق
(مستقيم) أي واضح (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي واجب تقوا وما يحق منها
وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود بان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروى مرفوعا لما رأت هذه الآية قالت الصنابة رضي الله تعالى عنهم
يا رسول الله من يقوى على هذا فسخ بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال مقاتل امس في آل
عمران منسوخ الا هذه الآية (ولا تخونن الا وانتم مسلمون) أي موحدون والمعنى لا تكونن على
حال سوى حالة الاسلام اذا أدرككم الموت فان الهوى عن المقيد بحال أو غير هاد قد توجه
بالذات الى القبيل تارة والى المقيد أخرى والى المجموع منها وهو هنا الى القيد كما تقول
ان نسمعين به على لقاء العدو ولا تأتني الا وانت على حصان بكسر الحاء فلا تنهيه عن الاتيان

ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الايمان فالتهي هئام توجه الى القيد
وحده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ الْآيَةَ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الرِّقْمِ قَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَامَرَتْ عَلَى أَهْلِ
الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ فَكَيْفَ بِنَ هُوَ طَعَامُهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ غَيْرُهُ (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ) أَيُ بَدِينَهُ وَهُوَ
دِينُ الْإِسْلَامِ اسْتَعَارَ لَهُ الْحَبْلَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِهِ سَبَبٌ لِلحِجَاةِ مِنَ الرَّدَى كَمَا أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْحَبْلِ
سَبَبٌ لِلْإِسْلَامِ مِنَ التَّرْدَى أَوْ بَكَابِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ
لَا تَنْقُضِي عِمَارَتَهُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ انْزَادٍ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ رُشِدَ وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ هُدًى
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (جَمِيعًا) حَالُ أَيُّ مَجْتَمَعٍ عَلَيْهِ (وَلَا تَفَرَّقُوا) أَيُ وَلَا تَفَرَّقُوا بَعْدَ
الْإِسْلَامِ بِوُقُوعِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ كَأَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ كَمَا كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ دَابِرِ بْنِ
يَعَادَى بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمِحَارِبُهُ (وَإِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَةَ اللَّهِ) أَيُ أَنْعَامَهُ (عَلَيْكُمْ) الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا الْهُدَايَةُ
وَالْتَوْفِيقُ لِلْإِسْلَامِ الْوَدَى إِلَى التَّائِبِ (إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَكُمْ الْإِخْوَانُ وَالْعَدَاوَاتُ
وَالْحُرُوبُ الْمُتَوَاصِلَةُ (فَأَلْفَبَيْنِ قُلُوبَكُمْ) بِالْإِسْلَامِ وَقَدْ فُيْهِ الْمَحَبَّةُ (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)
مُتَرَا جِينَ مُتَصَحِّحِينَ مَجْتَمَعِينَ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ وَقِيلَ لَهُمُ الْإِخْوَانُ وَالْخُرُوجُ كَانَا
أَخْوَيْنَ لَابٍ وَأَمْ فَوْقَتْ بَيْنَهُمَا الْعَدَاوَةُ بِسَبَبِ قُبُلِ وَطَوَاتِ الْحُرُوبِ وَالْعَدَاوَةُ بَيْنَهُمْ مَائَةٌ
وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ أَطْفَأَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ وَأَلْفَ بَيْنَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَى) أَيُ طَرَفِ (حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) أَيُ حُفْرَةٍ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا
كَفَّارًا (فَاتَّقِذْكُمْ مِنْهَا) بِالْإِسْلَامِ وَالضَّمِيرُ لِلْحُفْرَةِ وَالنَّارُ وَالشَّفَى وَأَشْهُ لَتَأْتِي مَا أَضِيفَ إِلَيْهِ
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ * كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ * (كَذَلِكَ) أَيُ مِثْلُ ذَلِكَ الْبَيَانُ الْبَلِيغُ
(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ) أَيُ دَلَالَتُهُ (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إِرَادَةُ أَنْ تَزِدَادُوا هُدًى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ)
أَيُ طَائِفَةٌ (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فَمِنْ التَّبَعِضِ لِأَنَّ الْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ فُرُوضِ الْكُفَايَاتِ وَلَا يَصْلُحُ لَهُ الْإِمْنُ عِلْمُ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ
وَعِلْمُ كَيْفٍ يَرْتَبُ الْأَمْرُ فِي أَقَامَتِهِ وَكَيْفٍ يَأْشُرُهُ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا نَهَى عَنْ مَعْرُوفٍ وَأَمَرَ بِمُنْكَرٍ
وَقَدْ غَلِظَ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الْغَلِظَةِ وَعَلَى هَذَا فَالْمُخَاطَبُ بِهِ الْكُلُّ عَلَى الْأَصَحِّ وَيَسْقُطُ
بِفَعْلِ الْبَعْضِ الْخُرُوجُ عَنِ الْبَاقِينَ وَهَكَذَا كُلُّ مَا هُوَ فَرْضُ كَفَايَةٍ فَإِنْ تَرَكُوهُ أَصْلَانِ وَأَجْمَعَا وَقِيلَ
مِنْ زَائِدَةٍ وَقِيلَ لِلتَّبَعِينَ بِعَيْنِي وَكُونُوا أُمَّةً تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (وَأُولَئِكَ) أَيُ الدَّاعُونَ الْآمُرُونَ النَّاسُونَ (هُمْ الْمُقْلِحُونَ) أَيُ
الْفَاتُرُونَ بِكُلِّ الْفَلَاحِ رَوَى الْأَمَامُ أَجَدُ وَغَيْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلُّ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ مِنْ خَيْرِ
النَّاسِ قَالَ أَمَرَهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُمْ هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاتَّقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَوْصَلَهُمُ لِلرَّحْمِ وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ
وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدُهُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي

سده لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر وأليه وشكن الله أن يعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال أيها الناس
انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فله غير وجه يوشك أن يرميهم الله
تعالى بعذابه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المداخن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء
على الذي في أعلاها فتأذوا به فأخذوا فأسفل فجعل يقرأ أسفل السفينة فأثوه فزالوا مالكا فقال
تأذيتهم بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وان تركوه أهل كوه
وأهلكوا أنفسهم وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم حقيقة الحمار أحب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفیان الثوري اذا كان الرجل محببا
في جيرانه مجودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا
فواجب وان كان مندوبا فندوب وأما النهي عن المنكر أي الامام فواجب كله لان جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح والاطهر ان العاصي يجب عليه أن ينهي عما يرتكبه لانه
يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط تركه أحدهما وجوب الآخر وعن السلف مر وبالنسب
وان لم تفعلوا وانما يجب الامر والنهي على المكلف اذا لم يخش ضررا ويجب ان يدفع بالأخف
فالأخف كدفع الصائل (فان قيل) الدعاء للخير عام في التكليف من الافعال والتروك فهو
شامل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فافائدة ذلك (أجيب) بأنه من عطف الخاص
على العام ايذا نافضه كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى (ولا تكونوا كالذين
تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات)
أي الآيات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه
الامة وهم المشبهة بالجبرية والحشوية وأشباههم وقوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم)
وعبد الذين تفرقوا وهم يدله تشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) هو يوم القيامة
ونصب يوم بالظرف وهو لهم لمافي من معنى الفعل أرباضا مراد كروا والبياض من النور
والسواد من الظلمة فن كان من أهل نور الحق وسيم بياض اللون واسفاره واشراقه وايضت
صحفته وأشرفت وسعى النور بين يديه وعينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسيم بسواد اللون
وكسوفه واسودت صحفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل وأذله (فأما الذين اسودت وجوههم) فهم الكافرون فيلقون
في النار ويقال لهم تو بخا (أ كفرتم بعد ايمانكم) واختلفوا في كيف كفروا بعد ايمانهم فقال
أبي بن كعب أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ألسن بربكم قالوا بلى يقول أ كفرتم بعد
ايمانكم يوم الميثاق وعلى هذا هم جميع الكفرة وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايان
بالاستنهم وأنكروا بقلوبهم وعن عكرمة انهم أهل الكتابين آمنوا بآياتهم وبمحمد صلى

الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به وقال قتادة هم أهل البدع وقال أبو أمامة هم
 الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دعت عيناه ثم قال كلاب أهل النار هؤلاء شر قتلى تحت
 أديم السماء وخير قتلى تحت أديم الأرض الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشئ تقول
 برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دعت عينك قال رجلة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا
 ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ يديه فقال إن بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله تعالى منهم وقوله
 تعالى (فذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم أو جزاء كفركم فالباء
 متعلقة بذوقوا على الأول وبمحذوف على الثاني (وأما الذين ابصت وجوههم في رحمة الله) أي
 جنته عبر عنهم بالرحمة تنبيه على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة
 إلا برحمة وفضله (فان قيل) كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم (أجيب) بأن القصد أن يكون
 مطلع الكلام ومقطعه حلقة المؤمنين وثوابهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (هم فيها خالدون)
 بعد قوله في رحمة الله (أجيب) بأن فائدته أنه أخرج مخرج الاستئناف والتأكيـد
 كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي هذه
 الآيات الواردة في الوعد والوعيد (آيات الله تلوهاعليك) يا محمد (بالحق) أي متلبسة بالحق
 والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلاما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه تعالى لأنه
 لا يجب عليه شيء بل هو المالك على الإطلاق كما قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض)
 ملكا وخلافة (والى الله ترجع) أي تصير (الأمور) فيجأزى كلابا وعدله وأوعده (كنتم) بأمة محمد
 صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى (خير أمة أخرجت) أي أظهرت (للناس) وقيل كنتم في الأمم
 قبلكم منذ كورين بأنكم خير أمة موصوفين به روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا وإن هذه
 الأمة توفى سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على
 أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على
 الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 أهل الجنة عشرون ومائة صف غافلون من هذه الأمة وقوله تعالى (تأمرهم بالمعروف وتنهون
 عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم
 بمصالحهم وأخبرنا أن كنتم وقوله تعالى (والمؤمنون بالله) يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب
 أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله (فان قيل) لم آخر تؤمنون بالله وحقه أن يقدم
 (أجيب) بأنه إنما أخر لانه قصد بدركه الدلالة على أنهم أمر وأبالمعروف ومنه وان المنكر إيمانا
 بالله تعالى وتصديقه وإظهار الدين به (تنبه) استدلال بهذه الآية على أن إجماع هذه الأمة
 حجة لأنها أمة نهي عن كل معروف ناهين عن كل منكر إذا إجماع فيها الاستغراق فلو
 أجمعوا على باطل كعريم شيء هو في نفس الأمر معروف كان أمرهم على خلاف ذلك (ولو آمن

أهل الكتاب) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (لكن) الايمان (خير الهم) محاسنهم عليه لانهم
 انما آثروا دينهم على دين الاسلام حباً للرياسة واستتباع العوام (منهم المؤمنون) كعبد الله بن
 سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) أى المتزددون في الكفر (ان يضروكم) أى اليهود يامعشر
 المسلمين بشئ (الآذى) أى ضرراً يسيراً كسب وطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك (وان يقاتلواكم
 يولواكم الاديبار) منزهين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم
 وفي هذا تثبيت ان أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بأنهم لا يقدر ان يتجاوزوا الاذى الى ضرر
 يبالى به مع أنه تعالى وعدهم الغلبة عليهم والاتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والدل (فان
 قيل) هاجم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون (أجيب) بأنه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
 الاخبار ابتداءً كأنه قيل ثم أخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجرمه في المعنى أنه
 لو جزم لكان في النصر مقيداً بما قلتم من كونه الاديبار وحين رفع كان في النصر وعداً مطلقاً
 كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم يخذلون منتف
 عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها يجتاح ولا يستقيم لهم أمر كما أخبر عن حال بني قريظة
 والنضير وغيرهم ودخيل (فان قيل) ما معنى التراخي في ثم (أجيب) بأن معناه التراخي في الرتبة
 لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليهم الاديبار (ضربت عليهم الدلة)
 أى هدر النفس والمال والاهل وأذل التمسك بالباطل والجزية (أيما تقفوا) أى حينما
 وجدوا فاعزلهم ولا اعتصام في سائر أحوالهم (الا) في حال اعتصامهم (بجبل من الله)
 أى بذمة الله وأكابه (وحبل من الناس) أى بذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل
 المؤمنين أى لا عزلهم قط الا هذه الواحدة وهي التجازعهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية ودين
 الاسلام (وبأوا) أى رجعوا (بغضب من الله) أى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة)
 كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير طاعين عنها ينظرون النقر والمسكنة
 وفسراً كثر المفسرين المسكنة بالجزية وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوي
 واليهود في غالب الامر فقراء مساكن اه (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والبؤس بالغضب
 كائن (بأنهم) أى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك)
 أى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم
 حمدود الله تعالى فان الاصرار على الصغار يفضي الى الكبار والاصرار على الكبار يفضي
 الى الكفر والعياذ بالله تعالى (ليسوا) أى أهل الكتاب (سواء) أى مستويين وقوله تعالى
 (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى مستقيمة ثابتة على الحق استئناف لبيان في الاستواء وهم
 الذين أسلوا كعبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عبد الله بن
 سلام قالت أخبار اليهود ما آمن به محمد إلا أشرارنا ولولا ذلك ماتت كوادين آبائهم فانزل الله
 هذه الآية (يتلون آيات الله) أى يقرؤون كتاب الله (آناه الليل) أى في ساعاته وقوله تعالى
 (وهم يسجدون) حال أى يصلون لأن التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا في معناها فقال

بعضهم هي قيام الليل وقال ابن مسعود هي صلاة العتمة لان أهل الكتاب لا يصلون لها روى أنه
 عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما انه أي
 الشأن ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله تعالى هذه الساعة غيركم رواه الامام أحمد والانسائي
 وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر ليس ومن أهل الاديان حال من أحد قاله التفتازاني ثم وصف
 الله تعالى تلك الامة القائمة بصفات أخر فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمنون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك) أي الموصوفون بعباذكر
 (من الصالحين) أي من صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناؤه أي والامة الاخرى
 غير قائمة بل مخرجون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون
 لليوم الآخر بغير صفته متباطئون عن الخيرات فترك هذه اكتفاء بذكر أحد الفريقين
 (وما تفعلوا من خير فإن تكفروه) أي تعدوا وثوابه بل تجازون عليه وقرأ حفص وحجة
 والانسائي بالياء فيهما أي الامة القائمة والباقيون بالناء على الخطأ أي أيها الامة القائمة
 وقوله تعالى (والله عليم بالمتقين) بشاره لهم واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان
 الفاز عند الله هو أهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغني) أي تدفع (عنهم أموالهم
 ولأولادهم من الله) أي من عذابه (شيئاً) وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع
 عن نفسه تارة ببغاء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها
 (هم فيها خالدون مثل) أي صفة (ما ينفقون) أي الكفار (في هذه الحياة الدنيا) في عداوة
 النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها (كمثل ربح فيها صر) قال أكثر المفسرين فيها برشد شديد وحكي
 عن ابن عباس أنها السهموم الحارة التي تقتل وقبل فيها صر أي صوت (أصاب حرت) أي زرع
 (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي (فأهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ
 والمعنى مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك زرع فلم يتفقهوا به فكذلك نفقة هؤلاء
 ذاهبة لا يفتقون بها (وما ظلمهم الله) بضياغ نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر الموجب
 لنفياعها ويجوز أن يعود الضمير لأصحاب الحشر الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله تعالى
 باهلاك حشرهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
 بطانة) أي أوصياء تطلعونهم على سركم ثقة بهم شبهوا ببطانة الثوب كاشهوا بالشعار قال عليه
 الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار رواه الشيخان والشعار ما يلي الجسد والدثار فوقه
 وقوله تعالى (من دونكم) أي من دون المسلمين متعلق بـ لا تتخذوا أو بمعذوف هو صفة بطانة أي
 كائنة من دونكم أي غيركم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالاً) أي لا يقصرون لكم
 في الفساد والاولو التقصير وأصله أن يعتدى بالحرف وعدى الى مفعولين بقولهم لا أولئك نصيباً
 على تعين معنى المنع أو التقصير والمعنى لا أمنعك نصوا ولا اتقصرك (ودوا) أي غنوا (ما غنم) أي
 غنمكم وهو شدة الضرر وما صدر به أي غنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وابلغهم
 (قد بدت) أي ظهرت (البغضاء من أفواههم) أي في كلامهم بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين

على سرهم لا يتالكون أنفسهم لفرط بغضهم وعن قتادة قد بدت البغضاء لا وليا لهم من المنافقين والكفا ولا اطلاع بعضهم بعضا على ذلك (وما تخفى صدورهم) من العداوة والغبط (أكبر) أي أعظم محابدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فلا تلوهم (فان قيل) كيف موقع هذه الجمل وهي لا يألونكم وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء وقد بينا لكم الآيات (أجيب) بأنهم استأنفت على وجه التعليل بمعنى ان كلاله للنهي عن اتخاذهم بطانة (ها أنتم أولاء) هاتيبه وأنتم كناية للعصاة الذين وأولاء اسم للمشار إليهم وهم المؤمنون وقوله تعالى (تحبونهم) أي هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباينتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم في الدين بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يدلون محبتهم لاهل البغضاء (وتؤمنون بالكتاب كله) أي بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم وفي هذا توخي شديد للمؤمنين بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحو هذا قوله تعالى فانهم يأملون كأنما لم ينجحون من الله ما لا يرجون (واذا لقوكم قالوا آمنا) أي نفاقا وتغري (واذا خلوا) أي خدلابهم ببعض (عضوا عليكم الانامل) أي أطراف الاصابع (من الغبط) أي شدة الغضب لما رآوا من اتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وأن لم يكن ثم عض فيوصف المغتاط والنادم بعض الانامل والبيان والابهام قال الحرث بن ظالم المري

فأقتل أقواما لنا ما أذلنا * يعضون من غبط رؤس الابهام

(قل موتوا بغيظكم) أي ابقوا الى الممات بغيظكم فلن تروا ما يسركم وقوله تعالى (ان الله عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب ومنه ما يفهمه هؤلاء يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تعجب من اطلاهي اياك على اسرارهم فاني عليم بالآخى من ضمائرهم (ان تنسبكم) أي تصيبكم أيها المؤمنون (حسنه) أي نعمة كنصر وغنية وخصب في معاشكم وتتابع الناس في دينكم (تسؤهم) أي تحزنهم (وان تصيبكم سيئة) أي اساءة كهزيمة وجذب واختلاف يكون بينكم (يفرحوا بها) وجملة النمرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون في عداوتكم فلم توالوهم فاجتنبوهم (فان قيل) كيف وصفت الحسنه بالمس والسيئة بالاصابة (أجيب) بأن المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (وان تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) الله في موالاتهم وغيرها (لا يضركم كيدهم شيئا) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين وهذا تعليم من الله تعالى وارشاد الى أنه يستمعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت ان تكيد من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره والباءون بضيم الضاد وضم الراء شدة الاتباع

كضمة مدهنى ضمة الامر المضاعف وكل مجزوم من المضاعف المضموم العين فانه يجوز ضمه
 لا تباع كما يجوز فتحه للخفة وكسر لاجل تحريك الساكن (ان الله بما تعملون محبط) أى عالم
 فيجازيكم به (و) اذكر يا محمد (اذ غدوت من أهلك) أى من حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها
 (توبى) أى تنزل (المؤمنين مقاعد) أى مراكز يقفون فيها (للقال والله سميع) (اقوالكم) (عليم)
 بأحوالكم وروى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أصحابه ودعا عبد الله بن ابى سلول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله وأكثروا
 الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منها
 ولا دخل علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فذهبهم فان أقاموا أقاموا وبشر محبس أى بكسر
 الباء وهو مكان لا ماء فيه ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
 والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا رأى وقال بعض أصحابه اخرج بنا الى هؤلاء الا كلاب لا يرون انا قد جئنا عنهم وضعفنا
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا مذبحه حولى فأولتها خيرا
 ورأيت فى ذباب سمي فى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كائى أدخلت يدي فى درع حصينة فأولتها
 المدينة فان رأيت ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدروا كرمهم الله
 بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزلوا به حتى دخل فلبس لأمته أى درعه فلما رآوه
 قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى بأبيه
 وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل نفرج
 يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث
 من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى أى بالعين المهملة وهى جانبه وجعل ظهره وعسكره
 الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس خمسين من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل
 وقال انضخوا علينا بالنبل لا يأتون من ورائنا ولا تبرحوا غيبتا وأنصرنا (اذ) بدل من اذ قبله
 (هت طائفتان منكم) بنوسلة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما جناحا العسكر
 (ان تفشلا) أى تجيئنا عن القتال وترجعوا روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى زهاء ألف رجل
 ووعدهم النصر ان صبروا وكان المشركون ثلاثة آلاف فلما بلغوا عند جبل أحد بالمدينة انعزل
 ابن أبى المنافق فى ثلثمائة وقال علام نقلت أنفسنا وأولادنا فبهم عمرو بن حزم الانصارى
 وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبى لؤى لعلم قتالا لا تبعنا كم فهم الحيمان باتباعه فبهم
 الله ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري والظاهر أنهم ما كانت الاهمة
 وحديث نفس وكما لا يتخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم ردها صاحبها الى الثبات والصبر
 ويوطنها على احتمال المكر وكما قال عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

(والله وليهما) أى ناصرهما فبالهما تفشلان (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) أى لينفقوا به دون

غيره فينصرهم كما نصرهم ييدر ونزل لما عزمو من أحد تذكرة لهم بنعمة الله تعالى (ولقد نصركم الله ييدر) وهو ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدر فسمى به وقوله تعالى (وأنتم أذلة) أي بقلته العدد والسلاح والمال حال من الضمير (فان قيل) قال الله تعالى وأنتم أذلة وقد قال تعالى والله العزة لرسوله وللمؤمنين (أجيب) بأنه بمعنى القلة وضعف الحال وقلة السلاح والمال كما مر فان نقص ذلك العز وهو القوة والغلبة روى أن المسلمين كانوا اثمناة وبضعة عشر رجلا ولم يكن فيهم الا فرس واحدوا كثرتهم كانوا رجالا ورجعا كان الجمع منهم يركبون جملا واحدا والكفار كانوا قريبا من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله) في الثبات وعدم المخالفة (اعلمكم تذكرون) أي يتقواكم نعمه التي أنعم بها عليكم من نصرته وقوله تعالى (اذتقول للمؤمنين) أي توعدكم تطمينا طرف لنصركم وقوله تعالى (أن يكفيكم أن يعتدكم) أي يعينكم (ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جئ ببلن اشعار بأنهم كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي والباقون يسكون النون وتخفيف الزاي وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد دلن أي بلى يكفيكم (فان قيل) قد قال تعالى في سورة الانفال اني محمداً بالكم بألف من الملائكة مردفين فكيف قال هنا ثلاثة آلاف (أجيب) بأنه مدهم أولا بألف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) أي على لقاء العدو (وتتقوا) الله في المخالفة (وبأنوكم) أي المشركون (من فورهم) أي من وقتهم (هذا) والقور العجالة والسرعة ومنه فارت القدرة اشتد غلبانهم واسارع ما فيها الى الخروج (يعدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة متوأمين) أي معلمين وقد صبروا واتقوا وأنجز الله وعده بأن قاتل معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمام صفراء وبيض أو سبلوها بيا كفافهم وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن النخعي معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذناها وعن مجاهد مجزوزة أذنان خيلهم قال أكثر المفسرين ان الملائكة لم تقابل في غير يوم بدر روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلائسهم ومغافرتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو والباقون بفتحها (وما جعله الله) أي الامداد (البشري) أي بشارة (لكم) أي بالنصر (ولتظمنن) أي ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة قلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى عدد الملائكة وانما أمدهم ووعدهم به بشارة لهم وربط على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب أكثر (العزير) الذي لا يغالب (الحكيم) الذي ينصرو ويخذل من يشاء بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة وقوله تعالى (ليقطع) متعلق بنصركم أي لهلاك (طرفا) أي طائفة (من الذين كفروا) بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسرى سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم

(أويكبتهم) أي يذلهم بالهزيمة والكتب شدة غيظ أو وهن يقع في القلب (فينقلبوا) أي فيرجعوا
 (خاسرين) أي لما يثا لواماراموه وألشويشع لالتريد* ونزل لما كسرت رابعيته صلى الله
 عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال كيف يفلح قوم شجوا وأرأس بينهم وكسروا رابعيته وهو
 يدعوهم (ليس لك من الأمر شيء) بل الأمر كله لله فاصبر أغماً أنت عبد مبعوث لا نذارهم
 ومحاهدتهم وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوم أحد اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وقال قوم
 نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القرابة بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر
 معونة في صفر سنة أربع من الهجرة هل رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن
 والعلم أميرهم المنذر بن عمر وقتلهم عامر بن الطويل فوجد عليهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وجداً شديداً وقت شهر في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل بالعن والسنين
 وقوله تعالى (أوتوب عليهم) أعطف على قولهم وأويكبتهم وليس لك من الأمر شيء
 اعتراض والمعنى إن الله تعالى مالك أمرهم فاماً أن يهلكهم أو ييكبتهم أو يتوب عليهم إن أسأوا
 أو يعذبهم إن أصروا (فأنهم ظالمون) بالكفر وقيل إن أوتوب عليهم بمعنى إلى أن يتوب عليهم
 (ولله ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وخلقاً فله الأمر كله والمقصود من هذا تأكيد
 ما ذكره أو لا من قوله ليس لك من الأمر شيء والمعنى إنما يكون ذلك لمن له الملك وليس هو لأحد إلا الله
 تعالى (فإن قيل) ظاهر ما ذكره على أن ذلك ورد للمنع من أمر كان صلى الله عليه وسلم يريد
 أن يفعله وذلك الفعل أن كان بأمر الله تعالى فكيف يمنعه منه وإن كان بغير أمره فكيف يصح
 مع قوله تعالى وما ينطق عن الهوى (أجيب) بأن ذلك كان من باب ترك الأفضل والأولى فلا
 جرم أرشده الله تعالى إلى اختيار الأولى نظيره قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
 ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله فكأنه تعالى قال أو لا أن كان ولا بد أن
 تعاقب ذلك الظالم فما كتف بالمثل ثم قال ثانياً وإن تركته كان ذلك أولى ثم أمره أمر اجاز ما تركه
 فقال واصبر وما صبرك إلا بالله (يفقر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه * ولما كان له
 فعل ذلك الآن جانب المغفرة والرحمة غالب لا على سبيل الوجوب بل على سبيل التفضل
 والاحسان قال (والله غفور) لا ولياً له (رحيم) به باده فلا تبادر بالدعاء عليهم * ولما شرخ سبحانه
 وتعالى عظيم نعمه على المؤمنين فيما يتعلق بأرشادهم إلى الأصلح في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك
 بما يدخل في الأمر والنهي والترغيب والتخدير فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أنضعافاً)
 وهو جمع ضعف * ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة أتبعه بما يدل على ذلك وهو الوصف بقوله
 (مضاعفة) بأن تزيد وفي المال عند حلول الأجل وتؤخره والطلب والخصيص بحسب الواقع
 إذ كان الرجل منهم يراي إلى أجل ثم يزيد في الدين زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ المطعيف
 مال المدينون والإفكار بأحرام بلا مضاعفة بل هو من الكثرة مطلقاً وقرأ ابن كثير وابن عامر
 بتشديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (واتقوا الله) بترك ما نهى الله عنه

(لعلمكم تفطنون) أى تفوزون ثم خوفهم فقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين)
 بالتحذير عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هذه أخوف آية فى القرآن
 حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه باجتناب محارمه وفى الآية تنبيه
 على ان النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترجون) لما ذكر
 الوعد أتبعه بالوعد بترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة على عادة تعالى المستمرة فى القرآن
 قال محمد بن اسحق بن يسار هذه الآية معاسة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 أمرهم بما أمرهم يوم أحد ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خيرا
 لهما ومن تأمل هذه الآيات وأما الهالم يتحدث نفسه بالا طماع الفارغة والتمنى على الله تعالى
 (وسارعوا) أى بادروا وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) أى الى ما تنصق به المغفرة كالاسلام
 والتوبة وأداء الفرائض والهجرة والجهاد والتكبير الاولى والاعمال الصالحات وقرأ نافع
 وابن عامر بغير وا وقبل السين والباقون بوا وقبلها (و) الى (جنة عرضها السموات
 والارض) أى عرضها كعرضهما كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وانما جعت
 السماء وأفردت الارض لانهما أنواع قيل بعض فضة وبعض غير ذلك والارض نوع واحد وذكر
 العرض للمبالغة فى وصف الجنة بالسعة لان العرض دون الطول كادل عليه قوله تعالى بعلائها
 من استبرق على أن الظاهرة أعظم يقول هذه صفقة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما
 وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على سبيل التمثيل لأنها كالسموات
 والارض لا غير بل معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله
 تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض أى عند ظنكم والافهم ازا ثلثان وعن ابن
 عباس الجنة كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وعنه أيضا ان لكل واحد
 من المطيعين جنة بهذه السعة وروى أن ناسا من اليهود سألو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا
 كانت الجنة عرضها ذلك فأين تكون النار فقال لهم أرايتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء
 النهار فأين يكون الليل فقالوا انه مثلها فى النور ومعه أنه حيث شاء الله وسئل أنس بن مالك
 عن الجنة فى السماء أم فى الارض فقال وأى أرض وسماء تسع الجنة قيل فأين هى قال فوق
 السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وأن
 جهنم تحت الارضين السبع (فان قيل) قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى
 وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها ما ذكر (أجيب) بأن باب الجنة
 فى السماء وعرضها كما أخبر تعالى (أعدت) هيئت (للمتقين) الله يعمل الطاعات وترك المعاصى وفى
 ذلك دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وقيل ان الجنة والنار يخلقان بعد قيام الساعة ثم وصف
 الله تعالى المتقين بصفت فقال (الذين ينفقون) أى فى طاعة الله (فى السر وألأضراء) أى
 فى العسر واليسر والاحوال كلها لان الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يخلو عن حال ما
 باتفاق ما قدر واعليه من قليل أو كثير كما يحكى عن بعض السلف أنه ربح ما صدق بصلته وعن

عائشه رضي الله تعالى عنها انها صدقت بحجة عمب فأول ما ذكر من أوصافهم الموجهة للجنة ذكر السجاء وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والنجيل بعيد من الله قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من العالم النجيل (والكاظمين الغيظ) أى المسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الخور شاء وروى من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قابسه أمناء و إيماناً و روى ليس الشديد بالصرعة لكنه الذى يلك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس) أى التاركين عقوبة من استحقها وما أخذته روى انه صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الامن عقاوعن ابن عينة أنه رواه الرشيد وقد غضب على رجل فغلاه و روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء فى أمتي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعاً وهو ظاهر وأن يكون متصلاً لما فى القلة من معنى العدم كأنه قيل ان هؤلاء فى أمتي لا يوجدون الامن عصم الله فانه يوجد فى أمتي وقوله تعالى (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون الام فيه للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وقوله تعالى (والذين اذا دعوا فاحشاً) أى ذنبا قبيحا كالزنا (أو ظلموا أنفسهم) أى بما دون الزنا كالقبلة وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكر والله) أى ذكرنا وعيده وأحكامه وأحقه العظيم (فاستغفر والذوبهم) بالندم والتوبة عطف على المقربين أو على الذين يتفقون واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن رباح فى أبي سعيد التمار أنه امرأة حسناء تبتاع منه تمر ا فقال لها ان هذا التمر ليس بحيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها ففعلت له اتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقال مقاتل والكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفى فى غزاة واستخلف الانصارى على أهله فاسترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة أن تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثرك الله فى الاخوان مثله ووصفته له الحال والانصارى يسبح فى الجبال تائباً مستغفراً فطلبه الثقيفى حتى وجده فأقْبى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً وقال الانصارى هلك وذكروا القصة فقال أبو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى ما لا يغار للمقيم ثم أتباعهم فقال عمر مثل ذلك ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالهما فأنزلت هذه الآية وقوله تعالى (ومن) أى لا احد (يستغفر الذنوب الا الله) استغفاهم بمعنى التنى معترض بين المعطوفين والمراد به ووصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعده بقبول

التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) أى ولم يقيموا على قبيح فعلهم بل أقبلوا عنه مستغفرين روى
 عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصرم استغفروا ن عادى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة
 مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من يصروا أى ولم يصروا
 على قبيح فعلهم عالمين به وقوله تعالى (أو تلك جزاؤهم مفعرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
 الأنهار) إشارة الى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ وأولئك خبره وقوله تعالى
 (مخالفين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها * (تنبيه) * لا يلزم من اعداد
 الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
 جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم فقول الزمخشري فى الكشاف وفى هذه الآيات بيان قاطع على
 أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين
 منهم دون المصرون ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه جارع على طريق الاعتزال من
 أن مرتكب الكبيرة اذا مات مصراً لا يدخل الجنة ونعوذ بالله من ذلك بل كل من مات على
 الاسلام يدخل الجنة وهو تحت المشيئة ان شاء الله عذبه وان شاء عفا عنه وقوله تعالى (ونعم أجر
 العاملين) المخصوص فيه بالمح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك أى المغفرة والجنات
 روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن أذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم
 يستغفر الله الاغفر الله له وروى أى عبد أذنب ذنباً فقال يارب أذنب ذنباً فاغفرلى فقال ربه
 علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به فانفقر له فبكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر فقال
 يارب أذنب ذنباً آخر فاغفرلى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به قد غفرت له
 فلم يعمل ما شاء أى ويستغفر فأغفر له وروى أنه تبارك وتعالى قال يا ابن آدم انك ما دعوتنى
 ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ابن آدم انك ان تلقى بقراب الارض خطايا لقيت
 بقرابها مغفرة بعد أن لا تشركنى بشيأ ابن آدم انك ان تذب ذنباً حتى يبلغ ذنبك عنان السماء
 ثم تستغفرنى أغفر لك وروى أن الله تبارك وتعالى قال من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب
 غفرت له ولا أبالى ما لم يشركنى بشيأ قال ثابت البناني بلغنى أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية
 والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام
 ما أقل حياء من يطمع فى جنى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من يخلف بطاعتى وعن
 شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من
 الغرور وارتجاء الرحمة بمن لا يطاع بحق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة
 جاوزوا الصراط بغيرى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية
 انها كانت تقصد

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس
 ونزل فى هزيمة أحد (قد خلت) أى مضت (من قبلكم سنن) جمع سنة وهى الطريقة التى يكون
 عليها الانسان ولازمها ومنه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى قد مضت من قبلكم

طرائق في الكفار بامهالهم ثم أخذهم (فسيروا) أيها المؤمنون (في الارض فانظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (الْمَكْذِبِينَ) الرسل من الهالكين فلا تحزنوا الغلبة لهم فأنأتمهم لوقتهم (هذا) أي القرآن (بيان للناس) عاقبة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة (ولا تهنوا) أي تضعفوا عن قتال الكفار بما لكم من القتل والجراح يوم أحد (ولا تحزنوا) على ما أصابكم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعة وعشرون رجلا (وأنتم الاعلون) أي وحالككم أنكم أعلى شأنهم فأنكم على الحق وقاتلكم الله وقتلكم في الجنة وأنهم على الباطل وقتلهم الشيطان وقتلهم في النار ولأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أوهي بشارته لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الاعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالتهنئتين بمعنى لانهنوا ان صح ايمانكم على أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بالله تعالى وقوله المبالة بأعدائه أو متعلق بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويشركم به من الغلبة (ان يمسسكم قرح) جهدم من جرح ونحوه يوم أحد (فقد مس القوم) الكفار (قرح مثله) يوم بدر ثم انهم لم يضعفوا ولم ينجنوا فأنتم أولى أن لا تضعفوا فأنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسلمين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بضم كاف قرح في الموضعين والباقون بالفتح وهما الغنائم بمعنى وقال الفراء القرح بالفتح الجرح وبالضم ألمه (وتلك الايام) تلك مبتدأ والايام صفة وقوله تعالى (ندأولها) خبره ويصح أن تلك الايام مبتدأ وخبر كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام أوقات الظفر والغلبة أي نصرتها (بين الناس) قال البغوي فيه وما عليهم ويومالمهم قال في الكشف كقوله وهو من آيات الكتاب

فيوما علينا ويومالنا * ويومانساء ويومانسر

تقديره فيوما يكون الامر علينا أي بالاضرار ويومالنا أي بالنفع فيكون يومنا ظرفا ملائما لقوله ويومانساء ويومانسر قاله الشيخ سعد الدين أي أدب تارة للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدب تارة للكافرين على المسلمين وهو يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين روى انه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله ابن جبير على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسة رجال فقال ان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزموهم قال فأنأولنا الله وآيت النساء يشددن قد بدت خلاخلهن وسوقهن رافعت ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمة الغنمة فانتظرون فقال عبد الله ابن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنا تين الناس فلنصيب من الغنمة فلما ألأوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهم زمين فذلك اذ يدعوهم الرسول في اخرهم فلم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فأصابوا مناسيبين وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيرا وسبعين

قتلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه
 ثم قال أفي القوم ابن أبي خضاعة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع
 إلى أصحابه وهو يقول أما هؤلاء فقد قتلوا فإمّا لك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله أن
 الذين عددت لأحباءكم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم يوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون
 في القوم منلة ثم أخذ يترجم * اعل هبل اعل هبل * فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاتحيبوه
 فقالوا يا رسول الله ما تقول قال قولوا لله أعلى وأجل قال * ان لنا العزى ولا عزى لكم * فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم الاتحيبوه فقالوا يا رسول الله ما تقول فقال قولوا لله ولا ناولا مولى لكم
 وفي حديث ابن عباس قال أبو سفيان يوم يوم وان الأيام دول والحرب سجال فقال عمر
 رضي الله تعالى عنه لا سواء قتلا نافي الجنة وقتلاكم في النار وانما كانت الدولة يوم أحد لكفار
 على المسلمين لخالفهم لا مرسول الله صلى الله عليه وسلم (وليعلم الله الذين آمنوا) أى أخلصوا
 إيمانهم من غيرهم (فان قيل) ظاهر هذه الآية ان الله تعالى انما فعل تلك المداولة ليكتسب هذا
 العلم وذلك في حقه تعالى محال ونظيره هذا الاشكال قوله تعالى أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما
 يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله تعالى ولقد قتلنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
 وليعلمن الكاذبين وقوله لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا وقوله وللباثونكم حتى نعلم الجاهدين
 منكم وقوله الانعلم من يتبع الرسول وقوله ليسواكم أيكم أحسن عملا فظاهر هذه الآيات يدل
 على أنه تعالى انما صار عالما بحدوث هذه الاشياء عند حدوثها وأجاب المتكلمون عنها بأن
 الدلائل العقلية دلت على انه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت أن التغير في العلم محال الآن
 اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور محجاز مشهور يقال هذا علم فلان والمراد
 معلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره فكل آية يشعر بظاهرها بتجدد العلم فالمراد بتجدد المعلوم
 واذا عرف هذا فهذه الآية محتملة لوجوه أحدها يظهر المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر
 وثانيها يعلم أولياء الله وأضاف الى نفسه تفخيما وثالثها ليحكم بالامتياز فأوقع العلم مكان
 الحكم بالامتياز لأن الحكم لا يحصل الا بعد العلم ورابعها يعلم ذلك واقعا كما كان يعلم أنه سيقع
 لان الجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد (ويتخذ منكم شهداء) أى ويكرم ناسا
 منكم بالشهادة وهم المستشهدون يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم
 القيامة بما وجد منهم من النيات والصبر على الشدائد كما قال تعالى لتسكنوا شهداء على الناس
 وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) قال ابن عباس أى المشركين كقوله تعالى ان الشرك لظلم
 عظيم وهو اعتراض بين بعض التعاليل وبعض وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين
 على الحقيقة وانما يظهرهم احسانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليعص الله الذين آمنوا)
 أى ليظهرهم من الذنوب بما أصابهم (ويعق) أى يهلك (الكافرين) أى ان كانت الدولة على
 المؤمنين فلا تميز والاستشهاد والتعصيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وان كانت على الكافرين
 فلمعقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة مقدرة بيل ومعنى الهمزة فيها الانكار أى بل (حسبتم)

أن تدخلوا الجنة وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) في الشهادته وقد مر معنى يعلم * (تبسيه) * قال البيضاوي والفرق بين ما يعلم ولم أن في الماتوق الفعل فيما يستقبل لكن قال أبو حيان لأعلم أحد من الكافرين ذكره بل ذكروا أنك إذا قلت لما يخرج زيد دل ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصل بغيره إلى وقت الأخبار وأما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا تنهي لكن قال القراء لما التعريض الوجود بخلاف لم (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف إحدى التاءين في الأصل أي تمنون (الموت) أي الحرب فانهم آمن أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا وبدروا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لئلا لو ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحد على الخروج (من قبل أن تلقوه) أي تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتوه) أي الحرب أو الموت حتى قتل دونكم من قتل من اخوانكم (وأنتم تنظرون) أي بصرا تأملون الحال كيف هم فلم انهم زمتم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجبها إلا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه إلا المستولى على الأمر في الكمال وأكرم الله تعالى نبيه وصفه صلى الله عليه وسلم باسمين مشتهرين من اسمه جل وعلا محمد وأحمد وفيه يقول حسان بن ثابت

وشق له من اسمه ليحمله * فذوالعرش محمود وهذا محمد

وقوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لا يرتداهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه صلى الله عليه وسلم بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به (فان قيل) قوله تعالى أفان مات أو قتل شك وهو على الله محال (أجيب) بأن المراد أنه سواء وقع هذا أو ذلك فلا تأثير له في ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس وأصحاب المغازي لما رأى خالد بن الوليد الرماة يوم أحد اشتغلوا بالغنية ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين ثم جل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلهم ورحى عبد الله بن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرت أنفه ورباعيته وشبهه في وجهه فأنفذه وفترق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة ليعلموها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع جلوس تحتها طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقع هند والنسوة معها أي ثمان بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعدن الأذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلادة وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد حزة فلا كتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قتيبة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذهب مصعب بن عمير وهو صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقتله ابن قتيبة وهو يرى أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فربح وقال اني قتلت محمد أو صاح صارخ ألا ان محمد أقد قتل فقيس ان ذلك الصارخ كان إبليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى عباد الله إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فمحوه حتى كشفوا عنه المشركين ورحى سعد

ابن أبي وقاص حتى اندقت سبعة قوسه ومثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كآتته فقال ارم
 قد انه أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسريومئذ قوسين أو ثلاثا فكان الرجل
 يمر ومعه جعبته من النبل فيقول انثرها لاني طلحة وكان اذ ارمى يشرف النبي صلى الله عليه وسلم
 فينظر الى موضع نبله وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فيستوفي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصابت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فرداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مكانه أفعادت كآ حسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف
 الجحشي وهو يقول لانجوت لانجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل من منافق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو حتى اذا دامنه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلقها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دامنه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث
 ابن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فندسه عن فرسه وهو يخور كما يخور
 الشور وهو يقول قتلني محمد واحمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة
 بريئة ومضرت لقتلتهم أليس قال لي أقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى
 مات بموضع يقال له سرف قال ابن عباس اشتد غضب الله علي من قتله بني واشتد غضب الله علي
 من رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفشا في الناس أن محمد ا قد قتل فقال بعض المسلمين
 ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا
 بأيديهم وقال اناس من أهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بأيديكم الا قول فقال أنس
 ابن مالك بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحياة
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ اليك مما
 جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
 الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال
 عرفت عينيه تحت المغفر تره ان فساديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن أمسك فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا بني الله فدينا لبا بآئنا وأمهاتنا أنا بالخبر أنك قد قتلت
 فرعبت قلوبنا فوالله ما مدبرين فانزل الله تعالى هذه الآية (فان قيل) انه تعالى بين في آيات كثيرة انه
 عليه الصلاة والسلام لا يقتل فقال انك ميت وانهم ميتون وقال والله يعصمك من الناس وقال
 ليظهره على الدين كله واذا علم أنه لا يقتل فلم قال أوقل (أجيب) بأن هذا ورد على سبيل الاثام
 فان موسى عليه الصلاة والسلام مات ولم ترجع أتمته عن دينه والنصارى زعموا أن عيسى عليه
 الصلاة والسلام قتل ولم يرجعوا عن دينه فكذا جهنما (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
 شيئا) بارئ داه وانما يضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه

كائنوا ضرا به (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله) أي بقضائه ومشيئته وبإذنه للملك
 الموت في قبضه روحه وقوله تعالى (كتاباً مصدراً أي كتب الله ذلك (مؤجلاً) أي مؤقتاً لا يتقدم
 ولا يتأخر فلم انهمزتم والهزعة لا تدفع الموت والنيات لا يقطع الحياة * ونزل في الذين تركوا المركز
 يوم أحد طلب الغنمة (ومن يرد) أي بعمله (ثواب الدنيا ثوبه منها) ما شاء الله ما قدرناه له كما قال
 تعالى من كان يريد العاجلة جعلناه فيها ما نشاء لمن يزيد وفي الذين بقوا مع أميرهم عبد الله بن جبير
 حتى قتلوا (ومن يرد) أي بعمله (ثواب الآخرة ثوبه منها) أي من ثوابها (وسنجزي الشاكرين)
 أي الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت
 نيته طلب الآخرة جعل الله غناؤه في قلبه وجعل له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته
 طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشئت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له وقال صلى
 الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
 فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يترجوها فهجرته الى
 ما هاجر اليه وقوله تعالى (وكافين) أصله أي دخلت الكاف عليهم اقصارت مركبة من كاف
 التشبيه ومن أي وحدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ومثلها
 في التركيب وافهم التكثير كذا في قوله هم عندى كذا كذا درهم ما وصله كاف التشبيه
 وذال الذي هو اسم اشارة فلما ركبنا حدث فيهما معنى التكثير فكلم الخبرية وكافين وكذا كذا ما
 واحد والنون تنوين في المعنى أثبت في الخط على غير قياس قال البغوي لم يقع للتنوين صورة
 في الخط الا في هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بألف بعد الكاف بعد هاء همزة مكسورة
 والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف أبو عمرو على الياء والباقون على
 النون وسهل حزة الهـ همزة وحققها البااقون وقوله تعالى (من نجى) تمييز لسكان لانهم مثل كم
 الخبرية وقوله تعالى (قتل) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمر وبضم القاف وكسر التاء ولألف بين
 القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى (معه) خبر
 مبتدؤه (ربون) وهم جمع رب وهو العالم المتقى منسوب الى الرب وانما كسرت راءه تغيباً
 في النسب وقيل لاتغير فيه وهو منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقوله تعالى (كثير)
 صفة لربيون وان كان بلفظ الافراد لان معناه جمع (فما وهنوا) أي ضعفوا (لما أصابهم في سبيل
 الله) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) أي
 خضعوا والعدوهم كما فعلتم حين قتل نبيكم (والله يحب الصابرين) على الشدائد فيتمتعهم ويعظم
 أجرهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكونهم ربانيين (الآن قالوا ربنا
 اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا) أي تجاؤنا والحد وقولهم (في أمرنا) ائذان بان ما أصابهم لسوء فعلهم
 وهضم انفسهم (ونبت أقدامنا) أي بالقوة على الجهاد (وانصبرنا على القوم الكافرين) أي
 فها لا قاتم وفعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (فانتاهم الله ثواب الدنيا) أي بالنصر
 والغنمة والعز وحسن الذكر (وحسن ثواب الآخرة) أي بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها

بالحسن اشعاراً بفضلِه وانه المعتد به عند الله (والله يحب المحسنين) أى فيكثر لهم الثواب
 (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وقال
 على يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم
 ولو كان محمد نبياً لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أى الى الكفر (فقتلوا خامسین) الدنيا
 والاخرة أما خسران الدنيا فلا تنشق الاشياء على العقلاء فى الدنيا الا انقياداً الى العدو
 واطهار الحاجة اليه وأما خسران الاخرة فالخسران عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب
 الخلد (بل الله مولاكم) أى ناصركم وحافظكم على دينكم (وهو خير الناصرين) فاستغوا به
 عن ولاية غيره ونصره (سنلقى) أى سنقذف (فى قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخوف وذلك
 أن الكفار لما هزموا المسلمین فى أحد أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وقروا منهم من غير
 سبب حتى روى أن أباسقيان صعدا الجبل ونادى يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
 عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى مكة فلما كانوا فى بعض
 الطريق ندموا وقالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
 نستأصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى
 بضم العين والباقون بالسكون (بما أشركوا) أى بسبب اشراكهم (بالله ما ينزل به سلطاناً) أى
 حجة على عبادته وهو الاصلام وهذا كقوله * ولا ترى الضب بها ينحجر * أى ليس بها ضب فلا ينحجر
 فكذلك هؤلاء ليس لهم حجة أصلاً وأصل السلطنة القوة ومنه السلط لقوة اشتعاله والسلطة
 بجدة اللسان (وما أوهام النار وبئس مئوى) أى مأوى (الظالمين) أى الكافرين هى (ولقد
 صدقكم الله وعده) قال محمد بن سعد القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه الى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا
 وقد وعدنا الله النصر فأمر الله هذه الآية لأن النصر كان للمسلمين فى الابتداء كما قال تعالى
 (اذتخسونهم) أى تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان
 وعاصم باظهار الازد عند النار والباقون بالادغام (بأذنه) أى بأمره (حتى اذا فاشتم) أى
 جبنتم عن القتال (وتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بالمقام فى سفح الجبل للرعى حين انهمز المشركون فقال بعضهم نذهب فقد نصر أصحابنا وقال
 آخرون لا تتخافوا أمر النبي فأتبوا مكانكم فنبت عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة
 ونصر الباقيون للنبي وهو المعنى بقوله تعالى وعصيتكم أى أمر النبي وتركتم المراكز اطاب الغنيمة
 (من بعد ما أراكم) أى الله (ما تحبون) من الظفر والغنيمة وانهمزوا العدو وجواب اذا محذوف
 دل عليه ما قبله أى منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم وذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد اخلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
 الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل
 المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقيون يضربونهم بالسيف حتى انهمزوا

والمساون على آثارهم ثم اشتغل بعضهم بالغنمة كما قال تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون مع عبد الله بن جبر حتى قتلوا (فان قيل) فإذا كان البعض هو الخائف فكيف جاء العتاب عاما بقوله وعصيتكم (أجيب) بأن اللفظ وان كان عاما فقد جاء المخصص بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى (ثم صرفكم) أي ردتكم بالهزيمة (عنهم) أي الكفار عطف على ما قبله والجملة من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقيل عطف على جواب إذا المقدر (ليتياكم) أي ليعتصمكم فيظهر الخاص من غيره (ولقد عفا عنكم) ما ارتكبتموه من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وميلكم إلى الغنمة تفضلا منه تعالى (فان قيل) إن ظاهر الآية يدل على أن الذنب من الصغار لصحة العفو عنه من غير توبة لقيام الدليل على أن أصحاب الكبراء لم يتوبوا لم يكونوا من أهل العفو والمغفرة (أجيب) بأن هذا الذنب لاشك أنه كبير لأنهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانتهزام المسايين فلا بد من اضرار توبتهم (والله) أي المتفضل المنعم (ذو فضل على المؤمنين) أي يفضل عليهم بالعفو وفي الأحوال كلها سواء أ جعلت الدولة لهم أم عليهم إذا ابتلاء أيضا رجحة وقوله تعالى (اذ) العامل فيها مضمرة أي اذ كراذ (تصعدون) أي تصعدون في الأرض هاربين (ولا تلونون) أي تعرجون (على أحد) أي لا يقف أحد لا - ولا ينظره (والرسول يدعوكم) أي يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكرهه الجنة (في آخركم) أي من ورائكم (فأنا بكم) أي جازاكم (غما) بالهزيمة (بغتم) أي بسبب غمكم الرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفا على غم فوت الغنمة والغموم كانت هناك كثرة أحدها غمهم بما نالهم من العدو في النفس والأموال وثانيها غمهم بما وقع منهم من المعصية وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ورابعها غمهم بسبب التوبة التي صارت واجبة عليهم لأنهم إذا تابوا عن تلك المعصية لم تتم توبتهم الا بترك الهزيمة والعود إلى المحاربة بعد الانتهاء وذلك من أشق الأشياء لأن الإنسان بعد انتهزامه يضعف قلبه ويجب أن يحرص بالمعاودة فان فعل خاف القتل وان لم يفعل خاف عقاب الآخرة وخامسها غمهم حين سمعوا أن محمدا قد قتل وسادسها غمهم حين أشرف عليهم خالد بن الوليد بجيش المشركين وسابعها غمهم حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ عو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجلهم في قوسه وأراد أن يرميه فقال أنارسل الله ففرحوا حين وجدوه وفرح صلى الله عليه وسلم حين رأى من يستع به فأقبلوا على المشركين يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بآب الشعب فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يملكون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاة لا تعبد في الأرض ثم بدت أصحابه فرمواهم بالحجارة حتى أنزلوهم وإذا عزت ذلك فلا يضر اختلاف المفسرين فان بعضهم

أمرين أما للاعتماد على الواو الحال وقد عده بعضهم مسوقاً وإن كان الاكثر لم يذكره وأنشد
سرينا ونجيم قد أضاع ذنبدا * محبلاً أخفى ضوءه كل شارق
وأما لأن الموضوع موضع تفصيل فإن المعنى طائفة وطائفة لم يغشاهم فهو كقوله
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول
وقوله تعالى (يظنون بالله غير الحق) أى أن لا ينصر الله محمد أصفه أخرى لطائفة وغير الحق
نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الحق الذى يحق أن يظن به (ظن) أى كظن
(الجاهلية) حيث اعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل أو لا ينصره وقوله تعالى (يقولون)
أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون (هل لنا) أى ما لنا لفظه استفهام ومعناه
يحمد (من الامر) أى النصر الذى وعدناه (من شئ) أى شئ ومن صله زيدت لتأكيده وهو أما
مبتدأ خبره لنا وأما فاعل لنا لاعتماده على الاستفهام ومن الامر حال من المبتدأ أو الفاعل
وهو شئ ليكون مرفوعاً حقيقة لا مجروراً وقيل ان عبد الله بن أبي بن سلول لما سأره النبي صلى
الله عليه وسلم في هذه الواقعة أشار إليه بان لا يخرج من المدينة ثم ان بعض الصحابة ألحوا على
النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخرج اليهم فغضب ابن أبي من ذلك فقال عصافى وأطاع الولدان
ثم لما كثر القتل في بني الخزرج ورجع ابن أبي فقبل له قتل بنو الخزرج فقال هل لنا من
الامر من شئ يعنى أن يحمدا لم يقبل قولى حين أمرته بأن لا يخرج من المدينة والمعنى
هل لنا أمر يطاع فهو واستفهام على سبيل الإنكار (قل) لهم يا محمد (ان الامر كله لله)
أى الغلبة الحقيقية لله ولا ولياً له فان خرب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وقرأ أبو عمرو ورفع اللام بعد اله كاف على أنه مبتدأ والخبر لله والباقون بالنصب على أنه
توكيد (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق الله تعالى بقضائه وقدره لأن
المناقضين قالوا لو أن محمداً قبل منا رأياً ونصحننا لما وقع في هذه المحنة فأجابهم الله تعالى بأن الامر
كله لله وهذا انما ينتظم اذا كانت أفعال العباد بقضائه وقدره اذ لو كانت خارجة عن مشيئته
لم يكن هذا الجواب رافعا للشبهة المنة اذ يقين وقوله تعالى (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون) أى
يظهرون (لك) حال من ضمير يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال أى
يقولون مظهرين انهم مستترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والالكاذب وقوله تعالى
(يقولون) بيان لما قبله (لو كان لنا من الامر شئ) أى كما وعد محمد وزعم أن الامر كله لله
ولا ولياً له ولو كان الاختيار اليه لم يخرج كما كان رأى ابن أبي وغيره (ما قبلنا ههنا) أى لما
غابنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة (قل) لهم (لو كنتم في يوتكم) وفيكم من كتب الله
تعالى عليه القتل (لبرز) أى خرج (الذين كتب) أى قضى (عليهم القتل) منكم (الى مصابحهم)
أى مصارعهم فبقتلوا ولم ينجمهم تعودهم لان قضاء الله تعالى كائن لا محالة فانه قدر الامور وبرها
في سابق قضائه لا معقب لحكمه وقرأ أبو عمرو وخفف وورث بضم الباء في يوتكم والباقون
بالكسر وقوله تعالى (وليبتلى) أى ليختبر (الله ما في صدوركم) أى قلوبكم من الاخلاص والانفاق

عليه فعل محذوف تقديره فرض الله عليكم القتال ولم ينصكم يوم أحد ليتلى وقيل معطوف على
 عليه محذوفة تقديره ليقضي الله أمره وليتلى وقوله تعالى (وليمحص مافي قلوبكم) فيه وجهان
 أحدهما أن هذه الواقعة تخرج مافي قلوبكم من الوسواس والشبهات وتظهرها والثاني أنها
 تصير كفارة لذنوبكم فيمحصكم من نبتات المعاصي والسيئات (فان قيل) قد سبق ذكر الابتلاء
 في قوله تعالى ثم صرفكم عنهم لينبت لكم فلم أعاده (أجيب) بأنه أعيد ما لظول الكلام بينهما
 وأما لأن الابتلاء الأقل هزيمة للمؤمنين والابتلاء الثاني بسائر الأحوال (والله عليم بذات
 الصدور) أي بما في القلوب قبل اظهارها وفيه وعد ووعد وتنبية على أنه تعالى غنى عن
 الابتلاء وانما يتلى ليظهر للناس حال المؤمنين من حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم) عن
 القتال (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهمز أكثر المسلمين
 ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي
 وطه وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (انما استزلهم الشيطان) أي طلب منهم الزلل
 بوسوسته (ببعض ما كسبوا) من الذنوب بتزلزلك المركز والحرص على الغلبة ومخالفة النبي صلى
 الله عليه وسلم فأطاعوه فنعوا انما يدرقوة القلب حتى تولوا (ولقد عفى الله عنهم) لتوبتهم
 واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبته المذنب كي يتوب (يا أيها الذين
 آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي المنافقين وهم ابن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم)
 أي في شأنهم ومعنى اخواتهم اتفاقهم في النفاق والكفر وقيل في النسب (اذا ضربوا في
 الارض) أي سافروا فيها للتجارة أو غير ما كانوا (أو كانوا غزا) أي غزاة جمع غازفتلوا (لو كانوا
 عندنا ما ماتوا وما قتلوا) أي لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول في عاقبة أمرهم (حسرة
 في قلوبهم) أي لانهم اذا ألقوا تلك الشبهة على المؤمنين لم يلقوها اليهم فيضيع سعيهم ويضل
 كيدهم فتحصل الحسرة في قلوبهم وقيل ان اجتهدهم في تكثير الشبهات والقاء الضلالات
 يعمى قلوبهم فيقعون عند ذلك في الحسرة والخيبة وضيق الصدر وهو المراد بقوله تعالى ومن
 يرأ أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (فان قيل) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (أجيب)
 بأن ذلك على حكاية الحال الماضية قال التقنا زاني معناه أنك تقدر نفسك كأنك موجود
 في ذلك الزمان الماضي أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولك قالوا ذلك حين
 يضربون والمعنى حين ضربوا الا أنك جئت بلفظ المضارع استحضار الصورة ضربهم
 في الارض وقوله تعالى (والله يحيي ويميت) ردتقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات
 لا الإقامة والسفر فانه تعالى قديم حي المسافر والمغازي ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون
 بصير) قرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالياء على الغيبة رذاعلى الذين كفروا والباقون بناء
 الخطاب رذاعلى قوله ولا تكونوا وهو خطاب للمؤمنين وفيه تهديد لهم على أن يعاثلوهم (ولئن
 قتلتم) اللام هي الموطئة أقسم محذوف (في سبيل الله) أي الجهاد (أو متم) أي أتاكم الموت
 في سبيل الله وجواب القسم قوله تعالى (لنغفر) كناية (من الله) وحذف جواب الشرط

لسد جواب القسم مستدركونه بالاعليه (ورجة) أى من الله فحذف صفته الدلالة الاولى
 عليها ولا بد من حذف آخر مصحح للمعنى تقديره المغفرة من الله لكم ورجة منه لكم (فان قيل)
 المغفرة هى الرجة فلم كررها ونكرها (أجيب) بأنه انما نكرها لئلا يانا بان أدنى خير وأقل شئ
 خير من الدنيا وما فيها وهو المراد بقوله (خير مما تحبهمون) من الدنيا وأما التكرير فغيره سلم لان
 المغفرة مرتبة على الرجة فيرحم ثم يغفر (فان قيل) كيف تكون المغفرة موصوفة بأنه خير
 مما يحبهمون ولا خير فيما يحبهمون أصلا (أجيب) بأن الذى يحبهمون فى الدنيا قد يكون من الحلال
 الذى يعد خيرا وأيضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقبل
 المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خيرات (ولئن متم أو قتلتم) على أى وجه اتفق هلاككم
 (لا الى الله) لا غيره (تخشرون) فى الآخرة فيجازيكم وقرأ نافع وحزرة متم بكسر الميم والباقون
 بالضم وقرأ حفص يحشرون بياء الغيبة والباقون بباء الخطاب ورسمت الى الله بالف بعد اللام
 (فان قيل) هنا ثلاثة مواضع تقدم الموت على القتل فى الاول والاخير وقدم القتل على الموت
 فى المتوسط فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأن الاول لمناسبة ما قبله من قوله اذا ضربوا فى الارض
 أو كانوا غزا فرجع الموت لمن ضرب فى الارض والقتل لمن غزا وأما الثانى فلانه محل تحرير
 على الجهاد فتقدم الاهم الاشرف وأما الاخير فلان الموت أغلب (فبما رجة) أى فبرجة (من الله
 نلت لهم) فها مزيدة للتأكيدها والجوار والمجرومة تقدم للدلالة على أن لديه صلى الله عليه وسلم
 ما كان البرجة من الله ومعنى الرجة توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
 (ولو كنت قظا) أى سئى الخلق (غليظ القلب) أى جافيا (لأنفصا) أى تفرقوا (من حولك)
 أى عنك وذلك لان المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق وذلك
 لا يتم الا ببل قلبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود لا يتم الا اذا كان رحيا بهم
 كريما يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة فلهذا الاسباب وجب
 أن يكون الرسول مبرا عن سوء الخلق وغليظ القلب ويكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير
 القيام باعانة الفقراء وجل القفال هذه الآية على واقعة أحد قال فبما رجة من الله نلت لهم
 يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانزمام ولو كنت قظا غليظ القلب فشافهمتم بالمأمة على ذلك
 الانزمام لانفصا ومن حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم من الانزمام فكان ذلك ما
 بطمع العدو فبك وفيهم (فاعف) أى تجاوز (عنهم) أى ما أتوه (واسعقر لهم) ذنبهم حتى
 أشفعك فيهم فأغفر لهم واختلفوا فى معنى قوله تعالى (وسأورهم فى الامر) على وجوه أحدها
 ان ذلك يقتضى شدة محبته لهم فالولم يفعل ذلك لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق
 والفظاظة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام وان كان أكل الناس عقلا الا أن يقول الخلق
 غير متناهية فقد يتخطر ببال انسان من وجوه المصالح ما لا يتخطر ببال آخر لاسيما فيما يتعلق
 بأمور الدنيا قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعرف بأمور دنياكم وأنا أعرف بأمور دينكم ولهذا
 السبب قال صلى الله عليه وسلم ما شاء وبقوم قط الاهدوا لارشاد أمورهم وثالثها قال الحسن

وسفيان بن عيينة انما امر بذلك لمقتدى به غيره في المشاورة وتصير سنة ورايعها انه عليه الصلاة والسلام شاورهم في وقعة أحد فأشاروا عليه بالخروج وكان معه أن لا يخرج فلما خرج وقع ما وقع فلوترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم شي فأمر الله تعالى بمشاورتهم بعد ذلك الواقعة ليدل على انه لم يبق في قلبه أثر من تلك الواقعة وخامسها أمره بالمشاورة للاستفادة منهم رأيا ولو لكان ليعلم مقادير حقولهم ومحبتهم له وذكروا أيضا وجوها أخرى في هذا القدر كفاية واتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجز للرسول أن يشاور الامة فيه لان النص اذا جاء بطل الرأي (فاذا عزم) أى قطعت الامر على امضاء ما تريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أى ثقبه لا بالمشاورة فليس التوكل اهمال التدبير بالكلية بل براعاة الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى (ان الله يحب المتوكلين) عليه فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) أى يعينكم على عدوكم كيوم بدر (فلا غالب لكم) أى فلا يغلبكم أحد (وان يخذلكم) بترك نصركم كيوم أحد (فن ذا الذي ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانه أى لا أحد ينصركم وفي هذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتعرض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجاب خذلانه (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) أى فليخصموا بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه لان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه (وما كان لنبي أن يغفل) أى ما صح انبي أن يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في قطيفة جراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقال مقاتل نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنمة وقالوا فخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شي ما فهو له وان لا يقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم أعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تر كآبمية اخوانا وقوف فقال لهم صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أننا نغل ولا تقسم لكم وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان لنبي أن يكتسب شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهنة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن وفيه سب دينهم وسب آلهتهم فسألوا أن يترك ذلك فنزلت وروى انه صلى الله عليه وسلم غم في بعض الغزوات وجمع الغنائم وتأخرت القسمة لبعض الموانع فجاء قوم وقالوا لا تقسم غنائمنا فقال عليه الصلاة والسلام لو كان لكم مثل أحد ذهبا ما حبست عليكم منه درهما أتخسبون اني أغلظكم مغنيتكم فنزلت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين على البناء لان اعل والباقون بضم الياء وفتح الغين على البناء للمفعول والمعنى على هذا وما صح لنبي أن يوجب دغالا أو ينسب الى الغلول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) قال أكثر المفسرين ان هذه الآية على ظاهرها قالوا وهي نظير قوله تعالى في ما نهي الزكاة يوم يحصى عليها في نار جهنم فسكوى بها جباهاهم وجنوبهم وظهورهم ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لا أقين أحدكم بجنى على رقبته يوم القيامة سيعبر له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها نغاء فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك

من الله شيئاً قد بلغتمك قال المحققون وفائدته أنه إذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك المغلول
 ازدادت فضيخته وعن ابن عباس أنه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه نخذه
 فينزل اليه فاذا انتهى اليه جله على ظهره فذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف ان ينزل اليه
 فيخرجه ففعل ذلك به وعن أبي هريرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فقال الناس هنيئاً له
 الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشئ الذي أخذها يوم خير
 من المغالمة تصبها المقاسم تشعل عليه ناراً فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراً أو شراً أكين الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر لمن النار أو بشر لمن النار
 وقال أبو مسلم ليس المقصود من الآية ظاهرها بل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله
 تعالى انهم انك مثقال حبة من خردل فتسكن في شجرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله
 فانه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل المقصود اثبات ان الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه
 مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فكذا همنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى ان الله تعالى يحفظ
 عليه هذا المغلول ويقرره عليه يوم القيامة ويمجازه لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن أبي جريد
 الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسد على الصدقة فلما قدم قال
 هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه على
 بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي فهل اجلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر رأيهم
 اليه أم لا فوالذي نفسي بيده لا يأخذ منها أحد شيئاً الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان
 بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تنغو ثم رفع يديه حتى رويت عقرة ابطة ثم قال اللهم هل بلغت
 اللهم هل بلغت (ثم توفي كل نفس) أي تعطى جزاء (ما كسبت) أي عملت وافداً الاعمال وغيره
 (فان قيل) فلا قيل ثم يوفي أي الغال ما كسب (أجيب) بأنه عم الحكم ليكون كالبرهان على
 المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لا
 يظلمون) شيئاً فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يراذ في عقاب عاصيهم وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان
 الله) الهمة فيه لا انكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أفمن اتقى فاتبع رضوان الله
 (كن بآء) أي رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصي (وما واه جهنم وبئس المصير) أي المرجع
 هي أي ليس مثله واختلف في المراد من هذه الآية فقال الكلبي والضمك أئمن اتبع رضوان الله
 في ترك الغلول كن بآء بسخط من الله في فعل الغلول وقال الزجاج لما جمل المشركون على المسلمين
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الى أن يحملوا على المشركين ففعل بعضهم وتركه آخرون فقوله
 أئمن اتبع رضوان الله هم الذين امتثلوا أمره كن بآء بسخط من الله هم الذين لم يمتثلوا قوله وقيل
 أئمن اتبع رضوان الله وهم المهاجرون كن بآء بسخط من الله وهم المنافقون وقيل أئمن اتبع
 رضوان الله بالايان به والعمل بطاعته كن بآء بسخط من الله بالكفر به والاستغفال بعصيته
 قال القاضي وكل واحد من هذه الوجوه صحيح ~~والكن~~ لا يجوز قصر اللفظ عليه لان اللفظ
 عام فيجب أن يتناول السلك وان كانت الآية ترات في واقعة معينة أمكن عموم اللفظ لا يطل

بخصوص السبب • (تنبيه) الفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى
 ولا كذلك المرجع فإنه قد يوافق المبدأ وقد أشعبه رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وقوله
 تعالى (هم درجات) مبتدأ وخبر أي القريبان درجات ولا بد من تأويل في الاخبار بالدرجات
 عن هم لانها ليست اياهم فيجوز أن يكون جعلوا نفس الدرجات مبالغة والمعنى أنهم متفاوتون في
 الجزاء على حسبهم كأن الدرجات متفاوتة فهو تشبيه بليغ بحذف الاداة أي هم مثل الدرجات
 في التفاوت ويجوز أن يكون على حذف مضاف أي ذو درجات أي أصحاب منازل ورتب
 في الثواب والعقاب (عند الله) فلن اتبع رضوانه الثواب ولن يابسه خطه العقاب (والله بصير
 بما يعملون) أي عالم بأعمالهم ودرجاتهم أفاض بهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) أي انهم
 على من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذه المنية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم
 الى ما ينصلحهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم الى ثوابه كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة
 للعالمين (فان قيل) لم خصهم بالنعمة مع أن النعمة عامة (أجيب) بأنهم هم المستغفرون بها كقوله
 تعالى هدى للمتقين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي من جنسهم عربيا منهم ليفهموا
 كلامه بسهولة ويكنوا واقفين على أحوالهم في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى
 تصديقه والوثوق به وبشر فوا به لا ملكا ولا عجميا وقوى شأنا من أنفسهم بفتح الفاء أي من اشرفهم
 لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقد خطب أبو طالب لما تزوج
 صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوه انهم ورؤساء مضر فقال الحمد
 لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضعتني معدود عن مضر وجعلنا حضنة
 بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وجرما آمنا وجعلنا الحكماء على الناس ثم ان ابن أخي
 هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فقي من قريش الارجح به وهو والله بعد هذه النبأ عظيم
 وخطر جليل ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة الا هذه لكونها في شرف الرسول صلى الله عليه وسلم
 وقراءة السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها (يتلو عليهم آياته) أي القرآن بعدما كانوا جاهلا
 لم يسموا الوحي (ويزكيهم) أي ويظهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال (ويعلمهم
 الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة من بعدما كانوا من أجهل الناس وأبعدهم من
 دراسة العلوم كما قال تعالى (وان كانوا من قبل) أي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لن ضلال
 مبين) أي بين ظاهر (أولما) أي حين (أصابكم مصيبة) بأخذ يقتل سبعين منكم (قد أصبتم
 مثلها) بيد بقتل سبعين وأسر سبعين (قلتم) متعجبين (آتي) أي من أين لنا (هذا) القتل
 والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم قينا والجلالة الاخيرة محل الاستفهام
 الانكارى (قل) لهم (هو من عند أنفسكم) أي هو ما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك
 المركز فان الوعد كان مشروطا بالاثبات في المركز والاطاعة في الامر وعن علي رضى الله تعالى
 عنه لاخذكم القداء من أسارى بدو قبل أن يؤذن لكم روى عبيدة السلماني عن علي رضى الله
 عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كرمه ما صنع قومك من أخذهم

القداء من الاسارى وقد امره أن يخيرهم بين أن يقتلوا أى الاسارى فتضرب
 أعناقهم وبين أن يأخذوا القداء على أن يقتل منهم عددهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشان نرنا واخواننا لابل ناخذ منهم فداهم فقتلوا به على قتال
 أعدائنا ويستشهد منهم عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدداً سارى بدر وهذا معنى قوله قل هو
 من عند أنفسكم أى بأخذكم القداء واختياركم للقتل (إن الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر
 وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى
 جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة (فبأن الله) أى فهو كائن
 بقضائه وإرادته ودخلت القاء في الخبر لشيء به المبتدأ بالشرط نحو الذى يأتي في قوله درهم) وليعلم
 المؤمنين) وقد تقدم أن معسى وليعلم الله كذا أى عيىز ويظهر للناس ما كان في علمه (وليعلم الذين
 نأفقوا) قال الواحدى يقال نأفق الرجل فهو منافق إذا أظهر كلمة الايمان وأضمر خلافها
 قال أبو عبيدة مشتق من نأفقاء اليربوع لأن جحر اليربوع له بياض القاصعاء والنأفقاء فان طلب
 من أيهما كان يخرج من الآخر فقتل للمنافق انه منافق وهم اسم اسلاوى لانه يمنع لنفسه
 طريقين اظهرا الاسلام واضمار الكفر فنأيهما طلب خرج من الآخر وقوله تعالى (وقيل لهم)
 عطف على نأفقوا أى وليعلم الذين قيل لهم لما انصرفوا عن القتال وقالوا لم نأق أنفسنا
 في القتل فرجعوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة من جملة الالف الذين خرجوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعالوا فأتوا في سبيل الله) الكفار (أو ادفعوا) عنأى ان كان
 في قلبكم حب الايمان فقاتلوا الدين وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا ردفاع أنفسكم وأهليكم
 وأموالكم وقال السدى وابن جرير ادفعوا عنأى العداوة بشكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا
 لأن الكثرة أحد اسباب الهيبة روى عن سهل بن سعد الساعدى وقد كف بصره لو أمكننى
 لبعث دارى وطلعت بشعر من تغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
 بصره قال لقوله تعالى أو ادفعوا أرادوا كثروا سوادهم واختلفوا في القاتل فقال الاصم انه
 الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل أبو جابر الانصارى قال لهم أذكركم الله
 أن تتخذوا نبيكم وقومكم عند حذور العدو (قالوا لو تعلم) أى تحسن (قتالاً لا تبعناكم) فيه قال
 تعالى تكذبا لهم (هم للكفر يومئذ) أى يوم اذ قالوا لولا لم قتالاً لا تبعناكم (أقرب منهم للايمان)
 أى لا تقطعهم وارتدادهم وكلامهم فان ذلك أقول إمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل
 المعنى على حذف مضاف أى هم لاهل الكفر أقرب منهم لاهل الايمان بما أظهروه من خذلانهم
 للمؤمنين وكانوا قبل أقرب الى الايمان من حيث الظاهر (تنبيه) * فضلوا هنا على أنفسهم
 باعتبار حالين ووقتين ولولا ذلك لم يجوز قول زيد قاعداً أفضل منه قائماً أو زيد قاعداً اليوم
 أفضل منه قاعداً غدداً ولو قلت زيد اليوم قاعداً أفضل منه اليوم قاعداً لم يجوز (يقولون)
 يا قواهم ما ليس في قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون لاواطى قلوبهم ألسنتهم بالايمان
 فهم وان كانوا يظهرون الايمان باللسان لكنهم يضمرون في قلوبهم الكفر * (تنبيه) *

إضافة القول الى الاقواء تصوير لضافتهم فان ايمانهم موجود في أفواههم فقط وبهذا اتفق كونه
للتأكد كما قيل به التحصيل هذه القائدة وقال ابن عادل والظاهر أن القول يطلق على اللساني
وعلى النفساني فتنسبه بأفواههم تقييد للاحرج عليه اللهم إلا أن يقال إطلاقه على النفساني
بحجاز (والله أعلم بما يكتمون) أي عالم بما في ضمائرهم وبما يتخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلم ذلك
مفصلاً يعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملًا بامارات وجوزوا في موضع (الذين قالوا) ألقاب الاغراب
الثلاثة الرفع والنصب والجتر فالرفع من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مرئوسا على خبر مبتدا
محذوف تقديرهم الذين الثاني انه بدل من واو يكتمون الثالث انه مبتدا والخبر قوله قل فادروا
ولا بد من حذف عائد تقديره قل لهم فادروا والنصب من ثلاثة أوجه أيضا أحدها النصب على
الذم أي أذم الذين قالوا الثاني انه بدل من الذين نافقوا الثالث انه صفة لهم والجزم من وجهين
أحدهما انه بدل من الضمير في أفواههم والثاني انه بدل من الضمير في قلوبهم كقول القرزدي
على حاله لو أن في القوم حاتما * على جوده اضمن بالماء حاتم

يجز حاتم على انه بدل من الهاء في جوده وضمن معنى لله فعول وهو بالماء أي ولو ان حاتم استقر في
القوم كأنه على جوده وهم تلك الحالة ليجل بالماء (لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم من جنس
المنافقين المقتولين يوم أحد وأخوانهم في النسب أو في سكنى الدار أو في عداوة النبي صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى (وقعدوا) حال مقدرة بقدر أي قالوا قاعدون عن القتال (لو أطاعونا)
في القعود (ماقتلوا) كالم يقتل واختلف في قائل ذلك فقال أكثر المفسرين هو ابن أبي
وأصحابه وقول الاصم هذا لا يجوز لأن ابن أبي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد
يوم أحد وهذا القول واقع من تخلف فيه نظر لاحتمال أن المراد بالقعود والقعود عن القتال
لأن الخروج الى القتال (قل) لهم (فادروا) أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين)
في أن القعود ينبغي منه لأنكم ان دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع
سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم أن يتعلق بكم بعضهم وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون
مناقفا (فان قيل) ما وجه هذا الاستدلال فان التجرع عن القتل يمكن وإنما التجرع عن الموت
فغير ممكن (أجيب) بأن الكل بقضاء الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى
فادروا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا فدفعوا عن أسباب الموت فادروا جميع
أسبابه حتى لا تموتوا ونزل في شهداء أحد كبار رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين
جزرة بن عبد المطالب ومصعب بن عمير وعثمان بن شاس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
الانصار (ولا يحسبن) أي ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) أي لاجل دينه والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل أحد (أمنوا تابل) هم (أحياء عند ربهم) أي ذووهم في منة فليس
المراد القرب المكاني لاستخلائه ولا بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب
شرقا ورتبة قال البيضاوي وقيل نزلت في شهداء بدر أي وكانوا أربعة عشر رجلا غلبت
من الانصار وسنة من المهاجرين قال شيخنا القاضي زكريا وهو غلط انما نزل فيهم آية البقرة

(برزقون) من ثمار الجنة روى ابن عباس انه علمه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش وروى ان الله تعالى يطلع عليهم ويقول سلوني ما سئتم فتقولون يا رب كيف نسئلك ونحن نسرح في الجنة في أيها سئنا فلما رأوا أن لا يتروكوا من أن يسألوا شيئاً قالوا نسئلك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا في الدنيا نقفل في سبيلك لما رأوا من النعيم كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة (يستبشرون) أي ويفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم) من اخوانهم الذين تركوهم أحماء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم أنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فلذلك يستبشرون (من خلفهم) أي الذين من خلفهم زماناً وأرتبة وأبدل من الذين (أن) أي بأن (لاخوف عليهم) أي الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا هم يحزنون) في الآخرة والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا وخلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة لا يكذبون بخوف وقوع محذور ولا بهزون فوات محبوب وفي ذكرك حال الشهداء واستبشارهم عن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على ازباد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واجاد لحال من يرى نفسه في خير فيمتنى مثله لاخوانه لأن الله تعالى مدحهم على ذلك (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين تعالى أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بين هذا أنهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك أعاد لفظ الاستبشار (فان قيل) أليس انه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح بين الاستبشار فزعم التكرار (أجيب) بأن الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار وبأن المراد حصول الفرح بما حصل في الحال وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة والفرق بين النعمة والفضل أن النعمة هي الثواب والفضل هو التفضل الزائد (فان قيل) لم قال يستبشرون من غير عطف (أجيب) بأنه تأكيدي لا اول لانه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) لماذا كرايصال الثواب العظيم الى الشهداء بين أن ذلك ليس مخصوصاً بهم بل كل مؤمن يستحق شيأ من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه ولا يضيعه وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) أي دعاءه مبتدأ (من بعد ما أصابهم الفرح) بأحد وخبر المبتدأ (الذين أحسنوا منهم) بطاعته (وأتقوا) مخالفتهم (أجر عظيم) هو الجنة روى أن أباسفیان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندوا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريه من نفسه وأصحابه قوة فذهب أصحابه للخروج في طلب أبي سفیان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا اجراء الإسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه الفرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روى أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على على عنقه ساعة ثم أن المحول يحمل الحامل ساعة أخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم

من يتوكل على صاحبه ساعة ويتوكل عليه صاحبه ساعة فترسل الله صلى الله عليه وسلم معبد
 الخزاعي بجحرا الاسد وكانت خراعة مسلمهم وكافرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعبد
 يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله قد أعفانا فيهم ثم
 خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أباسفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا
 الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى أبوسفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
 محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرا النرحل
 حتى ترى نواصي الخيل فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فترلت * (تنبيه) * من
 في الذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
 مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا إلا بعضهم وقوله تعالى (الذين)
 بدل من الذين قبله أو نعت (قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم) أي الجوع ليس تأصلوكم
 (فاخشوهم) روى أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحدى معبد موعدنا موسم بدر القابل
 ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسفيان في أهل مكة حتى
 نزل من الظهر ان فألقى الله الرعب في قلبه فبداه أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي
 وقد قدم معقرا فقال يا نعيم انى واعدت محمد أن نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدد ولا يصح لنا
 الاعام نزعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدى أن لا أخرج اليه وأكره أن يخرج محمد
 ولا أخرج أنا فزيدهم ذلك جراءة فلا يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى
 فالحق بالمدينة فقبلهم وأعلمهم أنى في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
 أضعها في يد سهل بن عمرو ويضعونها فقال له نعيم يا أبا يزيد أنت من لى ذلك وأنطلق الى محمد
 وأبسطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يجهزون لمبعدا أبى سفيان فقال أين
 تريدون فقالوا واعدنا أبوسفيان بموسم بدر الصغرى أن تقتل بها فقال بنس الراى رأيتم أنوكم
 في دياركم وقرارك لم يفلت منكم أحد الا شريدا فتريدون أن تخرجوا وقد جعوا لكم عند الموسم
 والله لا يفلت منكم أحد فذكره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يخرجن ولو وحدى ولو لم يخرج معى أحد
 فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلقوه الى ذلك القول كما قال
 تعالى (فرادهم) ذلك القول (ايما) أى تصديقاً بالله وبقيننا (وقالوا حسبنا الله) أى كافينا
 أمرهم (ونعم الوكيل) أى المفوض اليه الامر هو حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون
 المشركين ويسألونهم عن قريش فبقية قولون قد جعوا لكم يريدون أن يرهبوا المسلمين فيقول المسلمون
 حسبنا الله ونعم الوكيل وهذه هي الكلمة التى قالها ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين أتى
 في النار حتى بلغوا بدر وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام
 فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدير يتنظر أباسفيان ثمان ليال ولم يلق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات فباعوها واشتروا

أدماوزينا وأصابوا الدرهم درهمين وأنصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فانقلبوا)
 أي انصرفوا (بنعمة من الله) أي بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) أي تجارة وريح وهو
 مأصباوا في السوق (لم يمسسهم سوء) أي لم يصيبهم أذى ولا مكروه ورجع أبو سفيان إلى مكة
 فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتسروا السويق * (تنبيه) * الناس
 الأول المتبطون والآخر أبو سفيان وأصحابه (فان قيل) المتبط هو أبو نعيم فكيف قيل
 الناس (أجيب) بأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرد وماله الأفرس
 واحد ويرد واحد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يتبطون مثل تنبيطه بل قيل
 انهم كانوا جماعة فقد مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حل بعير
 من زيب ان يتبطوهم (فان قيل) كيف زادهم القول إيمانا (أجيب) بأنهم لما سمعوا ذلك وأخلصوا
 عنده النية والعزم على الجهاد وأظهر واجهة الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
 كما زادوا الإيمان واليقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر التنبيط إلى وجه العدو وطاعة
 عظيمة والطاعات تزيد الإيمان فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله ان الإيمان
 يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر
 رضي الله تعالى عنه أنه كان يأخذ يد الرجل فيقول قم بنا زد إيمانا وعنه رضي الله تعالى عنه
 لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه بإيمان هذه الأمت لرجح به (واتبعوا رضوان الله) الذي
 هو مناط الفوز بخير الدارين بجبرائيلهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت
 وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجسارة على العدو
 بالحفظ على كل من يسوءهم وإصابة النفع من ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه
 تحسیر المتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به (انما ذلككم) أي المتبط أو أبو سفيان
 (الشیطان يخوف أوليائه) أي القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم
 أوليائه وهم أبو سفيان وأصحابه ويدل على ذلك قوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون) في مخالفة
 أمرى فيجاهدوا مع رسولی (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الإيمان يقتضي ان يخاف الله
 على خوف الناس وقرأ أبو عمر وباشات الباء وصلوا وحذفوا وقفوا والباقون بالحذف وقفوا وصلوا
 (ولا يحزك الذين يسارعون في الكفر) أي يقرعون فيه وقوعاسر يعاشر صاعليه وهم المنافقون
 من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الاسلام أي لا تهتم لكفرهم (انهم لن يضروا الله شيئا) بفعلهم
 وانما يضررون به انفسهم وقرأنا نافع يحزك بضم الباء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله تعالى
 في الانبياء لا يحزكهم الفرع الا كبرفانه على فتح الباء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل
 من حزنه لعة في آخره (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا) أي نصيبا (في الآخرة) أي الجنة فلذلك
 خذلهم وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر (ولهم) مع حرمان الثواب (عذاب
 عظيم) في النار (ان الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أي أخذوه بدله (لن يضروا الله) بكفرهم
 (شيئا ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وكثر ذلك للآ كيدا وهو نوعهم للكفرة بعد تخصيص من نافق

من المتخلفين أو ارتدوا من الأحزاب * ونزل في مشركي مكة كما قاله مقاتل أو في قرية
 أو النضير كما قاله عطاء (ولا يحسن الذين كفروا انما على) أي غهل (الهم) بتطويل الاعداد
 (خير لانفسهم انما على لهم ليزدادوا انما) بكثرة المعاصي (ولهم عذاب مهين) أي ذوا هانة روى
 أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قبل فأي الناس شر
 قال من طال عمره وساء عمله وقرأ أجزء ولا تحسن الذين كفروا ولا تحسن الذين يجنلون بالتاء
 فيها على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزة (ما كان
 الله ليدر) أي ليمترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) أيها الناس من اختلاط المسلم بغيره (حتى يميز)
 أي يفصل (الخير) أي المنافق (من الطيب) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي
 قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك
 فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بن يثوم بن بك وبن لا يثوم فنزلت وقال السدي قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورتهافي الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من
 يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن
 لم يخاف بعده ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وحمد
 الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علي لا تسألوني عن شيء يبينكم وبين الساعة
 الانباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يارسل الله قال حذافة فقام عمر
 رضي الله تعالى عنه فقال يارسل الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن اماما وبك نبيا
 فاعف عنا عفا الله تعالى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منههون ثم نزل عن المنبر
 فنزلت (فان قيل) لمن الخطاب في أنتم (أجيب) بأنه للمصدقين جميعا من أهل النفاق
 والاخلاص كأنه قيل ما كان الله ليدرا مخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط
 بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لا تفقاكم على التصديق جميعا حتى يميزهم
 منكم بالوحي إلى نبيه واخباره بأحوالكم أو بالسكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يدع عنها
 الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فيختبر بها أولادكم ويستدل
 بهم على عقائدكم ففعل ذلك يوم أحد حيث أظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقرأ أجزء والكسائي يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء بعد الميم مع كسرهما والباقون
 بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعد الميم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق
 من غيره قبل التمييز (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات
 أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسوله) أي بصفة الاخلاص أو بأن فعلوا أن الله وحده
 مطلع على الغيب وتعلموا أنهم عباد محجوبون لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون الا ما يوحى
 اليهم روى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بن يثوم ومن يكفر فنزلت الآية (وان
 تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) أي لا يقاد رقدره (ولا يحسن الدين
 يجنلون بما آتاهم الله من فضله هو) أي بخلفهم (خير اللهم بل هو) أي بخلفهم (شر اللهم) لاستجلاب

العقاب اليهم واختلّفوا في المراد بهذا الجمل فقال أكثر العلماء المراد به منع الواجب واستدلوا
بوجوه أحدها أن الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق إلا بالواجب وثانيها أن الله
تعالى ذم الجمل والتطوع لا يذم على تركه وثالثها قال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من
الجمل وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف وانفاق الواجب على أقسام منها انفاقه على نفسه
وعلى أقاربه الذين تلزمه مؤنتهم ومنها الزكوات ومنها ما إذا احتاج المسلمون إلى دفع عذوق
يقصد أنفُسهم وأموالهم فيجب عليهم انفاق الاموال على من يدفعهم عنهم ومنها دفع ما يستد
رمق المضطر (سيطوقون) أى سوف يبطوقون (ما يجزوا به يوم القيامة) اختلفوا في هذا الوعيد
وقال ابن عباس وابن مسعود يجعل ما منعه من الزكاة حية يبطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه
من فرقه إلى قدمه وتنقر رأسه تقول أنا مالك وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله ما لا فلم يؤدّر كانه مثل له ما له يوم القيامة شجاعا أقرع
له زبيتان يبطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا
ولا يحسبن الذين يخولون الآية وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده أو الذى لا اله غيره أو كما حلف ما من رجل تكون له ابل أو بقرة أو غنم لا يؤدى حقها إلا أتى
بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطوّه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه
أنحرأردت عليه ألاها حتى يقضى بين الناس وقال مجاهد معنى سيطوقون سيكلفون أن يأبوا
بما يجزوا به يوم القيامة أى يؤمرون بأداء ما منعهوا فلا يعكسهم الاتيان به فيكون ذلك نوعا
وقيل إن هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد
بالجمل كتمان العلم كفى في سورة النساء الذين يخولون ويأمرون الناس بالجمل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله ومعنى قوله على هذا سيطوقون أى يحملون وزره وأثمه كقوله تعالى يحملون
أوزارهم على ظهورهم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) في معناه وجهان أحدهما
أن له ما فيه مما يتوارثه أهلها من مال وغيره فهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم
فألهم يخولون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه والثانى وبه قال الأكثر أن معناه أنه يقضى أهل السموات والارض ويقضى الاملاك
ولا مالك لها إلا الله فجرى الوراثة قال ابن التبرارى يقال ورث فلان علم فلان إذا
انفرد به بعد أن كان مشاركا فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لانه انفرد بذلك الامر بعد
أن كان داود مشاركا فيه (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكم به وقرأ ابن
كثير وأبو عمر وبالياء على الغيبة والباقون بالناء على الخطاب (لقد سمع الله قول الذين قالوا
إن الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن أن قائل هذه المقالة
حيى بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومجد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم
مع أبي بكر الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت عمار سهما فوجد اناسا كثيرا من
اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فحماص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه جبر آخر
يقال له أشبع فقال أبو بكر لفحماص اتق الله وأسلم فوالله انك لعمري ان محمد رسول الله قد جاءكم
بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فان صدق وأقرض الله قرضا حسنا
يدخل الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فحماص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض من أموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذن للفقير ونحن أغنياء وانه
ينهاكم عن الربا وعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا يعني في قوله فيضاعفه له أضاعفا
كبيرة فغضب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وضرب وجهه ففحماص ضربة شديدة وقال والذي
نقسي يدهم لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فحماص الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاي بكر ما جعلك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير
وهم أغنياء فغضبت الله فضربت وجهه فجعل ذلك فحماص فأنزل الله عز وجل رداعلى فحماص
وتصدىقا لا يكره رضى الله تعالى عنه لقد سمع الله الآية وهذا لا يدل على أن غيره لم يقل ذلك
لان الآية دالة على أن القائل جماعة لقوله تعالى الدين قالوا (سكتب) أى تأمر بكتب
(ما قالوا) من الافك والفرية في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ونحوه وان الله كاتبون أو سخره
في علمنا لانهم لم يأتوا بكلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله والرسول ولذلك نظمته مع قتل
الانبياء كما قال تعالى (وقتلهم) أى وسكتب قتلهم (الانبياء بغير حق) وفي نظمته به
نفسه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال
هذا القول (ويقول) أى الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق)
أى النار وهى بمعنى المحرق كما يقال عذاب أليم أى مؤلم وقرأ جزء سيكتب بالباء المثناة
تحت بعد السين مضمومة وفتح التاء بعد الكاف وضم اللام من قتلهم وبالباء في يقول
والساقون بالنون بعد السين مفتوحة وضم التاء بعد الكاف ونصب اللام من قتلهم وبالنون
في ونقول ويقال لهم اذا ألقوا في النار (ذلك) أى العذاب (بما قدمت أيديكم) من الافتراء
وقتل الانبياء وغير ذلك من المعاصي وعبر بالأيدي عن الانفس لان أكثر أعمالها يمتد
الله ليس بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (فان قيل) ظلام للمبالغة المقضية
للتكثير فهو أخص من ظالم ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم (أجيب) بأنه لما قول بالعبيد
وهم كثير وناسب أن يقابل الكثير بالكثير وبأنه اذا نفي الظلم التكثير ينفي القليل لان الذى
يظلم انما يظلم لانتفاعه بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فمن يجوز عليه النفع والضرر كان اقليله
مع قلة نفعه اترك وبأن ظلام للنسب كما قدرته في الآية الكريمة كما في بزاز وعطار أى لا ينسب
الله ظالم البتة وقوله تعالى (الذين) نعت للذين قبله (قالوا) لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم أن الله
يعذب بالحق رسولا وأمرنا عليك كتابا وأن تؤمن بك أى وقالوا (ان الله) قد (عهد البنا) أى أمرنا

وأوصاني كنيته (ان لا تؤمن لرسول) أي لا تصدق رسولا أنه قد جاء من عند الله (حتى يأتيك)
 بقران تأكله النار) أي حتى يأتيك بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبيا بني اسرائيل فيكون
 دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله من نسيمكة وعمل صالح وكنائوا اذا
 قتر بواقر باننا وغنوا غنمية جاءت نار يضاء من السماء لادخان لها واهلادوى وهفيف قنأ كل
 ذلك القربان وتأكل الغنمية ومعنى أكلها أن تحبب ذلك الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة
 القبول واذا لم يتقبل بقي على حاله وهذا من مقترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم
 يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات في ذلك سواء وقال السدي هذا الشرط
 جاء في التوراة ولكنه مع شرط آخر وهو أن الله تعالى أمر بني اسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول
 الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقران تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا
 بهم ما فأنهما يأتيان بغير قران قال الله تعالى اقامة للعبادة عليهم (قل) لهم يا محمد (قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات) أي بالمعجزات (وبلذى قلتم) من القربان كزكريا ويحيى فقتلوههم (فلم
 قتلوههم) والخطاب ان في زمن نينا وان كان الفعل لا جدهم لرضاهم به (ان كنتم صادقين)
 في أنكم تؤمنون بالرسول عند الايمان بذلك ثم قال الله تعالى تسليمة لنيه صلى الله عليه وسلم من
 تكذيب قومه واليهود (فان كذبوا فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات) أي المعجزات
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم (والكتاب) أي التوراة والانجيل (المنير) أي الواضح
 فاصبر كما صبروا وقرأ نافع وابن ذكوان وعادهم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام
 وقرأ ابن عامر وبالزبر بالباء الموحدة والباقون بغير ياء بعد الواو وقرأ هشام وبالكاتب بالباء
 الموحدة بعد الواو والباقون بغير ياء وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) زيادة تأكيده
 في تسليته صلى الله عليه وسلم وجبالغة في ازالة الحزن عن قلبه فان من علم أن عاقبته الى الموت
 زالت عن قلبه الغموم والاسزان روى ان الله تعالى لما خلق آدم اشتكت الارض الى ربه الما
 أخذ منها فوعدها ان يردها ما أخذ منها فاسم أحد الايدفن في التربة التي أخذ منها ولا تبعد
 هذه الدار ارا تميز فيها الحسن من المسيء والحق من المبطل ويجازي كل بما يستحقه
 كما قال تعالى (وانما تؤفون أجوركم) أي جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان خيرنا خير
 وان شرنا اشر (فمن زحزح) أي بعد (عن النار وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد
 والفوز بالانقار بالغبية بالنظر الى وجهه الله تعالى الكريم (وما الحياة الدنيا) أي العيش فيها
 (الامتاع القور) أي الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى روى أن الله تعالى يقول أعددت لعبادي
 الصالحين ما لم عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئت فلان تعلم نفس
 ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
 مائة عام لا يئلهما واطرؤا ان شئت وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
 واطرؤا ان شئت فمن زحزح عن النار الآية وروى من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل
 الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي الناس ما يوجب أن يؤتي

إليه أي يفعل بهم ما يجب أن يفعل به وقوله تعالى (أتبلون) جواب قسم محذوف تقديره
 وأنت تلبون وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع وحذفت واو الرفع للالتقاء
 الساكنين أي لتختبرن (في أموالكم) بالقراض فيها والجوائح (و) في (أنفسكم) بالعبادات
 والبلاء والاسر والجراح وغير ذلك (وتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود
 والنصارى (ومن الذين أشركوا) أي مشركي العرب (أذى كثيرا) وذلك أنهم كانوا يقولون
 عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة وكانوا يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم بكل
 ما يقدرون عليه وهجاه كعب بن الأشرف وكانوا يحرضون الناس على مخالفتهم صلى الله عليه
 وسلم ويجمعون العساكر لمحاربتهم ويشبكون المسلمين عن نصرته (وانصبروا) على ذلك
 (وتتقوا) الله (فإن ذلك من عزم الأمور) أي من صواب التدبير والرشد الذي ينبغي لكل
 عاقل أن يقدم عليه واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن جرير والكوفي ومقاتل نزلت
 في أبي بكر وفتحناص وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فحاص اليهودي
 ليستفذه وكتب إليه كتابا لاقتنان علي بن أبي بكر حتى ترجع إلى جفاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه
 وعومته شيخ بالسيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال احتاج ربك إلى أن غدتهم فهم أبو بكر أن
 يضربه بالسيف فتذكر أبو بكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وكف عنه فتزكت وقال الزهري
 نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يحجور رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره ويسب
 المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه في شعره ويشب بفساد
 المسابن * (تنبيه) * في الآية تأويلان أحدهما المراد بالمصابرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم
 بالصبر على الابتلاء في النفس والمال وتحمل الأذى وترك المعارضة والمقاتلة وذلك لأنه أقرب
 إلى دخول المخالف في الدين كقوله تعالى فقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال تعالى قل للذين
 آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وقال تعالى واذموا باللغو متراكراما وقال تعالى
 فاصبر كما صبروا والعزم من الرسل وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
 كأنه ولي حميم قال الواحدى وهذا قبل نزول آية السيف وقال النقال والذي عندي أن هذا ليس
 بنسخ وإظهار أنها نزلت عقب قصة أحد والمعنى أنهم أمروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول
 عليه الصلاة والسلام من طريق الأقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من
 الأحوال والأمر بالقتال لا ينافي الأمر بالمصابرة التأويل الثاني أن المراد بالصبر على مجاهدة
 الكفار ومناذرتهم والانكاف عليهم فالصبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة على
 الاحترار عما لا ينبغي (و) اذكر (إذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب) أي العهد عليهم
 في التوراة أي على علمائهم (ليسبته) أي الكتاب (لناس ولا يكتونه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وشعبة بالياء في الفعلين على القيبة لأن أهل الكتاب المخاطبين بذلك غيب والباقيون بالتاء على
 الخطاب حكاية لمخاطبتهم (فتبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراهن ظهورهم) أي لم يعملوا به ولم
 يلتفتوا إليه ونقضوا هذا جعله نصب عينيه (واشترى به) أي أخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام

الدنيا وعراضها من سفلتهم رياستهم في العلم فكتموه خوفاً فوثبوا عليهم وقوله تعالى (فبئس
 ما يشترون) العائد محذوف تقديره يشترونه قال قتادة رضي الله تعالى عنه هذا ميثاق أخذته
 الله على أهل العلم فن علم شيئاً فليعلمه وأياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله
 تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيئ ثم لا هذه الآية وقال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال أبو الحسن بن
 عمارة رضي الله تعالى عنه أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألقيته على يابه فقلت ان رأيت أن
 تحدثني فقال أماعلت أني قد تركت الحديث فقلت أما أن تحدثني وأما أن أحدثك فقال حدثني
 فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني
 أربعين حديثاً (لأتحسن الذين يفرحون بما آتوا) أي فعلوا من اضلال الناس (ويحبون أن
 يحمدوا) بما آتوا من علم التوراة و (بما لم يفعلوا) من النسيك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضاً
 من جملة أذا هم لانهم يفرحون بما آتوا به من أنواع الخبيث والتليس على ضعفة المسلمين ويحبون
 أن يحمدوا بأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الانسان يتأذى بمساعدة مثل هذه
 الاحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن
 شيئ مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرواه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فأطلع
 الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاهما أنزل من وعيدهم أي لأتحسن اليهود الذين
 يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عاميك ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
 عما سألتهم عنه ناحين من العذاب وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة
 في التخلف واستحمدوا به وقيل هم المنافقون فانهم يفرحون بمناقضتهم ويستحمدون الى المسلمين
 بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها
 فرح اعجاب ويجب أن يحمدوا الناس وينتوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى
 (فلا تحسبنهم) تأكيد (بمقازة) أي مكان يجنون فيه (من العذاب) في الآخرة بل هم في مكان
 يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم فيها وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالتاء على
 الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة والباقون بالكسر
 ومفعولاً تحسب الاولى دل عليها ما مفعولاً الثانية على قراءة التختانية وعلى الفوقانية حذف
 الثاني فقط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون
 بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة كما تقدم (ولله ملك
 السموات والارض) فهو ملك أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك
 (والله على كل شيء قدير) ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان في خلق السموات
 والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالجمي والذهاب والزيادة
 والنقصان (آيات) أي دلالات واضحة على قدرته تعالى وباهر حكمته (لاولى الالباب)

لذوي العقول الذين يفقهون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا يتطرون اليها نظر الهام
 غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النماذج الصغار املا عينيكم من زينة هذه السكواكب
 وأجملها في جملة هذه العجائب متفكراني قدرة مقدرها مستدبر احكامه مدبرها قبل أن
 يسافر بك القدر ويحبال بينك وبين النظر وعن ابن عروضة رضي الله تعالى عنهم ما قلت لعائشة
 رضي الله تعالى عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت
 وأطاعت ثم قالت كل أمر أعجب أناني املة قد دخل في الحافي حتى التصق بجلده بجلدي ثم قال
 بأعائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربى فقلت يا رسول الله اني لا أحب قريبك وأحب هو لك
 قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من
 القرآن وجعل لي يميني حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل لي يميني ثم رفع
 يديه فجعل لي يميني حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأناه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرأيت يميني فقال
 يا رسول الله أتسكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا
 شكورا ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة أن في خلق السموات والارض ثم
 قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كه ما بين فكبيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله
 تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول
 ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة
 أطالته بهابة فعبدها فتى من قساينهم فلم تظله فقالت أمه اهل فرطه فرطت منك في مدرك فقال
 ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت نأ وتيت الامن ذلك وقوله
 تعالى (الذين) نعم لما قبله أو بدل (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي مضطجعين
 أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل أن يحلو
 من احدي هذه الحالات الثلاث وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن
 يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه هذا في الصلاة يصلي
 قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب وعن عمران بن حصين قال سألت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى
 جنب * (تنبية) قياما وقعودا حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا فيعلق
 بمعدوف والمعنى يذكرونه قياما وقعودا ومضطجعين فغطف الحال المؤولة على الصريحة عكس
 الآية الاخرى وهي قوله دعانا بالجنبه أو قاعدا أو قائما حيث غطف الصريحة على المؤولة
 (ويتفكرون في خلق السموات والارض) وما أبدع فيهم ما ليدلهم ذلك على قدرة الله تعالى
 ويعرفون ان لهم مدبرا حكما قال بعض العلماء الفكرة تذهب الفعلة وتحدث في القلب الخشبة
 كما يحدث الماء للزروع النبات وما جلست القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى
 عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا على يونس بن متى أي تفضلوا يودى الى تنقيصه والا فهو صلى
 الله عليه وسلم سيد ولد آدم فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك

التفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحد الأقدار أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل
 عمل أهل الأرض وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكير أي لأنه المخصوص بالقلب والمقصود
 من الخلق لكن الحديث رواه البيهقي وغيره وضعفه وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق
 على فراشه أذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأخالف الله غفري
 فنظر الله تعالى إليه فغفر له رواه الثعالبي بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوي وهذا دليل واضح
 على شرف علم أصول الدين وفضل أهله وقوله تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على إرادة القول
 أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى الخلق بمعنى الخلق من السموات والأرض أو إلى
 السموات والأرض لأنهم في معنى الخلق والمعنى ما خلقته عبثا وضائعا من غير حكمة بل خلقته
 لحكم عظيمة من جلها أن يكون مبدء الوجود للإنسان وسببا لمعاشه ودليلا ليدله على معرفته
 ويحبه على طاعته لينال الحياة الأبدية والسعادة السموية في جوارحه (تنبيه) * نصب
 باطلا على الحال من هذا وهي حال لا يستغنى عنها لأنهم لو حدثت لاختل الكلام وهي كقوله
 تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبثا وقيل على استعاط حرف الخفض وجوب الباء
 والمعنى ما خلقته ما يباطل بل بحق وقدرة (سبحانك) أي تزيهالك عن العبث وهو معترض بين
 قوله ربنا وبين قوله (فقد أذاب النار) أي الإخلال بالنظر في خلق السموات والأرض والقيام
 بما يقتضيه قال أبو البقاء ودخلت الغاء المعنى الجزاء والتقدير إذا نزل هناك ووجدناك فقلنا قال ابن
 عادل ولا حاجة إليه بل النسب فيها ظاهر نسب عن قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
 طلبهم وقاية النار (ربنا انك من تدخل النار) أي للخلود فيها (فقد أخزيت) أي أهنته
 (وما للظالمين) أي للكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر أشعارا بضم صيص الخزي أي أيام
 أنصار) أي أنصارين زائدة زيدت لتأكيد النفي (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي) أي يدعو
 الناس (للايمان) أي إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم (أن) أي بأن (آمنوا
 بربكم فآمنوا) به (فان قيل) أي فائدة في الجمع بين مناديا ومنادى (أجيب) بأنه ذكر المبدأ
 مطلقا ثم مقيدا بالايمان تغنيما الشأن المنادى لأنه لا منادى أعظم من مناديا لالايمان
 ونحوه قولك مرت بهاديهم إلى السلام وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد
 للحرب أو لإغاثته المكروب أو ونحو ذلك وكذا الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي
 لسداد الرأي وغير ذلك فإذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى
 والهادي ونحوه ويقال دعاه لكذا وإلى كذا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي الكبائر منها (وكفرنا
 سماتنا) أي الصغائر منها ويكون ذلك من باب التعميم والاستيعاب كقوله الرحمن الرحيم ولأن
 الاتباع والمبالغة في الدعاء أمر مطلوب (وتوفنا مع الأبرار) أي مخصوصين بمحببتهم معدودين
 في جلتهم وهم الأنبياء والصالحون وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله
 تعالى أحب لقاء الله لقاءه رواه الشيخان (ربنا واتنا) أي اعطنا (ما وعدتنا) به (على) السنة (رسلك)
 من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وإن كان وعدة تعالى لا يختلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه

لانهم لم يتدقروا واستحقاقهم لذلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وتكرروا ربنا مبالغته
 في التضرع وفي الآثام من حربه أي اصابه أمر فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله تعالى عما يخاف
 وأعطاه ما أراد (ولا تخزنا) أي ولا تعذبنا ولا تفضضنا ولا تنهنا (يوم القيامة) لك لا تختلف الميعاد
 أي الموعد بأثابة المؤمنين واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت (فاستجاب لهم
 ربهم) دعاهم وهو أخص من أجاب لانه يفيد حصول جميع المطالب لكثرة مبالغته لان كثرة
 المباني تدل على كثرة المعاني ويتعدى بنفسه وباللام (أي) أي باني (لأضيق عمل عامل منكم)
 وقوله تعالى (من ذكر أو أنسى) بيان عامل (بعضكم من بعض) أي يجمع ذكركم وأنشأكم أصل
 واحد لكل واحد منكم من الآخرة أي الذكور من الإناث والإناث من الذكور وقيل المراد
 واصله الاسلام وهذه الجملة وهي بعضكم من بعض معترضة بين عمل عامل منكم من ذكر أو أنسى
 وما فصل به عمل عامل من قوله فالذين هاجروا الخ يفت بهم شراكة النساء مع الرجال فيما وعد الله
 تعالى عباده العاملين روى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله أسمع الله به ذكر الرجال
 في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) أي من مكة الى المدينة (وأخرجوا
 من ديارهم) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه
 الاعمال السنية الفاتقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارتبوا الى الله تعالى بدينهم من دار الفسنة
 واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا في سبيلي) أي ديني (وقاتلوا)
 الكفار (وقتلوا) في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بتقديم قتلوا وتأخير قاتلوا وشدد ابن كثير
 في عامر النساء من قتلوا التكثير (لا كفرن عنهم سياتهم) أي استرها بالمغفرة (ولادخلنهم
 جنتهم) تجري من تحتها الأنهار (وأي) أي ائيبهم بذلك اثابة (من عند الله) أي تفضلا منه تعالى فهو
 مفضلهم وكذلك قبله لان قوله تعالى لا كفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لا ئيبهم (والله عنده حسن
 الثواب) أي الجزاء وما كان المشركون في رخاؤلين من العيش يتجرون ويتفعمون وقال بعض
 المؤمنين ان أعداء الله فيما ترى من الخير ونحن في الجهد نزل (لا يفرنك ثقلب) أي تصرف
 (الذين كفروا في البلاد) للنجارات وأنواع المكاسب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
 منه غيره وقوله تعالى (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي ذلك الثقاب متاع قليل يتمتعون به في
 الدنيا يسيرا ويبقى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين
 من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا خرة لا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم
 فليظفر به يرجع رواءه مسلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال جئت فاذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها
 ليف فرائت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقبصر
 فيما مافيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة (ثم ما وأهم)
 أي مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أي الفراش هي (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
 من تحتها الأنهار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها نزل من عند الله) وهو ما يهد للضيف ونصبه

على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعام في فهم معنى الظرف (وما) أي والذي (عند الله)
من الثواب لكثرة ودوامه (خير للابرار) مما يقاب فيه الكفار من متاع الدنيا القلقة وسرعة
زواله واختلف في سبب نزول قوله تعالى (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فقال جابر وابن
عباس وأنس نزات في النجاشي ملك الحبشة واسمه أسحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات
نعا جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فقالوا ومن هو قال
النجاشي فخرج الى البقيع وكشفه الى أرض الحبشة فابصر مير النجاشي وصلى عليه وكبر
عليه أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على عجل حبشي نصراني
لم يره قط وليس على دينه فنزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء بن زات في أربعين رجلا من اهل
تجرا ن واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابن جريح نزات في عبد الله بن سلام واصحابه وقال مجاهد نزات في مؤمنى اهل
الكتاب (وما أنزل اليكم) أي القرآن (وما أنزل اليهم) أي التوراة والانجيل وقوله تعالى (خاشعين)
حال من ضمير يؤمن جرائع فيهم معنى من لانها في معنى الجمع أي متواضعين (لله لا يشترون) أي
لا يستبدلون (بآيات الله) التي عندهم في التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
(عنا قايلا) من الدنيا بأن يكتبوها خوفا على الرياسة كما فعل غيرهم من اليهود (أولئك لهم اجرهم)
أي ثواب أعمالهم (عند ربهم) وهو ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله تعالى أولئك
يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه
في كل شيء فهو عالم بما يستوجب كل عامل من الاجر بحسب حساب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعة وما يصيبكم من الشدائد وعن المعاصي (وصابروا)
أي وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب فلا تكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أي
أقيموا في المغاور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن ربط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رابط يوم ما وليه في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا يفتل عن صلاته الحاجة وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) في جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون)
أي تفوزون بالجنة وتنجون من النار وقال بعض العلماء اصبروا على البأس والاضراء ورابطوا
في دار الاعداء واتقوا الله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء روى الطبري لكن
بأسناد ضعيف من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم ملائكة حتى
تخجب الشمس أي تغيب وما رواه البضاوي تها للزنجشري وتبعهما ابن عادل من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم فهو من
الاحاديث الموضوعة على أبي بن كعب في فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه وقدره أئمة
الحديث قد عاينوا ذلك وعابوا على من أوردوه من المفسرين في تفاسيرهم والله تعالى أعلم

﴿سورة النساء مكية﴾

مائة وخمس أوست أوسبع وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الظاهر الملك العلام (الرحمن) الذي عم عباده بالأنعام (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بدار السلام وقوله تعالى (يا أيها الناس) خطاب بعم المكلفين من أولاد آدم من الذكور والإناث الموجودين منهم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم وقيل يخص بالعرب منهم لقوله تعالى واتفقوا بالله الذي تساءلون به والأرحام إذا المتشادة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم فيقولون أنشدك بالله وبالرحم وأجيب بأن خصوص آخر الآية لا يمنع عموم أقوالها (اتفقوا ربكم) أي عذابه بأن تطيعوه (الذي خلقكم من نفس واحدة) أي فترعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وقوله تعالى (وخلق منها زوجها) معطوف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد هو آدم وخلق منها أمكم حواء بالمتن ضلع من أضلاعه اليسرى أومعطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وأبدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى (وبث منهما) أي من آدم وحواء (رجالاً كثيراً ونساءً) أي كثيراً لبيان لكيفية تولدهم منها والمعنى وبث أي نشر من تلك النفس والروح المخلوقة منها بنين ونساء كثيرة واكتفي بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بما إذا الحكمة تقتضي أن يكن أكثر إذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة وذكر كثير اجلاء على الجمع ولا تكرار في الآية لأن خالقكم من نفس واحدة مغاير لخلق حواء منها لأنها خلقت من ضلعه وهم من مائهما ولبث الرجال والنساء لأنه بين به أن خلقهم من نفس واحدة معناه من نفس آدم وحواء مع زيادة التصريح بالرجال والنساء (واتقوا الله الذي تساءلون) فيه ادغام التاء في الأصل في السين أي تساءلون (به) فيما بينكم حيث يقول بعضهم لبعض أسألت بالله وأنشدك بالله (فان قيل) الذي يقتضيه سداً لنظام الكلام وجزاؤه أن يجاء عقب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويحث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها (أجيب) بأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على ذلك كان قادر على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقوا الله ويخشوا عقابه ولأنه يدل على النعمة السابقة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها وقرأعاصم وحزرة والكسائي بخفيف السين والباقون بتشديدها (و) اتقوا (الأرحام) أي بأن تصلحوا ولا تقطعوها وكانوا يتناشدون بالرحم وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلحاً يمكن منه تعالى روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة

بالعرش تقول الأمان وصلني وصله الله تعالى ومن قطعني قطعه الله تعالى وقرأ غير جزء بالنصب
 عطف على الله تعالى فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجار والمجرور كقولك
 من رتب يزيد وعمر أو أجازة فقرأ بالجر عطف على الضمير المجرور وقول البضاوي وهو ضعيف
 أي كما هو مذهب البصريين ممنوع والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون وكنيف
 يكون ضعيفا والقراءة متواترة فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين
 وتعلمهم عدم الجواز بكونه كبهض كلمة لا يقتضي الحاقه به في عدم جواز العطف إذ حذف
 الشيء مع القرينة جائز ومنه * رسم دار وقفت في طلله * أي ورسم دار وقول الشاعر
 * اذهب فإبلك والأيام من عجب (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا لأعمالكم فيجازيكم
 بها أي لم يزل متصفا بذلك (وأنو الياسي) أي بعد البلوغ والرشد (أموالهم) وهو ياسي
 بعد البلوغ مع أن اليتيم في عرف الشرع صغير لأب له على معنى أنهم كانوا يئسوا وإن كان
 اليتيم في اللغة الاتقواد ومنه الدرّة اليتيمة وقبل اليتيم في الناس من قبل الآباء وفي البهائم من
 قبل الأمهات وفي الطير من قبلهما والخطاب الأولياء والأوصياء روى أن رجلا كان معه مال
 كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال من عمه فغضب فترافعا إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال أطمئنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
 فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطلع ربه هكذا فإنه يحله داره أي
 جنته وسيأتي تفسير الحوب الكبير فلما قبض الفتى ماله أنفق في سبيل الله فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ثبت الأجر وبقى الوزر فقلوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو
 يتفق في سبيل الله فقال ثبت الأجر للعلام وبقى الوزر على والده أي ولعله كان لا يخرج زكاته
 (ولا تبسّلوا الخبيث) أي الحرام (بالطيب) أي الحلال أي لا تأخذوا به بل كما تفعلون في أخذ
 الجيد من مال اليتيم وجعل الردي من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس بتبدل وإنما هو
 تبدل قال التفتازاني لأن معنى تبدل هذا بذالك أنك أخذت هذا وتركت ذاك وكذا استبدلت
 لأن معنى بدلت هذا بذالك أخذت ذاك وأعطيت هذا قال تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فإذا
 أعطى الردي وأخذ الجيد فقد أعطى الخبيث وأخذ الطيب كالواخذ الخبيث وترك الطيب
 ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالحاصل أن في التبدل ما دخلته الباء متروك وما تعدى إليه
 الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبدل بالعكس اه وقد أوضحت ذلك في شرح المنهاج
 (ولأنكم أموالهم إلى أي مع أموالكم) كقوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله أي
 لا تنفقه وماعا ولا تسوا بينهم فأكلتكم أموالكم حلال لكم وأكلتكم أموالهم حرام عليكم
 فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكسبكم ونفقتكم (فان قيل) قد حرم الله
 عليهم أكل مال اليتيم وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها (أجيب) بأنهم كانوا
 يفعلون كذلك فأنكر عليهم فعلهم وجمع بهم ليكون أجزا لهم ولأنهم إذا كانوا مستغنين عن
 أموال اليتامى بآثار زعمهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يطعمون فيها كان القبح أبلغ والذم

أحق (أنه) أي أكلها (كان حوبا) أي ذنبا (كبيرا) أي عظيما ولم تزل هذه الآية في البتاي
وما كان في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الا وياه أن يلحقهم الحوب بترك العدل
في حقوق البتاي وأخذوا يتخرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من
الازواج والثلثان والست ولا يقوم بمقوقته ولا يعادل بينهن نزل (وان خفتم) أي خشيتن (أن
لا تقسطوا) أي تعدلوا (في البتاي) فخرجن من أموالهم فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء
وقالوا عدد المنكوحات (فانكحوا ما طاب) أي حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كالإدني
في آية التحريم (مثنى وثلاث ورباع) أي تزوجوا اثنتين أو ثلاثا وأربعا لأن من يخرج من ذنب
أو تاب عنه وهو من تركب مثله فهو غير مخرج ولا تأب لأنه انما وجب أن يخرج من الذنب
ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وانما عبر عنهما ومن يعقل انما عبر عنه عن ذاهبا
إلى الصفة لأنه انما يفرق بين من ومافي الذوات لافي الصفات وأجراهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقلمن وقيل كانوا لا يتخرجون من الزنا وهم يخرجون من ولاية البتاي فقبل أن خفتم
الحوب في حق البتاي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تجولوا حول المحرمات
وقيل كان الرجل يجده البتية لها مال وجمال فيتزوجه اضنا أي بخلافه افرعما يجتمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بمقوقته (فان قيل) الذي أطلق لنا كح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث
أو أربع فاعني التكرير في مثنى وثلاث ورباع حتى أن بعض الرافضة قال للشخص أن يتزوج
بثمانية عشر (أجيب) بأن الخطاب للجمع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يزيد الجمع ما أراد
من العدد الذي أطلق له كما تقول الجماعة اقسما وهذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قيل) لم جاء العطف بالواو دون أو حتى
قال بعض الرافضة أن له أن يتزوج بتسعة (أجيب) بأنه لو عطف بأو ذهب معنى تجوز أنواع
الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليها الواو (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد أيضا
بالقسم والنفقة (فواحدة) أي فانكحوا واحدة وذروا الجمع (أو ما ملكت أيمانكم) أي اقتصروا
على ذلك سواء بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم
بينهن * (تنبيه) * هذا في حق الحرأما من فيه رق فلا يتزوج أكثر من ثنتين باجتماع الصحابة
وقد يعرض الحر عوارض لا يزد فيها على واحدة كجنون أو سفه (ذلك) أي نكاح الأربعة فقط
أو الواحدة والتسري (إدني) أقرب إلى (أن لا تعدلوا) أي تجوزوا يقال عال الحاكم في حكمه إذا
جار وروى أن أعرابيا حاكم عليه حاكم فقال له انعول على وقد ورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعدلوا أن لا تجوزوا وحكي عن الشافعي رضي الله تعالى
عنه أنه فسر أن لا تعدلوا بأن لا تكثر أعيالكم قال البغوي وما قاله أحد انما يقال من كثرة
العمال أعال يعمل أعال إذا كثرت عياله وقال الزمخشري ووجهه أن يجعل من قولك عال الرجل
عياله يعولهم كقولك مانهم يعونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثرة عياله لزمه أن يعولهم ثم قال وكأزم
مثله من أعلام العلم وأعمه الشرع ورؤس المجتهدين تحقيق بالحلل على الصحة والسداد وان لا يظن

به تحريف تعبدوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تظن بكلمة
خرجت من في أخيك سواء أنت تجد لها في الخير مجحلا وكان الشافعي رحمه الله تعالى أعلى
كعبا وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا اهـ (وَأَتَوْا) أى أعطوا
(النساء صدقاتهن) جمع صدقة أى مهرهن (نحلة) أى عطية يقال نحلة كذا نحلة أى أعطاه
أياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصها على المصدر لأن النحلة والاياء بمعنى الاعطاء فكانه قيل
وأعطوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكبي وبجاعة والنحطاب للاولياء وذلك ان ولى المرأة
كان اذا تزوجها فان كان معهم في العشرة فلم يعطها من مهرها شيئاً وان زوجها غير يباحلها
اليه على بعير ولا يعطوها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق
الى أهلها (فان طبن لكم عن شيء منه) أى الصداق وقوله تعالى (نفساً) محمول عن الفاعل أى
ان طابت نفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبتهن لكم (فكاهوه) أى نخذهوه وأنفقوه (هنيئاً)
أى طيباً (مريباً) أى محموداً العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة روى ان ناساً كانوا يأتون
ان يرجع أحدهم في شيء مما ساقه الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير
اكره ولا خديعة فكاهوه هنيئاً مريباً قال الزمخشري وفي الآية دليل على ضيق المسالك في ذلك
ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقبل فان طبن ولم يقبل فان وهبن
أو سمعن اعلاماً بأن المراعى هو تجا في نفسها عن الموهوب طيبة وعن الشعبي ان رجلاً أتى
مع امرأته شريحاً في عطية أعطته إياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال
الرجل أليس الله تعالى قد قال فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وحكى
ان رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه فلبث شهر ثم طلقها
فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين
الآية التي بعدها ولا تأخذوا منه شيئاً اردد عليها وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كتب الى
قضاة ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأعيها امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها
(ولا تاتوا) أيها الاولياء (السفهاء) أى المبذرين من الرجال والنساء (أموالكم) أى أموالهم
وانما أضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وقيل نهى الى كل أحد أن
يعمد الى ما حوله الله من المال فيعطيه امرأته وأولاده ثم ينظر الى ما في أيديهم وانما سماهم سفهاء
استخفافاً بقهولهم واستهجاناً لجهلهم قواماً وهذا أوفق لقوله تعالى (التي جعل الله لكم قياماً) أى
تقوم بمسالككم ومصالح أولادكم فيضعوها في غير وجهها وعلى القول الاول بوقول بأن أموال
السفهاء التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً وسعى الله ما به القيام قياماً للعبادة وقرأنا نافع
وابن عاصم قوماً بغير ألف بعد الياء والقيم جمع قيمة ما يقوم به الامتعة والباقون بالالف مصدر قام
(وارزقوهم) أى أطعموهم (فيها واكسوهم) فيها وانما قال تعالى فيها لجهل الاموال ظروفها
للرزق فيكون الاتفاق من الربح لامن الاموال التي هي الظروف بأن يتجرروا فيها ويحصلوا من
ربحها ما يحتاجون اليه ولو قبل منها لكان الاتفاق من نفس الاموال (وقولوا لهم قولاً

معروفاً) أي عذوبهم عدة جيلة بأعطائهم أموالهم إذا رشدوا وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته
لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونذرت منه ألقبه فهو منكراً
وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإذا غنت في غزائي جعلت لك حظاً وقيل إن لم يكن ممن وجبت
عليك نفقته فقل له عافاً بالله وإياك بالزلة الله فيك وقيل لا يخص ذلك بالاولياء بل هو أمر لكل
أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما
لا ينبغي ويفسده (وأيلاً) أي اختبروا (اليداعي) في دينهم ونصر فهم؛ ربحوا وولد الناجر
بالبيع والشراء والمنا كسة فيه ما وولد الزراع لزراعة والنفقة على القوامهم والمرأة فيه
يتعلق بالغزل والقطن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الامير ونحوه
بالانفاق مدة في خبر وماء وحلم ونحوها كل ذلك على العادة في مثله ويشترط تكرار الاختبار وترتيب
أو أكثر بحيث يفيد غلبة الظن برشده ووقت الاختبار قبل البلوغ ولا يصح عقده بل يعتمد في
المنا كسة فإذا أراد العقد عقد الولي (حتى إذا بلغوا النكاح) أي صاروا أدلاء ما بالسق وهو
استكمال خمس عشرة سنة تحديده نلبر ابن عمر رضي الله تعالى عنه عرضت على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ولم يرني بلغت وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن
خمس عشرة سنة فأجازني ورأى بلغت رواء ابن حبان وأصله في الصحيحين وأبداؤه من انفصال
جميع الولد قبل عرض عليه صلى الله عليه وسلم سبعة عشر من العداية وهم أبناء أربع عشرة
فلم يجزهم وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم وأما مجزج المني في وقت امكانه وأقله
تسع سنين قرية تحديده سواء أخرج في يوم أم بقطة بجماع أو غيره وتزيد المرأة على هذين
الامرئين الحيض لوقت امكانه وأقله تسع سنين قرية تقر ببيعة فبغقر فيها زمن لا يسع حيضاً
وطهراً والولادة لانها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبلها بستة أشهر وشئ وانبات شعر العانة
انقش دليل للبلوغ في حق الكفار لاني - في المسلمين ولا عبرة بانبات شعر الابط واللحية (فان
انتم) أي أبصرتم (منهم رشداً) وهو صلاح الدين والمال أما صلاح الدين فلا يرتكب محرماً
يسقط العدالة من كبره أو اصرار على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر دينه وأما صلاح المال
فلا يضيعه بالقائه في بحر أو يصرفه في محرم أو باحتمال الغبن الفاحش في المعاملة ونحوها
وليس صرفه في الخير بتبذير ولا صرفه في النباب والاطعمة النفيسة وشراء الجوارى والاستمتاع
بهن لأن المال يتخذ لينفع به نعم ان صرفه في ذلك بطريق الاقتراض له حرم عليه (فادفعوا اليهم
أموالهم) من غير تأخير (ولأنأكلوها) أيها الاولياء وقوله تعالى (اسرفوا) أي بغير حق
(وبداراً) حالاً أي مسرفين ومبادرين إلى انفاقها مخافة (أن يكبروا) رشداء فيلزمكم تسليمها
اليهم (ومن كان) من الاولياء (غنياً فليستعفف) أي يعف عن مال اليتيم ويتنعم من أكله
(ومن كان فقيراً فليأكل) منه (بالمعروف) أي بقدر الاقل من حاجته وأجره عليه كما مر
ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال اليتيم وروى النسائي
وغيره أن رباً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن في مجرى يتيماً أفأكل من ماله قال بالمعروف

* (تنبيه) • اراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوا مما يدل على أنه نهى للاغنياء منهم أن لا يأخذوا لانفسهم من أموال اليتامى شيئا وللفقراء منهم أن لا يأخذوا منها شيئا بغير المعروف كما أن قوله ولا تأكلوا اسرافا وبذرا أن يكبروا يدل على أنه نهى للفرقة عن أكلها اسرافا ومبادرة لكبرهم (ناذا دفعتم اليهم) أي اليتامى (أموالهم فأشهدوا) ندبا (عليهم) بانهم قبضوها فإن الاشهاد أنقضى للتمسك وأبعد من الخصومة فتحسبوا من الحاجة الى البيعة وهذا يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه الدفع ولو أبا البيعة وهو مذهب الشافعي ومالك خلافا لابي حنيفة (وكني بالله حسيبا) أي حافظا لعمال خلقه ومحاسبهم (للرجال) أي الذكور (نصيب) أي حظ (عمارتك الوالدان والأقربون) أي المتوفون (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه) أي المال (أو أكثر) جعله الله (نصيبا مفروضا) أي مقطوعا بتسليمه اليهم روى أن أوس بن ثابت الانصاري رضى الله تعالى عنه توفي وترك امرأته أم حكمة بضم الكاف والحاء المستددة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيها سويد وعرجة فأخذاهما ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وإن كان الصغير ذكرا إنما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الامن قاتل وحازا النعمة فجاءت أم حكمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ وهو بالضاد والخاء المجتمعتين موضع بالمدينة قيل لعنه المسجد الذي كان يسكنه أصحاب الصفة لانهم كانوا يرشحون فيه النوى فشكت اليه فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن ما لا حسنا وهو عند سويد وعرجة لم يعطيا لي ولا بناته شيئا وهن في حجرى لا يطعمن ولا يلبسن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولداها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فتركت هذه الآية وأثبت لهن الميراث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقربا من مال أوس شيئا فإن الله جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم فأعطى صلى الله عليه وسلم أم حكمة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا يدل على جوازنا خبر البيان عن الخطاب (واذا حضر القسمة) للميراث (أولو القربى) أي ذوو القرابة ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فآرزوهم) أي أعطوهم (منه) أي المقسوم شيئا قبل القسمة تطميها لقلوبهم ونصدا فاعلمهم وهو أمر نذوب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بآية الموارث كالوصية وعن سعيد بن جبيران ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن ما ماتوا من الناس (وقولوا لهم قولوا معروفا) وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا ينعوا عليهم وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العيين يعنيت الذهب والورق فإذا قسم الذهب والورق وصارت القسمة الى الأقربين والرفيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولوا معروفا كان يقولون بترك فيكم (وليخس) أي وليخف صلى اليتامى (الذين لو تركوا) أي قاربوا أن

يتركوا (من خلفهم) أي بعدهم ومهم (ذرية ضعافا) أي أولاد اصغارا (خافوا عليهم) أي
 الضياع (فليبقوا الله) في أمر اليتامى وغيرهم وليأثروا اليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من
 بعدهم (وليقلوا) أي للمريض (قولا سديدا) أي عدلا وصوابا بأن يأمروه أن يتصدق بدون
 ثلثه ويترك الباقي لورثته ولا يتركهم عالة وذلك أنه كان إذا حضر أحدهم الموت يقول له من
 بحضوره انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا فقدم لنفسك أعتق وصدق
 وأعط فلانا كذا وفلانا كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وأمرهم أن يأمروه
 أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته إن الذين يأكلون أموال اليتامى
 ظلما أي بغير حق (انغميا كوني بطونهم نارا) أي مل بطونهم يقال أكل فلان في بطنه
 وفي بعض بطنه قال الشاعر * كوا في بعض بطنكم نفعوا * ومعنى يأكلون نارا يأكلون
 ما يجزى النار فمكثت نار في الحقيقة روى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان
 يخرج من قبره ومن فيه وأثفه وأذنيه وعينه فمعرفة الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليله أسرى بي قوما لهم مشافر كشافر الابل احدهما
 قالصة على منخرية والاخرى على بطنه وخرقة النار يلقمونهم جرحهم وصخرها فقلت يا جبريل
 من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (وسيلور سعيرا) أي نارا شديدة يحترقون
 فيها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الياء والباقيون بالفتح (يوصيكم الله) أي يأمركم (في أولادكم)
 أي في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله (لذكر) منهم (مثل حظ)
 أي نصيب (الاثنتين) إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فان كان معه واحدة فلها
 الثلث وله الثلثان وانما فضل الذكر على الانثى لاختصاصه بلزوم ما لا يلزم الانثى من الجهاد
 وتحمل الديّة وغيرهما وله حاجتان حاجة لنفسه وحاجة لزوجه والانثى حاجة واحدة لنفسها
 بل هي غالباً مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها ولكن الماعلم الله تعالى احتياجهما الى
 الذئقة وان الرغبة تقل فيها اذ لم يكن لهما مال جعل لهما حظا من الارث وابطل حرمان الجاهلية
 لهما (فان قيل) هلا قبل للاثنتين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر (أجيب) بأنه انما
 بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما هو عرف حظها لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى
 بيان فضل الذكر وقوله للاثنتين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص غيره عنه ولا عنهم كانوا يورثون
 الى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولا عنهم كانوا يورثون
 الرجال دون النساء واليهما وكان في ابتداء الاسلام بالمخافة قال تعالى والذين عقدت
 أيمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الورثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم
 من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك كله بالآية الكريمة واختلاف في سبب نزولها فعن جابر أنه قال
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لأعقل فتوضأ وصب على من وضوئه
 فعمقت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثي كدالة فترلت وقال مقاتل والكبي نزلت في أم
 كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك

امرأة وبنيتين وأخاف أخذ الاخ المال فأنت امرأة سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم يا بختي سعد
 فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتي سعد وان سعد اقبل يوم أحد شهيداً وان عيماهما أخذ مالهما
 ولا ينكحان الا ولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فاعل الله سعة في ذلك فزلات
 فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عيماهما وقال أعطاني سعد الثلثين وأتمهما الثمن وما بقي
 فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام وكانه قيل كفى الذككروا أن ضو عف لهم نصيب
 الاناث ولا يضارون في حظهن حتى يحرم من مع ادلائهن مع القرابة مثل ما يدلون به (فان قيل)
 حظ الاثنين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان (أجيب) بأن المراد حالة الاجتماع كما مر أمافي
 حالة الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبناتان يأخذان الثلثين والدليل على ان الفرض حكم
 الاجتماع أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله تعالى (فان كن) أي ان كان الاولاد (نساء) خلاص ليس
 معهن ذكر وأنت الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولدات وقوله تعالى (فوق اثنتين) خبر ثان
 أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فان قيل) قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين كلام
 مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لبيان حظ الانثيين فكيف صح أن يردف قوله فان كن
 نساء وهو لبيان حظ الاناث (أجيب) بأنه وان كان مسوقاً لبيان حظ الذكر الا أنه لما علم منه
 حظ الاثنين مع أخيهما كان كأنه مسوق للامرين جميعاً فلذلك صح أن يقال فان كن نساء
 (ولهن ثلثا ما ترك) أي المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت) أي المولودة (واحدة قلها
 النصف) وقرأ بأفع واحدة بالرفع على مكان الدائمة والباقون بالنصب على كان الناقصة
 واختلفت في ميراث الاثنين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حكمهما حكم الواحدة لانه
 تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقر حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ
 الذكك مثل حظ الانثيين اذا كان معاً اثني وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما
 أوهم ذلك أن يرا د النصيب بزيادة العدد كذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
 ذلك ان البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيهما الاولى والاخرى أن تستحقه مع
 أخت مثلهما ويؤيده أيضاً ان البنيتين أمس وجامان الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله قلها
 الثلثان مما ترك وقيل فوق صله وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق
 البنيتين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (ولا بويه) أي الميت وقوله تعالى (لكل واحدتهما
 السدس مما ترك) يدل بعض من كل فالسدس مبتدأ ولا بويه خبر وفائدة البديل دفع توهم أن
 يكون اللاب ضعف ما للذكر أخذاً من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وبهذا اندفع كما قال
 التفتازاني أن البديل ينبغي أن يكون بحيث لو أسقط استقام الكلام معني وهذا لو قيل لا بويه
 السدس لم يستقم هذا (ان كان له) أي الميت (ولد) ذكر أو غيره والحق بالولد ولدا الابن وبالأب
 الجدة (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) أي فقط بقرينة المقام (فلامه التلث) مما ترك وانما لم يذكر
 حصّة الاب لانه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال
 لهما ما ترك اثلاثاً ولو كان معهما أخذ الزوجين كان لهما ثلث ما بقي بعد فرضه كما قال الجمهور

لاثالث المال كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه فإنه يفضي الى تفضيل الاثنى على الذكر
 المساوي لهما في الجهة والقرب وهو كما قال البيضاوي خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة)
 أى اثنان فصاعد اذ كورا وأثان كما عليه الجمهور (فلا تمة السدس) والباقي للاب ولا شيء
 للاخوة وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث الى السدس الاثلاثة اخوة كورا أخذ بظاهر
 اللفظ واطلاق اللفظ يدل على أن الاخوة يرتدون من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرتدون مع
 الاب شيئا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنهم يأخذون السدس الذي يجبو عنه الام
 وقرأ جزء والكسائي في الوصل فلا تمة بكسر الهززة قرارا من ضمة الى كسرة لثقله في الموضعين
 والباقيون بضمهما وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) متعلق بما تقدمه من وصية
 الموارث كلها أي هذه الانصبة للورثة من بعد وصية أو وودع دين وانما عبر بأودون الواو للدلالة
 على أنها متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين (فان قيل) لم تقدمت
 الوصية في الذكر على الدين مع انها متأخرة في حكم النزع عنه (أجيب) بأنهم لما كانت شاقة
 على الورثة اكونها مأخوذة بلا عوض وهي مستحبة لكل مكلف بخلاف الدين فانه لا يكون
 على كل مكلف فقد تمت لذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة يوصي بفتح الصاد ووافقهم حفص
 على فتح الصاد في الحرف الثاني والباقيون بكسر الصاد فيه ما وقوله تعالى (أبأؤكم وبنأؤكم)
 مبتدأ خبره (لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نفعا) أي لا تعلمون من أنفع لكم من يرثكم من
 أصولكم وفروعكم في عاجلكم وأجلكم فذكركم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له
 ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له وانما العالم بذلك هو الله تعالى وقدر
 أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس أطو عليكم الله من الآباء والابناء أرفعكم درجة
 يوم القيامة والله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع اليه
 ولده وان كان الولد أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله أن يرفع اليه فيرفع بشفاعته
 (فريضة) أي ما قدر من الموارث فرض فريضة (من الله ان الله كان عليما) بامور عباده
 (حكيمًا) فيما قضى وقد رأى لم يزل متصفا بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن
 ولد) ذكر أو غيره منكم أو من غيركم (فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
 يوصي بها أو دين) وولد الابن في ذلك كالولد اجماعا (ولهن) أي الزوجات تعددن أو لا (الربع
 مما تركن ان لم يكن لهن ولد فلكم ولهن) منهن أو من غيرهن (فلهن الثلث مما تركن من
 بعد وصية يوصي بها أو دين) وولد الابن كالولد في ذلك اجماعا فقد فرض للرجل بحق العقد
 الصحيح ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة وارثين اشتركا في الجهة
 والقرب من الميت ولا يستثنى من ذلك الأولاد الام والمعتق والمعتقة (وان كان رجل) أي
 الميت (يورث) أي منه من ورث صفة رجل وخبر كان (كذالة) أو يورث خبر كان وكذالة من
 الضمير في يورث واختلفو في الكذالة فذهب أصحابنا الى أن من لا ولده ولا والد قال
 الشعبي سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الكذالة فقال اني سأقول فيها برأيي فان كان

صواباً فمن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اني لا استحي من الله ان أردت شيئاً قاله أبو بكر وذهب طائفة
ان الكلالة من لا ولده وهي احدى الروايتين عن ابن عباس وأخذ القولين عن عبد الله بن عمر
وسأل رجل عقبه عن الكلالة فقال ألا انجبون من هذا سألني ومأضل بأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيء ما أضلت بهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما نزل
لأن يكون النبي يبين لنا أحب النعمان الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا وقال
عبد بن أبي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اني لا أدع بعدى شيئاً أهم
عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة
وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ فيه حتى طعن بامه بيعة في صدرى وقال يا عمر ألا يكفئك آية الصيف
اني في آخر سورة النساء واني ان اعش أقض فيها بقضية بقضى بهما من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ
القرآن وقوله ألا يكفئك آية الصيف أراد أن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين احدهما
في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من
البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليهما وقوله تعالى (أو امرأة) عطف على رجل أى
أو امرأة تورث كلالته (وله) أى الرجل (أخ أو أخت) واكتفى بحكم الرجل عن حكم المرأة دلالة
العطف على تشاركهما فيه. ويصح أن يعود الضمير على الموروث الكلالة فيشمل الرجل والمرأة
فلكل واحد منهما السدس وقد أجعوا على أن المراد به الاخ والاخت من الام (فان كانوا)
أى الاخت والاخوات من الام (أكثر من ذلك) أى من واحد (فهم شركاء في الثلث) يستوى
فيه ذكورهم واناثهم لأن الأدلاء ببعض الأنوثة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) وقوله تعالى
(غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث
وعن قتادة كره الله الضرر في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن
يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وقوله تعالى (وصية من الله) مصدر موصى كدلو صيكم أى
يوصيكم بذلك وصية كقوله نريضة من الله (والله عليم) بما دبره خلفه من القرائض (حليم)
بتأخير العقوبة عن خائفه * (تنبيه) * خصت السنة تورث من ذكرين ليس فيه مانع من قتل
أو اختلاف دين أو ورق (تلك) أى الاحكام المذكورة في أمر السامى والوصايا والموارث
(حدود الله) أى شرائعه التي حدتها له بما دبره لولاها ولا يتعدوها (ومن يطع الله ورسوله)
فيما حكيه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة
كقولك مرت برجل معه صقر صائد با غدا (وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده) أى الله (يدخله ناراً) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال كما مر ولا يجوز أن
يكون خالدين وخالداً صفتين لجنات ونار لانهم ماجر ياء على غير من همالة فلا بد من الضمير وهو
قولك خالدين هم فيها وخالداً هو فيها هذا على مذهب البصريين أما على مذهب الكوفيين فهو
جائز عندهم عند أمن اللبس كما هنا وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره (وله عذاب مهين)

أى دواهاثة روى في الضمائر فى الآيتين لفظ من وفى خالدين معناها وقرأ نافع وابن عامر
ندخله جنات وندخله نار بالنون فيهما على الالتفات والباقون بالياء (واللآتى يأتين الفاحشة)
أى الزنا (من نساكنكم فاستشهدوا عليهم أربعة منكم) أى من رجال المسلمين وهذا خطاب
للعلماء أى فاطلبوا عليهم أربعة من الشهود وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود
(فان شهدوا) عليهم بها (فأمسكوهن) أى احبسوهن (فى البيوت) واجعلوهن
سجناتهن وامنعوهن عن مخالطة الناس وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون
بكسرها (حتى يوفاهن الموت) أى ملائكتهم (أو) إلى أن (يجعل الله لهن سبيلا) أى طريقا
إلى الخروج منها أمر وبذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجوار البكرامته وتغريبها عاما
ورجم المحصنة وفى الحديث لما بين الحديث قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا رواه
مسلم (واللذان) أى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (يأتينها)
أى فاحشة الزنا (منكم) أى الرجال (فأذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) أى
منها (وأصلحا) أى العمل (فأعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (إن الله كان توابا) على من تاب
(رحيما) به وهو علة الأمر بالأعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحديث روى ابن مسعود
عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما أخبرا أن رجلا اختصما إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال الآخر وكان أفقههما أجل
يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وأئذنى أن أتكلم فقال إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى
بأمرأة فاخبرونى أن على ابني الرجم فافتدت منه بمائة شاة وبجارية فلى ثم انى سألت أهل العلم
فاخبرونى أن على ابني جلد مائة وتغريب سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لا أقض بينكما كتاب الله أما غمك وجاريتك فرد عليك
وجلد ابنة مائة وغزبه عاما أى لأنه كان غير محصن وأمر أن يسا الأسلى أن يأخذ امرأته الآخر
فان اترف رجما فاعترف فرجما وروى ابن عباس عن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال إن
الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها
ورحمناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشى أن طال بالناس زمان أن
يقول قائل والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضاهوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم فى كتاب
الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الاعتراف ووجهه حد
الزنا أن الزانى إذا كان محصنا وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحرية
والإصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان أو ذميا وعند أبي حنيفة أن الاسلام من
شرائط الإحصان فلا يرجم عنده الذمى ويرد ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وان كان الزانى غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف
نظر أن كان غير بالغ أو مجنون أو فلاحده عليه وان كان حرا أو قلا بالغا غير أنه لم يصب بنكاح صحيح
فعليه جلد مائة وتغريب عام وان كان رقيقا فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام ومثل الزنا

اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه ~~له~~ كن المقبول به لا رجم عليه وان كان محصنا بل
يجلد ويغترب وقيل نزلت آية واللاقي يأتين الفاحشة في المساحقات وآية والأذان يأتيانها
منكم في اللواطين (انما التوبة على الله) أي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله تفضلا منه
بقتضى وعده لانه تعالى وعده بقبول التوبة فاذا وعد شيئا لا بد أن ينجز وعده لان الخلف في وعده
سبحانه وتعالى محال (الذين يعملون السوء) أي المعصية وقوله تعالى (بجهالة) في موضع
الحال أي يعملون السوء جاهلين أي سقمها فان ارتكاب الذنب عمدا عو اليه السفة والشهوة
لاما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع أي يخرج
من جهالته وقال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصى به الله
فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله تعالى فهو جاهل (ثم يتوبون من) زمن (قريب)
أي قبل أن يغترغروا وقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم ان
الله يقبل توبة العبد ما لم يغترغروا رواه الترمذي وحسنه وعن عطاء ولو قبل موته بفراق ناقة
وعن الحسن ان ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لأفارق ابن آدم مادام روحه في
جسده فقال وعزتي وجلالي لا اعلق عليه باب التوبة ما لم يغترغروا والغرغرة تردد الروح في الخلق
(تنبه) * معنى من في قوله تعالى من قريب التبعض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي
ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل فني أي جزء ناب من أجزاء هذا الزمان فهو نائب من قريب والافهو نائب من بعيد
(فاولئك يتوب الله عليهم) أي يقبل توبتهم (فان قيل) ما فائدة ذلك بعد قوله تعالى انما
التوبة على الله (أجيب) بأن ذلك وعد بالوفاء بما وعده وكتبه على نفسه كإعطاء العبد الوفاء
بما عليه (وكان الله علما) بمخلقه (حكما) في صنعه بهم (وليست التوبة للذين يعملون السيئات)
أي الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) أي أخذ في النزاع (قال) عنده شهادة ما هو فيه
(انني نبت الآن) حين لا يقبل من كفر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك يتقهم ايمانهم
لما رأوا بأأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق (ولا الذين يوتون وهم كفار) أي
اذا تابوا في الآخرة عندهم معاناة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى سبحانه وتعالى
بين الذين سوفوا توبتهم الى حضور الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضور
الموت اول أحوال الآخرة فكأن المصرون على الكفر قد فاتتهم التوبة على اليقين فكذلك
المسوف الى حضور الموت لمجازة كل منها أو ان التكليف والاختيار وقوله تعالى (اولئك أعدنا
لهم عذابا أليما) أي مؤلما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب أعدنا لهم لا يجزئ عذابهم
متى شاء والاعتماد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعدنا أي بدأت الدال الاولى تاء
(يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن ترثوا النساء) أي ذواتهن (كرها) نزلت في أهل المدينة كانوا
في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة وللرجل عسبة وألحق توبه على امرأة
الميت أو على خباياها صار أحق بها من نفسها ومن غيره ثم ان شاء تزوجها بصدقةها الا قول وان

شاهزوجهها غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفقد من غيرها
ورمته من الميت أو عوت هي فبرها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها عصبه الميت
ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا على هذا حتى توفي أبو القيس بن الاسات الانصاري وترك امرأته
فقام ابن له من غيرهما فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقر بها ولم ينفق عليها يضارها
لتفقد نفسها منه فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث
نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخرج بي فقلت لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقعد في بيتك حتى يأتي أمر الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ جزء والكسائي بضم
الكاف والباقون بفتحها قال الكسائي وهو ما لغتان وقال الفراء الكره بالفتح مأ كره عليه
وبالضم المشقة وقوله تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينهوهن) عطف على أن ترثوا أي
لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بما سأكهن ولا رغبة لكم فيهن ضاررا للتذهبوا ببعض
ما آتينهوهن من المهر وقيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي انه خطاب
للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المرأة وهو كاره بجمعته اولها عليه مهر فيضارها
لتفقد وتترد اليه ماساق اليها من المهر فنهى الله تعالى عن ذلك قال الزمخشري والعضل الحبس
والضيق ومنه عذلت المرأة بولدها اذا اختفت رجها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الآن يأتي
بفاحشة مينة) كلزناوا النشوز وسوء العشرة فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليعفدين منكم قال
عطاء كان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها ففسخ ذلك
بالحد ودوقر ابن كثير وشعبة بفتح الياء المثناة تحت والباقون بالكسر وقوله تعالى (وعاشروهن
بالمعروف) قال الحسن رجع الى أول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة في الميت والنفقة والاجال في القول وقيل هو أن تصنع لها كما
تصنع له (فان كرهتهوهن) فاصبروا ولا تنفارقوهن (فعسى أن تنكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا) أي فرما كرهت النفس ما هو أصح في الدين وأجد وأدنى الى الخير وأحببت
ما هو بضد ذلك وليكن نظركم ما هو أصح للدين وأدنى الى الخير فاعل أن يرزقكم الله تعالى فمنه
ولدا صالحا أو يعطفكم الله عليهم وقد بينت الآية جواز امسالة المرأة مع الكراهة لها ونهيت
على معنيين أحدهما ان الانسان لا يعلم وجهه الصلاح والثاني ان الانسان لا يكاد يجد محبوبا
ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره لما يحب وأنشدوا في هذا المعنى

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه عيت وهو عائب

ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

ولما كان الرجل اذا طمعت عينه الى استظراف امرأته بهت بالتي تحته ورمها بفاحشة حتى
يلجئها الى الاقدام منه بما أعطاهها البصر فله الى زوج غيرها نزل (وان أردتم استبدال زوج
مكان زوج) أي أخذها بدلها بأن طلقتموها (و) قد آتينكم احداهن أي الزوجات (قنطارا)
أي مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه) أي القنطار (شيئا) وقوله تعالى (أنا أخذونه بهتاناً)

أى ظلماً (وأعصابنا) أى ينأ حال أى تأخذونه بأهنة وآئين وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه
 قام خطيباً فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله
 لكان أولاً لكم بهنار. ولله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأته من نساءه أكثر من اثنتي عشرة
 أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتينهم
 أحداً حقن قطاراً فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أعلم من عمر ثم قال لا يصحنا به نسمه ونعى أقول
 مثل هذا القول ولا تنكروني على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء وقوله تعالى (وكيف
 تأخذونه) استفهام توخي وإنكار رأى تأخذونه بأى وجه (وقد أفضى) أى وصل (بعضكم إلى
 بعض) بالجماع المقر لله وكنى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو الوصول إلى الشيء من غير
 واسطة تعليم العباد لانه مما يستحي منه (وأخذن منكم ميثاقاً) أى عهداً (غليظاً) أى شديداً
 وهو ما أخذ الله للنساء على الرجال من أمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى
 الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
 وقد قيل حصبة عشرين يوماً قرابة فكيف يجازى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ولما توفي
 أبو قيس وكان من صالحى الانصارى خطب ابنه قيس امرأة أبيه وكان أهل الجاهلية
 ينسجون أزواج آبائهم فقالت انى أعدك ولداً وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تأمره فأنته وأخبرته بذلك فنزل (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء)
 وانما عبر بما دون من لانه أريد به صفة ذات معينة وهى كونهم منكم كوحات الآباء وقيل
 ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء من المعنى
 اللازم للنهي فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الاما قد سلف أو من اللفظ
 للمبالغة في التحريم والمعنى لا تنكحوا احلال آباءكم الاما قد سلف ان أمكنكم أن تنكحوه
 ولا يمكن ذلك والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى اباحتها كإعلاق بالمال فى التأيد فى
 فهو قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط أو منقطع أى لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك فانه
 معذوب عنه وقوله تعالى (انه) أى نكاحهن (كان فاحشة ومقتاً) علة للنهي أى انه فاحشة
 فكان مزيدة أى قبيحة عند الله تعالى ما رخص فيه لامة من الامم بمقتوا عند ذوى المرات من
 الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه الملقى ويسمى به الرجل
 المذكور أيضاً قال فى القاموس نكاح المقت أن يتزوج امرأة أبيه بعده فالمقتى ذلك المتزوج أو
 ولده أى ومن ثم قيل ومقتاً كانه قيل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح مقتوفى الرواة
 ولا مزيد على ما يجمع القبحين (وساء) أى بئس (سيلاً) أى طريقاً ذلك روى عن البراء بن عازب
 أنه قال مرتبى خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب فقال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 رجل تزوج امرأة أبيه تأمير برأسه * واعلم أن أسباب التحريم المؤبد ثلاثة قرابة ورضاع
 ومصاهرة وضابط المحرمات بالنسب والرضاع أن يقال تحرم نساء القرابة الامن دخات تحت
 ولدا العمومة أو ولدا الخولة وقد بدأ الله بالسبب الأول وهو القرابة فقال (حرمت عليكم)

أمهاتكم) أي العقد عليهن وكذلك يقتدر في الباقي لان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من
 تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله والامتهات
 جمع أم وأصلها أمية قاله الجوهري وضابط الأم هي كل من ولدت فهي أمك حقيقة أو ولدت
 من ولدك ذكرًا كان أو أنثى كأم الأب وإن علمت وأم الأم كذلك فهي أمك مجازًا وإن شئت
 قلت هي كل أنثى ينتهي اليها نسبك (وبنائكم) جمع بنت وضابطها هو كل من ولدتا فهي بنتك
 حقيقة أو ولدت من ولدها ذكرًا كان أو أنثى كبنت ابن وإن نزل وبنت بنت وإن نزلت فبنتك
 مجازًا وإن شئت قلت كل أنثى ينتهي اليك نسبها وخارج بالنسب المخلوقة من ما زنا الرجل فانها
 تحمل له لانها أجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تتبع بعض الاحكام ويحرم على المرأة ولدها
 من زنا بالاجماع كما أجمعوا على أنه يرثها والفرق أن الابن كالعصوم منها وانفصل منها انسانا
 ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للأب (وأخواتكم) جمع أخت وضابطها هو
 كل من ولدها أبوالك أو أحدهما فهي أختك (وعمتكم) جمع عمة وضابطها هو كل من هي
 أخت ذكر ولدك بلا واسطة فعمة أمك حقيقة أو بواسطة كعمة أهلك فعمةك مجازًا وقد تكون
 العمة من جهة الأم كاخت أبي الأم (وخالاتكم) جمع خالة وضابطها هو كل من هي أخت أنثى
 ولدتك بلا واسطة فخالتك حقيقة أو بواسطة كخاله أمك فخالتك مجازًا وقد تكون الخالة من
 جهة الأب كاخت أم الأب (بنات الاخ وبنات الاخت) من جميع الجهات وبنات أولادهم
 وإن سفلن ثم ثني بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) وضابط
 أمك من الرضاع هو كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من
 ولدك بواسطة أو غيرها أو ولدت من أرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفعل بواسطة
 أو غيرها فأم رضاع (وأخواتكم من الرضاعة) وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمك
 أو أرضعت لبنك أهلك أو ولدتها من أرضعتك أو ولدها الفعل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع
 لشهر الصحيحين يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم
 من الولادة وفي رواية حرمو من الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع هو كل
 أنثى أرضعت لبنك أو لبن من ولدتها بواسطة أو غيرها أو أرضعتها امرأة ولدتها بواسطة
 أو غيرها وكذا بناتها من نسب أو رضاع وإن سفلن وضابط عمه الرضاع هو كل أخت للفعل
 أو اخت ذكر ولد الفعل بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط عمه الرضاع هو كل
 أخت للرضعة أو أخت أنثى ولدت المرعنة بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط
 بنات الاخوة وبنات الاخوات من الرضاع كل أنثى من بنات أولاد المرعنة والفعل
 من الرضاع والنسب وكذا كل أنثى أرضعتها أختك أو أرضعت لبنك أخيك وبناتها وبنات
 أولادها من نسب أو رضاع وانما ثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل
 استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لقوله صلى الله
 عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

لارضاع الاما انشرا العظم وأثبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أي حنفية مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الاكثرين لأقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انفصاله والشرط الثاني
ان توجد خمس رضعات متفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انهم اقالتم فيما أنزل
الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرأهن من لم يبلغه نسختهن فقد نسختت ولا وتمن
وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قائل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وابيه ذهب سفيان النوري ومالك
والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى الاول وقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المسة من الرضاع والمصتان ثم ثلث بالسبب الثالث وهو الفسكاح فقال تعالى (وأتمهات
نساءكم) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل برزوجه أم لا لاطلاق الآية
(وربائبكم) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسُميت ربيبة لانه يربها كما يربي ولده في غاب
الامر ثم اتسع فيه وسُميت بذلك وان لم يربها وقوله تعالى (اللاتي في حجبوركم) أي تربونهم صفة
موافقة للغالب فلا مغموم لها (من نساءكم اللاتي دخلتم بهن) أي جامعتموهن سواء أكان
ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في
فسكاح نياتهن اذا فارقموهن (فان قيل) لم أعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة
الاولى وهي وأتمهات نساءكم مع أن الصفات عقب الجمل تعود الى الجميع (أجيب) بأن نساءكم
الثاني مجرور بمجرر الجوز نساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجز الاتباع
وتعين القطع واعتراض بأن المعمول الجزو هو واحد * (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد
وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو ماتت قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم
بنها لان ذلك لا يسمى دخولا وان تردفقه الرواية (فان قيل) لم يعتبر الدخول في تحريم أصول
البنت واعتبر في تحريمها الدخول (أجيب) بأن الرجل يتلى عادة كالمائة أمها عقب العقد
لترتيب أموره فحرم بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخل الماء المحترم ثبت
المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المنعومة باللعان وان لم يدخل بأمها لانها لا تنفي عنه قطعا
(وحلائل) أي أزواج (أبنائكم) واحدها حليلة والذكر حليل سمي بذلك لان كل واحد منهما
حلال لصاحبه وقيل سمي بذلك لان كل واحد يحل لأزواجه من الحل وهو وضد العقد وقوله
تعالى (الذين من أصلابكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان
النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لان حليلة
ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبناء الولد وان سئلوا * (تنبيه) كل امرأة
تحرم عليك بعقد الفسكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة
بشبهة أوجارية بملك اليمين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابنه

ولوزني بامرأة لم تحرم أمها ولا بنتها على الزاني ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنه كما قاله ابن عباس واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى التحريم بروي ذلك عن عران بن حصين وأبي هريرة وهو قول أصحاب الرأي وهو المباشرة بشهوة كلس وقبله كالوطاء في تحريم الزبيبة فيه قولان أحدهما وهو الأصح من مذهب الشافعي لأن ذلك لا يوجب العدة فكذلك لا يوجب الحرمة والثاني نعم لأن ذلك كالوطاء بجماع التلذذ بالمرأة ولأنه استمتاع يوجب القديبة على المحرم فكان كالوطاء وبهذا قال جمهور العلماء ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاِخْتَيْنِ) أي ولا يجوز للرجل أن يجمع بين اختين في نكاح سواء كانتا من نسب أم رضاع سواء أنكحهما معا أم مترتبا فإذا أنكح امرأة ثم طلقها بائنا جازله نكاح أختها وخروج بالجمع في النكاح الجمع بملك العين فانه جائز لكن لا يجوز أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ أحدهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه ويحلق بينهما في الوطء فإذا وطئ أحدهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه ويحلق بينهما بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وأختها من نسب أو رضاع ولو بواسطة قال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أختها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى رواه الترمذي وغيره وصححه ولم يلقه من قطعية الرحم وإن رضيت بذلك فإن الطبع يتغير واليه أشار صلى الله عليه وسلم في خبر النهي عن ذلك بقوله أنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهم كما رواه ابن حبان وغيره وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواما هو كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت أحدهما ذكرا حرم الجمع بينهما بنكاح أو وطء بملك العين بقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء عن لازم المعنى وهو المواخذة فكانه قال تعالى توأخذون بذلك الاما قد سلف قبل النهي فلا تؤاخذون به أو منقطع أي لكن ما قد سلف من نكاح بعض ما ذكرناه مغفور لكم ويؤيد هذا قوله تعالى (إن الله كان عفورا) لما سلف منكم قبل النهي (رحميا) بكم في ذلك وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان وعاصم بإظهاره زال قد عند السنين والباقيون بالادغام (و) حرمت (المحصنات) أي ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن سواء أكن حرائر أم لا مسلمات أم لا قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج ففترجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال (الاما ملكت أيمانكم) أي من الاماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع النكاح بينهما وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا إلى أطواس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فسكر هو أغشيانهم ونحروا فأنزل الله هذه الآية * (فائدة) * قرأ الكسائي جميع ما في القرآن من لفظ المحصنات ومحصنات بكسر الصاد لا هذا الحرف فانه وقع الصاد موافقة للجميع ووجه تسميتهن بذلك لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات بالكسر في غير هذه الآية وقوله تعالى (كتاب الله) مصدر مؤن كدلمهون الجملة التي

قبله وهي حرمت عليكم الخ أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتاباً وقوله تعالى (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله إذا قرئ بالبناء للفاعل كما قرأ غير حصص وحزرة والكسائي وأما هم فقرؤه بالبناء للمفعول عطف على حرمت (ما وراءكم) أي سوى ما حرم عليكم من النساء وقوله تعالى (أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبغوا أي تطلبوا النساء بأموالكم التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين أي متزوجين غير مسافحين أي زانين لثلاثضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فقفسروا ديناً كم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحسان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المسنى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحين ماذني من المسذى والاموال المهور وما يخرج في المناكح * (تنبيه) يجوز أن يكون مفعول تبغوا مقدر وهو النساء كما قدرته لك قال الزمخشري والاجودان لا يقدر وكأنه قيل أن تتخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن تبغوا بدلاً عما وراءكم بدل اشتمال لأن المبدل منه ذات والمبدل معنى والذات مشتقة عليه (فما) أي فن (استمتعتم) أي تمتعتم (به منهن) أي من تزوجتم بالوطء (فأتوهن أجورهن) أي مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو مصفة مصدر محذوف أي أيتامه وروضا أو مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتن) أنتم وهن (به من بعد الفريضة) فيما يراذ على المسمى أو يحط عنه بالتراضى أو فيما تراضياه من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهضت كان الرجل يتكح المرأة وقامه لوماً إليه أو ليلتين أو أسبوعاً شوب أو غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها ولتجدها لها بما يعطيهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا أن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال لا أتى برجل تزوج بامرأة إلى أجل إلا رجتمه بالبخارة وعن ابن عباس أنه قال هي محكمة أي لم تنسخ وكان يقرأ أنها استمتعتم به إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقيل انها أباحت مرتين وحرمت مرتين (إن الله كان عليماً) بجفلة (حكيماً) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولاً) أي غنى وأصل الطول الفضل يقال فلان على فلان طول أي زيادة فضل وقد طاله طولا فهو طائل كما قال القائل لقد زادني حباً لنفسي اني * بغض إلى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم هذا امر ما تحته طائل أي شئ يعتد به عماله فضل وخطره ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصر قصوفيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة (أن ينسكح المحصنات) أي الحررات وقوله تعالى (المؤمنات) جرى على الغالب فلا مفهوم له فإن الحررات الكليات كذلك (فمن ماملكت أيمانكم من فتيانكم المؤمنات) أي امائكم المؤمنات

أي ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة أي أو الكفاية كما مرت قبل تزوج الأمة المؤمنة وظاهر الآية
 حجة للسافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صدق حرة ومنع نكاح
 الأمة الكفاية مطلقا وأول أبو حنيفة رضي الله عنه طول المحصنات بأن يملك فراشه على أن
 النكاح هو الوطء وحل قوله من قسياتكم المؤمنات على الأفضل - ل كما حل عليه قوله المحصنات
 المؤمنات ومن أصحابنا من جله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة والكفاية
 دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحدور في نكاح الأمة رقي الولد ولائها
 محتمة مبتدئة خراجة ولا حجة وذلك كله نقصان راجع إلى النكاح ومهانة والعزة من صفات
 المؤمنين وأما وطؤها بملك اليمين فإثر اتفاق * (فائدة) * قوله تعالى غن ما ملكك من مقطوعة
 عن ما (والله أعلم بما بينكم) أي بتفاضل ما بينكم وبين إرفائكم في الإيمان ورجحانه
 ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل في الإيمان من
 الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الأفضل الإيمان لأفضل الاحساب والانساب وهذا تأنيص
 بنكاح الاماء وترك الاستسكاف منه فإنه العالم بالسراير (بعضكم من بعض) أي أنتم وأما ترك
 سواء في النسب والدين نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فلا تستسكفوا من نكاحهن
 (فانكحوهن باذن أهلهن) أي مواليهن (وأتوهن أجورهن) أي أدوا اليهن مهرهن باذن
 أهلهن فحذف باذن لانه قدّم ذكره وأدوا إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لانه
 عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك المهر للأمة ذاهبا إلى ظاهر الآية (بالمعروف)
 أي من غير مغل ولا ضرار وقوله تعالى (محصنات) أي عفيفات حال من ضمير فانكحوهن
 وهو محمول على الندب بناء على المشهور من جواز نكاح الزواني (غير مسافحات) أي زانيات
 جهرا (ولامتنعات أخذان) أي اخلاء بزنون بهما سراج خدن وهو الصديق في السر وقيل
 المسافحات اللاتي يزني مع أي رجل وذوات الأخدان اللاتي يزني مع معين وذلك بحسب
 ما كان في الجاهلية (فإذا أحصن) قرأ شعبة وحزرة والكسائي أحصن بفتح الهزة والصاد على البناء
 للفاعل أي تزوجن والباقون بضم الهزة وكسر الصاد على البناء للمفعول أي تزوجن (فان أتيتن
 بفاحشة) أي زنا (فعلين نصف ما على المحصنات) أي الحرائر لا بكار إذا زني (من العذاب)
 أي الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبد (فان قيل) ما فائدة وجوب
 تنصيف الحد عليهن بتقييده بتزويجهن اذ تنصيف العذاب لازم للأمة الزانية بتزويج أم لا
 (أجيب) بأن فائدة ذلك بيان أن لا رجم عليهن أصلا وبأنه انما ذكر لبيان جواب سؤال اذ
 الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوا مقدار حد الأمة قبل التزويج دون مقداره بعده فساءلوا
 عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وذهب بعضهم إلى أنه لا حد على من لم يتزوج
 من المماليك اذ ازنأ أخذ بظاهر الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذ ازنأ أمة أحدكم
 فبين زناها فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها ثم ان عادت فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها فان زنت
 الثالثة فبين زناها فليبعها ولو جعل من شعر (ذلك) أي نكاح الاماء عند عدم الطهر (لمن)

خشي) أي خاف (العت) أي الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سبها بالحق في الدنيا أو بالعقوبة
 في الآخرة (منكم) أيها الأحرار بخلاف من لم يحفظه أما العبيد فيجوز لهم نكاح الاماء
 مطلقا لكن ان كان العبد مسلما فلا بد أن تكون الامة مسلمة (وان تصبروا) عن نكاح الاماء
 متعفين (خير لكم) ثلاثا يصبر الولد رقيقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحر ائصال البيت
 والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بأن وسع له في ذلك (يريد الله ليسنكم)
 شرائع دينكم ومصلح أموركم (ويهديكم) أي يرشدكم (سنن) أي شرائع (الذين من قبلكم)
 من الانبياء في التحريم والتحليل فتبعوهم (ويؤوب عليكم) أي ويحبوا ويزعمكم ما أصبتم قبل
 أن يسين لكم (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) ان وقع
 منكم تقصير في دينه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال السدي هم اليهود والنصارى وقال
 بعضهم هم الجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمهن الله قالوا
 فأنكم تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكم وبناات الاخ والاخت
 فزلت وقال مجاهد هم الزناة (أن تقولوا) أي تعدلوا عن الحق (مبلا عظيما) بارتكاب ما حرم
 عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) أي يسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل
 كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة أي السهلة
 (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
 ما أيس الشيطان من أحد قط الا أنه من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى
 عيني وأنا أعشوب بالآخرة وان أخوف ما أخاف على قسنة النساء وعن ابن عباس رضي الله تعالى
 عنهم ما غان آيات في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليسن
 لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كما ترماتهنون عنه تكفر
 عنكم سياتكم ان الله لا يغفر أن بشره ويغفر ما دون ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
 سوا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعد اباكم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
 بالباطل) أي عالم تبعة الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار والربا وقوله تعالى
 (الا أن تكون تجارة) استثناء منقطع أي لكن أن تقع تجارة على قراءة الرفع وهي قراءة غير
 عاصم وحجة والكسائي وأما هو لا فقروا بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أي الا أن
 تكون الاموال تجارة (عن تراخ منكم) أي فلکم ان تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) أي
 بارتكاب ما يؤدى الى هلاكها في الدنيا والآخرة وقال الحسن بن علي اخوانكم أي لا يقتل
 بعضهم بعضا ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة روى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال من قتل نفسه بشئ في الدنيا عذب به يوم القيامة وروى ان الله تعالى يقول يا ابراهيم
 عبدى بنفسه فخرمت عليه الجنة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم خلوف البرد فلم يشكر
 عليه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان بكم) يا أمة محمد (رحيما) حيث أمر بنى اسرائيل بقتل
 الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) أي ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات

وقوله تعالى (عدوانا) حال أي متجاوزا للعلل وقوله تعالى (وظلما) تأكيدي وقيل أراد
 بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم الشخص نفسه بتعريضه للعقاب (فسوف نصليه) أي
 ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا عسر عليه فيه (ان تحببوا كباثر
 ما تهون عنه) أي كلامها وفسر جماعة الكبيرة بأنها ما لحق صاحبها وعبد شديد بنص كتاب
 أو سنة وقال جماعة هي المعصية الموجبة للعدو والاول أولى لانهم عدوا الربا وأكل مال اليتيم
 وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حذفها وقال الامام هي كل جرعة تؤذي أي تعلم بقله
 أكثر من تركها بالدين وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان بينك وبين العباد والصغار
 ما كان بينك وبين الله واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة
 يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات فواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي
 وهي أشياء كثيرة قال ابن عباس هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبيرة هي الى السبع مائة
 أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها (نكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغار وهي ما عدا الكبائر
 أي تكفر بفعل الطاعات كالصلاة والصوم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
 لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ولا بأس بذكر شيء من النوعين فمن الاول تقديم الصلاة وتأخيرها
 عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان
 القرآن والمأس من رحمة الله وأمن مكره تعالى والقتل عمدا أو شبه عمدا والكفر والقرار من
 الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا
 واللاواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقبضه جماعة بما يبلغ ربع
 مثقال كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم
 والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب الصحابة وأخذ الرشوة والتمنية وأما الغيبة
 فان كانت في أهل العلم أو جهة القرآن فهي من الكبائر والأفهي صغيرة ومن الصغار النظر المحرم
 وكذب لاحد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث وكثرة الخصومات
 الا ان راعى حق الشرع فيها والفحش في الصلاة والتهاجة وشق الجيب في المصيبة والتجتر في
 المشي والجلوس بين الفساق اينا سألهم وادخل مجانين وصبيان يغلب تهييسهم ونجاسة المسجد
 واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما لا صغيرة مع
 الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل الكبائر الشرك وما عداه من الصغار قال الله تعالى ان
 الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وندخلكم مدخلا) قرأ نافع بفتح الميم أي
 موضعا (كريما) أي حسنا وهو الجنة وقرأ الباقر بنضها على المصدر بمعنى الادخال مع الكرامة
 (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا والدين لك لا يؤدى الى التحاسد
 والتباغض لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمه وتدبير وعلم باحوال العباد وما
 يصلح لهم قسمه في الرزق وقض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل

أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو المصلحة ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد
أخاه على حظه قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف ما لنا
من الميراث فلو كنا رجالاً لغزو وناوأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء نحن أحوج إلى الزيادة من
الرجال فأنصنعنا وهم أقوياء وأقدر في طلب المعاش منا فنزلت وقال قتادة والسدى لما أنزل
الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجال إننا لنترجو أن نفضل على النساء في الآخرة فيكون
أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب) أى ثواب
(عما اكتسبوا) أى بسبب ما عملوا من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن (أى من
حفظ فروجهن وطاعة الله وطاعة أزواجهن فالرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء
وذلك أن الحسنة تكون بعشر أمثالها يستوى في ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على النساء
انما هو في الدنيا (واسألوا الله من فضله) أى لا تمنوا ما للناس واسألوا الله ما احتجتم إليه
يعطسكم من خرائشه التي لا تنفذ فنهى الله عن التمنى لما فيه من دواعي الحسد والحسد أن يتنى
الشخص زوال النعمة عن صاحبها سواء تمتها لنفسه أم لا والغبطة أن يتنى لنفسه مثل
ما صاحبه وهو جائز قال صلى الله عليه وسلم لا حسد أى لا غبطة إلا في اثنتين الحديث (إن الله
كان بكل شئ علماً) فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عن علم وتبين (ولكل) من الرجال
والنساء (جعلنا موالى) أى عصبية يعطون (عمارتك الوالدان والاقربون) لهم من المال
فالوالدان والاقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى أى ورثة ممالك أى من
الذين تركهم فتكون ما يعنى من ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون أى هم الوالدان
والاقربون فعلى هذا القول الوالدان هم الوارثون (والذين عاقدت أيمانكم) والمعاقدة
المعاهدة والمخالفة والإيمان جمع عين بمعنى القسم وألده وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ
بعضهم يدي بعض على الوفاء والتسليم بالعهد ومخالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل
فيقول دمي دمك وتأري تأري وحربي حربي وسلي سلك وترثي وأرثك وتطلبني وأطلبك
وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للعليف السدس من مال الخليف وكان ذلك ثابتاً في ابتداء
الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) أى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال مجاهد أراد فآتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله تعالى أو فوا بالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته يوم فتح مكة لا تمدوا حلقاء في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه
لم يرده الاسلام الاشدته قال الزمخشري وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل
وتعاقد على أن يتعاقدا لويته وارثا أصبح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى
اه وقرأ غير عاصم وجزء والكسائي عاقدت بالعين والقاف وأما هؤلاء الثلاثة
فقرأ عاقدت بغير ألف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف

إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاولى (ان الله كان على كل شيء شهيدا) أى مطلعاً
 تخافوه (الرجال قوامون على النساء) أى يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية وعلى ذلك
 بأمرين أحدهما وهبى والاخر كسبى وقد ذكرنا قول بقوله تعالى (بما نضل الله
 بعضهم على بعض) أى بسبب تفضيله الرجال على النساء بكل العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
 في الاعمال والطاعات ولذلك خصوصاً بالنبوة والامانة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
 في مجامع القضايا وجوب الجهاد والجمعة والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد
 بالفراق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب واهم أصحاب اللحي والعنائم ثم ذكر
 الثانى بقوله تعالى (وبما انفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لو امرت أحد أن يسجد لأحد لا سجد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها وروى
 أن سعيد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشر علمه زوجته حبيلة بنت زيد بن أبى زهير فاطمها
 فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمة فاطمها فقال
 لتقتص منه فترت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص
 (فالسالحات) منهن (قاتات) أى مطيعات لازواجهن (حافظات لغيرهن) أى لما يجب
 عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والميوت والاموال وعن أبى هريرة رضى
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك
 وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها (بما حفظ الله) أى بما حفظهن
 الله حين أوصى بهن الازواج في كتابه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء
 خيرا وبما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب
 العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة (واللاتى تخافون) أى
 تعاون (نشوزهن) كفى قوله تعالى فن خاف من موص جهنم وأما (نعظوهن) أى خوفهن
 كأن يقول زوجته اتق الله في الحق الواجب عليك واحذرى العقوبة ويبين لها أن النشوز
 يسقط النفقة والقسمة (واهجر وهن في المضاجع) أى اعتزلوهن في الفراش (واضربوهن)
 وان لم يتكرر النشوز ان أفاد الضرب والا فلا يضرب كما لا يضرب ضرباً مبرحاً ولا وجهها ولا
 مهالك ومع ذلك فالاولى له العفو وخرج بالعلم بالنشوز ما اذا ظهرت اماراته فقط اما بقول كان
 صارت تخبى بكلام خشن بهدان كان بلين واما بفعل كان يجذب منها عراضا وعيوباً بعد تطف
 وطلاقة وجهه فانه يعظها بلا هجر وبلا ضرب لعناتها بدى عذراً أو توب عما وقع منها بغير عذر
 وخرج بالجميع الهجر بالكلام فلا يجوز الهجر فوق ثلاثة أيام ويجوز فيها للخبر الصحيح لا يجل
 لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ان قصد بهجرتها لم يخط نفسه فان قصد بهجرتها عن المعصية
 واصلاح دينها فلا تحريم اذ النشوز حينئذ عذر شرعى والهجر له في الكلام جائز مطلقاً
 ومنه هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبه ونهيه الصحابة عن كلامهم
 (فان اطعنكم) فيما يراد منهن (فلا تبغوا) أى لا تطلبوا (عليهن سبيلاً) أى طريقاً الى ضربهن ظمناً

واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروا الطبراني وابن
 ماجه وغيرهما (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروا أن يعاقبكم أن ظلمتموهن فإنه أقدر عليكم
 منكم على من تحت أيديكم (وان خفستم) أي علمتم (شقاق) أي خلاف (بينهما) أي بين المرء
 وزوجه وذكركرهما بضميرهما وان لم يجز ذلك لهما جرى ما يدل عليهم ما هو الرجل والنساء
 وإضافة الشقاق إلى الظرف أما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله بإسارق اللبلة أهل الدار
 أو الفاعل كقولهم نهال صائم (فابعثوا) أي أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما اليهما لكن
 برضاهما (حكما من أهله) أي أقاربه (وحكما) آخر (من أهلها) أي أقاربها لينظر في أمرهما
 بعد اختلاف حكمه به وحكمها به ومعرفته ما عندهما في ذلك ويصلح بينهما أو يفترقا إن عسر
 الأصلح على ما يأتي فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصالح * (تنبيه) *
 بعث الحكمين على سبيل الوجوب وكونهما من الأقارب على سبيل الندب وهما وكيلان لهما
 فاشتراط وضاعما للحكم من جهة الحكم لأن الحال يؤدي إلى القراق والبضع حق الزوج
 والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولي عليهما في حقهما فيوكل هو حكمه بطلاق أو خلع
 ويوكل هي حكمها بإيدل عوض وقبول طلاق ويستترط فيها ما سلام وحرية وعدالة واهتداء إلى
 المقصود من بعثهما له وانما اشتراط فيها ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكالتهما بنظر الحكم كما
 في أمينة ويسن كونهما ذكرا ولا يكتفى بحكم واحد (ان يريدان) أي الحكمان (اصلاحي فوق
 الله بينهما) أي الزوجين أي ان قصد اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
 لوجه الله تعالى يورل في وسطتهما ما وأوقع الله بطيب أنفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين
 الوفاق والائتلاف وألقى في نفوسهما المودة والرحمة وقبل الضمير الاول للزوجين والثاني للحكمين
 أي ان يرد الزوجان اصلاحي فوق الله بين الحكمين اختلافهما حتى يعلا بالاصلاح وقبل
 الضمير ان الحكمين أي ان قصد اصلاح يوفق الله بينهما لتنقق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
 للزوجين أي ان أرادوا اصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الائتلاف والوفاق وفيه تنبيه على
 أن من أصلح نيته فيما يتجرأ أصلح الله تعالى مبتغاه وان لم يرضيا بغيره ولم يتفقا على شيء أدب
 الحكم الظالم واستوفى المظالم حقه (ان الله كان عليما) بكل شيء (خبيرا) بالبوطن كالظواهر
 فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين
 قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (واعبدوا الله) أي وحدوه وأطيعوه (ولا تشركوا به شيئا) أي
 شيئا من الأشرار جلليا كان أو خفيا وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه انه قال كنت رديف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله
 أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله تعالى
 اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الناس على الله ان لا يعذبهم ثم قال قلت
 يا رسول الله ألا تبشر الناس قال دعهم يعملون (و) أحسنوا (بالوالدين احسانا) أي بر أولي
 جانب (وبذي القربى) أي صاحب القرابة (واليتامى والمساكين) ويدخل في المساكين

الفقراء روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة وفي رواية من مسح رأس يقيم
 ولم يصحه الا الله كان له بكل شعرة ثمرة عليهم ايداه حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يقيم عنده كنت
 أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه (والجار ذي القربى) أى القريب منك فى النسب
 أو الجوار (والجار الجنب) أى البعيد عنك فى النسب أو الجوار روى عن عائشة رضى الله
 تعالى عنها انها قالت يا رسول الله انى لى جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك بابا وروى
 انه صلى الله عليه وسلم قال لا يذرى ذرا ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا
 طبخت مرققة فأكثر ماءها وأغرف لحيراء لك منها روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل
 يوصىنى بالجراح حتى ظننت أنه يورثه (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى السفر كما قاله ابن عباس
 ومجاهد والمرأة تسكون معه الى جنبه كما قاله على والنخعي وأبو ذى يصحبك رجاء تنفعك فى تعلم علم
 أو حرفة أو يفوز ذلك كما قاله ابن جريج وابن زيد (وابن السبيل) أى المسافر لانه يلازم السبيل
 أو الضيف كما عليه الاكثر روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفي رواية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
 كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليكرم ضيفه جارتة يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن
 يشوى عنده حتى يخرج (وما ملكت أيمانكم) أى من الارقاء من عبيد واما روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه
 مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليأخذه عليه وفي رواية
 انه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى مرضه الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يتكلم وما يفيض
 به لسانه (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا على الناس من أقاربهم وأصحابه وجيرانه
 وغيرهم ولا يلتفت اليهم (تخورا) أى يتفاخر عليهم بما آتاه الله روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 بينا رجل يتختر فى بردين وقد أعجبته نفسه خسف به الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة
 وفي رواية لا ينظر الله يوم القيامة الى من جزئ به خيلاء وقوله تعالى (الذين) مبتدأ (يتخلون)
 أى بما يجب عليهم (ويأمرن الناس بالجل) بذلك (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من العلم
 والمال وهم اليهود يتخلوا ببيان صفة صلى الله عليه وسلم وكتموها وكانوا يأثرون رجالا من الانصار
 ويتخلطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانما نخشى عليكم الفقر ولا ندرن ما يكون وخبر
 المبتدأ محذوف تقديره اهتم وعيد شديد ويصح أن يكون الذين بدلان من قوله من كان أو منصوبا
 على الذم أو مرفوعا عليه أى هم الذين قرأوا سورة الكسافى بالجل بفتح الباء والخاء والباء قون
 بضم الباء وسكون الخاء (واعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عدا بامهينا) أى اذا هاته وضع
 الظاهر فيه موضع المضمر اظهرا بأن من هذا شأنه فهو كافر بالله لكتمانه صفة النبى صلى الله
 عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أنعم الله على عبد نعمة

أحب أن ترى نعمته على عبده ونبي عامل للرشيد قصر احذاء قصره فتم به عنده فقال الرجل
يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره ان ترى أثر نعمته فأحييت ان أسرك بالنظر الى آثار نعمتك
فأعجبه كلامه وقوله تعالى (والذين عطف على الذين قبله) يتفقون أموالهم وثناء الناس) أي
مرأيتهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أي كلنا فقيين ومشركي مكة المنفقين أموالهم
في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا) أي صاحباً يعمل بأمره
كهم ولاه (فساء) أي فبؤس (قرينا) هو حيث جعلهم على الجمل والرياء وكل شروزيه لهم كقوله
تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس وأوانه الداخلة في باطن الانسان
والخارجة عنه ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا عمارتهم الله) أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستغفار
للانكار ولو مصدرية أي لا تضر رفيعه وانما الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى (وكان الله بهم
علماً) وعيد لهم فيجازيهم بما عملوا (ان الله لا يظلم) أحداً (منقال) أي وزن (ذرة) وهي أصغر
نخلة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء في الكوة أي لا ينقص قدر ذلك من حسناته ولا يزيد
في سيئاته كما قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئاً وفي ذكر المنقال ايما الى أنه وان صغر قدره
عظم جزؤه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أنه أدخل يده في التراب فرفعهما ثم نفخ فيه
فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وانك حسنة) أي وانك المئقال حسنة (بضاعها) أي
ثوابها من عشر الى أكثر من سبع مائة وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة بلغني عنك
أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة
الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه ألفي ألف حسنة ثم
تلا هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق
في الدنيا ويجزي به بها في الآخرة قال وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى
الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً وفي رواية اذا خلاص المؤمنون من النار وأمنوا فما
بمجادلة أحدكم اصحابه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم
الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا
فأدخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فأنخرجوا ومن عرفتم منهم فبأوتون فيعرفونهم بصورهم لا تأكل
النار صورهم ففهم من أخذته النار الى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته الى ركبتيه فيخرجونهم
فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار ثم من كان
في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال أبو سعيد بن جابر لم يصدق
فليقرأ هذه الآية ان الله الخ قال فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق أحد في النار فيه خير
ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفعت المؤمنون وبقي أرحم الراحمين
قال فيقبض قبضة من النار وقال قبضتين ناسا لم يعملوا خيراً حتى احترقوا حتى صاروا جملاً
فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فينبئون كجائنت الحبة في حبل السيل وهي بكسر

الحاء المهملة وتجمع على حبيب قال فتخرج أجب ادعهم مثل اللؤلؤ في أعناقهم الخاتم عتقاء الله
فقال لهم ادخلوا الجنة فاستميت أو رأيتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا أعطنا ما لم تعط
أحد من العالمين قال فيقول الله تعالى فإن لكم عندي أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من
ذلك فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا (فان قيل) لم أوث الضمير مع انه راجع للمثقال
وهو مذكر (أجيب) بأنه أنه لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وقيل ان الضمير راجع
الى ذرة وهي مؤنثة لا الى مثقال وجذفت النون تشبيها بحروف العلة وقرأ نافع وابن كثير
حسنة برفع التاء على كان التامة والباقون بنصبها على كان الناقصة وقرأ ابن كثير وابن عامر
بضعفها بتسديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (ويؤت) أي يعط
صاحب الحسنة (من لده) أي من عند الله على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابله
الععمل (أجر عظيم) أي عطاء عزيلا وانما سماه أجرة لانه تابع للاجر من بعده عليه لا يثبت
الاثباته (فكيف) حال الكفار (إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بأعمالها وهو نبي القوله
تعالى وكنتم عليهم شهداء مادمت فيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) الشهداء (شهداء)
أي شاهدات شهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك على مجامع قواعدهم
وقيل هؤلاء اشارة الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهدا وقيل الى الكافرين المستفهم عن حالهم وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فسكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال حسبك (يومئذ) أي المجيء وهو يوم القيامة (يؤت) أي يتنى (الذين كفروا وعصوا
الرسول لو) أي أن (تسويهم) الارض) كما ترى أولم يبعثوا أولم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا
فتسويهم الارض فعند ذلك يتنى الكافر أنه لو كان ترابا كما قال تعالى ويقول الكافر باليتنى
كنت ترابا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم تسويهم التاء للبناء لا للمفعول والباقون بالفتح
بالبناء للفاعل مع حذف احدى التاءين في الاصل وشدد السين نافع وابن عامر وخففها
الباقون (ولا يكتون الله حديثا) أي مما عملوه لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها
مواطن فيني مواطن لا يتكلمون ولا تسمع الالهة وفي موطن يتكلمون ويتكذبون ويقولون
ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على
أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتون الله حديثا وقال سعيد بن جبير قال رجل
لابن عباس اني أجدي القرآن شيئا يختلف على فقال هات ما اختلف عليك قال قال الله تعالى
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال تعالى
ولا يكتون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال تعالى أم السماء بناها الى
قوله والارض بعد ذلك دحاها فذلك خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال أنشكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى طائعتين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء وقال

تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا حكيما فكانت مكان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون في النفخة الثانية ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتُمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا نقل لم نك مشركين فيختم على افواههم فنطق أيديهم وأرجلهم فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتُم حديثا وعنده يود الذين كفر واوعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الارض في يومين ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآن كأم وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض في يومين خلقت الارض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما أي لم يزل كذلك فلا يختلف علمك القرآن فان كلاما من عند الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) أي لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها (وأنتم سكارى) من الشراب (حتى تعلموا ما تقولون) بأن تصحوا منه كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشربا فدعا نورا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان الخمر مباحا فأكلوا وشربوا فأسكروا وواجه وقت صلاة المغرب ففقدوا أحدهم صلى بهم فقرا أقل يأبى الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لاهكذا الى آخر السورة ففترت فكانوا لا يشربونها في أوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وقيل أراد بالسكركم سكر النوم ونهي عن الصلاة عند عليه النوم قال صلى الله عليه وسلم اذ انعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله تعالى (ولا جنباً) منصوب على الحال أي ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب بايلاج او انزال يقال رجل جنب واما امرأة جنب ورجال ونساء جنب لانه يجرى مجرى المصدر لانه مصدر بل هو اسم مصدر لانه لم يستوف حروف الفعل لان فعله أجنب فمصدره اجنبا بالاجنبا واصل الجنابة البعد وسمى جنبا لانه يجتنب موضع الصلاة ولجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل (الاعابري) أي مجتازي (سبيل) أي طريق أو مسافرين (حتى تغتسلوا) أي فلكم أن تصلوا واستنشاء الماء قوله حكم آخر سياتي وفي هذا دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث لانه غايه بقوله حتى تغتسلوا ومن فسر الصلاة بوضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء والطريق الى الماء (وإن كنتم مرضى) أي مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجب كالتعاقد (أو على سفر) أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي أحدثتم

بخروج الخارج من أحد السيلين والغائط المكان المظلم من الارض تقضى فيه الحاجة
 سعي بامه الخارج للمجاورة (أو لأمس النساء) قرأ جزء والكسائي بغير ألف بين اللام والميم
 والباقون بألف واختلف في معنى اللبس والملامسة فقال قوم هما التقاء البشريتين سواء
 أكان بجماع أم بغيره وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي وبه استدل الشافعي
 رضى الله تعالى عنه على أن اللبس ينقض الوضوء وقال قوم هما الجماعة وهو قول ابن عباس
 والحسن ومجاهد وقتادة كنى باللبس عن الجماع لأن باللبس يوصل الى الجماع (فلم تجدوا ماء)
 تطهرون به للصلاة بعد الطلب لانه لا يسمى غير واحد الا بعد الطلب وهذا راجع الى ما عدا
 المرض (فقيموا) أى بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) أى ترابا طاهرا أى طهورا أما المرضى
 فيقيمون مع حضور الماء لأن وجوده بالنسبة اليهم كالعدم (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)
 مع المرفقين منه بضميرتين كما ثبت في الحديث وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان
 أو غيره وان كان خيرا لا تراب عليه لوضرب التيميم به عليه ومسح لكان ذلك طهوره والى هذا
 ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأجاب عن قوله تعالى فى آية المائدة فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم منه أى بعضه وهو لا يتأتى فى الضر الذى لا تراب عليه بأن من لا ابتداء الغاية قال
 الزمخشري وقولهم انها لا ابتداء الغاية فيه تعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل
 مسحت برأسي من الدهن ومن الماء ومن التراب الامعنى التبعيض قال والاذعان للعق أحق
 من المراء والتيميم من خصائص هذه الامة روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس ثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة
 وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدء التيميم
 ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض
 أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجبل انقطع عقدى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبابكر فقالوا ألا ترى
 ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء
 فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حسبت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله
 أن يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتي ولا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيميم
 فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقال عائشة فبعثنا
 البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحتة وفي رواية أنها استعارت من أسماء قلادة فهلك
 فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه فى طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء
 فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا
 فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وقوله تعالى

(أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَقُورًا غَفُورًا) كِتَابَةً عَنِ التَّرْخِصِ وَالتَّيْسِيرِ لِأَنَّ مِنْ كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنِ
 الْخَطَايَا وَيَغْفِرَ لَهُمْ أَثَرًا كَانَ مَبْسُورًا غَيْرَ مَعْسُورٍ (أَلَمْ تَرَ) أَيْ تَنْظُرُ (إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحًا)
 أَيْ حَفَظُوا نَصِيرًا (مِنَ الْكِتَابِ) أَيْ مِنْ عِلْمِ التَّوْرَةِ وَهُمْ أَحْبَابُ الْيَهُودِ (يَشْتَرُونَ) أَيْ يَخْتَارُونَ
 (الضَّلَالَةَ) عَلَى الْهُدَى (وَيَزِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا) أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ (السَّبِيلَ) أَيْ تَخْطُطُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ
 لَتَكُونُوا مِثْلَهُمْ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ) (بِأَعْدَائِكُمْ) فَيُخَبِّرُكُمْ بِهِمْ لَتَجْتَنِبُوهُمْ وَلَا تَتَسَبَّحُوهُمْ فَانْهَمِ
 أَعْدَاؤَكُمْ (وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا) أَيْ حَافِظًا (وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا) أَيْ مَانِعًا لَكُمْ مِنْ كَيْدِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
 (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) بَيَانٌ لِلَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ يَهُودٌ وَنَصَارَى وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا جَلَّ تَوَلَّى بَيْنَ الْبَيَانِ وَالْمَبِينِ عَلَى سَبِيلِ
 الْإِعْتِرَاضِ أَوْ بَيَانِ لِعَدَائِكُمْ وَمَا يَنْهَى عَنْهُمَا إِعْتِرَاضُ أَوْصَالِهِ لِنَصِيرَةِ أَيْ يَنْصُرُكُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَنَصَرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهُ صَفْقَةً (يَحْزَنُونَ)
 الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) أَيْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَقَوْمٌ يَحْزَنُونَ أَيْ يَغْشَوْنَ الْكَلِمَ الَّذِي أُنْزِلَ فِي
 التَّوْرَةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ الَّتِي وَضَعَ عَلَيْهَا بَارِئُ اللَّهِ عَنْهَا وَاثْبَاتُ غَيْرِهِ
 فِيهَا وَفِي الْمُسَانِدَةِ مِنْ بَعْدِهِ مَوَاضِعُهُ وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَتْ الْيَهُودُ يَأْتُونَ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ عَنِ الْأَمْرِ فَيُخَبِّرُهُمْ وَيُرِي أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ فَاذْأَنْصَرَفُوا
 مِنْ عِنْدِهِ حَزَنُوا كَلَامَهُ (وَيَقُولُونَ) لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ (سَمِعْنَا) قَوْلًا (وَعَصَيْنَا)
 أَمْرًا (وَأَسْمَعُ غَيْرُ مَسْمُوعٍ) بِمَعْنَى الدَّعَاءِ أَيْ لَا سَمِعْتُ بِصَمٍّ أَوْ عَوْتُ أَوْ بِمَعْنَى السَّمْعِ مِنْهُ لَا نَسْمَعُ
 مِنْكَ أَوْ بِمَعْنَى السَّمْعِ غَيْرِ مَسْمُوعٍ كَلَامًا تَرْضَاهُ (وَيَقُولُونَ لَهُ) (رَاعِنَا) يُرِيدُونَ بِهِ التَّنَسُّبَ إِلَى الرَّعُونَةِ
 وَقَدْ نَهَى عَنْ خُطَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَهِيَ كَلِمَةٌ سَبَّ بِلَغْتِهَا (لِيَا) أَيْ تَحْرِيفًا (بِالسُّنَنِهِمْ) أَيْ
 يَحْزَنُونَ مَا يَنْظُرُونَ مِنَ الدَّعَاوِ وَالتَّوْقِيفِ إِلَى مَا يُخَبِّرُونَهُ مِنَ السَّبِّ وَالتَّحْقِيرِ نِفَاقًا (وَطَعْنًا) أَيْ
 قَدْحًا (فِي الدِّينِ) أَيْ الْإِسْلَامِ (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بَدَلَ وَعَصَيْنَا (وَأَسْمَعُ) أَيْ فَقَطْ
 (وَانْظُرْنَا) أَيْ انْظُرْ لِيَا بَدَلَ رَاعِنَا (لَكِنْ خَيْرُ الْهَمِّ) مِمَّا قَالُوهُ (وَأَقْوَمُ) أَيْ أَعْدَلُ وَأَصَوَّبُ
 (وَلَكِنْ نَعْنَمُ اللَّهُ) أَيْ أَبْعَدُهُمْ عَنْ رِجَّتِهِ (بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أَيْ أَيْمَانًا قَلِيلًا
 لَا يُعَابَهُ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِبَعْضِ الْآيَاتِ وَالرُّسُلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِالْقَلِيلِ الْعَدَمُ أَوِ الْإِنْفِرَاقُ لِقَلِيلٍ مِنْهُمْ
 كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ) يَخَاطَبُ الْيَهُودَ (أَمَّنُوا بِأَنْزَلْنَاهُ) أَيْ
 الْقُرْآنَ (مَصَدَّقًا لِمَا كُنْتُمْ) أَيْ التَّوْرَةَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَامَ أَحْبَابُ الْيَهُودِ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنِ صُورِيٍّ وَأَصْحَابُهُ وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ وَقَالَ يَامَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلُوا فَوَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ
 لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ لِحَقٌّ قَالُوا مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ وَانْصَرَفُوا عَلَى الْكُفْرِ فَزَلَّتْ (مِنْ قَبْلِ أَنْ
 نَظْمَسَ وَجُوهَهَا) أَيْ نَحْمُو تَخْطُطُ صُورَهَا مِنْ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ وَأَنْفٍ وَفَمٍّ (فَتَرَدَّاهُ عَلَى أَدْيَارِهَا) أَيْ
 فَتَجْعَلُهَا كَالْأَقْفَامِ مَطْمُوسَةً مِثْلَهَا أَوْ تَسْكِبُهَا إِلَى وَرَائِهَا فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ رَوَى أَنَّ عَبْدَ
 اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ وَيَدْعُوهُ عَلَى
 وَجْهِهِ وَأَسْلَمَ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَصْلَ الْمِلْحِ حَتَّى يَحْمَلَ وَجْهِي فِي قَفَايَ وَكَذَلِكَ

كعب الاحبار لما سمع هذه الآية أعلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رب آمنت يا رب
أسأت مخافة أن يصيبه وعبد هذه الآية (فان قيل) قد أوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم
يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك (أجيب) بأن هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسح في اليوم وقيام
الساعة أو أن هذا كان وعيداً لبشر طمسا أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقين
وقبل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نظم وجوها أي نثر كهفهم في الضلالة فيكون
المراد طمس وجه القلب والردع بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة (أو نلعنهم)
أي نلعنهم قردة وخنازير (كما لعنا) أي مسخنا (أصحاب السبت) منهم قردة وخنازير (وكان
أمر الله) أي قضاؤه (مفعولاً) أي نافذاً وكاننا فيقع لاحتمال ما أوعدهم به ان لم يؤمنوا (ان الله
لا يغفر أن يشرك به) أي لا يغفر الا لشرك به قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهم المماثل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً قالوا يا رسول الله
والشرك فنزلت * ولما أخبر بعده أنه أخبر تعالى بفضله فقال (ويغفر ما دون ذلك) الامر الكبير
العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أم كبيرة سواء أتأب فاعلمها أم لا ورهب بقوله اعلاماً
بأنه مختار لا يجب عليه شيء (لم يشاء) وقال الكلبي نزلت هذه الآية في وحشي بن حرب
وأصحابه وذلك انه لما قتل حزة وذبح الى مكة ندم هو وأصحابه وكتبوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اننا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس بمنعنا عن الاسلام الا اناس معناك تقول وأنت بمكة
والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الا آيات وقد دعونا مع الله الهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله
قتلها وزنا فلو لا هذه الآيات لاتبعناك فنزل الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً الآيتين فبعث
بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شر شديد نخاف أن لا
نعمل عملاً صالحاً فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بهما اليهم فبعثوا
اليه اننا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته فنزل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الآية فبعث بهما اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق
وحشي بالشأم فكان بهما الى أن مات (ومن يشرك بالله فقد افترى) أي ارتكب (اثماً عظيماً)
أي كبيراً فالافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق روي أن رجلاً قال
يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئاً أدخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً
دخل النار وروي أبو ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك
الا دخل الجنة قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق قلت وان زني وان سرق قال
وان زنا وان سرق قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق على رغم أنف أبي ذر وكان
أبو ذر اذا حدث بهذا قال وان رغم أنف أبي ذر (لم تر الى الذين يزكون أنفسهم) قال الحسن
وقتادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا ان يدخل الجنة الامن
كان هوداً أو نصارى وقال الكلبي نزلت في رجال من اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهية تبهم ما علمنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما علمنا بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل في الآية كل من زكى نفسه ووضعها
بزكاة العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزكى عند الله الا اذا كان لغرض صحيح وطابق الواقع
كقول سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم اجعلنى على خزان الارض انى حفظ علمي وقوله صلى
الله عليه وسلم انى أمين فى السماء أمين فى الارض حين قال له المنافقون اعدل فى القسعة اكذابا
لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه ولكن شتان بين من شهد الله له بالتركية ومن شهد لنفسه
أو شهد له من لا يعلم (بل الله) الذى له صفات الكمال (يزكى من يشاء) أى بماله من العلم التام
والقدرة الشاملة والحكمة البالغة وأصل التركية نقي ما يستقيم فعلاً أو قولاً (ولا يظنون) أى
ينقصون من أعمالهم (فتيلاً) أى قدر ما يكون فى شق الزواة قاله عكرمة عن ابن عباس
فهو اسم لما فى شق الزواة والقطمير اسم للقشرة التى على الزواة والنقيير اسم للقطعة التى
تكون على ظهر الزواة وقيل القليل من القتل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ
عند القتل * ولما أخبر سبحانه وتعالى أن التركية انما هى اليه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
(انظر) متعباً (كيف يفترون) أى يتعمدون (على الله) الذى لا يخفى عليه شئ ولا يعجزه
شئ (الكذب) من غير خوف منهم اذ لك عاقبة ذلك (وكفى به) أى به ذا الكذب (انما بينا)
أى بينا واضحا (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وهما
صغنان بمكة لقريش وذلك أن كعب بن الاشرف خرج فى سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد
وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود
فى دور قريش فقتل أهل مكة انكم أهل كلب ومحمد صاحب كلب ولا تأمن أن يكون هذا
مكرامهم فاسجدوا إلا لهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ
الكتاب وتعلم ونحن أعمىون لانعلم فأينأهدى طريقا نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على
دينكم فقال أبو سفيان نحن ولادة البيت نسقى الحجاج الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل
الرحم ونعم ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق
الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد فأمر الله
تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وهما كعب بن الاشرف وأصحابه يؤمنون
بالجبت والطاغوت أى الصنن (ويقولون للذين كفروا) وهم أبو سفيان وأصحابه
(هؤلاء) أى أنتم (أهدى من الذين آمنوا) وهم محمد وأصحابه (سبيلاً) أى اقوم ديننا
وأرشد طريقنا (اولئك الذين لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله
فان تجده نصيراً) أى مانعاً عن العذاب عنه بشفاعاة أو غيرها * (تنبيهه) * فى هؤلاء
أهدى هم مرتان من كلمتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة قرأ نافع وابن كثير

وابوعمر وبابيدال الثانية يا خالصة والباقون بالتحقيق (أم) منقطة أي بل (لهم نصيب)
 أي حظ (من الملك) ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم شيء من الملك وحمد لما زعمت اليهود من
 أن الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه (فإذا) أي فينسب عن ذلك أنهم (لا يؤتون الناس)
 أي واحد منهم (تقيرا) ومترأته النقرة في ظهر الذواة وهو مثل في القلة كالفيل والقطمير
 والمراد بالملك أملك الدنيا وأملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا
 لامسكم خشيمة الانفاق وعذابا لغيرهم فأنهم يخجلوا بالنقص وهم ملوك فإظنك بهم إذا
 كانوا إذ لامسك الدين ويصح أن يكون معنى الهمزة في أم لانكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك
 وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا
 مما يملكون شيئا (أم) أي بل (بمسدون الناس) أي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضائل
 الناس الأولين والآخرين (على ما آتاهم الله من فضله) أي من النبوة والكتاب والنصرة
 والاعزاز وكثرة النساء أي يتنوعون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا
 آل إبراهيم) وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن آل إبراهيم موسى وداود وسليمان (الكتاب)
 أي ما أنزل إليهم (والحكمة) أي النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يعد أن يؤتاه الله تعالى
 مثل ما آتاهم فكان لداود تسع وتسعون امرأة وكان لسليمان ألف وثلاثمائة حرة وسبع مائة
 سرية وقيل المراد بالناس جميعا وقيل العرب وحسبهم لأن النبي الموعود منهم
 وقيل النبي وأصحابه لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم على كلهم ورشد هم
 (فهم) أي اليهود (من آمن به) أي محمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومتهم
 من صد) أي أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) أي عذابا لمن لم يؤمن وقوله تعالى
 (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) أي ندخلهم (نارا) كالبيان والتقرير لذلك (كلما
 نصبت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى
 روى أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال عمر للقاري أعدها
 فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدله الله تعالى في ساعة مائة مرة قال
 عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف
 مرة كلما أكلتهم قيل لهم عود واقم عودون كما كانوا (فان قيل) كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا
 ولم تعص (أجيب) بأن المعاد أتم جلود الأول وأتمها قال جلودا غيرها تبديل صفتها كما تقول
 صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الأول لأن الصنعة والصفة تبدلت روى أن
 ما بين منكم الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام لراكب المسرع وروى أن ضرره أو نابه مثل
 أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (ليذوقوا العذاب) أي ليتعذبوا أشدته وقيل يخلق مكان ذلك
 الجلد جلد آخر والمعذب في الحقيقة على كل حال هي النفس العاصية القائمة بالبدن لأنها
 المدركة دونه (إن الله كان) ولم يزل (عزيزا) أي لا يعجزه شيء (حكيمًا) في خلقه يعاقب على وفق
 حكمته (والذين آمنوا) أي أقروا بالآيمان (وعملوا الصالحات سندخلهم) أي بوعده لا خلف

فيه وربما أفهم التنفيس لهم بالسبيل دون سوف كما في الكافرين انهم أقصر الامم مدة أو انهم أقصرهم أعمارا راحة لهم من دار الكدر الى محل الصفاء وانهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف (جنات) أي بساكنين ووصفها بما يديم بهجتها أو يعظم نضرتها وزهرتها فقال (تجري من تحت الأنهار) أي أن أرضها في غاية الرى كل موضع صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها أتبعه بما تنفوس من استقرار الإقامة بها فقال (خالدين فيها أبدا) وإنما قدم تعالى ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ولما وصف تعالى حسن الدار ذكر حسن الجار فقال تعالى (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الحيض والقدور (فان قيل) المطرد في وصف جمع القلة لمن يعقل أن يكون بالانف والتاء فيقال مطهرات (أجيب) بأنه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهن لشدة الموافقة في الطهر كذات واحدة (وندخلهم) أي فيها (ظلالا) أي عظيماء كده تعالى بقوله (ظلالا) أي متصلا لا فرج فيه منبسطا لا ضيق معه دائما لا تصيبه الشمس يوما تالما لا حرقه ولا برد بل هو في غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى ومن يحبنا ونحبه من أهلها السابقين مع النبيين والصديقين وقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وصعد الأسطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فأبى وقال لو علمت أنه رسول لم أمنعه المفتاح فلوى على رضى الله تعالى عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر بفعل ذلك وقال هالك خالدة نالدة فحجب من ذلك وقال عثمان أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق فقال قد أنزل الله في شأنك قرانا وقرأ عليه فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة تكون في أولاد عثمان أبدا فلما مات عثمان دفعه الى أخيه شيبه فامتنعوا من أن يديهم الى اليوم والى يوم القيامة فالآية وان وردت في سبب خاص فعمومها معتبر بقريشة الجمع (واذا حكمتم بين الناس) أي قضيتهم بين من ينقض عليه أمركم أو يرضى بحكمكم (أن تحكموا بالعدل) أي بالسواة بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه الى من هو له فان ذلك من أعظم الصالحات الموجهة لحسن المقييل في الظل الظليل أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروى ان احب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشد هم عذابا امام جائر ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله (ان الله نعم) فيه ادغام ميم نعم في ما التكررة الموصوفة أي نعم شيئا (يعظكم به) وهو تأدية الامانة والحكم بالعدل وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح النون وكسرها بالاقون واختلس كسر العين فالون

وأبو عمر وشعبة (إن الله كان) أي ولم يزل ولا يزال (سميعا) لكل ما يقال (بصيرا) بكل ما يفعل
 (يأبى الذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيمان وبدأوا العمل في العمل على ذلك فقال (أطيعوا الله)
 أي فيما أمركم به (وأطيعوا الرسول) أي فيما بينه لكم (و) أطيعوا (أولى) أي أصحاب (الأمر)
 أي الولاية (منكم) أي إذا أمرتكم بالطاعة لله ورسوله سواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم أم بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمر السرية روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بعصية فلا سمع ولا طاعة وروى أنه صلى الله عليه وسلم
 في خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا رحمكم وصلوا أنفسكم وصوموا وشركم وأدوا
 زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمرتكم تدخلوا جنة ربكم وقيل المراد بأولي الأمر أبو بكر وعمر
 لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال عطاء هم المهاجرون
 والانصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
 والانصار والذين اتبعوهم بإحسان روى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي وأمتي كالمخ
 في الطعام ولا يصلح الطعام إلا بالمخ قال الحسن فقد ذهب ملحنه فكيف نصلح وقيل المراد علماء
 الشرع لقوله تعالى ولورثه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
 (فان تنازعتم) أي اختلفتم (في شئ فردوه إلى الله) أي كتابه (والرسول) أي مدة حياته وبعد
 وفاته إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما والرذالي الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فافان لم
 يوجد فسيبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله والرسول أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان
 كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فان الايمان يوجب هذا (ذلك) أي الرذاليهما (خير)
 لكم من التنازع والقول بالرأي (وأحسن تأويلا) أي من تأويلكم بلاردا وعاقبة (ألم تر إلى
 الذين يزعمون أنهم آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة وأوقعوها في أنفسهم (بما أنزل إليك) أي
 القرآن (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والانجيل قال الاصمعياني ولا يستعمل أي الزعم
 في الاكثر الا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان كذا اذا شك فيه فلا يعرف كذبه أو صدقه
 (يريدون أن يتصاكموا إلى الطاغوت) أي الباطل المغرق في البطلان وقيل هو كعب بن
 الاشرف روى عن ابن عباس أن بشر المنافق خاصم يهوديا فقال اليهودي شطابق إلى محمد صلى
 الله عليه وسلم وقال المنافق بل إلى كعب بن الاشرف فأبى اليهودي أن يتخاصمه الا إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففضى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضي
 الله عنه فأبى عمر فقال لليهودي اختصمت انا وهذا إلى محمد ففضى إلى عليه فلم يرض بقضائه
 وزعم انه يتخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذا قال نعم فقال لهما عمر مكانكما حتى أخرج اليكما
 فدخل وأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال كذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله
 ورسوله فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله السلمي ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
 النبي صلى الله عليه وسلم أنت القاروق والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف سمي بذلك

افراط طغيانه أو تشبيهه بالشيطان أولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
 عليه (وقد) أي والحال انهم قد (أمر) أي له الأمر في كل ما أنزل اليك من كتاب وما قبله (أن
 يكفروا به) أي بالشيطان فحق تحاكموا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وخوف معنى قوله (ويزيد
 الشيطان) أي بارادتهم ذلك التحاكم اليه (أن يضلهم) أي التحاكم اليه (مكتلاً لا بعيداً) أي
 بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى وما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التحاكم الى الطاغوت
 ذكر فعلهم فيه في نفرتهم عن التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (واذا قيل لهم) أي من
 أي قائل كان وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو
 (تعالوا) أي اقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم (الى ما أنزل الله) أي الذي
 عنده كل شيء (والى الرسول) أي الذي تجب طاعته لاجل مرسله مع انه أكمل الرسل الذين هم
 أكمل الخلق رسالة (رأيت المنافقين يصدون) أي يعرضون (عنك) الى غيرك وكذلك بقوله
 (صدوداً) أي هو أعلى طبقات الصدود (فكيف) يكون حالهم (إذا أصابتهم مصيبة) أي عقوبة
 كقتل عمر رضي الله عنه المناق (عاقدمت أيديهم) أي من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
 ومن الكفر بغير ذلك أي أيقدرون على الاعراض والفرار منها لاتهم الكلام ههنا وقوله
 تعالى (ثم جاؤك) أي حين يصابون للاعتذار معطوف على يصدون وما يلزم ما اعترض
 (يخافون بالله ان) أي ما (أردنا) أي بالحقا كسرة الى غيرك (الاحسانا) أي صلها (وتوفيقاً) أي
 تأليفين الخصبين ولم ترد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم
 الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا يوفق بينه وبين خصمه بالتقريب في الحكم دون الجدل على
 مراحق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من النفاق والبغض للاسلام وأهله
 وان اجتهدوا في اخفائه وكذبهم في حلقهم وعذرهم (فأعرض عنهم) أي عن عتابهم بالصفيح
 لانهم أقل من أن يحسب لهم حساب (ولكن) عظمت أي خوفهم الله القادر على استئصالهم
 (وقل لهم في أنفسهم) أي في شأنهم أو خالباهم فان النصيح في السر أضعف (قولاً بليغاً) أي
 مؤثراً فيهم أي ازرهم ليرجعوا عن كفرهم وقيل هذا منسوخ بآية القاتل ولما أمر الله
 تعالى بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه والوعظ له فكان التقدير فإمرنا لك وغيرك من الرسل
 الا للرفق بالامة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله (وما أرسلنا
 من رسول الا ليطاع) أي فيما يأمر به ويحكم لان منصبه الشريف يقتضي ذلك (بإذن الله)
 أي بارادته من أنه يطاع فلا يعصى ولا يخالف (ولو أنهم إذ) أي حين (ظلموا أنفسهم) أي
 بالتحاكم الى الطاغوت أو غيره (جاؤك) أي تابين (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص
 (واستغفر) أي شفع (لهم الرسول) أي اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعاً وانما عدل عن
 الخطاب بتفخيم الشأن (لوجدوا الله تواباً) عليهم (رحيماً) بهم وقرأ أبو عمرو بادغام الراء في اللام
 بخلاف عنه (فلا وربك) أي فوربك ولا من يدلتك كيد القسم (لا يؤمنون) أي يوجدون هذا

الوصف ويجدون به (حتى يحكموك) أي يجعلوك حكما (فيما خبر) أي اختلاف واختلط (بينهم)
من كلام بعضهم لم بعض للتنازع حتى كانوا كاعصان الشجرة في التداخل والتضايق
(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) أي نوعا من الضيق (عما قضيت) به عليهم (وسلموا وتسليما) أي
وسقادا والآن انقياداً بظواهرهم وبواطنهم وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخضم له من
الانصار وقد شهد بدر في شراج من الحرة كانا يستقيان بها النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك
فتاؤن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك وقيل نزلت في بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى عمر
(ولوا أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما أمر نبي اسرائيل أو تعرضوا بها للقتل بالجهاد
وان مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة والكسائي بكسر
الزون في الوصل والباقون بالضم (أو اخرجوا من دياركم) أي التي هي لاسباحكم كشباحكم
لارواحكم توبة لربكم (ما فعلوه) أي المكتوب عليهم أي انما كتبنا عليهم الاطاعة لله ورسوله
والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار ما كان يفعل (الا قبل منهم) قال
الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمرو وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا لقلعنا والحمد لله الذي عافانا فأبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان من أقتل لرجالا الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الزواشي
وقرأ ابن عامر قليلا بالنصب على الاستثناء والباقون بالرفع على البدل (ولوا أنهم) أي هؤلاء
المنافقين (فعلوا ما وعظون به) من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم (لكان خيرا لهم) في عاجلهم
وأجلهم مما اختاروه لأنفسهم (وأشد تنبيها) أي تحقيقا لايمانهم (واذا) أي لو ثبتوا (لا تيناهم
من لدنا) أي من عندنا (أجر أعظيما) وهو الجنة (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بساكنة
جنات القدس وتفتح لهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بعامل ورثه الله علم ما لم يعلم
رواه أبو نعيم في حليته روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقلل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونخل جسمه يعرف
الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض
ولا وجع غير أني اذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف
أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وان لم
أدخل الجنة لا أراك أبدا فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله) في أمثال أو امره والوقوف عند
زواجره (والرسول) أي في كل ما أراه فان منصب الرسالة يقتضى ذلك لاسيما من بلغ نهايتها
(فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أي معدود من حزبهم فهو بحيث اذا أراد زيارتهم أو رؤيتهم
وصلى اليهم بسهولة وقوله تعالى (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين حال
منه أو من ضميره قسحهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على

أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء القاترون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
 التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم نارية عبرات في الحجج والآيات وأخرى
 بعارج التصفة والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنهم اعلى
 ما هي عليه ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
 مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمالهم في طاعته وأموالهم في
 مرضاته (وحسن) أي وما أحسن (أو لئلك) أي العالون الاخلاق السابقون (رفيقا) من
 الرفق وهولين الجانب ولطافة الفعل وهو بما يستوى واحده وجمعه أي رفيق في الجنة بأن يستمتع
 فيها برؤيتهم ورواياتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم
 روى عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قومًا ولم يلحق بهم قال
 النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وروى أيضا أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة
 قال وما أعددت لها فلم يذكر كثيرا إلا أنه يحب الله ورسوله قال فأنتم مع من أحببت وقوله تعالى
 (ذلك) أي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الفضل من الله) أي تفضل به عليهم لانهم نالوه
 بطاعتهم (وكفى بالله علما) أي يجزأ من أطاعه أو بقادير الفضل واستحقاق أهله روى أبو هريرة
 رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاربوا وتدواوا وعلوا فإنه لا ينجو أحد
 منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدي الله برحمة منه وفضل (بأيها
 الذين آمنوا) أي أقروا بالايان (خذوا حذركم) من عدوكم أي احتذروا منه وتيقظوا لله والحذر
 الحذر كالإثرا لثأر (فاقتروا) أي اخرجوا الى قتاله مسرعين (ثبات) أي جماعات متفرقين سرية
 في اثرسرية تجمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة (أو اتفروا جميعا) أي مجتمعين كوكبة
 واحدة قال البضاوي والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة
 الى الخسرات كلها كيفما أمكن قبل القوات (وان منكم) الخطاب لعسكر النبي صلى الله
 عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين (لمن ليبطئن) أي لمتأخرين ولينثاقن عن القتال وهم
 المنافقون كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في
 الجنسية والنسب واظهار الاسلام لافى حقيقة الايمان (فان أصابكم مصيبة) قتل وهزيمة
 (قال) هذا المتبطئ جهلا منه وعظيمة (قد أنعم الله على) (أى حين) (لم أكن معهم شهيدا) أي
 حاضرًا فأصاب (ولئن) لام قسم (أصابكم فضل) أي فتح وظفر وغنمة (من الله) الذي كل شيء
 بيده (ليقولن) نادما على ما فاتته من الاغراض الدنيوية وأكده تضيها على فرط شتمه وقوله
 تعالى (كان) مخففة واسمها محذوف أي كأنه (لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة وصداقة
 رجع الى قوله قد أنعم الله على اعتراض بين القول ومقوله وهو (يا) للتوبيخ (لئن كنت معهم
 فأفوز) أي بشارتهم في ذلك (فوزا عظيما) أي أخذ حظا وافرا من الغنمة وقرأ ابن كثير وحفص
 بالتاء في تكن على التانيث والباقون بالياء على التذكير ولما بين أن محط رجال القاعدة
 عن الجهاد الدنيا علم أن قصد المجاهد الاخرة فقال تعالى (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء

دينه (الذين يشرون) أي يبيعون برغبة (الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المؤمنون والمعنى ان تباطأ
هو لا عن القتال فله قاتل المجاهدون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة ويشرون أي يأخذون
وهم المتباطئون فيختارونهم اعلى الآخرة والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم وفي هذا استعمال
لامشتركة في مدلوله (ومن يقاتل في سبيل الله) لاعلاء دينه (فيقتل) أي يستشهد (أو يغلب)
أي يظفر بعده (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أي ثواباً جزيلًا وانما وعده الاجر العظيم غلب
أو غلب ترغيباً في القتال وتكذيباً القول المتبطى قد أنعم الله على اذلم أكن دعهم شهيدا وانما
قال فيقتل أو يغلب تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعتد نفسه بالشهادة
أو الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء كلمة الحق واطهار
الدين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله بان جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته
الا لجهاد في سبيله وتصديق لكلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع
ما مال من أجر أو غنمة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القات
الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله انما يرجعه من غنمة وأجر
أو يتوفاه فيدخله الجنة وقوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون) استفهام توخي أي لا مانع لكم من
القتال (في سبيل الله) لاعلاء دينه وقوله تعالى (المستضعفين) عطف على اسم الله أي وفي
سبيل المستضعفين وهو تحريضهم من الاسر ووصونهم عن العدو وقوله تعالى (من الرجال والنساء
والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن الهجرة واذا وهم قال ابن
عباس كنت أنا وأخي منهم وانما ذكر الولدان مبالغة في الخت وتنبيهاً على تناهي المشركين بحيث
بلغ اذا هم الولدان وان دعوتهم أجيب بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوها في استئزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد والاماء وهم جمع وليد (الذين يقولون) أي
داعين يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) أي بالكفر (واجعل لنا من لدنك) أي من
عندك (ولياً) يتولى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيراً) يعيننا منهم وقد استجاب الله تعالى
دعاهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى أن فتحت مكة له صلى الله عليه وسلم
فقولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد بفتح الهمة وكسر السين فجهلهم ونصرهم
حتى صاروا أعز أهلها وكان حينئذ ابن ثمان عشرة سنة والقرية مكة والظالم صفتها وتذكره
لتمد كبر ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هوله كان كالفعل يذكر
ويؤثر على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي في طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أولياء
الشيطان) أي حربه وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان) أي مكره بالمؤمنين (كان
ضعيفاً) بالاضافة الى كيد الله تعالى بالكافرين لا يعتد به فلا تحفوا أولياءه فان اعتمادهم على
أضعف شيء وأوهنه كما فعل الشيطان يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن تأخذه فهرب وخذلهم
(ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أي عن قتال الكفار وهم جماعة من الصحابة كانوا يلقون

من المشركين أذى كثيرا قبل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله أئذن لنا في قتالهم فانهم قد أذونا
 فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم (وأقيمو الصلاة
 وآتوا الزكاة) فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم
 كما قال تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) قرأ أبو عمر وبكسر الهاء والميم في الوصل
 وحزرة والكسائي بضم الهاء والميم في الوصل وأما الوقف فالجميع يسكنون الميم وحزرة بضم
 الهاء على أصله وكسرها الباقون (إذا فریق منهم يخشون) أي يخافون (الناس كخشية الله)
 أي كخشيتهم من الله (أو أشد خشية) من خشيتهم * (تنبيه) * نصب أشد على الحال
 وجواب لما دل عليه إذا وما بعده أي فاجاءتهم الخشية (وقالوا) جزعا من الموت (ربنا)
 لم كتب علينا القتال لولا) أي هلا (أخرتنا إلى أجل قريب) وهو الموت أي هلا تر كنا حتى
 نموت بآجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقبل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتب
 علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقبل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه
 خوفا وجبنا لاعتقادنا ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون فيه وقبل هم قوم كانوا مؤمنين فلما
 كتب عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلعوا عن الجهاد وقرأ البرز في الوقف لم ياء بعد الميم
 بخلاف عنه والباقون بالميم بغير هاء والهاء ساكنة في الوصل للجمع (قل) لهم يا محمد
 (متاع الدنيا) أي ما يتمتع به فيها والاستمتاع بها (قليل) أي آيل إلى الزوال (والآخرة)
 أي ثوابها وهو الجنة والنظر إلى الله تعالى (خير من اتقى) عقاب الله بترك معاصيه روى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة إلا مثل الأمل ما يجعل أحدكم أصعبه في اليم فليستظر
 بمرجع (ولا تظلمون) أي تنقصون من أعمالكم (قبلا) أي قدر ما يكون في شق النواة
 كما مر عن عكرمة وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
 الخطاب ونزل في المنافقين الذين قالوا في قلبي أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (آيتمنا
 تكونوا) أيها الناس لا لكم مطيعكم وعاصيكم (يدرككم الموت) أي فإنه طالب لا بقوة هارب
 واختلف كتاب المصاحف في رسم آيها هنا فمنهم من كتب مامقة مائة من أين ومنهم من وصلها
 (ولو كنتم في بروج) أي حصون بروج داخل بروج أو كل واحد منكم داخل بروج (مشيدة) أي
 مرتفعة كل واحد منها شاهق في الهواء منيع فلا تخشوا القتال خوف الموت ونزل في اليهود
 لما قالوا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في شمارنا ومن أرعنا
 منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه (وان نصيبهم) أي اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في
 السعر (يقولون هذه من عند الله) لنا لا مدخل لك فيها (وان نصيبهم سيئة) أي جذب وغلاء في
 الاسعار (يقولون هذه من عندك) أي من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر
 والغنية يوم بدر والسيئة القتل والهزيمة يوم أحد يقولون هذه من عندك أي أنت الذي حاسنا
 عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا قول المنافقين (قل) لهم يا محمد (كل) أي الحسنة والسيئة
 (من عند الله) ثم عبرهم بالجهل فقال (فما هؤلاء القوم) أي اليهود والمنافقين (لا يكادون)

يفتقرون) اى لا يقاربون ان يفهموا (حديثا) يعظون به وهو القرآن لانهم لو فهموه وتدبروا
 معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما يلقى اليهم كيهائم لا افهام لهم وما يستفهام تعجب
 من فرط جهلهم وثني مقاربة الفعل اشتد من نفيه (ما اصابك) اى ايها الانسان (من حسنة) اى
 نعمة نبوية واخرية (فمن الله) اتك بفضل الله والايان احسن المحسنات قال الامام انهم
 اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولاً بمن دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة (وما اصابك من سيئة)
 اى بلية وامر تكرهه (فمن نفسك) اتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (فان قيل)
 كيف الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك (اجيب) بان قوله قل كل
 من عند الله اى الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اى
 ما اصابك من سيئة من الله فبذنوب نفسك عقوبة لك كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة
 فيها كسبت ايديكم وقيل ان هذه الآية متصلة بما قبلها والاقول فيه مضمرة تقديره فما هؤلاء
 القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
 نفسك قل كل من عند الله (وارسلناك) يا محمد (للناس) اى كافر وقوله تعالى (رسولاً) حال قصد
 بها التاكيد (وكفى بالله شهيداً) على اوسالك بنصب المعجزات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من اطاعني فقد اطاع الله ومن احنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل
 الا ان تخذه رباً كما اتخذ النصراني عيسى ابن مريم نزل (من يطع الرسول فقد اطاع الله)
 لانه في الحقيقة مبلغ والا امره والله تعالى (ومن تولي) اى اعرض عن طاعتك فلا يسمك
 (فما ارسلناك) يا محمد (عليهم حفيظاً) اى حافظاً لالعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ
 وعليها الحساب فجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) اى المنافقون اذا امرتهم
 بشئ من امرنا وهم يحضرونك (طاعة) اى امرنا واثماً طاعة اى نطيعك فيما تأمرنا به
 (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك) بيت طائفة منهم (اى اضرمت) غير الذي تقول (لأن في
 حضورك من الطاعة اى عصمتك وقرأ ابو عمرو وجزة بادغام التاء في الطاء فانهم اعدوا ما ساكنة
 اى التاء فاذا سكنت التاء قبل الطاء وجب ادغامها فيها والباقيون بالظهار فان التاء عندهم
 مفتوحة (والله يكتب) اى يأمر يكتب (ما يتنون) اى ما يسرون من الاتفاق في صحائفهم
 ليحازوا عليها (فأعرض عنهم) اى قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) اى ثق به فانه كافك معرتهم
 وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلاً) اى مفوض اليه (افلا يتدبرون) اى يتأملون (القرآن)
 وما فيه من المعاني البديعة (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم
 الكفار (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) اى تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه فكان بعضه فصيحاً
 وبعضه ركيكاً وبعضه فصيحاً معارضته وبعضه ناسل وتختلفا عن الصدق في الاخبار عن الغيب
 بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم به انه كلام
 الله ولان ما لا يكون من عند الله لا يتناول عن تناقض واختلاف والمراد من التقييد بالكثير
 المبالغة في اثبات الملازمة اى لو كان من عند غير الله لزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاء عن

القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل (واذ اجاءهم) اى المنافقين
(امر) اى خبر عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم (من الأمن) اى الغنية (او الخوف) اى
القتل والهزيمة (اذا عابه) اى افشوه وذكارت اذا عنهم مفسدة والباء من يدها وتضمن
الاذاعة معنى التحدث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا
بأدرا المناقون يستخبرون عن حالهم فيفتشونه ويتحدثون به قبل أن يتحدث به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين ويتأذى النبي صلى الله عليه وسلم (ولورده) اى ذلك الخبر
(الى الرسول) اى لم يتحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به (والى أولى
الامر منهم) اى ذوى الرأى من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم
(لعله) على اى وجه يذكر اى (الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدابيرهم بتجارهم وانظارهم
هل ينبغي ان يكتفوا بفشى (ولو لا فضل الله عليكم) بالاسلام (ورحمته) لكم بأرسال الرسل
وانزال القرآن (لا تبعتم الشيطان) فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (الاقبلا) اى منكم
فانهم لا يتبعونه حفظا من الله بما وهبهم الله من صحيح العقل والعصمة تقال فى حق غير الانبياء أيضا
لانها المنع من المعصية ولكن الشائع ان يقال فى حق النبي معصوم وفى حق غيره محفوظ
(فقاتل) يا محمد (فى سبيل الله لا تكلف الانفسك) فلا تهم بتخلفهم عنك اى قاتل ولو وحده
فانك موعود بالنصر من الله وليس النصر الا يده وما كان ليا مر لنبش الا وائت كقوله فائت
كقوله لقاتله الكفار وان كانوا أهل الارض كلهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعداً بأسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد ودعا الناس الى
الخروج فكره بعضهم فأمر الله هذه الآية * (تبيينه) * الفاء فى قوله تعالى فقاتل فى سبيل الله
قال البغوى جواب عن قوله تعالى ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا
عظيما فقامل انتهى (وحرض المؤمنين) أى حثهم على القتال ورغبهم فيه اذ ما عليك فى شأنهم الا
التحريض (عسى الله أن يكف بأس) أى حرب (الذين كفروا) وعسى فى كلام الله وعد واجب
الوقوع بخلافها فى كلام الخلق (والله أشد بأسا) أى صولة منهم (وأشد تنكيلا) أى عقوبة
منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يخرجن ولو وحدى نخرج بسبعين راكبا
الى بدر الصغرى فكف الله بأس الذين كفروا بالقاء العرب فى قلوبهم ومنع بأسفيا من
الخروج كما تقدم فى سورة آل عمران (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم بأن دفع عنه
بها ضررا أو جاب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك وللك مثله أى مثل ذلك أى ودعاء الملك لا يرد
(يكن له نصيب) أى أجر (منها) أى بسببها قال أبو موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذ جاءه رجل يسأل أو يطلب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال
اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء (ومن يشفع شفاعة سيئة) مخالفة للشرع
(يكن له كفل) أى نصيب من الوزر (منها) أى بسببها (وكان الله على كل شئ مقبلا) قال ابن

عباس مقتدر ايجازيا قال الشاعر

وذى ضغن (أى رب صاحب حقد) كففت الضغن عنه

وكنت على اسائه (أى اساءتى لذى الضغن) مقبلة

أى مقتدرا وقال مجاهد شاهدا وقال قتادة حفيظا وقيل معناه على كل حيوان مقبلة أى يوصل

القوت اليه وجاء فى الحديث كفى بالمرء اثما أن يضع من يقوت (وإذا حبيمت بجملة فخبوا بأحسن منها) التحية هى دعاء الحياة ولكن جمهور المفسرين على أن ذلك فى السلام أى إذا سلم عليكم مسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم فإذا قال السلام عليكم فزيد الراد ورجة الله فإذا قال ورجة الله فزيد الراد وبركاته (أوردوها) أى بأن ترد عليه بمثل ما سلم روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورجة الله وقال آخر السلام عليك ورجة الله فقال وعليك السلام ورجة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورجة الله وبركاته فقال وعليك أى السلام ورجة الله وبركاته فقال الرجل نقصنى أى الفضل على سلامى فأين ما قال الله أى من الفضل وتلا الآية فقال لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله لأن ذلك هو النهاية لاستجماعه أقسام المطالب وهى السلامة من المضار وحصول المنافع وشبوتها وظاهر الآية أنه لو رد عليه بأقل مما سلم عليه به أنه لا يكتفى وظاهر كلام الفقهاء أنه يكتفى ويحمل الآية على أنه لا اكمل وابتداء السلام على المسلم سنة عين من المنفرد وكفاية من الجماعة وردة فرض عين إذا كان المسلم عامية واحدا وكفاية من الجماعة ويشترط فى الرد الفور والوجوب مستقادم من الأمر والغور من الضاء وأما كونه كفاية فلخبر أبى داود ويجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم والراد منهم هو المختص بالثواب ويسقط الخرج عن الباقي وان أجابوا كلهم كانوا مؤدين للفرض سواء كانوا مجمعين أم متفرقين كماله الجماعة ولا يسقط الفرض برّد الصبي المميز (فان قيل) قد سقط به فرض الصلاة عن الجماعة (أجيب) بأن المقصود من الصلاة الدعاء والصبي أقرب الى الاجابة والمقصود من السلام الامان والصبي ليس من أهله ولا يسقط أيضا برّد من لم يسمع ولو سلم على امرأة أن كان يساح له النظر اليها كحرمه وزوجته يستلزم له السلام عليها ووجب عليها الرد والاكراه له ابتداء وردا وحرم عليها ابتداء وردا وهذا إذا كانت مشتهة فان كانت عجوزا أو جماعة نسوة لم يكره ويجب الرد لا تنقضاء خوف الفتنة ولا يستلزم ابتداءه على قاضى حاجته ولا على أكل ولا على من فى جام ولا على مصل ومؤذن وخطيب وملب ومستغرق القلب بالدعاء ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداءه على الكافر ويرد عليه إذا سلم بعلمك فقط وهذا باب طويل قد بينته السنة وقد أكثرت منه فى شرح المنهاج (إن الله كان) أى أزل وأبدا (على كل شئ حسيبا) أى محاسبا فيجازى عليه وقال مجاهد حفيظا وقال أبو عبيدة كافيا يقال حسبى هذا أى كفى وقوله تعالى (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام لام القسم أى والله ليجمعنكم الله من قبوركم (الى) فى يوم القيامة) وصحبت بذلك لأن الناس يتقوون من قبورهم قال تعالى يوم يخرجون من الاجداث

سرا و قيل اقيمهم الى الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لاريب) أى لاشك
 (فيه) أى في ذلك اليوم ارفى الجمع (ومن اصدق من الله حديثاً) أى قولاً (فان قيل) الصديق
 لا ينافون كالعالم اذ لا يقال هذا اصدق من هذا الصديق كما لا يقال هذا العلم أعلم من هذا
 العلم (أجيب) بان اصدق صفة للقائل لا صفة للحديث أى لا أحد غير الله اصدق منه لان غيره
 يتطرق الى خبره الكذب وذلك مستحيل في حقه تعالى والانبياء مخبرون عن الله تعالى وقرأ حمزة
 والكسافي بالشام الصاد أى بحرف متولد بين الصاد والزاي (فما لكم) أى فاشأ أنكم صرتم
 (في المناققين) أى في أمرهم (فمتين) أى فرقين ولم تتفقوا على صكهم وهم وذلك ان ناسا منهم
 استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البلد ولا اجتماع المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
 را حلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا المشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقال مجاهد هم قوم
 خرجوا الى المدينة واساوا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليلأثروا
 بضائع لهم فيخرجون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فمائل يقول هم منافقون
 وفائل يقول هم مؤمنون وقال قوم في الذين تحلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض
 الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم
 تكلموا بالاسلام (والله أركسهم) أى فكسهم بأن صيرهم الى النار وأردتهم الى حكم الكفرة
 (بما كسبوا) من الكفر والمعاصي (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أى أنعدوهم من جملة
 المهتدين والاستغفار في الموضوعين للانكار (ومن يضلل الله) أى ومن يضله الله (فإن تجدله
 سبيلاً) أى طريقاً الى الهدى (ودوا) أى غنوا (لوتكفرون كما كفروا فتكونون) أنتم وهم
 (سواء) في الكفر (تنبيه) * قوله تعالى فتكونون لم يرد به جواب التثنية لان جوابه بالغاء منصوب
 وانما أراد النسق أى ودوا لوتكفرون وودوا لوتكونون سواء مثل قوله ودوا لوتدعن فيدعون
 أى ودوا لوتدعن وودوا لويدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) أى فلا تولوهم وان اظهروا
 الايمان (حتى يهاجروا الى سبيل الله) معكم هجرة صحيحة تحقق ايمانهم قال عكرمة هي هجرة أخرى
 والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين في أول الاسلام وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله
 تعالى ومن يخرج من بينه مهاجراً الى الله ورسوله ونحوها من الآيات وهجرة المنافقين وهي
 خروج الشخص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابراً محتسباً بالاغراض الدنيا وهي الماردة ههنا
 وهجرة عن جميع المعاصي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه (فان
 تولوا) أى اعرضوا عن التوحيد والهجرة وأقاموا على ما هم عليه (تخذوهم) أى بالاسر
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أى في حل أو في حرم كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم ولداً) تولونه
 (ولا نصيراً) تنصرون به على عدوكم أى بل جابوهم بمجانبة كلية وقوله تعالى (الا الذين يصلون)
 استثنائاً من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يصلون أى ينتهون (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق)
 أى عهد بالامان لهم ولن وصل اليهم كما عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة هلال
 ابن عمير الاسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن بلغاً اليه فله من الجوار مثل ماله وقوله تعالى

(أوجأؤكم) عطف على الصلة أي أو الذين جاؤكم وقوله تعالى (حصرت) أي ضاقت حال باضمار قد
 أي وقد ضاقت (صدروهم ان يقاتلوكم) أي عن قتالكم مع قومهم (أو يتأولوا قومهم) معكم أي
 ممكن عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا لهم باخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية القتال
 وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهاره تأنيث حصرت عند الصاد وأدغمها الباقون (ولو شاء الله)
 تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بأن يقوى قلوبهم ويسلط صدورهم ويزيل الرعب (فقاتلوكم)
 ولكنه لم يشأ فألقى في قلوبهم الرعب (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) أي بأن لم يتعرضوا لكم (وألقوا
 اليكم السلم) أي الاستسلام والانقياد (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا بالاختيار والقتل
 (ستجدون) أي عن قريب بوعده لا شك فيه (آخرين) أي من المنافقين روى عن ابن عباس أنه
 قال هم أسد وعطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل
 منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول أمنت بهم ذالقرء وبهذا العقب والخنفساء وإذا لقوا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين كما قال
 تعالى (يريدون أن يأمنوكم) بإظهار الايمان عندكم (ويأمنوا قومهم) بإظهار الكفر إذا رجعوا
 اليهم (كلما ردوا) أي دعوا (الى الفتنة) أي الكفر (اركسوا) أي انقلبوا منكوسين (فيها) أي
 الفتنة أوقع قاب (فان لم يعتزلوكم) أي بترك قتالكم (ويألقوا) أي ولم يلقوا (اليكم السلم ويكفوا) أي
 ولم يكفوا (أيديهم) عن قتالكم (نخذوهم) أي بالاسر (واقبلوهم حيث ثقفوهم) أي وجدعوهم
 (وأولئكم) أي أهل هذه الصفة (جعلناكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة واضحة في التعرض لهم
 بالقتل والسبي لظهور عدوتهم ووضوح كفرهم (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا) أي ما ينبغي
 أن يصدر منه قتل لغير حق (الخطأ) أي مخطئا في قتله من غير قصد نزات في عياش بن ربيعة
 وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة قبل الهجرة وأسلم ثم خاف أن يظهر الاسلام
 لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطعم من أطامها فخرعت أمه اذ ذلك جزعاشديدا وقالت
 لابنيتها الحرث وأبي جهل ابني هشام وهما أخواه لأمته والله لا يظلمني سقف ولا أذوق طعاما
 ولا شرا باحتي تأنيابه فخرجاني طلبه وخرج معهم الحرث بن زيد حتى أتوا المدينة فأقوا عياشا
 وهو في الأطعم وقالوا له انزل فان أمك لم يأوها سقف بيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاما
 ولا تشرب شرا باحتي ترجع اليها ولك والله علينا عهد أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك
 وبين دينك فلما ذكر والده ذلك أي جزع أمته وأوثقوا باقته نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم وثقوه
 وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به الى أمته فلما أتاها قالت له والله لا أحلك من وثاقتك
 حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثوقا فامطر وحافى الشمس ما شاء الله فأعظامهم الذي أرادوا
 فأناه الحرث بن زيد فقال لعياش أهدا الذي أنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى
 ولئن كان ضلالة لقد كنت عليه فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا أبدا الا قتلتك
 ثم إن عياشا بعد ذلك أسلم وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر بالاسلامه فيمنع عياش بظهور قبائه اذ لقي الحرث ففقه له فقال

الناس ويحك أي شيء صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
قد كان من أمرى وأمر الحرب ما قد علمت وانى لم أشعر بإسلامه حتى قتله فنزلت الآية (تنبيه)
قوله تعالى الاخطأ أتما منصوب على الحال أي وليس من شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً في حالة من
الاحوال الاحال الخطا واما مفعول لاجله أي لا يقتله لعله لا للخطا وقيل الابعنى ولا أي ليس له
قتله في حال من الاحوال ولا خطا نظير قوله تعالى انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم وقوله
له لا يكون للناس على الله حجة الا الذين ظلموا منهم (ومن قتل مؤمناً خطاً) كان قصدي غيره
كصبيد أو شجر فأصابه (فحرق رقبته) أي فعله أي فواجبه تحرير رقبته كاملة الرق فلا يجوز
مكاتب كتابه صحبة ولا أم ولد والتحرير الاعتاق ويعبر عن النسيئة بالرقبة كما يعبر عنها بال رأس
(مؤمنة) أي محكوم بإسلامها وان كانت صغيرة ولو كان اسلامها بتبعية الدار والسابى سليمة عما
يحل بالعمل (ودية مسلمة) أي مؤداة (الى أهله) أي ورثة المقتول يقتسمونها كسائر
الموارث (الا أن يصدقوا) أي تصدقوا بها عليه بأن يعفوا عنها وسمى العفو عنها صدقة
حساء عليه وتبين اعلی فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وينت السنة ان دية
الخطا مائة من الابل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
حقة وعشرون جذعة وان عاقلة القاتل تحملها عنه وهم عصيته لأصله وفرعه موزعة
عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع دينار كل سنة فان لم يفوا غنيت
المال فان تعذر فعلى الجاني (فان كان) أي المقتول (من قوم عدو لكم) أي محاربين (وهو)
أي والحال أنه (مؤمن) أي ولم يعلم القاتل ايمانه (فحرق) أي فالواجب على القاتل تحرير
(رقبة مؤمنة) ولادية تسلم الى أهله اذ لا وراثته بينه وبينهم لانهم محاربون (وان كان) أي المقتول
(من قوم) أي كفرة أيضاً عدو لكم (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد — كأهل الذمة وهو كافر
مثلهم (فدية) أي فالواجب فيه دية (مسلمة) أي مؤداة (الى أهله) وهى ثلث دية المؤمن ان كان
نصرانياً أو يهودياً تحمل من حكمته وثلاثا عشرها ان كان مجوسياً أو كتابياً لا تحمل من حكمته
(وتحرق رقبته مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) أي الرقبة بأن فقدوها وما يحصلها به (فصيام) أي
فالواجب عليه صيام (شهرين متتابعين) حتى لو أفطر يوماً واحد الغر حيض أو نفاس وجب
الاستئناف ولم يذ كر تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه قال الشافعى رضي الله تعالى عنه
في أصح قوليه وقوله تعالى (توبة من الله) نصب على المصدر أي وتاب عليكم توبة أو على المفعول له
أي وشرع لكم ذلك توبة مأخوذة من تاب الله عليه اذا قبل توبته (وكان الله) أي ولم يزل
(عليما) أي بأحوالكم وبما يصلحكم في الدنيا والاخرة (حكيماً) فيما دبره لكم من نصب
الزواج بالكفارات وغيرها فالزموا أو امره وباعدوا زواجه لتفوزوا بالعلم والحكمة (ومن
يقتل مؤمناً متعمداً) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالم بالايما (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وغضب
الله عليه ولعنه (أي أبعد من رحمته) وأعد له عذاباً عظيماً في النار وهذا مخصوص بالمستحل له
كما قاله عكرمة وغيره ويؤيده ان الآية نزلت في قنيس بن ضبابة وجد أخاه هشاماً قتيلا في بني

النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه دينته فدفعوا إليه ثم
 جعل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا والمراد من الآية التغليظ كقوله تعالى والله على
 الداس حجة البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين على تفسيرين كفر
 بمن لم يحج وكقوله صلى الله عليه وسلم للمقداد لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة ذلك قبل أن تقتله وإنك
 بمنزلة قبل أن تقول الكلمة التي قال أو أن هذا جزاؤه أن جوزى ولا بدع في خلف الوعيد لقوله
 تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بالخلافة المكنى الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن
 عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا لم يذكر في الآية أبدا وما روى عن ابن عباس أنه قال
 لا تقبل ربة قاتل المؤمن عمدا كما رواه الشيخان أراد به التشديد كما قاله البيضاوي أذ روى عنه
 خلافه رواه البيهقي في سننه وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وإن عليه الديانة عني عنه
 وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله لا يقتل غالبا
 فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد في الصفة والخطا في التأجيل والحمل وهو أي العمد أولى
 بالكفارة من الخطا (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) أي سافرتم للجهاد (في سبيل الله فبينوا) روى
 أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدا فهربوا وبقي رجل يقال له مرداس لأنه كان
 على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فألجأ
 غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع
 التكبير علم أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد
 رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه فنزلت ثم رجعوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان
 سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه إرادة مامعه ثم قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال وكف بلا اله
 الا الله قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر رها على حتى وددت أني لم أكن أسلمت
 الا يومئذ ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي ثلاث مرات وقال اعتق رقبة وقال
 عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومعه غنمه فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرأ سورة الكساف بالباء المثناة مكان الباء الموحدة
 وبالباء الموحدة مكان الباء المثناة تحت وبالباء المثناة فوق مكان النون فهو من التثب والباقون
 من البيان (ولا تقولوا من ألقى اليكم السلام) أي لمن حباكم بحمجة الاسلام وقرأ نافع وابن عامر
 وحزرة غير ألف بعد اللام من السلام أي الاستسلام والانقياد والباقون بالالف (است
 مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا (بما تعرض الحياة الدنيا) أي تطلبون ماله الذي هو حطام
 سريع النفاد (فعند الله مغام كثيرة) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كذلك كنتم من قبل) أي
 أول ما دخلتم في الاسلام نفوهم بكلمة الشهادة فخصتم بها أموالكم ودماءكم من غير أن تعلم

مواطأة قلوبكم ألسنتكم (فمن الله عليكم) أي بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين (فتبينوا)
 أي وافعلوا بالادخالين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم فلما انهم دخلوا انتقاء
 وخوفاً فإن بقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيده لتعظيم الامر
 بالتبيين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (إن الله كان) ولم يزل (بما تعملون خيراً) أي عالماً
 به وبالغرض منه فيجازيكم به فلا تتساهلوا في القتل واحتاطوا فيه (لا يستوى القاعدون) أي
 عن الجهاد حال كونهم (من المؤمنين) روى أن زيد بن ثابت أخبر أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ألقى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن أم مكتوم
 وهو عليه ألقى فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلاً أعمى فأنزل الله تعالى
 على رسوله صلى الله عليه وسلم ونخذه على نخذي فثقلت على حتى خفت أن ترض نخذي أي تكسر
 ثم سري عنه أي أنزل وكتب ما به من برحاء الوحي (غير أولى الضرر) أي من زمانة أو عي
 أو نحوه فقال أكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وقرأ نافع وابن عامر
 والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء والباقيون بالرفع صفة للقاعد
 لانه لم يقصد به قوم بأعيانهم بل أراد به الجنس كما في قوله * ولقد أمر على اللسيم يسبني فصيح
 جعل غير صفة للقاعد (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي لاساواة بينهم وبين
 من قعد عن الجهاد من غير علة * (تبيينه) * فائدة ذكر قوله تعالى لا يستوى القاعدون الخ تذكير
 ما بينهم من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد ورفع مرتبته واتقاء عن الخطأ منزلة وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال إن في المدينة لاقواما
 ما سرتهم من مسير ولا قطعهم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم
 بالمدينة حبسهم العذر (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) لضرر
 (درجة) أي فضيلة لاسيما في النية وزيادة الجهاد بالمباشرة (وكل) من القاعدين لضرر
 والمجاهدين (وعاد الله الحسن) أي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
 العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (أجر عظيم)
 ويبدل منه (درجات منه) أي منازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقوله تعالى (ومغفرة
 ودرجة) منصوبان بفعلهما المقدر (وكان الله) أي ولم يزل (غفوراً) لا وليائه (رحيماً) بأهل
 طاعته وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها عبيد من رضى بالله
 رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وحببت له الجنة قال فحجب بها أبو سعيد فقال أعدها يا رسول الله
 ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين
 كل درجتين كما بين السماء والأرض فقال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله وعن أبي
 هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام
 الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهاً في سبيل الله وأجلس
 في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا تنذر الناس بذلك فقال إن في الجنة مائة درجة

أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا أسألتوه فأسألوه
الفر دوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة وإنما يجب
الجهاد على كل مسلم مكلف حرّ ذكراً مستطيع له وهو فرض كفائي لا يثبت للمقدمة إذا كان
الكفار يبلّدهم ويجب على الإمام أن يغزوهم في كل عام مرة بنفسه أو بوابنه أو بشخص الثغور
بما يوافق العدوّ وأما إذا دخلوا بلادنا والعباد بالله تعالى تعين على أهل البلدة وعلى من دون
مسافة القصر حتى على فقير وولد ومدين ورفيق بلا إذن ويجب على من هو في مسافة القصر
بقدرة الكفاية وإن أسروا مسلماً زمن النضوض لخلاصه إن رجي وإن لم يدخلوا بلادنا ونزل
في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فلما خرجوا إلى بدر رجعوا معهم فقاموا مع الكفار (إن الذين توفاهم
الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه أو ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع (ظالمى أنفسهم) أي في حال ظلمهم أنفسهم بترك
الهجرة وموافقة الكفرة بالمقام في دار الشمر لأن الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة ثم نسخ
الوجوب بعد فتحها فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ البرى بتشديد التاء المثناة
فوق من توفاهم في الوصل والبقاءون بالتخفيف وأدغم أبو عسر والتاء في القضاء بخلاف عنه
والبقاءون بغير ادغام (قالوا) أي الملائكة لهم (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر
دينكم وقرأ البرى فميه بالهاء بعد الميم في الوقف بخلاف عنه (قالوا) معذرين مما وبخوابه
(كأما تضعفون) أي عاجزين عن إظهار الدين وإعلاء كلمته (في الأرض) أي في أرض مكة
(قالوا) أي الملائكة تكذّبوا لهم وتوبيخنا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) من أرض
الكفر إلى بلد أخرى كما فعل غيركم من المهاجرين إلى المدينة والحبيشة قال تعالى (فأولئك ما وأهم
جهنم) أي لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار (وساء مصيراً) أي جهنم وفي الآية دليل على
وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان ما بينهما شبرا استوجب أي وجبت له الجنة وكان رفيق
أبيه إبراهيم وبنوه محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (الاستضعفين) أي
الذين وجد ضعفهم في نفس الأمر وعدوا ضعفاء وتقوى عليهم غيرهم (من الرجال والنساء
والولدان) ثم بين ضعفهم بقوله (لا يستطيعون حيلة) أي لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة لهم
(ولا يهتدون سبيلاً) أي طريقاً إلى أرض الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو) أي يتجاوز
(عنهم) وعسى من الله واجب لا طماع والله تعالى إذا أطمع عبده بشيء أو صله إليه ولكن
في ذكر الطماع والعفو إذا كان أمر الهجرة مضيقاً لا توسعة فيه حتى إن المضطرّ إلى
الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره (وكان الله عفواً غفوراً) قال
ابن عباس كنت أنا وأخي ممن عذر الله أي من المستضعفين وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هؤلاء
المستضعفين في كل صلاة قال أبو هريرة كان إذا قال سمح الله لمن جده في الركعة الأخيرة من صلاة
العشاء قمت يقول اللهم أئج عياش بن ربيعة اللهم أئج الوليد بن الوليد اللهم أئج سلمة بن هشام

اللهم أخرج المستضعفين من المسلمين اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
 كسنى يوسف (ومن يهاجر في سبيل الله يبيد في الأرض مراً غماً كثيراً) أي متحولاً يتحول إليه
 وقيل طريقاً يرغم بسلو كقومه أي يفارقهم على رغبته فيهم مأخوذ من الرغام والرغم الذل
 والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا قارفته وهو يكره
 مقارفتك لذلة الخلق بذلك (و) يبعد (سعة) في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصوموا
 وسافروا تغنوا أخرجه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه واغزوا تغنوا
 وهاجر واتفلموا وما سمع هذه الآية رجل من بني قيس يقال له جندب بن ضمرة قال ما أنا بمن
 استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولئى من المال ما يلغى المدينة وأبعد منها والله لأبى الليلة
 بمكة أخرجوني فخرجوا به يحمونه على سرير حتى أتوا به التعظيم فادركه الموت فصفق يمينه على
 شمالك ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما يابيعك عليه ورسولك قال التفتنازاني
 الظاهر أن هذه إشارة إلى اليمين وهذه إلى الشمال لا قصد اسناد الجارحة إلى الله تعالى بل على
 سبيل التصوير وتتميل بمبايعة الله تعالى على الإيمان والطاعة بمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 آية وقيل إشارة إلى البيعة والصفقة والمعنى أن بيعته كبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيعة
 كبيعة الناس فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة كان آثم
 وأوفى أجر أوضحن المشركون وقالوا ما أدركه هذا ما طاب قتل (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى
 الله ورسوله ثم يدركه الموت) أي في الطريق قبل مقصده (فقد وقع أجره على الله) أي ثبت أجره
 عنده تعالى ثبوت الأجر الواجب تغضلاً منه ورحمة (وكان الله غفوراً) لانه صيره أن كان (رحيماً)
 يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات ولما أوجب الله السفر للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة
 المشقة فكيف يسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء ذكر تخفيف الصلاة
 بالقصر بقوله تعالى (وإذا ضربتم) أي سافرت (في الأرض) سفر طويلاً لا غير معصية والطويل
 عند الشافعي رحمه الله تعالى أربعة برد وهي مرحلتان كما ثبت ذلك بالسنة وعند أبي حنيفة رحمه
 الله تعالى ثلاثة أيام ولياليهن يسيراً لابل ومسعى الأقدام على القصد وقوله تعالى (فليس عليكم
 جناح) أي أثم وميل في (أن تقصروا من الصلاة) أي من أربع إلى ركعتين وذلك في صلاة
 الظهر والعصر والعشاء يدل على جواز القصر دون وجوبه ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام
 أتم في السفر كما رواه الشافعي وغيره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها اعترفت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأي أنت وأمي
 قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي رواه الدارقطني وحسنه
 البيهقي وصححه وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وأوجب القصر أبو حنيفة لقول عمر
 رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم رواه النسائي وابن
 ماجه واقول عائشة رضي الله عنها أقول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت
 في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان (فان قيل) ظاهرهما يخالف الآية (أجيب) بأن

الاول مؤول بأن القصر كالتمام في الصحة والاجزاء ومعنى الثاني لمن أراد الاقتصار عليها جاعلا
 بين الادلة وقوله تعالى (ان خفتن ان يقتلكم الذين كفرتم) أى ينالوكم بكم وبكم وبكم باعتبار
 الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له قال يعلى بن أمية قالت لعمرانما قال الله تعالى ان خفتن وقد
 آمن الناس قال قد عجت بما عجت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
 الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا) أى جبهة وطبعاً (لكم عدواً أميناً)
 أى بين العداوة وقوله تعالى (واذا كنت) أى يا محمد حاضراً (فيهم) أى وأنتم تخافون العدو
 (فأقتلهم الصلاة) تسلك بفهمه من خص صلاة الخوف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة
 الفقهاء على أنه تعالى علم بنبيه صلى الله عليه وسلم كيفية استهالي التقدي به الأئمة بعده فانهم نواب عنه
 فيكون حضورهم كحضوره روى ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 قاموا الى الظهر يصلون جميعاً ثم ما أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوه فان لهم
 بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم
 فاقتلوهم فزل جبريل فقال يا محمد انهم صلاة الخوف وان الله يقول واذا كنت فيهم فأقتلهم
 الصلاة ففعله صلاة الخوف وهي أنواع الاول اذا كان العدو في جهة القبلة ولا سائر والمسلمون
 كثيرون فيصلى بهم الامام ثم يسجد بصف أول ويجرس صف ثان فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه
 وسجد معه بعد تقديمه وتأخر الاول بلا كثرة أفعال في الركعة الثانية وحرس الآخرون فاذا
 جلسوا لتشهد جلس الآخرون وتشهد وسلم بالجميع روى هذا النوع مسلم وقد صلاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يمسحاً وهي قرية على مر حلتين من مكة بقرب خليص سميت بذلك لعسف
 السمول فيها وراز عكس هذه الكيفية والنوع الثاني اذا كان العدو في غير جهة القبلة أو فيها
 ونم سائر فيصلى الامام بهم ركعتين مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى (فلتقم طائفة منهم معك)
 أى وتتأخر طائفة (ولياخذوا) أى الطائفة التي قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أى
 صلوا (فليكنوا) أى هذه الطائفة الاخرى (من وراءكم) يجرسون الى أن تقضوا الصلاة
 وتذهب هذه الطائفة الاخرى تجرس (ولتأت طائفة أخرى) تجرس (لم يصلوا فليصلوا معك
 وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) معهم الى أن يقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك بيطن
 فخل رواه الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف سفت فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم
 وخوف هجومهم عليهم في الصلاة (فان قيل) أخذ الحذر وهو الخوف مع التحفظ مجاز
 وأخذ الاسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما (أجيب) بأن أخذ الحذر حقيقة أيضاً تنزيلاً له منزلة الاسلحة
 على سبيل الاستعارة بالكناية فالجمع انما هو بين حقيقة على أن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز كما
 عليه الشافعي رضى الله تعالى عنه (فان قيل) لم ذكر أخذ الحذر في الثانية دون الاولى (أجيب) بأن
 الكفار يتنبهون للثانية ما لا يتنبهون للاولى والنوع الثالث صلاة ذات الرقاع رواها الشيخان أيضاً
 وهي والعدو في غير جهة القبلة أو فيها ونم سائر أن تقف فرقة في وجه العدو ويصلى الامام بفرقة
 ركعة ثم عند قيامه للثانية تفارقه وتم بقية صلاتها وتقف في وجه العدو وتبقي تلك والامام

ينتظر لها ف يصلي بها ثانية فإذا جلس للشهادة قامت وأتت برسكته وتلقاه ويسلم بها ويصلي
 الثلاثة بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وهو أفضل من عكسه ويصلي الرابعة بكل فرقة ركعتين
 وبقي نوع رابع تقدم عند قوله تعالى فان خفتهم فرجالاً أو ربكنا (ود) أي تقي (الذين كفروا ولو
 تغفلون) إذا قمت إلى الصلاة (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بأن يحملوا
 عليكم فيأخذوكم وهذه علة الأمر بأخذ السلاح ولما كان الله تعالى قد فضل على هذه الأمة
 ورفع عنها الحرب وكان المطر والمرض يشقان قال (ولاجتراح) أي حرج (عليكم ان كان بكم
 أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم) لأن حمل السلاح في المطر يكون سبباً للبله
 وفي المرض يزيد جملته المريض وهنا وهذا يفيد إيجاب جملته عند عدم العذر وهو أحد قولي
 الشافعي والثاني أنه سنة ورجح بشرط أن لا يؤذى ولا يحصل بتركه جله خطر ولا يمنع صحة الصلاة
 فان أذى كرجح وسط الصف كره جله بل ان غلب على ظنه ذلك حرم وان حصل بتركه خطر وجب
 جله ويمكن حمل الآية على هذه الحالة وحكمه وضعه بين يديه ان سهل متديه اليه بل يتعين ان منع
 جله الصحة من نجس أو غيره (وخذوا حذركم) من العدو أي احتذروا منه ما استطعتم كيلا
 يهجم عليكم (فان قيل) كيف طابق الأمر بالحدز قوله تعالى (ان الله أعد ذلك للكافرين عذاباً)
 أي قتلاً وأسراً ونهباً في الدنيا (مهيئاً) أي ذاهاتة (أجيب) بأن الأمر بالحدز من العدو
 يؤهم توقع غلبته واعتذاره فنفى عنهم ذلك الإيهام بالخبر أنهم أن الله تعالى يهين عدوهم ويخذله
 وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم ويعلموا أن الأمر بالحدز ليس لذلك وانما هو تعبد من الله تعالى
 كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولما أعلمهم بما يفعلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك
 ما يفعلون بعد هالة لا يظن أنهم تغنى عن مجرد الذكرف قال مشير إلى تعقيبهم (فإذا قضيت الصلاة)
 أي فرغتم من فعلها وأدتتموها على حالة الخوف أو غيرها (فأذكروا الله) أي بالتلهيل والتسبيح
 والتحميد والتعجيد (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي مضطجعين أي اذكروا في كل حال
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه وقيل صلواته ما في حال الصحة وقعوداً في حال المرض وعلى جنوبكم عند الحرج
 والزمانة (فإذا اطمانتم) أي أمنتم عما كنتم فيه من الخوف (فأقيموا الصلاة) أي أذكروها
 بمحوقها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً) أي
 مكتوباً أي مفروضاً (موقوتاً) أي مقدراً وقتها لا تؤخر عنه ولا تتقدم عليه قال صلى الله عليه وسلم
 أمنى جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله أي الشيء
 مثله والمغرب حين أظفر الصائم أي دخل وقت افطاره والعشاء حين غاب الشفق الأحمر والفجر
 حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله والعصر
 حين كان ظله مثله والمغرب حين أظفر الصائم والعشاء إلى ثلث الليل والفجر فأسفر وقال هذا
 وقت الانبياء من قبلك رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فصلى
 الظهر حين صار ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول حينئذ قاله

الشافعي رضي الله عنه نافيًا به اشتراكهم في وقت ويدل له خبر مسلم وقت الظهر اذا زالت
 الشمس لم يحضر العصر ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه
 لما رجعوا من أحد فشدوا الجراحات (ولا تهنوا) أي تضعفوا (في استغناء القوم) أي في طلب
 أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا ثامون) أي توجعون من ألم الجراح (فانهم يأمون) أي
 توجعون من الجراح (كأننا ثامون) ولم يجبنوا عن قتالكم فلا تجبنوا عن قتالهم (وترجون)
 أنتم (من الله) من النصر والثواب على جهادكم (ملا يرجون) هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك
 فيجب أن تكونوا أروغ منهم في الحرب وأصبر عليها (وكان الله علينا) بأعمالكم وخصمكم
 (حكيمًا) أي فيما يأمر وينهى (أنا أنزلنا إليك الكتاب) أي القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق
 بأنزل (لتحكم بين الناس بما أراكم) الله أي عرفكم وأوحى به اليك وليس أرى من الرؤية بمعنى
 العلم والالاستمدعى ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما
 أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الالئيمه ولكن ليجهتد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه إياه وهو من الظن والتكليف وزوى الكلي عن أبي
 صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر الطاء
 وفتحها والاول أفصح ابن أبيرق من بنى ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاره يقال له قتادة بن
 النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى الدار
 ثم أخبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة فلم يوجد وحلف
 ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فأخذوها فقتل
 دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم واسألوه ان يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل اقتضح صاحبنا فهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يفعل لانه يرى بحلفه وان يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده وقيل هم أن يقطع يده
 فقال تعالى (ولا تكن للغانين) كطعمة (خصمًا) أي خصمًا ممددًا عنهم (واستغفر الله) أي
 ما هم متبه أي من الذنب عنه وهذا الاستغفار لاعتذاره عن ذنب اذ هو منزعه عن ذلك معصوم ولكن عن
 مقام عال سام للارتقاء الى أعلى منه وأنتم (ان الله كان عفواً رحيمًا) لمن يستغفره (ولا تجادل
 عن الذين يحتانون أنفسهم) أي يخونونكم بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم (فان قيل) لم قال
 للغانين ويحتانون أنفسهم والخائن واحد فقط (أجيب) بأنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان
 خيانتة أو ليتناولوه وقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخصمه واعنه وقيل
 ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما
 أنزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على أحد وجوه ثلاثة أما الذنب تقدم على
 النبوة أو الذنوب أمته أو لباح جاء الشرع بتحريره فيتركه بالالاستغفار فالاستغفار يكون معناه
 السمع والطاعة لحكم الشرع (ان الله لا يحب) أي يعاقب (من كان خوانًا) أي كذير الخيانة
 (أنبياء) أي منهم مكافيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد وثقب حائطاً ليسرق متاع أهله

فقط الحائط عليه فقتله (فان قيل) لم قال خذوا انا اثمنا على المبالغة (أجيب) بأن الله تعالى كان عالما من طعمة بالانواط في الحياة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون) أي طعمة وقومه يستترون ويستخيمون ويخافون (من الناس ولا يستخفون) أي ولا يستخيمون ولا يخافون (من الله) وهو أحق أن يستخيا ويخاف منه (وهو معهم) بعله لا يخفى عليه سرهم (اذ يستخفون) أي يدبرون ليلا على طريق الامعان في الكفر والاتقان للرأي (ملا يرضى من القول) أي من رعى اليهودي بالسرقه وشهادة الزور عليه والحلف الكاذب على نفيه (فان قيل) لم سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس (أجيب) بأنه لما حدث بذلك نفسه سمي قولا ليجازا قال في الكشف ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بينه (وكان الله بما يعلمون محيطا) أي علما وقدرة لا يفوت عنه شيء وقوله تعالى (ها أنتم هؤلاء) خطاب لقوم طعمة أي ياهؤلاء (جادلتم) أي خاصمتم (عنهم) أي عن طعمة وذويه (في الحياة الدنيا) أي بما جعل لكم من الاسباب (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) اذا عذبهم (أم من يكون عليهم وكيل) يتولى أمرهم ويذب عنهم أم أي لا أحد يفعل ذلك * (فائدة) * اتفق كتاب المصاحف على قطع أم عن من (ومن يعمل سوا) أي ذنبا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي (أو يظلم نفسه) أي يعمل ذنبا يختص به لا يعتاده وقيل المراد بالاول الصغيرة والثاني الكبيرة (ثم يستغفر الله) أي يطلب من الله تعالى غفرانه بالتوبة بشرطها (يجد الله عفورا) أي محاء للزلات (رحيما) أي مبالغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث عن الله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية نسخت من يعمل سوا مجزبه (ومن يكسب اثما) أي ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) أي لا توبه راجع عليه اذا الله بالمرصاد فهو مجازيه عليه فلا يعتاده وبالله قال تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما) بالغ العلم بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شيئا منه (حكيم) في صنعه فلا يجازيه الا بقدر ذنبه (ومن يكسب خطيئة) أي ذنبا صغيرا أو مالا عمد فيه (أو اثما) أي كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به برياً) أي ينسبه الى من لم يعمل له كما فعل طعمة باليهودي (فقد احتمل) أي تحمل (به ثمانا) أي خطر كذب يهت المرء به (واثما) أي ذنبا كبيرا (مبيناً) أي بينا يكسبه بسبب رعي البريء (ولو لا فضل الله عليكم) يا محمد (ورحمته) بالعصاة (الهمت طائفة منهم) أي من قوم طعمة أي هم ما مؤثر عندك (أن يضلوا) أي عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال بل ينسبهم عليك فلا ينفي ذلك أنهم قد هموا بذلك لان الهم المؤثر لم يوجد (وما يضلون الا أنفسهم) اذ وبال ذلك عليهم (وما يضر ونك من شيء) فان الله عصمكم وما خطر ببالك كان اعتمادك على ظاهر الامر لا مبالي في الحكم * (تنبية) * من شيء في موضع نصب على المصدر أي شيئا من الضرفن مزيدة (وأمر الله عليكم

(الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السعة فانهم البست قرآنا يتلى وفسرت أيضا بانها علم
 الشرائع وكل كلام وافق الحق (وعلم ما لم تكن تعلم) أى من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة
 من أحوال الدين والدنيا (وكان فضل الله عليك عظيما) أى بهذا وغيره من أمور لا تدخل تحت
 الحصر وفى هذا دليل على أن العلم من أشرف الفضائل (لا خير في كثير من نجواهم) أى الناس
 قوم طعمة فانهم ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه وكذا غيرهم (الا نجوى) من أمر
 بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) أى عمل بر وقيل المراد بالصدقة الواجبة وبالمرء
 صدقة التطوع (أرأيت ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله وسمع سفیان
 كلام ابن آدم كما عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله وسمع سفیان
 رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا
 بعينه أو ما سمعته يقول والعصران الانسان انى خسر فهو هذا بعينه وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال الا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول
 الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الخالقة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 ليس بالكذب من أصل بين الناس فقال خيرا أو أتى خيرا (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذكور
 (استغما) أى طلب (مرضاة الله) أى لا غيره من أمور الدنيا لان الاعمال بالنيات (فسوف
 يؤتيه) أى الله فى الآخرة بوعده لا خلف فيه (أجر عظيم) هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم
 وفى هذه الآية دلالة على أن المطالب من أعمال الظاهر رعاية أحوال الباطن فى اخلاص
 النية وتصفية القلب من الالتفات الى غرض دنيوى وقرأ أبو عمرو وحزرة بؤتيه بالياء والباقون
 بالفون (ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه فيما جاء به مأخوذ من الشق فان كلام المتخالفين
 فى شق غير شق الآخر (من بعد مائتين) أى ظهر (له الهدى) أى الدليل الذى هو سببه
 (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يتبع غير دين
 الاسلام (نوله ما تولى) أى نجعله والى ما اتولاه بأن تخلى بينه وبينه فى الدنيا (ونصله) أى ندخله
 فى الآخرة (جهنم) يحترق فيها (وساء مصيرا) أى مر جماعى وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة نوله
 ونصله بسكون الهاء واختلس كسرة الهاء قالون ولهشام وجهان الاختلاس كقالون واشباع
 الحركة بكافى القراء (فان قيل) ما الحكمة فى فك الادغام فى قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
 والادغام فى سورة الحشر فى قوله تعالى ومن يشاقق الله (أجيب) بأن أل فى لفظ الجلالة لازم
 بخلافه فى الرسول واللىزوم يقتضى النقل لخفف بالادغام فيما صحبته الجلالة بخلاف ما صحبه
 لفظ الرسول (فان قيل) يرد هذا قوله تعالى فى سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله (أجيب)
 أنه لما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمطوف علمه كالشئ الواحد (ان الله لا يغفر
 ان يشرك به) أى وقوع الشرك به من أى شخص كان وبأى شئ كان (ويغفر ما كان
 شئ هو) (دون ذلك) أى من سائر المعاصى لكن (لم يشاء) لان جميع الامور بعشيمته روى
 ان شيخنا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شج ذنوبك فى الذنوب الا أنى لم

أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرامة وما توهمت
 طرفة عين اني أعجز الله هربا وانى لنادم نائب مستغفر فخارتى حالى عند الله فنزلت (ومن يشرك بالله
 فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وابتعدا عن الصواب
 والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ
 شركهم نوع افتراء وهو دعوى النبي على الله (ان) اى ما (يدعون) اى يعبد المشركون (من
 دونه) اى غير الله (الا انا) وهى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حتى من احياء
 العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هت بنات
 الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله (وان) اى ما (يدعون) اى يعبدون
 بعبادتها (الاشيطة امارينا) اى خارجا عن الطاعة وهو ابليس لانه الذى امرهم بعبادتها
 واغراهم عليها فكانت طاعته فى ذلك عبادة له (لعنه الله) اى ابعدته عن رحمته (وقال)
 الشيطان المذكور (لا اتخذون من عبادك نصيبا) اى حظا (مقروضا) اى مقطوعا ادعوهم فيه
 الى طاعتى قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار (ولا ضللتهم) اى عن
 طريقك السوى بما سلطتني به من الوسواس وتزيين الا باطيل (ولا منيتهم) اى بكل ما أقدر
 عليه من الباطل من عدم البعث والحساب ولاجنة ولا نار وغيره وألقى فى قلوبهم طول الاعمار
 وبلوغ الآمال من الدنيا والآخرة بالرجة والحنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسوية
 بالتوبة (ولا أمرهم فليستكن) اى يقطعن (آذان الانعام) كما كانت العرب تقعله بالبحائر
 والسوايب التى حرموها على أنفسهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء
 الخامس ذكر احرموا على أنفسهم الاتقاع بها (ولا أمرهم فليغيرن خلق الله) اى فطرة الله
 التى هى دين الاسلام بالكفر واحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ويدخل فى ذلك اللواط
 والسحر والوشم وهو أن يغرز الجلد بآبرة ويحشى بصونيله والوشى وهو أن تصد المرأة أسنانها
 وترققها ونحو ذلك وكألفاء وهو حرام فى بنى آدم قال الرمنشمرى وعند أبى حنيفة يكره شراء
 الخصىان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وأما فى البهائم فيجوز فى
 المأكول الصغير ويحرم فى غيره وقيل للحسن رحمه الله تعالى ان عكرمة يقول المراد هنا هو
 الخصىان فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم (ومن يتخذ الشيطان وليا)
 اى يتولاه ويطيعه (من دون الله) اى غيره (فقد خسر خسرا ناميدا) بينا المصير الى النار
 المؤبدة علمته (يعدهم) ما لا ينجز به بأن يحيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة فى شئ من
 الاباطيل انه قريب الحصول فيسعون فى تحصيله فيضيع عليهم فى ذلك الزمان ويركبوا
 ما لا يحل من الاحوال والهوان (وعينهم) نيل الآمال فى الدنيا ولا بعث ولا جزاء (وما) اى
 والحال انه ما (يعدهم الشيطان) بذلك (الاغروا) اى باطلا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
 وهذا الوعد اما بالحواطر أو بلسان أوليائه (أو لئلا) اى الشيطان وأوليائه (وأوامهم) اى
 مقرهم (جهنم) يسترقون فيها (ولا يجردون عنها محبصا) اى معدلا ومهربا وما ذكره الكافرين

ترهبها اتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال (والذين آمنوا) أى أقروا بالآيمان (وهملوا الصالحات) أى
 الطاعات تصد بقا لأقرارهم (سندخلهم) بوعده لا خلف فيه (جنات تجري من تحتها الأنهار) أى
 لرى أرضها فحشما أجرى منها نهر جرى (خالدين فيها) ولما كان الخلود يطلق على المكث
 الطويل دفع ذلك بقوله تعالى (أبدا) أى لالى آخر (وعده الله حقا) أى وعدهم الله ذلك وهو
 قوله تعالى سندخلهم وحقه حقا (ومن) أى لا أحد (أصدق من الله قبلا) أى قولوا أكثر
 سبحانه وتعالى من التأكيد هنا لأنه فى مقابلة وعد الشيطان ووعده الشيطان موافق للهوى
 الذى طبع عليه النفوس فلا تنصرف عنه إلا بعسر شديد * ونزل لما افتخر المسكون وأهل
 الكتاب وهم اليهود والنصارى فقال أهل الكتاب نينا قبل نبيكم وكنا قبل كتابكم فحقن أولى
 باقه منكم وقال المسلمون نينا خاتم الانبياء وكنا يقضى على الكتب وقد آمننا بكتابكم ولم تؤمنوا
 بكتابنا فحقن أولى (ليس) أى الامر منوطا (بأمانيتكم) أيها المسلمون (ولأمانى أهل الكتاب)
 بل بالآيمان والعمل الصالح (من يعمل سواء يجزيه) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية شقت
 على المسلمين وقالوا يا رسول الله أينالم يعمل سواء غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا
 أى بالبلاء والمحن كما ورد فى الحديث فمن يعمل حسنة فله عشر أمثالها ومن جوزى بالسبئية
 نقصت واحدة من عشرة وبقى له تسع حسنات فويل لمن غلبت أحاده أعشاره وأما ما كان جزاء
 فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيبقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى
 الجزاء فى الجنة فيوثق كل ذى فضل فضله وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال كنت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه الآية من يعمل سواء يجزيه (ولا يجزى له من دون الله)
 أى غيره (وليا) أى يحفظه (ولانصاريا) أى يمنعه منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا
 بكر ألا أقرئك آية نزلت على قلبى يا رسول الله قال فأقرأنيها قال ولأعلم انى قد
 وجدت انفصاما فى ظهري حتى غطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر
 فقلت يا رسول الله بأبى أنت وامى وأينالم يعمل سواء وأنا المجزون بكل سوء عملناه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا أى بالبلاء والمحن
 كما ترحى تلقوا الله وليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة
 (ومن يعمل) شيئا (من الصالحات) فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بم اوقوله تعالى (من
 ذكر أو أنشئ) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أى كاتمة من
 ذكر أو أنشئ ومن للابتداء وقوله تعالى (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء
 الثواب المذكور تنبيهها على انه لا اعتماد بالعمل الصالح دون اقتران بها (فأولئك) أى العالو
 الرتبة (يدخلون) أى يدخلهم (الجنة) أى الموصوفة (ولا يظلمون فقيرا) قد رنقرة الزواة
 من ثواب اعمالهم وان لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لايزاد عقاب العاصى لان الجازى
 هو أرحم الراجين ولذلك اقتصر على ذكره عقب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم
 الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن) أى لا احد (احسن ديناً ممن أسلم وجهه)

اى انقاد واخلص عمله (لله) فلا حركه ولا سكون الا فيما يرضاه وفي هذا الاستفهام تنبيه على
 ان ذلك منتهى ما بلغه القوة البشرية (وهو) أى والجمال انه (محسن) اى مؤمن مراقب آت
 بالحسنات تارك للسيئات لانه يعبد الله كأنه يراه وقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين
 كله اصلا وفرا مع الترغيب بالمدح الكامل لمبغيه وافهام الذم الكامل لغديره (واستعمله
 ابراهيم) اى الموافقة لله الاسلام وقوله تعالى (حنيفاً) حال اى ما تلاعن الاديان كلها الى الدين
 القيم (واخذ الله ابراهيم خليله) اى صفيا خالص المحبة له وانما اعاد ذكره ولم يضمه تفخيما له
 وتنصيصا على انه الممدوح والخليل من الخلال فانه ودخل النفس وخالطها قال الزجاج
 الخليل الذى ليس فى محبته خلل والخله الصداقة فسمى خليل لان الله تعالى أحبه واصطفاه
 روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
 من مرتبه من الناس فأصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له
 كل سنة من صديق له بصرف فبعث غلامه بالابل الى الخليل الذى بصرف فقال خليله لغلامه
 لو كان ابراهيم يريد لنفسه افعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من
 الشدة فرجع غلامه فزوا ببطحاء أى بأرض ذات حصى فقالوا لو أننا جئنا من هذه البطحاء لبرى
 الناس انا قد جئنا بغيره فانا نستحي ان نغزبهم وابلنا فارغة فلو انك الغرائث ثم أنوا ابراهيم فلما
 أخبروه بذلك وسارة تأتمت ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
 سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى فقامت الى الغرائث ففتحتها فاذا هو أجدو حواري أى وهو
 بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الدقيق الذى نخل مرة بعد اخرى فأمرت الخبازين
 فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد رائحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت من
 خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليله (ولله ما فى السموات
 وما فى الارض) خلقا ولم يكافعل فيهم ما يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) علما وقدره أى ولم
 يرزل متصفا بذلك فهو ما أراد كان فى وعد وعيد لم يطيع والعاصى لا يخفى عليه أحد منهم
 ولا يعجزه شئ (ويستفتونك) أى يطلبون منك الفتوى (فى) شأن (النساء) أى فى شأن النساء
 (قل الله يفتيككم) أى يبين لكم حكمه (فيهن) والافتاء تبين المبهم (و) يفتيككم أيضا (ما يتلى
 عليكم فى الكتاب) أى القرآن من آية الميراث (فى يتامى النساء) اى فى شأن اليتامى (اللا فى
 لا تؤنهن ما كتب) أى فرض (لهن) أى من الميراث (وتزغن) أيها الاولياء (ان) أى فى ان
 أوعن ان (تسكنوهن) لجمالهن أودسا متن قالت عائشة رضى الله تعالى عنها هى اليتيمة
 تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سبعة
 صداقها وان كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركها وفى رواية هى اليتيمة تكون فى حجر
 الرجل قد شركتها فى ماله فيرغب عنها أن تزوجه الدما متاويكره أن يزوجه اغبيره فيدخل عليه
 فى ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فهم الله تعالى عن ذلك (و) يفتيككم فى (المستضعفين) أى
 الصغار (من ولدان) أى أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب كانوا لا يورثونهم كالا يورثون النساء

وقوله تعالى (وان تقوموا) في محل نصب باضمار فعل أي وبما ركم ان تقوموا (للتأحي) بالقسط
 أي العدل من المبراث وغيره والخطاب للامة في ان ينظروا لهم ويسـتوفوا حقهم أو للقوام
 بالنصفة في شأنهم (وما تفعولوا من خير) أي في ذلك أو غيره (فان الله كان به عليما) أي
 فيجازيكم عليه فانه اكرم الاكرمين فطيبوا أنفسا وقرءا عينا قال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة
 قد كبرت وله منها أولاد فاراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقات له لا تطلقني ودعني على ولدي
 واقسم لي من كل شهرين ان تثت وان تثت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي
 فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وان امرأة) مرفوع بفعل يفسره
 (خافت) أي توقعف (من بعائها) أي زوجها (نشوزا) أي تجافيا عنها وترفعان صحبة كراهة
 لها ومنعها لحقها (أو اعراضا) بأن يقل محادثتها ومجالستها (فلا جناح عليهما) أي الزوج
 والزوج (ان يصلحا بينهما ماصلا) أي في القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد
 دخلت في السن وانى تريد أن تزوج امرأة شابة جميلة أو ثراها عليك في القسم لئلا ونارا
 فان رضيتي به مـذا فاقبني وان كرهت خلت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على
 ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيهما حقها من القسم والنفقة أو يسرحها
 باحسان فان أمسكها وفاها حقها مع كراهة فهو المحسن وقرءا عاصم وحزوة والكسائي بضم
 المياء وسكون الصاد ولا ألف من أصلح بين المتنازعين والباقون بفتح المياء وفتح الصاد مع
 التشديد وألف بعده وفتح اللام وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وغلظ ورش اللام من
 يصلح لخالف عنه (والصلح) بأن يترك كل منهما حقه أو بعض حقه (خير) من الفرقة والنشوز
 والاعراض كما يروى أن سودة كانت امرأة كبيرة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقها
 فقالت لا تطلقني وانما لي أن ابعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة فأمسكها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يوما ويوم سودة ثم بين سبحانه وتعالى ما جيل عليه الانسان
 بقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جبلت عليه فكانت حاضرة لا تغيب عنه فلا تنكح المرأة
 تسمع بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا بنفسه بأن يسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي اذ الزوج
 لا يكاد يسمع بنفسه اذا كرهها وخصوصا اذا أحب غيرها والشح أقبح البخل وحقيقة الحرص
 على منع الخير (وان تحسنوا) أي في عشرة النساء وان كنتم كارهين (وتتقوا) أي النشوز
 والاعراض وتقص الحق (فان الله كان) أزلا وأبدا (بما تعملون) أي من الاحسان والخصومة
 (خيرا) أي علميا به وبالغرض منه فيجازيكم عليه (ولن تستطيعوا) أي توجدوا من أنفسكم
 طواعية بالغصة دائمة (ان تعدلوا) أي تسووا بين (النساء) أي في المحبة لأن العدل أن لا يقع
 ميل اليه وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساؤه فيعدل
 ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا توهأخذني فيما تملك ولا يملك رواه ابوداود وغيره وصححه الحاكم
 (ولو حرصتم) على تحزى ذلك وبالغتم فيه (فلا تعلموا) أي الى التي تحبونها (كل الميل) في القسم

والذقة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله (فتذروها) أي تتركوا المرأة الممال عنها (كالمعلقة)
 أي التي لا هي أيم ولا ذات بعل وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان يعل إلى
 أحدهما جاء يوم القيامة واحد شقيبه مائل رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وروى أن عمر
 رضي الله تعالى عنه بعث إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعال فقالت عائشة رضي الله
 تعالى عنها إلى كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات
 بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا
 في القسمة بما له ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتهم لهن جميعا وكان لما ذكرى الله تعالى عنه
 امرأتان فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فأتتا في الطاعون فدفنهما في قبر
 واحد (وأن تهلوا) أي ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل (فان الله
 كان عفورا) أي لما في قلوبكم من الميل (رحيما) بكم في ذلك وغيره فانه أرحم الراحمين
 (وأن يتفرقا) أي يفترق كل من الزوجين من صاحبه بالطلاق (يقن الله كلا) منهما عن الآخر
 ببدل بأن يرزقها زوجها ويرزقه غيرها أو سوا (من سمته) أي من فضله وكرمه (وكان الله واسعا)
 أي واسع الفضل والرحمة بخلقه (حكيم) أي فيما دبره لهم وفي قوله تعالى (ولله ما في السموات
 وما في الأرض) أي ملكا وعبيدا تنسبه على كمال سمته وقدرته (ولقد وصينا الذين
 أتونا الكتاب) أي جنس الكتاب (من قبلكم) أي اليهود والنصارى ومن قبلهم وقوله تعالى
 (وأيماكم عطف على الذين وهو خطاب لاهل القرآن) أن اتقوا الله أي بأن اتقوا الله أي خافوا
 عقابه بأن تطيعوه وقوله تعالى (وأن تكفروا) أي بما وصيتم به (فان الله ما في السموات
 وما في الأرض) على إرادة القول قال التفنا زاني لأن الجلالة الشريطة لا تصح أن تقع بعد
 أن المصدرية فلا يصح عطفها على الواقع بعدها أي وقلنا لهم وليكم أن تكفروا فان الله مالك
 الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما يوصيكم لرحمته
 لا حاجته ثم قرئ ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (جسدا) في ذاته حمد
 أولي حمده (ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيل) أي شهيد بأن ما فيه ماله (فان
 قيل) ما فائدة تكرير لله ما في السموات وما في الأرض (أجيب) بأن لكل واحدة منها وجهها
 أما الأول فعناء الله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما
 الثاني فعناء الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حمدا أي هو الغني المطلق فاطلبوا
 منه ما تطلبون فانه لا يتغمد ما عنده وأما الثالث فعناء الله ما في السموات وما في الأرض وكفى
 بالله وكيل ولا تتوكلوا على غيره فذكرت كل مرة دلالة على شيء غير الذي قبله وكررت لأن الدلائل
 الواحدة إذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن أن يستدل به على كل واحد منها واعادته
 مع كل واحد أولى من الاكتفاء به مرة واحدة لأن أعادته تحضر في الذهن ما يوجب العلم
 بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجل وفي ختم كل جملة بصفة من الصفات
 الحسنى تنبيه الذهن به إلى أن هذا الدليل محتوم على أمور شريفة ومطاب جلييلة لا تنحصر

فيجهد السامع في التفكير لاظهار الامر والاستدلال على صفات الكمال لان الغرض من الكمال
 من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته
 سبحانه وتعالى وهذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد كده (ان يشأ يذهبكم) أي
 يفتنكم (أيها الناس) كما أوجدكم (ويأت بآخرين) أي ويوجد قوما آخرين مكانكم
 أو خلفا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) أي الاعدام والايجاد (قديرا) أي بليغ
 القدرة لا يتنوع عليه شيء أرادته وقبل هذا خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من العرب ان يشأ يفتنكم ويأت يناس آخرين يوالونه وروى أنه لما نزل ان يشأ يذهبكم
 الآية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا أي سلمان
 وهم بنو فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) الخسيسة القانية كالجاهدين بجاهد للغنمة لقصور
 نظره على الخسيس الحاضر مع خسسته كالبهايم (فعند الله ثواب الدنيا) الخسيسة القانية
 (والآخرة) النفيسة الباقية لا عند غيره فإله يطلب الخسيس فليطلب ما منه كن يقول ربنا
 آتاني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو لطلب الاشرف منهما فان من غلب همته فأقبل بقلبه
 اليه وقصر همه عليه جمع له سبحانه وتعالى بينهما كن يجاهد الله خالصا يجمع له بين الآخرة
 والمغنم (وكان الله سميعا) أي بالغ السمع لكل قول وان خفي (بصيرا) أي بالغ البصر لكل ما يصر
 وان خفي (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي قائمين قياما بليغا واطيعا عليه مجتهدا فيه
 (بالقسط) أي بالعدل (شهداء لله) بالحق أي تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة
 (على أنفسكم) فاشهدوا عليها بأن تقرروا بالحق ولا تكتموه (أو الوالدين والاقربين) أي ولو كانت
 الشهادة على والديكم وأقاربكم (أن يكن) أي المشهود عليه (غنيا) فلا تنزع الشهادة عليه لغناه
 طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا تنزع ترجماء عليه (فإنه أولى بهما) أي الغني والفقير وبالنظر لهما
 فلولم تكن الشهادة لهما أو عليهما ماصلا لما شرعها * (تنبيه) * الضمير في بهما راجع الى ما دل
 عليه المذكور وهو جنس الغنى والفقير لا اليهما والالوحد الضمير لكون العطف بأوفد كانه قال
 فإنه أولى بجنس الغنى والفقير أي بالاعنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) أي في شهادتكم
 بأن تحابوا الغنى لرضاه أو الفقر لرحمة له (أن تعدلوا) أي ارادة ان تعدلوا فعد بان لكم
 أن لا تعدل في ذلك أو لئلا تعدلوا أي عدلوا عن الحق (وان تلوا) أي ألسنتكم لتحرروا الشهادة
 (أو تعرضوا) أي عن آذانها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به وقرأ ابن عامر وحمزة
 بضم اللام وحذف الواو الاولى والباقون بسكون اللام وواوین الاولى مضمومة (يا أيها الذين
 آمنوا آمنوا) أي داوموا على الايمان (بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) محمد صلى الله
 عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب أي آمنوا بجميع
 كتب الله المنزلة وقبل ان الخطاب في ذلك لاهل الكتاب روى ان ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول
 الله اننا نؤمن بك وبكتابك وبوعسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فقال لهم النبي صلى الله
 عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله تعالى هذه الآية

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون من نزل وضم الهمزة من أنزل وكسر الزاي فيهما
 والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيهما (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه التي أنزلها على
 أنبيائه (ورسله) أي من الملائكة والبشر (واليوم الآخر) أي الذي أخبرت به رسله وهو يوم
 القيامة أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق بحيث لا يكاد يعود إليه
 وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار دال قد عند الضاد والباقون بالادغام (أن الذين آمنوا)
 أي عيسى وهم اليهود (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد دعوى موسى اليهم (ثم كفروا)
 بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) أي ماداموا
 على هذه الحالة لانه لا يغفر أن يشرك به (ولا يهديهم سبيلا) أي طريقا إلى الحق (بشر المنافقين)
 يا محمد (بأن لهم عذابا أليما) أي مؤلما هو النار (تنبيه) * وضع بشر مكان أنذر ثم تكلم بهم وقوله
 تعالى (الذين) بدل أو نعت للمنافقين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين لما يتوهمون
 فيهم من القوة وقوله تعالى (أيتقون) أي أيتلمنون (عندهم العزة) استغفها من انكارى أى
 لا يجحدونها عندهم (فان العزة لله جميعا) في الدنيا والآخرة ولا ينالها الا أولياؤه قال الله تعالى
 ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد) أي تتخذونهم والحال أنه قد نزل عليكم) أي آيتها الامة
 الصادقين منكم والمنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة النبي
 عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم (أن) أي انه فهي محققة واسمها محذوف (اذا سمعتم آيات الله)
 أي القرآن (يكفروا ويستهزأوا فلا تفتعدوا معهم) أي الكافرين والمستهزئين
 (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يأخذوا في حديث غير ذلك قال الفضال عن ابن
 عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة وقرأ عاصم نزل بفتح
 النون والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي (أنكم اذا) أي ان قد عدتم معهم (مثلهم) أي
 في الاثم لأنكم قادرون على الاعراض عنهم والانسكار عليهم أو الكفران رضيت به وقيل كان الذين
 يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون ف قيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في
 الكفر وبذل عليه قوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أي القاعدون
 والمقعدون معهم كما اجتماعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء وقوله تعالى (الذين) اما بدل من
 الذين قبله واما صفة للمنافقين واما نصب على الذم منهم (يتربصون) أي ينتظرون وقوع
 أمر (بكم فان كان لكم من الله) أي ظفر وغنيمة (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) أي في الدين
 والجهاد فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أي من الظفر فان الحرب
 سجال، وعبر بنصيب تحقيرا لظفرهم بالنسبة لما حصل للمسلمين من الفتح (قالوا) لهم
 (ألم نستحوذ) أي نستول (عليكم) ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم (ونغنمكم من
 المؤمنين) أي من تسلطهم عليكم عما كنا نخادعهم به ونشيع فيهم من الارجافات والامور
 المربعات الصارفة لهم عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاظهارنا الايمان ومراد المنافقين
 بذلك اظهار المنعة على الكافرين (فانه يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيامة) بأن يدخلكم الجنة

ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى طريقا بالاستئصال واحتج
 أصحابنا عليهم - هذه الآية على فساد شرع الكافر العبد المسلم (أن المنافقين يخادعون الله)
 أى ياطعونهم خلاف ما يظنون من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامهم الدينية (وهو خادعهم) أى
 يجازيهم على خداعهم فيفضيهم في الدنيا باطلاع نبيه على ما يظنون ويعاقبهم في الآخرة
 (وإذا قاموا إلى الصلاة) مع المؤمنين (قاموا أكسافا) أى متناقلين كالمكرهين على الفعل
 (يرأون الناس) بصلاتهم لفظهم مؤمنين (ولا يذكر الله) أى ولا يصلون (الاقليلا) أى حين
 يتعين ذلك طريقا لخادعتهم ولا يصلون غائبين قط عن عيون الناس وما يجهرون به أيضا إلا
 قلة لأنهم ما وجدوا مندوحة عن تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه ويجوز أن يراد بالقلة
 العدم (فان قيل) اما معنى المراآة وهى مفاعلة من الرؤية (أجيب) بأن المرائى يريهم عمله وهم
 يرون استحقاقه وقوله تعالى (مذبذبين) حال من وأبرأون أى مترددين (بين ذلك) أى الكفر
 والايمان (لا) منسوبين (إلى هؤلاء) أى الكفار (ولا إلى هؤلاء) أى المؤمنين (ومن يضلل الله)
 أى يضله (فان تجده له سبيلا) أى طريقا إلى الهدى ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فلا
 له من نور (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (أولياء من دون
 المؤمنين) فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تشبهوا بهم (أتريدون ان تجعلوا الله عليكم) أى
 بعبادتهم (سلطانا) أى دليلا على كفركم باتباعهم غير سبيل المؤمنين (مبين) أى واضح على
 نفاقكم (ان المنافقين في الدرك) أى البطن (الاسفل من النار) أى لان ذلك أخفى مافى النار
 وأستره وأخبئه كما أن كفرهم أخفى الكفر وأخبئه وأستره وسميت طبقات النار دركات لانها
 متدركة متتابعة إلى أسفل كما أن الدرج متراقبة إلى فوق (فان قيل) لم كان المنافق أشد عذابا
 من الكافر (أجيب) بأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله وقرأعاصم
 وحزرة والكسائي بسكون الراء والباقون بفتحها (ولن يجد لهم نصيرا) أى مانعا عنهم من
 عذاب الله تعالى فيخرجهم (الذين تابوا) أى رجعوا عما كانوا عليه من النفاق (وأصلحوا)
 أى أعمالهم (واعتصموا) أى وثقوا (بالله وأخلصوا دينهم لله) من الرياء فلا يريدون بطاعتهم
 الاوجهه تعالى (فأولئك مع المؤمنين) في الجنة (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما)
 فيشاركونهم ويساءمهم (فان قيل) من المنافق (أجيب) بأنه فى الشريعة من أظهر الايمان
 وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا للتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم
 من ترك الصلاة متعمدا فهو كافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق
 وإن صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث بكذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان
 وقيل لحديثه رضى الله تعالى عنه من المنافق قال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به (وقيل)
 لابن عمر رضى الله تعالى عنهم اندخل على السلطان وتسكلم بكلام فاذا خرجنا تسكلمنا بخلافه
 فقال كنا نعد من النفاق (فائدة) اتفق كتاب المصاحف على حذف الياء من يوت الله ولا سبب
 لحذفها (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعماءه (وآمنتم به) أى لينفى به غيظا أو يدفع ضرا

أو يستجاب به تفعوا وهو الغنى المطلق المتعالى عن النفع والضرة والاستقتهام بمعنى النقي أى
 لا يعذب بكم (فان قيل) لم قدم الشكر على الايمان مع أنه لا ينفع مع عدم الايمان . (أجيب)
 بأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكرهم ما فاذا انتهت الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر
 شكره فمفصل فكان الشكر مرتبة تقدم على الايمان وكانه أصل التكليف ومبدأه فيؤمن به والشكر
 ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهاها (وكان الله شاكراً) لأعمال المؤمنين بالاثابة
 يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليه السلام) بخلافه (لا يحب الله الجهر بالسوء) أى القبيح (من القول)
 من أحد أى يعاقب عليه (الامن) أى جهر من (ظلم) وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما هو فيه
 من سوء فلا يؤاخذ به قال الله تعالى وإن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال
 الحسن البصرى دعاؤه عليه أن يقول اللهم أعني عليه اللهم استخرج حق منه وقيل ان شتم
 أجازله ان يشتم مثله لا يزيد عليه وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل يقوم فلم يقرؤه ولم يحسنوا
 ضيفاته فله ان يشتمك ويذكر ما صنع به روى أن رجلاً اضاف قوماً أى نزل بهم ضيفاً فلم
 يطعموه فأصبح شاكياً فعوتب على الشكاية فنزلت وعن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك
 تبعنا فنزل يقوم فلا يقرؤنا فأتى فقال انما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم يقوم فأمروا
 لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغي لهم (وكان الله
 سميعاً) لكل ما يقال ومنه دعاء المظلوم (عليه السلام) بكل ما يفعل ومنه فعل الظالم (ان تبدوا) أى
 تظهروا (خيراً) من أعمال البر (أو تخفوه) أى تعملوه سرا (أو تعفوا عن سوء) أى عن مظلمة
 (فان الله كان) أى دائماً أزلاً وأبداً (عفواً قديراً) أى يكفر العفو عن العصاة مع كمال قدرته
 على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حق للمظلوم على تهديد العفو بعد ما رخص له في الانتصار رجلاً
 على مكارم الاخلاق وقوله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله) نزل في اليهود وذلك انهم آمنوا
 بعيسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون أن
 يفرقوا بين الله ورسوله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بـرسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى
 نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) أى طريقاً وسطاً
 بين اليهودية والاسلام ولا واسطة اذا الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان بـرسوله
 ونصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً واجالاً والكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال قال
 تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (أو أئمتهم الكافرون) أى الكاملون في الكفر وقوله تعالى
 (حقاً) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أى ذاهباً وهو
 عذاب النار ولما بين سبحانه وتعالى ما أعد للـكافرين بين ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (والذين
 آمنوا بالله ورسوله) كلهم (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بان كفر واحد منهم وآمنوا ببعض كما فعل
 المشركاء منهم وانما أدخل بين على أحد وهو يقتضى متعدداً وعمومه من حيث انه وقع في سياق
 النفي (أو أولئك) أى العالو الرتبة في رتب السعادة (سوف نؤتيهم) بوعداً خلف فيه وان تأخر
 (أجورهم) الموعودة لهم بما تمنى الله وكتبه ورسوله وقرأ حصص بالياء على الغيبة والباطون

بالنور (وكان الله غفورا) لما يريد من الزلات (رحيما) أي لمن يريد اسعادته بالجنات ونزل لما
قال أحبار اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جله من السماء كما أتى به
موسى (بمثلك) يا محمد (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) جله كما
أنزل على موسى وقيل كتابا محمدا أي مجلدا مصونا بخط معاوى على ألواح كما كانت التوراة
وقيل كتابا عينا به حين ينزل أو كتابا المنابأ عما شأنا بك رسول الله قالوا ذلك تغشنا قال الحسن
لوسألو الكي تبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية وقوله تعالى (فقد سألوها) أي أبائهم
(موسى) جواب شرط مقدر معناه انك ان استكبرت مأسألوهم منك فقد سألوهم موسى (أكبر)
أي أعظم (من ذلك) فقالوا أرنا الله جهرة) أي عيانا وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من
آبائهم في أيام موسى عليه الصلاة والسلام وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت (فأخذتهم الصاعقة) أي عقب هذا السؤال وهي
نار جاءت من السماء فأهلكتهم (بظلمهم) أي بسببه وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك
الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا (ثم) بعد العفو عنهم وأحيائهم
من أمانة هذه الصاعقة (اتخذوا الجبل) أي تكفوا أخذوه وجعلوه الها (من بعد ما جاءتهم
البينات) المعجزات على وحدانية الله تعالى وليس المراد التوراة لأنهم تأتت في ماضى بل
أتتهم بعد (ففعوا عن ذلك) أي الذنب العظيم يتوبنا عليهم من غير استئصالهم (وآتينا
موسى سلطانا) تسلطا واستيلاء (مبيناً) أي ظاهرا فإنه أمرهم بقتل أنفسهم قوبة من عبادة
الجبل فبادروا إلى الامتنال (ورفعنا فوقهم الطور) أي الجبل العظيم (عينا قههم) أي بسبب
أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وقلنا لهم) على لسان موسى صلى الله عليه وسلم والطور
مظلل عليهم (ادخلوا الباب) أي الذي لبنت المقدس (سجدا) أي سجدوا تخمها (وقلنا لهم)
أي على لسان داود (لا تعبدوا) أي لا تعبدوا وما حددناه لكم (في السبت) أي لا تعملوا فيه
علامن الاعمال تسمية للشيء باسم سببه سمي عدوا لأن العامل للشيء يكون أشد اقباله عليه كأنه
يعدو ويحتمل أن يكون ذلك على لسان موسى حين نطال عليهم الجبل فإنه شرع السبت أي ترك
العمل فيه ولكن كان الاعتماد في السبت والمنسوخ في زمن داود وقرأ ورش بفتح
العين مع تشديد الدال وقرأ قالون باختلاس حركة العين مع تشديد الدال والساقون بسكون
العين وتخفيف الدال (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا
ومعاهدتهم على ان يقيموا عليه ثم نقضوه بعد كما قال تعالى (فما نقضهم) أي فبنقضهم وما مزيدة
للتوكيد والباء السببية متعلقة بمعدوف أي اعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم) وكفرهم بآيات
الله) أي القرآن أو بما في كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) فانهم معصومون من كل نقضة
ومبرؤن من كل رية لا يوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غلف) أي أوعية للعلوم أرفى أكنة مما
تدعوننا اليه فلاننى كلامك (بل طبع الله) أي ختم (عليها بكفرهم) فلا تغي وعظا (فلا يؤمنون
الا قليلا) منهم كعبد الله من سلام وأصحابه أو عيانا قلبا لا عبرة به بأن يؤمنوا وقتا يسيرا

كوجه النهار ويكفر رافي غيره ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض وقوله تعالى (ويكفروا بهم) معطوف
 على فيما تقتضهم ويجوز عطفه على يكفروا وقد ذكر منهم الكفر لانهم كفروا بجموعى ثم يعيسى ثم
 بحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه
 (وقولهم على مريم) أى بعد ما ظهر على يديهما من الكرامات الدالة على براءتها وانها لازمة
 للعبادة بأنواع الطاعات (بهنا عظيما) وهو نسبتها الى الزنا (فان قيل) كان مقتضى الظاهر
 أن يقول في مريم (أحبيب) بأنه ضمن القول معنى الاقتران وهو يتعدى بعلى (وقولهم انا قتلنا
 المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أى بجموع ذلك عذبا هم (فان قيل) كانوا كافرين
 بعيسى أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحرا بن الساحرة والقاعل ابن القاعلة فكيف قالوا انا
 قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (أحبيب) بأنهم قالوه بزعم عيسى عذبهم وأنهم قالوه على
 وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال الزخشرى ويجوز أن
 يضع الله الذكرا الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه الصلاة والسلام
 عما كانوا يذكرونه به اع قال الله تعالى تكذبا لهم في قتله (وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم)
 أى المقتول والمصلوب روى النسائي عن ابن عباس أن رهط من اليهود سبوه وسبوا أمته فذموا
 عليهم فسخطهم الله فردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء
 ويظهره من صخرة اليهود فقال لأصحابه أياكم رضى أن يلقى الله عليه شبهة فيقتل ويصلب ويدخل
 الجنة فقال رجل منهم أنا فأتى الله عليه شبهة فقتل وصلب وقيل كان رجلا يوافق عيسى
 أى يظهر له الاسلام ويخفى الكفر فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل في بيت عيسى
 فرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وصلبوه وهم
 يظنون انه عيسى وقيل انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام في بيت وجعلوا عليه رقبيا
 فألقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه (وان الذين اختلفوا فيه) أى في شأن عيسى فإنه
 لما وقعت تلك الواقعة اختلفت الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد
 آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
 بدن صاحبنا وكان الله ألقى شبه وجه عيسى عليه ولم يلق على جسده وقال من سمع من عيسى
 ان الله يرفعه الى السماء انه رفعه الى السماء وقال قوم صلب الناسوت أى الانسانية وصعد
 اللاهوت أى الألوهية (لقى شك منه) أى من قتله (مالهم به) أى بقتله (من علم) وقوله تعالى
 (الاتباع الظن) استنباه منقطع أى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (فان قيل) قد وصفوا
 بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف
 يكونون شاكين ظانين (أحبيب) بأن الشك كما يطلق على ما لا يترجح أحدهما فربما يطلق على
 مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد (وما قتله) أى اتفق قتلهم له اتفاقا (بقينا)
 أى اتفقا وعلى سبيل القطع ويجوز أن يكون حال من واقتلوه أى ما فعلوا القتل متيقنين انه
 عيسى عليه الصلاة والسلام بل فعلوه شاكين فيه والحق انهم لم يقتلوا إلا الرجل الذى ألقى عليه

شبه قال البقاعى والوجه الاول اولى لقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) أى الى مكان لا يصل اليه
 حكم آدمى وعن وهب انه أوحى اليه وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين فكانت
 رسالته ثلاث سنين (وكان الله عزيزا) أى فى ملكه لا يغلب عايريد (حكيمًا) فى صنعه لا يطمع
 أحد فى نقص شئ منه (وان من أهل الكتاب) أى وما من أهل الكتاب أحد (الايؤمنون به) أى
 يعيسى عليه الصلاة والسلام هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم (قبل موته) اختلف فى عود
 هذا الضمير فقال عكرمة ومجاهد والضمير يعود للكتاب أى ان الكتابي يؤمن بعيسى حين يعاين
 ملائكة الموت فلا ينقعه ايمانه سواء احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع
 أو مات فجأة فقبل لابن عباس أ رأيت من خرم من فوق بيت فقال يتكلم به فى الهوى فقبل أ رأيت
 ان ضرب عنق أحدهم قال يتلجج به السانه وذهب قوم الى عود الضمير الى عيسى أى وما من
 أهل الكتاب الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى
 أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام روى أبوهريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم عيسى بن مريم حكا عدا لا يكسر الصليب ويقتل
 الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ومن لك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل
 الدجال فيمكت فى الارض أربعين سنة ثم توفى فيصلى عليه المسلمون قال أبوهريرة أقرأوا ان شئتم
 وان من أهل الكتاب الاية ثم أعادها أبوهريرة ثلاث مرات ولا يعارض هذا ما فى مسلم فى قصة
 الدجال ان الله يبعث عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين
 اثنين عداوة لان قوله ثم يلبث الناس بعده أى بعد موته فلا معارضة أولان السبع محمول على مدة
 أقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكانه فيها قبل رفعه الى السماء وكان عمره اذ ذاك ثلاثا
 وثلاثين سنة على المشهور وروى عكرمة ان الهاء فى قوله تعالى ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله
 عليه وسلم يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الهاء راجعة الى الله عز
 وجل يقول وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعينة حين لا ينقعه
 ايمانه (ويوم القيامة يكون) أى عيسى على القول الاول (عليهم شهيدا) انه قد بلغهم رسالة ربه
 وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى محبب اعنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبى شاهد
 على أمته قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فبظلم من
 الذين هادوا) وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وبكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم
 وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم (حزنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى كان وقع احلالها
 لهم فى التوراة ثم حرمت عليهم وهى التى فى قوله تعالى فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
 كل ذى ظفر الاية (وبعدتهم) أى الناس (عن سبيل الله) أى دينه وقوله تعالى (كثيرا) صفة
 مصدر محذوف أى صفا كثيرا بالاضلال عن الطريق فنعوا واستلذات تلك المآكل بما منعوا
 أنفسهم وغيرهم من لذة الايمان (وأخذهم الربا وقد) أى والحال انهم قد (نموا عنه) فى التوراة
 فكان محرما عليهم كما هو محرم علينا لانه قبيح فى نفسه من ربا صاحبه وفى الآية دليل على ان النهى

للتحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أي من الرشا في الحكم والمال كل أي التي كانوا يصيدونها
 من عوامهم عاقبتهم بأن حرمت عليهم طيبات فكافوا كلها ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من
 الطيبات التي كانت حلالا لهم قال تعالى ذلك جزئناهم ببعض ما كانا لصادقون (واعتدنا للكافرين
 منهم عذابا أليما) أي مؤلما دون من تاب وآمن * ولما بين سبحانه وتعالى ما لا مطبوع على قلوبهم
 الغريبيين في الكفر من العقاب بين ما لن يرى البصائر بالرسوخ في العلم والایمان من الثواب فقال
 (لكن الراسخون) أي الشاؤون المتمكنون (في العلم منهم) أي من أهل الكتاب كعبدا لله
 ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) أي
 القرآن (وما أنزل من قبلك) أي من سائر الكتب المنزلة وقوله تعالى (والمقيمين الصلاة) نصب
 على المدح لان الصلاة لما كانت أعظم دعائم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر
 نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهرها الفضلها وحسن عن عائشة رضي الله تعالى
 عنها وأبان بن عثمان ان ذلك غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمين الصلاة وكذلك
 قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى وقوله تعالى ان هذان
 اسرارنا قال ذلك خطأ من الكتاب وقال عثمان ان في المصنف لنا وسننهم العرب بأسنتها
 فقبل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة وأهل العلم على
 انه صحيح كما قدمناه وقبل نصب باذمار فعل تقديره أعفى المقيمين الصلاة وقوله تعالى (والمؤمنون
 الزكاة) والمؤمنون بالله واليوم الآخر رجوع الى الله في القول (أو ذلك سموتهم) بوعد لا خلف
 فيه على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح (أجر عظيم) وهو الجنة والنظر الى وجهه
 الكريم وقوله تعالى (انا وحيينا اليك كما وحيينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل
 الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
 بأن شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين ساقوا وبدأوا بذكر نوح عليه الصلاة والسلام لانه
 كان أبابشر مثل آدم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذرية هم الباقين ولانه أقول
 نبي من انبياء الشريعة وأقول نذير على الشر وأقول من عذبت أمته لدهم دعوته وأهلك أهل
 الارض بذنوبه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت محجزة في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له
 سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره (و) كما
 (أو وحيينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق) ابنى ابراهيم (ويعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاد
 يعقوب وظاهر هذا انهم كلهم انبياء وهو أحد قولين والقول الآخر أن يوسف هو النبي فقط
 وعلى هذا فالمراد الجموع (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أباه (داود وزبور)
 قرأ جزء بضم الزاي مصدر بمعنى مزبور أي مكتوب وبالباقيون بالنصب على انه اسم للكتاب الموثق
 وكان فيه التعميد والتعجيد والثناء على الله عز وجل كان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقرأ
 الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن
 خلف الناس الاعظم فالاعظم والشیاطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقوم بين

يده تعجبنا باسمه عن منه والطير تزفر على رؤسهم فلما قارف الذنب لم يرد ذلك فقبل له ذلك
 أنس الطاعة وهذا وحشة المعصية قال السيوطي في شرح التنبية أن الزبور مائة وخمسون
 سورة ما بين قصار وطوال والطويلة منها قدر ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر اه وعن
 أبي موسى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لورا أتق البارحة وأنا أسمع لقراءتك لقد
 أعطيت من مارا من من امير داود وكان عزاداره قال ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده وانما خص
 هؤلاء بالذكر مع اشتغال النبيين عليهم نغفيا لهم وقوله تعالى (ورسلا) أي غير هؤلاء نصب
 بعضهم دل عليه أو عيننا الملك مثل أرسلنا (قد قصصناهم) أي تلونا ذكرهم (عليك من قبل)
 أي قبل انزال هذه السورة أو هذه الآية (ورسلا لم نقصصهم عليك) أي إلى الآن روى أنه
 سبحانه وتعالى بعث غمارة آلاف نبي أربع مائة ألف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من
 سائر الناس قاله الحلال المحلى في سورة غافر وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)
 هو منتهى مراتب الوحي أي كلمه على التدرج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة ملك فلا
 فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة وخص به موسى من بين سائر الانبياء
 غير نبينا وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
 وقوله تعالى (رسلا) بدل من رسلا قبله (مبشرين) أي بالثواب من آمن (ومنذرين) أي مخوفين
 بالعذاب من كفر وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة) متعلق بأرسلنا أو مبشرين
 ومنذرين أي حجة نقال (بعد) ارسال (الرسل) فيقولوا ربنا لولا أرسلت اليك رسولا فنتبع آياتك
 ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (فان قيل) كيف يكون للناس على الله حجة قبل
 الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها يوصل إلى المعرفة (أجيب)
 بأن الرسل ينهون عن الغفلة ويأثمون على النظر في الأدلة فارسلهم ضروري (وكان الله عزيزا)
 في ملكه لا يغلب فيما يريد (حكما) في صنعه روى أن سعد بن عباد قال لورا أت رجلا
 مع امرأتى اضربت به بالسيف غير مصفح فباغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون
 من غيرة سعد والله لا أنا أغبر منه والله أغبر مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا
 أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة قال ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اناسا نأمنك اليهود وعن صفتك في كتابهم
 فزعموا أنهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله
 انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فأنزل الله عز وجل (لكن الله يشهد) أي بين
 نبوتك (بما أنزل اليك) أي من القرآن المجزئ الدال على نبوتك ان يحذوك وكذبوك (أنزله)
 متلبسا (بعلمه) الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ وروى أنه لما نزل انا
 أو حينما اليك قالوا ما نشهدك فزلت (واللائكة يشهدون) لك أيضا (وكفى بالله شهيدا)
 على ذلك بما قام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وعدوا) الناس

(عن سبيل الله) أي دين الاسلام بكتبهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالاً بعيداً) عن الحق لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه (إن الذين كفروا) بالله وظلموا نبيه بكتمان نعمته (لم يكن الله ليغفر لهم) لكفرهم وظلمهم (ولا يهديهم طريقاً) من الطرق (الطريق جهنم) أي الطريق المؤدى اليها (خالد بن) أي مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها وكذلك بقوله (أبدان) لأن الله لا يغفر أن يشرك به (وكان ذلك على الله يسيراً) أي هيناً لا يصعب عليه ولا يستعظمه (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم) لما قرر من أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم به او بعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزمام الحجة والوعد بالاجابة والوعد على الرد (فآمنوا) بالله وقوله تعالى (خير لكم) وكذلك قوله تعالى فيما يأتي أنتوا خيركم مضموب بضمير وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التلبيث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدا وأمر اخير لكم مما أنتم فيه من الكفر والتلبيث وهو الايمان والتوحيد وقيل تقديره يمكن الايمان خيراً لكم قال البيضاوي ومنه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه الا في الابد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه اهـ (وان تكفروا) بالله (فإن الله مافى السموات والارض) ملكا وخلقاً فهو غنى عنكم فلا يضره كفركم كما لا ينفعه ايمانكم ونبيه على غناه بقوله تعالى لله مافى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وماتر كبنامنه (وكان الله عليماً) بأحوالكم (حكيماً) أي فيما دبره لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (في دينكم) الخطاب للفرقيين غلت اليهود في خط عيسى حتى رموه بالزنا والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الهام وقيل للنصارى خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه وفق لقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا القول (الحق) أي من تنزيهه عن الشريك والولد) انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبه (ألقاها) أي اوصلها (الى مريم) وجعلها فيها (روح) أي ذوروح (منه) لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وسمى عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لانه ذوروح وجسده من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته بأن أمر جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت به فأضيف الى الله تعالى تشريفاً له وليس كما زعمت أنه ابن الله أو اله معه أو ثالث ثلاثة لأن الروح مركب والاله منزوع عن التركيب وعن نسبة المركب اليه روى انه صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكتبه ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (فآمنوا بالله ورسوله) أي عيسى وغيره ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض (ولا تقولوا) كقابات النصارى الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وأمه قال تعالى (انتوا) عن ذلك واتوا (خير لكم) من ذلك وهو التوحيد (انما الله واحد) أي لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه) تنزيهه (أن) أي عن ان (يكون له ولد) أي كإقلام أيها النصارى فان ذلك يقتضى

الحاجة ويقتضى التركيب والمجانسة ثم على ذلك بقوله (لهما في السموات وما في الارض)
 خلقا وملاكا فلا يتصور أن يحتاج الى شئ منهما ولا الى شئ متخيفيهما ولا يصح بوجه أن يكون
 بعض ما يملكه المالك جزءا من نفسه وولده لان المكة تنافي النبوة وعيسى وأمه كل منهما محتاج
 الى ما في الوجود (وكفى بالله وكيلًا) أي يحتاج اليه كل شئ ولا يحتاج هو الى شئ فهو غني عن الولد
 فان الحاجة اليه ليكون وكيلًا ليه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
 عن مخلقه أو يعينه روي ان وفد بنجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
 قالوا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا نقول انه عبد الله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا
 بلى فنزل قوله تعالى (لن يستنكف) أي تكبر ويأنف (المسيح) أي الذي زعم انه اله (أن)
 أي عن أن (يكون عبد الله) فان عبوديته له شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
 غيره وقوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) أي عند الله عطف على المسيح أي ولا تستنكف
 الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله وهما ذامن أحسن الاستطراد ذكر للردي على من زعم
 انها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابه م فلا حاجة
 فيه على أن الملائكة أفضل من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قائلا بأن الماطوف أعلى
 درجة من المعطوف عليه قال الطيبي وانما تنهض الحجة على النصارى اذا سلموا ان الملائكة
 أفضل من عيسى ودونه خراط العتاد فكيف والنصارى رفعا ودرجة عيسى الى الالهية
 فظهر ان ذكر الملائكة للاستطراد كما رد على النصارى وأنه من باب التقيم لا من باب
 الترتي اه أو من باب الترتي في الخلق لا في المخلوق كما قاله البقاعي قال لان الملائكة أعجب خلقا
 من عيسى في كونهم ليسوا من ذكر ولا أنثى ولا ما يجانس عضو البشر فكانوا لذلك أعجب خلقا
 من آدم عليه الصلاة والسلام أيضا وفي القوة لانهم أقوى من عيسى لانهم يقطعون الجبال
 ويأتون بالمياه العظيمة والعبادات الدائمة المستمرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) أي
 يطلب التكبر عن ذلك قال الراغب الاستنكاف تكبر في أنفة والاستكبار بخلافه (فسيحشرهم)
 أي المستكبرين وغيرهم (اليه جميعا) في الآخرة بوعده لا يخلف فيجازيهم (فأما الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات) تصديقا لاقرارهم بالايمان (فيهم أجورهم) أي ثواب أعمالهم
 (ويزيدهم من فضله) أي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين
 استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا أليما) أي مؤلما هو عذاب النار بما
 وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم) أي حالا ولا مآلا (من دون الله) أي غيره
 (وليا) يدفع عنهم (ولا نصيرا) يمنعهم منه (يا أيها الناس) أي كافة أهل الكتاب وغيرهم (قد
 جاءكم برهان من ربكم) أي حجة نيرة واضحة مفيدة اليقين التام وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالدلة القاطعة من المعجزات وغيرها (وأترلنا اليكم نورا مبينا) أي واضحافي نفسه موضحا غيره
 وهو القرآن الجامع بما عازه وحسن بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات
 وبالنور القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتمه عوا به فسيديهم) أي بوعده لا خاف فيه (في رجة

منه) أى ثواب عظيم هو رخصته لهم لابنتي استوجبوه (وفضل) أى احسان زائد عليه
(ويمهد بهم) أى فى الدنيا والآخرة (اليه صراطا مستقيما) أى طريقا مستقيما وهو الاسلام
والطاعة فى الدنيا والآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لأعقل فتوضأ
وصب على من وضوءه فعقلت وقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثى كلاله فنزل يستفتونك
(قل الله يفتيكم فى الكلالة) وقد تقدم معنى الكلالة وحكم الآية فى أول السورة وفى
هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وأولاد وقوله تعالى (ان امرؤ) هو مرفوع
يفعل يفسره (هلك) أى مات (ليس له ولد) أى ولا والدوه والكلالة قال الاصمغانى عن
الشعبي اختلاف أبو بكر ومهر رضى الله تعالى عنهم ما فى الكلالة فقال أبو بكر هو ما عدا النوالد
وقال عمر ما عدا الوالد والولد ثم قال عمر انى لا ستنى من الله أن أخالف أبا بكر وقوله تعالى (وله
أخت) بحتم الحمال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين وأولاد لانه جعل أخوها
عصبة والذى لام لا يكون عصبة والولد يشمل الذكرو الانثى فان الاخت وان ورثت مع البنت
قد لا ترث النصف وذلك عند تعدد البنات (فلهما نصف ما ترك وهو) أى هذا الاخ للميت (يرثها)
أى ان ماتت هى وبقي هو جميع ما لها (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد وكفلا لثى له أو ثنى
فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أو الاخ من الام ففرضه السادس كما مر أول السورة
(فان كانتا) أى الاختان (اثنتين) أى فصاعد الانهن انزلت فى جابر وقدمات عن أخوات
(فلهما الثلثان مما ترك) أى الاخ (وان كانوا) أى الورثة (اخوة رجالا ونساء فللذكر)
منهم (مثل حظ الاثنتين بين الله لکم) أى ولم يكلکم فى بيانه الى بيان غيره وقال مرغباً مرغباً
(ان) أى كراهة أن (تضلوا) وقيل لثلاثوا حذف لاهو قول الكوفيين وقيل بين الله لکم
ضلالکم أى الذى من شأنکم أى اذا خلیتم وطباعکم لتتروا عنه وتحرروا خلافه (والله بكل
شیء عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى الحیا والممات ومنه الميراث روى عن البراء رضى الله تعالى
عنه انه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وأخر آية نزلت قال السيوطى أى من القرائن خاتمة
سورة النساء يستفتونك الآية وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخر آية نزلت آية
الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها عاماً
فنزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها سنة
أشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزل
هو واقف بعرفة اليوم أمكلت لکم دينکم فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدًا وعثمانين
ويوماً ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش النبي صلى الله عليه وسلم
بعدها احدًا وعشرين يوماً وقول البضاوى تبعاً للزخشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطي

من الاجر كن اشترى محزرا أى رقيقا وحرره وبرئ من الشرك وكان فى شبهة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم حديث موضوع

﴿سورة المائدة مدنية﴾

مائة وعشرون آية واثنان أو ثلاث وكلماتها ألفان وخمسمائة وأربع كلمات وحروفها أحد عشر ألفا وسبع مائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى له الامر كله فلا يستل عما يفعل (الرحمن) الذى علم بنعمة ايجاده وبيانه فمنعته أتم نعمة وأكمل (الرحيم) الذى خص بخلص عباده بتوفيقه وأتم نعمته عليهم وأكمل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى التى عقدتها الله تعالى على عباده وأزمتها إليهم من مواجب التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان جلت الامر على المشترك بين الوجوب والنسب والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الخطيئة

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكبرا والعناج جبل يشد فى أسفل الدلو ثم يشد الى العراق ليكون عوناله والكرب الجبل الذى يشد فى وسط العراق والعرقوتان الخشبستان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله تعالى (أحللت لكم بهيمة الانعام) تنصيل العقود لان العقود مجعلة فهو شامل لجميع العقود لان ذلك أمهات التكليف وجميع ما فى هذه السورة من الاحكام تفضيل لذلك * (فائدة) * روى عن ابن مسعود قال أنزل الله تعالى فى هذه السورة ثمانية عشر حكما ينزلها فى غيرها قوله تعالى والمتخلفة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمت من الجوارح مكليين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وتعام الطهر فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقبلوا الصيد وأنتم حرم الآية وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وزيد عليها تسع عشر وهو قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليس للاذان ذكر فى القرآن الا فى هذه السورة وأما فى سورة الجمعة فهو مخصوص بالجمعة وهو فى هذه السورة عام فى جميع الصلوات والبهيمة كل حي لا يميز أى من شأنه أنه لا يميز فلا يدخل فى ذلك المجنون ونحوه والانعام الابل والبقر والغنم وهى الأزواج الثمانية والحق بها الضباء وبقر الوحش * (تنبيه) * اضافة البهيمة الى الانعام للبيان كقولك ثوب خزومعناه البهيمة من الانعام (فان قيل) لم أفرد البهيمة وجع الانعام (أجيب) بارادة الجنس وقوله تعالى (الا ما يلى عليكم) أى تحريمه فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم عرض من الموت ونحوه وقوله تعالى (غير محلى الصيد) حال من ضمير لكم وقوله تعالى (وأنتم حرم) مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال من الضمير

في محلي جمع حرام وهو المحرم (إن الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل
 الاطلاق لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة كما نقوله المعتزلة فلا يستل عن تخصيص
 ولا تفصيل فافهمتم حكمته فذاك وما لا فكلوه اليه وارغبوا في أن يلهمكم حكمته (أي أيها
 الذين آمنوا اتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلم للفصل من
 مواقف الحج ومراحي الجمار والطواف والسعي والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من
 الاحرام والطواف والسعي والحلق والتحر وقيل معالم دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده
 (ولا تحلوا) الشهر الحرام أي بالقتال فيه قال تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
 في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم وهي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم
 ورجب فيجوز أن يكون ذلك إشارة الى جميع هذه الاشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس لأن
 الاشهر كلها في الحرم سواء ولكن قال الزمخشري والشهر الحرام شهر الحج (ولا تحلوا
 الهدى) أي بالعرض له وهو ما أهدى الى الحرم من النعم (ولا تحلوا) القلائد أي صاحب
 القلائد من الهدى وعبرهم بما بالغت في تحريمها أو القلائد أنفسها والنهي عن احلالها بما بالغت
 في النهي عن التعرض للهدى والقلائد جمع قلادة وهي ما قلده الهدى من نعل أو غيره لم يعلم
 به أنه هدى فلا يتعرض له (ولا تحلوا) آمين أي قاصدين (البيت الحرام) لزيارته أي بان
 تقابلوهم (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) أي وأن يرضى عنهم والجملة
 في موضع الحال من المستكن في آمين أي لا تعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
 أن يتعرض لمثلهم وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بنعمهم لانهم كانوا يظنون
 ذلك فوصفوا به بناء على ظنهم ولأن الكافر لا نصيب له في الرضوان كقوله تعالى ذق انك أنت
 العزيز الكريم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما كان المسلمون والمشركون يحبون جميعا
 فنهى الله تعالى المسلمين أن ينعوا أحدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تتحلوا شعائر الله فعلى الأول
 الآية محذرة قال الحسن بن ليس في المائدة منسوخ وعلى الثاني قال البيضاوي فالآية
 منسوخة أي لما فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد
 الحرام والاول منسوخ بقوله تعالى اقبلوا المشركين حيث وجدتموهم والثاني بقوله تعالى فلا
 يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فقول منسوخ منزل على هذا لكن اذا قلنا بشمول آمين
 للمسلمين والمشركين انما يكون النسخ في حق المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لانسخ
 ففي تسميته نسخا نسمح وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر (واذا حلتم) أي من الاحرام
 وقوله تعالى (فاصلطادوا) أمر اباحه اباح لهم الاصططاد بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حلتم
 فلا جناح عليكم ان تصطادوا كما في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
 (ولا يجرم منكم) أي بملككم أو يكسبكم (شأن قوم) أي شدة بغضهم وقرأ ابن عامر وشعبة
 بسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها وقوله تعالى (ان صدوكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بكسر الهمزة على ان الشرطية والباقون بفتحها أي لاجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره

(عن المسجد الحرام) وقوله تعالى (أَنْ تَعْتَدُوا) أى يشتمد عدوكم عليهم بأن تتقمه وامنهم بالقتل وغيره ثانياً مفعولى يجر منكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب (وتعاونوا على البر والتقوى) أى بفعل ما أمرتم به (ولا تعاونوا) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (على الاثم) أى المعاصى للتشفي (والعدوان) أى التعدى فى حدود الله لا لتقام (واتقوا الله) أى خافوا عقابه بأن تطيعوه (إن الله شديد العقاب) لمن خالفه فانتقامه اشد وقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) أى أكلها بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقت الروح من غير ذكاة سريعة (والدم) أى المسفوح قال تعالى أزدما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير) قال العلماء الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذى ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصله فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المنهيات فخرم أكله على الانسان لثلاث سبب: بئلك السقيمة ولذلك ان الفرج لما واظبوا على أكل لحم الخنزير أروى عنهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة فى المنهيات وأروى عنهم عدم الغيرة فان الخنزير يرى الذر من الخنازير ينزوي على الانثى التى له ولا يعترض له لعدم الغيرة (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله بأن ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان أهل بالحج اذ ابى وكافوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى قال ابن عادل وقدم هذا اللفظ الجلالة فى قوله لغير الله به وأخرت فى البقرة لانها هنا الفاصلة أو تشبه الفاصلة بخلافها هنا لان بعدها معطوفات (والمخنقة) وهى التى ماتت بالخنق سواء أفعال اذ لك آدمى أم اتفق لها ذلك (والموقوذة) وهى التى وقذت أى ضربت حتى ماتت ويدخل فى الموقوذة ما روى بالبندق فمات (والمتردية) أى الساقطة من علو بان سقطت من جبل أو مشرف أو فى بئر فماتت ولوروى صيدا فى الهواء بسهم فأصابه فسقط على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من المتردية الآن يكون السهم ذبيحة فى الهواء فيحل كيف ما وقع لان الذبح قد حصل قبل التردية «تبينه» دخلت الهاء فى هذه الكلمات لان المخنقة هى الشاة المخنقة كانه قبل حرمت عليكم الشاة المخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانهم أعم ما يأكل الناس والكلام يخرج على الاعم ويكون المراد الكل وأما الهاء فى قوله تعالى (والنطيحة) وهى التى تنطحها أخرى فتموت فللقول من الوصفية الى الاسمية والافكان من حقها أن لا تدخلها تاء التأنيث كقتيل وجريح وما فى قوله تعالى (وما أكل السبع) بمعنى الذى وعائده محذوف أى وما أكل السبع ولا بد من حذف ولهذا قال الزمخشري وما أكل بعضه السبع وهذا يدل على ان جوارح الصيد اذا أكلت ما اصطادته لم يحل أكله وقوله تعالى (الا ما ذكيتهم) استثناء متصل أى الا ما أذركم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك فهو حلال وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن ما ذكيتهم من غيرها فحلال أو فكلوه وكان هذا القائل رأى انها وصلت بهذه الاسباب الى الموت والى حالة قرية منه فلم تفقد ذكيتها عنده شيئاً وقيل الاستثناء

من التحريم لا من المحرمات أى حرم عليكم ما مضى الا ما ذكره فانه لكم حلال فيكون الاستثناء منقطعاً أيضاً وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكما لها أن يقطع الودجين معهما واهما عرقان في صفحتي العنق ويجوز بكل محمد يجرح من حديد أو قصب أو زجاج أو غير ذلك الا السن والظفر لقوله صلى الله عليه وسلم ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) في محل رفع عطف على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والنصب واحد الانصاب وهي ججارة كانت حول الكعبة يذبح عليها تقر بها اليها وتعظمها لها وقيل هي الاصنام لانها نصب لتعبد ودعى بها على اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الانصاب وقيل هو جوع والواحد نصاب ويدل للآول قول الاعشى
 وهذا النصب المنصوب لاتعبدنه * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدوا

وقوله تعالى (وان تسموه وبالا لزام) في محل رفع أيضاً فكان عطف على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والا لزام بجع زلم بفتح الزاي وضما مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغيره ووسمهم لا ريش له ولا نصل وذلك انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهياني ربي والثالث غفل أى لاسمة عليه فان خرج الآخر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل أداروها ثانياً فعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالا لزام وقيل هو قسمة الجزور بالا قدح على الانصاب المعلومة وقوله تعالى (ذلكم فسق) إشارة الى ما ذكره من خروجه عن الطاعة وقيل إشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر بعلمه علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وضلال باعقاد ان ذلك طريق اليه وقوله أمرني ربي ونهياني ربي اقتراء على الله عز وجل ان كان أراد بربي الله وما يدريه ان الله أمره أو نهاه فالكهنة والنجمون بهذه المثابة وجهالة وشرك ان أراد به الصنم وقوله تعالى (اليوم) لم يرد به يوماً بعينه وانما إذا الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية وقيل الالف واللام للعهد قيل أراد يوم نزولها وقيل نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع وقيل هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سنة تسع وقيل ثمان وقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) فيه قولان أحدهما يئسوا من أن يحلوا هذه الخبائث بعد أن جعلها الله تعالى محرمة والثاني يئسوا من أن يغلبوكم على دينكم فترددوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته لانه تعالى كان وعداً بعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله تعالى ليظهره على الدين كله فحق ذلك المنصور وأزال الخوف (فلا تخشوهم) أن يظهروا عليكم (واخشون) أجمع القراء السبعة على حذف الياء بعد النون لحذفها في الرسم أى واخشوا الخشمة لي وحدي فان دينكم قد اكتمل بدينه وجل عن انمحاق محله وقدره ورضى به الا امره ومكنه على رغم أنوف الاعداء وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقاً مساق التعليل (اليوم أكملت لكم دينكم) أى الذي أرسلت به أكمل خلقي محمد صلى الله عليه وسلم

نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
 واقف بعرفات على ناقته العضا فكدت عضد الناقة تنشق من ثقلها فبركت وعن عمر رضي
 الله تعالى عنه أن رجلا من اليهود قال ليا أمير المؤمنين آية من كتابكم تقرونها علينا
 معاشر اليهود نزلنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم
 وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي
 أنزل فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان
 عيدا قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصراري
 والمجوس ولم يجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى أنهم لما نزلت هذه الآية بكى عمر
 رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كافي زيادة من ديننا
 فإذا كمل فلم يكمل شيء الاقتص قال صدقت فكانت هذه الآية نهي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عاش بعدها أحدا وغائبين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر
 ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وقبل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع
 الأول وكانت هجرته في الثاني عشر منه فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم أي الفرائض
 والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من
 الفرائض وهذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقادة اليوم أكملت لكم دينكم
 فلم يجمع معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأتممتكم من عدوكم (فان قيل) قوله تعالى
 اليوم أكملت لكم دينكم يقتضي أن الدين كان ناقصا قبل ذلك وذلك يوجب أن الدين الذي
 كان عليه همهم صلى الله عليه وسلم أكثر عمره كان ناقصا وانما وجد الدين الكامل في آخر عمره
 مدة قليلة (أجيب) بأن الدين لم يكن ناقصا بل كان أبدا كاملا وكانت الشرائع النازلة من
 عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو
 كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه فلا جرم كان ينسخ بعد النبوت وكان ينزل
 بعد العدم وأما في آخر زمان المبعث فأُنزل شريعة كاملة وحكم يقيمها إلى يوم القيامة فالشرع
 أبدا كان كاملا الآن الأول كمال إلى زمان مخصوص والثاني كمال إلى يوم القيامة فلهذا قال
 اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بأكمله وقيل بدخول مكة آمنين ورضيت أي
 اخترت لكم الإسلام ديناً من بين الأديان وهو الذي عند الله لا غير قال الله تعالى ومن يتبع غير
 الإسلام ديناً فلن يقبل منه وقوله تعالى (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
 بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمته من جملة الدين الكامل والنعمة
 الدائمة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أي
 جماعة (غير متجانف) أي مائل (لاثم) أي معصية بأن يأكل ذلك يلدأ ويحاذر واحد الرخصة
 كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) له ما أكل (رحيم) به في إباحته له فلا يؤاخذ به ومن
 المائل إلى الائم فاطع الطريق ونحوه فلا يحل له الاكل مما ذكره أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر

فَوَيْفَ أَصْغَرُ فِي الرَّحْمَلِ وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ (يَسْأَلُونَكَ) يَا مُحَمَّدُ (مَاذَا أَحْلَى لَهُمْ) مِنَ الطَّعَامِ
وَأَعْمَأُتِي بِقَوْلِهِ لَهُمْ بِلَفْظِ الْغَنَةِ لَتَقْدِيمِ ضَمِيرِ الْغَنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى يَسْأَلُونَكَ وَلَوْ قِيلَ فِي الْكَلَامِ
مَاذَا أَحْلَى لَنَا لَكَانَ جَائِزًا عَلَى حِكْمَةِ الْجُمْلَةِ كَقَوْلِكَ أَقْسَمَ زَيْدٌ لِيَضْرِبَنَّ وَلَا ضَرْبَ بِلَفْظِ الْغَنَةِ
وَالْتَكْلَامِ إِلَّا أَنْ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ يَقْتَضِي حِكْمًا يَهُدِيهِ مَا قَالُوهُ كَمَا أَنَّ لَا ضَرْبَ يَنْقُضِي حِكْمًا يَهُدِيهِ
الْقَسَمِ عَلَيْهَا وَمَاذَا مَبْدَأُ وَأَحْلَى لَهُمْ خَبْرُهُ كَقَوْلِكَ أَيْ شَيْءٌ أَحْلَى لَكُمْ مِنْهَا فَقَالَ تَعَالَى (قُلْ)
هُمُ (أَحْلَى لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ) أَيْ مَا لَيْسَ بِخَبِيثٍ مِنْهَا وَهُوَ كُلُّ مَا لَمْ يَأْتِ تَحْرِيمُهُ فِي كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ
أَوْ قِيَاسٍ مُجْتَهَدٍ وَلَا مَسْتَقْدَرٍ مِنْ ذِي الطَّبَاعِ السَّلَامَةِ وَهَذَا يَشْتَمِلُ كُلُّ مَا ذُيِّعَ وَهُوَ مَا ذُوْنُ فِي ذُبْحِهِ
مِمَّا كَانُوا يَحْرِمُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ السَّائِبَةِ وَمَا مَعَهَا وَكُلُّ مَا أُذِنَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ذُبْحٍ كَحَبْوَانِ الْبَحْرِ
وَمَا أُذِنَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ الْمَطَاعِمِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ) مَعْطُوفٌ عَلَى الطَّيِّبَاتِ
أَيْ أَحْلَى لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَصِيدَ مَا عَلَّمْتُمْ خَذَفَ الْمُضَافِ لِلْعَلْمِ بِهِ وَالْجَوَارِحُ جَمْعُ جَارِحَةٍ مِنْ
سَبْعَةِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ كَالْكَلْبِ وَالْقَهْدِ وَالْخَرِّ وَالْعَقَابِ وَالصُّقْرِ وَالْبَازِ وَالشَّاهِينِ وَالْهَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ
نَجِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْجَرَحَ الْكَسْبُ لِأَنَّهُ تَكْسِبُ الْعَبْدَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَبَعَلَّمَ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ
أَيْ كَسَبْتُمْ أَوْلَانَهَا تَجَرَّجَ الصَّيْدَ غَالِبًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَكْلَبِينَ) حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ عَلَّمْتُمْ أَيْ حَالٌ كَوْنَكُمْ
مَعْلَمِينَ هَذِهِ الْكُؤُوسُ الصَّيْدِ وَالْمَكْلَبُ الْمُؤْتَبَرُ الْجَوَارِحُ وَمَغْرِبُهُمَا أَخُوذُ مِنَ الْكَلْبِ بِسُكُونِ
الْأَلَامِ وَهُوَ الْحَيَوَانُ النَّاسِجُ لِأَنَّ التَّأْدِيبَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الْكَلَابِ فَأَخَذْتُ مِنْ لَفْظِهِ لِكَثْرَتِهِ
فِي جَنْسِهِ أَوْلَانُ السَّبْعِ يَسْمَى كَلْبًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَتَبَةٍ بَنِ أَبِي لَهَبٍ حِينَ ارْتَدَّ
الشَّامُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ اللَّهُمَّ سَاطِعُ عَلَيْهِ كَلْبَانِمْ كَلْبُكَ فَأَكَلَهُ الْأَسَدُ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى (تَعْلَمُونَهُنَّ) حَالٌ ثَانِيَةٌ مِنْ ضَمِيرِ عَلَّمْتُمْ أَوْ اسْتَنْفَانٌ (فَانْ قِيلَ) مَا فَائِدَةُ هَذِهِ الْحَالِ وَقَدْ
اسْتَعْنَى عَنْهَا بِعِلْمِهِمْ (أَجِيبْ) بِأَنَّ فَائِدَتَهَا أَنْ يَكُونَ مِنْ يَعْلَمُ الْجَوَارِحَ نَقِيمًا عَالِمًا بِالشَّرَاطِطِ الْمَعْتَبَرَةِ
فِي الشَّرْعِ لِحُلِّ الصَّيْدِ وَفِي هَذِهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ وَهِيَ أَنَّ عَلَى كُلِّ طَالِبٍ لَشَيْءٍ أَنْ لَا يَأْخُذَ بِالْأَمْنِ أَجْلًا
الْعُلَمَاءُ بِهِ وَأَشَدُّهُمْ دِرَابَةً لَهُ وَأَغْوَصُهُمْ عَلَى لَهَائِفِهِ وَحَقَائِقِهِ وَإِنْ اِحْتِاجَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَضْرِبَ
إِلَيْهِ أَكْبَادًا لِأَبْلِ فِكْرِهِمْ مِنْ أَخْذِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَقْنَنٍ قَدْ ضَيَّعَ أَيَّامَهُ وَعُضَّ عِنْدَ لِقَاءِ التَّحَارِيرِ أَنْ يَمْلَأَهُ
(مِمَّا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ) أَيْ مِنْ عِلْمِ التَّكْلِيبِ لِأَنَّهُ الْهَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ كَتَسِبَ بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ مَنَحَةٌ
مِنْهُ أَوْ مِمَّا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُوهُ مِنْ اتِّبَاعِ الصَّيْدِ بِأَرْسَالِ صَاحِبِهِ وَانْزِعَارِهِ بِزَجْرِهِ وَانْصِرَافِهِ
بِدَعَائِهِ وَمَسْأَلُ الصَّيْدِ عَلَيْهِ وَأَنْ لَا يَأْخُذَ كُلُّ مَنْهُ (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ) أَيْ الْجَوَارِحُ مَسْتَقَرًّا
أَمْسَا كَهَا (عَلَيْكُمْ) أَيْ عَلَى تَعْلِيمِكُمْ وَإِنْ قَتَلْتُمْ بِأَنْ لَمْ تَأْكُلْ مِنْهُ بِخِلَافِ غَيْرِ الْعِلْمَةِ فَلَا يَحِلُّ صَيْدُهَا
وَشَرْطُ التَّعْلِيمِ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ إِذَا أُرْسِلَتْ اسْتَرْسَلَتْ وَإِذَا زَجِرَتْ انْزَجِرَتْ وَإِذَا أُخِذَتْ الصَّيْدُ
أَمْسَكْتَهُ وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهُ وَأَقْلَى مَا يَعْرِفُ بِهِ ذَلِكَ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَى
صَاحِبِهَا فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي خَدِيثِ الصَّحَّاحِينَ وَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ أَنْمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ
وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَكَلَ الْبَازِيُّ فَلَا تَأْكُلْ كُلُّ الْبَازِيِّ فَلَا تَأْكُلْ إِلَى هَذَا أَهْبَأُ أَكْثَرَ الْفُقَهَاءِ وَبَعْضُهُمْ
لَا يَشْتَرِطُ ذَلِكَ فِي سَبْعَةِ الطَّيْرِ لِأَنَّ تَأْدِيبَهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مُتَعَذِّرٌ وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَشْتَرِطُ مطلقًا وَفِي هَذَا

الحديثان صيد السهم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) في هذه الكفاية ثلاثة أوجه أحدها انها تعود الى المصدر المجهول من الفعل وهو الاكل كانه قيل واذكروا اسم الله عليه على الاكل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اسم الله وكل مما يليك الثاني انها تعود الى ما علم أي اذكروا اسم الله على الجوارح عند ادبائها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله عليه الثالث انها تعود الى ما أمسكن أي اذكروا اسم الله تعالى على ما أدركتم ذكره مما أمسكت عليكم الجوارح (واتقوا الله) أي في محرمانه (إن الله سريع الحساب) فيؤخذ كما بما قبل ودق وقوله تعالى (اليوم) الكلام فيه كالقلام فيما قبله (أحل لكم الطيبات) أي المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم (حل) أي حلال (لكم) فأما من دخل في دينهم بعد البعث فلا تحل ذبيحتهم ولو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله تعالى كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في تقريرهم بالجزية دون كل ذبايحهم ونكاح نسائهم قال صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا حتى نسائهم ولا آكل ذبايحهم ورواه الامام مالك (وطعامكم) ايابهم (حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم ولا تتبعوهم منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أي الحرائر (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى أي حل لكم أن تنكحوهن وإن كن حريات وقال ابن عباس لا تحل الحريات وأما الاماء المسلمات فيحل نكاحهن في الجملة بخلاف الاماء الكليات فلا يحل نكاحهن عندنا ويحل عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (إذا أتتوهن أجورهن) أي مهورهن فتنقيدهن الحل باتيانها التأكيد وجوبها والحث على الاولى وإن من تزوج امرأة وعزم أن لا يعطى صداقها كان في صورة الزانى وورد فيه حديث وتسميته بالاجريد على انه لاحد لانه كان أقل الاجر في الاجارة لا يتقدر (محصنين) أي قاصدين الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين (غير مسافحين) أي معلنين بالزناهم (ولا متخذى أخدان) أي سرين بالزناهم والخذن الصديق يقع على الذكور والانثى قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا سرا والله تعالى حرمهما في هذه الآية وأباح القمع بالمرأة على جهة الاحصان وهذه الآية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن فبقى على التحريم ما تضمنته تلك ما عدا الكليات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنقلة من الكليات من دينها الى غير دين الاسلام وقرأ الكسائى بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها وقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان) اختالف المفسرون في معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان أي بالله الذى يجب الايمان به وانما حسن هذا المجاز لانه يقال رب الايمان ورب الشئ على سبيل المجاز وقال الكلبي ومن يكفر بالايمان أي بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا اله الا الله لان الايمان من لوازه واطلاق الشئ على لازمه مجاز مشهور وقال قتادة ان ناسا من المسلمين قالوا كيف

تترج نساءهم مع كونهم على غير ديننا فنزل الله هذه الآية ومن يكفر بما أنزل الله في القرآن
فهو كذا وكذا فسمى القرآن إيمانا لأنه مشتق على بيان كل ما لا بد منه في الايمان والمراد من ذلك
أن يأتي بشي يصير به مردا (فقد حبط) أي فسد (عمله) الصالح قبل ذلك أن اتصل ذلك بالموت
بدليل قوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى في آية أخرى فيمت وهو كافر أما
من أسلم قبل الموت فإن ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه إعادة حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها
قبل الرقة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كقوله تعالى فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها لا بإيجاز والتفسيه على أن من
أراد العبادة ينبغي أن يبدأ إليها بحيث لا ينفلق الفعل عن الارادة وظاهر الآية الكريمة يوجب
الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثا لكن صدق عنه الاجماع لما روى انه صلى الله
عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم القع فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عدا
فعلته فقيل هو مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للشك
وقيل كان ذلك أول الامر ثم نسخ قال البيضاوي وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة
من آخر القرآن نزولا فأحلوا أحلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أي أمر والماء عليها
ولا يجب ذلك خلافا لما لا رضى الله تعالى عنه (و) اغسلوا (أيديكم إلى المرافق) أي معهما إن
وجدت وقدرها إن فقدت لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في صفة وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في
العضد الخ والاجماع أو أن في الآية بمعنى مع كافي قوله تعالى من أنصاري إلى الله ويزدكم قوة
إلى قوتكم أو يجعل اليد التي هي حقيقة إلى المنكب يحجاز إلى المرفق مع جعل إلى غاية للغسل
الداخله هنا في المغيبة بقرينة الاجماع والاحتياط للعبادة والمعنى اغسلوا أيديكم من رؤس
الاصابع إلى المرافق أو تجعل باقية على حقيقة إلى المنكب مع جعل إلى غاية للترك المقدرة فتخرج
الغاية والمعنى اغسلوا أيديكم واتركوا منها إلى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح الميم وكسر القاء
على الفصحى من اللغة وهو مفصل ما بين العضد والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل
الباقى لأن المنسور لا يسقط بالمعسور وان قطع من المرفق فان سئل عظم الذراع وبقي العظامان
المسيمان برأس العضد وجب غسل رأس عظم العضد لانه من المرفق وهو مجموع العظمين
والابرة الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل باقي عضده (وامسحوا برؤسكم)
أي ببعضها لما روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مسح بباطيته وعلى عمامته واكتفى بمسح البعض
لانه المفهوم من المسح عند اطلاقه ولم يقل أحد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي
بين الزنعتين والاكتفاء بها يمنع وجوب الاستيعاب وينع وجوب التقدير بالربع أو أكثر
لأنه أدونه والباء اذا دخلت على متعدد كافي الآية ~~تتم~~ تكون للتبعض أو على غير كافي قوله
تعالى ولطوفوا بالبيت العتيق تكون للإصباح (فان قيل) صبغة الامر بسمع الرأس والوجه
في التيمم واحدة فهلا أوجبتم التعميم أيضا (أجيب) بأن المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر بيده

ومسح الرأس أصل فاعتبر براقطه (فان قيل) المستمع على الخف بدل فيها لا وجب تعممه كبذله
 (أجيب) بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين أن يستمع على بشرة الرأس أو شعرها
 ولوشعره واحدة في خد الرأس لان ذلك يصدق عليها معنى الرأس عرفا اذ الرأس اسم لما رأس
 وعلا وقوله تعالى (وأرجلكم) قرأه نافع وابن عامر وخففه والكنسائي بنصب اللام
 عطفا على وجوهكم وقيل على أيديكم والباقون بالكسر على الجوار ومنهم من غطف على
 الجرو وعلى قراءة الجرو والمسح ليفيد مسح الخف أو غطف على المنصوب على قراءة الذهب على
 المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الاخرى وقوله
 تعالى (الى الكعبين) وهما العظمان الناثان في كل رجل من رجلين عند مفصل الساق والقدم
 دل على دخولهما في الغسل ما دل على دخول المرفقين فيه وقد مر (تنبيه) * الفصل بين الايدي
 والارجل المغسولة بالرأس الممسوح فيه دليل على وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء
 وعليه الشافعي رضي الله عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي وان قطع فوق الكعب
 فلا فرض عليه ونسب غسل الباقي كنه امر في اليد ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه
 كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا) من جماع وغيره (فاطهروا) أي بالغسل لجميع
 البدن لانه أطلق ولم يخص الاعضاء كما في الوضوء (وان كنتم مرضى) أي مرضا يضره الماء
 (أو على سفر) أي مسافرين سفرا مباحا طويلا أو قصيرا (أو جاء أحد منكم
 من الغائط) أي الموضع المظلم من الارض الذي يقضى فيه حاجته الانسان التي لا بد منها
 سمى باسمه الخارج للمجاورة قبل وفي ذلك حكمة وهي شدة عجز الانسان ليكف عن اعجابه
 وكبره وترفعه ونفخه كما حكى أن بعض الاسراء الى بعض البله فلم يفتح له فغضب وقال كأنك
 لم تعرفني فقال بلى والله اني لاعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك حيفة قدرة وأنت فيما بين ذلك
 تحمل العذرة وقرأ قالون والبري وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر ونسب
 ورش وقبل الهمزة الثانية وحقق الباقر الهمزتين معا (أو لأمستم النساء) بالذكر أو غيره
 أمست أم لا وقرأ حمزة والكنسائي بغير ألف بين اللام والميم والباقون بالالف (فلم تجدوا ماء)
 بعد طلبه لفقد حسا ومعنى بالهجز عن استعماله للمرضى ببحر أو غيره (فمضموا) أي أقصدوا
 (صعيدا) أي ترابا (طيبا) أي ظهورا خالصا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) مع المرفقين
 (منه) بضمين والباء للالصاق وينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح وتقدم مثل
 هذه الآية في النساء قال البيضاوي وأعل تكريره لينتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة
 (ما يريد الله ليجعل عليكم) في الدين (من حرج) أي ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل
 والتيمم (ولكن يريد ليطهركم) من الاحداث والذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب (وليسم نعمته
 عليكم) ببيان شرائع الدين (لعلكم تشكرون) نعمه فينسيبكم قال البيضاوي والآية مشتملة على
 سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبديل والاصل اثنتان مسحة متوعبة وقصر مسحة متوعبة وغير
 المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار الحمل بمحذود وغير محذود وان التيمم مامع وبما

وموجهه أحدث أصغر أو أكبر وان المبع للعدل الى البدل مرض أو سفر وان الموعد عليه تطهير
 الذنوب واعطاء النعمة (واذ كروا نعمة الله عليكم) أي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم
 على شفا حفرة من النار فانقاذكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم ليدرككم المنعم ويرغبكم في شكره
 لان كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والافتقار لاداء امره ونواهيته وقال
 تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لان هذا الجنس لا يقدر عليه الا الله لان نعمة الحياة والصحة
 والعقل والهداية والصون من الآفات وايصال الخبرات في الدنيا والاخرة لا يعلمه الا الله
 تعالى وان المراد التأمل في هذا النوع من حيث انه يمتاز عن نعمة غيره (فان قيل) قوله تعالى
 واذ كروا نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع انها متواترة متوالية علينا
 في جميع الساعات والاقوات (أجيب) بأنها الكثرتها وتعاظم اصارت كالامر المعتاد فقصار غاية
 ظهورها وكثرتها سبب الوقوعا في نسيانها (و) اذ كروا (ميشاقه) أي عقده الوثيق (الذي
 واثقكم به) أي بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم امية العقبة على السمع والطاعة
 في العسر واليسر والمنشط والمكره والمنشط مفعول من النشاط وهو الامر الذي ينشط له والمكره
 مفعول من الكره وهو الامر الذي تكرهه النفس وأضاف الميثاق الصادر من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى نفسه كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذلك بانكم التزمتموه (اذ)
 أي حين قلتم سمعنا وأطعنا وفي ذلك تذكرة أو يجب الله له صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر
 بهدايته لكم الى الاسلام ثم حذركم عن نقض تلك العهد بقوله (واتقوا الله) أي في ميثاقه أن
 تنقضوه (ان الله) الذي له صفات الكمال (عاليم) أي بالعلم (بذات الصدور) أي بما في القلوب
 فيغيره أو في تغييركم عليها فاضل عن جليات أفعالكم وقيل المراد بالميثاق هو الذي أخذ الله
 منهم حين أخرجه من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قاله مجاهد وقيل
 المراد به الدلائل العقلية والشرعية التي نصبها الله على التوحيد والشرائع قاله السدي وأدغم
 أبو عمر والقفاف في واثقكم في الكفاف بخلاف عنه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي
 مجتهدين في القيام (لله) تعالى بحقوقه (شهداء) أي متيقظين محضرين افهامكم غاية الاحضار
 بحيث لا يشذ عنها شيء مما تريدون الشهادته (بالقسط) أي العدل (ولا يجر منكم) أي
 ولا يجر منكم (شئان) أي شدة بغض (قوم) أي الكفار (على أن لا تعدلوا) فاعتدوا
 عليهم بارتكاب ما لا يحل كقتله وقذف وقتل نساء وصية ونقض عهد تنصفا مما في قلوبكم
 (اعدلوا) أي تجروا العدل واقتصدوا في كل شيء (هو) أي العدل (أقرب) من تركه (للقوى)
 لكونه اطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان
 بهم هذه الصفة في الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه واجباؤه (تنبيه) يؤخذ من
 هذا أن التكليف مع كثرتها محصورة في نوعين العظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقوله
 تعالى كونوا قوامين لله اشارة الى العظيم لامر الله ومجنى القيام هو ان تقوم لله بالحق في كل
 ما يلزمك وقوله تعالى شهداء بالقسط اشارة الى الشفقة على خلق الله وفيه قولان الاول قال عطاء

لا تخاف في شهادةك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادةك أعداءك واضدأك الثاني أمرهم
 بالصدق في أفعالهم وأقوالهم وتقدم نظير هذه الآية في النساء الآن هنالك قدم لفظة القسط
 وهذا آخرها قال ابن عادل فكان الغرض من ذلك والله أعلم أن آية النساء بنى فيها في معرض
 الاقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس
 ولا والد ولا قرابة والتي هنا بنى فيها في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالامر بالقيام به لانه أردع
 للمؤمنين ثم بنى بالشهادة بالعدل فجاء في كل معرض بما يناسبه وقال البيضاوي وتكرر بهذا
 المسلك اتمالا لاختلاف السبب كما قيل ان الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود ولمزيد
 الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نار الغيظ (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)
 فيجوز ان يكون به (وعدا الله الذين آمنوا) أي أقروا بالآيمان بأنفسهم (وعملوا) تصديقاً لهذا الاقرار
 (الضالحات) وحذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) فانه استئناف
 بيانه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول لانه لا ينعقد الا به فكانه قال
 وعدهم هذا القول والاجر العظيم هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي النار التي اشتد توقدها فاشتد حمرارها فلا يراها أحد الا جحيم عنها فيلقون فيها
 ثم يلازمونها فلا يتسكون عنها كما هو شأن الصاحب وهذا من عادة الله سبحانه وتعالى انه يتبع
 حال أحد الفريقين حال الفريق الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطبيب
 لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) رسمت هنا بالتاء فوق فوقف عليها
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقيون بالتاء وفي الوصل الجميع بالتاء روى أن المشركين
 رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معه وذلك بعسقان
 وهو وادينه وبين مكة ممر حلتان في غزوة ذي أعمار فلما صلوا اندموا ان لا كانوا اكبروا عليهم
 فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبناهم يعنون صلاة العصر وهموا
 بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف رواه مسلم وغيره والآية
 اشارة الى ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
 يستقرضهم أي يطلب منهم ما لا قرض الدية مسلمين قتلهم ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما
 مشركين لكن في رواية البيهقي أن المقتولين كانوا معاهدين لاسلمين وأن الخروج كان لبني
 النضير لا الى قريظة فتنازلوا نعم يا أبا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك
 القتال وعلى أن يعينوه في الديات فقالوا قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نعطيك
 ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلا بعضهم ببعض وقالوا
 انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الا نحن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه حخرة فيرمي بها
 منه فقال عمرو بن جحاش أنا نجاء الى رحا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل
 جبريل عليه السلام فأخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً الى المدينة ثم دعا علياً
 وقال لا تبرح مقامك فن خرج عليك من أصحابي فسأل عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى

تهاوا اليه ثم تبعوه وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في العشاء
 يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجا اعرابي فسل سيف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
 رسول الله فزلت (أذهب قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) ليعقرواكم وابتكم يقال بسط اليه لسانه
 إذا شتمه وبسط اليه يده إذا بطش به قال تعالى ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى
 بسط اليد مدها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسط الباع ومديد الباع بمعنى
 (فكف أيديهم عنكم) أي منعها ان تعدا اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله) في جميع
 أموركم (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) فانه الكافي لا يصل الخير ودفع الشر (ولقد أخذ
 الله ميثاق بني اسرائيل) أي العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع والطاعة (وبعثنا منهم اثني
 عشر نقيبا) أي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كما بعثنا منكم ليلة
 العقبة اثني عشر نقيبا وأخذنا منكم الميثاق على ما به كمال الاسلام والنقيب الذي يقب
 عن احوال القوم كما قيل له عريف لانه يعرفها ومن ذلك المناسقب وهي الفضائل لانها
 لا تظهر الا بالانقباب عنها روى أن بني اسرائيل لما استقروا بصر بعد هلاك فرعون أمرهم
 الله تعالى بالسيرة الى أريحا بالمدأرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبتهما
 لسكم دارا وقرارا فخر جوا اليها وجاهدوا فيها واني ناصركم وأمر موسى صلوات الله وسلامه
 عليه أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمر وابه بوثقه عليهم
 واختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا
 من أرض كنعان بعث النقباء يجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكا فهابوا وجعوا
 وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فكذبوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
 من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء (وقال) لهم
 (الله اني معكم) أي بالعون والنصرة (لان) لام قسم (أقم الصلاة) التي هي صلة العبد والخالق
 بجميع شروطها وأركانها (وأتيت الزكاة) التي تقرب العبد الى الله عز وجل (وآمنتم برسلي)
 أي بجميع الرسل (وعزرتوهم) أي نصرتهم وقيل التعزير التعظيم وقيل هو الثناء بخير قاله
 يونس وهو قريب من الثاني (فان قيل) لم أخر الايمان بالرسول عن اقام الصلاة وإيتاء الزكاة مع
 انه مقدم عليهما (أجيب) بأن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من اقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة الا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر أن بعد اقام الصلاة
 وإيتاء الزكاة لا بد من الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والا لم يكن لا اقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل (فان قيل) قوله تعالى (وأقرضتم الله
 قرضا حسنا) داخل تحت إيتاء الزكاة فافائدة اعادته (أجيب) بأن المراد بالزكاة الواجبة
 وبالقرض الصدقة المندوبة وخمسها تنبسيها على شرفها وقرضها يحتمل المصدر والمفعول به

ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زوال أو تقصير وان اجتهد في صلاح العمل قال
 سدا الجواب القسم المدلول عليه باللام في لئن مسد جواب الشرط (لا ككفر) أي لا سترت
 (عنكم سيما تنكم) أي فعلكم الذي من شأنه أن يسوء (ولا دخلكم) فضلا ورحمة معنى (جنات
 تجري من تحته الانهار) أي من شدة الري (فن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل) أي
 ترك وضع (سواء السبيل) أي أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط (فان قيل) من
 كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (أجيب) بأن الضلال بعد أظهر وأعظم لانه الكفر
 بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة يتوهم له معذرة وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم بإظهار دال قد عند الضاد والباقون بالادغام وقد تقدم ولما انقضوا الميثاق
 مرة بعد مرة بتكذيب الرسل وقتل الانبياء وكنتمهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم
 في سورة البقرة قال تعالى (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم لعناهم) قال عطاء
 أبعدناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا
 الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي لا تلين لقبول الايمان وقرأ حمزة والكسائي بغير
 ألف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو أيضا
 من القسوة فان المغشوش فيه ييس وصلابة والباقون بألف بعد القاف وتخفيف الياء وقوله
 تعالى (يحزفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير
 كلام الله تعالى والاقراء عليه (ونسوا حظا) أي نصيبا نافعا (عماد كرواه) أي من التوراة على
 أنبيائهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام تركوه ترك النامى للشئ القلة مبالاة بهم بحيث
 لم يكن لهم رجوع اليه وقبل معناه انهم حزفوه فتركوه ترك النامى للشئ القلة مبالاة بهم بحيث
 مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ينسى المربض العلم بالعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا
 نصيب أنفسهم مما مرواه من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمته (ولا تزال) أي بما
 نطعك عليه يا أكرم الخلق فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (تطلع) أي تظهر (على خائنة)
 أي خيانة (منهم) بنقض العهد وغيره لان ذلك من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
 (الاقبال منهم) لم يخوفوا وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) أي امح ذنبهم ذلك (واصفح) أي
 أعرض عن ذلك أصلا ورأسا ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق ونسخ
 بآية السيف وقوله تعالى (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبية
 على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره روى الشيخان وغيرهما عن
 عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن الاعصم
 وفي رواية البخاري أنه رجل من بني زريق حليف لليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه أنه يأتي
 النساء ولا يأتين وذلك أشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه أن السحر في يده وروى فقال له
 عائشة رضى الله عنها أفلا أخرجته فقال لا أمأنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شرا
 فأمرت به فدقته وهو في معجم الطبراني الكبير وهذا الفقه وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال

كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقد الجاهل في بئر رجل من الانصار فأتاه ملكان يعودانه فقعدهما أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله فقال أحدهما أتدري ما وجهه قال فلان الذي يدخل عليه عقده عقد الفلاني في بئر فلان الانصاري فلو أرسل رجلا لوجد الماء أصفر فبعث رجلا فأخذ العقد فلهما فبرئ فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا منه ولم يعاتبه وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهما عن ذلك فقالت أردت لاقئك فقال ما كان الله ليس لملك على ذلك أو قال على قالوا أفلا تفتلها قال لا قال أنس فازلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم فانظر الى عفوه صلى الله عليه وسلم واقتدي به وفي ذلك غاية العفو والاحسان امتثالا لامر ربه تعالى

وقبل فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (ومن الذين قالوا انا انصاري أخذنا من مشاقهم) أي وأخذنا من النصراري مشاقهم كما أخذنا من قبلهم (فان قيل) هلا قال من النصراري (أجيب) بأنهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى لقولهم لعيسى نحن أنصار الله وليسوا موصوفين به قال الحسن فيه دليل على أنهم نصاري بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى (فسموا) أي تركوا ترك الناسي (حظا) أي نصيبا عظيما يتنافس في مثله (مما ذكرناه) أي في الانجيل من الايمان ومن أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ونقضوا الميثاق (فأغرينا) أي أوغينا (بينهم) أي النصراري بعد أن جعلناهم فرقا متباينين وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية وكذا بينهم وبين اليهود (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) أي بتفرقهم واختلاف أهواؤهم فكل فرقة تسكر الاخرى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بتحقيق الهمزة الاولى وفيه هيل الثانية والباقون بتحقيق ههما (وسوف ينبتهم الله) أي يجزيهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) فيجازيهم عليه وقوله تعالى (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى ووجد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا) وهو أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (بينكم) أي يوضح ايضا حاشافيا (كثيرا) مما كنتم تخفون) أي تكتمون (من الكتاب) أي التوراة والانجيل كنعث محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأجد في الانجيل (ويعفون عن كثير) أي مما تخفونه فلا يبينه اذا لم يكن فيه مصلحة في أمر ديني وعن كثير منكم فلا يؤاخذهم بمجرمه (قد جاءكم من الله نور) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي جلا ظلمات الشرك والشر (وكتاب) هو القرآن العظيم (مبين) أي بين في نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق (يهدى به الله) أي بالكتاب وقيل بهما ووجد الضمير لان المراد بهما واجدا لانهما كواحد في الحكم (من اتبع رضوانه) أي رضاه بأن آمن (سل) أي طرق (السلام) أي السلامة من العذاب أو الله باتباع شرائع دينه (ويخرجهم من الظلمات) أي أنواع الكفر والوساوس الشيطانية (الى النور) أي الاسلام (بأذنه) أي بإرادته أو بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي طريق هي أقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدة اليه لا محالة وهو الدين الحق (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وذلك حمت جعلوه الها وهم البعقوبية فرقة من النصراري وقيل ما صرحوا به ولكن مذهمم يؤدى اليه حيث

اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا محمد (فإنك) أي يدفع (من)
 عذاب (الله شيئاً) أي من الأشياء التي يتوهم أنهم قد تمنعهم بما يريد (إن أراد أن يمهلك المسيح بن
 مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي لأحدكم ذلك ولو كان المسيح اله القدر عليه فدل
 ذلك على أنه جعزل من الألوهية وأنه مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكّنات وأراد يعطف
 من في الأرض على المسيح وأمه أنهم ما من جنسهم لا تفاوت بينهم وبينهما في البشرية (ولله ملك
 السموات والأرض وما بينهما) أي بين النوعين وبين أفرادهما مما هما بهما (يخلق
 ما يشاء) أي على أي كيف أراد (والله على كل شيء قدير) أي قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل
 كما خلق السموات والأرض ومن أصل كما خلق ما بينهما وينشئ من أصل ليس من جنسه كما دم
 وكثير من الحيوانات ومن أصل بجنسه أما من ذكر وحده كما خلق حواء من آدم أو من أنثى
 وحدها كعيسى بن مريم أو منهما كسائر الناس وقوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى) أي
 كل طائفة قالت على حديثها (نحن أبناء الله وأحباؤه) اختلاف المفسرون في معنى ذلك على
 أربعة أوجه أحدها أن هذا من باب حذف المضاف أي نحن أبناء الله ألقوا الله تعالى أن
 الذين يبايعونك إنما يبايعون الله الثاني أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق أيضاً
 على من اتخذ ابناً بمعنى تخصيصه بمزيد الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا عبادة الله بهم ادعوا
 أنهم أبناء الله الثالث أن اليهود زعموا أن العزيز ابن الله والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله
 ثم زعموا أن العزيز والمسيح كانا منهم فصار كأنهم قالوا نحن أبناء الله ألا ترى أن أقارب الملك إذا
 فآخروا أحداً يقولون نحن ملوك الدنيا والمراد كونهم مختصين بالشخص الذي هو الملك فكذا
 هنا الرابع قال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود
 إلى دين الإسلام وخوفهم من عقاب الله فقالوا كيف نخوفنا بعذاب الله ونحن أبناء الله تعالى
 وأحباؤه فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة وأما النصارى فانهم يملكون في الإنجيل أن
 المسيح قال لهم اني ذاهب إلى أبي وأيكلمكم وقيل أرادوا أن الله كالاب لنا في الجنو والعطف ونحن
 كالأبناء له في القرب والمنزلة وقال إبراهيم النخعي أن اليهود وجدوا في التوراة أبناء أجيالهم
 فبدلوه بأبناء إبيكاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجعله الكلام أن اليهود
 والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم من الأنبياء إلى أن ادعوا
 ذلك (قل) لهم يا محمد (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ولا يعذب
 الاب ولده ولا الحبيب حبيبته وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم بأنه سيعذبكم
 بالنار أيام معدودة وقرأ البرزى في الوقف فلم يخلاف عنه (بل أنتم بشر من) جله (من خلقه) الله
 تعالى من البشر اسكنهم ما لهم وعليكم ما عليهم (يعفون يشاء) أي من خلقه منهم
 ومن غيركم تفضلاً منه تعالى (ويعذب من يشاء) كذلك كما تشهدونه بكرم ناسا منكم في هذه
 الدار وبين آخرين لا اعتراض عليه وقرأ أبو عمر وبأدغام الراء في اللام من يعفروا المياه في الميم
 من يعذب بخلاف عنه ورقق ورش الراء على أصله (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما)

أى وأنتم مما بينهم فما فى كان هكذا وأقدرته هكذا كيف يستحق عليه البشر الضعيف حقاً واجبا
 وكيف يملك عليه الجاهل بعبادته المناقضة ديناً لازماً كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون
 الا كذبنا ثم قال (واليسه المضير) أى المرجع فيجزى المحسن باحسانه والمسي باساءته (يا أهل
 الكتاب) أى من الفريقين (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (بين اليكم) أى ما كنتم
 وحذف لتقدم ذكره أو الدين وحذف لظهوره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى ويبدل
 لكم البيان ووجه بين لكم فى موضع الحال أى جاءكم رسولنا مبيننا لكم وقوله تعالى (على فترة من
 الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فقور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي قال ابن
 عباس يريد على انقطاع من الانبياء فشببه بفقورهم وبعد العهد بهم ونسبهم ان أخبارهم وبلاء
 رسولهم وأنارهم وانطماس معالمهم وأنوارهم بشئ كان يغلى فقور لم يبق من وصفه المقصود
 منه الا أثر خاف ورسم دارس يقال فترا الشئ يفتقر فوراً اذا سكنت حركته وصار أقل مما كان
 عليه وسعت المدة بين الانبياء فترة لفقور الدواعى فى العمل بترك الشرائع واختلاف فى مدة
 الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عثمان النهدي ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة
 وستون سنة وقال معمر والكلبي خمسمائة وستة وأربعون سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى
 ألف وسبع مائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الانبياء ثلاثة من
 بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفى الآية امتنان عليهم بان بعث
 اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون اليه قال البقاعى ولعله عبر بالاضمار
 فى بين اشارة الى ان دينه وبيانه لا ينقطع أصلاً يحفظ كتابه فكما درست سنة منخ الله تعالى بهالم
 يرد الناس اليها بالكتاب العزيز المجزى القاسم أبداً فلذلك لا يحتاج الامر الى نبى مجدداً الا عند
 الفتنة التى لا تطيقها العلماء وهى فتنة الدجال وأجوج وأجوج ثم علل ذلك بقوله تعالى
 (أن) أى كراهة ان (تقولوا) أى اذا حشرتهم وسلمت عن أعمالكم (ما جاءنا من بشير) أى بشير
 زائدة لتأكد النفي أى يبشرنا بالرغب فنعلم بما يسعدنا فنفوز (ولانذير) أى يحذرنا من الزهق فنترك
 ما يشقىنا فسلم وقوله تعالى (قد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا بما جاءنا من
 بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير (والله على كل شئ قدير) أى فيقدر على الارسل تترأوا احدا بعد
 واحد على التعاقب كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعلى الارسل على فترة كما
 فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (واذ قال موسى لقومه) أى من اليهود (يا قوم
 اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعامه فذكروا ثلاثاً أموراً ولها قوله تعالى (اذ) أى حين (جعل
 فيكم) أى منكم (أنبياء) فأرشدكم وشرّفكم بهم ولم يبعث فى أمة ما بعث فى بني اسرائيل من الانبياء
 وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحجة والكسائي بإظهاره اذال اذ عند الجسيم وأدغمها
 أبو عمرو وهشام ونابيهما قوله تعالى (وجعلكم مملوكاً) أى وجعل منكم أوفىكم فقد تكاثرت فيه
 المملوك تكاثراً لانبياء بعد فزعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقال ابن عباس أصحاب
 خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن أبي سعيد الخدري

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحد منهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال أبو عبد الرحمن الجبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السدائم فقراء المسلمين المهاجرين فقال عبد الله له يا هذا ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت غنى من الاغنياء قال ألك خادم قال نعم قال أنت من الملوك وقال السدي وجعلكم احرارا فماتكم امرأتكم بعد ما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقال النعمان كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك وماله ثروة له تعالى (وأتاكم ما لم يأت أحد من العالمين) وذلك لانه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الاكرام كخلق البحر لهم وأهلك عدوهم وأورثهم أموالهم وأنزل عليهم المن والسلوى وأخرج لهم المياه الغزيرة من الحجر وأظلم فوقهم الغمام ولم يجتمع الملك والنبوة لقوم كما اجتمعوا لهم وكانوا في تلك الايام هم العلماء بالله تعالى وهم أحباب الله وأنصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو زمانهم وقال الكلبي ان جعلت العالمين عاما واجب تخصيص ما لا يلزم انهم أو بوالهات فزت هذه الامة من الكرامة والفضل وغير ذلك وان خصصته بعالمى زمانهم فباقية على عمومها اذا لاحذروه ولما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم أمرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أى المطهرة وهى أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت مسكن الانبياء والمؤمنين وقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال الكلبي هى دمشق وقلطين وبعض الاردن وهو بضم الدال وتشديد النون اسم نهر أو كورة بالشأم قاله الجوهري وقال قتادة هى الشأم كلها (التي كتب الله لكم) أى فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال السدي أمركم بدخولها (فان قيل) على القول الاول كيف كتبها لهم بعد قوله تعالى بعد فانها محرمة عليهم (أجيب) بأجوبة أولها قال ابن عباس انها كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم عردهم وخصيانهم ثانيا للفظ وان كان عاما لكن المراد به الخصوص فكأنها اكتب لبعضهم وحرمت على بعضهم ثالثها ان الوعد بقوله تعالى كتب الله لكم مشروط بتقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المنبروط رابعها انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون حصل ما كتب (ولا تزدوا على أدباركم) أى ولا ترجعوا مدبرين خوفا من العدو (فمنقلبوا خاسرين) أى فى سعيكم وذلك ان قوم موسى لما أخرجوا من مصر وعدهم الله تعالى اسكان أرض الشأم قال الكلبي سعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر ما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرائيل يسمون أرض الشأم أرض الموعد ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن أحوال تلك الارض فلما دخلوا تلك الاماكن رأوا أجساما عظيمة قال ابن عادل قال المفسرون فأخذهم أحد أولئك الجبارين وجعلهم فى كهف مع فاكهة قد جعلها من بساطته وأتى بهم الملك ونهرهم بين يديه وقال تعجبوا الملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاهيكم فاخبروه بما شاهدتم ثم انصرف هؤلاء النقباء الى موسى عليه السلام فاخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتبوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الارجلين منهم وهما يوشع ابن نون بن افرايم بن يوسف فتى موسى وكلاب بن يوفنا فتى موسى وكان من سبط يهوذا فانهما

سهلا الامر وقال اهي بلاد طيبة كثيرة النعم والاقوام وان كانت اجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم
ضعيفة واما العشرة الباقية من النقباء فانهم ارفعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا
الامتناع ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا نموت في هذه البرية
ولا يدخلنا الله ارضهم فمكثوا نسا واما اولادنا وانثقالنا شعبة عليهم ويقولون لاجسادهم
تعالوا نجعل علينا رؤساء وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين)
أي عتاة قاهرين اغبرهم ~~مكرهين~~ اغبرهم على ما يريدون (وانا لن ندخلها) خوفا منهم (حتى
يخرجوا منها) أي بأن وجهه كان (فان يخرجوا منها فانا ناداخلون) لها واصل الجبار المتعظم المتنع
عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كان طويلة متمسكة عن وصول الايدي اليها وسمى هؤلاء القوم
جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد فلما قال بنو
اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خرم موسى وهرون عليهم السلام ساجدين وخرق
يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله تعالى عنهما في قوله (قال رجلان من الذين يخافون)
أي مخالفة امر الله تعالى (انعم الله عليهما) أي بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) أي باب
قرية الجبارين ولا تخشوهم فانا رايناهم واجسادهم عظيمة بلا قلوب (فاذا دخلتموه فانكم
غالبون) أي لان الله تعالى منجز وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) به وصدقين بوعده
فأراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالجارية وعصوا امرهما ثم (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا)
نفوا دخولهم على التأكيد والتأييد وقوله تعالى (ما داموا فيها) بدل من أبادا بدل البعض
(فاذهب أنت وربك فقاتلا) هم (اناهما فاعدن) عن القتال لا القعود الذي هو ضد القيام
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بما قيل وربك أي هرون لانه أكبر منه وقيل
تقديره اذهب أنت وربك يعينك فلما سمع من قومه ذلك (قال رب اني لأأملك الاتقيى وأخى)
أي لأأملك التصرف ولا ينقد أمرى الا في نفسي وأخى لان الانسان لا يملك نفسه في الحقيقة انما
المراد به التصرف واني أقفل ما أمرتني به وأخى كذلك قاله لشكوى به وحرته الى الله عز وجل
لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان
المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما عما كلبا من قومه أو ان المراد بأخى من
يوأخيني في الدين فيدخلان فيه وأظهر وجوه الاعراب في أخى أنه منصوب عطفا على نفسي
والمعنى ولأأملك الأخي مع ملكي نفسي دون غيرنا (فافرق) أي فافصل (بيننا وبين القوم
الفاسقين) بأن تحكم لنا بما تستحقه وبحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبديد بيننا وبينهم (قال)
تعالى (فانها) أي الارض المقدسة (محترمة عليهم) ان يدخلوها وقوله تعالى (اربعين سنة
يتيمون) أي يتيمرون (في الارض) اختلاف في العامل في اربعين فعمل محترمة فيكون التحريم
مؤقتا غيره وبذلك لا يخالف ظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم وقيل هو يتيمون أي يسرون
فيهم بتجربين قال الزجاج والاول خطأ لانه جاد في التفسير انهم محترمة عليهم ابدافنصها بآيتهم
أي فيكون التحريم مطلقا قال البغوي لم يرد به تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع وأوحى الله

تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام بي حلة لا حرم من عليهم دخول الارض المقدسة غير
 عبدي يوشع وكتاب ولا تقيمهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي
 تجسسوا فيها سنة ولا آتين جيقهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها
 فلبثوا أربعين سنة في ستة فراعس وقيل تسعة فراعس قال ابن عباس وهم ستمائة ألف مقاتل
 وكانوا يبرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام
 يظلمهم من الشمس وعمود نور يطلع بالليل فيضيهم لهم وكان طعامهم من السما والارض وماؤهم
 من الحجر الذي يحملون فاذا ولد احداهم مولود كان عليه ثوب مثل الظفر في رأى العين يطول
 بطوله ويتسع بقدره الله والله أعلم بما يحكى من ذلك (فان قيل) كيف ينزل من السما والارض
 في حال العقوبة (أجيب) بأنه سبب البقاء وهو أبقى للعقوبة فهو كقائمة الحدود مع بقاء الخطاب
 واختلاف اهل كان موسى وهرن عليهم السلام فيهم أولا قال البغوي الاصح انهما كانا فيهم
 الا انه كان ذلك راحة لهم وازيادة في درجاتهم وعقوبة لهم وهو أبلغ في الاجابة أن يشاهدوا
 في حال العقوبة فلا يصيبهم مآماً أصابهم ولم يدخل الارض المقدسة أحد من قال ان يدخلها بل
 هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم واختلاف اهل مات موسى وهرن في التيه أم لا
 قال البيضاوي الاكثر انهما كانا معهم في التيه وانما ماتا فيه مات هرون قبل موسى
 وموسى بعده بسنة قال عمرو بن ميمون مات هرون قبل موسى وكانا خارجا الى بعض الكهوف فأتى
 هرون فدفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل
 فقتل موسى الى ربه فأوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى هرون فاني باعته فانطلق بهم الى
 قبره فساداهما هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكن مات قال فعاد الى
 مضجعتك وانصرفا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم بعده سنة روى عن أبي هريرة رضي الله عنه
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب أمر ربك فاطم
 موسى عين ملك الموت ففقاها فقال ملك الموت يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وقد فقا
 عيني قال فرد الله عنه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك
 على متن نورها وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم موت قال الآن من
 قريب قال رب أدنى من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني
 عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاجر قال وهب خرج موسى ليقضى حاجة
 فترهب من الملائكة يخفون قبر الميرسيا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنعمة
 والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا العبد كريم على ربه فقال
 ان هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كالذي أحسن منه فجمعوا فقالت الملائكة يا صفي الله
 تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه
 الى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب وقيل
 ان ملك الموت أتاه بفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة

فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع عليه السلام نبيا
 فأخبرهم ان الله تعالى قد أمرهم بقتال الجبابرة فصداقوه وبايعوه فتوجه بنى اسرائيل الى
 اريحا ومعه تابوت الميثاق وأحاط بمدينة أريحا ستمائة أشهر وقصعوها في الشهر السابع
 ودخلوها فقاتلوا الجبابرة وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصاة من بنى اسرائيل
 يجتمعون على عنق الرجل يضر يونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس
 تغرب وتدخل ليله السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في
 طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والشمس ان يقسم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول
 السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وروى الامام أحمد
 في مسنده حديثا ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليلالى سار الى بيت المقدس ثم تبع
 ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام
 كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى
 يوشع ان فيها غلولا فخرهم فليبايعوه فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال لهم ما عندك
 فاتاه برأس ثور من ذهب مكمل بالياقوت والجواهر وكان قد غلبه فجعله في القربان وجعل
 الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل ابراهيم وكان
 عمره مائة وستة وعشرين سنة وتدفأ أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة فسبحان
 الباقي بعد فنائه خلقه * ولما ندب موسى عليه السلام على الدعاء عليهم قال تعالى (فلاناس
 على القوم الفاسقين) فبين تعالى انهم أحقاء بذلك لنفسه (واتل عليهم نبا ابني آدم) وهم ما
 هابيل وقايل وقوله تعالى (بالحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة متلبسة بالحق * وقصتهما أن
 الله تعالى أوحى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما نوا من الآخرة وكانت حواء تلد لآدم كل بطن
 غلاما وجارية وظاهر كلام المؤرخين أن آدم لا يحل له أن يتزوج بواحدة من بناته ولا من
 بنات أولاده ولهذا ألغز بعضهم بقوله ماتت زوجة رجل فحرم عليه نساء الدنيا وكان جميع
 ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قاييل وثوأمته اقليميا وثانيهم هابيل وثوأمته يلودا
 وآخرهم عبد المغيث وثوأمته أم المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه السلام قال ابن
 عباس رضى الله عنهما لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا فأراد آدم ان ينكح قاييل
 يلودا أخت هابيل وينكح هابيل اقليميا وكانت أخت قاييل أحسن من أخت هابيل فذكر ذلك
 لولده فرضى هابيل وسخط قاييل وقال هى أختى وأنا أحق بها فقال له أبوه انه لا تحل لك فأبى أن
 يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قبرا قرا بانا فايكما تقبل قربانه
 فهو أحق بها وكانت القرا بين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضا فأكلتها واذا لم تكن
 مقبولة لم تنزل النار وأكلها الطير والسباع فخر جال قبرا وكان قاييل صاحب زرع فقرب صبرة
 من طعام من أرا زرعه وأضمر في نفسه ما أبالى تقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أبدا وكان هابيل
 صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا

قربانهما على الجبل ثم دعا آدم فتراب نار من السماء فأكل قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل
كما قال تعالى (أذقنا قربانا بقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يقبل من الآخر) وهو قابيل
لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قابيل لرؤيته
وأضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قابيل لهابيل وهو
في غفوة (قال لاقتلتك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء
وأنكح أختك الدميعة فيحدث الناس أنك خير مني ويفتخروا بذلك على ولدي (قال) هابيل
وما ذنبى (انما يقبل الله من المتقين) * فان قيل كيف كان قول هابيل انما يقبل الله من المتقين
جوابا لقوله لاقتلتك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي جعله
على نومه بالقتل قال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لأم قبلي
فلم تقبلني ومالك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول
فأجاب به بكلام حلیم مختصر جامع لمعان وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهد في تحصيل ما صار به المحسود محظوظا لا في إزالة حظ المحسود فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقبل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني أسمع الله يقول انما يقبل الله من
المتقين (لئن) لام قسم (بسطت) أي مددت (إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لاقتلك اني
أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وإيم الله ان كان المقتول لاشد
الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط إلى أخيه يده خوفا من الله عز وجل لان الدفع لم يبع بعد
أو تخرج بالماء أو الأفضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
وانما قال ما أنا بياسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن
يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النبي بالبلاء وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الباء من يدي
والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقاء صفة الطاء في بسطت وادغام الطاء في التاء
لان تخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبقة والتاء منفتحة والطاء
مستعيلة والتاء مستغلة والطاء مجهورة والتاء مهموسة ويقال في ذلك ادغام الحرف وإبقاء
الصفة (انني أريد أن تبوء) أي ترجع (بائمي) أي بائع قمتلى (وأنك) الذي ارتكبه من قبل
(تسكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء بأنك اذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء بائمي وأنك واردة القتل والمعصية لا تجوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة ارادة
لكنه لما علم انه يقتله لا بحالة ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للشواب فكانه صار مريدا
لعله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أي الراسخين في وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لي باحسانى في إثباتى حيانتك على حياتى وذلك جزاء المحسنين
(فطوعت) قال قتادة فزنت (له) نفسه قتل أخيه فقتله قال ابن جرير يمثل له ابليس وأخذ له
طائرا ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقابل ينظر إليه فعمله القتل فوضع قابيل

وأس هابيل بن حجر بن وقيل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي فصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدرك ما يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشر وثمانون سنة فله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنة حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرمى فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حفروا له مقاره ورجليه حتى مكنته ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقايل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) أي الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصدا لتعليمه على سبيل المجاز (كيف يوارى) أي يستتر (سوءة)
 أي جيفة (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قاييل ذلك (قال يا يلقى) كلمة
 جزع وتحسر والاف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا يلقى احضري فهذا أو انك والويل
 والويل الهلكة (أعجزت) أي مع ما جعل الله من القوة والاطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع مالي من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاوارى سوءة أختي) أي
 لاهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله تعالى فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو عجزت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من النادمين) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشيء قال المطالب بن عبد الله بن خطيب لما قتل ابن
 آدم أخاه رجعت الارض بما فيها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتله وكان آدم عليه السلام بمكة
 اشتال الشجر وتغيرت الاطعمة وجضت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض وشربت الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلته
 ولذلك اسود جسده قال فأين دمه ان كنت قتلته فخرم الله عز وجل على الارض من يومئذ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نائما فراه ابنه حام عريا فلم يستره فاسود في الوقت فالسودان من ولده ورآه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه لما أتى
 من مكة الى الهند رآه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان آدم قال شعر افقد كذب ان محمدا
 والانبيا عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء وروى انه رآه فلم يزل يتقل
 حتى وصل الى يغرب ابن خطان وكان يقول الشعر فنظر الى المريئة فاذا هي سجع فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فردا المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعر اوزيد فيه آيات منها

أرى طول الحياة على نغما * فهل أنا من حباتي مستريح

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمه الضريح

فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بحمسين سنة ولدت له حواء شيئا
وتفسيره هبة الله أي أنه خاف الله من هابيل علمه الله ساعات الليل والنهار وأعلمه الله عبادة
الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل
له اذهب طريدا شريدا فزعر عوبالاً يأمن من يراه فأخذ يداخته اقلتها وهرب بها إلى عدن
من أرض اليمن فأتاه ابليس لعنه الله تعالى وقال له انما كنت النار قربان أخيك لانه كان يعبد
النار فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار قال مجاهد
واخذ أولاد قابيل آلات اللهو من البراع والطبول والمزامير والعبدان والطنابير
وانهم مكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى بالظوفان
أيام نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام قال البقاعي في تفسيره والله أعلم بما روى
من ذلك ولا يعتمد على مثل هذه الأحاديث وقد أحسن الطبري بقوله أخبر الله تعالى
بقته ولا خبر يقطع العذر بصفة قتله على ما ذكرنا منه في مثله ولا فائدة في طلب الصحيح منه في الدين
اه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلم إلا كان على ابن آدم الأول كفيل
من دمه لانه أول من سن القتل (من أجل ذلك) أي الذي فعله قابيل (كتبتنا) أي قضينا
(على بني إسرائيل) في التوراة لانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل ولذلك كانوا يقتلون
الأنبياء (أنه) أي الشأن (من قتل نفساً) أي من بني آدم (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب
الاقصاص (أو) قتلها بغير (فساد) أناه (في الأرض) كالشرل والزنا بعد الاحضان وقطع
الطريق وكل ما يبيع اراقه الدم (فكأنما قتل الناس جميعاً) أي من حيث هي حرمة الدماء وشن
القتل وجرأة الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استحلال غضب الله
والغذاب العظيم (ومن أحياها) أي بسبب من الأسباب كانه قد من هلكة أو غرق أو دفع من
يريد أن يقتلها ظلماً (فكأنما أحيا الناس جميعاً) قال ابن عباس من حيث عدم انتهاك حرمتها
وضومها قال سليمان بن علي قلت للحسن يا أبا سعيد أي لنا أي هذه الآية كما كانت لبني
إسرائيل قال أي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دماءنا اه وما
يحسن ايراده هنا ما ينسب لامير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل انه للشافعي رحمه
الله تعالى

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكاة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل أمرئ ما كان يحسنه * وللرجال على الأفعال أسماء
وضد كل أمرئ ما كان يجعله * والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففرز علم تعش حيا به أبدا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء
(ولقد نجاةهم) أي بني إسرائيل (رسالة بالبينات) أي المعجزات وقرأ أبو عمرو بسكون السين

والساقون بضعمها) ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) أي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد (في الارض مسرفون) أي مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها من نزول في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وبإيعاده على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبوالها فلما جعوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهم ما تعظما (ويسعون في الارض فسادا) أي بقطع الطريق (أن يقتلوا) أي أن قتلوا (أو يصلبوا) أي مع ذلك ان قتلوا وأخذوا المال أي والصلب ثلاثا بعد القتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أي أيديهم سيم النبي وأرجلهم اليسرى ان اقتصر واعلى أخذ المال (أو ينقوا من الارض) أي ان أرعبوا ولم يأخذوا شيئا أي ينقوا من بلاد الى بلدان رأى الامام ذلك وان رأى حبسهم فله ذلك ولوفى بلدهم هكذا أفسر الآية ابن عباس رضي الله عنهما فحمل كلمة أو على التنوين لا التخيير كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أو نصارى أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى اذ لم يخير أحد منهم بين اليهودية والنصرانية (ذلك) أي الجزاء العظيم (لهم خزي) أي ذل واهانة (في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار واحتج أكثر أهل العلم على أن هذه الآية نزلت في قطاع الطريق بقوله تعالى (الا الذين تابوا) أي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى (من قبل أن تقسروا عليهم) أي فان حقه تعالى تسقط عنهم كالقطع والصلب وتحتم القتل وينبغي القصاص والمال لانه حق آدمي لا يسقط بالتوبة (فاعلموا أن الله غفور) لهم ما أتوه (رحيم) بهم ولو كانت نزلت في الكفار لكانت توبتهم بالاسلام وهو رافع للعقوبة قبل القدرة وبعد ها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا عقابه بأن تطيعوه (وابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والى الذي منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسيل الى كذا اذا تقرب اليه قال لبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذي لب الى الله واسل

وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه لتكون كلمة الله هي العليا (عليكم تفلحون) بالوصول الى الله عز وجل والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم ما في الارض) من صنوف الاموال وأكده بقوله (جميعا ومثله معه ليفقدوا به) أي ليجمعوا فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) أي لان المدفوع اليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق (ولهم) بعد ذلك (عذاب أليم) أي مؤلم (يريدون أن يخرجوا) أي أن يكون لهم الخروج في وقت ما اذا رفعهم الله الى أن يكاد أن ياقمهم خارجا (من النار) ثم نفي خروجهم على وجه التاكيد فقال (وما هم بخارجين منها) أي ما ثبت لهم خروج اصلا (ولهم) خاصة دون عصاة المؤمنين (عذاب مقيم) أي دائم نارية بالبرد ونارية بالحرق ونارية بغيرهما (فان قيل)

قال تعالى لا تذوقون فيها برد افهوه وفي ما ذكر (أجيب) بأن المراد بالبرد في الآية النوم فلا
منافاة وأل في قوله تعالى (والسارق والسارقة) موصولة بمبتدأ أي والذي سرق والتي سرق
ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أي بين كل واحد منهما من
الكوع كما بينه السنة كما ثبت أنه لا بد أن يكون المسروق ربع دينار أو فاضل من حوزة مثله من
غير شبهة له فيه وأنه إذا عادت قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم
بعد ذلك يعزرها ثم علل تعالى ذلك بقوله (جاء بما كسبا) أي فعلا من ذلك ثم علل تعالى هذا الجزاء
بقوله (نكالاً) أي عقوبة لهما (من الله) وأعاد الاسم الأعظم تعظيماً للامر فقال (والله عزيز)
أي غالب على أمره (حكيم) أي بالغ الحكمة والحكمة في خلقه (فمن تاب) أي من السارق
(من بعد ظله) أي سرقته (وأصلح) أمره بالتخلص من التبعات والعزم على أن لا يعود إليها
(فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته تفضلاً منه تعالى (إن الله غفور رحيم) فلا يرد عليه في
الآخرة وأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الكثيرين وإذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه
وبالانفاق إن كان المسروق قائماً عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله عز وجل والغرم
حق العبد ولا يمنع أحدهما الآخر وقوله تعالى (ألم تعلم) الاستفهام للتقريب والخطاب مع النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل أحد من الناس (أن
الله له ملك السموات والأرض) أي أن الملك خالص له عن جميع الشوائب (يغضب من يشاء)
تعذيبه (ويغفر لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شيء قدير) أي ومنه التعذيب والمغفرة وليس
هو كغيره من الملوك الذين قد يجزأ أحدهم عن تقرب ابنه وتبعية أعداءه (يا أيها الرسول)
أي المبلغ لما أرسل به وقوله تعالى (لا يجوزنك) قرأنا فاعظم الباء وكسر الزاي والباقون بفتح
الباء وضم الزاي (الذين يسارعون في الكفر) أي يتعجلون فيه بسرعة بأن يظهروه إذا وجدوا
منه فرصة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا) للبيان وقوله تعالى (بأفواههم) أي بالسنتهم
متعاقبوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على
من الذين قالوا وقوله تعالى (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون والضمير
في سماعون للفر يقين أول الذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن
اليهود قوم سماعون للكذب الذي افترته أخبارهم سماع قبول (سماعون) منك (لقوم)
أي لأجل قوم (آخرين) من اليهود (لأياؤك) أي لم يحضروا مجلسك وتجاؤا عنك تكبرا
وأفراطاً في البغضاء (يحرفون الكلام) أي الذي في التوراة كآية الرجم (من بعد مواضعه)
أي التي وضعها الله عليها أي يبدلونه (يقولون) أي الذين يحرفونه لمن يرسلونهم للنبي صلى الله عليه
وسلم (إن أولئك هذا) أي المحرف أي أقام به محمد صلى الله عليه وسلم (نخذوه) أي فاقبلوه منه
واعلموا أنه الحق واعلموا به (وإن لم تؤتوه) أي بأن أقامكم بخلافه (فاحذروا) أن تقبلوه منه فإنه
الباطل والضلال وروى أن شريكاً في خبر زنا بشر يفة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التوراة

فكرهوا رجمهم ما لشر فهم ما قالوا ان هذا الرجل الذي يبثب ليس في كتابه الرجم ولكن
الضرب فأرسلوه مامع رط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه
وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم أى تسويد الوجه من الحمة بالضم والتشديد وهى السواد
فأقبلوا وان امركم بالرجم فلا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانية
والزانية اذا أحصنا ما حدثهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى فقالوا نعم فنزل جبريل عليه
السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن
صوريا ووصفه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمردا يمشى أعور
يسكن فذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال هو أى رجل فيكم فقالوا هو أعلم به ودى بقى على وجهه
الارض بما أنزل الله على موسى بن عمران فى التوراة قال فأرسلوا اليه فقهلوا فأتاهم فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال تتبعونونه
بينى وبينكم قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى
قلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجىكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه
وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحسن قال نعم فوثب عليه سقاه اليه ودفق قال
خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان
يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن لا اله الا الله النبى الاتى العربى الذى
بشر به المرسلون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجعا عند باب مسجده وقال اللهم
انى أول من أحيأ امرأ اذا ماتت فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول الآية وروى أن اليهود
جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضهم ويجلدون قال عبد الله
ابن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة ففسروها فوضع أحد يده على آية الرجم
وقرأ ما بعده فقال له عبد الله ارفع يده فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدقت يا محمد فيها آية
الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعا قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرأيت
الرجل يلقى يده عن المرأة الجارية * (فائدة) * كانت آية الرجم فى القرآن فنسخت تلاوتها وبقي
حكمها روى البيهقى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أنه قال فى خطبته ان الله بعث محمدا
وأنزل عليه كتابا وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقلوبناها ووعيناها الشيخ والشيخة اذا زيا
فارجوهما البتة نكالا من الله والله عز يزحكيم وسماى فى الكلام فى سورة الاحزاب أن هذه
الآية كانت فيها (ومن يرد الله فتنه) أى اضلاله أو فضيحة (فمن تلك) أى ان تستطيع
(له من الله شيئا) فى دفعها واذا لم تلك أنت وأنت أقرب الخلق الى الله تعالى فمن تلك (أولئك)
أى البعيد من الهدى (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ضم) أى من الكفرة ولو أراد له كان وهذا
كما ترى نص على فساد قول المعتزلة بأنه أراد ذلك (لهم فى الدنيا خزي) أى ذل بالفضيحة والجزية
والخوف من المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين

هادوا ان اسأقت بقوله تعالى ومن الذين والاقل قرية بين وقوله تعالى (سماعون الكذب) كره
 للتأكد (أ كآلون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سخته اذا استأمله لانه مسحوت
 البركة كما قال الله تعالى يحق الله الربا الربا باب منه وكانوا يأخذون الرشاعلى الاحكام وبحليل
 الحرام وعن الحسن رحمه الله تعالى كان الحاكم في بني اسرائيل اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في
 بكة فأراه اياها وتكلم بها حتى يسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيما كل الرشوة ويسمع الكذب
 وعنه صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 بعضهم الحاء والباقون بالسين (فان جاؤك) أى لتحكم فيهم (فأحكم بينهم) أو أعرض عنهم
 هذا تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل نسخ هذا الخبر أم لا فقال أكثر أهل العلم
 هو محكم ثابت وليس في سورة المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب ان
 شأوا حكموا وان شأوا لم يحكموا وبحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة
 وقال قوم يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بينهم والآية منسوخة نسخها قوله تعالى وان
 احكم بينهم بما أنزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة وهو روى ذلك أيضا عن ابن عباس وقال لم ينسخ
 من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تتحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى
 فان جاؤك فأحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله ومذهب
 الشافعي رضي الله تعالى عنه ان الذين وان اختلفت ملتتهما كيهودى ونصرانى يجب الحكم
 بينهم ما عند الترافع وكذا الذى مع المعاهد بخلاف المعاهدين فان الحكم لا يجب بينهم لانهم لم
 يلتزموا بأحكامنا ولا التزمنا دفع بعضهم عن بعض فيحمل التخيير على هذا والآية الاخرى على
 أهل النقة ويعلم من ذلك ان الحكم بين الحريين لا يجب بطريق الاولى ولوترافع الينا ذميان في
 شرب خمر لم نجدهم وان رضيا بحكمنا لانهما لا يعقدان تحريره ولوترافع الينا مسلم وذمى وجب
 الحكم بينهم اجماعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) بأن يعادوك لا عراضك عنهم فان الله
 تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمر الله تعالى به
 (ان الله يحب) أى يثيب (المقسطين) أى العادلين فى الحكم وقوله تعالى (وكيف يحكمونك)
 وعندهم التوراة فيحكم الله) استعظام تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان
 الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم وتنبه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
 الحق واقامة الشرع وانما طلدوا منه ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم
 (ثم يتولون) أى يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم وهذا داخل فى
 حكم التعجب فانه معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالمؤمنين)
 أى بكتابهم لا عراضهم عنه أولا أولئك وبه (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهذى من الضلالة
 الى الحق (وفور) يكشف ما اشتبه عليهم من الاحكام (يحكمهم) المؤمنين أى من بنى
 اسرائيل وقوله تعالى (الذين أسلموا) ذكر على وجه الصفة للانبيا للتشويه بشأن الصفة
 دون التخصيص والتمييز لانهم كلهم بهذه الصفة منقادون لله تعالى والتنبية على عظم قدرها

حيث وصف به اعظم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايمن فان اوصاف الاشراف
 اشرف الاوصاف وقوله تعالى (لَّذِينَ هَادُوا) متعلق بأنزل أو يصحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم
 وهو يدل على أن النبيين أنبياء وهم وقوله تعالى (وَالرَّابِّيُونَ) أي الزهاد الذين انسلخوا من الدنيا
 وبالغوا في ما يوجب النسبة إلى الرب (وَالْأَحْبَارُ) أي العلماء السالكون طريقة أنبيائهم عطف على
 النبيون (بِمَا) أي بسبب الذي (اسْتَحْفَظُوا) أي استودعوه (مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) أي استحفظهم الله
 تعالى إياه بأن يحفظوه من التضييع والتخريف أو بأن يحفظ فلا ينسى وقد أخذ الله على العلماء
 حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معاً أحدهما أن يحفظ في صدورهم ويُدْرَسُوه بالسنتهم والثاني
 أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه والراجع إلى ما محذوف ومن للتبيين والضمير في
 استحفظوا والانبياء والربابين والأحبار جميعاً وكذلك الضمير في قوله تعالى (وَكُنَّا عَلَيْهِمْ شُهَدَاءَ)
 أي رقباء حاضرين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته أصلاً وقوله تعالى (فَلَا تَخْشَوُا الْبَاسَ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ) انتهى للحكام أن يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم خوفاً من سلطان ظالم أو خيفة
 أذية أحد من الأقرباء والأصدقاء وقرأ أبو عمر وبالثبات المياه في الوصل دون الوقف والباقيون
 يحذفها وصلوا ووقفوا (وَلَا تَشْتَرُوا) أي تستبدلوا (بِأَيِّ شَيْءٍ) أي بأحكامي التي أنزلتها (غَنَّا قَلِيلًا) أي
 من الرشا وغيرها التكتوا وتبدلوا كما فعل أهل الكتاب وقوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ) قال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحد له فقد كفر ومن أقربه ولم يحكم
 به فهو ظالم فاسق فحمل الآيات على هذا وهو ظاهر وقال الفخار وقتادة نزلت هذه الآيات
 الثلاث في اليهود ودون من أساء من هذه الأمة (وَقِيلَ) أولئك هم الكافرون في المسلمين لاتصالها
 بخطابهم والظالمون في اليهود والنصارى (وَكُنَّا) أي فرضنا (عَلَيْهِمْ) أي اليهود
 (فِيهَا) أي التوراة (أَنْ النَّفْسَ) تقتل بالنفس إذا قتلتها (وَالْعَيْنَ) تفقأ بالعين أي بعين من فقأها
 (وَالْأَنفَ) تجددع بالأنف أي بأنف من جددع (وَالْأَذْنَ) تقطع (بِالْأَذْنِ) أي بأذن من قطعها
 (وَالسِّنَّ) تقلع بالسِّنَّ أي بسن من قلعها (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٍ) أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد
 والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة وهذا الحكيم وإن كتب عليهم
 فهو مفروض في شرعنا وقرأ الكسائي هذه اللفاظ الخمسة وهي العين بالعين إلى آخرها بالرفع على
 أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
 والعين بالعين فإن الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول أو مستأنفة ووافق الكسائي ابن
 كثير وأبو عمرو وابن عامر في الجروح فقط والباقيون بالنصب في الجميع وسكن نافع الذال من الأذن
 وقرأ الباقيون برفعها (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ) أي القصاص بأن مكن من نفسه (فَهُوَ) أي التصديق
 بالقصاص (كَفَّارَةٌ) أي لما أتاه فلا يعاقب ثانياً في الآخرة وقيل فمن تصدق به من أصحاب
 الحق فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله تعالى به من سيئاته ما تقتضيه الموازنة ككسائر
 طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه ما تهمد عنه دنوبه بقدر ما تصدق به وقيل
 فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) أي

في القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون) أي الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا كمن يعيش
 في الظلام فإن كان تدينا بالترك كان نهاية للظلم وهو الكفر والالكان عصيانا لأن الله تعالى أحق
 أن يخشى ويرجى (وقفينا) أي أتبعنا (على آثارهم) أي النبيين الذين يحكمون بالتوراة
 (بعيسى بن مريم) صلى الله عليه وسلم ونسبته تعالى إلى أمته إشارة إلى أنه لا والد له تكذبا
 لليهود وإلى أنه عبد مربيوب تكذبا للنصارى (مصدق لما بين يديه) أي قبله مما أتى به موسى
 عليه السلام (من التوراة) وأشار تعالى بقوله (وآتيناه الانجيل) أي أنزلناه عليه كما أنزلنا
 التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها (فيه هدى)
 من الضلالة (ونور) أي بيان للأحكام وقوله تعالى (ومصدق) أي الانجيل حال (لما بين يديه)
 أي قبله. ولما كان الذي نزل قبله كثيرين المراد بقوله (من التوراة) أي لما فيها من الأحكام
 فالأول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثاني صفة لكتابه أي فهو والتوراة والانجيل
 يتصادقون فكل من الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهما لم يتخالفوا في شيء بل هو متخالف
 بجميع ما أتى به (وهدى وموعظة للمتقين) أي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فترى قلوبهم
 ويعتبرون به (وليحكم أهل الانجيل) وهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام (عما أنزل الله فيه) أي
 من الأحكام وقرأ حجة بكسر اللام ونصب الميم عطفا على معمول آتينا والباقيون بكسر
 اللام وسكون الميم على الأمر أي فلينته أهل التوراة عما نسخ منها وليحكم أهل الانجيل الخ
 (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي المختصون بكمال الفسق فإن كان تدينا كان
 كفرا وإن كان لا تباع الشهوات كان مجرما معصية لأن الخطيئة والشهوات تحمل على الخروج
 من دائرة الشرع مرة بعد أخرى (وأنزلنا البكر) أي محمد خاصة (الكتاب) أي الكامل في جمعه
 لكل ما يطلب منه وهو القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدق لما بين يديه) أي
 قبله. ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد عبرتعالى بالمفرد فقال (من
 الكتاب) أي الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء من قبل فاللام الأولى في الكتاب للعهد لانه
 عني به القرآن والثانية للعنفس لانه عني به جنس الكتب المنزلة (ومهيمن عليه) أي رقيب على سائر
 الكتب أي يحفظها من التغير والتبدل ويشهد لها بالصحة والثبت (فاحكم بينهم) أي بين
 جميع أهل الكتاب إذا ترفعوا اليك (بما أنزل الله) اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم
 المهيمن عليهم في إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك (ولا تتسع
 أهواءهم) فيما خلفه عادلا (عما جاءك من الحق) بالانصراف عنه إلى ما يشتمونه (لكل جعلنا
 منكم) أيها الأمم (شريعة) أي دينام ووصلا إلى الحياة الأبدية والشريعة هي الطريقة إلى
 الماء شبهها الدين لانها موصلة إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية (ومنهاج) أي طريقا واضحا
 في الدين ناسخا لما قبله وقد جعلنا شريعتك ناسخة لجميع الشرائع وأمثاله مما يدل على أننا نسنا
 متعبدين بالشرائع المتقدمة وأن كل رسول غير متعبد بشرع من قبله وهو محمول على الفروع
 ومادل على الاجتماع كآية شرع لكم من الدين محمول على الأصول (ولو شاء الله لجعلكم أمة)

في جماعة (واحدة) أي متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل (ولكن)
 يشأ ذلك بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة (ليلاوكم) أي ليعتبركم (فما آتاكم) من
 لشرائع المختلفة ليعبروا بالوجود المطيع منكم والعاصي (فاسبقوا الخيرات) أي ابتدروها
 تنهاها للفرصة بغاية الجهد قبل من يسابق شخصاً يخشى العار بسببه وقوله تعالى (إلى الله
 مرجعكم جميعاً) أي بالبعث استئناف فيه تعليل للأمر بالاستباق ووعده للمبادرين ووعيد
 لمقصرين (فنبشركم) أي يخبركم (بما كنتم فيه تختلفون) أي من أمر الدين ويجزى كلامكم بهمة
 وقوله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم
 أو على الحق أي أنزلنا به بالحق وبأن أحكم وقرأ أبو عمرو وعاصم وجزة بكسرون وأن
 احكمكم والباقون بضمة (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن) أي لا يفتنوك أي بضلوك
 ويصرفوك (عن بعض ما أنزل الله إليك) روى أن احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا
 نقتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وأننا ناتبناك اتبعنا اليهود كلهم وأن
 بيننا وبين قومنا خصومة فنتحكما فتمضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) أي عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد
 الله أن يصيبهم) أي بالعقوبة في الدنيا (ببعض ذنوبهم) أي التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على
 جميعها في الآخرة (وان كثير من الناس) أي هم وغيرهم (افاسقون) أي خارجون عن
 دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أفحكم الجاهلية) أي خاصة مع أن احكامها لا يرضى
 بها عاقل لكونها المبدع اليها كتاب بل هي مجتزأة أهواءهم أهل الكتاب (يبلغون) أي يريدون
 باعراضهم عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهدك كالك المعجز عن معارضته من وجوب
 رسالتك إلى جميع الخلائق وهذا استغفاهم أنكارى وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من
 الغيبة إلى الخطاب وهو أدل على الغضب والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت في بني
 قريظة والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به الجاهلية من
 النفاضل بين القتلى أي بين ديات بعضهم على بعض (ومن) أي لأحد (أحسن من الله حكماً
 لقوم) أي عند قوم (يوقنون) به خصوصاً بالذكرا لأنهم الذين يتدبرون الامور ويختارون الاشياء
 بانتظارهم فيعلمون ان لا أحسن حكماً من الله جل وعلا (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء) أي توالوهم وتوادوهم وتعاشروهم معاشرة الاحباب وقوله تعالى (بعضهم
 أولياء بعض) فيه إيماء إلى علة النهي أي فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضاً
 لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضاركم (ومن يتولهم منكم) أي ومن والاهم منكم
 (فانه منهم) أي من جملتهم وهذا انشديد في وجوب مجانبتهم وألأن الموالين كانوا منافقين
 (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلموا أنفسهم ووالاة الكفار ومن لم يرد الله هدايته
 لم يقدر أحد أن يهديه * (تنبيه) * اختلف في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في عبادة بن
 الصامت وعبد الله بن أبي سفيان والمنافق وذلك انهم اختصوا بقبول عبادة بن أبي سفيان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لامولى الى الا

اليهود كثيرا عددهم شديدة وشوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله
الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا ابرأ من ولاية اليهود لاني اخاف الدوائر ولا بدلي منهم فانزل الله
تعالى هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد استندت على طائفة من الناس وتحوفوا
أن تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي آخذ منه أمانا فاني أخاف
أن تدال علينا اليوم وقال الآخر أمانا فالحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أمانا
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم الي بني قريظة حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل
اصبعه على حلقه يعني أنه الذبح أي يقتلكم فنزلت (فترى الذين في قلوبهم مرض) أي ضعف
اعتقاد كعبد الله بن أبي (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم (يقولون) معذرين عنها (فخشى)
أي تخاف خوفا بالغا (أن تصيبا دائرة) أي مصيبة تحيط بنا ويدور بها الدهر علينا من جذب
أورغلبة ولا يتم أمر محمد فلا يبرونا (فغسى الله أن يأتي بالفتح) أي باظهار الدين على الاعداء
(أو أمر من عنده) أي بهتك ستر المنافقين واقتضاهم (فجهجوا) أي حولاء المنافقون (على
ما أمرنا في أنفسهم) أي على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهره
بما أشعر به تفاقمهم (نادمين) أي ثابت لهم غاية الندم في الصباح وغيره وقوله تعالى (ويقول
الذين آمنوا) قرأوا محاصم وحجزة والكسائي برفع على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرأ
بالنصب ابو عمرو وعطفا على يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول الذين
آمنوا (أهلؤا الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها (أنهم لمعكم) في الدين
أي يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتجيبا بما من الله تعالى عليهم من
الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين خلقوا اليهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله
وان توتلتهم لتنصرنكم (حبطت) أي بطلت (أعمالهم) أي الصالحة (فأصبوا) أي فصاروا
(خاسرين) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يا أيها الذين آمنوا) أي أقرؤا بالايان
(من يردد) أي يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالى
عنها في القرآن قبل وقوعها وكان أدل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الأولى بنو مدح وكان رئيسهم ذو الحجار بالحاء المهملة قال التفتازاني كان لهجار
يقول أنه تنفيع وسرفيسر وكانت النساء أي نساء أصحابه يعطرون بروث جاره وقبل
يعقدون روثه بخمر حتى تسعي ذو الحجار أيضا بالحاء المهملة وذو حنار فيما قبله بالواو على الكتابة
وهو العنسي بفتح العين وسكو النون منسوب الى عنس وهو يزيد بن مذحج بن ادد بن كعب العنسي
ويلقب بالاسود كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلادها وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه والى
سادات اليمن وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم والنهوض الى حرب الاسود فكتبه

فيروز الدبلي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنهما وأقي الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 السماء الليلة التي قتل فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الأسود البارحة قتله رجل
 مباركة قيل ومن هو قال فيروز فترسل المسلمون فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود
 وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع
 الأول وكان ذلك أول فتح جاء إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه والفرقة الثانية بنو خنيصة
 باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب وكان تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة
 عشر وزعم أنه اشتراك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها إلى ونصفها لك
 وبعثه إليه مع رجلين من أصحابه فقال له ما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل
 لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي فبعث أبو بكر
 رضي الله عنه خالد بن الوليد في جيش كبير حتى أهلكه الله تعالى على يد وحشي غلام مطعم بن عدي
 الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي
 يقول قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي واسلامي الفرقة
 الثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة أحد من ارتدوا دعى النبوة في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة
 فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه فهزمهم خالد بن الوليد رضي الله
 عنه بعد قتال شديد وأفلت طليحة فز على وجهه هارباً نحو الشام ثم أنه أسلم بعد ذلك وحسن
 إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه الأولى فزارة قوم عيينة بن حصن والثانية
 غطفان قوم قرة بن سلمة والثالثة بنو سليم قوم النجاة بن عبد اليل والرابعة بنو بريق قوم مالك بن
 نويرة والخامسة بعض غيم قوم سجاح بنت المنذر المستنبة التي رقيبت نفسها المسيلة الكذاب وفيها
 يقول أبو العلاء المعري أت سجاح ووالهاها مسيلة * كذابة في بني الدنيا وكذاب
 والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد
 وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى
 عنه وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصروا إلى الشام والجهور انه مات على رقبته وذكرت
 طائفة انه عاد إلى الإسلام وقرأ نافع وابن عامر يرتد بدليل الأولى مكسورة مخففة والثانية
 ساكنة والباقيون بدال مفتوحة مشددة واختلف في القوم في قوله تعالى (فسوف يأتي
 الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال قتادة بن أنس الأزدي لما نزلت الآية قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكانوا من اليمن وعن أبي
 هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال
 الكلبي هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من

أفناء أى لم يعلم عنهم قاله الجوهري جاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية وقيل هم الانصار
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ف ضرب على عاتق سلمان رضى الله عنه فقال هذا
وذروه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالناله رجال من أبناء فارس والراجح الى من محذوف
تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما شبه ذلك ومحبة الله تعالى لعباده
أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم ومحبة العباد لهم
طاعته واستغناءهم عنه وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه (أدلة على المؤمنين) أى عاطفين
عليهم متذللين لهم جميع ذليل وأما دلل فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو تقيض
الصعوبة فقد غيبي عنه لأن دلولا لا يجمع على أدلة (فان قيل) هلا قال أدلة للمؤمنين (أجيب)
بأنه تضمن معنى الخنو والعطف كأنه قال عاطفين عليهم على وجه التذال والتواضع وأنهم
مع شرفهم وعلو طبقتهم ونفوذهم على المؤمنين خاضعون لهم أجنتهم أو للمقابلة فى قوله تعالى
(أعزة على الكافرين) أى شدداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقوله تعالى (يجاهدون
فى سبيل الله) حال من الضمير فى أعزة أو صفة أخرى لقوم وقوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم)
يحتمل أن تكون الواو للعال على أنهم يجاهدون وطالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم
كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أو لماء هم اليهود فلا يعملون شيئا
مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون
لومة لائم قط وان يكون للعطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله
والتصلب فى دينه واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تكبير لائم بالفتان (ذلك) إشارة الى
الاصناف المذكورة وقوله تعالى (فضل الله يوتيهم من يشاء) أى يحضه ويوفق له فيبدل الانسان
جهده فى طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته (والله واسع) أى كثير الفضل (عليم) أى عن
هو أهله ونزل لما قال ابن سلام رضى الله عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا وانما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتبعية على أن الولاية لله على الاصلة
ورسوله والمؤمنين على التبعية اذ التقدير انما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولو قيل انما
أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أى متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم
وقيل يصلون صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أى ومن يتخذهم أولياء
وقيل من يعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمرة اظهارا لما شرفهم به ترغيبا لهم فى ولايته ونشر بفعالهم بهذا الاسم
فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتعريضاً بى الى هؤلاء
بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ونزل فى رفاعه بن زيد وسويد
ابن حارث اللذين أظهرتا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما (يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) أى الذى شرفكم الله به (هزوا) أى مهزوا به (ولعبا)

ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود * ولى
خصصهم بقوله (والكفار) أي من عبدة الأوثان وغيرهم (أو لبياء) أي فأن الفريقين اجتمعوا
على حسدكم وازدراؤكم فلا تصح لكم مولاتهم وقرأ أبو عمرو والسكسائي بخفض الراء والباقون
بالنصب عطفًا على الذين اتخذوا على أن المنهى عن موالاتهم ليس على الحق وأساسوا من كان
ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله)
أي بترك المنهى (أن كنتم مؤمنين) أي صادقين في إيمانكم فأن الإيمان حقًا يقتضي ذلك
وقوله تعالى (واذا ناديتهم) معطوف على الذين قبله أي ولا تتخذوا الذين إذا ناديتهم أي
دعوتهم (إلى الصلاة) بالأذان (اتخذوها) أي الصلاة (هزوا ولعبا) بأن يستهزؤا بها
ويتضحكوا ويقولوا صاحوا كصياح العير وفي هذا دليل على أن الأذان مشروع للصلاة
المكتوبات روى الطبراني أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدًا
رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فقطر شرره
في البيت فأحرقه وأهله (ذلك) أي الاتخاذ (بأنهم) أي بسبب انهم (قوم لا يعقلون) أي فأن
السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزيمة والعقل يمنع منه ونزل المسأله من اليهود النبي صلى
الله عليه وسلم عن يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما أنزل المينا الآية فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينًا شرًا من دينكم
(قل يا أهل الكتاب هل تتقون) أي تشكرون (مننا) وتعيبون يقال نقم منه كذا أنكره وانتقم
إذا كافأه (الآن آمننا بالله وما أنزل المينا وما أنزل من قبل) أي إلى الأنبياء وقوله تعالى
(وإن أكثركم فاسقون) عطف على إن آمننا والمعنى ما تشكرون مننا إلا إيمانًا ومخالفًا لكم
في عدم قبول الإيمان المعبر عن عدم قبوله بالفسق اللازم عن عدم القبول وليس هذا مما
يشكر (قل) إلههم يا محمد (هل أنبئكم) أي أخبركم (بشئ من ذلك) أي الذي تتقونه (منو به
عند الله) نصب منو به على التمييز أي ثوابًا معني جزاء (فان قيل) المثوبة مختصة بالاحسان كما
أن العقوبة مختصة بالشر (أجيب) بأن ذلك على سبيل التهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب
أليم وقوله تعالى (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على
حذف مضاف قبل لفظ ذلك أو قبل لفظ من لعنه وتقديره بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو
بشر من ذلك دين من لعنه الله لأن الدين المشار إليه غير مطابق لقوله من لعنه الله في معنى
يشترط فيه لفظ شرفه قدر أهل قبل ذلك أو دين قبل من لا يطابق (فان قيل) هذا يقتضي
كون الموصوفين بذلك الدين محكومًا عليهم بالشر ومعلوم أنه ليس كذلك (أجيب) بأنه
انما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فانهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شرف قليل
لهم هب أن الأمر كذلك ~~ا~~كن لعنة الله وغضبه ومسوخ الصور شر من ذلك والذين لعنهم الله
في هذه الآية هم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عايم بكفرهم وانما حكمهم في المعاصي بعد
وضوح الآيات ومسوخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل

مائدة عيسى وقيل كلا المسحجين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قرده ومشايخهم خنازير
 روى أنهم المازلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فيبتكسون
 رؤسهم وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) عطف على صله من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وقرأ
 حمزة بضم باء عبد وكسر تاء الطاغوت على انه اسم جمع لعبد عطف على من والباقون نصب
 الباء من عبد والياء من الطاغوت والطاغوت الشيطان أو الجبل لانه معبود من دون الله
 ولأن عبادتهم للجبل عماز به لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
 وعن ابن عباس رضى الله عنهم الطاغوت الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى
 * (تنبيه) * روى في منهم معسى من وفيما قبلها لفظها وهم اليهود (أولئك) أى الملعونون
 الملعونون (شر مكاناً) لأن مأواهم النار وجعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة
 ليست في قولك أولئك شر ومكاناً تميز (وأضل عن سواء السبيل) أى طريق الحق وأصل السواء
 الوسط (فان قيل) ذكر شر وأضل يقتضى مشاركة المؤمنين والكفار في الشر والضلال
 وإن الكفار أشرو وأضل مع ان المؤمنين لم يشاركوا الكفار في شئ من ذلك (أجيب) بأن
 مكان هؤلاء فى الآخرة شر وأضل من مكان المؤمنين فى الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال
 الحاصل لهم بالهموم الدنيوية كسماع الأذى وغيره وأن ذلك على سبيل التمثيل والتسليم للخصم
 على زعمه الزامه بالبحجة وهذا أولى * ونزل فى يهود نافقوا النبي صلى الله عليه وسلم (واذا جاؤكم
 قالوا آمنا وقد) أى قالوا ذلك والحال أنهم قد (دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قد خرجوا)
 من عندكم متلبسين (به) أى الكفر كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما سمعوا به من تذكيرك
 بآيات الله ومواعظك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغيره فى جميع أحوالهم من
 أقوالهم وأفعالهم وفى هذا وعيد لهم (وترى كثير منهم) أى اليهود أو المنافقين (يسارعون) أى
 يجمعون سريراً (فى الإنتم) أى الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الإنتم (والعدوان) أى الظلم
 وقيل الإنتم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام كالرشا
 (لبئس ما كانوا يعملون) علمهم هذا (لولا) هلا (بنهاهم) أى يجتدد لهم النهى (الربانيون) أى
 المتدعون للتخلي من الدنيا الى سبيل الرب (والاحبار) أى العلماء (عن قولهم الإنتم) أى الكذب
 (وأكلهم السحت) أى الحرام هذا التحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على
 الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المضارع المستقبل أفاد التحضيض (لبئس ما كانوا
 يصنعون) ترك نهيهم (فان قيل) لم عبر فى الأول بـ يعملون وفى الثانى يصنعون (أجيب) بأن
 كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولذلك ذم بهذا
 خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية أقبح من موقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وقيل
 اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جدير بأبلغ الذم فيدخل فى الذم كل من كان قادراً على
 النهى عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي أشد آية ترات
 فى القرآن وعن الصحابة ما فى القرآن آية أخوف عندي منها (وقالت اليهود) مما ضيق عليهم

بشكذبيهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية (يد الله مغلوله) أى
هو ممسك يفتقر بالرزق وغل البد وبسطها مجاز عن الجمل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولو أعطى
الاقطع إلى المنسكب عطاء جزيلًا قالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط البد وقبضها عيارتان
وقعتا متعاقبتين للجمل والجود وقد استعملوا حيث لا تصح اليد كقولهم بسط اليأس كفيه
في صدرى فجعلت اليأس الذى هو معنى من المعانى لامن الأيمان كفان (فان قيل) قد تقدم
أن قوله يد الله مغلوله عبارة عن الجمل فما تفعل في قوله تعالى (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق
ما تقدمه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالجمل والتكبد ومن ثم كانوا أنجمل
خلق الله تعالى وأنكدهم والمطابقة على هذا ظاهرة ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي
حققة يغالون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم كما قال تعالى إذا اغللال
في أعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون المطابقة حاصلة من حيث لفظ مغلوله وغلت من
حيث ملاحظة أن الأصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله (ولعنوا) أى أبعدوا
مطرودين عن الجذاب الكريم (بما قالوا) فن لعنهم أنهم مسخو أقدرة وخنازير ثم رد الله تعالى
عليهم بقوله (بل يدها مبسوطتان) مشيرًا بالتنبيه إلى غاية الجود وان غاية ما يذله السخى من ماله
أن يعطى بيديه جميعا (ينفق كيف يشاء) أى هو محتار في انفاقه يضيئ ناره ويوسع أخرى على
حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقيل القائل هذه المقالة فخص بن عازر وأما
لم ينه الآخر ورضوا بقوله أشركهم الله تعالى فيها (وليزيدن كثير منهم) أى ممن أراد
الله فتنه ثم ذكر فاعل الزيادة فقال (ما أنزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا) أى عاديًا
في الجود (وكفرا) بآيات الله فيزدادون على كفرهم وطغيانهم طغيانا وكفرا مما يسعون من
القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء (وألقينا بينهم العداوة
والبغضاء إلى يوم القيامة) فكل فرقة منهم تخالف الأخرى فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
أقوالهم (كلما وقد وانار للعرب أطفأها الله) أى كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقيم
لهم نصر من الله تعالى على أحد وقد أناهم الإسلام وهم في ملك الجوس وقيل خالفوا حكم
التوراة فبعث الله عليهم مجتنبهم ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس بالفاء الرومى ثم أفسدوا فسلط
الله عليهم الجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بيلدة الا وجدت منهم من أذل الناس (ويسعون في الأرض
فسادا) أى ويجهتدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم
وانارة الحرب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) أى فلا يجازيهم الا شرًا (ولو أن
أهل الكتاب آمنوا) أى بجمعة صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) أى الكفر (لكفرنا عنهم
سيئاتهم) أى التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولا دخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين وفي هذا
اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة راحة الله تعالى

وفقه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سياآت اليهود والنصارى
 وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان السكابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو أنهم سم آقاموا
 التوراة والانجيل) أى آقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيه مامن نعت محمد صلى الله عليه
 وسلم (وما أنزل اليهم) أى من الكتب المنزلة (من ربهم) لانهم مكلفون بالايمان بحججهم
 فكانهم أنزل اليهم وقبل هو القرآن وقوله تعالى (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)
 عبارة عن التوسعة أى لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم من بركات السماء والارض
 أو ان تكثرا الاشجار المثمرة والزروع المغلة أو ان يرزقهم الجنان البانعة الثمار فيجنيون من رأس
 الثمر والشجر وبلقة طون ما تنساقط على الارض من تحت أرجلهم بين سبحانه وتعالى بذلك
 ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا بقصور الفيض ولو أنهم سم آمنوا وآقاموا ما أمر وابه
 لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم أمة) أى جماعة (مقتصدة) أى عادلة غير غالية
 ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وغاية وأربعون من النصارى آمنوا بالانبي صلى الله
 عليه وسلم وقيل متوسطه في عداوته (وكثير منهم ساء) أى بقس (ما) أى شياً (يعملون) فيه معنى
 التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما ساء عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف وأصحابه والروم روى
 مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله فقد
 كذب وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما أنزل اليك من ربك) أى لا تكتم شيئاً منه خوفاً ان
 تنال بمكره (وان لم تفعل) أى وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فابالغت رسالتك) أى لان كتمان
 بعضها ككتمان كلها أى ولان بعضها ليس بالاولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك
 أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكها وعن ابن عباس رضى الله
 تعالى عنه ما ان كتمت آية لم تبلغ رسالتى واختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في عتب
 اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون
 به ويقولون تريد أن نخذلك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه
 وسلم ذلك نزلت هذه الآية وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يسئ
 أحياناً عن حثهم على الجهاد وقيل لما نزلت آية التخيير وهى قوله تعالى يا أيها النبي قتل لازواجك
 فلم يعرضها عليهم خوفاً من اختيارهن الدنيا فترت وقيل غير ذلك وقروا نافع وابن عامر وشعبة
 بألف بعد اللام وكسر التاء والباقون بغير ألف ونصب التاء (والله يعصمك من الناس) أى
 يحفظك ويعصمك منهم (فان قيل) أليس قد شج وجهه وكسرت ربايته صلى الله عليه وسلم وأذى
 بضروب من الأذى (أجيب) بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفى هذا تنبيه على
 أنه يجب عليه أن يحقق كل ما دون النفس من أنواع البلايا فما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام وقيل نزلت هذه الآية بعدما شج رأسه لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن
 وروى اسحق بن راهويه في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثنى الله برسالاته
 فضقت بهادراً فأوحى الله الى أن لم تبلغ رسالاتى عذبته وضمن لى العصمة فتقويت وعن أنس

رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال
انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمتي الله من الناس قال البيضاوي وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما أنزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من
الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه اه قال بعض العارفين ولهذا قال تعالى بلغ ما أنزل اليك
ولم يقل ما نعرفناه اليك واعلم أن المراد من الناس ههنا الكفار بدليل قوله تعالى (ان الله لا يهدي
القوم الكافرين) أى لا يمكنهم بما يريدون وروى انه عليه الصلاة والسلام نزل تحت شجرة في
بعض أسفاره وعلني سيقفه عليها فأناه أعرابي وهو نائم وأخذ سيقفه واختطه وقال من يمنعك
منى يا محمد قال الله تعالى فرعدت يد الاعرابي وسقط من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر
دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) أى دين بعتم به حتى يسمى شيئا ألفساده وبطلانه كما تقول
هذه ليس بشئ تريد تحقيره وتضعير شأنه وفي أمثاله هم أقل من لا شيء (حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) أى بأن تعملوا بما فيها ومن أقامتها بالايان بمحمد صلى
الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية بأسرها آخرة بالايان بن صدقته المحجزة
ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولها وما ينسخ من فروعها (وايزيدن كثير منهم
ما أنزل اليك من ربك) أى من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلأناس) أى تحزن
(على القوم الكافرين) ان لم يؤمنوا بك أى لا تهتم بهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا ينفعناهم
وفي المؤمنين مندوحة عنهم لك (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود (والصابئون)
فرقة منهم (والنصارى) وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (فان قيل) بم رفع الصابئون
وكان حقهم والصابئين (أجيب) بأنه رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما
في خبر ان مع اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والافاعلوا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

والشاهد في أنتم فانه مبتدأ حذف خبره والتقدير والافاعلوا بغاة وأنتم كذلك (فان قيل) ما فائدة
هذا التقديم والتأخير (أجيب) بأن الصابئين أشد العرب المذكورين في هذه الآية ضلالا
وما هم وصابئين الا لانهم صبوأ عن الاديان كلها أى خرجوا فكأنه قال هؤلاء الفرق الذين
آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله فو بتهم حتى الصابئون فانهم ان آمنوا كانوا أيضا كذلك
وقيل منصوب بالفتحة فكجا جوز بالفتحة مع الباء في بين وسين جوز مع الواو كأنه وقوله تعالى
(من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل رفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم
يخزنون) في الآخرة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والجمله خبر ان (فان قيل) كيف قيل
الذين آمنوا ومن آمن (أجيب) بأن المراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتم وهم المنافقون
أو ان المراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يتخالجه ريبه فيه (لقد أخذنا ميثاق
بنى اسرائيل) أى على الايمان بالله ورسوله (وأرسلنا اليهم رسلا) أى ولم تكف بهذا العهد بل

أرسلنا رسلا ليدكرهم وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي بما
يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكليف (فريقا) أي من الرسل (كذبوا) أي كذبهم
بنو إسرائيل من غير قتل كعيسى (وفريقا) منهم (يقولون) كزكرا ويحجي وانما يحيى يقتلون موضع
قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضار تلك الحالة الشنيعة للتعجب منها وتنبه على أن ذلك
دينهم ماضيا ومستقبلا ومحاطة على رؤس الآي (وحسبوا) أي ظن بنو إسرائيل (أن
لا تكون) أي توجد (قننة) أي لا يصيهم بها عذاب في الدنيا ولا في الآخرة بل استخفوا بأمرها
ولا تعجب أنت من جرأتهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وقرأ أبو عمر وروضة والكسائي برفع
النون تنزيلا للحساب منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون قننة والباقون
بالنصب على أن الحساب على باب (فعموا) أي عن الحق فلم يصروه وهذا العمى هو الذي لا عى
في الحقيقة سواء وهو انطماس البصائر فأنه الانعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
(وصموا) عنه فلم يسمعه أي عوا وصموا بعد موسى ويوشع عليهم السلام والصمم أضر من العمى
فصاروا كمن لا يهتدى إلى سبيل أصل لأنه لا يبصر له بعين ولا قلب ولا سمع (ثم تاب الله عليهم) بيعث
عيسى بن مريم فرفعوه إلى الحق (ثم عوا وصموا) كزرة أخرى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير عما يعملون) أي وان دق فيجانيهم به وفق أعمالهم
(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) وهم اليهودية منهم القائلون بالاتحاد (وقال
المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله وربي وربكم) أي إني عبد ربوب مثلكم فاعبدوا خالق وخالقكم
(أنه من يشرك بالله) أي يشرك في العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) أي منعه من دخولها
منعاً مستحقاً فأنه أدار الموحد (وما أواه النار) أي محل سكناه فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين
من أنصار) أي ومالهم أحد ينصرهم من النار لا بقدر ولا بشفاعاة ولا بغيرهما فوضع الظاهر
موضع المضمرة تسجيلا على أنهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من
كلام الله تعالى نبه على أنهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورد وأنكره وإن كانوا عظمين له بذلك ورافعين من مقداره
وأن يكون من كلام عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد مني فيما تقولون ولا يساعداكم
عليه لاستحالة وبعده عن العقول أو لا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله (لقد كفر
الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية وفيه
اضمار معناه ثالث ثلاثة لأنهم يقولون الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد
من هؤلاء الهة فهم ثلاثة آلهة بين هذا قوله تعالى للمسيح أنت قلت للناس اتخذوني وأبي الهين
من دون الله ومن قال إن الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يردبه الآلهة لم يكفر فإن الله يقول
الله ثالثهما ثم قال الله تعالى رداعليهم (وما من إله إلا الله واحد) أي وما في الموجودات واجب
مستحق للعبادة من حيث أنه مبدأ جميع الموجودات إلا الله واحد موصوف بالوحدانية معمال

عن الشركه ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتوا) أى الكفرة بجميع أصنافهم (عما يقولون)
 أى من هاتين المقاتلتين وما دانا هما (ليسن) أى مباشرة من غير حائل (الذين كفروا) أى داوموا
 على الكفر (منهم عذاب أليم) أى مؤلم لم ينقطع عنهم لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى
 (أفلا يتوبون) أى يرجعون بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه ولا أبين من فساده
 (الى الله ويستغفرونه) أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من تلك العقائد والاقوال
 الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحوال بعد هذا التقريع والتهديد (والله
 غفور) أى بالغ المغفرة يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (رحيم) أى بالغ الاكرام لمن أقبل
 عليه فيغفر لهم ويغفهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم (ما المسيح
 ابن مريم الا رسول قد خلت) أى مضت (من قبله الرسل) أى ليس هو بالله كالرسل الذين مضوا
 لم يكونوا آلهة وما من خارقة له الا وقد كان مثلها أو أعجب منها لمن كان قبله فان كان قد أحيا
 الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسبح على يد موسى وهو أعجب وان كان قد خلقه
 من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمه صديقه) أى بليغة الصديق في نفسها
 كسائر النساء الا انى يلزم الصدق او يصدقن الانبياء كما قال تعالى فى وصفها وصدقت
 بكلمات ربها وهذه الآية من أدلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نسية فانه تعالى ذكر
 أشرف صفاتها فى معرض الرد على من قال بالهيمتها اشارة الى ما هو الحق فى اعتقاد ما لها من
 اعلى الصفات فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه عليها السلام
 الصديقية * (فائدة) * مريم من أزواج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الجنة * ولما بين سبحانه
 وتعالى أقصى ما لها من الكمالات بين أن ذلك لا يوجب لهما اللوهية بقوله (كانا باكلان
 الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم لم يكن الاجسام مركبان
 عظم ولحم وعروق وأعصاب واخلط وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع. وثأف مدبر كثيره من
 الاجسام فكيف يكون الها وخص الاكل بالذكر لانه أصل الحاجات والاله لا يكون محتاجا وقبل
 هذا كناية عن الحدث لان من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط ومن كانت هذه صفته كيف
 يكون الها * ثم لما أوضح الله تعالى لهم الادلة فى أمرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما اذ عوا فيهما
 اتبعه التعجب بقوله (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدانيتنا (ثم انظر أئى) أى
 كيف (يؤفكون) أى يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (فان قيل) ما معنى التراخي فى قوله
 تعالى ثم انظر (أجيب) بأن معناه التفاوت بين العجبيين أى أن بيانا للآيات عجب واعراضهم
 عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله) أى غيره يعنى عليه السلام (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)
 أى لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضرك الله تعالى به من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال
 ولأن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة والخصب وكل ما يستطعمه البشر
 من المضار والمنافع فباقدار الله تعالى وتمكينه وكأنه لا يملك شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمر
 عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى أن يكون قادرا

على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته تعالى (فان قيل) اذا كان المراد السيد عيسى فلم عبر بما دون
 من مع ان المراد من يعقل (أجيب) بأنه أتى بما نظر الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة
 عنه رأساً وتنبه على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبعضل عن
 الالوهة أو ان المراد كل ما عدا من دون الله تعالى سواء كان ممن يعقل أم لا (والله هو السميع)
 لا قوا لكم (العليم) بأحوالكم فيجازي عليها ان خير الخيرة ان شر الشر والافتقار للاستفهام لا انكار
 (قل يا اهل الكتاب) أى عامة (لا تغلوا) أى تجاوزوا الحد (في دينكم) وقوله تعالى (غير الحق)
 صفة لاهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أى غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو
 أن يجتهد في تحصيل حجة كما يفعل المتكلمون وغلوا باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
 عن الادلة فيرفعوا عيسى عليه السلام الى أن يدعوا له الالهية أو يضعوه ويرتابوا فيه وقيل
 الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) في غلوهم وهم أسلافهم الذين
 قد ضلوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شريعةهم (وأضلوا كثيراً) أى من الناس
 بتماديهم في الباطل من التشليل وغيره حتى ظن حقاً (وضلوا) أى بعد مبعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (عن سواء السبيل) أى طريق الحق وهو الاسلام والسواء في الاصل الوسط والاهواء
 ههنا المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال أبو عبيد لم يذكر الهوى الا في موضع الشر
 لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سعى الهوى لأنه يهوى بصاحبه
 الى النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هوى على هو الف قال كل هوى ضلالة
 (عن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) أى لعنهم الله في الزبور على لسان داود
 وان اهل ايله لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فتنخوا
 قردة وخنازير وقوله تعالى (وعيسى بن مريم) عطف على داود أى لعنهم الله في الانجيل على لسان
 عيسى بن مريم وهم أصحاب المائدة قالم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
 آية فتنخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى قال بعض العلماء ان اليهود
 كانوا يفتخرون بناس من أولاد الانبياء فذكر الله تعالى هذه الآية ليدل على أنهم ملعونون على
 أسنة الانبياء (ذلك) أى اللعن المذكور (عما) أى بسبب ما (عصوا وكانوا بعتدون) ثم فسر
 المعصية والاعتداء بقوله تعالى (كانوا لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضاً (عن منكر)
 أى معاودة منكر (فعلوه) أو عن مثل منكر أو عن منكر ارادوا فعله وهم يؤلهوا وانما ذكر
 لان التناهي عن منكر قدمه مضي محال (لبئس ما كانوا يفعلون) أى يفعلونه والمخصوص بالذم
 محذوف أى فعلهم هذا قال بعض المفسرين فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي
 عن المنكر وقلة عيبتهم به كأنه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه
 من المباهجات في هذا الباب (تري كثيراً منهم) أى من اهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) أى
 يتوالون المشركين بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)
 من العمل لمعادهم (أن سخط الله عليهم) أى غضب عليهم (وفي العذاب هم خالدون) أى دائماً

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم) وما أنزل اليه من عند الله تعالى أعم من القرآن وغيره إيماناً خالصاً من غير نقاق (ما اتخذوهم) أي المشركين (أولياء) إذا الإيمان يمنع ذلك (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الإيمان وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كأيديهم ما اتخذوا المشركين أولياء كالم يولاهم المسلمون (لتجدن) يا محمد (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهما كهم في اتباع الهوى وفي جعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين دلالة على شدة عداوتهم لهم بل نبه على تقدم قدمهم فيما على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى وتجدنهم أحرس الناس على حياة ومن الذين أشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلايم وديان يسلم الالهما بقتله (ولتجدن أقرهيم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) انما أسند تسميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود لانهم الذين سمو أنفسهم نصارى حين قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله الاية أولانهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ناصرة وكانهم لم يكونوا ساكنين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهوداً فانها حقيقة سواء سمو بذلك لكونهم أولاد يهودا بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة المجل بقولهم انا همدنا اليك أو لتحررهم في دراستهم ثم علل سبحانه و تعالى سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين) أي علماء (ورهباناً) أي عباداً (وأنهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين من الحبشة لافي كل النصارى لانهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب ديارهم وهدم مساجدهم وحرقت مصاحفهم قال أهل التفسير اتخمت قريش أن يقتلوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعمة أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال انهم املكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالعربية عطمة وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصرو وكسرى فخرج اليه مائة رجل وأربع نسوة من جلاتهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وتابيع المسلمون اليهما فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك أرسلوا الى النجاشي بالهدايا ليردهم اليهم فعصمهم الله تعالى وانصرفوا خائبين وأقام المسلمون هناك بحسن دار وخير جوار الى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا دينه في سنة ست من الهجرة فكتب

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري لزوجته أم حبيبة بنت أبي
 سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فاستسرت بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزورها
 تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستسرت بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزورها
 وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأنفذ اليها أربع مائة دينار قالت أم حبيبة
 فخرجننا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فخرج من خرج اليه وأقمت بالمدينة
 حتى قدم ووافي جعفر بن أبي طالب وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا
 عليهم ثياب الصوف منهم اثنتان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى (وإذا
 سمعوا ما أنزل الى الرسول) من القرآن (يرى أعينهم قيعض من الدمع) أي جعلت أعينهم من
 فرط البكاء كأنهم انقيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الأولى للابتداء والثانية لتبيين
 ما عرفوا من الحق أو التبعية فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف
 اذا عرفوا كله وقال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم بعث اليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بكتاب فقرأ عليهم ثم دعا بجعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان
 والقيسين وأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم كهيئة صفا زالوا ويكون حتى فرغ
 جعفر من القراءة قالوا آمنا كما قال تعالى (يقولون ربنا آمنا) أي صدقنا بك وكتابك
 (فاكتبنا مع الشاهدين) أي أمية محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم
 القيامة دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس واذا نظرت مكاتبات النبي صلى الله
 عليه وسلم ازددت بصيرة في صدق هذه الآية فانه ما كتب نصرانيا الا آمن أو كان
 يساريا ولم يسلم كهزقل والمقوقس وهودة بن علي وغيرهم وغايتهم أنهم ضنوا بملكهم وأما غير
 النصاري فانهم كانوا على غاية في القضاة ككسرى فانه منق ككاتبه صلى الله عليه وسلم ولم يجز
 رسوله بشئ قال البقاعي السرفي ذلك انه لما كان عيسى عليه الصلاة والسلام أقرب الانبياء
 زمنا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان المنتقون اليه ولو كانوا كفرة أقرب الامم مودة
 لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في جواب من غيرهم بالاسلام من اليهود (وما لنا
 لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) وهو القرآن لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه وقوله
 تعالى (ونطمع) معطوف على نؤمن (أن يدخننا ربنا مع القوم الصالحين) أي المؤمنين
 الجنة (فأنا لله الله بما قالوا) أي جعل جوابهم على هذا القول المسند الى خلوص النية
 الناشئ عن حسن الطوية (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أي الجزاء
 العظيم (جزاء الحسنين) أي بالايمن (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي الذين لا يتقون عنها الا غيرهم من عصاة المؤمنين وان كثرت بكائرهم وعطف
 بالكذب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
 في معرض المصداقين بهم اجماعا بين الترغيب والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا) أي

لاتنعموا أنفسكم بنذرا وعين أو غير ذلك (طيبات) أى مستلذات (ما أحل الله لكم) كنع
 التحريم أى لاتقولوا حرمتها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدها منكم
 وتشفها (ولاتعتدوا) حدود ما أحل الله لكم الى ما حرم عليكم (ان الله لا يحب المعتدين) أى
 لا يفعل فعل المحب من الاكرام للمفترطين فى الورع بحيث يحرمون ما أحل الله ولا للمفترطين فيه
 الذين يحللون ما حرم أن يفعلوا فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول فالآية ناهية
 عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصف يوم القيامة لأصحابه فبالغ وأشبع فى الكلام فى الانذار فرق الناس وبكوا واجتمع
 عشرة من الصحابة رضى الله عنهم فى بيت عثمان بن مظعون وهم أبو بكر الصديق وعلى بن
 أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبي حذيفة
 والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعاقل بن مقرن وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى
 عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويحبوا ما كبرهم
 ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يشاموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
 النساء والطيب ويسبحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الم أشبهكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ما أردنا الا الخير
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أؤمر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فاصوموا
 وأفطروا وقوموا واناموا غانى أقوم وأنام وأصوم وأفطروا أكل اللحم والدم وآتى النساء ففى
 رغب عن ستنى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام يحرمون النساء والطعام
 والطيب والنوم وشهوات الدنيا ما لى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس
 فى دينى ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيةهم الجهاد
 اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان
 واسمعوا واستمعوا لكم فاتحاهم من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 فأولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فأ نزل الله تعالى هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف
 نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها أو كانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأ نزل الله تعالى لا يؤخذكم الله
 باللغو فى أيمانكم الآية وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوز
 وكان يحبب الحلاوة والعسل وقال المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى
 عنه ان رجلا قال لى حرمت الفراش قتلاه هذه الآية وقال نعم على فراشك وكفر عن عينك
 وعن الحسن أنه دعى الى طعام ومعه فرقان السجى وأصحابه فقدموا على المائدة وعليها الألوان
 من الدجاج والفالوز وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهوصائم فقالوا لا ولكن يكره
 هذه الألوان فقال يا فرقة أترى لعباب النحل بلباب البربخا لى السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل
 له فلان لا يأكل الفالوز يقول لا تؤدى شكره قال أفشرب الماء البارد قال نعم قال أنه جاهل
 ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوز وعنه ان الله تعالى أدب عباده

فأحسن أدبهم قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فسنعموا
 وأطاعوه ولا عذر قومادواها عنهم فعصوه وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال انذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منامن خصي ولا من
 اختصى ان خصاء أمي الصيام فقال يا رسول الله انذن لي بالسماحة فقال ان سماحة أمي الجهاد
 في سبيل الله قال يا رسول الله انذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمي الجاهلوس في المساجد لا تظار
 الصلاة وروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت فأخذتني شهوة فخرمت
 اللحم فانزل الله تعالى هذه الآية ولا تعارض بين الخبرين لأن الشيء الواحد قد يكون له أسباب
 جمة بعضها أقرب من بعض وروى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن القبول نهيا شديدا وقال
 تزوجوا الولود والودود فاني مكاثرتكم بالام يوم القيامة (وكوا ومارزقكم الله) ولما كان
 الرزق يقع على الحرام قبله بعد القيد بالتبع بعض بقوله (حلالا طيبا) وهو مفعول كاوا ومما حال
 منه تقدمت عليه لانه نكرة وقوله تعالى (واتقوا الله) تأكيده للتوصية بما أمر الله به
 وزاده تأكيده بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما أمر
 به ومما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله بالغوا) الكائن (في ايمانكم) هو ما يدوم من المرء بلا قصد
 كقول الانسان لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل هو الحلف على
 ما يظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم)
 أي وثقتكم (الايمان) عليه بأن حلفتكم عن قصد روى أن الحسن سئل عن اغوا اليين وكان عنده
 الفرزدق فقال يا أبا ساعد عني أجب عنك فقال

ولست بما خوذ بل بوثقوله * اذالم نعد عاقدات العزائم

والمعنى ولكن يؤاخذكم الله بما عقدتم اذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم بخذف التقدير بأحد
 الامرين للعالم به وقرأ ورش يؤاخذكم بأبدال الهزة واوامفتوحة وقرأ ابن ذكوان عاقدتم
 بألف بعد العين وتخفيف القاف والباقون بغير ألف مع تشديد القاف (فكفارتهم) أي اليين
 اذا حنثتم فيه التي تذهب اثمهم وتزيل أثرهم بحيث تصيرون كأنكم ما حلفتهم (اطعام عشرة
 مساكين) أي لكل مسكين مئذ عندنا ونصف صاع عند أبي حنيفة رحمه الله (من أوسط) أي
 أعدل (ما تطعمون أهليكم) من بر أو غيره لامن أعلاه ولا من أدناه (أو كسوتهم) بما يسمى كسوة
 كقميص وعمامة وازار وسراويل ومقنعة من صوف وقطن وكنان وحري ولولرجل وان لم
 يجزله لبسه لوقوع اسم الكسوة عليه رديا كان أوجيدا ويجزئ لبدأ وفروة اعتبر في البلد لبسها
 ولا يكتفي دفع ما ذكر لمسكين واحد وعليه الشافعي ولا يكتفي المكعب والنعل والخف والقلنسوة
 واللبان وهو سراويل قصيرة لا تبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى كسوة (أو تحرير رقبة) أي
 مؤمنة كافي كفارتها القتل والظهار جلالا للمطلق على المقدم وجوز أبو حنيفة عتق الكافرة
 في كل كفارة الا القتل وخروج بالتخيير بين هذه الثلاثة أنه لا يجزئ أن يطعم خمسة وينكسو
 خمسة كما لا يجزئ اعتاق نصف رقبة واطعام خمسة (فن لم يجزئ) أي بان عجز عن أحدها ذكر

(فصيام ثلاثة أيام) أى فكفارة صيام ثلاثة أيام ولا يجب متابعتها (فان قيل) قرئ شاذاً متتابعات والقراءة الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيما منه ما ولان من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حل المطلق على المقيد من جنسه وهو الظهار والقتل (أجيب) بأن آية اليمين نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكم فلا يستدل بها بخلاف آية السرقة فانها نسخت تلاوة لاحكام وبأن المطلق ههنا مترددين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان فلم يكن أحد الأصلين في التتابع بأولى من الآخر ويسن متابعتها من خلاف أبي حنيفة فانه شرط متابعتها * (تنبيه) * المراد بالهجز أن لا يقدر على المال الذي يصرفه في الكفارة كمن يجد كفايته وكفاية من قلزمه مؤتمه فقط ولا يجسد ما يفضل عن ذلك وضابط ذلك أن من جازله أن يأخذ منهم الفقراء والمساكين من الزكاة والكفارات جازله أن يكفر بالصوم لانه فقير في الأخذ فكذا في الاعطاء (ذلك) أى المذكور (فكفارة أيما منكم إذا حلقتكم) أى وحنتكم (واحفظوا أيما منكم) أى من أن تنكثوا ما لم تكن من فعل برئ وأصلاح بين الناس كما مر في سورة البقرة (كذلك) أى مثل ما بين لكم ما ذكر (بين الله لكم آياته) أى أعلام شريعته (لعلكم تشكرون) أى يحصل منكم شكر يحفظ جميع الحدود والآمرة والنهي (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر) أى المسكر الذي خامر العقل سواء فيه كثيره وقليله (والميسر) أى القمار (والانصاب) أى الاصنام (والازلام) أى قداح الاستقسام (رجس) أى خيث مستقذر وانما وحد الخبر للنص على الخمر والاعلام بأن أخبار الثلاثة حذف وقد رت لأنهم أهل لان يقال في كل واحدة منها على حديثها كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التنفير عنها تأكيدها الرجسيتها بقوله تعالى (من عمل الشيطان) الذي يزينه (فاجتنبوه) أى الرجس المعبر به عن هذه الاشياء أن تفعلوه (لعلكم تفلحون) أى تظفرون بجميع مطالبكم واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجلالة تأتما وقرنه ما بالاصنام والازلام وسماها رجسا وجعلها من عمل الشيطان بتبسيها على أن الاشغال تغال بها شر خالص وأغالب وأمر بالاجتناب عن عيניהما وجعل الاجتناب سببا يرجي منه الفلاح ثم قتر ذلك بأن بين ما فيه من المفساد الدينية والدنيوية المقترضة للتحريم بقوله تعالى (انما يريد الشيطان) أى بتزيين الشرب والقمار لكم (أن يقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) أى إذا أتيتوهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن أما العداوة في الخمر فان الشارب اذا سكر عريه كما فعل الانصارى الذى شرب رأس سعد بن أبي وقاص بلحى الجمل وأما العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبق حريته ماسلوب الاهل والمال مغتاظا على حوافته (ويصدكم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك لان من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف فقدم رجل منهم فوصلى بهم صلاة المغرب بعدما مشروا فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا بحذف لا وانما

خضهما باعادة الذكر وشرح ما فيه - ما من الوبال تنبيهها على أنهما المقصودان بالبيان وذكر
 الانصاب والالزام للدلالة على أنهم ما مثلهم في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب
 الخمر كعابد الوثن - واه الزارور واه ابن حبان بلفظ مدمن الخمر كعابد الوثن قال ويشبهه أن
 يكون فيمن يستحلها وهو كذلك وحسن الصلاة بالذكر للأفراد بالاعظيم والاشعار بأن الصادق
 عنها كصادق عن الايمان من حيث انه عبادته والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحديث
 على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف بقوله تعالى (فهل أنتم
 منتهون) ايذاً بأن الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعذار قد انقطعت فلفظه
 الاستفهام ومعناه أمر كقوله تعالى فهل أنتم شاكرون (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما
 أمراكم به من اجتناب ذلك (واحذروا) محالتهما فيما ينهيكم عنه (فان توليتم) أي عن اطاعة
 (فاعملوا) أي على رسولنا البلاغ المبين أي فلا يضركم قولكم فاعملوا عليه الابلاغ البين وقد أدى
 وانما ضررتم أنفسكم * ولما نزل تحريم الخمر قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف
 يا خواتنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وبأكون الميسر نزل (ليس على الذين آمنوا وعمالوا
 الصالحات) تصديقاً لايمانهم (جناح) أي خرج (فيما طعموا) أي من مال الميسر وشر بوا من
 الخمر قبل التحريم (اذا ما اتقوا) أي المحرمات (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي ثبتوا على الايمان
 والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد الخمر (وآمنوا) بتحريره (ثم اتقوا) أي استمروا
 وثبتوا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) أي وتحذروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها وأتوا
 التمسك بربا اعتبار الاوقات الثلاثة الماضي والحال والمستقبل التي تقع فيها الافعال
 المذكورة وباعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
 وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولاجل استعمال الانسان التقوى بينه وبين الله
 ابدل الايمان بالاحسان في الآية الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسير
 الاحسان من قوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وباعتبار المراتب
 الثلاثة المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقرب به فانه ينبغي أن يترك المحرمات لوقايها من العقاب
 والشبهات تحذراً للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صوناً لها عن الخسة وتهذيباً لها
 عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) أي يشيهم * ونزل عام الحديبية وكافوا محرمين ابتلاهم
 الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم فهموا بأخذها (يا أيها الذين آمنوا ايبسوا عنكم الله
 أي ليحتمل فيكم) (يشئ) يرسله لكم (من الصيد) وانما بعض لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفائدة
 الابتلاء اظهار اطباع من العاصي والا فلا حاجة به الى البلوى (تأله أيديكم) أي ما لا يقدر أن
 يفتر من الصيد لصغر أو غيره (ورماحكم) أي ما يقدر على الفرار لكبر أو غيره (ليعلم الله) أي علم
 ظهوره فانه تعالى يعلم ما تخفي الصدور (من يخافه بالغيب) أي ليعلم من يخاف عقاب الله وهو
 غائب منتظر في الآخرة فيجتنب الصيد والمعصية أنه سبحانه وتعالى يخرج بالامتحان ما كان من
 أفعال العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقاً شهودياً كما كان تعلقاً غيبياً

ليقوم بذلك على الفاعل الحجة في مجازي عاد اتكم (فن اعتدى) أي فاصطاد (بعد ذلك) أي الاتلاء
 بالصيد (فله عذاب أليم) أي مؤلم وإن من لا يملك نفسه في مثل ذلك ولا راحي حكم الله فيه فكيف
 به فيما تكون فيه النفس أميل إليه وأخرى عليه (يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم
 حرم) أي محرمون بنفسك أو في الحرم والنهي عما يؤول كل لجه لانه الغالب فيه عرفا وأما غير
 المأكول فيجوز قتله فإنه لا حظ للنفس في قتله الا الراحة من أذاه ويؤيده قوله صلى الله
 عليه وسلم يقتل في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفأرة والكلب وفي رواية
 أخرى الحبة بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ وأنما ذكر القتل
 دون الذبح والذكاة لتعميم فان مذبح الحرم ميتة (ومن قتله منكم متعمدا) أي فاصد الصيد
 ذاكرا الذبح ان كان محرما والحرم ان كان فيه عالما بالتحريم وذكر العمد ليس لتقييد وجوب
 الجزاء فان اتلاف العامد والخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله تعالى ومن عاد فينتقم
 الله منه ولان الآية ترأت فين تعمد اذ روى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حجار وحش قطعته
 أبو قتادة برحمه فقتله فترأت وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد
 ابن جبيل لا آرى في الخطا شيئا باشرط العمد في الآية وعن الحسن روايتان وقوله تعالى (خزاه)
 متون في قراءة عاصم وحزوة والكسائي وما بعده مرفوع أي فعلية جزاء هو (مثل ما قتل من
 النعم أي شبهه في الخلقة لا التساوي في القيمة وقرأ الباقر وغير تنوين في جزاء وخفض لام مثل
 (يحكم به) أي المثل رجلا (ذوا عدل منكم) أي لهم ما فطنة يميزان بها أشبه الاشياء به فيمكن
 به وقد ذهب الى ايجاب المثل جماعة من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة بالمثل من النعم فحكم
 ابن عباس وعمر وعلي في العامة بيذنه وهي لا تساوي بدنه وعمر في الضبع بكبش وهو لا يساوي
 كبشا وابن عباس وأبو عبيدة في بقرا وحش وحماره بيقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي
 بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانه يشبهها في العيب والحمام كل ما عيب وهدر
 من الطير كالنواخت والقمري والذبسي قتل ذلك على أنهم ينظرون الى ما يقرب من الصيد
 شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة وقوله (هدايا) حال من جزاء وقوله تعالى (بالغ الكعبة)
 أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان وهو نعت لما
 قبله وإن أضيف الى معرفة لان اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم
 كالصقور والجراد فعليه قيمة (أو) عليه (كفارة طعام مسكين) في الحرم من غالب قوت
 البلد ما يساوي قيمة الجزء الكل مسكين مذ وقرأ نافع وابن عامر كفارة بغير تنوين وخفض ميم
 طعام والباقر بالتنوين ورفع ميم طعام أي هي طعام (أو) عليه (عدل) أي مثل (ذلك) أي
 الطعام (صياما) يصومه في كل موضع يتيسر له عن كل مديومافا والتخيير لانه الاصل فيها قال
 الباقي والقول بأنم الترتيب يحتاج الى دليل وقوله تعالى (لذيوق وبال أمره) متعلق بمنحذوف
 أي فعلية الجزاء أو الطعام أو الصوم أي ذوق سوء عاقبة هتك حرمة الاحرام والنو بال المذكور
 والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذوا ويلا أي

نفيلاً والطعام الوكيل الذي يشغل على المعدة ولا يستقر (عفا الله عما سلف) أى من قتل الصيد
 قبل تحريره فلا يؤخذ كبه (ومن عاد) الى نعمد شئ من ذلك بعد النهى وقوله تعالى (فبنتقم
 الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحو ذلك قوله تعالى
 فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أى ينتقم الله تعالى منه فى الآخرة وإذا تكررت من المحرم
 قتل الصيد تعددت عليه الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه
 تعلّقاً بظاهر الآية فإنه لم يذكر الكفارة قالوا لأن الانتقام من العائد ينسحق وجوب الكفارة
 (والله) الذى له صفات النكال (عزيز) أى غالب على أمره (ذوات مقام) أى من أصر على
 عصيانه * ولما كان هذا عاماً فى كل صيد بين تعالى أنه خاص بصيد البر فقال (أحل لكم) أيها
 الناس حلالاً كنتم أو محرّمين (صيد البحر) أى ما صيد منه وهو ما لا يعيش الا فى الماء كالسمك
 بخلاف ما يعيش فيه وفى البر عند الشافعى رحمه الله تعالى وذوهم قوم الى أن جميع ما فى البحر
 حلال وظاهر الآية تحمله وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لا يحل منه الا السمك وقوله تعالى
 (وطعامه) عطف على صيد البحر أى وأحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتاً
 قال صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور وماؤه الحل ميتته رواه أبو داود والترمذى
 وغيرهما وصحّوه وقال قتادة صيده طريه وطيّامه مالحه وقيل الضمير للصيد وطيّامه أكله وعلى
 هذا فالصيد بمعنى الاصطياد والمعنى أحل لكم اصطياد الصيد وأكل المصيد من الأنهار والبحر
 وغيرهما من جميع المياه كالبحر وقوله تعالى (منا) مفعول أى أحل لكم (لكم) تمية لكم تأكلونه
 طرياً (والسبابة) أى المسافرين منكم يتزوّدونه قديداً كما تزود موسى صلى الله عليه وسلم
 فى مسيره الى الخضر الحوت (وحرم عليكم صيد البر) أى اصطياده وأكل ما صيد منه لكم وهو
 ما لا يعيش الا فيه وما يعيش فيه وفى البحر فان صيد الحلال حل للمحرم أكله أقوله صلى الله عليه وسلم
 لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم (مادمت حراماً) أى محرّمين وقد ذكر تعالى تحريم
 الصيد على المحرم فى ثلاث مواضع من هذه السورة قوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم الى قوله
 تعالى وإذا حلتم فاصطادوا وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقوله تعالى وحرم عليكم
 صيد البر مادمت حراماً تشديد على المحرم أنه لا يتعاطى ذلك وأكذلك بقوله تعالى (واتقوا الله)
 أى فى ذلك الاصطياد وغيره (الذى اليه تحشرون) فإنه مجازيكم بأعمالكم (جعل الله السمكة)
 أى صبرها وسمى البيت كعبة لتكعبه أى تربيته وقال مجاهد سميت كعبة لترفعها والعرب تسمى
 كل بيت مرتفع كعبة وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقوله تعالى (البيت الحرام)
 أى المحترم عطف بيان على جهة المدح لعل على جهة التوضيح كما تبيى الصفة كذلك (قياماً للناس)
 أى يقوم به أمر دينهم بالحج أو العمرة اليه وديانهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى غرات
 كل شئ اليه قال الرازى والمراد بعض الناس وهم العرب وانما حسن هذا الجواز لأن أهل كل بلد
 إذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فهم لا يريدون الا أهل بلدتهم فلهذا السبب خوطبوا
 بهذا الخطاب على وفق عادتهم وقرأ ابن عامر قريماً بغير ألف مصدر قام غير محل والباقيون بالالف

(والشهر الحرام) أى الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورب أى صير الأشهر
 الحرم قيام للناس بأمنون فيها من القتال (والهدى) أى الذى لم يقد (والقائد) أى الهدى
 الذى يقاد فيذبح ويقسم على الفقراء ومزا الكلام عليه فى أول السورة (ذلك) أى الجعل
 المذكور وهو الأربعة الأشياء التى جعلها الله قياماً للناس (لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات
 وما فى الأرض) فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجب المنافع المترتبة عليها دلائل على
 علمه بما فى الوجود وما هو كائن وقوله تعالى (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد
 إطلاق وقوله تعالى (اعلموا أن الله شديد العقاب) فيه وعيد لا عدائه من انتهك محارمه وقوله
 تعالى (وان الله غفور) فيه وعد لا ليائه من حافظ عليها (رحيم) بهم وقوله تعالى (ما على الرسول
 الا البلاغ) فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما
 وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولم تترككم الطاعة فلا عذر لكم فى التقريط (والله يعلم
 ما تبدون) أى تظهرون من العمل (وما تكتون) أى تخفون منه فيجازيكم به وقوله تعالى (قل
 لا يستوى الخبيث والطيب) حكمهم عام فى نفي المساواة عند الله تعالى بين الردى من الأشخاص
 والأعمال والأموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو أن يحبكم كثرة الخبيث)
 اذ لا عبرة بالقلة والكثرة بل بالعودة والرداءة فإن الخلود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
 لكل معتبر ولذلك قال تعالى (فاتقوا الله) أى فى ترك الخبيث وان كثرت فى الحسن لنقصه فى المعنى
 وآتروا الطيب وان قل فى الحسن لكثرت فى المعنى (يا أولى الألباب) أى أصحاب العقول السليمة
 (لعلكم تفلحون) أى لتكفلوا على رجا من أن تغوزوا بجميع المطالب * ونزل لما كثرت أسوؤه
 صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا اتسألوا عن أشياء أن تبد) أى تظهر (لكم تسوكم) أى
 لمسا فيها من المشقة فقل سبب نزولها ما فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أنهم لما سألوا
 النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه المسئلة أى بالغوا فى السؤال فغضب وصعد المنبر وقال
 لا تسألونى اليوم عن شئ الا بينته لكم وشرع يكثر ذلك واذ رجل كان اذا لحن الرجل يدعى
 غير أبيه فقال يا رسول الله من أبى فقال حسداً فقال عمر رضى الله تعالى عنه رضينا بالله رباً
 وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما رأيت فى الخير والشر كما يوم قط انه قد صورت لى الجنة والنار حتى رأيتها وراء
 الحائط فى آخره فنزلت هذه الآية وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله انا حديث
 عهد بجاهلية اعف عنا يعف الله عنك فسكن غفسيه وللبخارى فى التفسير عن أنس أيضاً قال
 خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثله أظ قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
 ولبكيتم كثيراً فخطب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجلاً
 من أبى قال فلان فنزلت هذه الآية وللبخارى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم
 يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل تفضل
 ناقتي أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما أنه صلى الله

عليه وسلم كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه عما لا يعنيههم فقال
صلى الله عليه وسلم لأسأل عن شيء إلا وأجيب فقال رجل أين أنا قال في النار وقال آخر من أين
قال حدافة وكان يدعى لغيره فزلت هذه الآية وقيل غير ذلك ولا تعارض بين هذه الاخبار
ولو تعذر ردّها الى شيء واحد لما تم عند قوله تعالى لا تخرموا طيبات ما أحل الله لكم من أن الأمر
الواحد قد تعدد أسبابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشهيل الهمزة الثانية مع تحقيق
الاولى والباقيون بتحقيقهما ولما كان رعا وقع في وهم متعنت أن هذا الزجر انما هو لقصد راحة
المسؤول عن السؤال خوفا من عواقبه قال تعالى (وان تسألوا عنها) أى تلك الاشياء التي
تتوقع مسألتكم عند ابدائها (حين ينزل القرآن تبدلكم) المعنى اذا سألتكم عن أشياء في زمنه صلى
الله عليه وسلم ينزل القرآن يبدئها ومتى أبدأها سألتكم فلا تسألوا روى أنه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها وحدد حدودا فلا تعدوها ثم عفا عن أشياء
من غير نسيان فلا تبغثوا عنها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقيون
بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى (عفا الله عنها) استئناف أى عفا الله عما سلف من
مسئلتكم فلا تعودوا الى مسئلتها أو صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولا يكلف به اروى انه
لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراق بن مالك الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولولت نعم لو جبت ولو وجبت ما استطعت فاتركوني ما تركتكم
فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (والله غفور) يحو الزلات عينا وأثرا ويعقبها
بالاكرام (حليم) لا يجعل على العاصي بالعصية وقوله تعالى (قد سألتهم انهم) الضمير فيه للمسئلة
التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو الاشياء بمحذف الجار وقوله تعالى (من قبلكم) قال
البيضاوي متعلق بسألتهم وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالامنها
ولا خبرا عنها قال أبو حيان هذا محله في ظرف الزمان المجرد من الوصف اما اذا لم يجزده عنه
فيصح أن يكون صفة للجثة أو حالامنها أو خبرا عنها وقبل وبعد وصفان في الاصل فاذا قلت
جاء زيد قبل عمرو فالمعنى جاء في زمان قبل زمان مجيئه أى تقدم عليه ولذا صح وقوعه صلة
للموصول ولولم يلحظ فيه الوصف ولو كان ظرف زمان مجزء لم يجز أن يقع صلة قال تعالى والذين
من قبلكم ولا يجوزوا الذين اليوم وعن سألها قبلهم ثم سألوا صالحا الناقة وسأل قوم عيسى
المائدة (ثم أصبحوا) أى صاروا (بها) أى بسببها (كافرين) حيث لم يأثموا بما سألوا بحجودا
وقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ردوا نكار لما ابتدعه أهل
الجاهلية روى أن أهل الجاهلية كانوا اذا تجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكيرا ويحرموا أذننها
أى شقوها وتركوا الحمل عليها وتركوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ وقيل انهم
كانوا ينظرون الى خامس ولدها فان كان ذكرا فحرموا فأكله الرجال والنساء وان كان أنثى فحرموا
أذننها أى شقوها وتركوها وحرموا على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال واذا

ماتت حلت للرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل منهم يقول ان شفيت أو ردعاني ففانقي
 سائبة ثم يسبها فلا تجبس عن مرضى ولا ماء ولا تركب ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها
 وقيل كانت الناقة اذا تابعت نثى عشرة سنة انا سببت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم
 يشرب لبنها الاضيف فان تجبت بعد ذلك أنشئ شق أذنهما ثم يحلى سبلهما مع أمتها في الابل فلم يركب
 ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وأما الوصيلة
 فمن الغنم كانت اذا ولدت سبعة أبطن نظر فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال
 والنساء وان كانت أنثى تركوها في الغنم وقيل اذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
 لآلهم فان ولدت ذكرا أو أنثى قالوا وصلت أحباها فلم يذبحوا الذكرا لآلهم وكان ابن الانثى
 حراما على النساء فان مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا وأما السلام فهو الفحل اذا ركب ولد
 ولده ويقال اذا تجبت من صاب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حنى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
 ولا يمنع من ماء ولا مرضى واذا مات أكله الرجال والنساء وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا كنتم
 الخراعى يا أكرم رأيت عمرو بن لحي يجرق صبه في النار فخارأت من رجل أشبه برجل منك به ولا به
 منك وذلك انه أول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبجر البحيرة وسب السائبة ووصل
 الوصيلة وحى الحامى ولقد رأيته في النار يؤذى أهل النار بريح قصبه فقال أكرم أياضرى
 شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر ومعنى ما جعل الله أى ما شرع ذلك ولا أمر بالتجيز
 ولا التسيب ولا غير ذلك (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) في قولهم ان الله أمرنا
 بها (وأكرمهم لبيعة لون) أن ذلك افتراء لانهم قلد وافية آباءهم كما قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا
 الى ما أنزل الله الى الرسول قالوا احسننا) أى كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) اذ لم يستند لهم
 سوى ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) أى الى الحق والاستفهام
 لانكار أى أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين وقرأ هشام والكسائي قيل
 بضم القاف قبل الباء والباقون بالكسر (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها
 والزمو اصلاحها (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لا يضركم الضال اذا كنتم مهتدين ومن
 الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكرا
 واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وروى عن أبي
 بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
 عليكم أنفسكم الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرن ما هي وانى سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك أن يعمرهم الله بعد ذنوبهم وفي رواية
 لتأمرن بالمعروف وتنهتن عن المنكر اولى سمعتم ان الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب
 ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم قال أبو عبيدة خاف الصديق رضى الله عنه أن يتأول
 الناس الآية غير متأولها فإيدعوهم الى ترك الامر بالمعروف فأعلمهم أنهم اليه استكذلك قال أبو
 ثعلبة الخشني سألت عن هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف

وتناها عن المنكر حتى اذا رأيت شحاما طاعا وهوى متبعا ودينا مؤثرة واجباب كل ذي رأى برأيه
ورأيت الامر لا بد لك منه فعليك نفسك وذع أمر العامة وان وراءكم أيام الصبر فحين صبر فحين
قبض على الجروان وراءكم أياما لا تعمل فيهن مثل أخرجت من رجال يعملون مثل علمه قال ابن
المبارك وزادني غيره قال يا رسول الله أخرجت منكم قال أخرجت منكم وعن ابن عباس
رضي الله عنه ما أن هذه الآية قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة وليكن
بوشك إن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فيمنع ذلك عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلمة لمن
تأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط العذرة وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فحق قال اذا خال دونها
السيف والسوط والحبس وروى المؤمن القوي خير وأخب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي
كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت
كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل قدر الله وما شاء فعل وقيل كان الرجل اذا
أسلم قالوا له سفهت آباءك ولا موه فزلات عليك أنفسكم وعليكم من أسماء الذم جعل بمعنى
الرموا أنفسكم ولذلك نصب أنفسكم (إلى الله مرجعكم جميعا) الفضل والمهتدى (فيثبتكم
بما كنتم تعملون) فيجازيكم به وفي ذلك وعد ووعد للقريرتين وتنبه على أن أحد الايواخذ
بذنب أحد غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي فيما أمرتم شهادة بينكم فشهدادة مبتدأ
خبره محذوف قيل هذه الآية وما بعدها من أشكال أي القرآن حكما وأعرابا وتفسيرا والمراد
بالشهادة الاشهاد بالوصية وقيل المراد بها العين بمعنى عينا ما بينكم أن يحلف اثنان قال
القرطبي ورد لفظ الشهادة في القرآن على أنواع مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو وبمعنى أقر قال تعالى والملائكة
يشهدون وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من أهلها وبمعنى حلف قال تعالى فشهادة أحدهم
أربع شهادات وبمعنى وصى قال تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم (اذا حضر أحدكم الموت) أي
أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وهذا خبر بمعنى الامر أي يشهدواضافة شهادة
لبين على الاتساع وحين بدل من اذا وأظرف الحضر واثنان فاعل شهادة وأخبر مبتدأ محذوف
أي الشاهدان اثنان وقوله تعالى (أو آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل
الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وقد اتفق الاكثرون على انه لا ينسخ
في سورة المائدة وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم وانما اجازت
في قول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر (ان أنتم ضريتم) أي سافرت
(في الارض فاصابكم مصيبة الموت) أي قاربتم الاجل وقوله تعالى (تحبسونهم) أي
توقفونهم وتضربونهم ماضية لا آخران (من بعد الصلاة) أي صلاة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة كانت (فيقسمان) أي
يحلفان (بالله) وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان العين انما تكون اذا كانا من غيرنا فان كانا
مسلمين فلا عين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقة تمها فقد نسخ تخليفهما وان كانا الوصيين

فلا ثم شرط لهذا الحلف شرطاً فقال اعتراضاً بين القسم والمقسم عليه (ان ارتبتم) أى شككتم فيما
أخبر به عن الواقعة ثم ذكر القسم عليه بقوله (لأنشترى به غداً) أى بهذا الذى ذكرناه غداً أى لم
نذكره ليحصل لنا به غرض دينوى وان كان فى نهاية الجلالة وليس قصدنا به الاقامة الحق (ولو كان)
أى القسم له (ذاقربى) أى لنا (ولأنكم شهادة الله) أى التى أمرنا باقامتها (انا اذا) أى اذا اكتفيناها
(لن الا) عن فان عن أى اطلع بعد حلفهما (على أنهما استحقا غداً) أى فعلا ما يوجب من خيانة
أو كذب فى الشهادة بان وجد عندهما مثلاً ما اتهم به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما
به (فآخران) أى فشاهدان آخران (يقومان مقامهما) أى فى توجيهِ اليمين عليهما (من الذين
استحق عليهم) الوصية وهم الورثة على قراءة غير حفص بضم الناء وكسر الحاء على البناء للمفعول
وعلى البناء للفاعل فهو الاوليان ويبدل من آخران (الاوليان) بالميت أى الاقربان اليه وقرأ
حزرة وشعبه بتشديد الواو وكسر اللام وبسكون الياء وفتح النون على الجمع على أنه صفة للذين
أبدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم والباقون بسكون الواو وفتح اللام والياء وألف
بعد الياء وكسر النون على التنفية على أنه بدل من آخران كما مر وأخبر محمدوف أى هما الاوليان
(فيقتسمان) أى هذان الآخران (بالله) ويقولان (الشهادتنا) أى عينتنا (أحق) أى أصدق
من شهادتهما) أى عينتهما (وما اعتدنا) أى تجاوزنا الحق فى اليمين (انا اذا) أى اذا وقع منا
اعتداء (لن الظالمين) أى الواضعين الشئ فى غير موضعه ومعنى الآيتين أن المتحدث اذا أراد
الوصية ينبغى أن يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطاً فان
لم يجد هما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتباب أقسم على صدق
ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بما رآه أو مظنة حلف آخران من أولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فان الشاهد لا يحلف ولا تعارض بينه وبين
الوارث وثابت ان كانا وصيين وورثة اليمين الى الورثة أما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصى باليمين لا ماتباعاً ولا تغيير الدعوى وتخصيص الحلف فى الآياتين من أقرب الورثة
لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى ما روى أن رجلاً من بنى سهم خرج مع عجم الدارى وعدى
ابن زيد الى الشام للتجارة وكان حينئذ نصراني ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً
فلما قدموا الشام من بديل فدقن مامعه فى صحيفة وطرحها فى مناعه ولم يخبرهما بها وأوصى
اليهما بأن يدفعا مامعه الى أهله ومات فقبتشاه وأخذاهما من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب ثم قضى ما حاجتهما وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى أهل الميت ففقدوا فأصابوا
الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فخاؤا تهما وعديا فقها الواهل باع صاحبنا شيئاً قال لا فالواهل
اتجر تجارة قال لا فالواهل طال مرضه فأفق على نفسه قال لا فالواهل فانا وجدنا فى مامعه صحيفة
فهي تسمية مامعه وانا فقدنا منها التام من فضة بموهابا الذهب ثلثمائة مثقال من فضة قال لا مذكرى
انما أوصى لنا بشئ وأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالانا فاختصموا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجتبر على الانكار وحلفا فأنزل تعالى الله يا أيها الذين آمنوا الآية فلما نزلت هذه

الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا ثانيا وعديا فاستخفهما عند المنبر بالله
 الذى لا اله الا هو انهم ما لم يجتأنا شيئا مما دفع اليهما خالفوا على ذلك وخرى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم سيدهما ثم وجد الانا فى أيديهما فبلغ ذلك بنى سهم فأتوهما فى ذلك فقالا انا كنا قد اشتريناه
 منه فقالوا ألم ترعانا صاحبنا لم يبيع شيئا من متاعه قال لم يكن عندنا ينة وكرهنا أن نقر لكم
 فكتمنا لذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترت فان عمر فقام عمرو بن العاص
 والمطلب بن أبي رفاعه السهميان وحلفا وتقدم أن تخصص الحلف فى الآية باثنين من أقرب
 الورثة لخصوص الواقعة التى نزلت لها (ذلك) أى الحى المذكور من رد العين على الورثة
 (أدنى) أى أقرب (أن) أى الى أن (بأقوا) أى الذين شهدوا أولا (بالشهادة) أى الواقعة
 فى نفس الامر (على وجهها) أى الذى تحملوهما عليه من غير شتر يف ولا خيانة (أو) أقرب الى
 أن (يخافوا أن تزدأيمان بعد إيمانهم) أى على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم
 فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا وانما جاع الضمير لانه حكمهم بعم الشهود وكلهم (واتقوا الله) بترك
 الخيانة والكذب (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى
 الخارجين عن طاعته لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة وقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل)
 أى يوم القيامة منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال (فيقول) لهم
 تو بيا قومهم كما أن سؤال المؤودة لتوبيع الوائد (ماذا) أى الذى (أجبتهم) به حين دعوتهم الى
 التوحيد (قالوا لعلم لنا) أى لا علم لنا بما أنت تعلم (أنت علام الغيوب) فتعلم ما أجابونا
 وأظهروا انما وما لم نعلم مما أضمرنا فى قلوبهم وقوله تعالى (اذ قال الله عيسى بن مريم اذكر
 نعمتى عليك وعلى والدتك) أى اشكرهما منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم يجمع وهو على
 طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجاباتهم
 وتعدد ما أظهر واعاينهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسهوههم سكرة وغلا آخرون فاتخذوهم
 آلهة وقوله تعالى (اذ أيدتك) أى قوتك ظرف لنعمتى أو حال منه (بروح القدس) أى جبريل
 عليه السلام فكان له فى الصغر حفظ لم يكن غيره وقوله تعالى (تكلم الناس) حال من الكاف
 فى أيدتك (فى المهد) أى طفلا (وكهلا) أى تكلمهم فى الطفولية والكهولة على السواء
 والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهول فى كمال العقل والتسكلم به وبه استدلل على انه
 ينزل قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (واذ علمت الكتاب) أى الخط
 الذى هو مبدأ العلم (والحكمة) أى الفهم لحقائق الاشياء والعمل بما يدعو اليه العلم (والتوراة)
 أى المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم (والانجيل) أى المنزل عليكم (واذ تخلق من الطين) أى
 هذا الجنس (كهية) أى كصورة (الطين) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (بأذنى) أى بأمرى
 (فتنفخ فيها) أى فى الصورة المهيأة (فتسكون) تلك الصورة التى هيأتها (طير بأذنى) أى
 بأمرى وقرأ نافع بالمد بعد الطاء وبعد الالف همزة مكسورة وورش يرقى الراعى على أصله
 والباقون ياء ما كنة بعد الطاء (وتبرئ الاكس والابريص بأذنى) وسبق تفسيرهما فى سورة آل

عرآن (واذ تخرج الموتى) أى من قبورهم أحياء. (بأذنى واذا كفت بنى اسرائيل) أى اليهود
 (عمنك) أى حين هموا بقتلك وقوله تعالى (أذبحتهم) ظرف لكفت (باليمنات) أى
 الميجزات (فقال الذين كفروا منهم إن) أى ما (هذا) الذى جئت به (الأسحرمين) أى بين ظاهراً
 وقرأ حزة والكسائى بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء إشارة إلى عيسى عليه السلام
 والباقون بكسر السين وسكون الحاء ولا ألف بعدها إشارة إلى ما جاء به (وأذا وحيت) أى
 بالالهام باطناً وبإيصال الأوامر على لسانك ظاهراً. (إلى الخواريين) أى الأنصار (أن) أى
 بأن (أمنواى وبرسولى) عيسى صلى الله عليه وسلم (قالوا آمنا) بهما (واشهد بأننا مسلمون) أى
 منقادون أتم انتقاد وقوله تعالى (أذ قال الخواريون) منصوب بذكر وقيل ظرف لقولوا
 فيكون تنبيهاً على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ
 الكسائى بالتاء على الخطاب وادغام لام هل فيها على أصله وفتح الباء الموحدة من ربك أى هل
 تستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأل ذلك من غير مصارف وقرأ الباقر بالباء على
 الغيبة ورفع الباء أى يجيبك ربك إذا سأله (أن ينزل علينا مائدة) وهى الطعام ويقال أيضاً
 للخوان إذا كان عليه الطعام والخوان شئ يوضع عليه الطعام لا كل هو فى العموم بمنزلة
 السفر قما يوضع فيه طعام المسافرين بالخصوص وقال أهل الكوفة سميت مائدة لانها تميد بالآكلين
 أى تميل وقال أهل البصرة فاعله بمعنى مفعولة أى تميد أيدي الآكلين اليها كقولهم عيشة راضية
 أى مرضية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسكون النون وتخفيف الزاى والباقر بفتح النون وتشديد
 الزاى وقولهم (من السماء) أى لا صنع للادميين فيها تختص بها عن تقدمنا من الأمم لم يكن
 بعد عن تحقيق واستحكام معرفة (قال) عيسى عليه الصلاة والسلام مجيباً لهم (اتقوا الله)
 أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم من قبلكم (إن كنتم مؤمنين) بكمال قدرته تعالى وصحة نبوتى أو صدقتكم
 فى ادعائكم الإيمان فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان (قالوا نريد) أى بسؤالنا من أجل (أن)
 نأكل منها) تبر كالأكل حاجة وقولهم (ونظمين) أى تسكن (قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة إلى
 علم الاستدلال بكمال قدرته بيان لادعاءهم إلى السؤال وتهميد عذرهم وقولهم (ونعلم) أى نرداد علماً
 (أن) مخففة أى أنك (قد صدقنا) فى ادعاء النبوة وإن الله يجيب دعوتنا وويل إن عيسى عليه
 السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً فإذا أفطروا لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم ففعلوا
 وسألوا المائدة وقالوا ونعلم أن قد صدقنا فى قولك أنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى شيئاً
 إلا أعطانا (ونسكون عليهم من الشاهدين) إذا استشهدتنا ومن الشاهدين العيين دون السماء عين
 الخبر (قال عيسى بن مريم) لما رأى أن لهم غرضاً صحيحاً فى ذلك وأنهم لا يفلعون عنه فأراد إلزامهم
 بالحجة بكملها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) وحقق موضع الانزال بقوله (من السماء تكون)
 هى أو يوم نزولها (لأنهم عدا) نعظمه ونشرفه وقال سفيان نضلى فيه وروى أنها نزلت يوم الأحد
 فلذلك اتخذها النصارى عيداً وقيل إن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسيح وصلّى ركعتين
 ووطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا ألخ وقيل العيد السنو والعايد ولذلك سمي

يوم العبد عدا وقوله (لاؤلئنا وأخرنا) بدل من التباينة العادل أي عدا الأهل زمانا ولمن
 جاء بعدهما وقال ابن عباس يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقوله (وآية) عطف
 على عدا وقوله (مذنب) حصة لها أي آية كانت منكم دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتك (وارزقنا)
 المائدة والشكر عليها (وأت خبير الرزقين) أي من يرزق لانه تعالى خالق الرزق ومعطيه
 بلا عرض (قال الله) تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه السلام (إني منزلها عليكم) أي المائدة
 وقرأنا فاع و ابن عامر وعاصم بنخ النون وتشديد الزاي والباقيون بسكون النون وتثنية
 الزاي (فمن يكفر بعد ذلك أي بعد نزولها) (منكم فإني أعذبه عذابا) أي تعذيبا أو دفعولا به على
 السعة والشمير في (لا أعذبه) لانه صدر لولوا أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا
 من العالمين) أي عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مذهبوا قردة وخنازير ولم يعذب بعمل ذلك
 غيرهم قال عبد الله بن عمران أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب
 المائدة وقوم فرعون واختلف العلماء هل نزلت المائدة أولا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فأت
 الله تعالى الماء وعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة جافوا أن يكفروا بعضهم فاستغفروا وقالوا
 لا نريد ما لم تنزل وقوله تعالى إني منزلها عليكم أي إن سألتم والمعجيج الذي عليه الاكثرون أنها
 نزلت لقوله تعالى إني منزلها عليكم ولتواتر الاخبار في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واختلافه وافق فثبتها فقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة
 ليس عيسى عليه السلام مسحها وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء
 بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهما ينظرون إليها وهي منقضة حتى سقطت
 بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من السالكين اللهم اجعلها راحة
 ولا تجعلها عقوبة فتقام فتوضأ وصلى وكشف المذيل وقال بسم الله خير الرزقين فإذا سمعته
 مشوية بلا فوس أي بلا قشر كالفلوس ولا شولة تسيل دهنا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خيل
 وحولها من ألوان البقول ما خد لا الكراث وإذا خسة أرغفة على واحد منهم أزيون وعلى
 الثاني عسل وعلى الثالث سمع وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال سبعون الصغار
 وهو رأس الحواريين ياروح الله آمن طعام الدنيا عذا أتم من طعام الآخرة فقال ليس شيأ مما
 تزون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بقدرته كما واما
 سألتم واشكروا يمددكم ويردكم من فضله فقال ياروح الله كن أول من يأكل منها فقال معاذ الله
 أن أكل منها ولكن يأكل منها من سأله الخافوا أن يأكلوا منها فعدا أهل الفاقة والمرضى
 وأهل البرص والجذام والمقعدين وقال كما ومن رزق الله لكم الهناء ولا غيركم البلاء فأكلوا
 وصدروا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وأمر أة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كاههم سبعان
 والسبعة كاهي منهم حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا وهما ينظرون إليها حتى توارت فلم يأكل
 منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغني وندم من لم يأكل فليئت أربعين
 صبيا تنزل فخا فاذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء

ولا تزال منصوبة بؤ كل منها حتى اذا فاء التي أي زالت الشمس طارت وهم ينظرون في ظلمها حتى
توارث عنهم وكانت تنزل غيا تنزل يوما ولا تنزل يوما كثافة غود وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة
وعشا حيث كانوا كالن والسوى لبني اسرائيل وقال وهب بن منبه أنزل الله تعالى أقرأصا
من شعير وحيثا نافكان قوم يأكون ثم يخرجون ويحيي آخرون فيأكون حتى أكلوا جميعهم
وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليه ابن أرز
وبقل وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال شعيب بن جبيرة عن ابن عباس أنزل على
المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال كعب الاحبار نزلت منكسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا
وقيل لما نزلت قالوا يا رسول الله لو أرتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيا باذن الله
تعالى فاقطع طرقت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها
فمسخوا فسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا من ليالهم على فراشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكسائات يأكون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فرزوا الى
عيسى وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكيت وجعلت تطوف بعيسى وجعل
عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ويكفون ولا يقدررون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام
ثم هلكوا وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزنا ولحافأمرنا أن لا يخنونا ولا يذخرنا
لنعد فخنونا واذخرنا وافسخنا وقردة وخنازير (و) اذكر (اذ قال الله) أي يقول لعيسى
في القيامة توبخا لقومه وانما ببر بالماضي لتحقيق وقومه كقوله تعالى أتى أمر الله (يا عيسى
ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) أي غيره وقال السدي قال الله
هذا القول لعيسى حين رفعه الى السماء لأن حرف اذ يكون للماضي وسائر المفسرين على
الاول وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسميل الهمزة الثانية وأدخل ألفا بينهما قالون
وأبو عمرو وورش وابن كثير يمدحلا ألفا بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما وقرأ
نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص أي بفتح الياء والباقون بالسكون (فان قيل) ما وجه هذا
السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى عليه السلام لم يقله (أجيب) بأنه ذكر لتوبيخ قومه كما مر
ولتعتظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لا سخر أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله اعلاما
واستعظاما لا استخبارا واستفهاما وأيضا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية
فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا
الخطاب ارتعدت فرائضه ومفاسده وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم (قال)
وهو يرعد مجيبا لله (سبحانك) أي أنزهك عن أن يكون لك شريك (ما يـكـون) أي ما ينبغي
(لي أن أقول ما ليس لي بحق) خبر ليس ولي للتبيين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو لي الاولى بفتح
الياء والباقون بالسكون (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما) أخفيه (في نفسي ولا أعلم ما في نفسي)
أي ما أخفيه عني من الاشياء وقوله في نفسك للمشكاة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله

(أَنْتَ أَنْتَ غَلَامُ الْغُيُوبِ) تَقَرَّرَ لِجِلْبَاقِ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ بِاعْتِبَارِهِ مَطُوقُ أَنْتَ
 أَنْتَ غَلَامُ الْغُيُوبِ وَمَقْهُومُهُ لِأَنَّهُ يَدُلُّ بِمَطُوقِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرَهُ فَيَكُونُ تَقَرُّرًا
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ وَقَرَأْهُ جُزْءًا وَشُعْبَةً بِكُسْرٍ الْغَيْنِ وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ (مَا قُلْتُ لَهُمْ
 إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ) وَهُوَ (أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) أَيْ فَا نَا وَآيَاهُمْ فِي الْعِبَادَةِ سَوَاءً (وَكُنْتُ
 عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) أَيْ رَقِيبًا أَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَقُولُونَ (مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلِمَا تَوْفَيْتَنِي) بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ لِقَوْلِهِ
 تَعَالَى إِلَى مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَى التَّوْفَى أَخَذَ الشَّيْءَ وَافِيًا وَالْمَوْتَ نَوْعَ مَنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ
 يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا (كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ) أَيْ الْحَافِظُ (عَالِمُهُمْ)
 أَيْ لِأَعْمَالِهِمْ (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) مِنْ قَوْلِي وَقَوْلِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ (شَهِيدٌ) أَيْ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (أَنْ
 تَعَذِّبُهُمْ) أَيْ مَنْ أَقَامَ عَلَى الْكَفْرِ مِنْهُمْ (فَانْهَ عَنْهُمْ عِبَادَتِي) وَأَنْتَ مَا لَكُمُ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ
 لَا اعْتَرِضْ عَلَيْكَ (وَأَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ) أَيْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (فَأَنْتَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) أَيْ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ
 (الْحَكِيمُ) فِي مَنَعِهِ فَإِنْ عَذِبْتَ فَعَدْلٌ وَإِنْ عَفَوْتَ فَفَضْلٌ (قَالَ اللَّهُ) تَعَالَى (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ
 الصَّادِقِينَ صَدَقُهُمْ) أَيْ فِي الدُّنْيَا كَعِيسَى فَإِنَّ النَّافِعَ مَا كَانَ حَالُ التَّكْلِيفِ لِأَصْدَقِهِمْ
 فِي الْآخِرَةِ وَقَرَأْنَا نَافِعَ بِنَصْبِ الْمِيمِ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ لِقَالَ وَخَبِرَ هَذَا مَحْذُوفٌ وَالْمَعْنَى هَذَا الَّذِي مِنْ
 كَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاقْعَ يَوْمُ يَنْفَعُ وَالْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْخَبَرِ وَقِيلَ أَرَادَ بِالصَّادِقِينَ
 النَّبِيِّينَ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانَهُمْ وَقَالَ قَتَادَةُ مُتَكَلِّمًا يَخْطُبَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَّ اللَّهُ ابْلِسَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَالَ الشَّيْطَانُ
 لِمَا قَضَى الْأَمْرَ فَصَدَّقَ عِدْوَالَهُ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ كَذِبًا فَلَمْ يَنْفَعْهُ صَدَقَهُ قَالَ وَلَمَّا كَانَ عِيسَى صَادِقًا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَفَعَهُ صَدَقَهُ * ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى ثَوَابَهُمْ فَقَالَ (لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا) وَأَكْثَرُ مَعْنَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَبَدًا) وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى قَالَ
 (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بِطَاعَتِهِ (وَرِضْوَانِهِ) بِثَوَابِهِ (ذَلِكَ) أَيْ هَذَا الْأَمْرُ الْعَلِيِّ لِغَيْرِهِ (الْقُورُ
 الْعَظِيمُ) وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَنْفَعُهُمْ صَدَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَالْكَافِرَاتِ الْيَوْمُ نُونُونَ عِنْدَ رُؤْيَا
 الْعَذَابِ (لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَيْ خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِهَا (وَمَا فِيهِنَّ
 مِنْ أَنْسٍ وَجِنَّ وَمَلَكَ وَغَيْرِهِمْ مَلَكَ وَخَلَقَا وَأَتَى عِبَادُونَ مِنْ تَغْلِيْبَا غَيْرِ الْعَاقِلِ) (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ) وَمِنْهُ آثَابُهُ الصَّادِقُ وَتَعَذِّبُ وَالْكَاذِبُ قَالَ السَّيُوطِيُّ وَخَصَّ الْعَقْلَ ذَاتَهُ فَلَيْسَ
 عَلَيْهِ بِقَادِرٍ وَقَوْلُ الْبَيْضاوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرْآنِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ
 عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَحُجِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ يَتَنَفَسُ
 فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ مُوَضَّوعٌ

(سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ)

رَوَى أَنَّهُ أَنْزَلَتْ بِكَتِفِهِ وَاحِدَةً لَيْلًا وَنَزَلَ مَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكَ قَدَسًا وَمَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ لَهُمْ
 زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَالتَّعْبِيدِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَخَرَجَ

ساجدا أو الزجل بفتح الزاي والجيم القوة قال البغوي وروى عن قوام من قرأ سورة الانعام
يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملك له ونهاره وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت سورة الانعام عكة الاقوله تعالى قل تعالوا أنزل ما تحرم ربكم عليه إلى قوله
تعالى اعلمكم تتقون فهذه اثنتان آيات غدييات وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب
فتكبروا من أيلتهم الا اثنتان آيات قال بعض العلماء واختصت هذه السورة بنوعين من
الفضيلة أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة والثاني أنها اشيعها سبعون ألفا من الملائكة والسبب
فيها أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين
والمحدين وهي مائة وخمسة وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة وعدد
حروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا (بسم الله) الذي تعالت عظمته عن كل
شأنه نقص فكان له كل كمال (الرحمن) الذي عمت نعمته المحسن والمسي فقهر الكل بالذوال
(الرحيم) الذي خص أوليائه بانتمام النعمة فهذه اسم بعمدة الايصال (الحمد) وهو الوصف بالجميل
ثابت (الله) وهل الموارد الاغلام بذلك للايمان به أو الثناء به أوهما الختمالات قال الجلال الحلبي
في سورة الكهف أفيدها الثالث وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا في أول الفاتحة
وقال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا إلى آخر الآية وفي رواية أن آخر آية في التوراة آخر سورة هود وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ما افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله (الذي خلق السموات والارض) وختم
بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال أهل المعاني لفظ الحمد لله
خير ومعناه الامر أي احمدا والله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لأنه أبلغ في البيان
من حيث أنه جامع الامرين ولو قيل احمدا والله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وانما
خص السموات والارض بالذكر لانهم أعظم المخلوقات فيما ترى العباد لان السماء بعد الارض
ترونها فيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلائق وفيها أيضا العبر والمنافع وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة الذات متفاوتة الاسماء والحركات بالكواكب
في سيرها وخركتها في السرعة والبطء واستقام بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير ذلك
عما هو محزر عند أهله وقدمها الشرفها قدرا وعظما وان كانت الارض أشرف من حيث أنها
مسكن الانبياء (وجعل) أي خلق (الظلمات والنور) أي كل ظلمة ونور وجهها وانه لكثرة
أسبابها والاجرام الحاملة لها اذ ما من جرم الا وله ظل وظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو الناب ولا تزد الاجرام المنيرة كالقواكب لان مرجع كل نور إلى النار على ما قيل ان
الكواكب اجرام نورانية نارية وان الشهب منفصلة من نواير الكواكب فصيح أن النور من
جنس النار وأن المراد بالظلمة الضلال وبالذلل الهدى والهدى واحد والضلال متعد وتقدم عليها
لتقدم الاعدام على الملكات وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله خلق
أي انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواء ثم الذين كفروا بربهم يعدلون برهم الا وان

اى يسوقهم اليه في العباداة وعلى هذا فيعدلون من العدل وهو التسوية والباء متعلقة بـ يعدلون
 اوعلى قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه وانعمه على العباد ثم الذين
 كفر وابر بهم يعدلون فيكفرون نعمته فعلى هذا فيعدلون من العدول والباء متعلقة بكفروا
 ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) اى ابتداء
 خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه ا وخلق اباكم فحذف
 المضاف قال السدى بعث الله جبريل عليه السلام الى الارض لياثيه بطائفة منها فقالت
 الارض انى اعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ قال يارب عازت
 بك فبعث ميكائيل عليه السلام فاستغاثت فرجع فبعث ملك الموت عليه السلام فعازت بالله
 منه فقال انا اعوذ بالله ان اخالف امره فآخذ من وجه الارض فخلط الجراء والسوداء والبيضاء
 فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم بعثهم بالماء العذب والمالح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم
 فقال الله تعالى الملك الموت رحمة جبريل وميكائيل الارض ولم ترجعها لاجرم اجعل ارواح
 الخلق من هذا المين بيدك وروى عن ابي هريرة رضى الله عنه خلق الله تعالى آدم عليه السلام
 من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حامسا فمنا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صالسا
 كالفتار ثم نفخ فيه من روحه (ثم قضى اجلا) اى اجلاكم فتوتون عند انتهائه (واجل مسمى)
 اى مضروب (عنده) اى وهو اجل القيامة وقال الحسن الاول بين وقت الولادة الى وقت
 الموت والثانى من وقت الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل
 البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا فاطع للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث
 وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقيل الاول النوم والثانى
 الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى (ثم انتم) ايها الكفار (تعترون)
 اى تشكون فى البعث بعد علمكم انه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على
 الاعادة اقدر ومعنى ثم استبعاد ايضا كما مر لان يعتروا فيه بعد ما ثبت انه محيىهم ومحييهم
 وباعثهم (وهو الله) الضمير لله والله خبره وقرأ قالون وابوعمر والفساني يشكون الهاء من
 وهو والباقون بالضم وقوله تعالى (فى السموات وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه
 قيل هو مستحق العباداة فيه ما ومنه قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو
 المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيه ما وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله
 (يعلم سرهم) اى ماتسرون (وجهرهم) اى ما تبجرون به بينكم فى السموات والارض وقيل
 معناه وهو اله السموات والارض كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله
 (ويعلم ما تكسبون) اى ماتعملون من خيرا وشرا فيثيب عليه اوبعاقب (فان قيل) الانفعال
 اما افعال القلوب وهى المسماة بالسر واما افعال الجوارح وهى المسماة بالجهر والافعال
 لا تخرج عن السر والجهر فقوله تعالى ويعلم ما تكسبون يقتضى عطف الشئ على نفسه
 وهو غير جائز (اجيب) بأن المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من احوال الانفس

وبالمكسب أعمال الجوارح فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أى
 مكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب والالزم عطف النى على نفسه (وما تأت بهم) أى
 الكفار (من آية من آيات ربهم) من الأولى منزلة للاستغراق والثانية للتبعض
 أى ما يظهر لكم دليل قط من الأدلة أو معجزة من المعجزات أو آية من آيات القرآن
 (الأكاذيب ما عرضني) أى تاركين لها وبها مكذبين (فقد بوا بالحق لما جاءهم) أى
 بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (فوفى بآياتهم أنباء) أى عواقب
 (ما كانوا يستهزئون) ينزل العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الإسلام
 وارتفاع أمره (ألم يروا) أى في أسفارهم إلى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (أهلكتهم
 قبلهم من قرن) أى أمة من الأمم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من الناس وجمعه قرون
 وقيل القرن مدة من الزمان قيل انها عشرة أعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثين وقيل أربعون
 وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة لما روى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني تعيش قرنا فعاش مائة سنة وقيل مائة
 وعشرون فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن (مكاهم في الأرض) أى جعلنا لهم فيها
 مكانا بالقوة والسعة وقرناهم فيها (ما لم تكن لكم) أى ما لم نجعل لكم من السعة والقوة فيه
 الثقات عن الغيبة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاد وعودا وغيرهم من البسطة
 في الأجسام والسعة في الأموال والأستظهار بأسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) هى المطر
 (عليهم مدرارا) أى متتابعا (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) أى تحت مساكينهم
 (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم بتكذيبهم الأنبياء فلم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا)
 (أى أحدنا) من بعدهم قرنا آخرين (فان قيل) ما فائدة ذكر أنشأنا قرنا آخرين بعدهم
 (أجيب) بأنه ذكر للدلالة على أنه تعالى لا يعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على
 أن ينشئ مكانهم آخرين يعمرهم بلاده فهو قادر على أن يفعل ذلك بكم * ونزل لما قال النضر بن
 الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد يا محمدا لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله وبعده
 أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسول الله (ولو نزلنا عليك كتابا) أى مكتوبا
 (في قرطاس) أى رق كما اقترحوه (المسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لأنه أتى للشك (لقال الذين
 كفروا ان) أى ما (هذا إلا صهم ميين) أى تعبتنا وعنادا كما قالوا فى انشقاق القمر (وقالوا لولا)
 (أى هلا) أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي كقوله تعالى لولا أنزل آية
 ملك فكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا بحيث) عاينوه كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الأمر) أى
 لحق ادلائهم فان سنة الله تعالى جرت فمن قبلهم أنهم اذا جاءهم مقررهم فلم يؤمنوا به بل كذبهم
 (ثم لا ينظرون) أى لا يميلون لتوبة أو معذرة (ولو جعلناه) أى المنزل اليهم (ملكا لعلنا
 (أى الملك) رجلا) أى على صورته ليعتدوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك
 في صورته وانجاريه كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية وقوله تعالى (وللبسمنا

عليهم ما يليسون) جواب محذوف أى ولو أنزلناه وجعلناه رجلا لبسنا أى خلطنا عليهم يجعلنا
 اياه رجلا ما يخطون على أنفسهم وعلى غيرهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وانما كان
 تلميذا لانهم ليسوا على ضعفهم فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم
 ولورأوا الملك رجلا للجهنم من اللبس مثل ملحق الضعفاء منهم فيكون اللبس رقعة من الله
 وعقوبة لهم على ما كان منهم من الخلط في السؤال واللبس على الضعفاء وقوله تعالى
 (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه (خفاق)
 قال الربيع برأى أنس فنزل وقال عطاء خل وقال الضحاك فأحاط (بالذين يخفونهم) أى من
 أولئك الرسل (ما كانوا يستهزئون) وهو العذاب فكذا يجبى عن استهزاء بك (قل) اللهم
 سيروا في الارض) أى أوقعوا السير للاعتبار فيها ولا تغفروا بها الكرم وعكبتكم (ثم انظروا
 كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب فانكم اذا شاهدتم تلك
 الاثام ركلكم الاعتبار بهم (قل) اللهم (لن ما في السموات والارض) خلقا وملاكا وهو سؤال
 تنكىت (قل لله) ان لم يقولوه لاجواب غيره لانه المتعين للجواب بالاتفاق اذ لا يمكنهم ان يذكر واغیره
 (كتب) أى قضى (على نفسه الرحمة) تغضاضه واحسانا فالرحمة تعم الدارين ومن ذلك الهداية
 الى معرفته والعلم بتوحيده ينصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفرة والعصاة
 والمذنبين ولو شاء لسلط عليهم المضار وجعل عيشهم من غير اللذيق كالتراب وبعض القاذورات
 التي تعيش فيها الحيوانات روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده فوق
 عرشه ان رحمتي غلبت غضبي وفي رواية نسقت غضبي وفي رواية ان الله تعالى مائة رحمة واحدة بين
 الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحوش على اولادها
 واخر تسعون رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه سبي
 فاذا امرأته من السبي قد غلب ثديها اذ وجدت صبا في السبي أخذته والصقته بطنها وأرضعته
 فقبال النبي صلى الله عليه وسلم أتروا هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن
 لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم)
 استئناف واللام القسم أى والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أى في يوم القيامة والى معنى
 في أو ليجمعنكم في القبور ومبعوثين الى يوم القيامة فيجاء بكم بأعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل
 البعض فان من رحمة بعثه اياكم وانعامه عليكم (الاربع) أى لاشك (فيه) أى اليوم أو الجمع
 وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) في موضع نصب على الذم أو رفع على الخبر أى وأنتم الذين
 خسروا أنفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية أو مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون)
 (فان قبيل) الغباء تدل على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرتهم مع أن الامر على العكس
 (أجيب) بأن ابطال العقل يتابع الحواس والوهم والانهمال في التقليد واغفال النظر أدى بهم
 الى الاضرار على الكفر والامتناع عن الايمان وقوله تعالى (وله ما سكن) أى حل (في الليل
 والنهار) عطف على لله أى له كل شئ من حيوان وغيره لانه خالقهم ومالكهم وقيل له ما سكن

فيهما أو تحركوا ككتفي بأحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) أي لكل ما يقال (العليم)
 أي بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى * ونزل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى دين أبائه (قل) لهم (أغير الله أتخذ ولياً) أي ربا ومعبودا وناصرا ومعيّنا وهو استغفارهم
 ومعناه الإنكار أي لا أتخذ غير الله ولياً (فاطر السموات والأرض) أي خالقهما ابتداء من غير
 سبق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أغرابان يختصمان
 في بئر فقال أحدهما إنني فطرتهما أي ابتدأتها (وهو يطعم) أي يرزق (ولا يطعم) أي ولا يرزق
 وصف سبحانه وتعالى ذاته بالغنى عن الخلق باحتياجهم إليه لأن من كان من صفته أن يطعم
 الخلق لا احتياجهم إليه ولا يطعم لاستغنائه عنهم وجب أن يقضد ربا وناصرا ولياً (قل إني أمرت
 أن أكون أول من أسلم) لله من هذه الأمة لأن النبي سابق أمته في الدين والدين وضع الهى
 سائق لذوى العقول السليمة بسبب اختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات (ولا تكونن من
 المشركين) أي وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين أي في عبادهم باتباعهم في شيء من
 أغراضهم وهذا التأكيد لقطع أطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سواهم أن يكون على
 دين أبائه وقوله تعالى (قل إني أخاف إن عصيت ربي) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) مبالغة
 أخرى في قطع أطماعهم وتعرض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى (من يصرف
 عنه) العذاب (يومئذ) أي يوم القيامة قرأه أبو بكر وحزرة والكسائي بفتح الباء وكسر الراء
 على البناء للفاعل والضمير لله تعالى والفعل محذوف وقرأه الباقون بضم الباء وفتح الراء
 على البناء للمفعول فالضمير للعذاب (فقد رجه) ربه تعالى أي أراد به الخير (وذلك) أي
 الصبر أو الرحمة (الفوز المبين) أي النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) أي يلاكم بضر
 وفقر والضر أيسر جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكره وغير ذلك مما هو في معناه (فلا تكشف)
 أي لا رافع (له الأهو) لا غيره (وان يمسسك بخير) أي بصحة وغنى والخير اسم جامع لكل ما ينال
 الإنسان من اذّة وفرح وسرور وغير ذلك (فهو على كل شيء قدير) من الخير والضر وهذه الآية
 وإن كانت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فهي عامة لكل أحد والمعنى وإن يمسسك الله بضر
 أي بالإنسان فلا تكشف ذلك الضر إلا هو وإن يمسسك بخير أي بالإنسان فهو على كل شيء
 قدير من دفع الضر وإيصال الخير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنه قال أهدى للنبي
 صلى الله عليه وسلم بعله أهداه الله كسرى فركبته انجبل من شعر ثم أردفتي خلقه فسارني مليانم
 التفت إلى فقال لي يا غلام فقلت لبنيك يا رسول الله قال أعملك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ
 الله يحفظه أمامك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت
 على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضرك بشيء
 لم يضرك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف وفي رواية واعلم أن النصر مع
 الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وإن يغلب عسر يسرين وفي رواية فقد قدم مضى
 العلم بما هو كائن فلو جهد الخلق أن ينفعوك بما يقضه لك الله لم يقدروا عليه ولو جهدوا وأن

يضرب ولتجسم يكتب الله عليك ما قدر واعلمية (وهو القاهر) أي القادر الذي لا يعجزه شيء
مستعلياً (فوق عباده) فهم مقهورون تحت قدرته وكل من قهر شيئاً فهو مستعل عليه بالقهر
والغلبة (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) يواطئهم كطواهرهم ونزل لما قالت قریش للنبي
صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك
من قومك (أي شيء) بيني وبينكم (أكبر شهادة) تميز بحول عن المبتدأ (قل الله) أكبر
شهادة أن لم تقولوه لا جواب غيره ثم ابتداء (شهيد بيني وبينكم) أي هو شهيد بيني وبينكم
ويحتمل أن يكون الله شهيداً هو الجواب لأنه تعالى إذا كان هو الشهيد كان أكبر شيء شهادة
(وأوحى إلى هذا القرآن لا تذكركم) يا أهل مكة (به) أي القرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة وقوله تعالى (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين أي لا تذكركم يا أهل مكة ومن بلغه من
الأنس والجن إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه قال محمد بن كعب القرطبي من بلغه القرآن فكأنما رأى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهن إلى الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من
النار وفي رواية تضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها وعادها وإذا هاقرب مبلغ أوعى من سامع
وفي رواية قرب حامل فقهه غير فقيهه ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه وقال مقاتل من بلغه
القرآن من الجن والانس فهو نذيره وقوله تعالى (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
استفهام إنكارى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحدون نبوتك واتخذوا آلهة غيري أنكم
أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها
(قل) لهم (لأشهد) بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجد ذلك وأنكره (قل انما هو الله
واحد) لا شريك له وبذلك أشهد (وانني بري مما تشركون) معه من الأصنام وفي الآية دليل على
اثبات التوحيد ونفي الشريك لأن كلمة انما تفيد الحصر فثبت بذلك إيجاب التوحيد والتبري
عن كل معبود سوى الله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل وهم علماء اليهود
والنصارى (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم بنعمته وصفته (كإيعرفون أبناءهم) من بين
الصبيان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال عمر رضي
الله تعالى عنه إن الله تعالى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحكمة هذه الآية فكيف
هذا فقال عبد الله بن سلام قد عرفته حين رأيته كما عرف ابنى ولانا أشد معرفة بمحمد صلى الله
عليه وسلم من ابنى فقال له عمر كيف ذلك فقال أشهد أنه ربه ولله حق ولا أدري ما تصنع النساء
(الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) به لما سبق لهم من
القضاء بالشقاء (ومن) أي لا أحد (أظلم من افترى على الله كذباً) كقولهم الملائكة بنات الله

واتخذ الله ولدا (أو كذب بآياته) الاتي به الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات (انه) اى
 الشأن (لا يفلح الظالمون) اى لا ينجح القائمون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل
 (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا) اى اهل الكتاب والمشركون وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم
 القيامة (ثم نقول) نوبخا (للذين أشركوا) اى سعو اشيائهم من دوننا الها وعبدوه من الاصنام
 أو عزير أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك (أين شركاؤكم) اى الهبتكم التى جعلتموها شركاء
 لله تعالى وأضافها الى ضميرهم اتسميتهم لها بذلك وقوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) معناه كنتم
 تزعمونهم شركاء وانهم اتشفع لكم عند الله فحذف المفعولان (ثم لم تكن فتنتهم) اى معذرتهم
 (الآن قالوا) اى قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فيختم على اقوالهم وتشهد جوارحهم
 عليهم بالشرك وقرأ جزءة والكسافى يكن بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص فتنتهم بضم التاء والباقون بالنصب وقرأ جزءة والكسافى
 ربنا نصب البياء على النداء أو المدح والباقون بالكسر قال الله تعالى (انظر) يا محمد
 (كيف كذبوا على أنفسهم) باعذارهم الباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذى
 كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لا ينفعهم (وخل) اى
 غاب (عنهم ما كانوا يفترون) اى يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك
 (كفى ذلك اليوم) (فان قيل) كيف يصح ان يكذبوا حين يطاعون على حقائق الامور
 وعلى ان الكذب والجور لا وجه لمنفعته (أجيب) بأن المعتن ينطق بما يتقعه وبما
 لا ينفعه من غير تعيين بين ما حيرة ودهشة الاتراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
 وقد أيقنوا الخلود ولم يشكوا فيه وقالوا ليعرض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم (ومنهم
 من يستمع اليك) حين تلا القرآن روى انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
 وأبو جهل وأضربهم يستمعون القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والذي جعلها يته يعنى
 الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه فيقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم
 عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو
 سفيان انى لا ترى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا فانزل الله تعالى
 ومنهم من يستمع اليك (وجعلنا على قلوبهم أكنة) اى أغطية (أن) اى كراهة ان (يفقهوه)
 اى يفهموا القرآن (و) جعلنا (فى آذانهم وقرا) اى صمما فلا يسمعون به سماع قبول ووجه
 اسناد الفعل الى ذاته تعالى وهو قوله تعالى وجعلنا للذلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم
 (كانهم محبسون عليه) وهى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى آذاننا وقرو ومن
 بيننا وبينك حجاب (وان يروا كل آية) اى معجزة من المعجزات الدالة على صدقك (لا يؤمنوا بها)
 لقرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات
 الى انهم جاؤك يجادلونك وينكرونك وحتى هى التى تقع بعدها الجدل لاعمل لها والجدل اذا
 وجوابا وهو (يقول الذين كفروا ان) اى ما (هذا الاساطير) اى أكاذيب (الاولين) اى

أحاديثهم من الأمم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم ومأسطروا وجميع كتبوا والأساطير جميع
 أسطورة بالضم قال البخاري عن ابن عباس وهي الترهات (وهي نهون) الناس (عنه) أي
 اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (ويؤنون) أي يتبعون عنه فلا يؤمنون به قال
 محمد بن الحنفية والسدي والفخال نزات في كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل في أبي طالب
 كان ينهي الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وينعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد
 حتى روى أنه اجتمع له رؤس المشركين وقالوا خذ شابا من أحسن أصحابنا وجهها وادفع
 اليها محمدا فقال أبو طالب ما أنصفه في أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربى ولدكم وروى أنه صلى
 الله عليه وسلم دعاه إلى الإيمان فقال لولأن تعبرني قريش لأقررت به عينك ولكن أذب عنك
 ما حيت وزوى أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سؤا فقال
 والله إن يصلوا اليك يجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
 فاصدع بأمرك ما عليك غصاصة * وابشر بذلك وقرمته عيونا
 ودعوتني وزعت لك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
 وعرضت ديننا للمحالة انه * من خير أديان البرية ديننا
 لولا الملامة أو حذار منسبة * لو جدتني سمعا بذلك مينا

(وان) أي ما (يهلكون) بالنأي عنه (الأنفسهم) لأن ضررهم عليهم (وما يشعرون) أن ضررهم
 لا يتعداهم إلى غيرهم وقوله تعالى (ولوترى) يا محمد (أذوققوا) أي عرضوا (على النار)
 جوابه محذوف أي لوتراهم حين يققون على النار فيعرفون مقدار عذابها رأيت أمر الشيعا
 (فقالوا) أي الكفار (يا) للتسبيه (ليتنازرد) أي إلى الدنيا (ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من
 المؤمنين) تنمرو أن يردوا إلى الدنيا ولا يكذبوا بآيات ربهم وقرأ حفص وحزرة نصب الباء من
 يكذب على جواب التثني والباقون بالرفع على الاستمئاف وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة بفتح
 الذون من تكون على جواب التثني والباقون بالضم على العطف وقوله تعالى (بل يدالهم) أي
 ظهر لهم (ما كانوا يخفون من قبل) للاضراب عن ارادة الإيمان المفهوم من التثني والمعنى أنهم
 ظهر لهم ما كانوا يخفون من نقابهم وقبائح أعمالهم فتموا ذلك ضجر الاعزام على أنهم لوردوا
 لا آمنوا كما قال تعالى (ولوردوا) إلى الدنيا أي لو فرض ذلك بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما
 نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) في قولهم لوردونا إلى الدنيا لم يكذب بآيات
 ربنا وكان من المؤمنين (وقالوا ان) أي ما (هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) كما كانوا
 يقولون قبل معارضة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم
 كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحياتنا وكفى به دليلا على كذبهم (ولوترى) يا محمد
 (أذوققوا) أي عرضوا (على ربهم) لرأيت أمر اعظيما (قال) لهم على لسان الملائكة توبيخا
 (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق) وقوله تعالى (قالوا بلى وربنا) اقتراره وكذا باليمين
 لا شجلاء الامر غاية الاجلاء (قال فذوقوا العذاب) أي الذي كنتم به توعدون (بما كنتم

تكفرون) أي بسبب كفرهم ووجودكم البعث (قد خسروا الذين كذبوا بآلاء الله) أي بالبعث
 واستمر تكذيبهم (حتى إذا جاءتهم الساعة) أي القيامة (بغتة) أي فجأة ومميت القيامة ساعة
 لأنها تنفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى وقيل لسرعة الحساب فيها لأن
 حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة واحدة وأقل من ذلك (قالوا يا حسرتنا) أي ياندما منا
 والحسرة التلهف على الشيء الفات وتأسؤنا وندامنا على ما فعلنا (وأنك فاحضري) (على ما
 فرطنا) أي قصرنا (فيها) أي الحياة الدنيا حتى نبصيرها وإن لم يجز لها ذلك لكونها معلومة لأنها
 موضع التفريط في الأعمال الصالحة ويجوز أن يكون الساعة على معنى قصرنا في شأنها
 والایمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله وقوله تعالى (وهم يحملون
 أوزارهم) أي أثقالهم وأثامهم (على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام وقال السدي
 وغيره إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفني
 فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فأركبني فقد طال ما ركبك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر
 الملقين إلى الرحمن وفداً أي ركبنا وأما الكافر فيسبى مقبلة أقبح شيء صورة وأقبح ريحاً فيقول هل
 تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طال ما ركبك في الدنيا واليوم أركبك فهو معنى قوله
 تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الآساء) أي بئس (ما يزرعون) أي ما يحملون حملهم
 ذلك وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا أي وما
 أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذته حقيقة قيمة وقيل معناه
 إن أمر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فأمّا فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة (وللدار
 الآخرة) أي الجنة واللام فيه لام القسم (خير) أي من الدنيا وأفضل لأن الدنيا سريرة الزوال
 والانقطاع (للذين يتقون) أي الشرك وقيل للهو واللعب (أفلا يعقلون) أي إن الآخرة
 خير من الدنيا فيعملوا لها وقرأ ابن عامر ولدار بتخفيف الدال وجر التام من الآخرة والباقون
 وللدار بتشديد الدال ورفع التاء وقرأ نافع وابن عامر وحفص تعقلون على الخطأ والباقون
 بالياء على الغيبة (قد) للتحقيق (نعلم أنه) أي الشأن (ليحزنك الذي يقولون) من التكذيب وقرأ
 نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي (فأنهم لا يكذبونك) أي بقلوبهم
 ولكن يحسدون بألسنتهم وأنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق (ولكن
 الظالمين بآيات الله يحسدون) أي يكذبون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يحسدون قال السدي
 التقي الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن
 محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل - والله إن محمداً
 لصادق ما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
 فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه إن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا لا نكذبك وإنما كنا تكذب الذي جئت به فأنزلت

ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا في جودهم والماء لتضمن الجود معنى
 التكذيب وقرأ نافع والكسائي يكذبونك بككون الكاف وتخفيف الذال من أكذبه
 إذا وجده كاذباً ونسبه للكذب والباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب وهو أن
 ينسبه إلى الكذب وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 وهذا دليل على أن قوله فأنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذبه مطلقاً وإنما هو من قولك لغلامك
 ما أهانوك ولكنهم أهانوني (فصبروا على ما كذبوا) أي على تكذيبهم لهم (وأوذوا) أي وصبروا
 على إيذائهم لهم (حتى أتاهم النصر) باهلاك من كذبهم فأتاهم النصر واصبر حتى يأتيك النصر
 باهلاك من كذبك وفي ذلك إيماء بوعد النصر للصابرين (ولامبدل لكلمات الله) أي لمواعيد
 من قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين الآيات) (واقدر جاءك من نبأ المرسلين) أي من
 قصصهم وما كابدوا من قومهم مما يسكن به قلبك قيل من مزيدة وقيل للتبعض ويدل لقوله
 تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك (وإن كان كبير) أي عظم وشق
 (عليك أعراضهم) عنك وعن الإيمان بما جئت به (فإن استطعت أن تتبغى) أي تطالب بجهده
 وغاية طاقتك (تفقاً) أي منفذا (في الأرض) تنفذ فيه إلى ما أسالك تقدر إلى الانتهاء إليه
 (أو سأل في السماء) أي جهة العلو لترتقي فيه إلى ما تقدر عليه (فتأتيهم بآية) أي مما اقترحوه
 عليك فافعل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند آياتك بها إلا أعراضاً كما أخبرناك لأن الله تعالى
 شاء ضلال بعضهم والمقصود بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وأنه لو قدر
 أن يتكفأ النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل (ولو شاء الله)
 هدايتهم (لجمعهم على الهدى) أي لو فقههم له ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا واعتزلة أولوا الوشاء
 الله بأنه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لحرصه عن الحكمة
 وجرى على هذا الرخصى في كشفه والمعنى أن أسناد مشيئة الجمع إلى الله تعالى ظاهر في أنه هو
 المهدي والمضل والمعتزلة لما قالوا أنه يفعل العباد احتاجوا إلى التأويل (فلا تكون من
 الجاهلين) أي لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من أعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين
 الذين لا صبر لهم وانما نهى عن هذه الحالة وغلط عليه الخطاب تبعيداً له عن هذه الحالة (انما
 يستجيب) دعاء إلى الإيمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى وألقى السمع
 وهو شهيد وهم المؤمنون الذين فتح الله تعالى لهم أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون
 له ويتبعونه دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) أي الكفار أشبههم بهم في عدم
 السماع (يبعثهم الله) في الآخرة (ثم إليهم يرجعون) أي يردون فيجازيهم بأعمالهم (وقالوا) أي
 رؤساء قريش (لولا) أي هلا (نزل عليه آية) مما اقترحوا (من ربهم) المحسن إليه كالأقفة
 والعصا والمائدة وآية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل آية أن يجحدوها هلكوا (قل) لهم
 (إن الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه وآية تضطرهم إلى الإيمان وآية أن يجحدوها هلكوا
 لا يجزئني (ولكن أكثرهم لا يعاون) أي ماذا عليهم في أنزالها من العذاب إن لم يؤمنوا بها

ولهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون وتشديد الزاي والمعنى واحد (وما من دابة في الارض) أى تدب على وجهها
(ولا طائر يطير بجناحيه) في الهواء وهو بالتماين السماء والارض وهو المراد هنا وأما الهوى
بالقصر فهو النفس وليس مراداً وإنما قال بجناحيه مع أن الطيران لا يكون إلا بهما قطعاً لجهاز
السرعة ونحوها كما تقول كتبت بيدي ونظرت بعيني (الأمم أمثالكم) أى محفوظة أحوالها
مقدرة أرزاقها وآجالها قال العلماء جميع ما خلق الله تعالى لا يخرج عن هاتين الحالتين حتى ما
في البحر لأن سيرها في الماء إما أن يكون ديباً أو طيراً أو مجازاً أو غماً خاص ما في الارض بالذ كر دون
ما في السماء وأن كان ما في السماء مخلوقاً له لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد
واختلاف العلماء في وجه هذه المماثلة فقال مجاهد أصناف مصنفة تعرف بأسمائها مثل بنى آدم
يعرفون بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطيور أمة والدواب أمة والسباع أمة
وقال ابن قتيبة أمم أمثالكم في الغداء وابتغاء الرزق ووقوف الممالك وقال عطاء أمثالكم في
التوحيد والمعرفة وقيل غير ذلك والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشعول علمه وسعة
تدبيره ليعلم كونه كالليل على أنه قادر على أن ينزل آية (ما قرظنا) أى ما تركنا أو ما أغفلنا
(في الكتاب) أى اللوح المحفوظ (من شيء) فلم نكتبه فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من
الجليل والدقيق ولم يمل فيه أمر حيوان وقيل المراد بالكتاب القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج
إليه من أمر الدين مفصلاً ومجماً ومن مزينة وشئ في موضع المصداق لا المقول به فإن قرظ
لا يعتد بنفسه وقد عدى بنى إلى الكتاب (ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس والضم الم
حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كله يوم القيامة الدواب والطيور وكل شئ
فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني تراباً فينمذ تنمى الكافر ويقول يا ليتني كنت تراباً
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد
للشاة الجملاء من القرناء (والذين كذبوا بآياتنا) أى القرآن (صم) عن سمعها سمع قبول
(وبكم) عن النطق بالحق (في الظلمات) أى في ضلالات الكفر (من يشأ الله) أى الله (يضلله
ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) هو دين الاسلام وهو دليل واضح لاهل السنة
على المعتزلة في قولهم انه ما من العبد كما تر (قل) يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى (أرأيتكم)
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أى أخبروني (أن أئامكم عذاب الله) أى في الدنيا كما أتى
من قبلكم من الغرق أو الخسف أو المسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أئامكم
الساعة) أى القيامة المشتملة على العذاب (أعير الله تدعون) في كشف العذاب عنكم
(أن كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجواب الاستفهام محذوف أى فادعوه وهو توكيد لهم
(بل آياه تدعون) أى تجصونه بالدعاء كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في موضع كما في قوله تعالى وإذا
مس الانسان الضر دعا للجنيه أو قاعداً وقائماً الآية (فيكشف ما تدعون اليه) أى ما تدعون
إلى كشفه (ان شاء) كشفه في الدنيا نقض الاعليم كما هو عادته معكم في وقت شدائكم ولكنه

لا يشاء كشفه في الآخرة لانه لا يبدل القول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء (وتتسبون) اي
 تتركون في تلك الاوقات دائماً (ما تشركون) معه من الاصنام فلا تدعونها عليكم أنها لا تضر
 ولا تنفع (واقعد أرسلمان) رسلا (إلى أم من قبلك) أي قبلك ومن مزيدة فكذبوهم
 (فأخذناهم بالباساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي الامراض والواجاع وهما مصفتا نانيت
 لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) أي يذللون ويتوبون عن ذنوبهم فيؤمنون (فلولا) أي فهلا
 (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا (تضرعوا) أي لم يفعلوا ذلك مع قيام مقتضى له (ولكن قست
 قلوبهم) فلم تلبس للامان (وزين لهم الشيطان) أي بما أدخل عليهم من باب الشهوات (ما كانوا
 يعملون) من المعاصي فأصرواعليها (فلما نسوا) أي تركوا (ما ذكروا) أي وعظوا وخوفوا
 (به) وانما كان القسيان بمعنى الترك لأن التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي
 (ففتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم ففتحناهم
 من الشدة الى الرخاء استدرجالهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف (حتى اذا
 فرحوا بما آتوا) أي فرح بطر (أخذناهم) بالعذاب (بغثة) أي جفأة (فأذاهم مبلسون) أي
 متحسرون آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بأن استؤصلوا
 (والحمد لله رب العالمين) أي على نصر الرسل واهلاك الكافرين والعصاة فان اهلاكم من حيث
 انه تخلص لاهل الارض من شؤم عقائدكم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها (قل) أي
 لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان أخذ الله سمعكم) أي أصعكم (وأبصاركم) أي أعماكم
 (وختم) أي طبع (على قلوبكم) أي بأن يغطي عليها ما يزول به عقداكم وفهمكم فلا تعرفون شيئاً
 (من غير الله يأتمسكم به) أي بذلك أو بما أخذ منكم وختم عليه لأن الضمير في به يعود على
 معنى الفعل أو بأحد هذه المذكورات ويجوز أن يعود الى السمع الذي ذكره أو لا ويندرج
 غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه فالحاء راجعة الى الله تعالى ورضاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يندرج في رضا الله تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
 فيه غيره أي انظر يا محمد (كيف نصرّف) أي بين لهم الآيات أي العلامات الدالة على التوحيد
 والعبادة ونكرها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
 بالتبسيه والتذكير بأحوال المتقدمين (ثم يصدفون) أي يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل)
 لهم (أرايتم) أي أخبروني (ان أناكم عذاب الله بغثة) أي جفأة (أو جهرة) أي معاينة ترونها
 عند نزوله وقال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا (هل يهلك) أي ما يهلك به هلاكاً سخطاً وتعذيباً
 (الاقوم الظالمون) أي المشركون لأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار أي ليس في ارسالهم أن يأثموا الناس
 بما يقرحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن) أي بهم (وأصلح) أي
 عمله (فلا خوف عليهم) أي من العذاب (ولا هم يحزنون) في الآخرة بفوات الثواب (والذين
 كذبوا) أي اتيناهم العذاب (أي يصيبهم) بما كانوا يفسقون (أي بسبب خروجهم عن

الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمرهم الله
 تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونبيرا ولا أقول لكم عندى خزائن الله جمع خزانة وهي اسم
 للمكان الذى يخزن فيه الشيء وتخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي خزائن رزقه أو مقدوراته
 فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله
 فاطلب منه أن يوسع علينا ويغنى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيدي (ولا) أقول لكم اني (أعلم
 الغيب) أى فأخبركم بما مضى وما هو آت وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بما فى الحنا ومضاوانا فى المستقبل
 حتى نستعنت لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بذلك (ولا أقول
 لكم اني ملك) وذلك أنهم قالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج
 النساء فأجابهم بذلك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدونه أى
 لا أقول لكم شيئا من ذلك فتسكرون وتبحدون (فان قيل) قد يستدل بهذا على أن الملائكة
 أفضل من الانبياء لان معنى الكلام لا ادعى منزلة أقوى من منزلاتي ولولا أن الملائكة أفضل لم
 يصح ذلك (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تواضعاً لله تعالى واعترافاً بالعبودية
 حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى فى المسيح وبيان المراد بما قاله نفي قدرته عن أفعال
 لا يقوى عليها الا الملائكة وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الانبياء (ان أتبع الاما يوحى الى)
 نبرا صلى الله عليه وسلم من دعوى الألوهية والمكمية وادعى النبوة مع الرسالة التى هى أعلى
 كمالات البشر رد الاستبعادهم دعواه وجرمهم على فساد مدعاه وظاهر هذه الآية يدل على أنه
 صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شيء من الاحكام بل جميع أوامر الله ونواهيه انما كانت
 يوحى ولكن المرجح أنه يجتهد (قل) لهم (هل يستوى الاعمى والبصير) أى هل يكونون سواء من
 غير مزية فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا لا قبل فى تبعية هذه الآيات الجليات فهو البصير
 ومن أعرض فهو الاعمى وقيل المراد بالاول الكافر وبالثانى المؤمن وقيل الضال والمهتدى
 وقيل الجاهل والعالم (أفلا تتفكرون) فى أنهم ما لا يستويان فتؤمنوا (وأندر) أى خوف
 اذا انذار اعلام مع تخويف (به) أى القرآن وقوله تعالى (الذين يخافون أن يحشروا الى
 ربهم) اما قوم داخلون فى الاسلام ومقررون بالبعث الا أنهم مقرطون فى العمل واما أهل
 الكتاب لانهم مقررون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا
 بحدوث البعث أن يكون حقافهم لكونهم ممن يرجى أن يجمع فيهم الانذار دون المتحدين منهم
 وقوله تعالى (ليس لهم من دونه) أى غير الله تعالى (ولى) أى ينصرهم (ولا شفيع) أى يشفع
 لهم حال من ضمير يحشرون بمعنى يخافون أن يحشروا غيبر من مصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد
 من هذه الحال لان كلامهم محشور وفان الخوف هو الحشر على هذه الحالة (فان قيل) اذا فسر
 ما ذكر بالمؤمنين كان مشكلا لانه قد ثبت بصحیح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين
 من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض (أجيب) بأن الشفاعة
 لا تكون الا باذن الله تعالى كما قال منذ الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة لا تكون

الا باذن الله صرح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى يؤذن لهم بالشفاعة فاذا اذن فيها
 كان للمؤمنين ولي وشفيع (عليهم يتقون) الله باقلا عنهم عاهم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعد ما أمر الله تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام بانذار غير
 المتقين ليتقوا أمره باكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روى أن رؤساءهم قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء لا عبيد يعنون الفقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
 وخباب وسلمان واضرابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثنا فقال عليه
 الصلاة والسلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فاقهم عنا اذا اجئنا فاذا اقتنا فاقعدهم معك ان شئت
 قال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون
 قالوا فاكذب بذلك كما فادعا بالصحة وبعل رضى الله تعالى عنه فزالت فرجى بالصحة واعتذر
 عمر رضى الله تعالى عنه من مقالته قال سلمان وخباب فيمنازات فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقعدهم معنا وينومونه حتى تمس ركبتهما ركبته فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فزول واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن يقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى
 أمرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وقال اليكبي قالوا له
 اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل واحدا واقبل علينا ولهم ظهرنا فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم معبد ابايعنا محمد فأنزل الله تعالى
 هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى
 عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وذلك أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال ناس من الاشراف اذا صلبنا فآخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فزالت هذه الآية وقوله تعالى
 (يريدون وجهه) حال من يدعون أى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها
 على انه ملاك الامر (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ليس
 عليك حساب فى اختيار ابوابهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير
 مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يعتداهم اليك كما أن حسابك
 لا يعتدالك اليهم كقوله تعالى ولا تزوروا زرة وزرا أخرى (فان قيل) هلا كتفى بقوله ما عليك من
 حسابهم من شئ وعن وما من حسابك عليهم من شئ (أجيب) بأن الجملتين جعلتا بمنزلة جملة واحدة
 وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى فى قوله تعالى ولا تزوروا زرة وزرا أخرى ولا يفيد هذا المعنى
 الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذنا أنت ولاهم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين
 والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهلك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
 فيه وقوله تعالى (فتطردهم) أى قبعدهم جواب النفي وقوله تعالى (فتكون من الظالمين)
 جواب النهى وهو ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الطاعون فى عصمة الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه
 لاجل اشراف قريش عاتبه الله تعالى به على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك قدح فى العصمة وقوله

تعالى فمطردهم فتكون من المظالمين (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم به لاجل استخفاف بهم وإنما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهم ولألاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعلمه الله تعالى أن تقرب هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقر بهم منه وأدناهم والظلم في اللغة وضع الشيء في غير محله أي فلا تهم بطردهم عندك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الفضل والاولى لا من باب ترك الواجبات (وكذلك قتنا) أي ابتلينا (بعضهم ببعض) أي الشريفة بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق للايمان (لما قولوا) أي الشرفاء والاعنياء (أهلؤا) الفقراء (من الله عليهم من بيننا) بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ماسبقونا اليه ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء قال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوقفه وعن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) وقوله تعالى (فقل) لهم (سلام عليكم) أما أن يكون أمر ا تبليغ سلام الله تعالى اليهم وأما أن يكون أمر ابان يبدأهم بالسلام اكرامهم والمهم وتطييب القلوبهم (كتب) أي قضى (ربكم على نفسه الرحمة) روى أن انزلت في الذين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم فوصفهم الله تعالى بالايمان بالقرآن واتباع الحجة بعد ما وصفهم بالمواطبة على العبادة وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذاً بأنهم هم الجماعة من افضلي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطردهم ويعسر ولا يذل ويشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقال طه في الخلقاء الاربع وجماعة من الصحابة وقيل الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتمد من مقالته التي تقدمت وقال ما أردت الا الخير فنزلت وقيل أن قوم اجازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا أصبنا ذنوباً عظيماً فإمرهم شيئاً فأنصرفوا فنزلت (أنه من عمل منكم سوءاً) أي سوء كان ملتبساً (بجهالة) أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهل لآن من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لأن من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهات على عمد ولم تك جاهلاً

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انزلت في عمر رضي الله تعالى عنه حين أشار بإجابة الكفرة الى ما سألوه ولم يعلم أنهم مفسدة وقرانافع وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة على انه بدل من الرحمة والباقون بالكسر على انه ضمير الشأن (ثم تاب) أي رجع (من بعده) أي من بعد ارتكابه ذلك السوء (وأصلح) عمله (فانه) أي الله (غفور) له (رحيم) به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير أن الغفورة له والباقون بالكسر (وكذلك) أي ومثل ذلك التفصيل الواضح وهو تفصيل أحوال الطوائف الاربع الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من في آية والذين كذبوا بآياتنا والثانية

المرجوا سلامهم وهم من في آية وأنذره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم والشاكلة
المطيعون وهم من في آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والرابعة الداخلون
في الإسلام لكنهم لا يحفظون حدوده وهم من في آية وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
(نفصل الآيات) أي نبين آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والأوابين
(ولتستبين سبيل) أي طريق (المجرمين) قرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بالياء بعد اللام على
التذكير أي وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة إذا صاروا إلى النار والباقون بالتاء
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وليظهر لك الحق يا محمد وتبين لك سبيلهم فتعامل
كل منهم بما يحق له وقرأ نافع سبيل نصب اللام والباقون بالرفع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
(التي نهيت أن أعبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الأصنام التي يعبدونها
أوماتدعونها آلهة أي تسمونها لأن الجادات أخسر من أن تدعى وقوله تعالى (قل لا أتبع
أهواءكم) تأكيده لقطع أطماعهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى (قد
ضلت إذا) أي أن اتبعت أهواءكم فأنا ضال (وما أنا من المهتدين) أي وما أنا من المهتدين في شيء
أي لا أنكم كذلك (قل اني على بينة) أي بيان (من ربي) أي معرفة وأنه لا معبود سواه (و) قد
(كذبتم به) أي بربي حيث أشركتم به غيره (ما عندي ما تستعجلون به) أي العذاب الذي
استعجلوه بقولهم فأمرط علينا نجارة من السماء (ان) أي ما (الحكم) في ذلك وغيره
(الأن الله) فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب متى شاء (بقص الحق) قرأ نافع وابن
كثير وعاصم بضم القاف وصادهم ملة مشددة مع الرفع ومعناه يقول الحولان كل ما أخبر به فهو
حق والباقون بسكون القاف وضاد معجمة مخففة مع الكسر أي أنه تعالى يقضي القضاء الحق
(وهو خير الفاصلين) أي الحاكمين (قل) لهم (لو أن عندي) أي في قدرتي ومكتبي
(ما تستعجلون به) أي من العذاب (لقضى الأمر بيني وبينكم) أي لانفصل ما بيني وبينكم بأن
أهلككم عاجلا بما تستعجلون به من العذاب غضب الرب وليكنه عند الله تعالى (والله أعلم
بالظالمين) أي ما يستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه (وعنده) سبحانه وتعالى
(مفاتيح الغيب) أي خزانته جمع مفتاح مفتاح الميم وهو الخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار
من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح بالكسر وهو المفتاح (لا يعلمها الا هو) وهي الخمسة التي في قوله أن
الله عنده علم الساعة الآية كآرواه البخاري فيعلم أوقاتها وما في تجليها وتأخيرها من الحكم
لهما على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأسماء قبل
وقوعها (ويعلم ما) يحدث (في البر والبحر) قدم البر لأن الإنسان أكثر ما لبسه له بما فيه من
القرى والمدن والمنازل والجبال والحیوان والنبات والمعادن وغير ذلك وأخر البحر لأن انهار
العقل بأحواله أقل وقال مجاهد البرا المقارن والقفار والبحر القرى والامصار التي على الانهار
وقوله تعالى (وما نسقط من ورقة) أي ورقة من يد (الا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه تعالى
بالجزئيات وقوله تعالى (ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة

واختلف في الحبة فقيل هي من هذا الحب المعروف تكون في بطن الارض قبل ان تنبت وقيل هي الحبة التي تنبت في الصخرة التي في أسفل الارض واختلف في معنى الرطب واليابس فقال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء بن ريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى وباليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شئ لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة (فان قيل) جميع هذه الاشياء داخله تحت قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر (أجيب) بأنه تعالى ذكرها أولا مجمله ثم فصل بعضها من ذلك الاجمال ليدل بها على غيرها وقوله تعالى (الافى كتابه مبين) فيه قولان أحدهما انه علم الله الذى لا يغير ولا يبدل والثانى انه اللوح المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض فهو على الاول بدل من الاستثناء الاول بدل الكل وعلى الثانى بدل الاشتمال (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالتنهار ثم يعيشكم) أى يوظفكم برزاقكم ورواحكم (فيه) أى النهار (فان قيل) لم خص الليل بالنوم والنهار بالكسب مع ان ذلك يقع في غير هذا (أجيب) بأن ذلك جرى على الغالب (لبقضى أجل مسمى) أى ليلبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت والبعث (ثم نبشكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) لان من قهر شيا وعلمه فهو مستعل عليه اما قهره للمعدوم فبالتام ككونه والايجاد واما قهره للموجود فبالافتاء والافساد بقدر الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم أخرى ويقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات وصنوف الممكنات (ويرسل عليكم) من ملائكته (حفظة) أى تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السخستاني أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شئ تلفظه من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة ~~تكتب~~ لفظ النقطة فقال أبو حاتم وهذا أيضا ما يكتب (فان قيل) الله تعالى غنى عن كتابة الملائكة فما فائدة كتابتها (أجيب) بأن فيها الطلاق للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (وهم لا يفترطون) أى لا يقصرون فيما يؤمرون وقيل ملك الموت وحده فذكر الواحد لفظ الجمع وجاء في الاخبار أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي الموت كالماندة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت عليه الارواح يدعوهوا فتستجيب له (فان قيل) قال الله تعالى في آية أخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وفي أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع (أجيب) بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات وقال

مجاهد ما من أهل بيت شعر ولا مدرا لا وملك الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقرأ جزء بعد
 فاء توفته بألف محالة على التذكير والباقون بالناء على التأنيث وسكن السين من رسلنا أبو عمرو
 ورفعها الباقر (ثم ردوا) أي الخلق (إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه (مولاهم) أي سيدهم
 ومدبر أمورهم كلها (الحق) أي الثابت للولاية وكل ولاية غير ولايته تعالى عدم (الاله الحكم)
 أي القضاء النافذ فيهم فلا حكم عليه (وهو أسرع الحاسنين) بحاسب الخلق كلهم في قدر نصف
 شهر من أيام الدنيا الحديث بذلك لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد في حاسب خلقه بنفسه
 لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (قل) يا محمد لا هلكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)
 أي من الخسوف في البر والعرق في البحر أو من شدائد هما استعبرت الظلمة للشدّة لمشاركته ما في
 الهول وإبطال الأبصار فقل اليوم الشديد يوم مظلم ولغيره يوم ذكوا كب وقيل جملة على
 الحقيقة أولى وظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف
 الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
 السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من
 الوقوع في المهالك والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع
 الإنسان فيها إلا إلى الله تعالى لأنه هو القادر على كشف الكرب وإزالة الشدائد وهو المراد من
 قوله (تدعونه تضرعا) أي علانية (وخفية) أي سرا أو قوله تعالى (لئن) اللام لام القسم
 على إرادة القول أي يقولون والله لئن (أنجيتنا من هذه) أي الظلمات والشدائد (لنكونن من
 الشاكرين) لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها المنعم بها أي
 فنكون من المؤمنين وقرأ عاصم وجزء والكسائي أنجنا بالجذف التاء وألف بعد الجيم بدل الماء
 لبوا في قوله تعالى تدعونه وأمالها جزة والكسائي والباقرن بالقاء بعد الماء (قل الله ينجيكم
 منها ومن كل كرب) أي غم سوى ذلك (ثم أنتم تشركون) أي تعودون إلى شركه الأصنام معه التي
 لا تضر ولا تنفع ولا توفون بالعهد وأنما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيه على أن من
 أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبد (قل) لهم (هو القادر على أن يبعث) في كل وقت يريده
 (عليكم) في كل حالة (عذابا من فوقكم) بإرسال الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم
 نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الفيل (أو من تحت أرجلكم) بالغرق أو الخسف كما فعل
 بقرعون وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة أو من تحت
 أرجلكم العبيد السوء وقال الضمالي من فوقكم أي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي
 من أسفل منكم (أو يلبسكم) أي يخالطكم (شيعا) أي فرقا وينسب فيكم الأحوال المختلفة يقتل
 بعضهم بعضا روى لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال
 صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك ومن تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا (ويذيق
 بعضكم بأس بعض) أي بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو أيسر وفي رواية
 أنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي طويلا أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وأسأته أن لا يهلك

أنتى بالسنيين فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعصيا وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم
سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ومنعهُ واحدة سأل أن لا يسلم على أخته عدوا من غيرهم يظهر
عليهم فأعطاه ذلك وسأل أن لا يهلكهم بالسنيين فأعطاه ذلك وسأل أن لا يجعل بأس بعضهم على
بعض فتعصيه ذلك (انظر) يا محمد (كيف نصرف) أي نبين لهم (الآيات) الدالة على قدرتنا
(أعلمهم بفتنهم) أي يعلمون أن ما هم عليه باطل فيرجعوا عنه (وكذب به) أي القرآن أو
العذاب (قومك) أي الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا بسيادتك فإن القبيلة
إذا ساد أحدهم عرت به فإن عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما إذا كان من بيت الشرف ومعدن
السيادة وإذا سفل أحدُها اهتت به غاية الاهتمام وسرت عيوبه مهما أمكنها فإن عاره لاحق
لنا فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقرع لهم وزاد ذلك بقوله (وهو) أي والحال أنه (الحق)
أي الثابت الذي لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) أي حفيظ
وكل إلى أموركم فأجازيكم أو أمتنعكم من التكذيب انما أنا منذر والله الحفيظ (لكل نبي) أي
خبر أخبركم به من هذه الاخبار (مستقر) أي وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف
تعلمون) صحة ذلك عند وقوعه أما في الدنيا وأما في الآخرة وفي ذلك تهديد لهم (وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا) أي القرآن بالاستهزاء والتكذيب (فاعرض عنهم) أي فاتركهم ولا
تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يكون خوضهم في غير الآيات والاستهزاء بها
وذكر الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون
أردع أولغيره أي وإذا رأيت أيها الإنسان (وأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما لمزيدة
(ينسبك الشيطان) أي ففعدت معهم ثم تذكرت (فلا تقع بعد الذكري) أي التذكري لهذا النهي
(مع القوم الظالمين) أظهر موضع الاضممار تفهـ ما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض
وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا قوم كلما استهزوا بالقرآن لم نستطع أن نجالس بالمسيخ ونطوف
فنزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) أي الخائضين (من شيء) أي شيء مما يحاسبون
عليه إذا جالسوهم من مزيد لئلا يكيد (ولكن) عليهم (ذكرى) أي تذكرة لهم ووعظ ويمنعوهم من
الخوض وغيره من القبائح ويظهر وكرهتها وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل هذه الآية منسوخة
بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله
الآية وذبح الجمهور إلى أنها محكمة لا نسخ فيها الا انها خبر وان خبر لا يدخله النسخ ولانه انما أباح
لهم القعود معهم بشرط التذكرة والموعظة (أعلمهم يتقون) الخوض في الآيات (وذر الذين
اتخذوا دينهم) أي الذي كانوا (لعبا ولهاوا) باستهزائهم به (وعزتهم الحياة الدنيا) أي خدعتهم
وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق أي فاتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
وهذا يقتضى الاعراض عنهم وهو قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف
(وذكر) أي وعظ (به) أي القرآن الناس (أن) أي كراهة ان (تبسل نفس) أي تسلم إلى الهلاك
(بما كسبت) أي بسبب ما عملت وأصل الابسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فرسئله

لا تقلت منه والباسل الشجاع لا متناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام (ليس لها من دون
 الله) أى غيره (ولى) أى ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وان تعدل) أى تلك النفس لا جل
 التوصل الى العكاز (كل عدل) أى وان تفد كل فداء والعنديل القديه لانها تعادل المفدى
 (لا يؤخذ منها) ما تفدى به (أو لئلا) أى الذين عملوا هذه الاعمال البعيدة عن الخير (الذين
 أسألو) أى سلوا الى العذاب (عما كسبوا) أى بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائفة
 (لهم شراب من حميم) أى ماء هو فى غاية الحرارة (و) لهم (عذاب أليم) أى مؤلم (عما) أى بسبب
 ما (كانوا يكفرون) أى هم بين ما يغلى يجبر جرف بطونهم وناز تشعل فى أبدانهم بسبب كفرهم
 (قل) يا حميد لهؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آبائهم (أندعو) أى نعبد (من دون الله)
 أى غيره (مالا ينفعنا) أى بعبادته (ولا يضرنا) أى بتركها وهم الاصنام (ونرد على أعقابنا)
 أى نرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) تعالى الى التوحيد ودين الاسلام (كأننى استهوت به)
 أى أضلته (الشياطين فى الارض) حالة كونه (حيران) فائها ضالا لا يمتدى لوجه ولا يدري
 كيف يسلك وقرأ حمزة بعد الواو فى استهوته بألف مما لعل على التذكير والبالقون بالتاء على
 التأنيث وورق ورش راء حيران بخلاف عنه (له) أى المستهوى (أصحاب) أى رفقة (يدعونه
 الى الهدى) أى الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر يقولون له (اتننا)
 فلا يجيبهم فيه لك والاستفهام للانكار وجهه التشبيه الحال من ضمير نرد وهذا مثل ضربه الله
 تعالى لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى لا تنفع ولا تضر ومن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى
 يضر وينفع يقول مثلهم كما كمثل رجل فى رفقة ضل به الغيلان والشياطين عن الطريق
 المستقيم فجعل أصحابه من أهل رفقة يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل
 الغيلان يدعونه اليهم فبقى حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب
 أصحابه اهتدى وسلم (قل) لهم (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وماعداه
 ضلال (وأمرنا لنسلم الرب العالمين) أى بأن نخلص العبادة له لانه المستحق للعبادة لا غيره
 وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم أى للاسلام ولا إقامة الصلاة لأن
 فيها ما يقرب الى الله وروى ان عبد الرحمن بن أبى بكر دعا أباه الى عبادة الاوثان فنزلت (فان
 قيل) اذا كان هذا واردا فى شأن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكيف قيل للرسول صلى الله
 عليه وسلم قل أندعو (أجيب) بان ذلك اظهر للاتحاد الذى كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين
 المؤمنين خصوصاً الصديق رضى الله تعالى عنه (وهو الذى اليه) الى غيره بعدد بعشكم من
 الموت (تمشرون) يوم القيامة فيجزى بكم بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والارض)
 على عظمهما (بالحق) أى بسبب إقامة الحق وقيل خلقه ما بكلامه الحق الذى هو قوله
 تعالى كن وهو دأبىل على ان كلام الله تعالى ليس بخلق لانه لا يخلق مخلق بخلق (و) اذكر
 (يوم يقول) الله للخلق (كن فيكون) أى فهو يكون وهو يوم القيامة يقول بخلق قوموا
 أحياء (قوله) تعالى (الحق) أى الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفع فى الصور) أى

النسخة الثانية من اسرافيل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر سبحانه وتعالى عن ملكه يومئذ
 وان كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يومئذ فان كان
 يدعى الملك من الجبابرة والفراعة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم فاعترفوا بأن
 الملك لله الواحد القهار وأنه لا منازع له تعالى فيه وعلوا أن الذي كانوا يدعونونه من الملك في
 الدنيا غرور وباطل * (تنبيه) * اختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن
 ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن وقال مجاهد الصور قرن كهية البوق ويدل على صحة هذا القول
 ما روى أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحني جبهته واصغى سمعه
 ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على الصحابة فقالوا كيف نعمل يا رسول الله أو كيف
 نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة
 والنفخ فيها أحياءها والاول أصح لما ترى الحديث ولا جاع أهل السنة أن المراد بالصورة هو
 القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب
 والشهادة) أي ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه تعالى شيء (وهو الحكيم) أي في جميع أفعاله
 وتدير خلقه (الخبير) بواطن الاشياء كظواهرها بكل ما يعلمونه من خير أو شر (واذ قال ابراهيم
 لآبيه آزر) اختلف العلماء في لفظه آزر فقال مجاهد آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارح ضميته
 بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالحاء المجهمة وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن آزر
 وهو في التوراة تارح فعلى هذا يكون لآبي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل
 اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه آزر وتارح لقب له وبالعكس فالتسمية آزر
 وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبوا ابراهيم من كوثي
 وهي قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والدا ابراهيم
 يعبدونه وانما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماله
 فهو كقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم وقليل معناه واذ قال ابراهيم لآبيه يا عابد آزر فخذف
 المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والاول أصح لأن آزر اسم أبي ابراهيم لأن الله تعالى سماه به
 وأخرج البخاري في افراده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
 أباه آزر يوم القيامة على وجهه أي آزر قررة وغبرة المويث سماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر
 أيضا ولم يقل أباه تارح كما نقل عن النسابين والمؤرخين فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارح
 وكان أهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون الهمة النجوم في السماء والاصنام
 في الارض فيبيعون لكل نجم صنما فإذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم
 لمشفع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم منكر عليهم منهم الهة على ظهورهم فساد ما هو من تكببه
 (أنتخذ) أي أتكلف نفسك إلى خلاف ما ندعوا اليه الفطرة الاولى بان تجعل (أصناما آلهة)
 أي تعبدوها وتخضع لها ولا تنفع فيها ولا ضرر (إني آراؤ قومك) أي في اتعاقبكم على هذا

(في ضلال) أي بعد عن الصراط المستقيم (مبين) أي ظاهر جذا يديه العقل مع مخالفته
لكن نجي تباها الله تعالى من آدم عليه السلام فن بعده وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء
والباقون بالسكون (وكذلك) أي ومثل هذا التبصير العظيم الشأن (نرى إبراهيم) أي نبصر
وهي حكاية حال ماضية (ملكوت السموات والأرض) أي عجايبها وما يدها والملكوت أعظم
الملك والتناء فيه للمبالغة كالرهوت والرهوت من الرغبة والرهبة والرجة وقال
ابن عباس خلق السموات والأرض وقال مجاهد وسعد بن جبير يعني آيات السموات والأرض
وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات
من العجايب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا معناه أريناه
مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجايب
وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض
أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك
وتعالى يا إبراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبدي فأنما أنا من عبدي على ثلاث
خلال أما أن يتوب إلى فأتوب عليه وأما أن أخرج منه نسمة فعبدني وأما أن يبعث إلى فإن
شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته وفي رواية فإن تولى فإن جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت
السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وقيل إن
عنده الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك إلا بالعقل فأريناه ذلك ليس تدل به
على توحيدنا (وليكون من الموقنين) واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال
الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا
لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من
الموقنين جلي له الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل بلعن أصحاب
الذنوب قال الله تعالى انك لانتسب طبع هذا فرقه الله تعالى كما كان قبل ذلك (فلما جن عليه
الليل) أي دخل فيه (رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل) أي غاب (قال لا أحب إلا اثنين) وذلك
أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن غروب كنعان وكان النور ذأول من وضع التاج على
رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلد هذه السنة غلام
يغير دين أهل الأرض ويكون هلاك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
في كتب الانبياء وقال السدي ان النور ذأول في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوأي الشمس
والقمر حتى لم يبق لهم ماضوء ففرغ من ذلك فزعاشديدا ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا
هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه
فأمر بدمج كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل
عشرة رجل فاذا احضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا
ظهرت حبل بينهم فارجع أرز فوجد امرأته قد ظهرت فواقعها فحملت بإبراهيم قال مجاهد بن

اسحق بعث غروذ الى كل امرأة حبلى بقر به يحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم
 حبسها لانها كانت صغيرة لم يعرف الحبس بيطنها وقال السدى خرج غروذ بالرجال الى العسكر
 ونجاهم عن النساء خوفا من ذلك ثم بدت له حاجة الى المدينة ولم يأمن عليها أحد من قومه
 الا آزر فبعث اليه وأقسم عليه أن لا يدنو من أهله فقال آزر أنا أشجع على ديني من ذلك فأوصاه
 بحاجة فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت على أهلي فنظرت اليهم فلما نظرت الى أم
 ابراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت بابراهيم قال ابن عباس لما جئت أم ابراهيم به قال الكهان
 لنروذات الغلام الذي أخبرناك عنه قد حملته أمه الليلة فأمر غروذ بذبح الغلمان قال محمد بن اسحق
 لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلالا الى مغارة وكانت قرية منها فولدت فيها ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سددت عليه المغارة ورجعت الى بيتها
 وكانت تختبئ اليه فتتظرم ما فعل فتجده يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبننا ومن اصبع عسلا
 ومن اصبع تمر ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها
 فقالت ولدت غلاما مات فصدقتها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة
 فلم يمت ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فأخرجته عشاء فنهظ
 وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي
 اله غيره ثم نظرت في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أقبل
 قال لا أحب الاقلين (فلما رأى القمر بازغا) أي مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي) فاتبعه بصره
 (فلما أقبل قال لن لم يمدني ربي لا كون من القوم الضالين) وقيل انه كان في السرب سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قال بعض أهل التفسير فلما شب ابراهيم وهو
 في السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فن ربك قالت ابوك قال فن رب أبي قالت اسكت
 فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغرب دين أهل الارض فانه ابنك
 ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه فقال له ابراهيم يا أبتاه من ربي قال أمك قال فن رب أبي قال أنا
 قال فن ربك قال غروذ قال فن رب غروذ فلطمه وقال اسكت فلما أخرج من السرب وجن عليه
 الليل رأى المشتري قد طلع وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فأتى القمر فيها فرأى
 الكوكب فقال ذلك وهل ذلك جاز على ظاهره أم مؤول جرى بعضهم على الاول وقال كان
 ابراهيم مسترشدا باللات وحيد حتى وفقه الله تعالى فلم يضره ذلك وأيضا كان ذلك في طفولته
 قبل قيام الحج عليه فلم يكن كفرا ولا اصح الثاني اذا لا يجوز أن يكون الله تعالى رسول يأتي عليه
 وقت من الاوقات الا هو الله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه يرى ثم قال في تأويله
 أوجه أحد ها وهو الاصح ان ابراهيم ذكر ذلك على وجه الاحتجاج عليهم بقوله هذا ربي أي في
 زعمكم فلما غاب قال لو كان اله الما غاب كما قال تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك
 وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك أي في زعمك فلما أقبل قال لا أحب الاقلين
 فضلا عن عبادتهم فان الاتقال والاحتجاج يقتضي الامكان والحدوث وينافي الاولوية فلم

يُنجح فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغا قال لهم هذا ربي فلما أفل أى غاب قال ان لم يمدنى ربي أى
يشتنى على الهذى لانه لم يكن مهمديا والانبيا لم يزوايسألون الله تعالى الثبات على الايمان
وكان ابراهيم عليه السلام يقول واجنبنى وبني أن نعبد الاصنام (فلما رأى الشمس بازغة) أى
عند طلوع النهار (قال) لهم (هذا ربي هذا أكبر) أى من الكواكب والقمر ولم يقل هذه مع
أن الشمس مؤنثة لانه أراد هذا الطالع وأورده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه أضوا من
النجم والقمر وأذكره لتذكيره خبره (فلما أفلت) أى غربت وقويت عليهم الحجة فلم يرجعوا
(قال يا قوم انى يرى مما تشركون) أى بالله من الاصنام والاجرام المحدثه المحتاجة الى محدث
التي تجعلهم يشركونها والوجه الثانى من التأويل أنه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره أهذا ربي كقوله تعالى أفأنت فهم الخالدون أى أفهم الخالدون وذكره على وجه
التوبيخ منكر الفعلهم والوجه الثالث انه أراد أن يستدريجهم بهذا القول ويعترفهم خطاهم
وجهلهم ومثل هذا مثل من ورد على قوم يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموا حتى صدروا
فى كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشا وروى فى أمره فقال الراى أن ندعو
هذا الصنم حتى ينكشف عنا ما أصابنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع
ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله تعالى فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يجحدون فأسلموا (فان قيل)
لم احتج عليهم بالافول دون البرزوخ وكلاهما انتقال من حال الى حال (أجيب) بأن الاحتجاج
بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ولما ظهر خلاف قومه واسهتروا فى شركهم وقالوا
له من تعبد أدت أظهر لهم ما هو عليه من الحق بقوله (انى وجهت وجهي) أى أخذت
قصدى وصرفت عبادتى (للاذى فطر السموات والارض) أى خلقتهما وابتدعهما وهو الله تعالى
(خفيفا) أى ما ثل الى الدين القويم عن كل دين يخالفه وأصل الخفيف المبل وهو عن طريق
الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الخفيف هو الذى يستقبل الكعبة بصلاته (وما أنا من
المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه أى وما أنا منكم ولا أعدى عدادكم بشئ أقاربكم
به (وحاجه قومه) أى خاصه في التوحيد وهدوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان لم يرجع عن
الكلام فيها (قال) لهم (أتحتاجونى) أى أتجدلونى (فى الله) أى فى وحدانيته وقرأ نافع وابن
عاصم بخفيف النون وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند الفراء والباقون بالتشديد
وقد أى والحال انه قد (هدانى) الى توحيد ومعرفة (ولا أخاف مما تشركون به)
شأ وذلك ان ابراهيم لما رجع الى أبيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذبايح أى
ذبايح غرود وضعه آزر الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فيذهب
بها ابراهيم وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها
الى غمر فصب رؤسها وقال اشربى استنزاه بقومه وما هم عليه حتى فشا استنزاه بها فى قومه
وأهل قريته فقالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بخبل أو جنون بعبك اياها فقال
انما يكون الخوف من يقدّر على النفع والضرر وهو قوله تعالى (الا أن يشاء ربي شيئا) وهذا

استثناء منقطع معناه لكن ان شاء ربي شأنا من المكروه يصيبني فيكون لانه قادر على النفع
والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه
فلو أصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بذلك (وسمع ربي كل شيء علما) أي أحاط
علمه بكل شيء من معلومه (أفلاتنكرون) أي يقع منكم تذكر فتميزوا بين الحق والباطل والقادر
والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) به أي الاصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
(ولاتخافون) أنتم (أنكم أشركتم بالله) وهو تعالى حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه
أشرك الله صنوع مع الصانع وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع (ما لم ينزل به)
أي بعبادته (عليكم سلطانا) أي حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء (فأي الفريقين) أي حزب
الله وحزب ما أشركتم ولم يقل فأينا تعميها للمعنى (أحق بالآمن) أهم الموحدون أو المشركون
(ان كنتم تعلمون) من الاحق أي ان كان لكم علم فأخبروني عما سألتكم عنه والاحق بذلك هم
الموحدون فاتعوهم قال تعالى قاضيا بينهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أي لم يخلطوا
ايمانهم بشرك روي انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فأينا يظلم
نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون الى ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم (أو لئنك) أي الموصوفون بما ذكر (لهم الامن) أي من العذاب المؤبد (وهم مهتدون)
وقوله تعالى (ولئنك) مبتدأ ويندل منه (بجننا) وهي ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله تعالى
فلما حق علمه الله - ال الى قوله وهم مهتدون أو من قوله تعالى أتتاجوني اليه والخبر (أتيناها
ابراهيم) أي أرشدناه لها حجة (على قومه) ثم انه سبحانه وتعالى لما تفضل على خليله صلى الله
عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة وقرأ عاصم
وحزرة والكسائي بتوين التاء والباقون بغير تنوين (ان ربك حكيم) في صناعته فيرفع من يشاء
ويخفض من يشاء (عليهم) بخلافه فهو الفعل لما يريد (ووهبنا له) أي ابراهيم (اسحق) أي ابنا له
(ويعقوب) أي ابنا لاسحق فهو ابن ابنه (كلا) منهما ومن أيهما (هديننا) الى سبيل الرشاد
ووفقناه الى طريق الحق والضواب (ونوحا هديننا) (من قبل) أي قبل ابراهيم (ومن ذريته)
أي نوح لا ابراهيم لانه تعالى ذكر في جملة نوح ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير
لابراهيم ويكون ذلك من باب التغليب فان التغليب سائغ شائع في اتساب العرب (داود) وهو
ابن ايشاهديناه وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة (وسليمان) هو ابن داود وهما اللذان بنيانيت
المقدس بأمر الله تعالى داود بجظته وتأسيسه وسليمان بكامله وتشيدده (وأيوب) هو ابن أموص
ابن رزاح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
(فان قيل) لم قدم أيوب على يوسف مع ان يوسف أقرب منه (أجيب) بأنه قدمه للمناسبة بينه وبين
سليمان لان كلامهم ما ابتلي بأخذ كل ما في يده ثم رده الله تعالى اليه (وموسى) هو ابن عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى أكبر منه بسنة صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (وكذلك) كما جازنا ابراهيم على توحيده وصبره على أذى قومه

بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء (نحزي الحسين) على احسانهم (وزكريا) هو ابن آدن
 ابن يركا وقرأ حفص وجزء والكسافي بغير همز والباقون بالهمز (ويحيى) هو ابن زكريا
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب
 واسرائيل قال البغوي والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وادريس جد أبي نوح
 وهو الياس ابن ياسين بن فحاص بن العيزار بن هرون بن عمران (كل) منهم (من الصالحين) أي
 الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما
 أخذ ذكره الى هنا لأنه ذكر اسمي وذكرا ولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ ذكر
 اسمعيل الى هنا (واليسع) هو أخطوب بن العجوز وقرأ جزء والكسافي بتشديد اللام وسكون
 الباء والباقون بسكون اللام وفتح الياء (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو بن هاران أخي ابراهيم
 (وكل) منهم (فضلنا على العالمين) أي بالنسبة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من
 الخلق من أنس ومالك ويستدل بهذه الآية من يقول إن الانبياء أفضل من الملائكة وقوله تعالى
 (ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلاً أو نوحاً ومن التبعيض أي وفضلنا بعض آباءهم
 وبعض ذرياتهم واخوانهم لأن آباء بعضهم كانوا مشركين وعيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان
 في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى (واجتنبناهم) أي اخترناهم عطف على
 فضلنا أو هدينا (وهديناهم) أي وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) هو الدين الحق (ذلك) أي
 الذي هدوا اليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) سواء كان له أب يعلمه أو كان له من يحمله
 على الضلال أم لا فهو سبحانه وتعالى هو المفضل بالهداية (ولو أشركوا) أي ولو فرض أشركوا
 هؤلاء الانبياء بعد علو درجته وفضلهم (لحبط عنهم) أي لفسد وسطهم (ما كانوا يعملون)
 أي لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوطوا بها (وأولئك الذين آتيناهم الكتاب) أي أولئك
 الذين سميناهم من الانبياء وهم ثمانية عشر نبيا أعطيناهم الكتاب فالمراد بالكتاب الجنس
 (والحكم) أي العمل المقتن بالعلم (والنبوة) أي وشرقناهم بالنبوة والرسالة (فان يكفر بها) أي
 بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم (فقد وكلنا بها) أي وفقنا للايمان بها
 والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهد به ويحافظ
 عليه واختلف في ذلك القوم فقال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقال الحسن وقتادة هم
 الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله تعالى
 (أولئك الذين هدى الله فيم راهم اقتده) وقال عطاء العطار دى هم الملائكة ونظر فيه لأن اسم
 القوم لا يطلق الا على بني آدم وقيل هم القرس وقيل هم المهاجرون والانصار واستظهر وقال
 ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً أم نبياً أم صحابياً أم تابعياً والمراد بهدايتهم
 ما وافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانهم ليست هدى مضافا
 الى الكل ولا يمكن التامس بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع من
 قبله واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء عليهم الصلاة

العجوز
 والذي
 لجل ابن

والسلام قال ويانه ان جميع الخصال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب
احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق
ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على
النعمة كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء كما قال تعالى
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أقرب وكان يوسف قد جمع بين الخصال أي الصبر والشكر وكان
موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من
أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واحسان ثم
ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال المجودة
والمفتقرة فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من الخصال
التي كانت متفرقة في جميعهم اه وقرأ آية زكاة الكسائي بحذف الهاء في الوصل وحرك الهاء
بحركة مختلصة ابن عامر ومد على الهاء ابن ذكوان بخلاف عنه وسكن الهاء الباقون في الوصل
وأما في الوقف فجميع القراء يثبتون الهاء ويسكنونها (قل) يا محمد لاهل مكة (لا أسألكم عليه)
أي القرآن أو التبليغ (أجرا) أي لا أطلب على ذلك جعللا (ان هو) أي القرآن أو التبليغ
(الاذكري) أي عظة (للعالمين) أي الانس والجن (وما قدرنا) أي اليهود (الله حق قدره) أي
ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمتهم (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه
في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء) قال سعيد بن جبيرة جازل من اليهود يقال له مالك
ابن الصيف من أحبار اليهود رؤسائهم يخاضعون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله تعالى
يبغض الخبثاء البهيمين وكان حبرا سهينا والخبث بالفتح والكسر وهو أفصح العالم بتعصير الكلام والعلم
وتحسينه قاله الجوهرى فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه وبذلك
ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني فترعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي
نزلت في فخاص بن عازوراه وهو قاتل هذه المقالة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالت
اليهود يا محمد أنزل الله تعالى عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا
قال الله تعالى (قل) لهم (من أنزل الكتاب) أي التوراة (الذي جاء به موسى) أي الذي أنتم
ترجعون التمسك بشريعته حال كون الكتاب (نورا) أي ذا نور أي ضياء من ظلمة الضلالة
(وهدي) أي ذاهدي (للناس) أي يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن
يبدل ويغير (يجمعونه قراطيس) أي يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) أي يظهرون
ما يحبون اظهاره منها (ويخفون كثيرا) أي مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء في المواضع الثلاثة على الغيبة جلا على قالوا وما قدرنا
والباقون بالتاء على الخطأ وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جعلهم للتوراة وذمتهم على تجزئتها

بأبداء بعض انتخابه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاه بعض لا يشتمونه وقوله تعالى (وعلمتم)
 أي على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آبائكم) خطاب لليهود أي علمتم
 زيادة على ما في التوراة وبيانها بالنسب عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره أن
 هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يحتفلون بذكرهم النعمة فيما عليهم
 على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الخطاب لمن آمن من قريش وقوله تعالى (قل الله) أنزله
 راجع إلى قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى أي فان أجابوا بأن الله أنزله فذلك
 والافضل أنت الله أنزله إذ لا جواب غيره (ثم ذرهم) أي اتركهم (في خوضهم) أي باطلهم
 (يلعبون) أي يستمزجون ويسخرون وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ
 بآية السيف (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مارك) أي كثير الخير والبركة دائم النفع يشير
 المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة التمام والزيادة وشبوت
 الخير (مصدق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب الإلهية المنزلة من السماء على الأنبياء لانها
 مشتملة على التوحيد والتعزية لله تعالى وعلى البشارة والذمارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا
 لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى (ولينذر) قرأ مشعبة بالياء على الغيبة أي لينذر الكتاب
 والباقون بالنساء على الخطاب أي ولينذر يا محمد (أم القرى) أي أهل مكة وسيت أم القرى لانها
 قبله أهل القرى ومحجهم ومجتمعتهم وأعظم القرى شأنها وبعض المجاورين
 فن يلق في بعض القرى راحله * فأم القرى ملقى راحلي ومنسأني

وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها وألانها مكان أول بيت وضع للناس (ومن حولها) أي جميع
 البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) لأن من صدق
 بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
 والضمير يحتملهم أو يحافظ على الطاعة * وتخصيص الصلاة في قوله تعالى (وهم على صلاتهم
 يحافظون) لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت لطفاله في المحافظة على
 أخواتها (ومن) أي لأحد (أظلم ممن افترى) أي اختلق (على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبياً
 كسبالة الكذاب والاسود العنسي وأختلق عليه أحكاما كعمر بن لحي ومتابعيه (أوقال أوحى
 إلى ولم يوح إليه شيء) قال قتادة نزلت في مسيلة الكذاب من بني حنيفة وكان يسجد
 ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله تعالى أوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مسيلة بنى قالانعم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم وعن أبي هريرة رضي
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذا بوقت خرائش الأرض فوضع
 في يدي سواران من ذهب فكبراً على وأهاني فأوحى الله تعالى إلى أن اتبعهما ففتحنهما ففطارا
 فأولتهما الكذابين اللذين أتانيهما صاحب صنعا وصاحب الميامة مسيلة الكذاب وفي لفظ
 الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كأن في يدي سوارين فأولتهما

كذا بين بخرجان بعدى يقال لاحدهما مسيلة صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء وقوله
 صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى أن اتفخهما بالحاء المهملة ومعناه الرجي والدفع من نفخت
 الدابة برجلها ويروى بالحاء المعجمة من النفخ وهو قريب من الاول فأما مسيلة الكذاب
 فانه ادعى النبوة فى اليمامة وتبعه قوم من بنى خنيفة وقتل فى خلافة أبي بكر قتله وحشى قاتل
 حمزة رضى الله تعالى عنهم ما وكان يقول قتل خير الناس يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلة
 الكذاب قتل الاول وهو كافر وقتل الثانى وهو مسلم وأما الاسود العنسى بالنون ويقال له
 ذوالجار ادعى النبوة باليمن فى آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل فى حياته صلى الله
 عليه وسلم قبل موته بيومين وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتله قتله فيروز الدبلى فقال صلى
 الله عليه وسلم فاز فيروز بقتل الاسود العنسى (ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله) قال السدى
 نزلت فى عبد الله بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى
 عليه صلى الله عليه وسلم سمعنا بصيرا كتب علينا حكيمًا واذا أملى عليه علينا حكيمًا كتب
 غفورًا رحيمًا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقًا فقد
 أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام
 فأسلم قبل فتح مكة حين نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة الظهران وقال ابن عباس ومن قال
 سأ نزل مثل ما أنزل الله يريد المسهتزين وهو جواب لقولهم لولنا لقلنا مثل هذا قال العلماء
 وقد دخل فى حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبًا فى ذلك الزمان وبعده لان خصوص
 السبب لا يمنع عموم الحكم (ولوترى يا محمد اذا الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
 أى ولوترى الظالمين المذكورين (فى غمرات) أى شدايد (الموت) من غمر الماء اذا غشيه فاستعير
 للشدة الغالبة (والملائكة باسطوا أيديهم) أى اقبض أرواحهم كالمقتضى الملازم لغريمه
 لا يبارقه أو بالعذاب أو الضرب يضر بون وجوههم وأدبارهم يقولون لهم تعبنا (أخرجوا
 أنفسكم) المبالغة قبضها (فان قيل) انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فافائدة هذا
 (أجيب) بأنهم يقولون لهم أخرجوها لان المؤمن يجب ابقاء الله بخلاف الكافر وقيل
 يقولون لهم خلاصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخًا لهم
 لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب فى ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب
 الهون) أى الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) أى كادعاء الولد والشريك له تعالى
 ودعوى النبوة والايحاء كذا (وكنتم عن آياته تستكبرون) أى تستكبرون عن الايمان بها وجواب
 لوجه حذف تقديره رأيت أمرًا فطيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا للحساب والجزاء (لقد جئتمونا
 فرادى) أى مفتردين عن الاهل والمال والولد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الاهوان
 والاثوان التى زعمتم انهم اشفعوا لكم وهو جمع فردوا لانفلاتنايت ككسالى وفى هذا تقرير

وتوابع لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه واقفوا اعجازهم
 في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم ذلك شيئا يوم القيامة فبقوا افرادى عن كل ما حصوه في الدنيا
 (كما خلقناكم اول مرة) أى حفاة عراة غرلا روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها
 قرأت هذه الآية فقالت يا رسول الله وادوا أنه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم
 الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر
 الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال وروى عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا أى غير مختونين وفي رواية زيادة على ذلك بهم ما قال الجوهرى
 وغيره أى ليس معهم شئ قالت عائشة رضى الله عنها فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى
 بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر أشد ان بهمهم ذلك (وتركتهم ما خلقناكم) أى
 ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فاشغلتهم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) أى في الدنيا فأغنى عنكم
 ما كنتم منه تستكثرون (و) يقال لهم تو بخا (ما ترى معكم شفعاكم) أى الاصنام (الدين زعمتم
 أنهم فيكم) أى في استحقاق عبادتكم (شركاء) أى الله وقوله تعالى (لقد تقطع بينكم) قرأه نافع
 وحفص والكسائي بنصب الذنون أى لقد تقطع ما بينكم من الوصل والباقون بالرفع أى لقد تقطع
 وصلكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل (وصل) أى ذهب (عنكم ما كنتم
 تزعمون) أى من أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء (ان الله فائق) أى شاق (الحب) أى عن
 الثبات (والنوى) أى عن النحل وقيل المراد الشق الذى فى الخنطة والنواة والحلب جمع
 الحبة وهو اسم لجميع البرزور والمحبوب من البر والشجر والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع
 نواة وهى كل ما لم يكن حبا كالتمر والمشمس وغيرهما وقال الضحاك فائق الحب والنوى يعنى خالق
 الحب والنوى (يخرج الحى من الميت) أى كالانسان من النطفة والطائر من البيضة
 (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر (تنبيه) * يخرج
 معطوف على فائق كما قاله الرخشمى ويصح عطفه على يخرج لان عطف الاسم المشابه بالفعل
 على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم الشبيه بالفعل كقوله تعالى ان المصدقين
 والمصدقات واقضوا الله قرضاهم فما قرضوا معطوف على المصدقين لشبهه بالفعل لكونه
 اسم فاعل ويخرج شبيهه بالفعل لكونه اسم فاعل وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بتشديد
 الباء والباقون بالتخفيف (ذا لكم) المحي والمميت هو (الله) الذى يحق له العبادة (فانى) أى
 فكيف (توفكون) أى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وقوله
 تعالى (فائق الاصباح) مصدريه يعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من النهار
 عن ظلمة الليل أو شاق ظلمة الاصباح وهو الغيش الذى عليه فى آخر الليل (وجاعل الليل سكا) أى
 يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن عباس اذ كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أنعب
 نفسه فاحتاج الى زمان يستريح فيه ليسكن فيه عن الحركة وذلك هو الليل وقرأ عاصم وحزرة
 والكسائي بنصب العين واللام ولا ألف قبل العين على الماضى جملا على معنى المعطوف عليه

فان قالق بمعنى فلق والباقون بكسر العين ورفع اللام وأنف قبل العين وقوله تعالى (والشمس
والقمر) منصوبان بالضمارفعل دل عليه جاءل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسباناً) أى
حساباً بالاولقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدرأى يجريان بحسبان كفى آية الرحمن وقوله
تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكال علمه وهو
المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه (وهو
الذى جعل) أى خلق (لكم النجوم) لتهتدوا به فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل فى البر
والبحر واضافتها اليهما للملازمة أو فى مشتبهات الطرق ومماها ظلمات على الاستبارة وهو
افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم ومن منافعها أنها زينة للسماء كما قال تعالى
واقدرنا السماء الدنيا بصابع ومنها رعى الشياطين كما قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين
(قد فصلنا) أى بينا (الآيات) أى الدالات على قدرتنا وتوحيدنا (لقوم يعلمون) أى يسدرون
فانهم المنتفعون به (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم (من نفس واحدة) أى من آدم عليه الصلاة
والسلام فهو أبوا البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهى من
بنات آدم فثبت ان جميع البشر من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) أى فستقر فى الرحم
ومستودع فى القبر أى أن يبعث أو فستقر فى أرحام الائمةات ومستودع فى أصلاب الآباء قال
سعيد بن جبيرة قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال أما انه ما كان مستودعاً فى ظهره
فسخرجه الله عز وجل أو مستقر فى الرحم ومستودع فوق الارض قال تعالى ونقر فى الارحام
ما نشاء أو فستقر على وجه الارض ومستودع عند الله فى الآخرة أو فستقر فى القبر ومستودع
فى الدنيا وكان الحسن يقول يا ابن آدم أنت وديعة فى أهلاك يوشك ان تلحق بصاحبك أو فستقر فى
القبر ومستودع فى الجنة أو النار قال تعالى فى صفة الجنة حسنت مستقر أو فى صفة النار
وساءت مستقر أو قرأ ابن كثير وأبو عمر وبكسر القاف على اسم الفاعل والمستودع مفعول أى فتمكم
قار ومكنكم مستودع لان الاستقرار من الله تعالى دون الاستيداع لان الاستقرار فى الاصلاب
أو فوق الارض لاصنع للعبد فيه بخلاف الاستيداع فى الارحام أو تحت الارض والباقون
بالنصب (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أى يفهمون ما يقال لهم ذكر النجوم يعلمون
لان أمرها ظاهر وذكرا مخفية بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة ونصير يفهم بين
أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء
ماء) أى مطرا وهو من السحاب أو من جانب السماء وقيل ان الله تعالى ينزله من السماء الى
السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا به) أى بالماء وفى ذلك التفات حيث لم يقل
فأخرج على وفق أنزل (نبات كل شئ) أى شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات فالسبب
واحد وهو الماء والمسيبات صنوف متفرقة كما قال تعالى تسقى بها واحداً وفضل بعضها على
بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) أى من النبات أو الماء (خضرا) أى شيئاً أخضر يقال أخضر
وخضر مثل أعور وعور والآخر هو جميع البقول والزرع والبقول الرطبة (فخرج منه)

أى الخضر (جاءت راكباً) أى يركب بعضه بعضاً كسابل الخنطة والشعير والارز والذرة وقوله
 تعالى (ومن النخل) خبر مقدم ويبدل منه (من طلعها) وهو أول ما يخرج منها والمبتدأ (قوان)
 أى عراجين (دانية) أى قريبة من التناول يتناولها النائم والقاعد أو قريب بعضها من بعض
 وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها وهى البعيدة لدلالة اسمها على كونه تعالى سبباً لئلا يسل تقيكم الحر
 أى والبرد واكتفى بذكر أحدهما وحكمة تخصيص دانية بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله تعالى
 (وجنات) عطف على نبات كل شئ أى وأخرج نباته بساتين (من أعذاب) وقوله تعالى (والزيتون
 والرمان) عطف أيضاً على نبات أى وأخرج نباته شجر الزيتون والرمان (مشتبه وغيره متشابه) قال
 قتادة معناه مشتبهها ورقها مختلفا ثمها لأن ورق الزيتون يشبهه ورق الرمان وقيل مشتبهها
 فى النظر مختلفا فى الطعم والله سبحانه ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع
 وقدم الزرع على سائر الاشجار لأن الزرع غذاء وغذاء الاشجار فواكه والغذاء مقدم على
 الفواكه وقدم النخل على غيرها لأن ثمرها يجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس
 فى غيرها من الاشجار قال بعضهم وليس لنا شئ من الشجر يحتاج الى ذكر غير النخل أى فى تطيب
 ثمرها وذكر العنب عقب النخل لانه من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عنب الزيتون لما فيه من
 البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان لما فيه من المنافع أيضاً (انظروا) أى الخاطبون نظروا اعتبار
 (التي ثمره) قرأ حذرة والكسائي بضم الناء والميم والباقون بالنصب وهو جمع غرة كشجرة وشجر
 وخشمة وخشب (إذا ثمر) أى حين يبدو من أكلها ضعة فاقبل النفع أو عديته (و) انظروا الى
 (ينعه) أى الى ادراكه اذا أدركه وان قطعه كيف يصير ذائقه ولذته والمعنى انظروا وانظروا استدلال
 واعتبروا كيف أخرج الله هذه الثمرة اللذيذة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى
 (ان فى ذلكم لايات) أى دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره فان حدوث الاجناس
 المختلفة والانواع المختلفة من أصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم
 تفاصيلها ويرجع ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله نذره ارضه
 أرضه يأنده وخصر المؤمنين بالذكر بقوله (لقوم يؤمنون) لانهم المستفعدون بها بخلاف
 الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) أى
 الشياطين لانهم أطاعوه فى عبادة الاوثان فجعلوا شركاء لله (فان قيل) لله مقول ثان لجعلوا
 وشركاء مقول أول ويبدل منه الجن فافائدة التقديم (أجيب) بأن فائدة استعظام أن يتخذ الله
 شريك من جن أو انس أو ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركاء وقيل المراد بالجن الملائكة
 بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله ومما هم جننا لاجتنانهم تحقير الشأنهم وقال الكلبي
 نزلت فى الزنادقة أميتوا الشريك لابلis فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام
 وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب فيقولون هو شريك الله فى تدبير هذا العالم
 فما كان من خير ففى الله وما كان من شر ففى ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً وقوله تعالى
 (وخلقهم) حال بتقدير قد والضمير اما أن يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف

يكون شريك الله عز وجل محمدنا مخلوقا وأما أن يعود إلى الجناحين لله شركاء فيكون المعنى
 وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا
 لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى خالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله
 شريك في ملكه (وخرقوا) قرأه نافع بتشديد الراء والباقون بالتخفيف أي اختلفوا (البنين
 وبنات بغير علم) وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق
 الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة غريبة كانت العرب تقولها
 كان الرجل إذا كذب كذبة في نادى القوم يقول لبعضهم قد خرقها والله (سبحانه) تنزيها له
 (وتعالى عما يصفون) بأن له شريكا أو ولدا (بديع السموات والارض) أي مبتدعها
 من غير سبق مثال ورفع بديع على الخبر والمبتدأ محذوف أي هو بديع أو على الابتداء والخبر
 (أي يكون له ولد) أي من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد لأن الولد لا يكون
 الا من صاحبة أنثى (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق (وهو بكل شيء عليم) لا تخفى عليه خافية
 وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مبدع السموات والارض وهي اجسام
 عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة لكونها مخلوقة لا يستقيم أن توصف بالولادة لاستمرارها
 وطول مدتها ومخترع الاجسام لا يكون جسمها حتى يكون والدا الثاني أن الولادة لا تكون
 الا من ذكر وأنثى مجانسين وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم يصح الولادة
 والثالث أنه ما من شيء الا وهو خالقه والعالمية ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد
 انما يطلبه المحتاج وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
 وقوله تعالى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) اخبار مترادفة ويجوز أن يكون
 البعض في غير الله تعالى بدلا لوصفة لان الله تعالى اولها ^{صفة والبعض خبر} وقوله تعالى
 (فاعبدوه) مسبب عن مضمون ذلك فان من استجمع هذه صفات استحق العبادة (وهو على
 كل شيء وكيل) أي وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والالجال رقيب على
 الاعمال فيجازي عليها (لا تدركه الابصار) جمع بصير وهي حاسة النظر وقد يقال العين من حيث
 انها محلها والادراك الحاطة بكنه الشيء وحقيقته وتسمك بظاهر هذه الآية قوم من أهل البدع
 وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان
 رؤيته مستحالة عقلا لان الله تعالى أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك الله صراحة عن الرؤية اذ لا
 فرق بين قولك أدركته ببصري ورأيت به بصري فثبت بذلك ان لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه
 الابصار وهذا يقيد العموم وذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي
 الجنة واستدلوا المذهبهم بأشياء من الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من السابقين
 الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الآية دليل على أن المؤمنين
 يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رضي الله
 تعالى عنه يجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت أن قوما يرونه بالمعصية وهي الايمان وقال مالك

رضى الله تعالى عنه لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الله تعالى الكفار بالجاب وقال
 تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة مفسرة بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة
 ومن السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
 لاتضامون في رؤيته فان استقطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
 فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومنها أن ناسا قالوا يا رسول الله
 هل نرى ربنا يوم القيامة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر
 أى هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك وعن أبي رزين
 العقبلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أكنى يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
 وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالتة
 أعظم انما هو خلق من خلق الله أى القمر فالله أعظم وأجل وأحجج أهل السنة أيضا على جواز
 رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول كليم الله موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليك اذ لا يسأل
 نبي ما لا يجوز أو يستع وقد علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه
 فسوف ترانى واستقر الجبل جانبا والمعلق على الجانبا جزاء عما قول المتسكين بظاهرا الآية
 وان الادراك بمعنى الرؤية فمعنوع لان الادراك هو الوقوف على كنه الشئ والاحاطة به والرؤية
 المعينة وقد تكون المعينة بلا ادراك قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام قال أصحاب
 موسى اننا لندركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوه هم فتنى موسى
 عليه السلام الادراك مع ثبوت الرؤية فالتة تعالى يصح أن يرى من غير ادراك ولا احاطة
 كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به قال تعالى ولا يحيطون به علما فتنى الاحاطة مع ثبوت العلم قال
 سعيد بن المسيب لا يحيط به الابصار وقال عطاء كذا أبصار الخلقين عن الاحاطة به وقال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وظاهر
 هذا التسوية بين الادراك والرؤية ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
 الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد بيوم القيامة ويكون هذا جمعا بين اليتين (وهو يدركه
 الابصار) أى براها ويحيط بها علما فلا يخفى عليه شئ ولا يغوته شئ (وهو اللطيف الخبير) قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما اللطيف بأمانته الخبير بهم وقال الزهرى اللطيف الرفيق بعباده
 وقيل اللطيف الموصل الشئ بالرفق واللين وقيل اللطيف الذى ينشئ العباد ذنوبهم لئلا ينجبوا
 (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة أى حجج (من ربكم) تبصرون به الهدى من الضلالة والحق
 من الباطل (فمن أبصر) أى عمل بالادلة (فلنفسه) أى خاصة ابصاره لانه خاصها من الضلال
 الى الهدى (ومن عمى) أى لم يهتد بالادلة (فعليها) أى خاصة عماه لانه يضل فلا يضره الانفسه
 (وما أنا عليكم بحفيظ) أى برقيب لأعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ
 أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك) أى كما ينما ذكر (نصرف) أى نبين (الآيات) من حال

الى حال في المعاني المتنوعة سالكين من وجوه البراهين بما يفوت القوى ويعجز القدر ليعتبروا
(وليقلوا) اعتذارا عند ظهور عجزهم (دارست) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بين الدال والراء
أي إذا كنت أهل الكتاب والباقون بغير الف أي درست كتب الماضين وجمعت بهذا منها وقرأ
ابن عامر بفتح السين وسكون التاء من الدروس أي هذه الآيات التي تتلوها علينا قدعية قد
درست وانحت كقولهم أساطير الاولين وقيل اللام فيه لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا
دارست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وسرنا (ولنبينه) أي الآيات وذكر الضمير لانها في معنى القرآن كأنه قيل
وكذلك نصرت القرآن والقرآن وان لم يجزله ذكر لكونه معلوماً والى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيداً (لقوم يعلمون) فانهم المستمعون به وقوله تعالى (اتبع) خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم أي اتبع يا محمد (ما أوحى اليك) أي القرآن فالزم العمل به ثم أكد مدحه بقوله
(من ربك) أي المحسن اليك بهذا البيان وقوله تعالى (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب
الاتباع لما في كلمة التوحيد من التمسك بحبل الله والاعتصام به والاعراض عما سواه وقول
البيضاوي أحوال مؤكدة من ربك بمعنى منفرد في الألوهية بمعنى على جوازناً كبداء الجملة
الفعلية بالاسمية وهو نادر (وأعرض عن المشركين) ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم
ومن جعله مفسوخاً بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم التكليف عنهم (ولو شاء الله)
ايانهم وعدم اشراكهم (ما أشركوا) وهذا نص صريح في أن شركهم كان بشيئة الله تعالى
خلافاً للمعتزلة في قولهم لم يرد الله من أحد الكفر والشرك والآية رد عليهم (وما جعلناك
عليهم حفيظاً) أي رقيباً فتجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي فتجبرهم على الايمان
وهذا قبل الامر بالقتال (ولا تسبوا الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) وهي الاصنام
أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدواً) أي اعتداء وظلماً
(بغير علم) أي جهلاً منهم بالله وما يجب أن يذكر به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يظعن
في آلهتهم فقالوا للتمتمين عن سب آلهتنا ولتسبوا الهك فنزلت وقال السدي لما حضرت
أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلتدخلن على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه
فاننا نسقي أن نفعله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه عنه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو
جهل وأبي بن خلف ومعهم جماعة الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمداً
قد اذانا وآلهتنا فنب أن تدعوه وتنهائهم عن ذكر آلهتنا وتدعوا والهة فطلبه وقال هؤلاء قومك
وبنوعك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وتدعك والهك وقد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم رأيتم أن أعطيتمكم هذا هل أنتم معطي كلمة ان تسلمتم بهاملكم
العرب ودانت لكم بها العجم فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فهاهي قال
قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما نأبأ بذي أقول
غيرها فقالوا لتكفن عن سب آلهتنا ولتسبوا الهك ففعلت وقيل كان المسلمون يسبونهم

فمنهم الثلاث يكون منهم سبب السبب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية واحدة
وجب تركها فان ما يؤدى إلى الشر من (كذلك) أى كان ينالها ولا ما هم عليه من عبادة
الاولئان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان (زيئ التكل أمة عملهم) أى من الخير والشر
باخذات ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذلا وفي هذه الآية دليل على تكذيب
القدرية والمنعزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفروتن يشبه فهو القفال لما يزيد
لا يستعمل عما يفعل (ثم إلى ربهم مرجعهم) في الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) في الدنيا
فيجازيهم به (واقسموا) أى كفار مكة (بأن الله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهداهم فيها (لئن جاءتهم
آية) أى مما اقترحوه (لبؤمنينها) روى أن قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا أن موسى كان معه عصا
يفضرب بها الحجر فينفضر منه الماء اثنتي عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فأتنا من
الآيات حتى نصدقك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تحبون قالوا نجعل لنا
الصفاد ذهباً وتبعنا لنا بعض أمواتنا حتى نساله عنك أحق ما تقول أم باطل وأزنا الملائكة
يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون أنصديقى قالوا نعم
والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم
حتى يؤمنوا أفقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفاد ذهباً فجاء جبريل عليه
السلام فقال يا رسول الله لك ما شئت أن شئت أصبح ذهباً ولكن ان لم يصدقوا ليعذبهم الله وان
شئت تركهم حتى يتوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تأثمهم فنزلت قال الله
تعالى (قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) أى
وما يزيدكم أياها المسلمون بإيمانهم اذا جاءت فانهم كانوا يتمنون بحجى الآية طمعاً فى إيمانهم أى
أنهم لا تدرون ذلك (انما اذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق فى على وقرأ أبو عمر وبسكون الراء وروى
عن الدورى اختلاس الضم وكسر الهمزة من انما ابن كثير وأبو عمر وعلى الابتداء وقالاتم
الكلام عند قوله تعالى وما يشعركم والياقون بالفتح فهى بمعنى لعل وهو شائع فى كلام العرب
أثبت السوق أنك تشتري لنا شئاً بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

اعاذل ما يدريك أن منيتى • إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى غد

أى لعل منيتى وقرأ ابن عامر وحزرة لا تؤمنون بالتمام خطا بالكفار والياقون بالبناء على الغيبة
(ونقلب أفئدتهم) أى ونقول قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه (ونقلب) أى بصارتهم عن الحق
فلا يصرونه فلا يؤمنون لأن الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على
الكفر (كما لم يؤمنوا به) أى بما أنزل من الآيات (أول مرة) أى التى جاء بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل الشقاق القفر وغيره من المعجزات الباهرات وقيل بمعجزات موسى
وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى أولم يكفروا بما أنزل من قبل وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آية الاولى دار الدنيا أى لوردوا من الآخرة إلى الدنيا فقلبت
أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا فى الدنيا قبل ما أنزل الله تعالى ولوردوا العادوا

لما سنوا عنه (ونذرهم) أي نذرهم (في طغيانهم) أي ضلالهم (بعمهون) أي يترددون متحيزين
 لانخدعهم هداية المتقين (ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) أي
 جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشمسوا
 بصدقك والباقون بضم القاف والباء جمع قبيل أي فوجا فوجا (ما كانوا يؤمنوا) لما سبق في علم
 الله وقوله تعالى (الآن يشاء الله) استثناء منقطع أي لكن ان شاء الله ايمانهم فيؤمنون أو
 استثناء من أعم الاحوال أي لا يؤمنون في حال الاحال مشيئة الله تعالى ايمانهم (ولكن أكثرهم
 يجهلون) أي انهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
 استند الجهل الى أكثرهم لان بعضهم معاندين مع ان مطلق الجهل يعمهم فيشمل المعاند ولكن
 أكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيمتنون نزول الآية طمعا في ايمانهم (وكذلك) أي ومثل
 ما جعلنا لك أعداء من كفار الانس والجن (جعلنا لكل نبي) أي ممن كان قبلك (عدوا) ويبدل
 منه (شياطين) أي مرردة (الانس والجن) وفي هذا دليل على أن عداوة الكفرة للانبيا عليهم
 الصلاة والسلام بفعل الله تعالى وخلقه (يوحى) أي يوسوس (بعضهم) أي الشياطين من النوعين
 (الى بعض زخرف القول) أي مموهه من الباطل (غرورا) أي لاجل أن يغروهم بذلك (ولو شاء
 ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أي هذا الذي أنبأتك به من عداوتهم وماتفرع عليها وفي هذا دليل ايضا
 فذرهم) أي اترك الكفرة على أي حالة اتفقت (وما يعترفون) من الكفر وغيره مما زين لهم
 وهذا قبل الامر بالقتال وقوله تعالى (واتصني) عطف على غرورا ان جعل له أي وأقبل ميلا
 قويا (اليه) أي الزخرف الباطل (أفئدة) أي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس
 في طبعهم الايمان بها لانها غيب واهم لبلاذتهم واقفون مع وهمهم ولذلك استوات عليهم الدنيا
 التي هي من أصل الغرور وملتقى بمعدوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عداوا والمعترلة
 لما اضطروا فيه قالوا اللام العاقبة وهو قول الزخري في كشفه ان اللام للصيرورة
 (وليرضوه) أي الزخرف الباطل لانفسهم (وليعترفوا) أي يكسبوا (ما هم مقترفون) من
 الاثم فيعاقبوا عليها ونزل لما قال مشركوا قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اجمعل بيننا
 وبينك حكما احبار اليهود وان شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من
 أمرنا (أفغير الله) أي قل لهم يا محمد أفغير الله (ابنعي) أي أطلب (حكما) أي قاضيا بيني وبينكم
 (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) أي الاكمل المجز وهو هذا القرآن الذي هو بيننا لكل شيء
 (مفصلا) أي مبينا فيه الحق من الباطل (والذين آتيناهم الكتاب) أي المعهود انزاله من
 التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) لما عندهم به من البشارة في كتبهم
 ولما لهن موافقتهم في ذكر الاحكام المحمكة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه
 ترقق القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به على ما في كتبهم من التفصيل بما فيه
 المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية وانما وصف جمعهم بالعلم
 لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو ممكن باذني تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبد

الله بن سلام وأصحابه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون
 ويخفف الزاي (فلا تـكـونـن) يا محمد (من الممتريـن) أي الشاكين في أن علماء أهل الكتاب
 يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل فلا تكونن في شك مما قصصنا فيكون من
 باب التخيـض فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان في الظاهر للنبي صلى
 الله عليه وسلم الآن المراد به غيره أي فلا تكونن أيها الإنسان السامع لهذا القرآن في شك أنه
 منزل من عند الله لما فيه من الإعجاز الذي لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى (وقت كلمات
 ربك) أي بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده وقرأ عاصم وحجزة والكسائي بغیر ألف
 بين الميم والتاء والباقون بالألف (صدقا) في الأخبار والمواعيد لا يقدر أحد أن يبدى في شيء منها
 خدشا بخلاف ما عن مطابقة الواقع (وعدلا) أي في الأقضية والأحكام ونصهم ما على التميز
 ويحتمل الحال والمفعول له (لا مبدل لكلماته) بنقض أو خاف بل كل ما أخبر به فهو كائن
 للاحتمال رضي من رضي وسخط من سخط وقيل المراد بالكلمات القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه
 المغيرون ولا ينقصون (وهو السميع) لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل (وان قطع أكثر من في
 الأرض يضلوا عن سبيل الله) أي دينه وأكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة وقيل الأرض
 مكة وذلك أن المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أم كل الميتة فقالوا للمسلمين
 انكم تزعمون انكم تعبدون الله فكيف تأكلون ما قتلتم ولأننا نكون ما قتل ربكم فنزلت
 وقيل لا تطعمهم في اعتقاد انهم الفاسدة فأنك ان تطعمهم يضلوا عن سبيل الله أي يضلوا عن
 طريق الحق ومنهج الصدق ثم علل ذلك بقوله (ان) أي لانهم ما (ينبعون) في مجادلتهم لك
 (الالطفت) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق (وان) أي ما (هم الا يخرون) أي يكذبون على
 الله عز وجل فيها ينسبون اليه كالتخاذ للولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
 وتحريم البهائم ونحو ذلك (ان ربك هو) أي لا غيره (أعلم) أي عالم (من يضل عن سبيله وهو) أي
 لا غيره (أعلم) أي عالم (بالمهتدين) فيجازي كلامهم بما يستحقه وقوله تعالى (فكوا عماد كراسم الله
 عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحزمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا
 مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولأننا كوا عماد كراسم الله عليه اسم غيره تعالى أومات حنط الله (ان كنتم
 بآياته مؤمنين) أي ان كنتم محققين الايمان فكوا عماد كراسم الله عليه فان الايمان بآياته يقتضي
 استباحة ما أحله الله تعالى واجتناب ما حرمه (وما لكم) أي أي غرض لكم في (ان لا تأكلوا
 مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) أي بين (لكم ما حرم عليكم) أي مما يحرم في آية
 حرم عليكم الميتة تفصيلا واضح البيان ظاهر البرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
 بضم القاء وكسر الصاد والباقون بفتحهما وقرأ نافع وحفص بفتح الحاء والراء والباقون بضم
 الحاء وكسر الراء (الاما اضطررتم اليه) أي مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة (وان
 كثيرا) من الذين يجادلونكم في أم كل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم كيف تأكلون ما قتلتم
 ولا تأكلون ما قتل ربكم (ايضلون بأهوائهم) أي بما تهوى أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرأ

عاصم وحزوة والكسائي بضم الياء والباقون بفتحها (بغير علم) يعقدونه في ذلك وقيل المراد بذلك
عمر بن الحنفية فمن دونه من المشركين لانه أول من بجر البحار واسب السواحب وأباح الميتة وغير
دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق الى الباطل
والحرام الى الحلال (وذروا) أي اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) أي ما علمتم به وما أسررتكم به من
الذنوب كلها وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه أفعال القلوب فيدخل فيه
الحسد والكبر والعجب وارادة الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهر الاثم الزناة في الحوائط
وباطنه المرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا (ان الذين يكسبون الاثم) في الدنيا بارتكاب
المعاصي (سيهزون) في الآخرة (بما كانوا يفترون) أي يكسبون وظاهر هذا النص يدل على
عقاب المذنب ومذهب أهل السنة انه اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا
عنه بفضل الله اما اذا تاب من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب فان التائب من الذنب يكن لا ذنب له
(ولانا كلوا مما يذ كر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من
المختصة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف
أهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذ كر اسم الله تعالى عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء أتركت
التسمية عمد أم نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم الى حلها
مطلقا ويروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي وأجد وذهب قوم الى أنه ان ترك التسمية
عامدا لم تحل أو ناسيا حلت وهو مذهب مالك ومن قال بالإباحة مطلقا قال المراد من الآية
الميتات وما ذبح على غير اسم الله بدليل قوله تعالى (وانه افسق) أي ما ذ كر عليه اسم غير الله كما
قال تعالى في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحى الى محرما الى قوله أو فسقا أهل غير الله به والضهير
لما يجوز أن يكون لا كل الذي دل عليه لانا كلوا واحتجوا أيضا في إباحتها بما روي
البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قالوا يا رسول الله ان هنا أقواما حديث
عهد هم يشرك يا تؤتنا لبعمان فلان دري أيد كرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله
وكوا فلو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان الشك وفي جودها مانعا من أكلها كالشك في أصل
الذبح (وان الشياطين ليوحون) أي يوسوسون (الى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم)
في تحليل الميتة بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتل الله وهذا يؤيد
التاويل بالميتة (وان أطعموهم) أي باس تحلال ما حرم (أنكم لمشركون) أي مثلهم
في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل
الله فهو مشرك (أو من كان ميتا) أي بالكفر (فأحيفناه) أي بالإيمان وانما جعل الكفر
موتا لانه جعل الإيمان حياة لان الحى صاحب بصيرة يتدبر به الى رشده ولما كان الإيمان يهdy
الى الفوز العظيم والحياة الأبدية شبه بالحياة وقرأ نافع بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
(وجعلناه نورا يمشي في الناس) أي يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان وقال قتادة هو كتاب
الله القرآن بينة من الله مع المؤمنين يعملون بها يأخذوا بها ينتهي (كن مثله) أي كن هو

(في الظلمات) فقل زائدة (ليس بخارج منها) وهو الكافر أي ليس مثله نزلت هذه الآية في حجة
 ابن عبد المطالب رضي الله تعالى عنه وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل روى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بفرث فاجبر حجة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قصصه ويده قوس وحجة
 لم يؤمن بعد فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يقول يا أبا يعلى ما ترى ما جاء به سفيه
 عقولنا وسفيه ألسنتنا وخالف آباءنا فقال حجة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله
 أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقيل في عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر وأبي
 جهل (كذلك) أي كافرين لهم ومؤمنين إيمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي من
 المكفر والمعاصي قال أهل السنة المزمين هو الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى زيناهم أهمها لهم
 وقالت المعتزلة المزمين هو الشيطان ورد بالآية المذكورة (وكذلك) أي كما جعلنا
 فساق أهل مكة أكبرها (جعلنا في كل قرية أكبرهم مجرمها) أي عظماءها وأكبر جمع أكبر
 كفضل وأفاضل وأسود وأسود وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم
 كما قال في قصة نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم أكبرهم (ليكروا
 فيما) بالصدع عن الايمان وذلك انهم أجلسوا على طرقات مكة أربع نفر ليصرفوا الناس عن الايمان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم اياكم وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب
 فكان هذا مكرهم (وما يكرون الا بانفسهم) لأن وبالبحقيق بهم (وما يشعرون) أي وما لهم
 نوع شعور بذلك (واذا جاءتهم) أي أهل مكة (آية) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا
 ان قومنا به) (حق) فوفى مثل ما أوفى رسول الله) أي من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي
 صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بهم منك لأنى أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً
 فزيت وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا
 صرنا كفرسى رهان قالوا من انبي يوحى اليه والله لا نرضى الا أن يأتينا وحي كآبائه وقوله تعالى
 (الله اعلم حيث يجعل رسالته) استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
 بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجيبى رسالته من علم أنه يصلح لها وحيث
 مفعول به لفعل محذوف دل عليه أعلم لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به أي يعلم
 الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهو لا يسو وأهلها وقرأ ابن كثير وحفص بنص
 التاء ورفع الهاء ولا ألف قبل التاء على التوحيد والباقون بكسر التاء والهاء وألف قبل التاء
 على الجمع (سيصيب الذين أجرموا) يقولهم ذلك (صغار) أي ذل وهو ان (عند الله) يوم القيامة
 وقيل تقديره من عند الله (وعذاب) أي مع الصغار (شديد) أي في الدنيا بالقتل والاسرو في
 الآخرة بالنار (عما) أي بسبب ما (كانوا يعملون) من صدمتهم الناس عن الايمان وطلبهم ما
 لا يستحقونه (فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) بأن يقذف في قلبه نورا فيفسخ له
 ويقبله وما نزلت هذه الآية تسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور
 يقذفه الله في قلب المؤمن يشرح له قلبه وينفسخ قيسل فهل لذلك أماراة قال نعم الا نابة الى

دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت (ومن يزد) أى الله
 (أن يضل به يجعل صدره ضيقاً) أى عن قبول الايمان حتى لا يدخله وقرأ ابن كثير يسكون الياء
 والباقون بتشديد هاء مع الكسر وقوله تعالى (خرجاً) قرأه نافع وأبو بكر بكسر الراء أى شديد
 الضيق والباقون بالفتح وصفا للمصدر وفى الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله واردة
 حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر (كما نما يضاعف فى السماء) أى يشق عليه الايمان كما يشق عليه
 صعود السماء شبه ما لفته فى ضيق صدره عن نزول ما لا يقدر عليه وقرأ ابن كثير يسكون الصاد
 وتخفيف العين من غير ألف بعد الصاد وقرأ شعبة بتشديد الصاد وتخفيف العين وألف بعد الصاد
 بمعنى يتضاعف (كذلك) أى مثل ما جعل الله الرجس على من أراد ضلاله من أهل هذا الزمان
 (يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الشيطان أى يسلطه (على الذين لا يؤمنون) وقال الزجاج
 الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب (وهذا) أى الدين الذى أنت عليه يا محمد (صراطاً) أى
 طريق (ربك مستقيماً) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيه بمعنى الإشارة
 (قد فصلنا) أى بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال أى يتعطلون
 فيعلمون أن القادر على كل شئ هو الله عز وجل وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وقدره
 وخلقه وأنه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لانهم المستفيعون
 (لهم) أى المتذكرين (دار السلام) هى الجنة وأضافها لنفسه فى قول جميع المفسرين فإن
 السلام كما قال الحسن هو الله تعالى تشرىفها لها وتحميتهم فيها سلام أو أراد بهادار السلامة
 (عند ربهم) أى ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره (وهو وليهم) أى المتكفل بتولى أمورهم
 ولا يكلمهم الى أحد سواه (بما) أى بسبب ما (كانوا يعملون) من الاعمال الصالحة التى كانوا
 يتقربون بها اليه فى الدنيا (و) اذكريا محمد (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعاً) أى لا نترك منهم
 أحداً وقرأ حفص بالياء والباقون بالنون وقوله تعالى (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره
 ويقال لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى من اضلالهم واغوائهم حتى صاروا كثيرهم اتباعكم (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم
 (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى استمتع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة
 الانس لهم (وبلغنا اجلنا الذى أجلت لنا) أى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت
 محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
 للحساب فى القيامة (قال) الله تعالى على لسان الملائكة لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من
 الجن والانس (النار مثواكم) أى مأواكم (خالدين فيها) أى الى ما لا آخر له فان الجزاء
 من جنس العمل (الامام شاء الله) أى من الاوقات التى يتقلون فيها من النار الى الزهرى رفقده
 روى انهم يدخلون واديافيه من الزهرى وما يميز بعض أوصلهم من بعض فيستعاضون ويطلبون
 الرذالى العظيم وقيل الامام شاء الله قبل الدخول قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب وقال ابن عباس
 الاستثناء يرجع الى قوم سبق فى علم الله انهم يسلون فيخرجون من النار قال النعمان فاعلمنى من

على هذا التأويل (أن ربك حكيم) في صنعه (عليه) بعواقب أمور خلقه وما هم صابرون اليه
 (وكذلك) أي كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (تولى) من الولاية (بعض الظالمين
 بعضاً) أي على بعض روى عن ابن عباس في تفسيرها هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً
 ولى أمرهم خيأهم وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم (عما) أي بسبب ما (كانوا
 يكسبون) من الكفر والمعاصي (بإمعن الجح والانس ألم يأتكم رسل منكم) أي من مجموعكم
 وهم الانس إذا الرسل منهم خاصة ولكن لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صرح ذلك ونظيره قوله
 تعالى يخرج منهم ما الأولو والمرجان فان ذلك يخرج من الملح دون العذب أو ان رسل الجن نذرهم
 الذين يسمعون كلام الرسول فيبلغون قومهم كما قال تعالى وأصرفنا إليك نقرأ من الجن الآية
 وتعلق بظاهر الآية قوم فقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم (يقصون عليكم آياتي)
 أي يخبرون بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصدق رسلى (ويشذرونكم لقاء
 يومكم هذا) أي ويحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة (قالوا شهدنا
 على أنفسنا) أي اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا
 وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال
 الله تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) أي انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا وما لوالها
 (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا (فان قيل) كيف أقروا على أنفسهم
 بالكفر في هذه الآية ووجدوا في آية أخرى وهي قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (أجيب)
 بتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتناول فيقرون في بعضها ويحجدون في بعض آخر
 (فان قيل) لم كثر شهادتهم على أنفسهم (أجيب) بأن الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون
 وكف يعترفون والثانية ذم لهم على سوء نظرهم وخطاياهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية
 والذات الخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلمة حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى
 الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب الخلد تحذير للسامعين عن مثل حالهم (ذلك)
 أي ارسال الرسل (أن) أي لاجل أن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أي بسبب ظلم ارتكبهوه
 (وأهلها غافلون) أي لم يتنبهوا برسول يبين لهم (واكل) أي من العاملين بطاعة أو معصية (درجات)
 أي جزاء (مما عملوا) أي من خير وشر ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر وانما سميت درجات
 لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتماثل الدرج (ومار بك بغاؤل عما يعاملون) أي عن شئ
 يعلمه أحد من الفريقين بل هو عالم بكل شئ من ذلك وبما يستحقه العامل من ثواب أو عقاب وقرأ
 ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة والباقون بالباء على الغيبة (وربك الغنى) أي الغنى
 المطلق عن كل عابد وعبادته فله عمل العامل لنفع نفسه أو ضررها (ذوالرجة) أي التجاوز عن
 خلقه فمن رجمه ارسال الرسل وتأخير العذاب عن المذنبين اعلمهم يتوبون ويرجعون (ان يشأ
 يذهبكم) يا أهل مكة بالاهلاك فيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف من بعدكم) أي بعد اهلاكم
 (ما يشاء) أي خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم (كما أنشأكم من ذرية) أي نسل (قوم)

آخرين) أذهبهم لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ولكنه أبقاكم
 رحمة بكم (انما وعدون) من مجيئ الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة
 (لا ت) لا محالة (وما أنتم بمحجزين) أي فأتين عذابنا (قل) يا محمد لقومك من كفار قريش
 (يا قوم اعملوا على مكاتسكم) أي حالسكم التي أنتم عليها (اني عامل) على حالي التي انا عليها
 والمعنى ابتغوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والتهديد
 بصيغة الامر مبالغة في الوعيد (فسوف تعلمون) غدا في القيامة (من) موصولة مفعول العلم
 (تكون له عاقبة الدار) أي العاقبة المحودة في الدار الاخرة أنحن أم أنتم (انه لا يفلح) أي
 يسعد (الظالمون) أي الكافرون (وجعلوا) أي كفار مكة (لله مما ذرأ) أي خلق (من الحرث) أي
 الزرع (والانعام نصيبا) قالوا هذا لله بزعهم وهذا لشركاننا) وذلك أن المشركين كانوا يجعلون
 لله من حرثهم وانعامهم وغارهم وسائر أموالهم نصيبا وللآوثان نصيبا فجاء جعلوه لله صرفوه الى
 الضيفان والمساكين وما جعلوه للانعام أنفقوه على الاصنام وخدموها فان سقط شيء من نصيب
 الآوثان فيما جعلوه لله رذوه الى الآوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انتقص شيء مما
 جعلوه لله لم يسألوا به واذا هلك شيء مما جعلوه للانعام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى (فا
 كان لشركتهم) أي ما جعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) أي لجهته فلا
 يعطونه للمساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفي قوله تعالى
 مما ذرأ أنبيسه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا مع الخالق تعالى في خلقه جماد الا يقدر على شيء
 ثم رجوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزعهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم
 الله تعالى به وقرأ الكسائي برفع الزاى والباقون بالنصب (سأه) أي بشركهم (ما يحكمون) حكمهم
 هذا (وكذلك) أي ومثل ما ذرأ لجميع المشركين نصيب أموالهم والكفر بربههم شركائهم
 (زين) كثر من المشركين قتل أولادهم) أي بالوأد خشية الاملاق (شركائهم) من الجن
 أو من السدنة أي الخدمة وقرأ غير ابن عامر بفتح الزاى والياء ونصب لام قتل وكسر دال
 أولادهم وشركائهم بالواو ومضمة الهمزة على أنه فاعل وقرأ ابن عامر بضم الزاى وكسر الياء
 ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وشركائهم بالياء مكسورة الهمزة بإضافة القتل اليه مفصولا
 بينهم ما جفعوله قال البيضاوي تبع الزمخشري وهو ضعيف في العربية معسود من ضرورة
 الشعر اه وقد أنكر جماعة على الزمخشري في ذلك بأن القراءة المذكورة صحيحة متواترة
 وتركيها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في ناقلها قال التقطازاني وهذا على عادته
 يطعن في متواتر القراءات السبع ويسند الخطأ تارة اليهم كما هنا وتارة الى الرواية عنهم وكلاهما
 خطأ لأن القراءات متواترة وكذا الروايات عنهم وأطال في بيان ذلك وقال ابن مالك في كافيه
 إضافة المصدر الى الفاعل مفصولا بينهم ما جفعول المصدر جازية في الاختيار اذا لا محذور فيها مع أن
 الفاعل جزم من عامله فلا يضر فصله وإضافة القتل الى الشركاء لا أمرهم (ليردوهم) أي
 ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به والارادة في اللغة الاهلاك وقال ابن عباس ليردوهم

في النار (وللبسوا) أي وليخلطوا (عليهم دينهم) قال ابن عباس ليسد خلوا عليهم الشك في دينهم
 وكانوا على دين إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاصنام وزينوها لهم
 (ولولاء الله) عصمة هؤلاء من ذلك القبيح الذي زين لهم (ما فعلوه) فجميع الاشياء بعشيتة
 وارادته (فذرهم) أي اتركهم يا محمد (وما يفترون) أي وما يخترعون من الكذب على الله فان الله
 لهم بالمرصاد وفي ذلك تهديد لهم كما مر (وقالوا) أي المشركون سفها وجهلا (هذه) اشارة الى
 قطعة من أموالهم عينوها لآلهتهم (أنعام وحرن حجر) أي حرام محجور عليه لا يصل أخذ اليه
 وهو وصف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
 (لا يطعمها) أي لا يأكل منها (الامن نشاء) أي من خدنة الاوثان والرجال دون النساء
 (برعهم) أي لاجحة لهم فيه (وانعام حرمت ظهورها) أي فلا يركبونها كالبحائر والسواائب
 والحواشي (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) أي عند ذبحها وانما كانوا يذكرون عليها اسم
 الاصنام وقيل لا يصحون عليها ولا يركبونها الفعل خير لان العادة لما جرت بذكر الله على الخير
 ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ونسبوا ما فعلوه الى الله تعالى (افتراء عليهم) أي اختلاقا وكذبا انه
 أمرهم بها (سيجزيمهم) أي بوعده صادق لا خلف فيه (بما) أي بسبب ما كانوا يفترون وقالوا ما في
 بطون هذه الانعام أي أجنة البحائر والسواائب وقوله تعالى (خاصة) حلال (لذكورنا) أي
 خاصة بهم دون الاناث كما قال تعالى (ومحرم على أزواجنا) أي النساء وحذف الهاء من محرم
 اما جملا على اللفظ وتحققا لان المراد بخاصة المبالغة (وان يكن) أي ما في بطونها (ميتة فهم
 فيه شركاء) أي الذكور والاناث فيه سواء أي أن ما ولد منها حيا فهو لذكور ودون الاناث وما ولد
 منها ميتا كله الذكور والاناث جميعا وقرأ ابن عامر وشعبة بالتأنيث في تكن والباقون بالتذكير
 وقرأ ابن كثير وابن عامر ميتة بالرفع على أن تكن تامة والباقون بالنصب على أنها ناقصة
 (سيجزيمهم) الله (وصفهم) أي سيكافئهم على وصفهم بالكذب على الله تعالى بالتحليل والتحرير
 (انه) أي الله (حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها) أي جهلا
 (بغير علم) نزات في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة
 السبي والفقر وكان ينو كانه لا يقعون ذلك وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه
 بأن الله هو رازق أولادهم لا هم لان الجهل كان غالبا عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولهذا سموا جاهلية وسبب هذا الخسران أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله تعالى بها على الوالد
 فاذا تسبب في ازالة هذه النعمة وإبطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما
 خسارته في الدنيا فقد سعي في نقص عدده وازالة ما أنعم الله تعالى به عليه وأما خسارته في الآخرة
 فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرأ أبو عمر وابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
 (وحرما ما رزقهم الله) وتفضل به عليهم رجة لهم من ذلك الانعام والغلات بغير شرع ولا تنفع
 بوجه (افتراء) أي تعمد الكذب (على الله) وهذا أيضا من أعظم الجفاهة لان الجفاهة على
 الله والكذب عليه من أعظم الذنوب والكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) أي في فعلهم عن

الحق والرشاد) وما كانوا مهتدين) أى الى طريق الحق والصواب في فعلهم روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما أنه قال اذا سر لك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة
الانعام قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفعها الى قوله وما كانوا مهتدين وروى عن مهدي بن ميمون
أنه قال سمعت ابا رجاء العطاردي يقول كان عبد البحر فاذا وجدنا بحراً أحسن منه ألقيناه
وأخذنا الآخر واذا لم نجد بحراً جعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فخلبنا عليه ثم طفنا به فاذا
دخل شهر رجب قلنا منصل الاسعة فلاندع ومخافه حديد ولا سم ما فيه حديد الانزعاه
فألقيناه في رجب (وهو الذى أنشأ) أى خلق (جنات) أى بسايقن (معروشات) أى مبسوطات
على الارض كالبطيخ والقنا (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال
الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لأن منه ما يعرش بأن يبقى على وجه الارض منبسطة ومنه ما لم
يعرش بأن يرتفع على ساق وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من
كرم وغيره وغير المعروشات هو ما أنبت الله تعالى في البرارى والجبال من كرم أو شجر (و) أنشأ
(النخل والزرع مختلفاً) أى غيره وجهه في الهيئة والطعم منها الخلو والحامض والجيد
والردي والضمير للزرع والباقي مقيس عليه والنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه
أو للجمع على تقدير كل ذلك أو كل واحد منها ومختلفة حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
وقرأ نافع وابن كثير يجزم الكاف والباقون بالرفع (والزيتون والرمان متشابهاً) أى ورقهما (وغير
متشابه) أى في طعمهما وقيل متشابهين في المنظر مختلفين في الطعم * ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به
على عباده من خلق هذه الجنات الخفية على أنواع الثمار ذكر ما هو القصود الاصلى وهو الارتفاع
بها فقال تعالى (كأوا من ثمرة) أى كل واحد من ذلك (اذا أثمر) أى ولو قبل نضجه وهذا أمر اباحة
وأما قوله تعالى (وأنا أحقه يوم حساده) فالأمر فيه للوجوب والاية مدينة والحق هو الزكاة
المفروضة والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخره عن أول وقت يمكن فيه الاتيان
وليعلم ان الوجوب بالاداء لا بالنسيقه وقيل الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فالخلق ما كان
يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخها افتراض العشر ونصف العشر
وقرأ حذرة والكسائي برفع الناء والميم من ثمرة والباقون بنصبها وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم
بفتح حاء حساده والباقون بكسرها ومعناها واحد (ولا تسرفوا) أى باعطاء كل واحد فلا يبق لغيركم
شيء روى أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة فخلته وقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئاً فترأت (أنه
لا يجب التسرفين) أى المتجاوزين ما حدث لهم وفي ذلك وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء قال
مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله تعالى وقال لو كان أبو قيس ذهب الرجل أنفق في طاعة
الله تعالى لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهم واحد أو معداً في معصية كان مسرفاً وقوله تعالى (ومن
الانعام) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام (جولة) أى صالحة للعمل عليها كالابل البكار
والبعال (وفرشاً) أى لانصلح للعمل كالابل الصغار والعجايل والغنم سميت فرشاً لانها كالفرش
للارض لدنوها من اوقيل هو ما يفسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كأوا ما رزقكم الله) أى

مما أحله لكم من هذه الانعام والحارث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طرائقه فى التحليل
 والتحرير من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية وقرأ قبل وابن عامر وحفص والكسائى بضم
 الطاء والباءون بالسكون (أنه) أى الشيطان (لكم عدومين) أى بين العداوة وقوله تعالى
 (عناية أزواج) أى أصناف بدل من حوله وفرشوا الزوج لغة الفرد إذا كان معه آخر من
 جنسه لا ينقل عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج
 وللاثنى زوج (من الضأن) زوجين (اثنين) أى ذكر وأثنى والضأن ذوات الصوف من الغنم
 والذكر ضأن والأثنى ضائفة والجمع ضوائن (ومن المعز) زوجين (اثنين) أى ذكر وأثنى وقرأ ابن
 كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين والباءون بالسكون والمعز والمعزى جمع لا واحد له من
 لفظه وهى ذوات الشعر من الغنم وقال البغوى جمع المعاز معيز وجمع المعازة مواز (قل)
 يا محمد إن حرم ذكرور الانعام تارة واناها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكروراً واناهاً ومختلطة
 تارة ونسبوا ذلك لله تعالى (الذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الاثنيين) منهما
 (أما) أى أم حرم ما (اشتملت) أى انضمت (عليه أرحام الاثنيين) ذكرًا كان أو أثنى (بنوفى) أى
 أخبرونى (بعلم) عن كيفية ذلك بأمر معلوم من جهة الله تعالى على تحريم ما حرمت (ان كنتم
 صادقين) فى دعواكم والاستفهام للانكار والمعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل
 الذكورة فجميع الذكور حرام وان كان من قبل الانوثة فجميع الاناث حرام أو من قبل اشتغال
 الرحم فالزوجان حرام فمن أين التخصيص * (تنبيه) * اتفق القراء على أن فى همزة الوصل وهى
 التى بين همزة الاستفهام ولام التعريف وجهين وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها
 مبدلة والتسهيل هو ان تقصرها مسهلة (ومن الأبل اثنين) ذكرًا وأثنى (ومن البقر اثنين) كذلك
 (قل) يا محمد لهؤلاء الذين اختلفوا جهلا وسفها (الذكرين حرم) الله عليكم (أم الاثنيين) منهما
 (أما) أى أم حرم ما (اشتملت) أى انضمت (عليه أرحام) الاثنيين ذكرًا كان أو أثنى (أم كنتم
 أى بل أن كنتم (شهداء) أى حاضرين (أذوصاكم الله بهذا) أى حين وصاكم بهذا التحريم
 إذا كنتم لا تؤمنون بى فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا بالمشاهدة والسمع فكيف
 تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى * ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا سند لهم فى
 ذلك قال تعالى (فمن) أى لأحد (أظلم من افترى) أى نعمد (على الله كذباً) كعمر بن لحي فإنه
 أقول من بجر البصائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل فى هذا الوعيد كل
 من كان على طريقته أو ابتدأ شيئاً يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام
 فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل فى دين الله ما ليس منه فهو داخل فى هذا الوعيد (ليضل
 الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يرشد ولا يوفق من كذب عليه وأضاف
 اليه ما لم يشرع لعباده * ولما بين سبحانه وتعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من
 التحريم والتحليل من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من المطعومات أتبعه
 بالبيان الصحيح فى ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال

تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم (لا أجد في ما أوحى
إلى تحريما) أي طعما محرما مما حرمتموه * (فائدة) * في ما أوحى إلى في مقطوعة من ما في الرسم
(على طاعم) أي طاعم كان من ذكر أو أنثى (يطعمه) أي يتناولها كالأوشرباء وأداء وغير ذلك
(الأن يكون) أي ذلك الطعام (ميتة) وهي كل مازالت حياته بغير ذكاة شرعية وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحزرة تكون بالتأنيث والباقون بالذكور ورفع ميتة ابن عامر على أن كان هي
التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى (أو دما مسفوحا) عطف على أن مع ما في حيزه أي
الوجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدّم في العروق لا كالكدو والجلال (أو لحم خنزير
فاته) أي الخنزير (رجس) أي نجس فالظهير يعود على المضاف إليه لأن اللحم دخل في قوله ميتة
وحينه في الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ثم
انني رأيت البقاع في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) أي ذبح على
اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل * (تنبيه) * ظاهر الآية أن المحرمات
محصورة في هذه الأربعة وأنه لا يحرم شيء من سائر الأطعمة والحلوات وغيرها وهي الميتة
والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى ويروي ذلك عن ابن عباس وعائشة
وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بوحى وثبت أن
الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة أشياء وقال تعالى في سورة البقرة أنما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وأنما تنهى عن الفحشاء والمنكر والحلوات
مطابقة للآية المذكورة في الحكم ولكن الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص
بهذه فقط بل المحرم ما كان بنص كتاب أو سنة وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم
الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وأوئيل من الطيور وورد النهي عن أكل الهر وأكل ثمنه
ويحرم أيضا كل ما أمر بقتله كالحدأة والغراب الأبقع وأنهى عن قتله كالهدد والخفاش وما
لأنص فيه بتحريم أو تحليل أو بغيره على أحدهما كالامر بالقتل والنهي عنه إن استطابته عرب
ذوو يسار وطباع سليمة حال رفاهية حل وإن استخبثوه فلا يحل فإن اختلفوا في استطابته اتبع
الأكثر فإن استواء فقر يش لأنهم قطب العرب وفيهم القوة فإن اختلفت أولم تحكم بشيء اعتبر
الاشبه به من الحيوانات فإن استوى الشبهان أو لم يوجد ما يشبهه فلال لهذه الآية وما جهل
اسمه عمل بشبهة العرب له مما هو حلال أو حرام * ولما حرم الله تعالى هذه الأشياء أباح أكلها
عند الاضطرار بقوله تعالى (فمن اضطر) أي حصل له جوع خشى منه التلف (غير باغ) أي على
مضطر مثله (ولا عاد) أي ولا متجاوزا وقد را ضرورة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي
بضم النون في الوصل والباقون بالكسر (فإن ربك غفور) لا يؤاخذ بالآية وما جهل
أباح له ذلك (وعلى الذين هادوا) أي اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام
وسموا به اشتقاقا من هادوا أي مالوا الماعن عبادة العجل واما عن دين موسى عليه السلام أو من
هادوا يرجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير أكثره الله تعالى عنهم عن مذاهيهم وقيل لأنهم يتهودون أي

يُخَرَّجُونَ عِندَ قِرَاءَةِ التَّوْرَةِ وَقِيلَ لِمَعْزُومٍ مِنْ يَهُودَ ابْنٍ يُعْقَبُ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ثُمَّ نَسَبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ
يَهُودِيٌّ ثُمَّ حَذَفَ الْمَاءَ فِي الْجَمْعِ فَقِيلَ يَهُودٌ (حَرَمْنَا) أَيْ بِسَبَبِ ظَاهِمِهِمْ عَلَيْهِمْ (كُلُّ ذِي ظَفَرٍ) أَيْ
مَا هُوَ كَالصَّبْعِ لِأَنَّ ذِي مَنْ دَابَّةً أَوْ طَيْرًا وَكَانَ بَعْضُ ذَوَاتِ الظُّفْرِ حَلَالًا لَهُمْ فَلَمَّا ظَلَمُوا أَحْرَمَ عَلَيْهِمْ
فَمِ التَّحْرِيمِ كُلُّ ذِي ظَفَرٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَحْرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ
(وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ) أَيْ الَّتِي هِيَ ذَوَاتُ الْأَطْلَافِ (حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) أَيْ الصَّفَيْنِ وَالْمَرَادُ
شَحْمُ الْخُوفِ وَهُوَ الثَّرُوبُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ هُوَ شَحْمٌ قَدْ غَشِيَ الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءُ رَقِيقٌ ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْ
الشُّحُومِ مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ (الْأَمْعَاءُ حِلَّتْ لَهَا وَهِيَ) أَيْ الْأَمْعَاءُ بِالظَّهْرِ وَالْجَنْبِ مِنْ دَاخِلِ بَطُونِهِمَا
(أَوِ الْحَوَايَا) أَيْ مَا حِلَّتْ لَهَا وَهِيَ الْأَمْعَاءُ الَّتِي هِيَ مَتَاعُ طِفْئَةٍ مَلُوبَةٍ جَمْعُ حَوِيَّةٍ وَزَيْتُهَا فَعَالٌ
كَسَفِينَةٍ وَسَفَانٌ وَقِيلَ جَمْعُ حَوِيَّةٍ أَوْ حَوَايَا كَقَصَاعَةٍ فَهُوَ فَوَاعِلٌ (أَوْ مَا اخْتَلَطَ) أَيْ مِنَ الشُّحُومِ
(بِعَظْمٍ) مِثْلُ شَحْمِ الْإِلَهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيَحْرَمُ عَلَيْهِمْ رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَامُ الْفَتْحِ وَهُوَ
بِعَمَلِكِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَرَمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنَزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ
الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا تَطْلَى بِهَا السَّفَنُ وَيُذْهَبُ بِهَا الْجُلُودُ وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ أَيْ يَجْعَلُهَا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتِلُ اللَّهِ أَلِيهِ وَدَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا أَجْلَاهُ أَيْ أَذْبَحَهُ ثُمَّ بَاعَهُ وَأَكَلُوا مِنْهُ (ذَلِكَ) أَيْ التَّحْرِيمُ الْعَظِيمُ وَهُوَ تَحْرِيمُ الطَّيِّبَاتِ
(جَزِيْنَاهُمْ) بِهِ (بِغَيْرِهِمْ) أَيْ بِسَبَبِ مَجَاوِزَتِهِمْ الْحُدُودَ (وَأَنَّا لَصَادِقُونَ) أَيْ فِي الْأَخْبَارِ عَمَّا حَرَمْنَا
عَلَيْهِمْ وَعَنْ بَعْضِهِمْ (فَأَن كَذَبُوا) أَيْ إِلَهُ يَهُودِيًّا مُحَمَّدٌ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ عَنْهُمْ (فَقِيلَ) لَهُمْ رَبُّكُمْ ذُورَجَةٌ
وَأَسْعَةٌ أَيْ بَأْخِرُ الْعَذَابِ عَنْكُمْ فَلَمْ يَعْجَلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي ذَلِكَ تَطْفَأُ بِعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ
(وَلَا يَرْدِيْهَا) أَيْ عِقَابُهُ (عَنِ الْقَوْمِ الْفَاجِرِينَ) إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ وَقِيلَ ذُورَجَةٌ وَأَسْعَةٌ لِلْمَطْعِيِّينَ
وَذُوبَاسٌ شَدِيدٌ لِلْعَجْرَمِيِّينَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) أَخْبَارُ عَنْ مَسْتَقْبَلِ وَقُوعِ مَخْجَرِهِ
يُدَلُّ عَلَى عَجَازِهِ وَلَمَّا زَمَّتْهُمُ الْحُجَّةُ وَتَيَقَّنُوا بِاطْلَانِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يَحْرَمْهُ
اللَّهُ قَالُوا (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا قَوْلَهُمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكْنَا بِهِ لَهُمْ عَلَى أَقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَقَالُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ
حَتَّى لَا تَفْعَلَهُ فَلَوْلَا أَنَّهُ رَضِيَ مَا نَحْنُ فِيهِ وَارَادَهُ مَعَنَا وَآمَرَ نَابَهُ لِحَالِ بَيْنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
تَكْذِبُ الْإِلَهُ (كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَيْ مِنْ كُفَرَاءِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ (حَقٌّ ذَا قُوَّةٍ أَبَاسْنَا)
أَيْ عَذَابُنَا وَيَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْقَدَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُونَ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا كَذَبَهُمْ
اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَأَجَابَ أَهْلَ السُّنَّةَ بِأَنَّ التَّكْذِيبَ لَيْسَ
فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ذَلِكَ الْقَوْلُ صَدَقَ وَلَكِنْ فِي قَوْلِهِمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا نَابَهُ وَرَضِيَ
مَا نَحْنُ عَلَيْهِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا
وَاللَّهُ أَمْرًا نَابَهُ فَالْإِلَهُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لِيَأْمُرَ بِالْعِصْيَانِ وَاللَّيْلِ عَلَى أَنْ
التَّكْذِيبَ وَرَدَّ فِيمَا قُلْنَا لَا فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِالتَّشْدِيدِ
وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللَّهِ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا لَقَالَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ

قبلهم بالتخفيف وكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكرنا
 هذه المقالة تعظيماً واجلالاً لله تعالى ومعرفة منهم لما عليهم بذلك لان الله تعالى قال ولو شاء الله
 ما أشركوا وقال تعالى وما كانوا يؤمنوا الا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكن المشركين
 قالوا تكذبا وتحريراً ووجدنا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء
 الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون وقد علم من ذلك ان أمر
 الله تعالى بعزل عن مشيئته وارادته فانه مراد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى
 العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذراً لاحد (قل) يا محمد
 لهؤلاء المشركين القائلين ماذا كرم (هل عندكم) أيها الجاهل (من علم) أي من أمر معلوم يصح
 الاحتجاج به على ما نزعتم من تحريم ما حرمت وإن الله راض بشركم (فتحر جوه لنا) أي
 فتظهره لنا وتبينوه لنا كما بينا لكم خطأكم (ان) أي ما (تبعون) في ذلك (الا الظن) أي فيما
 أنتم عليه ولا علم عندكم (وان أنتم الا بخرصون) أي وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون
 على الله تعالى الباطل (قل) لهم حين عجزوا عن اظهار الحجّة (فقل الحجّة البالغة) أي التامة على
 خلقه بانزال الكتب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله وأشرك به على
 الله ولكن لله الحجّة البالغة على عباده (فلو شاء) الله هدايتكم (أهداكم أجمعين) ولكنه لم يشأ ذلك
 بل شاء هداية بعض وضلال بعض آخر فوقع ذلك على الوجه الذي شاء لا يستل عما يفعل (قل)
 لهم (هلم) أي أحضروا (شهداءكم الذين يشهدون) لكم (ان الله حرم هذا) أي ما تقدم من
 تحريمهم الاشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به وهلم اسم فعل لا يتصرف يستوي فيه
 الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث عند الجازين وعند بني تميم فعل مؤنث وثنى ويجمع
 (فان شهدوا) أي فان تجرؤا على الشهادة كذباً (فلا تشهد معهم) أي فاطركمهم ولا تسلم لهم
 فانهم على ضلال وليست شهادتهم مستفادة الا الى الهوى (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا)
 انما وضع المظهر موضع المضمحل للدلالة على أن مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجّة
 لا يكون الا مصدقاً لها (ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة) التي هي دار الجزاء فانهم
 لو جؤروها ما جؤروا على ذلك (وهم ربهم يعدلون) أي يشركون فيجعلون له عدلاً (قل) لهم
 (تعالوا) أي اقبلوا على (أتل) أي أقرأ (ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) وذلك أنهم
 سألو وقالوا أي الذي حرم الله فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم ذلك (فان قيل) ما معنى قوله
 تعالى حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك (أجيب) بأن موضع أن
 رفع أي هو أن لا تشركوا وقبل نصب واختلقوا في وجهه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا
 صله كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم
 ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيئاً على وجه الاغراء وقال الزجاج يجوز أن يكون هذا مجعولاً على
 المعنى أي أتل عليكم تحريم الشرك وجاز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا (وبالوالدين
 احساناً) أي فأحسنوا إليهم احساناً ووضعه موضع النهي عن الاساءة إليهم بالمبالغة والدلالة

على أن ترك الاساءة في شأنهم ما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) أي من
 أجل فقر تخافونه والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحباء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية
 فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمة عليهم وقوله تعالى (نحن نرزقكم وابائهم) منع لموجبة ما كانوا
 يفعلونه لاجله واحتجاج عليهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام
 بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله (ولا تقر بوا القوا حسن) أي سائر الماعصى
 (ما ظهر منها وما بطن) أي علانيتها وسرها وقيل المراد الزنا علانيته وسرها وكان أهل الجاهلية
 يستعجبون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية
 وأجاب الأول بأن السبب إذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح بالقتل المشددة
 أمره بالتخصيص بعد التعميم فقال (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) عليكم قتلها (الابالحق)
 وهي التي أبيع قتلها بردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم أو نحو ذلك قال
 صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث
 الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى (ذلتكم) اشارة الى
 ما ذكره مفصلا (وصاكم به) أي أمركم به وأوجه عليكم (اعلمكم تعقلون) أي تتدبرون
 ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فان كمال العقل هو التدبر (ولا تقر بوا مال اليتيم)
 أي بنوع من أنواع عمل فيه أو غيره (الابالتي) أي بالخصلة التي (هي أحسن) بماله كحفظه
 وتنميته وتسميره ويستمر ذلك (حتى يبلغ أشده) وهو سن يبلغ به أولن حصول عقله عادة وهو
 البلوغ بالنسب أو الاحتمال أو عقل يحصل به رشده وقيل الأشد من الثماني عشر الى ثلاثين سنة
 وقيل الى أربعين وقيل الى ستين (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي العدل من غير
 تفريط ولا إفراط (لا تكلف نفسا الا وسعها) أي طاقاتها في إيفاء الكيل والميزان لم يكلف الماعلى
 أكثر مما وجب عليه ولا يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عليه بل
 أمر كل واحد منهم بما يسهل على الآخر ج عليه فيه وذكره عقب الأمر بمعناه أن إيفاء الحق
 عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراء الوسع معفو عنه (وإذا قلتم) أي في حكم أو شهادة أو غير
 ذلك (فاعدوا) فيه بالصدق (ولو كان) المقول له أو عليه (ذاقربي) أي من ذوى قرابتكم
 (وبعهد الله أوفوا) أي ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلتكم) أي
 الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم) بالعمل (به لعلكم تذكرون) أي تتعظون فتأخذون
 بما أمرتكم به وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الذال والباقون بالتشديد (وان هذا)
 الذي وصيتكم به (صراطى مستقيما) والاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في
 اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ ابن عامر بخفيف النون والباقون بالتشديد
 وكسر الهمزة حمزة والكسائي على الاستئناف وفتحها الباقون على تقدير الادم وفتح الباء من
 صراطى ابن عامر وسكنها الباقون وتقدم مذهب قبل في الصراطيين ومذهب خلف
 في اشتمال الصاد (فاتبعوه) أي بغاية جهته لكم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير

(ولا تتبعوا السبل) أى الطرق المخالفة لدين الاسلام (فتفرق) فيه حذف احدى التامين أى
 فتميل (بكم) أى هذه الطرق المضلة (عن سبيله) أى طريقه التى ارتضاها العباد و بها أوصى
 (دلكم) أى الامر العظيم من اتباعه (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق
 روى انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله
 وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبه
 (ثم آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فان قيل) ثم للترتيب وايتاء موسى الكتاب كان قبل مجي
 القرآن (أجيب) بأن ثم للترتيب الاخبار أى ثم أخبرنا انا آتينا موسى الكتاب فدخل ثم للترتيب
 الخبر لا لتأخير النزول وقوله تعالى (تماما) حال أى لم ينقص الكتاب عما يصلحهم شيئا (على) الوجه
 (الذى أحسن) أى أتى بالاحسان فثبت الحسن وجعه بما بين من الشرع وبما حى طوائف
 أهل الارض به من الاهلال العام روى ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد نزول التوراة
 وقيل تماما على المحسنين من قوم موسى فيكون الذى يعنى من أى على من أحسن من قومه وكان
 فيهم محسن ومسى وقيل الذى أحسن هو موسى عليه السلام أى اتينا بالنعمة عليه للاحسانه
 بالعبادة وأذى يعنى ما أحسن وقوله تعالى (وتنزيلا) عطف على تماما أى وياتنا (اكل شيئا)
 أى يحتاج اليه فى الدين (وهدى) أى فيه هدى من الضلالة (ورجى) أى انزاله عليهم رجى لهم
 (اعلمهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) أى بالبعث والجزاء (يومنون) أى ليكون حالهم بعد
 انزال الكتاب لما يرون من حسن شرائعه ونظامه كلامه وجلالة أمره حال من يرجو ان يجدد
 الايمان فى كل وقت بلقاء ربه وليذكر ما أنعم به عليهم من اخراجهم من مصر من العبودية
 والرف (وهذا) أى القرآن (كتاب) أى عظيم (أنزلناه) اليكم أى بلسانكم حجة عليكم (مبارك)
 أى كثير الخير والنفع والبركة (فاتبعوه) أى اتبعوا ما فيه من الاوامر والنواهي والاجكام
 (واتقوا) الكفر (لعلكم ترجون) أى بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ثم بين تعالى المراد من
 انزاله فقال (أن) أى كراهة ان (تقولوا انما أنزل الكتاب) أى التوراة والانجيل (على طائفتين
 من قبلنا) أى اليهود والنصارى (وان كان) أى وقد كان وان هى الخفيفة من الثقيلة ولذلك
 دخلت اللام الفارقة بينهما وبين النافية فى خبر كان أى وانه كان (عن دراستهم) قراءتهم لكتابهم
 قراءة مردودة (لغافلين) أى لا يعرف حقيقة قمتها ولا ثبت عندنا حقيقة ما ولا هى بلساننا (أو تقولوا)
 أى أيها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا علمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الاعلى
 المكتوب اليه فلم تتبعوه (لو أننا) أهاننا لأهلواه حتى (أنزل علينا الكتاب) أى جنسه (لكنا
 أهدي منهم) أى لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحسنة الاذهان واستقامة الافكار
 واعتدال الامرجة والاذعان للحق (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى القرآن فيه بيان وجة واضحة
 تعرفونها على لسان رجل منهم كم تعرفون انه أولاكم بذلك (وهدى) من الضلالة لمن تدبره
 (ورجى) أى وهو رجى ونعمة أنعم بها عليكم فقاتلوا فيه واعملوا به (فن) أى لا أحد (أظلم من
 كذب بآيات الله وصدف) أى أعرض (عنها) فضل وأضل (سبحر) الذين يصدفون

عن آياتنا ولا يتوبون (سوء العذاب) أي شدته (بما كانوا يصدقون) أي بسبب اعراضهم
 (هتل ينظرون) أي ما ينظرونه لآلام المكذبون (الآن تأتيهم الملائكة) أي لقبض ارواحهم
 أو بالعذاب وقرأ جزء والنكسافي بالياء على التذكير والباقيون بالتاء على التأنيث (أو يأتي ربك)
 أي أمره بالعذاب (أو يأتي بعض آيات) أي علامات (ربك) الدالة على الساعة كطلوع الشمس
 من مغربها وعن حذيفة والبراء بن عازب كانت إذا كرا الساعة اذطلع علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال ماتذا كرون قلنا كانت إذا كرا الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
 آيات الدخان ودابة الارض وخسفة بالشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
 وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ومأجوج ونار تخرج من عدن (يوم يأتي
 بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين (لا يتقع نفسا إيمانهم لم
 تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو) نفسا لم تكن (كسبت في إيمانها خيرا) أي
 طاعة لا ينفعها وتوبتها قال صلى الله عليه وسلم يدا الله مبسوطان لاسي الليل ليتوب بالنها ولو لم ي
 النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل ان تطلع
 الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضة
 سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن
 فلا يتقع نفسا إيمانهم تكن آمنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها (قل
 انتظروا) بعض هذه الاشياء (انما ينظرون) ذلك وحيفة لنا الفوز عليكم ولكم الويل (ان
 الذين فرقوا دينهم) أي بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال صلى الله عليه
 وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
 ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفرقت امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
 في الهاوية الا واحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصحاحه وفي بعض الروايات قالوا من
 هم بارسل الله قال ما أبا عليه وأصحابي وقرأ جزء بخفيف الراء وألف قبلها والباقيون بتشديد
 ولا ألف (وكانوا شيعة) أي فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة كأهل
 الكتاب فانهم ابتدعوا في دينهم بدعاً وصلتهم الى تكذيب بعضهم بعضاً فآمنوا ببعض الانبياء
 وكفروا ببعض وكالمجوس الذين فرقوا دينهم باعقاد ان الاله انسان النور والظلمة وعبدوا
 الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم قسماً يتوسل به في زعمهم اليه وقيل هم أهل البدع وأصحاب
 الاهواء من هذه الامة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم
 وكانوا شيعاً هم أهل البدع وأصحاب الاهواء من هذه الامة وعن العرياض بن سارية قال صلى
 بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجبت منها القلوب
 فقال قائل يا رسول الله كأنهم موعظة مودع فإوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
 وان كان عبداً حبشياً فان من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
 الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل

بدعة ضلالة وروى ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
 وشرا الامور محدثاتها (أست منهم في شيء) أي من السؤال عنهم فلا تعرض لهم (انما أمرهم
 الى الله) يتولى جزاءهم (ثم يثيبهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف
 (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي عشر حسنات أمثالها فضل من الله تعالى (ومن جاء
 بالسيسة فلا يجزي الا مثله) أي جزاءه اقضية للعدل (وهم لا يظلمون) أي بنة قص الثواب وزيادة
 العقاب وما ذكر في اضعاف الحسنات هو أقل ما عد من الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم
 اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف
 وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيسة فله سيئة مثلها وأغفر ومن تقرب مني
 شبرا تقربت منه ذراعا ومن يقيني بقراب أهمل الارض خطيئة لا يشر لي في شيء أقيته بمثلها
 مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا أراد عبيدي أن يعمل سيئة فلا
 تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فكتبوها بمثلها وان تركها من أجلي فكتبوها له حسنة
 وان عملها فكتبوها بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهم الاية
 في غير الصدقات من الحسنات فأما الصدقات فانها تضاعف سبع مائة ضعف (قل) يا محمد لهؤلاء
 المشركين من قومك (انني هديتكم الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من
 الحجج وقرأ نافع وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بالسكون وقوله تعالى (دينا) بدل من محمل الى
 صراط مستقيم والمعنى وهديتكم الى صراط مستقيم كقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما (قيما)
 أي مستقيما وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح القاف وكسر الباء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح الباء مخففة على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما فاعل لا علل فعله كالقيام
 وقوله تعالى (مله إبراهيم) عطف بيان لدينه اذ الملة بالكسر الدين وان فرق بينهم ما بأن الملة
 لانضاف الا الى النبي الذي تستمد السه والدين لا تختص اضافته بذلك وقوله تعالى (حنيفا)
 حال من إبراهيم أي ما تلا من الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من حج أو اختلفت حنيفا
 تنبيه على انه دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان) إبراهيم صلى الله
 عليه وسلم (من المشركين) رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين إبراهيم فأخبر الله تعالى
 ان إبراهيم لم يكن من المشركين (قل) يا محمد (ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي من حج وغيره
 (ومحمي وحماتي) أي وما أنا عليه في حماي وأموت عليه من الايمان والطاعة أو طاعات الحياة
 والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع ومحمي
 بسكون الباء بخلاف عن ورش اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالفتح وفتح الباء من محماتي
 نافع وسكنها الباقون (لله رب العالمين لا شريك له) في ذلك (وبذلك) أي وبهذا التوحيد (أمرت
 وأنا قول المسلمين) أي من هذه الامة لان اسلام كل نبي مقدم على اسلام أمته وقرأ نافع عدنا
 قبل الهمزة المفتوحة وقالون بالمد والقصر لانهم اعندهم مده منفضل والباقون بالمد أصلا (قل)

يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (أغبر الله أبغى) أى أطلب (رباً) أى الها فأشركه فى عبادتى
وهذا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهزمة للانكار أى منكر ان أبغى رباً غيره
(وهو رب كل شئ) فكل من دونه هو بوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال تعالى قل
أغبر الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون (ولا تكسب كل نفس) ذنباً (الا عليها) أى اثم الجانى
عليه لا على غيره وقوله تعالى (ولا تزرن) أى ولا تحمل نفس (وزرة) أى آثمة (وزر) نفس (أخرى)
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولعمل خطايكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا فيبين الرشد من الغي والحق من المبطل (وهو الذى جعلكم
خلائف الارض) جمع خليفة لأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الامم
أو يخلف بعضهم بعضاً فيها وأودع خلفاء الله تعالى فى أرضه على كونهم أوبى صرفون فيها (ورفع
بعضكم فوق بعض درجات) أى فى الشرف والرزق (ليبلوكم) أى ليختبركم (فى ما آتاكم) أى
اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصى * (فائدة) * فى تكتب مقطوعة عن ما (ان ربك سريع
العقاب) لمن عصاه لأن ما هو أقرىب أولانه يسرع اذا أراد (وانه يغفور) له المؤمنين
(رحيم) بهم وصف الله تعالى العقاب ولم يصفه الى نفسه ووصف تعالى ذاته بالمغفرة وضم اليه
الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تبينها على انه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها فتنسأل الله العظيم أن يسامحن وأن يغفر
زلاتنا ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا وان يفعل ذلك بوالدينا وأقاربنا وأحبائنا وأصحابنا وجميع
المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(سورة الاعراف مكية)

الاثمان آيات من قوله تعالى واسئلهم عن القرية الى قوله تعالى واذنقنا الجبل وهى محكمة
كلها وقبل الاقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وعدد آياته امانتان وخمس آيات وكلما
ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلثمائة وعشرة احرف
(بسم الله) الواحد الذى لا يقدر أحد قدره (الرحمن) الذى غمّ نعمة البيان من أوجب عليهم
شكوه (الرحيم) الذى خص أهل وده فاجتنبوا نهيه وامتنوا أمره (المص) سبق الكلام على
معانى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ محذوف تقديره
هو وهذا أو خبر المص والمراد بالكتاب النورية أو القرآن وقوله تعالى (أنزل السك) صفة
واخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن فى صدوركم حرج) أى ضيق (منه) أى لا يضيق
صدركم بالأبلاغ وتأدية ما أرسلت به مخافة أن تكذب لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له
واعراضهم عنه وذا هم وبك كان يضيق صدره من الاذى ولا ينسبط له فأمنه الله ومنه عن
المبالاة بهم وقيل الحرج الشك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وسعى الشك
حرجاً لأن الشك يضيق الصدر كما ان الميقن منشرح الصدر وقوله تعالى (المنذر) متعلق بأنزل

لمثله كانه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن
 يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أو قولا وعلى الخبرية بقوله تعالى
 (خلقني من نار) فهي أغلب أجزائي وهي مشرفة مضئنة عالية غالبية (وخلقته من طين) أي
 هو أغلب أجزائه وهو كدرم ظلم سافل مغلوب فكل منهما مركب من العناصر الاربعة فالإضافة
 الى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب قال ابن عباس رضي الله عنهما أوّل من قاس إبليس فأخطأ فمن
 قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع إبليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس الا بالقاس
 وانما أخطأ إبليس لانه رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار
 اليه بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما به
 عليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهي ملاكته ولذلك
 أمر الملائكة بالسجود للمأتين لهم انه أعلم منهم وإن له خواص ليست لغيره وقال محمد بن جرير
 طن الخبيث ان النار خير من الطين ولم يعلم ان المفضل ما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين
 عن النار بوجوه منها ان من جوهر الطين الرزاة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد
 السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته الاجتناب والمنزلة والهداية
 ومن جوهر النار الخسفة والطيش والحسدة والارتفاع وهو الداعي لابليس بعد الشقاوة
 التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولان الطين سبب جمع
 الاشياء والنار سبب تفرقتها ولان التراب سبب الحياة لان حياة الاشجار والنبات لا تكون
 الا مع الطين والنار سبب الهلاك (فان قيل) لم سأله الله تعالى عن المانع من السجود وهو عالم
 بما منعه (أجيب) بأنه للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفوره وكبره واقضاره بأصله وازدراؤه أصل
 آدم عليه الصلاة والسلام (قال) الله تعالى لابليس (فاهبط منها) أي من الجنة وقيل من السماء
 الى الارض والهبوط الانزال والانهدار من فوق على سبيل القهقري والهوان والاستخفاف
 (فما يكون) أي فاصبح (لأن تكبير فيها) عن أمري لان الجنة أو السماء مكان الخاشع
 المطيع لأمر الله تعالى وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق بأهل الجنة والسماء وانه تعالى انما طرد
 إبليس لتكبره لا لجهرد المعصية قال صلى الله عليه وسلم كبروا البهقي من تواضع لله رفعه الله ومن
 تكبر وضعه الله وعن عمر رضي الله عنه من تواضع رفع الله حكمته ومن تكبر وعلا طوره وضعه
 الله الى الارض (فاخرج منها) انك من الصاغر (أي الكفرة الاذلاء المهانين والصغار الذل
 والمهانة قال الزجاج استعبر عذو الله إبليس فآتاه الله تعالى بالصغار والذلة وقبل كان له
 ملكة الارض فأخرج الله منها الى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا
 كهيمة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها (قال) إبليس عند ذلك
 (أنظرن) أي أخرى ولا تتقن ولا تعجل عقوبتي (الي يوم يبعثون) أي الناس وهو النسخة
 الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة إبليس الخبيث لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه
 لا سبيل لاحد من الخلق الى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود

فلم يجب الى ما سأله بل أجابه الله تعالى بقوله (قال انك من المنظرين) لا الى ذلك الوقت بل الى
 الوقت المعلوم كما بينه تعالى في سورة الحجر بقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
 وذلك هو النفيحة الاولى التي عوت فيها الخلق (فان قيل) لم أجيب الى الاظهار وانما استنظر ليفسد
 عبادته ويغويهم (أجيب) بأنه أجابه لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفتهم من عظيم الثواب
 وحكمة ما خلق الله تعالى من صنوف الرخايف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس
 من الشهوات ليتمحن بهم عبادته (قال) أي ابليس (فبما أغويتني) أي فباغوا نك لي وآباء القسم
 أي أقسم باغوا نك وجوابه (لا قعدن لهم) أي لبني آدم (صراطك المستقيم) أي على الطريق
 الموصل اليك وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفاً والتكليف من أحسن افعال الله تعالى لكونه
 تعريضا للسعادة الابد فكأن جديرا لان يقسم به ويجوز أن تتعلق الباء بفعل القسم المحذوف
 تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لا قعدن أي فبسبب اغوائك أقسم (ثم لا يتنبه من بين أيديهم
 ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الأربع ولذلك لم يقل من فوقهم
 ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين
 العبد وبين رحمة ربه وقيل لم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحيش وعنه انه قال من بين أيديهم
 من قبل الآخرة فيخبرهم أن لا يبعث ولاجنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا فيزينها لهم وعن
 أيمنهم أي من قبل حسناتهم أي فيبطوهم عنها وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم أي فيزين لهم
 المعاصي ويدعوهم اليها وانما عذى الفاعل الى الاقربين بحرف الابتداء لانه من حاشا توجه اليهم
 والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهم ما كالتعريف عنهم المار على عروضهم ونظيره
 قوله جلست عن يمينه وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على أربع مراد من بين يدي
 ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أمامي بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فأقرأ واني
 لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأمام خلقي فيخوفني الضيعة على من خلقي فأقرأ
 وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأمام قبل يميني فيأتيني من قبل النساء فأقرأ
 والعاقبة للمتقين وأمام قبل شمالي فيأتيني من قبل السموات فأقرأ وحيل بينهم وبين
 ما يشتهون (ولا تحبدا كثرهم شاكرين) أي مطيعين (فان قيل) كيف علم الخبيث ذلك (أجيب)
 بأنه انما قال ذلك ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدء الشر متعتدا
 وهو الشيطان والنفس والهوى ومبدء الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمع ذلك من
 الملائكة (قال) الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنبه بسبب عصيانه
 ومخالفته (اخرج منها) أي الجنة أو السماء كما مر فانه لا ينبغي أن تسكن فيها (مذموما) أي
 محقورا محقوتا (مذمورا) أي مبعدها وطردا عن الرحمة وقوله تعالى (من تبعك منهم) أي من
 الناس اللام فيه موطنه للقسم وجوابه (لا ملأ من جهم منكم أبجمعين) وهو سادس مستجاب
 الشرط وهو من تبعك أي لا ملأ من جهم منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على
 الغائب (ويا آدم) أي وقلنا يا آدم (اسكن) فهذه القصة معطوفة على قوله تعالى قلنا للملائكة

وقوله تعالى (أنت) تأكيد للضمير في سكن أي عطف عليه (وزوجك) أي حواء بالمؤن وذلت بعد
 أن أهبط منها إبليس وأخرجه وطرده من الجنة (الجنة فسكلا من حيث شئتما) من ثمار الجنة
 أي من أي مكان شئتما (فان قيل) قال تعالى في سورة البقرة وكلا بالواو وهما بالقاء هما الفرق
 أجاب الفخر الرازي بأن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالفهوم
 من القاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة
 ذكر الجنس وهما ذكر النوع (ولا تقربا هذه الشجرة) أي بالاكل منها مشيرا الى شجرة بعينها
 أو نوعها وهي الجنة وقيل شجرة الكرم وقيل غيرها (فتسكونا من الظالمين) أي بالاكل
 منها أي قصيرا بذلك من الذين ظلموا أنفسهم وتكبروا يحتمل الجزم عطفا على تقربا والنصب
 على جواب انتهى (فوسوس لهما الشيطان) أي إبليس بما يمكنه الله تعالى منه من أنه يجري
 من الإنسان مجرى الدم ويبقى له في سره ما يعيل به قلبه الى ما يريد وهو أحقر وأذل من أن يكون له
 فعل وانما الكل بيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي جعله آلة لمراده منه ومنهم فان من يهدي الله
 فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون ثم بين على الوسوسة بقوله تعالى (ليبدى) أي
 ليظهر (لهما ما ووري) أي ستر وغطى (عنهما من سواتهما) أي عوراتهما وكانا لا يريان من
 أنفسهما ولا أحدهما من الآخر فيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوجة
 من غير حاجة تبصير مستهجن في الطباع قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه صلى الله عليه
 وسلم ولا رأى مني أي الفروج (وقال) أي إبليس لا دم وحواء (ما نكحكما ربك عن هذه الشجرة)
 أي من الاكل منها (الآن) أي كراهة ان (تسكونا) أي في عدم الشهوة وفي القدرة
 على الطهران والتشكك وغير ذلك من خواصهم (أو تسكونا من الخالدين) أي الذين لا يموتون
 ولا يخرجون من الجنة أصلا كما في آية أخرى هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
 (وقاسهما) أي أقسم لهما بالله على ذلك وأخرجه على زينة المقابلة للمباقة وقيل أقسم الله
 بالقبول وقيل أقسم الله عليه بالله انه لهما من الناصحين فأقسم لهما (أفليسكننا الناصحين)
 فجعل ذلك مقامة وقال قتادة حلف لهما بالله حين خدعهما وقد خدع المؤمنين بالله تعالى فقال
 اني خلقت قبلكم وأنا أعلم فاتباعني أرسد كما وفيه تنبيه على الاحتراز من الخالف وان الأغلب
 أن كل خلاف كاذب وأنه لا يخلف الا عند ظنه ان سامعه لا يصدق ولا يظن ذلك الا وهو معتاد
 للكذب وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه
 صكان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أو عفة وكان عبده يفترون ذلك طلبا للعتق
 فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله اخدعنا له وإبليس لعنه الله تعالى أول من حلف
 بالله تعالى كاذبا فلما حلف ظن آدم ان أحدا لا يخلف بالله تعالى كاذبا فاعتبه (فدلاهما بغرور)
 أي خدعهما يقال ما زال يدلي لفساد بالغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه برغيف القول
 الباطل وقيل حظهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية والغرور اظهر ان النصيح مع ابطال النفس
 (فلما ذاقا الشجرة) أي أكلهما من ثمرها وفي ذلك دليل على انهما تناولتا ليسيرين ذلك قصدا الى

معرفة طعمه اذ الذوق يدل على الاكل اليسير وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قبل
 ازدرادهما أخذتهما العقوبة والعقوبة هي قوله تعالى (بدت) أي ظهرت (لهما سوأتهم)
 أي عورتاهما وتجاغت عنهما لباس ما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من سواة
 صاحبه بأن رأى قبل نفسه وقبل صاحبه ودره وكان لا يريان ذلك وصحى كل منهما سواة لأن
 انكشافه يسوء صاحبه قال وهب كان لباسهما من الثور يحول بينهما وبين النظر وقال قتادة
 كان نظرا لبسهما الله من الظفر لباسا فلما وقع في الذنب بدت لهما سوأتهم فاستحييا (وطبقا)
 أي أقبلوا وجعلوا (يخضفان) أي يلزقان (عليهما من ورق الجنة) أي من ورق التين قال
 البغوي حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوأتهم ما روى عن أبي
 ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طولا كأنه نخلة تهوى كثير
 شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعرض له
 شجرة من شجر الجنة فخبسته بشعره فقال لها ارسلي فقات استجبر سلك فناداه الله عز وجل
 يا آدم أمي تفر فقال لا يارب ولكني استحييتك (وناداهما) أي خاطبهما (ربهما) بقوله (ألم أنهما)
 عن تلك الشجرة) أي عن الاكل من ثمرها (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) أي بين
 العداوة لكما وقد بان لكما عداوته بترك السجود فغشا وحسد اوفى ذلك عتاب على مخالفة النهي
 وتوبيخ على الاعتراض بقول العدو ودليل على أن مطلق النهي للتحريم قال محمد بن قيس لما أكل
 آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني وقال
 لحواء ألم أطعمت آدم قالت أمرتني الحية وقال للحية ألم أمرتها قالت أبلست قال الله تعالى
 أما أنت يا حواء فكأ أدبت الشجرة فتقدمي في كل شهر وأما أنت يا حية فاقطعي قوائمك فقتلني
 على وجهك ويسندخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فاعوذ من مدحور وفي رواية لابن عباس
 انه قال لحواء فاني أعطيتها أن لا تحمل الاكرها ولا تضع الاكرها (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي
 ضررناها بخالفه أمرنا وطاعة عدونا وعدوك فان لم توب علينا نسقم عاصين (وان لم تغفر لنا)
 أي نجوع مائتنا عينا وأثرنا (وترجمنا) أي قتلي درجاتنا (لنكونن من الخاسرين) في الارض
 فأعربت الآية أنهم اقرضوا الى الانصاف والاعتراف بذنبهما وان كان انما هو خلاف الاولى
 لانه بطريق النسيان كما في سورة طه قال قتادة قال آدم أرايت ان تبت اليك واستغفرتك قال
 أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأل التوبة وسأل النظر فاعطى كل واحد منهما ما سأله وقال
 الضحاك في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه تعالى
 وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وزد بأن
 درجة الانبياء في الرتبة والعلو والمعرفة بالله تعالى في اعلى الدرجات ولكن يؤخذون
 بما لم يؤخذ به غيرهم وانهم رجعوا عتوا بأموار صدرت منهم على سبيل التأويل فهم بسبب ذلك
 خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة الى علوم منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها
 ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وزاهتهم

وعماره بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله تعالى ذنوب بالنسبة الى أحوالهم فقالوا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات وتحقير العظيم من الحسنات وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ومن جملة ذلك ان آدم انما أكل من الشجرة قبل النبوة (قال) الله تعالى (اهبطوا) أى آدم وحواء بما اشتمل عليه من ذرية تكايدل لذلك قوله تعالى في سورة طه اهبطوا بطيئاً من السماء (بعضكم) أى بعض الذرية (لبعض عدو) أى من ظلم بعضهم بعضاً وقيل يعود الضمير لآدم وحواء وابليس وقيل لآدم وحواء وابليس والحية وعلى هذين فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم في الارض) أى جنسها (مستقر) أى موضع استقرار (و) لكم فيها (متاع) أى تمتع (الى حين) أى انقضاء آجالكم وقيل الى انقطاع الدنيا وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى لما هبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم ثم فقال لها اخلى ملائكة ربي فأنا أصابني الذي أصابني منك فلما نوفي غسلته الملائكة بمرنديب بماء وسدر وروزا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفره واله ولحدوه بمرنديب بأرض الهند وقالوا لبنية هذه سفتكم من بعده (قال) الله تعالى (فيها) أى الارض (تقيمون) أى تعيشون أيام حياتكم (وفيما تنمون) أى وفيما فواتكم وموضع قبوركم (ومنهم يخرجون) أى يوم القيامة يخرجون للعشر والجزاء وقرأ ابن ذكوان وحجرة والكسائي بفتح التاء وضم الراء والباقون بضم التاء وفتح الراء (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة من مطر ونحوه وتفسيره قوله تعالى وأنزلناكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد وقيل كل بركات الارض منسوبة الى السماء (يوارى) أى يستتر (سواكم) أى عوراتكم روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف في ثياب عصينا الله تعالى فيها و كان الرجال يطوفون بالنهار والنساء يطوفون بالليل عراة قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فريجها وتقول اليوم يد وبعضه أو كله * ومابدا منه فلا أحله

فتزات قال البيضاوى وأعله سبحانه ذكر قصة آدم تقدمه لذلك حتى نعلم ان انكشاف العورة أقبل سوء أصاب الانسان من الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) أى ولباسا تتجملون به والريش اللطيف معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم ولباسا ينسلكم لان الزينة غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا وزينة وقال تعالى واكمم في الجبال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال وقال ابن عباس وريشا أى مالا يقال تريش الرجل يقول ولما ذكر سبحانه وتعالى اللباس الحسى وقسمه الى ساتر ومنزى أتبعه اللباس المعنوى فقال (ولباس التقوى) قال ابن عباس هو العمل الصالح ثم زاد الله تعالى في تعظيم المعنوى بقوله (ذلك خير) أى ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب لكونه أهم للباسين لان نزعة يكشف العورة الحسية

والعنوبة فلو يعمل الانسان بأحسن الملابس وهو غير متق كان كاهن سوات ولو كان متقيا وليس عليه الاخر بصفة نوب تواري عورته كان في غاية الجمال والكمال وأشد وفي المعنى اذا أنت لم تلبس لباسا من الذي عريت وان واري القميص قميص وقال قتادة لباس التقوى هو الايمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه هو اسمع الحسن وقال ابن الزبير هو خشية الله تعالى والعمل الصالح يشمل هذه الامور كلها وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب السين عطفا على لباسا والباقيون يرفعون على الاستدراك والخبر (ذلك) أي انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمة الله فيعتظون ويتورعون عن القبائح وهذه الآية واردة على حيل الاستطراء عقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهار الامنة فيها خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة اظهارا واشعارا بأن الستراب عظيم من أبواب التقوى (يا بني آدم) أي الذي خلقته يدي ونفخت فيه من روحي ثم أسكنته جناتي وارتبته منها الى دار محنتي (لا يفتنفسكم) أي يضلنكم (الشيطان) أي البعيد المحترق بالذنوب أي لا تبعه ففتنته وافتنكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار (كما أخرج أبوكم من الجنة) بفتنته بعد ان كانا سكاها ونمكنا فيها وبوطناها وقد علم ان الدفع أسهل من الرفع وقوله تعالى (ينزع عنهم اللباسهما) حال من أبوكم أو من فاعل أخرج وأغنا أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يشر ذلك لان نزع لباسهم اسباب وسوسة الشيطان وغروره فاستدل به واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهم فقال ابن عباس وقتادة كان لباسهما الظفر فلما أصابا المصيبة نزع عنهم وبقيت الاظفار نذرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان نورايحول بينهما وبين النظر وتقدم بعض ذلك وقال مجاهد كان لباسهم ما التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة قال بعض المفسرين وهذا أقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه وان النزع لا يكون الا بعد اللبس اه وتقدم الكلام على قوله (ليرى حاسوا أنهم ما انه) أي الشيطان (يراكم هو وقبيله) أي جنوده وقال ابن عباس قبيله ولده وقال أبو زيد نسله وانما أعاد الكتابة في قوله هو ليس من العطف والقبيل جمع قبيله وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضها بعضا (من حيث لا ترونهم) أي للطائفة أجسامهم أو عدم ألوانهم وعن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يحجرون من ابن آدم يحجى الدم وجعل صدور بني آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم ويرون آدم لا يرونهم وعن مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيطاننا وعن ابن دينا ان عدوا براك ولا تراهم لشدة المؤنة الامن عصمه الله تعالى ومنع الرؤية اذا كانوا على خلقهم الاصلية والافقدين واعند تشاكلهم بصورة حيوان أو طير أو غير ذلك فان للجن قوة التشكل وهذا أمر شائع ذائع وقد روى ابليس على صورة شيخ وتمثل لكثير من العباد على صورة حية بل قال شيخنا القاضي زكريا والحق جواز رؤيتهم حتى من تلك الجهة

كما هو ظاهر الاحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مرتبين في بعض
 الاحيان لبعض الناس دون بعض (انا جعلنا الشياطين اواباء) أي اهو انا وقرناء (الذين
 لا يؤمنون) لما بينهم من التباس في الطباع (واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت
 عراة فنهوا عنه (قالوا) مع الذين لا يرتكبهم اباها بأمر من أحد هما قولهم (وبعدنا عليها) أي
 الفاحشة (اباننا) فاقبدينا بهم والثاني قولهم (والله أمرنا بها) افتراء عليه سبحانه وتعالى
 فأعرض الله تعالى عن الاقل اظهر وفساده ورد عن الثاني بقوله (قل) لهم يا محمد ان الله لا يأمر
 بالفضيحة (لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحلت على مكارم الخصال
 (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انه قاله فانكم لم تسمعوا كلام الله من غير واسطة ولا أخذتموه
 عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده وهو اسطة فهم انهم كاري يتضمن النهي عن
 الافتراء على الله وقرأنا فاع وآن كثير وأبو عمرو بإبدال الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقون
 بالتحقيق (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يقولون ذلك (أمر ربى بالقسط) أي بالعدل وهو الوسط من
 كلام المتجاني عن طرفي الافراط والتفريط وقال ابن عباس بلا اله الا الله (وأقيموا) أي وقل
 لهم أقيموا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أي اخلصوا له سجودكم (فان قيل) قل أمر ربى خبر
 وأقيموا وجوهكم أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز (أجيب) بأن فيه اضمحارا وحذف تقديره
 قل أمر ربى بالقسط وقل أقيموا كما تقدم تقديره فحذف قل لدلالة الكلام عليه وقيل معنى
 الآية وجهوا وجوهكم حينما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقيل معناه صلوا في أي مسجد
 حضرتمكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) أي اعبدوه (مخلصين له
 الدين) أي الطاعة ولا تشركوا به شيئا فان اليه مصيركم و(كابدكم) أي كما أنشأكم ابتداء
 (تعودون) أي يعيدكم احياء يوم القيامة حالة كونكم فريقين (فريقا هدى) أي خلق الهداية
 في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية (وفريقا حق) أي ثبت ووجب (عليهم الضلالة) أي عتقوا
 القضاء السابق وقيل ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي
 خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم كافرا ومؤمنا وقيل
 يعثون على ما كانوا عليه روى انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث كل عبد على ما مات عليه المؤمن
 على ايمانه والكافر على كفره وقيل من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار اليها وان عمل عمل
 أهل السعادة كما أن ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ الله
 خلقه على السعادة صار اليها وان عمل عمل أهل الشقاوة كما أن السحرة كانوا يعملون عمل أهل
 الشقاوة فصاروا الى السعادة روى انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد لم يعمل فيما يرى الناس
 يعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانه لم يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وانه من أهل
 الجنة وانما الاهمال بالخواتيم واتصاف فريقا بعمل يفسرهما بعده أي وخذل فريقا وقوله تعالى
 (انهم اتخذوا الشياطين اواباء من دون الله) أي دونه تعبدوا لخدمته لانهم وهم يتحقق اضلالهم
 (ويحسبون أي يظنون) انهم مع ضلالهم (مهتدون) أي على هداية وحق وفيه دليل على ان

الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاد في الكفر سواء (يا بني آدم خذوا زينتكم)
 أي ما يستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة (عند كل مسجد) أي كلما صليتم أو طقمتم وكانوا
 يطوفون عراة وعن طأوس رجسه الله لم يأمرهم بالحرير والديباغ وإنما أخذهم كأن يطوف
 عربا نابض شابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله
 في ثياب أذنبا فيها وقيل تفاولا يستعروا من الذنوب كأنهم روا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل
 الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنوعا من في أيام جهم لا يأكلون
 الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك جهم فقال المسلمون فأنما حق أن نفعل ففعل
 لهم (وكأوا واشربوا ولا تسرفوا) بنصرهم الحلال أو بالتعري في الطواف أو بإفراط الطعام
 أو الشرب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهم ما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت
 ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة وروى أن الرشيد كان له طيب نصراني حاذق فقال لعلي بن
 الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال
 له لقد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله تعالى وكأوا واشربوا
 ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء في الطب فقال جمع رسولنا صلى الله عليه
 وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المععدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء فأعط
 كل بدن ما عورته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم بل الخبوس طبيا (أنه لا يحب المسرفين)
 أي لا يرتضى فعلهم في الآية الوعيد الشديد على الاسراف (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة من
 الذين يطوفون بالبيت عراة (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) من الثياب كل ما يتجمل
 به فيدخل تحته أنواع الملابس والحلي ولولا النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير
 للرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص في تحريمه على الرجال دون النساء (و) قل أيضا
 لهؤلاء الجاهلة الذين كانوا لا يأكلون دسما يعظمون بذلك جهم من حرم (الطيبات من الرزق) التي
 أخرج لعباده وخلقه الهيم فيدخل تحت ذلك كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما
 ورد نص بتحريمه وقد دلت الآية على أن الاصل في الملابس وأنواع التجملات والمطاعم
 الاباحة الا ما ورد النص بخلافه لان الاستفهام في من لا انكار (قل هي) أي الزينة والطيبات
 (للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بالامالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ولذا لم يقل تعالى
 للذين آمنوا وغيرهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وقرأنا فرفع التاء على أنها
 خبر بعد خبر والباقيون بالفتح على الحال (كذلك) أي مثل هذا التفصيل البديع (تفصل
 الآيات) أي بين احكامها وغير بعض المشتبهات من بعض (القوم يعلمون) أي يتدبرون فانهم
 المتفقهون بها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل
 الطيبات من الرزق وغير ذلك مما أحل الله تعالى (انما حرم ربى الفواحش) أي الكبائر
 والتكبير ما توعد عليها فهو لعن أو غضب بخصوصها في الكتاب أو السنة غالبا كل ما جامع
 فاحشة (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها وقرأ جزء يسكون البناء والباقيون بقصها

أى للانداز به (وذ كرى) أى وتذكرة (للمؤمنين) به وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل
 من أمكن انذاره وتذكيره من العقلاء قال بعض المفسرين وهذا من المؤخر الذى معناه
 التقديم تقديره كتاب أنزلناه إليك لتعذربه وذ كرى لاهؤمنين فلا يمكن فى صدره حرج منه ويدل
 لهذا انغلاق لتسديدا نزل وقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن والسنة لقوله
 تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا أى قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وذروا ما أنتم عليه من
 الشرك (ولا تتبعوا من دونه) أى ولا تتخذوا من دون الله أى غيره (أولياء) تطيعونهم من
 شياطين الانس والجن فى أمرهم وكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قل لا
 ما أنذركم) أى تتعظون وقرأ ابن عامر بياء قبيل التاء وتخفيف الذال وقرأ حفص وحجزة
 والكسافى بتخفيف الذال ولا ياء قبل التاء والباقون بتشديد الذال ولا ياء قبل التاء (وكم من
 قرية أهلكناها) أى أهلكنا أهلها وقيل لا يحتاج الى تقدير مضى لان القرية تهلك كما يهلك
 أهلها وانما يفتقر فى جفاءه لاجل قوله تعالى أو هم قائلون وكم خبرية مفعول أهلكنا وهى للتكثير
 والاهلاك على حقيقة أويقدر اردنا اهلاكلها لقوله تعالى (جفاءها) أى أهلها (بأسنا) أى عذابنا
 فان حجبى الباس قبل الاهلاك فتقدر الارادة وقيل الاهلاك الخذلان وعلى هذا فلا حاجة الى
 تقدير (بياتنا) أى وقت الاستكان فى السوت ليل كما جاء قوم لوط عليه السلام (أو هم قائلون)
 أى نائمون وقت القائلة وهى نصف النهار أو مستريحون من غير نوم كما أهلكنا قوم شعيب عليه
 السلام أى مرة جاءه ليل لا مرة نهرا وانما خص هذين الوقتين لانهما وقت دعة واستراحة
 فيكون حجبى العذاب فيهما أقطع وفى هذا وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لا تغتروا بأسباب
 الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فلا كان دعواهم) أى قولهم (اذ جاءهم
 بأسنا) أى عذابنا (الآن قالوا) أى الاقوالهم (انا كنا ظالمين) أى فيما كنا عليه حيث لم تتبع ما أنزل
 اليك من ربنا وذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) أى المرسل اليهم وهم
 الامم يسألهم الله تعالى عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسلن المرسلين) أى عما اجيبوا به كما
 قال تعالى يوم يحجب الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وقيل نسأل المرسلين عن الابلاغ والمراد من هذا
 السؤال توبيخ الكفرة وتقريرهم والمنق فى قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
 الاستعلام الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) أى
 الرسل والمرسل اليهم (بعلم) لنخبرهم عن علم بما فعلوه باطنا وظاهرا وعما قالوه سرا وعلانية
 (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم وأقوالهم (والوزن) أى اصناف الاعمال
 بميزان له لسان وكفتان ينظر اليها الخلاق اظهاوا العدل وقطع المعةذرة كما يسألهم عن أعمالهم
 فتعترف بها ألستهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان رجلا يؤتى به الى الميزان فينشر
 عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل ممدد بالبصر فيخرج له بطاقة فيها كل ما شهد به فتوضع
 السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات ونقلت البطاقة والبطاقة رقعة صغيرة

تجعل في طي الثوب يكتب فيه اسمه وقيل وزن الاعمال روى عن ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وقيل وزن
الاشخاص لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لياق الرجل العظيم السمين يوم القيامة
فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة
خبر المبتدأ الذي هو الوزن وقوله تعالى (الحق) أي العدل السوي صفته (فن ثقلت موازينه)
أي رجحت على ما يعهد في الدنيا بصحائف الاعمال أو حسنته أو به على الاقوال الماضية وعن
الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يرجح ويثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يخف (فان قيل) الميزان واحد فوجه الجمع (أجيب) بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد
وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين واللسان
والساهون ولا يتم الوزن الا بذلك كله وقيل جمع لاختلاف الموزونات وتعدد الجمع فهو جمع
موزون أو ميزان (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت) أي طاشت
(موازينه) أي السبائك أي بسيمها (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أي تصببرها الى النار
(بما كانوا ياتنا بظلمون) أي يمجدون (ولقد مكناهم) يا بني آدم (في الارض) أي في
مسكنها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا اياكم فيها معاش) جمع معيشة أي اسبابا تعيشون بها
أيام حياتكم من أنواع التجارات والصنائع والمساكن والمشارب وذلك بفضل الله تعالى
وانعامه على عبده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنع بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع
هذا الافضل على عبده وانعامه عليهم لا يقومون بشكرها كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا
ما تشكرون) أي على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انه هم قديشكرون
لان الانسان قديكر نعمة الله فيشكروه عليها فلا يخلف في بعض الاوقات من الشكر على النعم
وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها (ولقد
خلقناكم) أي اباكم آدم (ثم صورناكم) أي اباكم آدم والمراد يعني خلقنا اباكم آدم طينًا غير
مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم وقيل خلقناكم في
اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (فان قيل)
ثم للترتيب والتراخي وهي ظاهرة على القول الاول فواجهه على الثاني (أجيب) بأنها تكون
بمعنى الواو أي وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية بالافتخار (فسجدوا) أي الملائكة
كلهم لآدم (الا إبليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين) أي عن سجدة (قال)
الله تعالى لإبليس (ما منعك أن تسجد) أي أن تسجد (إذا مرتك) فلا زائدة لتأكيد
في قوله تعالى لا أقسم أي أقسم وقوله تعالى وحرام على قرية أهلها كانوا أنهم لا يرجعون أي
يرجعون نعم ان جل ما منعك على ما حلك لم تكن زائدة (قال) إبليس مجيبا له تعالى (أنا خير منه)
(فان قيل) كيف يكون قوله أنا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول منعني كذا
(أجيب) بأنه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله مأمورا بالسجود

(و) حرم (الاثم) أى الصغائر وهى ما عدا الكبائر كالنظر الى بدن أجنبية (و) حرم (البغى) على الناس أى الظلم أو الكبر وأفرده بالذ كرمع انه من الكبائر للمبالغة وقوله تعالى (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكدا لمعنى (و) حرم (أن تشر كوا بالله ما لم ينزل به) أى بالاشراك (سلطانا) أى حجة وفي ذلك تهكم بالمشركين وتنبية على تحريم ما لم يدل عليه برهان. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والباقون بالتشديد (و) حرم (أن تقولوا على الله ما لا تعاون) فى تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) أى وقت معلوم وفى ذلك وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالام الماضية (فاذا جاء أجلهم) أى حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) ساعة علمه وانما ذكرت الساعة وان كان دونها كذلك لانها أقل اسم للاوقات فى العرف وذلك حين سألوا أنزل العذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون والبرزى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وورش وقنبل سهلا الثانية وابدلاها حرف مدا والباقون بالتحقيق فيهما (يا بنى ادم ائما) فيه اذ غامنون ان الشرطية فى ما الزائدة (يا بنيكم) رسل منهم (أى من نوعكم من عند ربكم) (يقصون عليكم آياتي) أى يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التى شرعت لعبادى وجواب الشرط قوله تعالى (فمن أنق) الشرك ومخالفة رسل (واصلح) عمله الذى أمرته به رسلى فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلا خوف عليهم) حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) أى يتجدد لهم فى وقت ما حزن على شئ فاتهم لان الله يعطيهم ما تقر به أعينهم (والذين كذبوا بآياتنا) أى جحدوها وكذبوا رسلنا (واستكبروا) أى تكبروا (عنها) أى عن الايمان بها لاق كل مكذب وكافر متكبر قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستهكرون (أو لئك) هؤلاء البعداء البغضاء (أصحاب الفارهم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا وادخل الفاء فى خبر المبتدأ الاول دون خبر الثانى للمبالغة فى الودع والامساحة فى الودع (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى بنسبة الشريك والولد اليه أو قال علمه ما لم يقله (أو كذب بآياته) أى القرآن (أو لئك ينالهم) أى يصيبهم (نصيبهم) أى حظهم (من الكتاب) أى مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ ومن الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم) أى هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب (رسلنا) أى ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) بقبض أرواحهم عند استكمال أعمالهم وأرزاقهم وقوله تعالى (قالوا) جواب اذا أى قال الرسل لهم بكييتنا وتوبينا وتقريرا (أين ما كنتم تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى غيره ادعوهم لمدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة أى اذا جاءتهم ملائكة العذاب يتوفونهم أى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار (قالوا) أى الكفار مجيبين للرسل (ضلوا) أى غابوا (عنا) وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم) أى بالغوا فى الاعتراف عند الموت أو عند معاناة العذاب (انهم كانوا كافرين) أى جاحين وحدانية الله تعالى (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة (ادخلوا فى أمت) أى فى جملة جماعات وفرق أمت بعضها بعضا (قد خلت) أى مضت

وسأفت (من قبلكم من الجن والانس) أى كفارا لام الماضيه من الفريقين وقوله تعالى
(فى النار) متعلق بادخلوا (كلمادخلت أمة) أى جماعة النار (أعنت أختها) أى التى ضلت
بالاقدام بها (حتى اذا آذاركوا) أى تلاحقوا واسمقروا (فيها) أى النار (جميعا قالت أخرجهم)
أى منزلة أو دخولا وهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجلهم وهم المتبعون اذا الخطاب مع الله تعالى
لامعهم (ربنا هؤلاء) أى الاقولون (أضلونا) أى لانهم أول من سن الضلال وقرأنافع وابن
كثير وأبو عمرو وببدال الهمة الثانية ياء فى الوصل والباقون بالتحقيق (فأتهم) أى أذقهم
بسبب ذلك (عذابا ضعفا) أى يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا وأضلوا ومن سن سنة
سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ومنه لا تقبل نفس ظلما الا كان على ابن آدم
الأول كفل من دمها لانه أول من سن القتل ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم (من النار قال) الله
تعالى (الكل) أى منكم ومنهم (ضعف) أى عذاب مضعف أما القادة فكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فكفرهم وتقليد لهم (ولكن لا تعلمون) أى ما أعد الله تعالى لكل فريق من
العذاب وقرأ شعبة يعلمون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (وقالت أولاهم) أى
فى الكفر وهم القادة (لاخراهم) أى الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) أى لانكم لم تكفروا
بسينا فقد جاء تكلم الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفرتم ففتم وأنتم سواء قال الله
تعالى لهم (قدوقوا العذاب بما) أى بسبب ما (كنتم تكسبون) أى من الكفر والاعمال الخبيثة
(أن الذين كذبوا بآياتنا) أى بدلائل التوحيد فلم يصدقوا ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) أى
وتكبروا عن الايمان بها والالتقاد لها والعمل بمقتضاها (لا تفتح لهم أبواب السماء) لصعود
أعمالهم ولالدعائهم ولالارواحهم ولانزول البركات عليهم لانهم اطهارة عن الارجاس الحسية
والعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الابواب دونها
ثم أقيمت من هناك الى حين بخلاف المؤمنين فيفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد
فى حديث وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائى بسكون الفاء وتحقيق التاء بعدها الا أن أبا عمرو
يقرأ بالتاء على التانيث وحزرة والكسائى بالياء على التذكير وقرأ الباقر بالتانيث وفتح
الفاء وتشديد التاء بعدها (ولا يدخلون الجنة) أى التى هى أطهر المنازل وأشرفها (حتى) يكون
ما لا يكون بان (يلج) أى يدخل (الجل) على كبره (فى سم الخياط) أى ثقب الابرة وهو غير ممكن
فكذا دخولهم الجنة فهو تعليق على محال وعن ابن مسعود انه سئل عن الرجل فقال
زوج الناقة استحبها لاللسائل وشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف (وكذلك) أى ومثل
ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو أن دخولهم الجنة محال عادة (فجزي المجرمين) أى الكافرين
لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة
الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار وما بين تعالى أن الكفار لا يدخلون الجنة
أبد اين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد الله لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) أى
فراش وأصل المهاد والمهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالبساط (ومن فوقهم غواش)

أى أعظمية من النار جمع غاشية والتسوين فيه عوض عن الباء التى هى حرف علة وتبيل عن
 خركتها (وكذلك تجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعاراً بأنهم
 بتكذيبهم الآيات انصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والعظم
 مع التعذيب بالنار تنبيهها على أنه أعظم الاجرام وقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
 مبتداً وقوله تعالى (لا تكافنفساً الاوسعها) أى طاقتهم من العمل اعتراض بينه وبين خبره
 وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وانما أحسن وقوع ذلك بين المبتدأ والخبر لانه من
 جنس هذا الكلام لأن الله تعالى لما ذكر عملهم الصالح دل ذلك على أن ذلك العمل من وسعهم
 وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومجملها يوصل
 اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وأتبع الوعيد بالوعيد على عادته فقال تعالى
 (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا فى كان فى قلبه على أخيه
 غل فى الدنيا نزع فسلبت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن على رضى
 الله عنه انى لا رجوان أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 يخلص المؤمنون من النار فيهبسون على قنطرة بين الجنة والنار لا يقتص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده
 لا أحدهم أهدى بمنزلة فى الجنة منه بمنزلة كان فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة
 اذا سبوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشرى بوا من احدهما فترزع
 ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الآخر فترت عليهم بنصرة النعيم
 فلا يشعنوا ولا يشعنوا بعدها أبداً وقيل ان درجات الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض
 أهل الجنة أعلى من بعض فأخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من
 قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية (تجبرى من تحتهم الانهار)
 أى من تحت قصورهم زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى ان المؤمنين
 اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة
 منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضلهم وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كآلهم يندى لولا ان
 هدانا الله) أى لولا هداية الله ونوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا المحذوف دل
 عليه قوله تعالى وما كآلهم يندى وتقديره لولا هداية الله لنا موجوده لشقينا أو ما كآلهم يندى وقرأ
 ابن عامر بجذف الواو قبل ما والباقون بالواو واذا دخل أهل النعيم الجنة ورأوا ما أعد الله
 تعالى لهم من النعيم قالوا (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهدونا بآياتهم يقولون ذلك سرورا
 واعتباطاً بما نالوا وتلذذوا بالتكلم به وتبججاً بأن ما علموه يقيناً فى الدنيا صار لهم عين اليقين
 فى الآخرة وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام
 (ونودوا) اذا رأواهم من بعيداً وبعد دخولها والمنادى هو الله تعالى أو الملائكة ينادون بأمر
 الله تعالى (أن تلبسكم الجنة) التى كانت الرسل وعدتكم بها فى الدنيا وروى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحبوا فلاتقربوا أبدا
 وان لكم أن تصعبوا فلاتسبوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلاتهزموا أبدا وان لكم أن تسبوا
 فلاتسبوا أبدا فذلك قوله تعالى ونودوا أن تلهكم الجنة (أورثوها) أى أعطيتها وها
 (بما كنتم تعملون) أى بسبب أعمالكم الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوبا
 لكم على الاعمال الصالحة ولا يعارض هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يدخل
 الجنة أحد بعملة انما يدخلونها برجة الله تعالى فان البناء فى الحديث للعرض وهى الداخلة على
 الجنة أحدى بعملة انما يدخلونها برجة الله تعالى فان البناء فى الحديث للعرض وهى الداخلة على
 الأيمان فهو شريت الفرس بألف فلاتكون الجنة مشتراة بعملة فكون عملها ثوابها
 أو ان دخول الجنة برجة الله واقتسام الدرجات بالاعمال أو ان العمل الصالح لن يناله المؤمن
 ولن يبلغه الا برجة الله وتوقيعه واذا كان العمل الصالح بسبب الرجة كان دخول الجنة فى
 الحقيقة برجة الله وجعلها الله تعالى ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى
 دار الدنيا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين أحد الاول من الجنة ومنزل
 فى النار فأما الكافر فخير المؤمن منزلة من الجنة والمؤمن يرث الكافر منزلة من النار وأن فى
 المواضع الخمسة التى فيها المناداة والتأذين هى الحقيقة أو المفسرة لان المناداة والتأذين من
 القول وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار النداء عند النداء والباقيون بالادغام
 (ونادى أصحاب) أى أهل (الجنة أصحاب) أى أهل (النار) أى تقول أهل الجنة يا أهل النار
 (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) أى فى الدنيا على لسان الرسل من الثواب على الايمان به وبرسوله
 وطاعته (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) أى من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى قال
 أهل النار مجيبين لأهل الجنة (نعم) وجدنا ذلك حقاً وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل
 الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (فان قيل) الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يصح
 أن يقع هذا النداء (أجيب) بأن الله قادر على أن يقوى الاصوات والامعاق فيصير البعيد
 كالقريب (فان قيل) هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض البعض
 (أجيب) بأن ظاهر الآية العموم ويحتمل أن كل واحد من أهل الجنة ينادى من كان يعرف
 من الكفار فى دار الدنيا والله أعلم بحقيقة ذلك وقرأ الكسائى بكسر العين والباقيون بالفتح
 وهم الغنم (فأذن مؤذن) أى وهو اسرافيل صاحب الصور كما قاله ابن عباس وقيل واحد
 من الملائكة وأصل الاذان فى اللغة الاعلام والمعنى نادى نادى (بينهم) أى الفريقين
 أجمعهم (أن لعنت الله على الظالمين) وقرأ البرزى وابن عامر وحجزة والكسائى بتشديد أن
 ونصب التاء والباقيون بتخفيف أن ورفع التاء ثم فسر الظالمين منهم بقوله تعالى (الذين يصدون
 عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (فيغفون) أى يظلمون السبيل
 (هوجا) أى معوجة قال ابن عباس يصلون لغفر الله ويعظمون ما لم يعظمه الله والعوج بكسر
 العين فى الدين والامر وكل ما لم يكن قائما وبالفتح فى كل ما كان قائما كالسائط والرمح (وهم
 بالآخرة كافرون) أى يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرين لها (ويبين ما) أى أهل الجنة

وأهل النار (حجاب) لقوله تعالى فضررب بينهم بسوراً وبين الجنة والنار ليمتنع وصول أثر
أحداها إلى الأخرى (وعلى الأعراف) وهو سور الجنة جع عرف وهو المكان المرتفع ومنه
عرف الديك لا ارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدي سمى ذلك السوراء قال لأن أصحابه
يعرفون الناس أي أهل الجنة والنار (رجال) أي طائفة من الموحدين استوت حسناتهم
وسميتهم كما في الحديث فقد صرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار
فوقوا هذا حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته وهم
آخر من يدخل الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن
كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته
بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقات موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تخف بمقال حبة أو ترجح قال ومن
استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وقيل هم قوم خرجوا إلى الغز وبغير إذن
آبائهم فقتلوا فآفة قوام النار بقلة لهم في سبيل الله وحسبوا عن الجنة بجمعية آبائهم فهم
آخر من يدخل الجنة وقيل هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم وقيل هم أطفال
المشركين (يعرفون) أي أصحاب الأعراف (كلاً) من أهل الجنة والنار (بسيئاتهم) أي
بعلاماتهم وهي بياض الوجوه لاهلهم وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال
(ونادوا) أي ونادى أصحاب الأعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) إذا نظروا إليهم سلموا
عليهم (لم يدخلوها) أي أصحاب الأعراف الجنة (وهم يطعمون) في دخولها قال الحسن
لم يطعمهم الاكرامة يريداهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بيناهم كذلك اذ طلع عليهم ربك
فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء
علماء وعلى هذا انما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزهة وليرى غيرهم ثم عرفهم وفضلهم
وحكى ابن الأباري أنهم أنبياء وعلى هذا انما أجلسهم على ذلك العالي تمييزاً لهم على أهل
القيامة واطهار الفضلهم وعلمهم بتبهم وليكونوا شرفين على أهل الجنة والنار ومطلعين على
أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مخنف هم ملائكة يرون في
صورة الرجال والاقوال الاول تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات
وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله والاقوال الاخرية تدل على أنهم أفضل من أهل الجنة لانهم
أعلى منهم منزلة وأفضل (واذا صرفت أبصارهم) أي أصحاب الأعراف (تلقاء) أي جهة
أصحاب النار) فنظروا إليهم وإلى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين) أي الكافرين في النار قال ابن عباس ان أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى
أصحاب النار وما هم فيه تضرعوا إلى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم وقرأ قالون وأبو عمرو
والبرقي باسقاط الهمزة الاولى وأبدلها وشر وقبيل حرف مد وسهلاها والباقيون بالتحقيق
(ونادى أصحاب الأعراف رجلاً) أي كانوا عظاماً في الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيئاتهم)

أى بسماء أهل النار (قالوا) أى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم في النار (ما أغفى
عنكم جمعكم) أى ما كنتم تجهلون معون من الاموال في الدنيا وكثرتكم واجتماعكم فيها
(وما كنتم تستكبرون) أى وما أغفى عنكم تكبركم عن الايمان شيئاً قال الكلبي ينادونهم
على السور يا ولدين المغيرة يا أباجهل بن هشام يافلان ويافلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها
الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان الفارسي وخبيب وصهيب وبلال
وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لهؤلاء الكفار (أهؤلاء) لفظ استفهام أى أهؤلاء
الضعفاء (الذين أقسمتم) أى حلفت بالله (لا ينالهم الله برجة) أى لا يدخلون الجنة وقد قيل لهم
(ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل أصحاب الاعراف اذا قالوا لأهل النار
ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقولون أنهم
لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برجة فتقول الملائكة الذين حبسوا أهل الاعراف ادخلوا
الجنة برجة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهذا ظاهر على الأقوال الاول وقرأ أبو عمرو
وعاصم وحزرة بكسرتين رجة في الوصل وابن ذكوان بوجهين الضم والكسر والباقون
بالضم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وهو دليل على
أن الجنة فوق النار (أومارزقكم الله) أى من سائر الاشربة ليلأنم الافاضة لان الافاضة
ملائمة للماء وسائر المائعات فمات الافاضة على افاضة جميع المائعات أو من سائر
المشروب والماء كقول بعضهم أفيضوا ألقوا كقوله

علقتم أبناء وما باردا * حق غدت هما المنيها

أى فائضة عيناها (قالوا) أى أهل الجنة مجيبين لهم (ان الله حرمهما) أى منعهما (على
الكافرين) أى منعهم طعام الجنة وشرايها كما يمنع المكاف ما يحرم عليه ويحظر كقوله
* حرام على عبي أن تطعم الكرا * وقيل لما كانت شهواتهم في الدنيا لذة الاكل والشرب
وعذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب
الاكل والشرب فأجيبوا بأن الله تعالى حرم طعام الجنة وشرايها على الكافرين ثم وصف الله
تعالى الكافرين بقوله (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم
البحيرة والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل كانوا
اذا دعوا الى الايمان سخروا من دعاهم وهزأوا به والله هو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف
له واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (وغرهم الحياة الدنيا) أى وخدعهم عاجل
ما هم فيه من رعد العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله ومن الاخذ
بنصيهم في الآخرة حتى أتتهم المنية وهم على ذلك والعزة غفلة في الميعة وهو طمع الانسان في
طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقيل الجاهل ينيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوباً
عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك وما وصفه الله تعالى
بهذه الصفات الذميمة قال (فالיום) أى يوم القيامة (ننساكم) أى نتركهم في النار ونعرض

عنهم فلا تخيب دعاهم ولا ترحم ضعفهم (كما نساوا لقاء يومهم هذا) أى كاتروا العمل للقاء
 يومهم هذا كفعل الناس فلم يحطروا بالهم ولم يهتموا له وأعرضوا عن الايمان فقابل الله تعالى
 جزاء نسيانهم بالنسيان على الجواز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
 مثلها (وما كانوا ياتينا بمجددون) أى وما كانوا منكربين أنهم امن عند الله تعالى (ولقد
 جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى قرآن أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه) أى بينا معانيه
 من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) أى عالين وجه تفصيله وقوله تعالى (هدى
 ورحمة لقوم يؤمنون) أى به حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (هل
 ينظرون) أى ما ينظرون (الا تأويله) أى الاعاقبة أمره وما يؤل اليه من بين صدقه وظهور محبة
 ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (يقول الذين
 نسوه من قبل) أى تركوه ترك الناسى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين لهم واعترفوا يوم
 القيامة بأن ما جاءت به الرسل من الايمان والخشوع والنشروالبعث والثواب والعقاب حق حين
 لا ينفعهم ذلك الاعتراف * ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)
 اليوم (أو نرد) أى أو هل نرد الى الدنيا وقولهم (فنعمل غير الذى كنا نعمل) فيها تبدل الكفر
 بالايمان والتوحيد والمعاصى بالطاعة والالابة جواب الاستفهام الثانى (قد خسروا أنفسهم)
 أى اذ صاروا الى الهلاك لانهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا
 لاعدوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم (وضل) أى ذهب (عنهم
 ما كانوا يفترون) أى من دعوى الشريك فلم ينفعهم (ان ربكم) أى سيديكم ومولاكم ومصلح
 أموركم وموصل الخيرات اليكم ودافع المكروه عنكم هو (الله الذى خلق السموات
 والارض) أى ابتدعهم ما وأنشأ خلقهم ما على غير مثال سبق (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا
 وقيل من أيام الاسخرة كل يوم ألف سنة (فان قيل) اليوم من أيام الدنيا عبارة عن مقدار من
 الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن اذ ذلك الشمس ولا قمر ولا سماء (أجيب)
 بأن معنى ذلك فى مقدار ستة أيام فهو وكقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أى على مقادير
 البكرة والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا
 على خلق السموات والارض فى لحظة وخلقهن فى ستة أيام تعليم الخلقه الثابت والتأنى
 فى الامور وقد جاء فى الحديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان واختلاف العلماء فى اليوم
 الذى ابتدأ الله خلق الاشياء فيه فقيل هو يوم السبت لخبر مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
 أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
 الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكر يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها
 الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار
 وفيما بين العصر الى الليل وقيل يوم الاحد لقول بعضهم سمى يوم الاثنين لانه ثانى الايام
 والخميس لانه خامس الايام قال الاسنوى واصواب الاول للخبر المذكور (ثم استوى على

العرش) أى استوى أمره وقال أهل السنة الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب
 الايمان به ونكل فيه العلم الى الله تعالى والمعنى أن له سبحانه وتعالى استواء على العرش على الوجه
 الذى عنده منزعه عن الاستقرار والتحكم وسأل رجل مالک بن أنس عن قوله تعالى الرحمن على
 العرش استوى فأطرق رأسه مليا وعلاه الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
 معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الاضالا ثم أمر به فأخرج وروى
 عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى
 جاءت فى الصفات المتشابهة أمرؤها كما جاءت أقرؤها بلا كيف واجماع السلف منعقد على أن
 لا يزيدوا على قراءة الآية والعرش فى اللغة السرير قال **كعب** ان السموات فى العرش
 كالقنديل معلقة بين السماء والارض وقال الطائى العرش باقوتة حجر اء وشذ قوم فقالوا
 العرش بمعنى الملك وهذا عدول عن الحقيقة الى التجوز مع مخالفة التزم لم يسمعوا قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء أترأه كان الملك على الماء وكيف يكون الملك باقوتة حجر اء وبعضهم يقول
 استوى بمعنى استولى ويحجج بقول الشاعر

قد استوى بشرى على العراق * من غير سيف ودم مهران

وقال آخر هما استويا بفضلهما جميعا * على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند أهل اللغة قال ابن الاعرابى لا يعرف استولى فلان على كذا الا اذا كان
 بعيدا منه غير متمكن منه ثم تمكن منه والله تعالى لم يزل مستويا على الاشياء واليقتان قال ابن
 فارس اللغوى لا يعرف قائلهما ولو صحا لاجحة فيهما لما ينما من استيلاء من لم يكن مستويا نعوذ
 بالله من تعطيل المخلدة وتشبيهه الجسمة وقيل هو ماء لا فاضل ومنه عرش الكرم (يغشى الليل
 النهار) أى يغطيه ولم يذكركمسه اما للعلم به واما لان اللفظ يحتملها ما بأن يكون المعنى بأنه يلحق
 الليل بالنهار والنهار بالليل وقر أشعبة وحزرة والكسائى بفتح الغين وتشديد الشين والباقون
 يسكنون الغين وتحقق الغين (يطلبه) أى يطلب كل منهما الا أن شرط لبا (حينئذ) أى سر يعاقبه
 صفة مصدر محذوف ويحتمل أن يكون حالا من الفاعل بمعنى حائا أو المفعول بمعنى المحموش
 (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) أى مذلات لما يراى اء منهن من طلوع وأقول وسير على
 حسب ارادة المدبر لهن (بأمره) أى بقضائه وتصريفه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
 والخبر والباقون بالنصب عطفا على السموات ومسخرات منصوب بالكسرة (ألا اله الا الحق)
 جميعا (والامر) كما فانه الموجد والمتصرف فى ذلك وفى هذا رد على من يقول ان الشمس والقمر
 والكواكب تخلق له الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهى الذى يفعل
 ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه واستخرج سفيان بن عيينة من هذا ان
 كلام الله تعالى ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر أى
 ان جعل الامر وهو كلامه من جملة ما خلقه فهو كفر لان المخلوق لا يقوم الا بخلق (تبارك الله رب
 العالمين) أى تعالى بالوحدانية وعظيم بالتفرد فى الربوبية قال البيضاوى وتحقق الآية والله

أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فيبين الله تعالى لهم أن المستحق للرؤية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والامر فأنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابعد الأفلاك ثم زينه بالأكواب كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماتها بالصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله تعالى خلق الأرض في يومين أي ما في جهة السفلى في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة أي وهي النبات والحيوان والمعدن بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً كما قال تعالى بعد قوله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لم يتم له عالم الملك عمداً إلى تدبيره كالمالك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدير الامر من السماء إلى الأرض بتركيب الأفلاك وتسمير الكواكب وتكوين المصالح والمآل والأيام ثم صرح بما هو نتيجة ذلك فقال أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم أن يدعوه متذلين محلصين بقوله تعالى (ادعوا ربكم) لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه سبحانه وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصاله إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدر والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعاً) أي ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو اظهر الذل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان فلان اذا ذل له وخشع (وخفية) أي سرافياً أنفستكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الالية وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم قال أبو موسى وأنا خلقه أقول لاحول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله وقال الحسن بن دعوة السر والجهر سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجهدون في الدعاء لا يسمع لهم صوت ان كان الاهمسيا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية فان الله تعالى أثنى على زكريا عليه الصلاة والسلام فقال اذ نادى ربه نداً خفياً وعن الحسن أيضاً ان الله يعلم التضرع والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد دفعه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يفعلوه في السر فيكون علانية أبداً (أنه) تعالى (لا يحب المعتدين) أي المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيبه به على أن الداعي ينبغي له أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة

والسلام والصعود الى السماء روى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر
الايض عن عين الجنة اذ دخلتها فقال يا بني أسأل الله الجنة وتعود به من النار فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء
وقيل أراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جرير من الاعتداء رفع الصوت والتدعاء بالدعاء
والصياح وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم
اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تنفسدوا في الارض) أي بالشرك والمعاصي (بعد اصلاحها)
أي يبعث الرسل وشرع الاحكام وقيل لا تنفسدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث
بما أصيبكم وعلى هذا فمعنى قوله تعالى بعد اصلاحها أي بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر
والخصب (وآدعه خوفاً) منه ومن عذابه (وطمعا) أي فيما عنده من مغفرته ونوابه وقال
ابن جرير خوف العدل وطمع الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) أي المطيعين وفي
ذلك ترجيح الطمع وتنبه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها
الى الله تعالى وقال سعيد بن جبيرة الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل
ان تأنيث الرحمة ليس بجعفي وما كان كذلك جازفيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وقيل
ذكره للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره حيث يجب التأنيث في الأول فيقال
فيه فلانة قريبة مني ويجوز في الثاني فيقال فلانة قريبة وقريب مني في المكان وكون الرحمة
قريباً من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار من الدنيا واقبال على
الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي
الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان * (فائدة) * رحمت الله يكتب بالتاء
المجرورة فوقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأما الهاء الكسائي
في الوقف وقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائي بالتوحيد
والباقون بالجمع (نشر ابيدي رحمة) أي ممتدة رحمة قد ام المطر الذي هو من أجل النعم وأحسنها
أثر وقرأ عاصم بالباء الموحدة وسكون الشين أي مبشراً وحجزة والكسائي بالنون مفتوحة
وسكون الشين على انه صدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الاوسال
والنشر متقاربان وابن عاصم بالنون مفعومة وسكون الشين تحقيرها والباقون بضم النون
والشين جمع نشور بمعنى ناشر (حتى اذا ألقات) أي حلت الرياح (سحاباً ثقالاً) أي بالمطر يقال
أقل فلان الشيء اذا جملة واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئاً يراه قليلاً (سقناه) أي
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ وفيه التفات عن الغيبة ولوجل على المعنى كالثقال لانه
كما لو جمل على اللفظ لقل ثقبلاً والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه
ماء ممي سحاباً لان سحابه في الهواء قال السدي ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح فتأتي

بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه ثم تنشره فتبسطه
 في السماء كما يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك (بلبلد
 ميت) لا نبات فيه أي لا حيائه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بخفيف الماء والباقون بالتشديد
 (فانزلناه) أي بالبلد أو بالسحاب (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء لان انزال الماء كان شيئا
 لاخراج الثمرات (من كل الثمرات) أي من كل أنواعها قال الازهرى قال الليث بن سعد رجه
 الله تعالى البلد هو كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة
 والجمع بلاد (كذلك) أي مثل هذا الاخراج (فخرج الموتى) أي من قبورهم بعد فناءهم ودرس
 آثارهم (عليكم تذكرون) أي لكي تعتبروا وتنتذروا والخطاب لمنكري البعث يقول انكم
 شاهدتم الاشجار وهي من هرة مورقة مثمرة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها اليابسة
 هاربة من تلك الاوراق والثمار ثم ان الله أحياها مرة أخرى فالقادر على احياها بعد موتها
 قادر على أن يحيي الاجساد بعد موتها قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا مات
 الناس كلهم في النفخة الاولى أرسل الله تعالى عليهم مطرا كفى الرجال من ماء تحت العرش
 فينبئون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم
 نومة فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم
 فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال
 والباقون بالتشديد (والبلد الطيب) أي والارض الكريمة التربة السهلة السمعة (يخرج نباته
 باذن ربه) أي بمشيئته وتيسيره عبره عن كثرة النبات وحسنه وعزارة نفعه لانها وقعت
 في مقابلة (والذي خبت) أي والبلد الذي خبت أرضه فهي سبعة (لا يخرج) نباته (الانكداء)
 أي عسرا بشقة وكلفة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فنبه المؤمن
 بالارض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلبه بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها
 أخرجت أنواع الازهار والاثار فكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهر منه
 الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبعة
 التي لا ينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يستدقه ولا يزيد
 الاعتوا وكفرا وان عل الكافر حسنة في الدنيا كانت بشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة وقيل
 هو مثل ضربه الله تعالى لآدم وذرية كلهم منهم طيب ومنهم خبيث (كذلك) أي كما بينا ما ذكر
 (نصرف) أي نبين (الآيات) الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة (نقوم
 يشكرون) نعمة الله تعالى فيستفكرون فيها ويعتبرون بها وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم
 الذين ينتفعون بسماع القرآن * ولما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته الدالة
 على توحيده وربوبيته وأقام الأدلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أعدائهم فقال (لقد) جواب قسم محذوف تقديره
 والله لقد (أرسلنا نوحا) عليه السلام (الى قومه) ولانكاد نطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة

التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر به او نوح هو ابن ملك بن متوشلح بن أخنوخ
 وهو ادريس عليه السلام وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله تعالى الى
 قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن
 مائة سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقال ابن عباس سمى نوحا لكثرة ما نوح على نفسه
 واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن
 ابنه كنعان وقيل لانه مرتكبكب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني
 أو أعبت المكاب وفي ذكر القصص تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن
 قبول الحق فقط بل قد أعرض عنه غالب الامم الخالصة والقرون الماضية وفيه تنبيه على
 ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الخسار والهلاك في الدنيا والآخرة والعذاب
 الاليم فمن كذب محمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبلهم
 من الامم المكذبة وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أصيلا لا يقرأ ولا يكتب
 ولم يلق أحدا من علماء زمانه وقد أتى بعمل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم
 الخالصة مما لم ينكره عليه أحد فعلم بذلك أنه انما أتى من عند الله وأنه أوحى اليه بذلك فكان ذلك
 دليلا واضحا وبرها ناقطا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم (فقال) نوح حال ارساله لقومه
 يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله تعالى (ما لكم من آله غيره) فإنه الذي يستحق
 العبادة لا غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء على أنه صفة لاله والباقون برفعهما على البدل
 من محله (أني أخاف عليكم) ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته
 (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أي يوم نزول الطوفان واهلاكهم فيه وقال أخاف على الشك
 وان كان يقينا من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم
 أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون
 (قال الملا من قومه) أي الأشراف منهم فانهم علون العيون منظرا (انالزل في ضلال) أي
 خطا وزوال عن الحق (مبين) أي بين (قال) نوح محبب اليهم (يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي شيء
 مما تنظنون من الضلال (فان قيل) لم يقل ليس بي ضلال كما قالوا (أجيب) بأن الضلالة أخص
 من الضلال فكانت أبلغ فأنبي الضلال عن نفسه كما لو قيل ألك عرفت مالي عثرة ففقد بالغ في
 النفي كما بالغوا في الإثبات وقوله تعالى (ولكني رسول من رب العالمين) استدرأ به باعتبار
 ما يلزمه وهو كونه كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول الله (أبلغكم رسالات ربي
 وأنصح لكم) والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد له نفسه ويقال نصحت له ونصحت له كما يقال
 شكرته وشكرت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وانما وقعت خاصة
 للمنصوح له مقصودا بها جانبها لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فمقصود للنفعين جميعا ولا
 نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسوله وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص
 النية من شوائب المكروه وقال بعض المفسرين والفرق بين ابلاغ نصيحة الرسالة وبين النصيحة

هو أن تبلغ الرسالة أن يعلمهم جميع أو أمر الله تعالى ونواهيهم وجميع أنواع التكليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذّرهم عقابه إن عصوه وقرأ أبو عمرو وبسكون الباء وتحفيف اللام من الإبلاغ كقوله تعالى لقد أبلغتكم رسالات ربي وقرأ الباقيون بفتح الباء وتشديد اللام من التبليغ كقوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحوال قدرته الباهرة وشدة بعثته على أعدائه وإن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقوله تعالى (أو يعجبكم) الهمزة للأنكار والواو للعطف على محذوف أي كذبتم وعجبتم (إن جاءكم) أي من أن جاءكم (ذكر) أي موعظة (من ربكم على رجل) أي على لسان رجل (منكم) أي من جنسكم أو من جلاستكم تعرفون نسبه وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون هاهنا مناهم هذا في آياتنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لازلنا نزل ملائكة (ليذكركم) أي لاجل أن يذكركم عاقبة الكفر والمعاصي (واتقوا) أي ولاجل أن تتقوا الله (وأعلمكم ترجون) بالتقوى إن وجدت منكم لأن المقصود من إرسال الرسل الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة وفائدة حرف التبرجى التبيين على أن التقوى غير موجبة والرحمة من الله تعالى محض تفضيل وإن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه) أي نوحا (فأنجيناه والذين آمنوا به) (معهم) من الغرق وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه الثلاثة سام وحام ويافت وستة من آمن به وقوله تعالى (في الفلك) متعلق بعه كانه قيل والذين آمنوا به في الفلك أو صحبوه في الفلك أو بأنجيناه أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (أنهم كانوا قوما عمن) أي عمن القلوب غن الحق غير مستبصرين يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم

(وإلى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى (أخاهم هو دا) أي أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلاف في سبب الاخوة من أين حصلت علي وجهين الأول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لامن الملائكة ويكنى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عاد واحد من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والوجه الثاني أن أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وخذوه ولا تجعلوا معه الها آخر (ما لكم من اله غيره) (فان قيل) لم يحذف العاطف من قوله قال ولم يقل فقال كما في قصة نوح (أجيب) بأن هذا على تقدير سؤال

سائل قال فما قال لهم هود فقبل قال يا قوم وقيل ان نوحا كان مواظبا على دعوته وقومه غير
متوان فيها لان الغاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة
في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غيره (أفلا تتقون)
الله أي أفلا تتخافون عقابه فتؤمنون ولما كانت هذه القصة معطوفة على قصة نوح وقد علم ما حل
بهم من العرق حسن قوله هنا أفلا تتقون أي أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن
قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (قال الملا الذين كفروا من قومه انالترک في سفاهة) أي في حق وجهالة وضلالة عن
الصواب (فان قيل) لم قال قوم نوح انالترک في ضلال مبين وقوم هود انالترک في سفاهة
(أجيب) بأن نوحا مخوف قومه بالطوفان وطق في عمل السفينة في أرض ليس فيها من الماء
شيء قال له قومه انالترک في ضلال مبين حيث تعب في اصلاح سفينة في هذه الارض واما هود
عليه السلام لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل فابلوه بعثله
فقالوا انالترک في سفاهة (وانالظنک من الکاذبین) أي في ادعائك انک رسول من رب العالمين
(قال) هود لهؤلاء الملا الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس في سفاهة) أي ليس الامر كما تزعمون
ان في سفاهة (واما کفی رسول من رب العالمين ببلغکم رسالاتي) أي أو دى اليکم ما أرسلني
به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وانالکم ناصح) أي فيما أمرکم به من عبادة الله
تعالى (أمين) أي مأمون على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامین الثقة على ما اتقن عليه
(فان قيل) لم قال نوح وأنصح لکم بصيغة الفاعل وقال هود وانالکم ناصح بصيغة اسم الفاعل
(أجيب) بأن صيغة الفاعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة وكان نوح يدعو قومه ليلا
ونهارا كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب اني دعوت قومي ليل ونهار فلما كان ذلك من عادته
ذكره بصيغة الفاعل فقال وأنصح لکم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون
وقت فلهذا قال وانالکم ناصح أمين (فان قيل) مدح الذات بأعظم صفات المدح غير لائق
بالعقلاء (أجيب) بأنه فعل هود وذلك لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرده عليهم
في قولهم وانالظنک من الکاذبین فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما أرسل به من
هنا الله وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أو عجبتم ان
جاءکم ذکر من ربکم على رجل منکم لينذرکم) سبق تفسيره * (تنبيه) في اجابة الانبياء
الکفرة عن کلماتهم الحقاء بما أجابوا والاعراض عن مقالاتهم کمال النصح والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح (واذ کروا) نعمة الله علیکم (اذ جعلکم
خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلفتموهم في الارض أو جعلکم ملوکا في الارض فان شددت ادين
عادمین ملک معجورة الارض من رمل عاج وهو موضع بالبادية بهار مل الى شجر عمان وهو بفتح
الشين المجبة وكسرها وبالحاء المهملة ساحل البحر بين عمان وعدن (وزاد کم في الخلق بسطة)
أي طولاً وقوة قال الجلال اهمل في سورة الفجر كان طول الطويل منهم أربع مائة ذراع وقامة

القصيرتين ذراعا وقال أبو حمزة الميماني سبعون ذراعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما ثمانون
 ذراعا وقال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعا أخرج ابن عساکر عن وهب بن ذراعهم
 أي على الأقوال كلها وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل أي بعد
 موته تفرخ فيه الصباج وكذا مناخرهم وقرأ نافع والبرقي وشعبة والوكاسي بالصاد
 وأبو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسین وأما ابن ذكوان وخلاّد فقرا بالسين والصاد
 (فأذروا آل الله) أي أنعمه أي اعملوا بما يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركو
 ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (لعلكم تفلحون) أي تفوزون بالنعيم المقيم في الآخرة (قالوا)
 أي قوم هود مجيبين له (اجتئنا) ياهود (لنعبد الله وحده ونترك أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 أي من الاصنام استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم
 ومعنى المجيء في اجتئنا المألان هودا كان معترلا عن قومه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم
 بجماعة قبل البعثة فلما أوحى إليه جاء قومه يدهوهم أو يريدون به الاستهزاء لأنهم كانوا يعبدون
 أن الله تعالى لا يرسل إلا ملائكة فكأنهم قالوا اجتئنا من السماء كالمجيء الملك أو أن المقصود
 هلى الجواز كما تقول ذهب يشتقى ولا يراد حقيقة الذهاب (فأتينا بما تعدنا) أي من العذاب
 أن كنت من الصادقين) أي في قولك اني رسول الله (قال) هود مجيبا لهم (قد وقع عليكم) أي
 نزل عليكم (من ربكم رجس) عقاب (وغضب) أي سخط (أتعبدونني في أسماء سميتوها) أي
 وضعتوها (أنتم وآباؤكم) أي من عند أنفسكم والاستفهام للذكر عليهم لأنهم سموا
 الاصنام بالآلهة فعبدوها من دون الله (ما نزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) أي حجة
 وبرهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وانما الواسعة كانت استهوا فاجمعها
 تعالى أما بانزال آية أو نصب دليل (فانتظروا) أي نزل العذاب بسبب تكذيبكم لي (اني معكم
 من المنتظرين) ذلك فأرسلت عليهم الريح العقيم (فأنجيناه) أي هودا (والذين معه) أي من
 المؤمنين (برحمة منا وقطعنا أبرار الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم وقوله تعالى (وما كانوا
 مؤمنين) عطف على كذبوا روى أن قوم هود كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم
 هودا فكذبوا وازدادوا عتوا فأمر الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدوا وكان
 الناس حينئذ مسلمهم وكافرهم أذنزل بهم بلاء فوجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى
 الفرج فجاءهم الى الحرم قبل بن عتروهم ثدبن سعد في سبعين من أعيانهم وكان بكة اذذاك
 العمالة أولاد علي بن لاؤذين سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
 أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهر اشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
 قمتان له وكان اسم احدهما وردة والآخرى جرادة فتسميتهما جرادتين فيه تغليب والقيفة
 الامة مغنية أو غير مغنية فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أمرهم ذلك وأستحي أن يكلمهم
 فيه مخافة أن يغفلوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقيتين فقالا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون
 من قاله فعمل القيتين معاوية* الأياقيل ويحك قم فهينم * والهيئة الصوت الخفي أي أخف

الدعاء * لعل الله ينحننا غماما * والغمام هنا المطر

فيسبق أرض عاد ان عاداً * قد امسوا الايبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

فلما اعتابه أزجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم
فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرثدين سعد والله لا تسقون بدعائكم ولا يمكن
ان أطلعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهر اسلامه فقالوا المعايبة احبس عنا مرثدا
لا يقدم من معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً
ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بياضاً وجراً وسوداً ثم ناداه مناد من السماء اقبل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثر ما تخرجت على عاد من وادلهيم
يقال له المغيث فاستبشروا به وقالوا هذا عارض ممطرنا جاءهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا
هود ومن معه من المؤمنين وأتوا مكة فعبدا الله فيها حتى ماتوا وروى أن النبي من الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا هلك قومه هاجروا الصالحون معه الى مكة يعبدون الله
تعالى فيها حتى يموتوا وروى عن علي رضي الله تعالى عنه ان قبر هود بحضر موت في كتيب أجر
وقال عبد الرحمن بن سابط بن الركن والمقام وزعم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح
وشعيب واسماعيل في تلك البقعة (والحنود) أي وأرسلنا الى غود قبيلة أخرى من العرب سموها
باسم أبيهم الاكبر وهو غود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سموا به لقلته
ما هم من النود وهو الماء القليل وكان مسكنهم الخرو وهو بكسر الخاء موضع بين الحجاز
والشأم الى وادي القرى واتفق القراء السبعة هنا على عدم صرف غود مراد به القبيلة وقرئ
مصرفا في غير هذه السورة وتأويل الحكي أو باعتبار الاصل وهو انه اسم لا يفيهم الا كبارا وللماء
القليل (أخاهم صالحا) أي أخاهم في النسب لافي الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح
ابن عبيد بن حاذر بن غود (قال) لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من الله غيره) أي فلا يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم من ربكم) أي معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وصدق ما أقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى ثم فسر تلك البيضة بقوله
(هذه ناقة الله لكم آية) أي علامة على صدق آية نصبت على الحال عاملها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل كأنه قال أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان
خاصة وهم غود لانهم عاينوها وسائر الناس أخبروا وليس الخبر كالعاينة كأنه قال لكم
خصوصا وانما أضيفت الى الله تعالى بتعظيمها لها وتفخيم شأنها كما يقال بيت الله ولانها جاءت
من عند الله تعالى بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها) أي اتركوها
(تأكل في أرض الله) أي العشب فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات انباتكم
(ولا تسوها بسوء) أي بشئ من أنواع الأذى لا بعقر ولا بغيره وقوله (فياخذكم عذاب أليم)
أي بسبب إذاها جواب النهي (واذكروا اذ جعلكم خلفاء في الارض (من بعد عاد) أي

ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها (وبوأكم) أي أسكنكمكم
 وأنزلكمكم (في الارض) أي أرض الحجر (تخذون من سهولها قصورا) أي تبثون القصور من
 سهولة الارض لان القصور انما يبنى من اللبن والا جزأ المتخذ من الطين السهل اللين غالبا
 (وتختمون الجبال بيوتا) أي وتثقبون في الجبال البيوت وكانوا في الصيف يسكنون بيوت الطين
 وفي الشتاء بيوت الجبال وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بخفضها (فأذكروا
 آلاء الله) أي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروا عليها فانكم منعمون مر فهوون بمساكن
 في الصيف ومساكن في الشتاء (ولا تعفوا في الارض مفسدين) والعشوا أشد الفساد وقال
 قتادة معناه لا تنسروا مفسدين في الارض وقيل أراد به النبي عن عقرو الناقة (قال الملاء
 الذين استكبروا من قومه) أي تكبروا عن الايمان به (الذين استضعفوا) أي للذين استضعفوه
 واستبدلوههم وقوله تعالى (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان
 الضمير لقومه وبديل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملاء بالواو والباقون بلا واو
 (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) أي أن الله أرسله الينا واليكم قالوا ذلك على الاستهزاء
 (قالوا) أي الضعفاء (انابا أرسل به) أي صالح من الدين والهدى (مؤمنون) أي مصدقون
 وانما عدلوا عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهها على أن رساله أظهر من أن يشك فيه عاقل
 أو يخفى على ذي لب (قال الملاء الذين استكبروا) عن أمر الله تعالى والايمان به وبرسوله صالح
 عليه السلام (انابا الذي آمنتم به كافرين) أي جاحدون متكبرون (فعمروا الناقة) أي عقرها
 قد أربأمرهم فاستد العقر اليهم والعقر قطع عروق البعير ثم جعل النحر عقرافانه قتلها بالسيف
 فان ناسرا البعير يعقره ثم ينحره (وعتموا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وعصوه وكذبوا
 نبيهم صالحا عليه السلام (وقالوا يا صالح انت بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من المرسلين)
 أي ان كنت تزعم أنك رسول الله فان الله ينصر رساله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا
 مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة من الارض
 والصيحة من السماء (فأصبحوا في دأوهم جامعين) أي باركين على الركب ميتين روى ان عادا لما
 أهلكت عرت غود بلادهم وخلقوهم في الارض وكثروا وعجروا أعمارا طولا حتى ان الرجل كان
 يبنى البيت المحكم فيمهد في حياته فيموتون البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش
 فعموا وأفسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام من
 أشرفهم غلاما شابا فدعاهم الى الله تعالى حتى كبر لا يتبعه الا قليل يستضعفون فلما ألح عليهم
 صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التحذير والتخويف سألوه آية فقال لهم أي آية تريدون
 فقالوا اتخرج معنا الى عيادنا في يوم معلوم لهم في السنة فتدعوا اليك وتدعوا آلهتنا فان
 استجب لك اتبعنا وان استجب لنا اتبعنا قال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيادهم
 وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجيبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
 وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاشبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة

مختبرجة جوفاء وبراء والمختبرجة هي التي شاكلت البخت والجوفاء ذات الحوف والوبراء ذات
الوبرافان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم صالح مواشيهم التي فعلت لتؤمنن واتصدقن فقالوا نعم
فصلى ودعاه به فتحضت الصخرة أي تحركت للولادة فحضر السجود بولدها فأنصدمت أي
انشقت عن ناقة عشراء وهي التي مر عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر جوفاء وبراء
كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها إلا الله تعالى عظماء وعظماؤهم ينظرون ثم نجحت ولدا مثلها
في العظم فأمن به جندح ورط من قومه وأراد أشرف غودان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم
ذؤاب بن عمرو بن أسد والخباب صاحبها أو ثائهم ورباب بن صمعر كاهنهم وكانوا من أشرف غود
فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها ثرب ولكم شرب يوم معلوم فكثرت الناقة مع
ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فترفعه
حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفج وهو تقديم الحاء المهملة مثل التفسيح وهو أن تفرج بين رجلها
فيحملون ماشاءوا حتى تملي وأنيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف أي تقيم زمن الصيف
بظهر الوادي فترب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتوا أي تقيم زمن الشتاء بطنه فترب مواشيهم
إلى ظهره فتشق ذلك عليهم وزين عقرها لهم امرأتان عنيزة بنت غنم وصدقة بنت المختار لما
أضرت به من مواشيهم ما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا الجها فرفق سقها وهو يفتح
السبن والقاف ولدها الذي كرجبلا اسمه قارة فرغاثا وانا وكان صالح عليه السلام قال لهم أدر كوا
الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفج وهو بتشديد الجيم أي انفجحت
الصخرة بعد رغانه فدخلها فقال لهم صالح تصبؤون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محجرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يضجكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه
فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين فلما كان اليوم الرابع واشتد الضحى تمنطوا بالصبر
وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم وهلكوا وسيأتى لهذه القصة
زيادة أن شاء الله تعالى في سورة النمل ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالجر
في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على
هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم اعلى
أندري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح عليه السلام أندري من أشقى
الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتك (فتولى) أي أعرض صالح عنهم وفي هذا التولى
قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا وبذل عليه قوله تعالى فأصبحوا في دارهم
جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على أنه حصل هذا التولى بعد دجسهم وهو وهمهم
والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحباء قبل هلاكهم وبذل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم اقد
أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق إلا بالاحياء
وعلى هذا القول يحتمل أن في الآية تقديم وتأخير اتقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجعة فأصبحوا

في دارهم جاثمين (وأجيب) من جهة الاقول بأنه خاطبهم بعد هلاكهم تقرر بما توخي كما خاطب
 نبينا صلى الله عليه وسلم الكفار من قتل بدر حين ألقوا في القلب فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيحين وفيه فقال عمر يا رسول الله تكلم أم أنا قد
 جئنا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح عليه السلام
 بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزعروا عن مثل تلك الطريقة وروى أن عقربهم
 الذاقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرين من
 المسلمين وهو يكي فالتقت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمس مائة دار
 وروى أنا ورجع عن معهما من المسلمين فسكنوا ديارهم (٢) وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة
 وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (ولوطا) أي وأرسلنا لوط بن هاران بن
 نارخ ابن أخي ابراهيم (اذ قال لقومه) أي وقت قوله لهم وقيل معناه واذ كر لوطا ويبدل منه
 اذ قال لقومه وهم أهل سدوم قال التفتازاني هو بفتح السين قرية قوم لوط والذال المعجمة
 في رواية الازهرى دون غيره اه وهو صاحب القاموس وغلط الجوهري في قوله انها
 مهملة وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام قتل ابراهيم
 عليه السلام أرض فلسطين وأزل لوطا الارث وهو بضم الهمزة والذال وتشديد النون نهر
 وكورة باعلى الشام فأرسله الله تعالى الى أرض سدوم يدعوهن الى الله تعالى وينهاهن عن
 فعلهن القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) أي أنتم لم تزلن الفاحشة الخبيثة التي هي غاية
 القبح وكانت فاحشتهم انيان الذكران في أدبارهم كما سيأتي (ما سبقكم بهما من أحد من العالمين)
 أي ما فعلها أحد قبلكم والباء للتعدية ومن الاولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق
 والثانية للتبعية والجملة استئناف مقررة لانكار وبجهم أولابايتان الفاحشة ثم باختراعها
 فانه أسوأ قال عمرو بن دينار ما نذاكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط* ثم بين
 الفاحشة بقوله (أنكم لتأتون الرجال) أي في أدبارهم (شهوة من دون النساء) أي ان أدبار
 الرجال أشهى عندكم من فروج النساء وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولاياء بينهما وبين النون
 على الخبر وشهوة تاما مفعول له واما مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالهمجية
 الصرفة وتنبه على أن العاقل ينبغى أن يدعى الى المباشرة طلب الولد
 وبقاء النوع لا قضاء الوطر وقرأ ابن كثير بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
 مسهولة ولا مدنيتهما ما وأبو عمر وكذلك الا أنه يمتد بين الهمزتين وهشام بتحقيق الهمزتين
 بينهما مائة والباقيون بتحقيقهما من غير مدنيتهما وقوله (بل أنتم) أيها القوم (قوم مسرفون)
 أي مجاوزون الحلال الى الحرام أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة التي توجب
 ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وانما ذمهم الله تعالى وعيبرهم ووبخهم بهذا
 الفعل الخبيث لان الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمارة الدنيا
 وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن ووضع الشئ في غير محله

الذي خلق له فقد أسرف وجاوز واعتدى لأن وضع الشيء في غير محله الذي وضع له أسراف
لأن أديار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة تلك الشهوة المركبة في الإنسان
روى أن أول من عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تعالى لأن بلادهم أخصبت بالزرع والثمار
واتجمع أهل البلدان فقتل لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شاب ثم دعا إلى نفسه فكان
أول من تكبح في دبره وقال محمد بن اسحق كانت لهم غار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم
الناس فأذوهم فعرض لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا
وكذا انجوتم منهم فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلما نوحا فاستحسنوا واستحسبوا ذلك فيهم
(وما كان جواب قومهم) له حين رويهم على فعلهم القبيح وارتكبهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث (الآن قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريبتكم) أي
ما جاؤا بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعتيم أمرها ولكنهم
جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بنصيحتهم وكلامه من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم
ضجرا بهم وبما يسعون منه وعظهم ونصحهم وقولهم (انهم أناس يتطهرون) أي يتزهدون عن
فعلكم وعن أديار الرجال بخورية بهم وبطهيرهم من الفواحش واقتنار بما كانوا فيه من
القاذورات كما تقول الفسقة لبعض الصالحين اذوا عظمهم أبعدوا عنا هذا المتكشف وأريونا
من هذا المتزعة (فأنجيئناه) أي لوطا (وأهله) أي من آمن به وقوله تعالى (الامر أنه) استثناء
من أهله فانها كانت تسر الكفر موالية لاهل سدوم (كانت من الغابرين) أي من الذين
غبروا أي بقوا في ديارهم فهلكوا وروى انها التفتت فأصابها حجر فماتت وانما قال تعالى
من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب الذكور على الاناث (وأطرنا
عليهم مطرا) أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله تعالى وأطرنا عليهم حجارة من سجيل أي
قد مجئت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب
أمطروا في الرحمة مطر وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافرهم (فانظر) أي
أيها الانسان (كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر أربعة
أيام حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وقال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل
جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا
بالحجارة كما قال تعالى فجعلنا عاليها سافلها وأمطرتا عليها حجارة من سجيل (والى مدین) أي
وأرسلنا إلى ولد مدین بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام (أخاهم) في النسب لاني الدين
(شعيبا) بن مكيل بن يشجر بن مدین وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مرابعته وقومه عليه
السلام وكان قومه أهل كفر وبغس للمكالم والميزان (قال) أي شعيب عليه السلام
(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاء تكلم بيته) أي معجزة تدل على صدق ما جاءت به
(من ربكم) أوجب عليكم الايمان بي والاخذ بما أمركم به (فان قيل) ما كانت معجزة اذ لم تذكر
له معجزة (أجيب) بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله قد جاء تكلم بيته من ربكم ولأنه

لا بد لدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقها والالم تصح دعواه وكان متنبئاً لا نبياً غير أن معجزته
 لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبيها صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعب
 عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روى من بحار به عصا موسى التي حين دفع اليه الغنم
 وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولادهما والدرع يوزن الصرد وهي الغنم
 التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع
 وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستتبأ موسى عليه السلام فكانت معجزة
 لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو أراه صا وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل أراد
 بالبيئة الموعظة وهي قوله تعالى (فاوقوا الكيل والميزان) أي أعوهما (ولا تبخسوا) أي تنقصوا
 (الناس أشياءهم) فمطلقوا الكيل والوزن يقال بخس فلان الكيل والوزن إذا نقصه
 وطفقه (فان قيل) هلا قال الميكال والميزان كما في سورة هود (أجيب) بأنه أراد بالكيل آلة
 الكيل وهو الميكال أو سمي ما يكال به بالكيل أو أريدوا وفوا كـ بـل الميكال ووزن الميزان
 وإنما قال أشياءهم لأنهم كانوا يخسئون الناس كل شيء في مبيعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً
 إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) أي بالكفر والمعاصي (بعد
 اصلاحها) أي بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع (ذلكم) أي الذي
 ذكرت لكم وأمر تكلم به من الإيمان ووفاء الكيل والميزان وترك المظالم والجحش (خير لكم) أي
 مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما أقول لكم ومعنى خير لكم
 أي في الانسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاجرتكم إذا عرفوا
 منكم الامانة والتسوية (ولا تقعدوا بكل صراط) أي طريق من طرق الدين (تعودون) أي
 تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرقات
 فيخبرون من أتى عليهم أن شعباً الذي تريدونه كذاب فلا يقنصكم عن دينكم وقيل كانوا
 يقطعون الطريق على الناس أو يقعدون لاختد المكس منهم وقوله تعالى (وتصدون) أي
 تصرفون الناس (عن سبيل الله) أي دينه (من آمن به) دليل على أن المراد بالطريق سبيل الحق
 (فان قيل) صراط الحق واحد قال تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
 فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (أجيب) بأن صراط الحق وإن كان واحداً لكنه
 يشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة وكانوا إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها
 أو عده وصدوه (وتبعونها) أي يطلبون الطريق (عوجاً) أي تصفونها الناس بأنها سبيل
 معوجة عن الحق غير مستقيمة اتصدوهم عن سلكها والدخول فيها أو يكون ذلك تكليمهم
 وانهم يطلبون لها ما هو محال فان طريق الحق لا يعوج (واذكروا) نعمة الله عليكم وأمنوا به
 (اذ كنتم قليلاً فكثروا) أي كثرة عددكم بعد القلة أو كثرةكم بالغي بعد الفسق وكثرتكم بالقدرة بعد
 الضعف قبل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليهم السلام فولدت فرح الله تعالى في نسلها
 بالبركة والنفاء فكثروا ونفوا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم تكذيبهم

رسالهم أى آخر أمرهم من الهلاك وأقرب الالم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لمصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به أى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بى وصدقت رسالتى وفرقة كذبت وحدثت برسالتى (فاصبروا) أى قترصوا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفرقتين فبعض المؤمنين أى المصدقين وينصرون ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وفى هذا وعد للمؤمنين ووعد للكافرين (وهو خير الحاكمين) أى لا حيف فى حكمه ولا معقب له لانه تعالى منزّه عن الجور والميل فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة (قال الملا) أى الجماعة (الذين استكبروا) أى تكبروا (من قومه) عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب عليه الصلاة والسلام (انخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولئك عودن) أى ترجعن (فى ملتنا) أى لابتد من أحد الامرين اما اخرجك ومن اتبعك على دينك من بلدنا وأعودكم فى الكفر (فان قيل) شعيب لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه (أجيب) بأن اتباع شعيب كانوا على ملته وأولئك الكفار فطوبوا وشعبا واتباعه جميعا فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود فى حقهم على سبيل المجاز وجرى بعضهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع فلا يستلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة الى حالة مستأنفة كما قال القائل

فان تكن الايام تحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

راد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد أن ذنوبها كانت لهن قبل الاحسان (قال) لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكارى (أولو كما كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وقيل لانعود فيها وان اكرهتمونا وجب بقرئنا على الدخول فيها لا قبل ولا ندخل (قد افترى بنا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نبأنا الله منها) والجواب عن هذا مثل ما أجيب به عن الاول وهو ان نقول ان الله نبى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا أن شعبيا انظم نفسه فى جملتهم وان كان بريأ مما كانوا عليه من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغيب (وما يكون انسان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أى الا أن يشاء خذ لنا وارثا اذا فميت فمضى قضاء الله فيها ونفذ حكمه علينا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله تعالى وقيل أراد به حسم طمعهم فى العود بال تعليق على ما لا يكون (وسع ربنا كل شىء علما) أى وسع علمه كل شىء فلا يخفى عليه شىء مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ولما أيس شعيب من ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال (ربنا افتح) أى اقض وافصل واحكم (بيننا وبين قومنا بالحق) أى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاضلين) أى الحاكمين (وقال الملا) الذين كفروا من قومه) أى قال جماعة من اشراف قوم شعيب عن كفره لا آخرين منهم (الذين اتبعتم شعيبا) أى على دينه وتركتم دينكم وما أنتم عليه (انكم اذا اناسرون) أى مغبونون

أفوات ما يحصل لكم بالجنس والتطقيف أو لاستبدال ضلالتهم بهداكم وجواب القسم
الذي وطأه اللام في لثنتي تبعتم شعيباً وجواب الشرط قوله أنكم إذا لخاسرون فهو سادس
الجوابين (فأخذتهم الرحمة) أي الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أي مدينتهم (جائعين)
أي باركين على الركب ميتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل
عليهم حرّاً شديداً فأخذ بأفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الأسراب ليتبرّدوا فيها
فوجدوها أشد حرّاً من الظاهر فخرجوا إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فيها ريح طيبة
باردة فأظلمت وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم لبعض هم بعضاً حتى اجتمعوا تحت
السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم ألهمهم الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما
يحترق الجراد وصار وارماً له وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم ساط عليهم الحر
سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأناه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فأناهم وأخبرهم فاجتمعوا
تحتهم كلهم فوق ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى
شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين
فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فهل كوا جميعاً قال أبو عبد الله الجبلي كان
أبو جاد وهوز وحطى وكلن وسعفس وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن
شعيب يوم الظلة كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تزنيته وتبكيه

كلن قد هدر كني * هلكه وسط المحلة

سيد القوم أناه الله * تحف نار تحت ظله

جعلت ناراً عليهم * دارهم كالمضجعه

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره (كان) مخففة واسمها محذوف أي كانوا
(لم يبقوا) أي لم يبقوا وينزلوا (فيها) أي في ديارهم يوماً من الدهر يقال غنيت بالمكان أي أقيمت به
والغنى المنازل التي بها أهلها واحداً مغنى قال الشاعر
ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوناد

أراد أقاموا فيها وقيل كأن لم يعيشوا فيها متنعمين يقال غنى الرجل إذا استغنى وهو من الغنى
الذي هو ضد الفقر قال الشاعر

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى * وكل سقانا بكاسهم ما الدهر

فما زادنا بيعاً على ذي قرابة * غنى ولا أرى بأحسابنا الفقر

قال الزجاج معنى غنينا عشنا والتصعلك الفقير يقال للفقير صعلوك (الذين كذبوا شعيباً)
كانوا هم الخاسرين أي ديناً ودنياً دون الذين اتبعوه فانهم الراجحون في الدارين وكذلك
بإعادة الموصول وغيره للرّد عليهم في قوالهم السابق (قولي) أي أعرض شعيب (عنهم) أي عن
قومه (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي فصحت لكم) أي قال ذلك لما يقن نزول
العذاب بهم تأسفوا وحزنوا عليهم لأنهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الإجابة والإيمان ثم أنكر

على نفسه فقال (فكيف آسى) أى أحزن (على قوم كافرين) لأنهم ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم
 ما نزل عليهم بسبب كفرهم وقيل قال ذلك اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
 في الإبلاغ والاندثار وبذلك وسعني في النصيح فلم يصدقوا قولي فكيف أحزن عليهم وقوله تعالى
 (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (الآن أخذنا أهلها بالبأساء
 والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وقبل البأساء الشدة وضيق العيش
 والضراء سوء الحال (لعلهم يضرعون) أى فعلنا بهم ذلك لكي يضرعوا ويتوبوا والتضرع
 التذلل والخضوع والانقياد لأمر الله (ثم بذلنا مكان السيئة الحسنات) أى أعطيناهم بدل
 ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة كقوله تعالى ويلوأنهم بالحسنات والسيئات
 فأخبر الله تعالى بهذه الآية أنه يأخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالبأساء وتارة بالرخاء على سبيل
 الاستدراج وهو قوله تعالى (حتى عقوا) أى كثر واوغوا في أنفسهم وأموالهم يقال عقوا الشعر
 إذا كثروا وطال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحي أى وفروها وأكثروا شعرها
 (وقالوا) كفرا للنعمة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) وهذه عادة الدهر قديما وحديثا لنا
 ولا آباءنا ولم يكن مامسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا
 على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال
 الله تعالى (فأخذناهم بغيته) أى بخاتمة أيامهم كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم
 (وهم لا يشعرون) أى بنزول العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة وغيرها من القصص
 وعبارة من سمعها ينزع عما هو عليه من الذنوب ويرجع إلى الله تعالى ويزداد الذين آمنوا
 إيمانا (ولأن أهل القرى) أى المكذبين (آمنوا) بالله ورسوله (واقفوا) أى الشر والمعاصي
 (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أى لا يتفاهم بالخير من كل جهة وقيل بركات السماء
 المطر وبركات الأرض النبات والثمار والانععام وجميع ما فيها من الخيرات وكل ذلك من
 فضل الله تعالى وإحسانه وانهامه على عباده وقرأ ابن عباس تبشيدا للناس والباقون بالتخفيف
 (ولكن كذبوا) أى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا الرسل (فأخذناهم) أى
 عاقبناهم بأنواع العذاب (بما) أى بسبب ما (كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي وقوله تعالى
 (أفأمن أهل القرى) عطف على قوله تعالى فأخذناهم بغيته وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
 والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أى عذابنا (بيانا) أى ليلا وقوله تعالى
 (وهم ناعون) حال من ضميرهم البارز والمستتر في بيانا (أو أمن أهل القرى) هو استفهام بمعنى
 الإنكار وفيه وعيد وزجر وتهديد والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل
 القرى الذين كفروا وكذبوا وقرأنا فاع وابن كثير وابن عباس بسكون الواو والباقون
 بفتح الواو (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أى نهار إلا أن الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) أى وهم
 ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم وقوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله تعالى أفأمن أهل
 القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد بالنعيم في الدنيا وأخذه من حيث لا يحتسب (فلا يأمن

مكر الله الا القوم الخاسرون) أى انه لا يأمن استدراجهم بالنعمة وأخذهم بفتنة الامن خسر
 فى آخره وهلك مع الهالكين فعلى العاقل أن يكون فى خوفه من الله تعالى كالحارب الذى
 يخاف من عدوه المتمكن البيات والغيلة وعن الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى ان ابنته قالت
 له ما لى أرى الناس ينامون ولا أراهم يتنام فقال يا ابنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله تعالى
 أن يأتئهم بأسنا ياتنا (أولم يهد) أى يبين (للمؤمنين الارض) أن يسكنونها (من بعد) هلاك
 (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لونشاء أصبناهم) بالعذاب
 (بنفوسهم) كما أصبنا من قبلهم والهمزة للتوبيخ وأن لونشاء مرفوع بأنه فاعل يهد أى أولم يهد
 للمؤمنين يخلفون من خلفهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أن لونشاء أصبناهم
 بنفوسهم أى بسببها كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين منهم كما أهلكنا المورثين وانما عدى
 فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ببدال الهمزة
 الثانية واوا فى الوصل والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى (ونطبع) أى نختم (على قلوبهم)
 معطوف على ما دل عليه أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أى على يرون
 الارض أو يكون منقطع عما يعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة أى لا يبالون بها
 ومنه سمع الله لمن حده قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول

أى يقبله ويستجيبه (ذلك القرى) أى القرى التى ذكرنا لا يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى
 قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا محمد (من أنبائها) أى خبرك عنها
 وعن أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم أننا نصر رسلنا والذين
 آمنوا معهم على أعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم
 وفى ذلك نسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد
 جاءتهم) أى أهل ذلك القرى (رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
 صدقهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالظهار والباقون بالادغام وأمال حمزة وابن
 ذكوان الالف وسكن السين أبو عمرو ورفعها الباقر (فما كانوا يؤمنوا) أى عند مجيئهم بها
 (بما كذبوا) أى كفروا به (من قبل) أى قبل مجيئ الرسل بل استمروا على الكفر واللام لتأكيد
 النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للايمان لما فاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
 (كذلك) أى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم بطبع الله على قلوب الكافرين
 الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثر الناس على الاطلاق
 أولئك الامم الخالية والقرى الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك) وأكد الاستغراق فقال (من
 عهد) أى من وفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق والاية على الاول
 اعتراض وعلى الثانى من تمام الكلام السابق (وان) مخففة أى وانا (وجدنا) أى فى علمنا فى عالم
 الشهادة (أكثرهم افاسقين) أى خارجين عن دائرة العهد طبق ما كان علمه منهم فى عالم انبياء

وما أبرزناه في عالم الشهادة الانقسام عليهم به الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم
ومدارك عقولهم (ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المذكورين وهم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب عليهم الصلاة والسلام وألأم المهلكين (موسى) عليه السلام (بآياتنا) أي بحججنا
الدالة على صدقه كالبدن والعضا (إلى فرعون) هو علم جنس الملوك مصر ككسرى الملوك فارس
وقمصر الملوك الروم والنجاشي الملوك الحبشة وكان اسم فرعون موسى قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان وكان ملك القبط (وملائه) أي عظماء قومه وخصمهم بالذكر لأنهم إذا أذعنوا
أذن من دونهم فكانهم المقصودون والارسل إليهم إرسال إلى الكل (فظلموا) أي كفروا
(بها) أي بسبب رؤيتهم أخوفا على رياستهم ومملكتهم الفانية أن يخرج من أيديهم (فانظر) أيها
المخاطب بعين البصيرة (كيف كان عاقبه المفسدين) أي آخر أمرهم أي كيف فعلنا بهم وكيف
أهلكناهم (وقال موسى) لما دخل على فرعون (يا فرعون) خاطبه بما يعجبه امثالا لاسم الله تعالى
له أن يلين في خطابه وذلك لأن فرعون كان لقب مدح لمن ملك مصر (إني رسول) أي مرسل إليك
والى قومك ثم بين مرسله بقوله تعالى (من رب العالمين) أي الإله الذي خلق الخلق وهو سيدهم
ومالكهم وقوله تعالى (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) جواب لتكذيب فرعون إياه
في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر له دلالة قوله تعالى فظلموا بها والحق هو الثابت الدائم والحقيق
مبالغته فيه وكان المعنى أنا ثابت مستقر على أن لا أقول على الله إلا الحق قرأ ما فاع على بالتشديد
لحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدهما والباقون بالسكون وعلى هذا تكون على بمعنى الباء ويضمن
حقيق معنى حرص وأن لا مقطوعة في الرسم أي النون من لام الألف (قد جئتمكم ببينة) أي
معجزة (من ربكم) على صدق فيما أدعى من الرسالة وهي العصا واليد البيضاء ثم أن موسى عليه
السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم قوله (فأرسل معي بنى إسرائيل) أي فخلهم
حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدتهم واستخدمهم في
الاعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما (قال) فرعون لعنه الله مجيبا موسى عليه
السلام (إن كنت جئت بآية) أي علامة على صحة رسالتك (فأت بها إن كنت من الصادقين
أي في عداد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواي عندي وتثبت) (فأتى عصاه فاذا هي) أي
العصا (نعبان مبيتين) أي ظاهرا أمره لاشك فيه أنه نعبان والثعبان الذكر العظيم من الحيات
فان قيل أليس قال الله تعالى في موضع كأنها جبان والجان الحية الصغيرة (أحجب) بانها كانت
كالجان في الخلفة والحركة وهي في جثتها حية عظيمة روى أنه لما ألقاها صارت حية
عظيمة صفرا غشقا فاعترها بين لحبيها غافلون ذراعا وأرتفعت عن الأرض بقدر ميل
وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الأسفل في الأرض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو
فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث قبل أخذه البطن في ذلك اليوم
أربع مائة مرة وقد قيل أنه كان يأكل الموز حتى لا يتغوط وجلت على الناس فانهم زمو
وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك الله

الذي أرسلك أن تأخذها وأنا أو من بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا
كما كانت ثم قال هل معك آية أخرى قال نعم (ونزع يده) أي أخرجهما من جيبه وقيل من تحت
ابطه بعد أن أراه اياهما خبزة أدما كما كانت وهي عنده (فأذا هي بيضاء) نورانية (للمناظرين) لها
شعاع غلب شعاع الشمس قال ابن عباس كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والارض له لمعان
مثل لمعان البرق نفخوا على وجوههم ثم ردها الى جيبه فأذا هي كما كانت ولما كان البياض
المقروط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى من غير سوء أي من غير برص
(فان قيل) يمتثل قوله تعالى للمناظرين (أجيب) بأنه يتعلق بقوله تعالى يضاء والمعنى فإذا هي
بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها ساضعا مجيبا خارجا عن العادة يجتمع
الناس للنظر اليه كما تجتمع للنظارة للعجائب (فان قيل) أحد هذين الامرين اما العصا واما
اليد كان كافيًا فائدة الجمع بينهما (أجيب) بأن كثرة الدلائل توجب القوة في اليقين وزوال
الشك وقول بعض المحدثين المراد بالعبان وباليد البيضاء شئ واحد وهو أن حجة موسى عليه
السلام كانت قوية ظاهرة فاهرة من حيث انها أبطلت أقوال المخالفين وأظهرت فسادها كانت
كالنعبان العظيم الذي يتلقف حجج المبطلين ومن أنها كانت ظاهرة في نفسها وصفت باليد
البيضاء كما يقال في العرف للفلان يد بيضاء في العلم الفلاني أي قوة كاملة ومرة ظاهرة
مردودا نجل هاتين المعجزتين على هذا الوجه يجري مجرى دفع التواثر وتكذيب الله ورسوله
ولما أتى بالبيان وأقام واضح البرهان (قال الملاء) أي الاكابر (من قوم فرعون أن هذا) أي
موسى (ساحر عليم) أي عالم بالسحر ما عرفه قد أخذ بأعين الناس ويريهما الشئ بخلاف ما هو
عليه حتى يخيل اليهم أن العصا صارت حبة وأن الآدم أبيض كما أراهم يده بيضاء وهو آدم اللون
وانما قالوا ذلك لأن السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان (فان قيل) قد أخبر الله تعالى في هذه
السورة أن هذا الكلام من قول الملا فرعون وقال في سورة الشعراء وقال أي فرعون للملا
حوه أن هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما (أجيب) عن ذلك بجوابين الاول لا يمنع أن يكون
قاله فرعون أو لا ثم انهم قالوه بعده فأخبر الله عنهم هذا وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء الثاني
أن فرعون قال هذا القول ثم أن الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة
فأخبر الله تعالى هنا عن الملا وأخبر هنا عن فرعون (يريد) أي موسى (أن يخرجكم) أيها القبط
(من أرضكم) أي أرض مصر (فإذا تأمروا) أي أي شئ تشيرون أن نفعل به فنقول فإذا
تأمروا من قول فرعون وان لم يذكره وقيل من قول الملا ثم كلام فرعون عند قوله يريد أن
يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين له فإذا تأمروا وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على
عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فما تأمروا أن نفعل به والقول الاول أصح لسباق
الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (قالوا ارجئهم) أي موسى (وأخاه) هرون عليهما السلام أي
أخر أمرهما ولا تعجل فيهما حتى تنظر في أمرهما والارجاء في اللغة التأخير وقيل الحبس أي
احبسهما وأخاه ورد بأن فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعدما رأى من أمر العصا ما رأى

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بهمزة ساكنة والباقون بغير همز (وأرسل في المدائن) جمع
 مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به أي مدائن صعيد مصر (حاشرين) أي أرسل
 رجالا من اعوانك وهم الشرط بضم الشين وفتح الراء طائفة من اعوان الولاية يحشرون اليك
 السحرة من جميع مدائن الصعيد وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى
 صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله تعالى (يا نوح) أي الشرط (بكل ساحر عليم)
 أي ما هر بصناعته والباء يحتمل أن تكون بمعنى مع ويحتمل أن تكون باء التعدية وقرأ أجزاء
 والكسائي بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف الحاء
 مكسورة وألف قبلها ولا ألف بعدها ولم يختلفوا في سورة الشعراء انه سحار قيل الساحر الذي
 يعلم السحر ولا يعلم والسحار من يديم السحر روى أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته
 في العصا ما رأى قال انالناقاتل موسى الابن هو أقوى منه فانخذ علما تاما من بني اسرائيل
 وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلمهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى
 موعدا ثم بعث الى السحرة الذين أرسلهم فجاؤا وهم يعلمهم معهم فقال فرعون للمعلم ما صنعت
 فقال علمتم سحرا لا تطيقه أهل الارض الآن يأتي أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم بعث
 فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا الا أتى به وهذا يدل على أن السحرة كانوا كثيرين
 في ذلك الزمان وهو يدل على صحة ما يقوله المتكلمون وهو أنه تعالى يجعل معجزة كل نبي من
 جنس ما كان غالباً على أهل ذلك الزمان فلما كان السحر غالباً على أهل زمان موسى كانت معجزته
 شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة للسحر في الحقيقة ولما كان الطب غالباً على أهل زمان عيسى
 عليه السلام كانت معجزته من جنس الطب ولما كانت الفصاحة غالبية على أهل زمان محمد صلى
 الله عليه وسلم كانت معجزته من جنس الفصاحة واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون
 فمن مقبل ومن مكثوليس في الآية ما يدل على المقدار والكيفية والعدد ولذلك اختلف في
 عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا من القبط وهم رؤساء القوم وسبعون من بني
 اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين بجوسمين من أهل فنوى بلدة يونس عليه
 السلام وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفاً وقال محمد بن اسحق
 كانوا خمسة عشر ألفاً وقال عكرمة كانوا سبعين ألفاً وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين ألفاً وقال
 مقاتل كان رئيس السحرة شمعون وقال ابن جرير كان رئيسهم يوحنا وجاء السحرة فرعون
 أي بعدما أرسل الشرطي طلبهم (قالوا أن لنا لاجرا) أي جعلاً وعطاءً تكرر مناه (ان كنا نحن
 الغالبين) لموسى (فان قيل) هلا قيل فقالوا ابا القاه (أجيب) بأنه على تقدير سائل سأله ما قالوا اذ
 جاؤا فأجيب بقوله أن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقرأ ابن كثير وحفص بهمزة مكسورة وتون
 مشددة بعدها على الخبر والباقون بهمزتين وسهل الثانية أبو عمرو وأدخل ألفا بينهما والباقون
 بفتحيهما وأدخل بينهما ألفا هشام والباقون بغير ألف بينهما (قال) لهم فرعون (نعم) أي لكم
 الاجر والعطاء وقرأ الكسائي بكسر العين والباقون بالفتح وقوله تعالى (وانكم لمن المقربين)

عطف على محذوف ستمه الجواب كأنه قيل جواب القوله لهم أن لنا لاجر ان لكم اجرا وانك
 لمن المقربين أراد اني لا اقصر لكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجمعكم من
 المقربين عندي قال السكبي تتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي والاية تدل
 على ان كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا والاملا احتاج الى الاستعانة
 بالسحرة في دفع موسى وتدل أيضا على أن كل السحرة ما كانوا قادرين على قاب الايمان والا
 لما احتاجوا الى طلب الاجر والمال من فرعون لانهم لو قدروا على قلب الايمان لقلبوا التراب
 ذهبوا ولتقلوا ملك فرعون الى أنفسهم وبلغوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود
 من هذه الايات تنبيه الانسان لهذه الدقائق وأن لا يعثر بكلمات أهل الإباطيل والاكاذيب
 (قالوا) أي السحرة (يا موسى امان تلقى) أي عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) أي عصينا
 وحبنا لافراوع وامع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء
 فعرضهم الله تعالى حيث تأذوا مع نبيه عليه السلام ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا
 الادب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم (قال) لهم موسى (أتقوا) أنتم فقدتمهم على نفسه
 في الالتقاء (فان قيل) كيف جازلني الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمر بالالقاء وقد علم أنه
 سحر وفعل السحر حرام أو كفر (أجيب) عن ذلك بأجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين
 في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الثاني أن القوم انما جأوا لالقاء تلك الحبال والعصى وعلم موسى
 عليه السلام انه لا بد وأن يقع له ذلك ووقع التكبير في التقديم والتأخير فعند ذلك أذن لهم في
 التقديم اذراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما وعد الله تعالى من التأييد والتقوية وأن
 المعجزة لا يغلبها سحر أبدا الثالث انه عليه السلام كان يريد ابطال ما أتوا به من السحر وابطاله
 ما كان يمكن الاتية تقديمهم فأذن لهم في الايتان بذلك السحر ليتمكنه الاقدام على ابطاله فلهذا المعنى
 أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) حباهم وعصيمهم (سحروا) أي صرفوا (أعين الناس) عرف
 ادراك حقيقة ما فعلوه من التقوية والتفصيل وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين
 معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي هو فعل الله تعالى وذلك لان السحر ليس فيه قلب
 الايمان وانما فيه صرف أعين الناس عن ادراك ذلك الشيء بسبب التوقيفات والمعجزة قاب
 ذلك الشيء حقيقة كقلب عصا موسى عليه السلام فاذا هي حمة تسجي (واستره وهم) أي
 أربهمهم والسين زائدة قاله المبرد وقال الزجاج استعدوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك
 بأن بعثوا جماعة ينادون عند اللقاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسباب ترهاب (وجاؤا) أي
 السحرة (بسحر عظيم) روي ان السحرة قالوا قد علمنا سحر الاطعمة بحرة أهل الارض الا أن
 يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لنا به وذلك انهم ألقوا حبالا غلظا وخشب اطوا لا فاذا هي
 حبات تسجي كأمثال الجبال قديما لتوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلقوا تلك الحبال
 بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا بضئى وألقوها على الارض فلما أثر حر الشمس فيها
 تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تحبيل للناس انهم احيات تحركت وتلتوى باختيارها

ويقال ان الارض كان سبعة اميال في ميل فصارت كلها احياء وأفاى ففرغ الناس من ذلك
وأوحى في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه
كان على ثقة ويقين من الله تعالى أنهم لم يغلبوه وهو غلبهم وكان عالما بأن ما أتوا به على روجه
المعارضة المعجزة فهو من باب السحر والتخيل وذلك باطل ومع هذا الجرم يمنع حصول الخوف
لموسى عليه السلام وانما كان خوفه لاجل فزع الناس واضطرابهم عماراً وهو من أمر تلك
الحجرات خاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك أوجس في نفسه
خيفة موسى (وأوحىنا الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية عظيمة قد سدت الافق
قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فحيت فها ثمانين
ذراعاً (فأذا هي تلقف) بحذف احدى التاءين من الاصل أى يتلفع (ما يأتفكون) أى
ما يزقرونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه روى انها ابتلعت كل ما أتوا به من
السحر فكانت تتلفع حبالهم وعصيم واحد واحد حتى ابتلعت الكل ثم أقبلت على الذين
حضر واذاً انجمع فزعوا ووقع الزحام عليهم فمات منهم بسبب ذلك الزحام خمسة وعشرون
ألفاً ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة
ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس في قدرة البشر وقوتهم فعند
ذلك خروا وسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) أى فظهر الحق الذى
جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أى من السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما صنع
موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله
تعالى وقدرته وقرأ حفص تلقف بسكون الهمزة وتخفيف القاف والباقون بفتح اللام وتشديد
القاف وشدة الدال البرزى (فغلبوا) أى فرعون وجوعه (هناك) أى عند ذلك الامر العظيم
العالى الربى (واغلبوا صاعرين) أى رجعوا الى المدينة اذ لا مقهورين (وألقى السحرة
ساجدين) أى ان الله تعالى الهمهم ذلك وجلبهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أرادهم
كسر موسى وينقلب الامر عليه قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانوا ألقوا (قالوا آمنا
برب العالمين) قال فرعون اياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى) فقال اياي تعنون لاني انا الذى
ريت موسى فلما قالوا (وهرون) زالت الشبهة وعرف الكل انه كفر واقرعون وآمنوا بالله
السماء قال مقاتل قال موسى كبر السحرة أتؤمنون بى ان غلبتك فقال لا تبين بسحر
لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وفرعون ينظر اليهم ما يسمع كلامهم فها قد اقرعوا ان هذا
لا يكره كرهوه في المدينة ويقال ان الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت جل ثمانية
بعير فلما ابتلعت عصا موسى عليه السلام كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن هذا
السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا وصعدوا (فان قيل) كان يجب ان يأتوا بالايمان
قبل السجود فافائدة تقديم السجود على الايمان (أجيب) بأن الله تعالى لما قدف في قلوبهم
الايمان والمعرفة خروا وسجدوا لله تعالى شكراً على ما هداهم اليه والهمهم من الايمان بالله

تعالى وتصدق رسوله ثم أظهر وأبعد ذلك إيمانهم قال قتادة كانوا أول النهار كفاراً بحرة
وفي آخره شهادة بررة وعن الحسن نرى من ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا
وكذا وهو لاء الكفار نشؤ في الكفر بذلوا أنفسهم لله تعالى (قال فرعون) للسحرة منكم
عليهم موجهاً لهم بقوله (أمنتم) أي صدقتم (ب) أي موسى أو بالله تعالى والاستقحام فيه
للاشكار والتوبيخ * (فائدة) * هن ثلاث همزات جميع القراء يبدل الثالثة ألفاً وحقق الثانية
شعبة وحزة والكسائي وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأما حفص فإنه أسقط
الاولى وأبدلها قبل في الوصل واوا (قبل ان آذن لكم) أي قبل أن أمرهم بذلك وأذن لكم
فيه (ان هذا المكر مكرتوه) أي ان هذا الصنيع لحيلة احتملتوها أنتم وموسى (في المدينة) أي
مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن
فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطوا عليه وعلى أهل مصر ليسستولوا على مصر كما قال
(لتخرجوا منها أهلها) أي القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل وقوله تعالى (فسوف تعلمون)
فيه وعيد وتهديد أي فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد بقوله (لاقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) أي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل
قال الكلبي لا قطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى (ثم لا صلبنكم) أي أعاقبكم عداة
أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صلبكم وهو الدهن الذي فيكم (اجمعين) أي
لا تزل منكم أحد انفضي حالكم وتنكلا لأمثالكم قال ابن عباس أول من صلب وقطع الأيدي
والأرجل فرعون أي انه أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه
محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رجمته (قالوا) أي السحرة مجيبين لفرعون حين
وعدهم بما ذكر (انا الى ربنا) بعد موتنا على أي وجه كان (منقلبون) أي راجعون اليه في
الآخرة (وماتم) أي تنكر (مننا) أي في فعلك ذلك بنا وتعب علينا (الآن آمننا) أي الاما هو
أصل المفاخر كلها وهو الايمان (بآيات وبنما جاءتنا) لم تأخر عن معرفة الصدق وهذا موجب
الاکرام لا الانتقام ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) عند ما توعدهم
فرعون به أي اصيب علينا صبراً كاملاً تاماً ولهذا في اللفظ التنكير أي صبراً وأي صبر عظيم
(وتوفنا سليمين) أي واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك عليه السلام قال ابن عباس كانوا
في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الطبري ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم
وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى بآياتنا أنتم آمننا وبنما جاءتنا (تنبيه) في الآية فوائد
الاولى قولهم أفرغ علينا صبراً كمل من قولهم أنزل علينا صبراً لان أفرغ الاناء هو صب ما فيه
بالمكينة فكأنهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر لا بعضه الثانية ان قولهم صبراً مذكور بصيغة
التنكير وذلك يدل على تمام الكمال أي صبراً تاماً كاملاً الثالثة ان ذكر الصبر من قبلهم ومن
أعمالهم ثم انهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل على أن فعل العبد لا يحصل الا بتخليق الله تعالى
وقضائه الرابعة احتج القاضي بهذه الآية على أن الايمان والاسلام واحد فقال انهم قالوا أولاً

آمنا بآيات ربنا ثم قالوا لئلا يؤقنا مسلمين فوجب أن يكون ذلك الإيمان هو ذلك الاسلام وذلك
 يدل على أن أحدهما هو الاسترواعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسى
 لأنه كان كطارأي موسى عليه السلام خافه أشد الخوف فهذا السبب لم يتعرض له إلا أن القوم
 لم يعرفوا ذلك فقالوا له أنذر موسى وقومه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله تعالى (وقال الملا)
 أي الاشراف (من قوم فرعون) له (أنذر) أي تترك (موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليقتلوا)
 في الارض) أي أرض مصر وأرادوا بالفساد فيها أنهم يأمر ونههم بمخالفة فرعون وهو قولهم
 (ويذكر آلهم) أي معبوداتك أي فلا يعبدك ولا يعبدوها قال ابن عباس كان لفرعون
 بقرة حسنة يعبدوها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري
 سجلا وقال السدي كان فرعون اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم
 ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى (فان قيل) ان فرعون ان لم يكن عامل
 العقل لم يجز في حكمة الله تعالى ارسال الرسل اليه وان كان عاقلا لم يجز ان يعتقدي نفسه كونه
 خالق السموات والارض لان فسادهم معالوم بالضرورة (أجيب) بأن الاقرب أن يكون دهريا
 منكرا للوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا السقي هو الكواكب واتخذ اصناما على
 صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه المطاع المخدم في
 الارض ولهذا قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للمثله حين قالوا له أنذر موسى وقومه
 (سمقتل أبناءهم) أي المولودين (وتستحي نساءهم) أي تتركهم أحياء كما كنا نفعل من قبل له لم
 أناعلى ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
 ملكك على يديه وقرأ نافع وابن كثير بفتح النون وسكون القاف وضم التاء مخففة والباقون
 بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة (وانافقهم قاهرون) أي غالبون وهم مقهورون
 تحت أيدينا ولا تراغلبة موسى لنا في هذه المناظرة فأعادوا عليهم القتل فشكت بنو اسرائيل
 لموسى فأمرهم بالصبر كما قال تعالى (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل (استعينوا بالله
 واصبروا) أي استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله تعالى هو الكافي
 لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض) أي أرض مصر
 وان كانت الارض كلها (لله) تعالى لان الكلام فيها (يورثها من يشاء من عباده) وفي هذا
 تسلية لهم وتقرير الامر بالاستعانة بالله عز وجل والتثبت في الامر وقوله تعالى (والعاقبة) أي
 المحودة (المتقين) لان الله تعالى وعدهم بالنصر وتذكير لما وعدهم به من اهلاك القبط وتورثهم
 ديارهم وتحقيق له ولما سمع بنو اسرائيل ما قال فرعون من توعداهم بالقتل مرة ثانية (قالوا)
 لموسى (أؤذيها من قبل أن تأتيها) أي بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد
 فرعون وقومه وكان يأخذ منهم الجزية وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار
 وينعهم من الترفه والتنع ويقتل أبناءهم ويستحي نساءهم فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له
 ما جرى شد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار بلا أجر وأراد أن يعيد القتل

عليهم فقالوا أؤذي من قبل أن تأتينا (ومن بعدما جئتنا) أي بالرسالة (فان قيل) ظاهر هذا الكلام يوهنهم أن بني إسرائيل كرهوا محبي موسى بالرسالة وذلك كفر (أجيب) عن هذا الإيهام بأن موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا أن ذلك يكون على الفور فلما رأوا أن المشقة قد زادت عليهم قالوا ذلك أي قتي يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى عليه السلام مجيبا لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أي فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعدها لا بهم قال البيضاوي ولعله أتى بفعل الطمع أي بعسى لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روى أن مصراغا فتح لهم في زمن داود عليه السلام ثم سبب عن الاستخلاف قوله تعالى مذكر اللهم محمد بن سبطاوة تعالى (فبينظر) أي وأنتم خلفاء متمكنون (كيف تعملون) أي يعاملكم معاملة المحتبر وهو في الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم الأعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عادته وروى عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف وأورغيفان فطلب زيادة لعمر فلم يجد فقرأ عمره هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (واقدا أخذنا آل فرعون) أي فرعون وقومه (بالسنين) أي بالقطط والجوع سبعة بعد سنة فإن السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (ونقص من الثمرات) أي بالعاهات قال قتادة أما السنين فلا هل البوادي وأما نقص الثمرات فلا هل الأمصار وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الامرة (لعلهم يذكرون) أي يتعظون فيؤمنون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لأن الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى من الخيرات والدليل على ذلك قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه وقوله تعالى وإذا مسه الشر فذودعاء عريض وقال سعيد بن جبيرة عاش فرعون أربع مائة سنة لم يرمكروها في نفسه ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حرج لما ادعى الربوبية ثم بين سبحانه وتعالى أنهم عند نزول تلك المحن عليهم يقدمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال (فاذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس العشب والخصب والثمار والمواشي والسعة في الرزق والعافية والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون على العادة التي جرت من كثرة نعمتنا وسعة أرزاقنا ولم يعملوا الله من الله تعالى في شكره على انعامه (وان تصبهم سيئة) أي حط وجذب ومرض وبلاء ورأوا ما يكرهونه في أنفسهم (يطيروا) أي يشاءوا وأصله يطيروا (بموسى ومن معه) من المؤمنين ويقولون ما أصابنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم في الغباوة والقساة فإن الشدة ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التباس سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عند هاتما وانها كما في البغي وانما عرفت الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بهم جمع حرف الشك لتدورها وعدم الفصل لها الا بالتابع (الا انما

طائرهم عند الله) أي سبب خيرهم وشرهم عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند
الله تعالى وهو أعم ألهم المكتوبة عنده فأنهم التي ساق اليهم ما بسوءهم (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
أي أن ما يصيبهم من الله تعالى وذلك لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب المحسوسة
ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره والحق أن الكل من الله تعالى لأن كل موجود
أما واجب لذاته أو ممكن لذاته والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد
إلا بإيجاد الواجب لذاته وبهذا الطريق يكون الكل من الله تعالى فاستداده الى غير الله تعالى
يكون جهلا بكمال الله تعالى (وقالوا) أي فرعون وقومه القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتينا به)
وقوله تعالى (من آية) أي من عند ربك بيان لهم ما وانما هو آية على زعم موسى للاعتقادهم
ولذلك قالوا (تسحرنا بها) أي لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فانحن للبعوثين) أي بصدقتين
* (تنبيه) * اختلف في أصل مهمما فقيل أصلهما ما الاولى ما الشرطية والثانية ما الزائدة
ضمت اليها للتاكيد ثم قلبت ألفهما هاء استعقالاتا لتكرير المتجانسين فصارت مهمما هذا قول الخليل
والبصريين وقيل أصلهما هاء التي بمعنى اكفف وما بالزائية كأنهم قالوا اكفف ما أتينا به من
آية لتسحرنا بها فهو كذا وكذا هذا قول الكسائي فهي مركبة على هذين القولين والمعتمد الذي
جرى عليه ابن هشام وغيره أنها بسيطة لأن دعوى التركيب لم يقم عليها دليل ووزن فعلي وألفها
للاحقاق أو للتأنيث والضميران في به وبها راجعان لهما ما الآن أحدهما ذكر باعتبار اللفظ
والثاني أنت باعتبار المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وادخالها تخفي على الناس تعلم

قال في الكشف وهذه الكلمة في عدد الكلمات التي يحذفها من لا يذله في علم العربية
فضعها في غير موضعها ويحسب أنها بمعنى متى ما ويقول مهمما جئتني أعطيتك قال ابن عباس
أن القوم لما قالوا مهما تأتينا به من آية من ربك فهي عندنا من باب السحرو نحن لانؤمن بها البتة
وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى له فقال تعالى
(فأرسلنا عليهم الطوفان) وقال سعيد بن جبriel آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا وبأبي هو
وقومه الا اقامة على الكفر والتمادي على الشرف تابع الله تعالى عليهم الايات فأخذهم أولا
بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا
عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه قد نفثوا العهر
نخذهم بعقوبة تجعلها عليهم ثمقة واقوى عظة ولين بعدهم آية وعبرة فبعث الله تعالى عليهم
الطوفان وهو الماء فأرسل الله تعالى عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مستبكة محتاطة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم
يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شيء وركب ذلك الماء على ارضهم فلم يقدروا ان يبحرثوا
ولا يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا
ولا قرا ولا يستطيع الخروج من داره فصرخوا الى فرعون واستغاثوا به فأرسل الى موسى عليه

السلام فقال اكشف عنا العذاب فقد صار بجرا واحدا فان كشف هذا العذاب آمنابك فأزال
الله تعالى عنهم المطر وأرسل الرياح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا
الذي جزعنا منه خير لنا لكلام نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى اسرائيل وقيل المراد
بالطوفان الجدرى وهو بضم الجيم وفتح الدال ويفتحهما قروح فى البدن تنقط وتنضج وقيل
هو الموتان وهو بضم الميم موت فى الماشية وقيل هو الطاعون فنسكتوا العهد (و) لم يؤمنوا
وأقاموا شهرافى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر
حتى كان يأكل الأبواب وسقوف البيوت وسامير الأبواب من الحديد وابتلى الجراد بالجوع
فكانت لا تشبع ولم يصب بنى اسرائيل شئ من ذلك وعظم الامر عليهم حتى صارت عند طيراتها
تغطي الشمس ووقسح بعضهم على بعض فى الارض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا
ربك لننكشفت عنا الرجزة وؤمن لك فأعطوه عهدا لله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام
فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفى الخبر مكتوب على
صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام برز الى الفضاء وأشار بعصاه نحو
المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وقيل أرسل الله تعالى ريحا فاحتمل الجراد
فألقاه فى البحر وكان قد بقي من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما يكفيننا ف نحن بتاركى ديننا
(و) لم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عافية وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم (القمل)
واخلفوا فى القمل فعن ابن عباس انه السوس الذى يخرج من الخنطة وعن قتادة انه أولاد
الجراد قبل نبات أخصتها وعن عكرمة انه الخنثان وهو ضرب من القراد وعن عطاء القمل المعروف
فأكل ما أبقاه الجراد وطس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان أحدهم
يأكل طعاما فيمتلئ قملًا وكان أحدهم يخرج عشرة أجرة الى الرحا فلا يرد منها الا شيئا يسيرا وعن
سعيد بن جبير كان الى جنبهم كتيب أعفر فضر به موسى عليه السلام بعصاه فصارت قملًا فأخذت
ابصارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى ومنعهم النوم
والقرار فصاحوا وصرخواهم وفرعون الى موسى عليه السلام وقالوا اناتور فادع لنا ربك
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ورفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
الى السبت فنسكتوا وعادوا الى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم
جعل الرمل دواب (و) لم يؤمنوا فدعا موسى عليه السلام عليهم بعدما أقاموا شهرافى عافية
فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فامتلائت منها يوتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف
أحدهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس فى الضفادع
الى رقبته ويهم أن يكلم فينب الضفدع فى فيه وكان يشب فى قدورهم فيفسد عليهم طعامهم
ويطفيئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركما حتى لا يستطيع أن
ينصرف الى شقه الا خرو يفتح فاه الى أكلة فيسبق الضفدع أكلته الى فيه ولا يجن عينا ولا
يفتح قدرا الا امتلائت ضفادع وعن ابن عباس أن الضفادع كانت بربة فلما أرسلها الله تعالى

الى آل فرعون سمعت فأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القدر وهو تغلى وفي التناير وهي تفور
 فأناها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء فلقوا منها آذى شديدا فأسكوا الى موسى عليه السلام
 وقالوا ارجنا هذه المرة فابقي الآن تتوب التوبة النصوح ولا تعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم
 ثم دعا ربه فكشف عنهم الضغادع بأن أماتهم وأرسل الله المطر والريح فاحتلها الى البحر بعد
 ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد (و) لم يؤمنوا وعادوا الكفره
 وأعمالهم الخبيثة فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرافى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الدم)
 فصارت مياههم كلها دما فاستقون من بئر ولا نهر الا وجدوه دما عبيطا أجرفه سكوا الى
 فرعون وقالوا ليس لنا شراب فقال انه سحر كم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أو عيتنا
 شيئا من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون لعنه الله تعالى يجمع بين القبطى والاسرائيلى على
 الاناء الواحدة فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويقومان الى الجزة فيها الماء
 فيخرج للاسرائيلى ماء وللqبطى دم حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى
 اسرائيل حين جهنهم العطش فتقول اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعودنى
 الاناء دما حتى كانت تقول اجعله في فيك ثم يجبه في في فتأخذ في فيها ماء واذا مجته في فيها
 صار دما واعتري فرعون العطش حتى انه كان يضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار
 ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم فأثقا موسى وشكوا اليه
 ما يلقونه وقالوا ادع انصارك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل
 فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف عنهم وقيل الدم الذى سلط عليهم هو الرعاف وقوله تعالى
 (آيات) نصب على الحال (مفصلات) أى مبینات لا تشكك على عاقل انها آيات الله تعالى
 ونعمته عليهم أو مفصلات لا تمحى أحوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل
 واحدة اسبوعا كما مرّت الاشارة الى ذلك وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب
 السحرة وآمنوا به عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فأسست كبروا) عن الايمان فلم
 يؤمنوا (وكانوا) أى فرعون وقومه (قوما مجرمين) أى كافرين (ولما وقع عليهم الرجز)
 أى نزل بهم العذاب وهو ما ذكره الله تعالى من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبيرة الرجز
 الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فنزل بهم الطاعون فمات به
 من القبط في يوم واحد سبعون ألفا وتركوها غير مدفونين قال الامام الرازى والقول الاول
 أقوى لان لفظ الرجز مفرد محلى بالانف واللام فينصرف الى المجهود السابق وههنا المجهود
 السابق هو الانواع الخمسة التى تقدم ذكرها وأما غيرها فشكول فيه فعمل اللفظ على المعلوم أولى
 من جملة على المشكول فيه وعن أسامة بن زيد الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل
 وعلى من كان قبلهم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا
 تخرجوا فرار منه (قالوا يا موسى ادع انصارك) ولم يقولوا ربنا كبروا وعثوا (بما عهدتلك)
 أى بعهد عندك وهو النبوة وسميت عهدا لأن الله تعالى عهد أن يكرم النبي وهو عهد

أن يستقل بأعبائها أو بالذي عهد الله أن تدعوه به فيحييكم كما أجابكم به في آياتك والساءل
 أن تتعلق بقوله ادع لنار بك على وجهين أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب منك من الدعاء لك بحق
 ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة وأدع الله لنا متوسلا إليه بعهد عندك وأما أن يكون
 قسما يحجب بقوله تعالى (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) أي أقسمنا بعهد الله تعالى عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (ولنرسلن معك بنى إسرائيل) أي لنصدقك بما حجت
 به ولنضلين بنى إسرائيل ليدهبوا حيث شاءوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي بدعاء موسى عليه
 السلام (الذي أجل هم بالغوم) أي إلى حد من الزمان هم بالغوم لا محالة فعذبون فيه لا ينفعهم
 ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب إلى جلوله وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم وقوله
 تعالى (إذا هم ينكتون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجأ النكت من غير توقف وتأمل
 فيه (فان قيل) ان الله تعالى علم من حال هؤلاء أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في
 تواليا عليهم وإظهار الكثير منها (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل
 عما يفعل قال تعالى (فانتقمنا منهم) أي كافأناهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في
 اللغة سلب النعمة بالعذاب لانه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن
 كفرهم وبلغوا الاجل الذي أجل لهم انتقم منهم بأن أهلكهم كما قال تعالى (فأغرقناهم
 في اليم) أي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو بركة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التميم لان
 المنتقمين به بقصدونه قال الازهرى ويقع اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك
 قوله تعالى فأغرقهم في اليم والمراد بيل مصر وهو عذب واغراقهم (بأنهم) أي بسبب أنهم
 (كذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وصدق رسولنا (وكأنواعها) أي الآيات (عافلين) أي
 لا يدبرونها وقيل الضمير في عنابر جمع النقمة التي دل عليها قوله تعالى انتقمنا أي وكأنواع
 النقمة قبل حلولها عافلين (فان قيل) الغفلة ليست من فعل الانسان ولا يحصل باختياره فكيف
 جاء الوعيد على الغفلة (أجيب) بأن المراد بالغفلة هنا الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات
 اليها فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالعافلين عنها (فان قيل) أليس قد ضموا إلى التكذيب
 والغفلة معاصي كثيرة فكيف يكون الانتقام بهمذين دون غيرهما (أجيب) بأنه ليس في بيان انه
 تعالى انتقم منهم بهذين دلالة على نفي ما عداهما قال الرازي والآية تدل على أن الواجب
 في الآيات النظر فيها فلذلك ذمهم بأنهم غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم
 ولما بين تعالى اهلاك القوم بالغرق على وجه العقوبة بين تعالى ما فعله بالآؤمنين من الخيرات
 وهو انه تعالى أورثهم أرضهم وديارهم فقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)
 أي بالاستعباد وذب الأبناء وأخذنا الجزية والأعمال الشاقة وهم بنو إسرائيل (مشارف الارض
 ومغارها) أي أرض الشام وهي من القررات إلى بحر سرف الموضع الذي خرجوا منه من البحر
 وغرق فيه فرعون وآله كما نقله البقاعي في المائدة عن التوراة وقيل المراد بجهة الارض لانه
 خرج من جهة بنى إسرائيل داود وسليمان عليهما السلام وقد ملكا الارض ويدل للاول قوله

تعالى (التي باركنا فيها) أي بالحب وسعة الارزاق وذلك لا يليق إلا بأرض الشام (وتمت كلفت
 ربك الحسنى على بني اسرائيل) أي مضت عليهم واستمرت من قواهم ثم عليه الامر اذا قضى وهي
 قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الخ والحسنى تأنيث الاحسن صفة
 للكلمة ومعنى تمت عليهم انجاز الوعيد الذي تعدوا به هلاك عدوهم واستخلاصهم في الارض وانما
 كان الانجاز تمام للكلام لان الوعد بالشئ يبقى كالشئ المعلق فاذا حصل الموعد به فقد تم ذلك
 الوعد وكل (فائدة) • ربيت كلمة بالناء الجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي ووقف الباقر بالناء وانما حصل لهم ما ذكر (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وحسبك
 به حائلي الصبر وداخلي أن من قابل البلاء بالخزع وكه الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر
 وانتظار النصر ضمن الله تعالى له الفرج (ودمنا) أي اهلكنا قال الليث الدمار الهلاك التام
 (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون)
 أي من الجنان وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء
 والباقر بالجر وهذا آخر ما قص الله تعالى من بنا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم
 ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص بني اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون
 واستعبادهم ومعانيهم الآيات العظام بقوله تعالى (وجاورنا بني اسرائيل البحر) أي قطعناه
 بهم روى أن جوارهم كان يوم عاشوراء وان موسى عليه السلام صامه شكر الله تعالى على
 انجائهم واهلاك عدوهم ومع النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم لم يراعوها حق رعايتها كما حكي الله
 تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (فأنوا على قوم) أي مزوا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) أي
 يقيمون على عبادتها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قيل كانوا قوما
 من نخم وكانوا نزولا بالرقصة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حزة
 والكسائي بكسر الكاف والباقر بالضم (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لانه كان مع موسى
 السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل وهو قولهم
 (يا موسى) سمعوا كما ترى باسمه جفاء وغلظة (اجعل لنا الهة) أي صمنا نعتكف عليه وهذا
 يدل على غاية جهلهم وذلك أنهم توهّموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات
 الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي تواترت على قوم فرعون حتى
 أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وهو عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى فحملهم جهلهم
 الى أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الهة (كألهم آلهة) وفي ذلك تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدنية تذكرة لحال الانسان وانه ظلول جهول
 كذود الامن عصمه الله وقليل من عبادي الشجر (قال) موسى ردّ عليهم (أنكم قوم
 تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده بعد ما صد عنهم بعدما رأوا من الآيات العظمى
 والمجزئة الكبرى لانه جهل أعظم مما رأى منهم وأشنع (ان هؤلاء) أي القوم (متبرأوا هالك
 مدمر) (ما هم فيه) أي ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويحاجلها

رضا (وباطل) أى مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتهم وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى لان الاشتغال بعبادة غير الله ينزل معرفة الله تعالى من القلب والمقصود من العبادة رسوخ معرفة الله تعالى فى القلب فكان هذا ضد الغرض ونقيض للمطلوب (قال موسى عليه السلام مجيبا لهم على سبيل الإنكار عليهم والتعجب) (أغیر الله أبعيكم الها) وأصله أبعي لكم أى أطلب لكم معبودا (وهو) أى والحال أنه هو وحده (فضلكم على العالمين) اذا لا اله الا الله ليس شيا يطلب ويلتمس ويتخذ بل الاله هو الذى يكون قادرا على الانعام بالايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم فهذا الموجد هو الاله الذى يجب على الخلق عبادته فكيف يجوز العدول عن عبادته الى عبادة غيره وفى تفضيلهم على العالمين قولان الاول أنه تعالى فضلهم على عالمي زمانهم الا ما يخصه العقل من الانبياء والملائكة والثاني أنه تعالى خصهم بتلك الآيات القاهرة ولم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر الخصال مثاله رجل يعلم علما واحدا وآخر يعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك العلم فى الحقيقة (واذا أتيناكم من آل فرعون) أى واذا ذكرنا صنعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر يحذف الباء والنون والباقون بإثباتهم ما وقوله تعالى (يسومونكم) أى يكافونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أى أشدّه استئناف لبيان ما أتيناكم أحوال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهم ما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون) أى يستبقون (نساءكم) بدل من يسومونكم سوء العذاب (وفى ذلكم) أى الانبياء أو العذاب (بلاء) أى نقمة أو محنة (من ربكم عظيم) أى أفلا تتعظون وتنتهون عما قلتم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) نكاهم عندها انتهائهم بان يصوم أيامها روى أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامر بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة فصامه فلما تمت أنكر خلافه فقتلته فقالت الملائكة كنا نسلم منك رائحة المسك فأفسدته بالسوء وقيل أوحى الله تعالى اليه أمألت أن تخلف فمأطيت عند الله من ربح المسك فأمره الله تعالى بعشرة أخرى ليكاهمه الله بخلافه كما قال تعالى (وأتممناها بعشر) أى من ذى الحجة (فتم ميعات ربه) أى وقت وعده بتكليمه إياه (أربعين ليلة) وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة فى العشر وكلمه فيها ولقد أجل ذكر الأربعين فى سورة البقرة وفصلها هنا وقرأ أبو عمرو وعدنا بنى اسرائيل قبل العين والباقون بألف (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فتم ميعات ربه أربعين ليلة مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشر تكون أربعين (أجيب) بأنه تعالى انما قال أربعين ليلة ازاله لئلا يهمل أن ذلك العشر من الثلاثين لانه يحتمل أتممناها بعشر من الثلاثين كانه كان عشرين ثم أتمه بعشر فصارت ثلاثين فأزال هذا الابهام * (تبيينه) * الفرق بين الميعات والوقت أن الميعات ما قدر فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشئ قد رمة قد رأم لا وقوله تعالى أربعين نصب على الحال أى تم بالغاه هذا العدد وليلة نصب على التمييز (وقال موسى لآخيه) وقوله (هرون) عطف بيان لآخيه أى قال له عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفنى) أى كن

خليفة (في قومي وأصلح) أي ما يجب أن يصلح من أمورهم أو مصلحاً (ولا تتبع سبيل
 المفسدين) أي ومن دعا منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (فان قيل) ان هرون كان شريك
 موسى عليه السلام في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه فان شريك الانسان أعلى حالا من
 خليفة وذا الانسان من منصبه الأعلى إلى الادون يكون اهانة له (أجيب) بأن الامر وان كان
 كما ذكر الآن موسى عليه السلام كان هو الاصل في تلك النبوة (فان قيل) لما كان هرون نبيا
 والنبى لا يفعل الا الاصلاح فكيف وصى اليه بالاصلاح (أجيب) بأن المقصود من هذا الامر
 التأكيد كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي (ولما جاء موسى ليقاننا) أي للوقت الذي وعدناه
 للكلام فيه (وكلمه ربه) ذات الآية الكريمة على أنه تعالى كلم موسى عليه السلام والناس
 محتاتفون في كلام الله تعالى قال الزمخشري في كشافه وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك
 ونكلمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح اه وهذا
 مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان ذلك الجرم كالشجرة لا يقول أنا الله لاله الا أنا
 فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب بعض الحنابلة والحشوية إلى أن
 كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وانه قديم قال الامام الرازي وهذا القول أحسن من
 أن يلتفت اليه العاقل والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى صفة مغيرة
 لهذه الحروف والاصوات وان موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الازلية قالوا كما أنه لا يعدرؤية
 ذاته مع أن ذاته ليست جسمًا ولا عرضًا كذلك لا يسمع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفًا
 ولا صوتًا وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن
 سماع كلامه تعالى القديم ليس من جنس كلام المحدثين وهل كان سبحانه وتعالى كلم موسى
 وحده أو مع أقوام آخرين ظاهر الآية يدل للاول لان قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص
 موسى عليه السلام بهذا التشریف والتخصيص بالذكري يدل على نفي الحكم عن عده وقال
 القاضي بل السبعون المختارون سمعوا أيضا كلام الله تعالى قال لان الغرض باحضارهم أن
 يخبروا قوم موسى عليه السلام عما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكل
 وأيضا فان تكلم الله تعالى موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام
 فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره * ولما سمع عليه السلام كلام ربه اشتاق إلى رؤيته سبحانه
 وتعالى (قال رب أرني أنظرك) قال في الكشف ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني
 نفسك أنظر اليك (فان قيل) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظرك (أجيب) بأن معنى
 أرني نفسك ابعثني متمكنا من رؤيتك بأن تجلي لي فانظر اليك وأراك وفي هذا دليل على أن
 رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله
 تعالى ولذلك رده بأن (قال) له (لن تراني) دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلى تنبيه على أنه
 قاصر عن رؤيته لتوقفها على بعد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيته قومه الذين
 قالوا أرنا الله جهرة كما قاله الزمخشري أشد خطأ اذ لو كانت الرؤية بمنع لوجب أن يجهاهم

ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الهام والاسندلال بالجواب وهو قوله تعالى لن
 تراني على استحيائهم أشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أنه لا يراه أبدا
 وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحيائه فان أهل البدع والخوارج والمعتزلة
 وبعض المرجئة قالوا لن تكون لتأييد النفي وهو خطأ لانهم لو كانت للتأييد لزم التسايق بذكر
 اليوم في قوله تعالى فلن أكرم اليوم انسياولزم التكرار بذكر أي في قوله تعالى ولن يتموه أبدا
 ولن تجتمع مع ما هو لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أي وأما تأييد
 النفي في قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا فلا امر خارجي لامن مقتضيات لن ولا تقتضي تأكيده النفي
 أيضا خلافا للزخشمري في كشافه بل قولك لن أقوم محتمل لان تريده انك لا تقوم أبدا وأنك
 لا تقوم في بعض الأزمنة المستقبلية وهو موافق لقولك لا أقوم في عدم افادة التأكيده وقوله
 تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) استدلوا يريد أن يبين به أنه
 لا يطبق الرؤية وفي تعليق الرؤية بالاستمقرار أيضا دليل على جوازها لان استمقرار الجبل عند
 التجلي ممكن بان يجعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق على الممكن ممكن وتراني في الحرفين
 الياء ثابته وقفا ووصلا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون والباقون بالضم قال وهب
 ابن منبه ومحمد بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والرعد
 والبرق حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى
 ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى عليه السلام فترت به ملائكة السماء الدنيا كثيران
 البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم مرت به
 ملائكة السماء الثانية كأمثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففرع مما رأى وسمع
 واشتد عز كل شعرة في جسده ورأسه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينبغي من مكاني الذي
 أنا فيه شيء فقال له رئيس الملائكة ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به
 ملائكة السماء الثالثة كأمثال النور لهم قصف ورجف ولبب شديد وأفواههم تنبع
 بالتسبيح والتقديس كلب الجيش العظمي ألوانهم كاهب النار ففرع موسى عليه السلام
 واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك
 عليه ثم مرت به ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كاهب النار
 وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من الذين مروا
 به قبلهم فاصطكت ركبته وأربع قلبه واشتد بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران
 اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به ملائكة السماء الخامسة لهم سبعة ألوان فلم
 يستطع موسى أن يتبعهم بصوره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه
 وكثر بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم مرت به
 ملائكة السماء السادسة وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العلوية له نور أشد وضوا من
 الشمس ولباسهم كاهب النار اذ اسبحوا وقصدوا اجوابهم من كان قباهم من ملائكة السموات

كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبد الايوت في رأس كل ملك منهم أربعة
أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته بسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك
لا أدري أنفعلت مما أنافيه ام لان خرجت احترقت وان مكنت احترقت فقال له رأس الملائكة
قد أوشك يا ابن عمران أن يشترد خوفك وينخلع قلبك فاصبر لذى سألت ثم أمر الله تعالى أن
يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بد نور العرش انصدع نور الجبل من عظمة الله تعالى
ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الايوت بشدة
أصواتهم فارفع الجبل وان ذلك قوله تعالى (فلما تجلجلى ربه) أى أظهر من نوره قدر نصف أغلته
الخنصر كافي حديث صححه الحاكم (للجبل) أى جبل زبير يفتح الزاى والاضافة فيه بيانية لقول
الجوهري الزبير اسم للجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (جعله دكا) أى
مد كرو كما مقتنا وحكى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب
نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا مستويا بالارض والدق اخوان وقال ابن عباس
جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل فى الارض حتى وقع فى البحر فهو يذهب فيه وقال الكلبي
كمرجبالاصغار اقال البغوى ووقع فى بعض التفسير صاير لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة
بالمدينة أحدهم وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثير وحر وقرأه جزء والكسائى
بأنف بعد الكاف وهمزة مفتوحة من غير تنوين وصلوا ووقفا أى مستويا ومنه ناقة دكا التى
لا سنام لها والباقون بالتنوين بعد الكاف والوقف على ألف التنوين (وخر) أى وقع (موسى
صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى غشية كال موت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو
مغشى عليه فجعلوا يلکرونه بأرجلهم ويقولون له يا ابن النساء الخيض أطمعت فى رؤية رب
العزة (فلما أفاق) من غشيته (قال) تعظيما لما رأى (سبحانك) أى تنزيها لك من النقائص كلها
(تب اليك) أى من الجراءة والاقدام على السؤال بغير إذن وقيل لما كانت الرؤية مختصة
بعحمد صلى الله عليه وسلم ففعلها قال سبحانه تب اليك من سؤالي ما ليس لى وقيل لما سأل
الرؤية ومنعها قال تب اليك من هذا السؤال وحسنات الابرايسات المقربين (وانا أول
المؤمنين) أى فى زمانى وقيل أنا أول من آمن انك لا ترى فى الدنيا أى لكل الانبياء والا فالرؤية
ثابتة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء على الصحيح ولزخشرى هنا فى كشافه على
مذهبه الفاسد فى عدم الرؤية مطلقا أو يلات فلتحذر (قال ياموسى انى اصطفتك) أى
اخترتك (على الناس) أى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا هم سلا كان ما مورا
باتباعه ولم يكن كليا ولا صاحب شرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبفتح ياء انى والباقون بالسكون
وقوله تعالى (برسا لاني) أى باسفار التوراة قرأه نافع وابن كثير بغير ألف بعد اللام على
التوحيد والباقون بالالف بعد اللام على الجمع (وبكلامي) أى وبكلامي اياك (نخذ ما آتيناك) أى
ما أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) لانعى لان موسى عليه السلام لما منع الرؤية عتد
الله تعالى عليه وجوه ونعمه العظيمة التى له عليه وأمره أن يشغل بشكرها كأنه قال له ان كنت

منعك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والاشتغال بشكرها انما يكون
بالقيام بلوازمها اعمالا وعملات والمقصود تسليمة موسى عليه السلام عن منع الرؤية قال الامام
الرازي وهذا أيضا أحد ما يدل على أن الرؤية جائزة على الله تعالى اذ لو كانت ممنوعة في نفسها
لما كان الى ذكر هذا القدر حاجة وروى ان موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه
لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه بزع حتى مات وقالت
له زوجته انالم ازل منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت
يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذال ان لم
تتزوجي بعدى لان المرأة لا تخرأ زوجها (وكتبه له) أى موسى (في الاواح) أى ألواح التوراة
قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول الاواح اثنتا عشرة ذراعا وجاء في الحديث
خلق الله آدم بيده وكتب التوراة يسيده وغرس شجرة طوبى بيده والمراد بيده قدرته وقيل
كانت من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى
فقطعهما بيده وأما كيفية الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر
واسمته من نهر النور وقال وهب سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول
يوم من ذى القعدة وقيل ان موسى خضع عقاب يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر وكانت
الاولاح عشرة على طول موسى وقيل كانت تسعة وقيل سبعة وقال مقاتل وكتبه له في الاواح
كنقش الخاتم وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي سبعون وقرع يعبر القرع الجزء منها في سبعة
ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام أى لم يحفظها وبقراها عن
ظهر قلب الاهولاء الاربعة قال الامام الرازي وليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك
الاولاح وعلى كيفية تلك الكتابة فان ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوى وجب القول به
والاوجب السكوت عنه وأما قوله تعالى (من كل شئ) فلا شبهة أنه ليس على العموم بل مما
يحتاج اليه موسى عليه السلام وقومه من أمر الدين وقوله تعالى (موعظة وتفصيلا) أى تبينا
(لكل شئ) بدل من الجار والمجرور قبله أى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام وقوله
تعالى (نخذهما) على اضممار القول عطف على كتبنا أو بدلا من قوله نخذهما آيتك والهاه
للالواح أو لكل شئ فانه بمعنى الاشياء أو الرسالة وعن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام
نظر في التوراة فقال انى أجده أمة هي خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا
الاعور والجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال يا رب انى أجده أمة هم الخامدون
رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا انفع ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
يا رب انى أجده أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم
المستجابون والمستجاب لهم الشافعون والمشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال

يا رب انى أجدا أمة اذا أشرف أحد هم على شرف كبر الله واذا هبطوا ديا جذا الله الصعبد لهم
 طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يطهرون من الجنة طهورهم بالصعيد كطهورهم
 بالماء حيث لا يجدون الماء عزججولون من آتار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال
 يا رب انى أجدا أمة اذا هم أحد هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت له
 عشر أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجدا أمة
 من حومة ضعفاء يرثون ان كتاب اصطفتهم ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات فلا أجدا أحد الامر حوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يا رب انى أجدا أمة
 مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة
 أصواتهم في مساجد هم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم الا من يرى من الحسنات مثل ما
 يرى الخمر من ورق الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه
 الله محمد وأتمته قال يا ليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه انى اصطفتك الخ فوضى
 موسى كل الرضا ومعنى (بقوة) أى يجتد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى بأحسن ما
 فيها (فان قيل) ظاهر هذا يقتضى أن فيها ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وذلك
 متناقض (وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول أن تلك التكليف منها ما هو حسن ومنها ما هو
 أحسن كالاقتصاد والعفو والاتصا والصبر ففرهم أن يحملوا أنفسهم بما هو أدخل في الحسن
 وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقوله تعالى الذين
 يسمعون القول فيتبعون أحسنه هذا ما أوجب به في الكشف وتبعه البيضاوى والامام الرازى
 لكن قال التفتازانى هذا ينافى ما تقرر من أن المكتوب على نبي امير اميل هو القصاص قطعاً
 والجواب بأنه مثال للحسن والاحسن لا لكونه في التوراة بعيد جداً (فان قيل) يلزم عليه أيضاً
 منع الاخذ بالحسن وذلك يقدح في كونه حسناً (أجيب) عن هذا بأن الاخذ بالحسن الثانى على
 سبيل التذلل فلا يقدح في منع الاخذ بالحسن * الثانى ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
 والمباح وأحسن هؤلاء الثلاثة الواجب * الثالث أن المراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقاً
 لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو في حره بلغ من الشتاء في برده
 فكذا هنا المأمور به أبلغ في الحسن من المنهى عنه في القبح (سأريكم دار الفاسقين)
 أى دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أفقرت منهم ودمروا الفسقة منهم اعتبروا فلا تفسدوا
 مثل فسقهم فينسل بكم مثل ما نكل بهم وقيل منازل عاد وثور والقرون الذين أهلكتهم
 الله لفسقهم في هزكم عليها في أسفاركم وقيل المراد دارهم فى الآخرة وهى جهنم (سأصرف
 عن آياتى) المنصوبات فى الآفاق والانفس كخلق السموات والارض وما بينهما (الذين
 يتكبرون فى الارض) أى أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا
 يعتبرون بها وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقوله تعالى (بغير الحق) صله يتكبرون
 بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فان اظهرا الكبر على الغير قد يكون بالحق فان للمحق أن يتكبر

على المبطل وفي الكلام المشهور التكبر على التكبر صدقة (وان يروا كل آية) أي منزلة أو معجزة
(لا يؤمنوا بها) أي اعنادهم وتكبرهم (وان يروا سنبلا) أي طريق (الرشد) أي الهدى الذي جاء
من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) أي طريقا يسلكونه بقصد منهم ونظر وتعمد بل ان سلكوه فعن
غير قصد وقرأ حنزة والكسائي بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين (وان
يروا سنبلا الغي) أي الضلال (يتخذوه سبيلا) أي بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد لسلكه (ذلك)
أي هذا الصنف العظيم الذي زاد عن مطاق الصنف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرسالة (بأنهم)
أي بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) أي الدالة على وحدانيتنا (وكانوا عنها غافلين) أي كان
دأبهم ودينتهم معاملتهم ايانا بالاعراض عنها حتى كانوا مغفول عنها فلا يتذكرون فيها
ولا يعتبرون بها غفلة وانهم ما كافيما يشغلهم عنها من شهوراتهم وعن الفضيل بن عياض ذكرنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أفتى الدين انزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت عليهم بركة الوحي (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة)
أي وكذبوا بآياتهم الدار الاخرة التي هي موعد الثواب فهو من اضافة المصدر الى المنفعل
به ويحوز أن يكون من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الدار الاخرة
(حبطت) أي بطلت (أعمالهم) أي ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم
لعدم شرطه (عمل) أي ما (يجزؤون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) أي من التكذيب والمعاصي
(واتخذ قوم موسى من بعده) أي بعد ذهابه الى المناجاة (من حلهم) أي الذي استعاروه من
القطب بسبب عرس فبقى عندهم (فان قيل) كيف قال من حلهم وكان معهم معار (أجيب) بأنه
لما أهلك الله تعالى قوم فرعون بقيت تلك الاموال في أيديهم وصارت ملكا لهم كسائر املاكهم
بدليل قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوم آخرين وقرأ حنزة والكسائي بكسر الحاء والباقون بضمها (بجلا) أي
صاغه لهم منه السامري وقوله تعالى (جسد) بدل منه أي صار جسدا اذا لحم ودم (له خوار)
أي صوت البقر روى أن السامري لما صاغ العجل ألقي في فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل
عليه السلام يوم قلع الجرف صار حيا له خوار وقيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الرمح
جوفه ويصوت وانما نسب اتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به أولان المراد اتخاذهم اياه
الها وقيل انه ما خارا لامرة واحدة وقيل انه كان يحور كثيرا فاذا خار سجد والله واذا سكت
رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك قال السدي كان يحور ويعشى
وقوله تعالى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تقرير على فرط ضلالهم وافتراطهم بالنظر
لان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك
كان جهادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كالا التقديرين لا يصلح أن يعبد * ثم وصفهم الله تعالى
بالظلم بقوله (اتخذوه) أي العجل الها (وكانوا غافلين) أي واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن
اتخاذ العجل بدعائهم ولا أول منا كبرهم واختلقوا هلى كل قوم موسى عبدا والعجل أو بعضهم

قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون واحتج عليه بوجهين الاول عموم هذه الآية والثاني قول موسى عليه السلام في هذه القصة رب اغفر لي ولاخي قال خص نفسه وأخاه بالدعاء وذلك يدل على أن من كان مغايرا لهما ما كان أهلا للدعاء ولو بقوا على الايمان ما كان الامر كذلك وقال غيره بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه وان ذلك الكفر انما وقع في قوم مخصوصين والدليل عليه قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ولما سقط في أيديهم) أي ولما قدموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر قد سقط في يده وذلك لأن من شأن من اشتد ندمه على أمر أن بعض يده ثم يضرب فخذه فتصير يده ساقطة لأن السقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل (ورأوا أي علموا) أنهم قد ضلوا عن الطريق الواضح باتخاذ العجل (قالوا) توبة ورجوعا إلى الله تعالى كما قال أبوهم آدم عليه السلام (لئن لم يرجنا ربنا) الذي لم يقطع قط احسانه عنا فكيف غضبه ويديم احسانه (ويغفر لنا) أي يمحو ذنوبنا عنا وأثر التوبة في المستقبل (لنكون من الخاسرين) أي فينتقم منا ذنوبنا وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه من الذنوب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى في ازالة عثرته وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم كما قال تعالى (ولما رجع موسى) أي من مناجاته (إلى قومه غضبان) أي من جهتهم (أسفا) أي لأن الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الأسف الحزن والأسف الحزن قال الواحدى والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب وقرأ حنزة والكسائي بالخطاب في يرجئنا ويغفر لنا ونصب ربنا والباقون بالغيبة ورفع الباء (قال) موسى لهم (بنسما خلفتموني من بعدى) أي بنس الفعل فعلكم بعد فرأى أياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون لعبدة العجل من السامري وأتباعه أي بنسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله تعالى وأن يكون لهرون والمؤمنين أي بنسما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بنس خلافة خلفه ونسما من بعدى خلافتكم (فائدة) اتفقوا على وصل بنسما هنا في الرسم (أعجلتم أمر ربكم) أي أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعلى تعديته أو أعجلتم أمر ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موافقته وغيرتم بعدى كما غيرت الأمر بعد أنبأهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بليلها جعلوها أربعين ثم أخذوها مأخذوا (وألقي الألواح) أي الألواح التوراة أي طرحها من شدة الغضب وفرط الغضب أي عند استماعه حديث العجل حجة للدين وكان في نفسه حديدا شديدا الغضب روى أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها أي ستة أسباع ما فيها لاسمة أسباعها نفسها القول به بعد وأخذ الألواح وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال

والحرام قال الرازي ولقائل أن يقول ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح فأتاه الله بها بحيث
تكررت فهذا ليس في القرآن وأنه جراءة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء (وأخذ
برأس أخيه) أي بشعر رأسه بيمينه وشعر لحية بشماله (بحره) أي أخاه (إليه) غضبا وكان هرون
عليه السلام أكبر من موسى بثلاث سنوات وأحب إلى بني إسرائيل من موسى
لأنه كان الين منه جانباً (قال) هرون عند ذلك (ابن أمّ) قراءة ابن عامر وشعبة والكسائي
بكسر الميم وأصله يا ابن أمي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كالمنادي المضاف إلى الياء
والباقون بالنصب زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بنحوه (فان قيل) هرون وموسى
من أب وأمّ فلماذا ناداه بالأم فقط (أجيب) بأنه انما ذكرها لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها
ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بمقام البرقة عليه والطاعنون في عصمة
الانبياء يقولون أخذ برأس أخيه يحرقه على سبيل الاهانة والاستخفاف والمتشبهون لعصمة الانبياء
قالوا جراً رأس أخيه ليساره ويستكشف منه كيفية تلك الواقعة (فان قيل) فلماذا قال يا ابن أمّ
(ان القوم) الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أي اني قد بذلت وسعي في كفهم فاستذلوني
وقهروني (وكادوا) أي قاربوا (يقولوني) فلا تشمت بي الاعداء أي فلا تفعل بي ما يشمتون بي
لأجله وأصل الشمنة الفرح بيلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه
نزل به أي لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه فكيف فعل بأخيه ذلك (أجيب) بأن هرون
انما قال ذلك خوفاً من أن يتوهم جهال بني إسرائيل أن موسى غضبان عليه كما هو غضبان على
عبد العجل أي فلا تفعل بي ما تشمت به اعدائي فهم اعداؤك فان القوم يحملون هذا الفعل
الذي تفعله بي على الاهانة لأعلى الأكرام (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي الذين عبدوا
العجل مع برائي منهم بالموأخذة أو بنسبة التقصير وما اعتذرله أخوه وذكر شمنة الاعداء
(قال رب اغفر لي) أي ما جعلني عليه مما صنعت بأخي (ولأخي) أي اغفر له ما فرط في كفهم عن
عبادة العجل ان كان وقع منه تغريط وضمه إلى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشمنة عنه
(وأدخلنا في رحمتك) بزيادة الانعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على
أنفسنا قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) أي الهيا عبدونه من دون الله تعالى فهذا هو
المفعول الثاني من مفعولي اتخذوا (سينالهم غضب) أي عقوبة (من ربهم وذلة في الحياة الدنيا)
وهي خروجهم من دارهم وللمفسرين في هذه الآية طريقتان الاولى أن المراد بالذين اتخذوا
العجل الذين باشروا عبادة العجل (فان قيل) أولئك تاب الله عليهم بسبب ان قتلوا أنفسهم
في معرض التوبة على ذلك الذنب واذا تاب الله عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة (أجيب)
بأن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضباً عليهم والمراد
بالذلة هو استسلامهم أنفسهم للقتل واعترا فهم على أنفسهم بالضللال والخطا وقيل خروجهم
من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب (فان قيل) السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف
تكون للماضي (أجيب) بأن هذا انما هو خبر عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين

أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله تعالى في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلك كان هذا الكلام سابقا لوقته وهو القتل الذي أمرهم الله تعالى به بعد ذلك والطريق الثاني أن المراد بالذين اتخذوا العجل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فوصف اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ العجل وان كان ما فعل ذلك الآباء وهم لانهم رضوا بفعلهم ولان العرب تعير الأبناء بقبايح أفعال الآباء كما يفعل ذلك في المناقب يقولون لا نتم أفعلتم كذا وكذا وانما فعله من مضى من آباءهم ثم حكم عليهم بأنهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وقرعة في الحياة الدنيا كما قال تعالى في صفتهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة (وكذلك) أي كما جزى بنهم (بخزى المفترين) أي كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله في الآخرة والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية لأن المبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا السيئات) أي عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب حتى الكفر (ثم تابوا) أي رجعوا عنها الى الله تعالى (من بعدها) أي من بعد أعمالهم السيئة (وآمنوا) أي صدقوا بالله تعالى بأنه لا اله غيره وأنه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب وان عظمت (ان ربك) أي يا محمد أيا أيا الانسان التائب (من بعدها) أي التوبة (لغفور) أي ستور عليهم محامدا لما كان منهم (رحيم) بهم أي منعم عليهم بالجنة وفي الآية دليل على أن السيئات بأسرها صغیرها وكبیرها مشتركة في التوبة وأن الله تعالى يغفرها جميعا بفضلته ورحمته فان عفوه وكرمه أعظم وأجل وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للذين التائبين وقدير الآية أن من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله تعالى وأخلص التوبة فان الله يغفره له ويقبل توبته (ولما سكت) أي سكن (عن موسى الغضب) أي باعتذاره وروى وتوبتهم فعند ذلك سكن غضبه وهو الوقت الذي قال رب اغفر لي ولاخي وفي هذا الكلام استعارتان استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق واستعارة تصريرية أو تخيلية في السكوت عن طغى غضب موسى وسكون هيجانه وغلبانه وقال عكرمة ان المعنى سكوت موسى عن الغضب فقل كما قالوا أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة (أخذ الألواح) أي وكاد عالاهيه منها بذلك على زوال غضبه عليه فكذلك أخذ الألواح التي ألقاها منها على زوال غضبه قال الامام الرازي وظاهر هذا يدل على ان شيئا منها لم يتكسر ولم يظل وان الذي قيل من أن ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس الامر كذلك اه ومرت الإشارة الى ما يدل على الجمع بين ما هنا وبين ما مر (وفي نسخة) أي ما نسخ فيها من كتب والنسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا به حرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقل ما في الاصل الى القرع لان الألواح نسخت من اللوح المحفوظ والنسخة فعله بمعنى مفعولة كالخطبة وقيل ان موسى عليه السلام لما ألقي الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعد ما ألقاها يكون المعنى وفي نسخة أي المكتوب فيها (هدى) أي يان للمعق (ورحمة) أي ارشاد الى الصلاح

والخير وقال ابن عباس هدى من الضلالة ورجة من العذاب (للذين هم لربهم يرهبون) أي
يخافون (فان قيل) التقدير الذين يرهبون ربهم فالفائدة في اللام في قوله لربهم (أجيب)
بأوجه الأول ان تأخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا فدخلت اللام للتقوية ونظيره قوله
تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون الثاني انها لام الاجل والمعنى للذين هم لاجل ربهم يرهبون لارياهم
ولا سمعة الثالث انه قد زيد حرف الجر في المفعول وان كان الفعل متعديا كقولك قرأت السورة
وقرأت بالسورة (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه فنصب
يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا وأنشد واقول الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الرعازع

قال أبو علي والأفضل في هذا الباب ان في الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر
ثم يتسع فيحذف حرف الجر فيتعدى الى المفعول الثاني من ذلك قولك اخترت من الرجال زيدا
ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا واستغفر الله من ذنبي واستغفر الله ذنبي قال الشاعر
استغفر الله ذنبا است محصيه * ويقال أمرت زيدا بالخير وأمرت زيدا الخير قال الشاعر
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * قال الرازي وعندى فيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير
واختار موسى قومه لمليقاتنا وأراد بقومه المعبرين منهم اطلاقا فالاسم الخير على ما هو المقصود منه
وقوله (سبعين رجلا لمليقاتنا) عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا حاجة الى ما ذكر من التكلفات
(فلما أخذتهم الرجفة) روى ان الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلا من بني اسرائيل فاختر
من كل سبطا ستة فزاد اثنان ففقال ليتخلف منكم رجلا فقتلوا فقال ان قعدأجر من خرج
فقد كالب ويوشع وذهب معه الباقيون روى أنه لم يصب الاستين شيئا فوحي الله تعالى اليه أن
يختار من السبعين عشرة فاخترهم فأصبحوا شيئا وقيل كانوا ابناء ماء عدا العشرين ولم
يغايروا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبأفأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويظهروا
ويطهروا واثابهم ثم خرج الى طور سيناء لمليقات ربه وكان أمره أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل
فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عود من الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه
وقال للقوم ادنوا وكان موسى عليه السلام اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد
من بني آدم أن ينظر اليه ف ضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا
فسمعوه يكلم موسى بأمره وينهاه وافعل لا تفعل فلما فرغ من أمره ونهيه وانكشف عن موسى
الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان تؤمن لك حتى نرى افة جهره فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة
فما تواجيعا فقام موسى ينادي ربه ويدعوه (والرب لو شئت أهلكم من قبل) أي من قبل
خروجهم الى الميقات (واياي) معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتمون اذ ارجعت
اليهم وما هم معي وعلى بذلك انك قدرت على اهلا كههم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلا كههم
وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحم عليهم بالانقاذ منهما فان ترحم عليهم مرة أخرى لم يعد
من عيم احسانك وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولا عكن القوم لمبارا وانك الهية

أخذتهم الرجفة حتى كادت أن تبين منهم مفاصليهم فلما رأى موسى ذلك رجعهم وخاف عليهم
الموت واشتد عليه فقد هم وكان له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكا وناشد ربه
فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة واطمأنوا وسعوا كلام ربهم وذلك قوله تعالى قال أى
موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل أى من قبل عبادة العجل وإياى يقتل القبطى (أتهلككم بما
فعل السفهاء منا) أى عبدة العجل وطن موسى انهم عوقبوا باقتناذ بنى اسرائيل العجل وقال هذا
على طريق السؤال وقال المبرده واسفههم اسفه طاف أى لاتهلككم وقد علم موسى عليه السلام
أن الله تعالى أعظم من أن يأخذ بجزيرة الجاني غيره وقيل بما فعل السفهاء من العناد والتجاسر
على طاب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم (أنهى) أى ماهى (الافتقنك) قال الواحدى الكناية فى
هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن
الافتقنك أى اختبارك وابتلاؤك وهذا تأكيده لقوله تعالى أتهلككم بما فعل السفهاء منا لأن
معناه لاتهلككم بما فعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضلت بها قوم ما فاقنتوا بأن
أوجدت فى العجل خوارا فزاعوا به وأسمعهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية هديت قومافصمهم
حتى بدوا على دينك فذلك معنى قوله (تضل بهم من تشاء وتهدى من تشاء) ولما أثبت ان الكل
بيده تعالى استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الاصلح فقال (أنت) أى وحدك (ولينا) أى نعتقد أن
لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك وأنت لا تنفع لك فى شئ من الامرين ولا ضرر لك بالكل بالنسبة اليك
على حدسوا ونحن على بصيرة من أن أفعالك لا تعطل بالاغراض وعقولك غيا ينفعنا وان تمامك
منا بضرنا ونحن فى حضرتك قد انقطعنا اليك وخططنا رجالا فقتلنا بالدين (فاغفر لنا) أى
اغفر ذنوبنا (وارحمنا) أى اشفنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) أى لأن
غيرك يتجاوز عن الذنب طلبا للثناء وللثواب أو دفعا للصفة الخبيثة وهى صفة الحق ودونحوه
وأنت منزّه عن ذلك فمغفر السيئة وتبدلها حسنة (واكتب) أى أوجب أو أثبت أو اقسم (لنا)
أى فى مدة احبائنا (فى هذه الدنيا) أى الحاضرة والدنية (حسنة) أى حسن معيشة وتوفيق
طاعة (وفى الآخرة) أى واكتب لنا فى الحياة الآخرة حسنة وهى الجنة ثم علل ذلك بقوله
(انا هدنا) أى تبنانا اليك (أى عمالنا بيمينك وأصل اليهود الرجوع برفق والهود جمع هاند
وهو النائب ولبعضهم

باراك الذنب ههد * واسجد كأنك ههد

قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم بعد نسخها (قال)
الله تعالى لموسى (عذابى أصيب به من أشاء) من خلقت أذنب أو لم يذنب لا اعتراض على (ورحمتى
وسعت) عمت وشملت (كل شئ) من خلقت فى الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص
الا وهو متقلب فى نعمتى وهذا معنى حديث أبى هريرة فى الصحيحين ان رحمتى سبقت غضبى وفى
رواية ثعلبته غضبى وأما فى الآخرة فقال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون) الله (ويؤتون
الزكاة) ونصها بالذكر لضعفها المتعدى ولانها كانت أشق عليهم فان قتادة لما نزل ورحمتى وسعت

كل شيء قال ابليس أنا من ذلك الشيء فقال تعالى فسأ كتب الذين يتقون ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولا يكفرون بشيء منها فأيس ابليس منها وبقاها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقى ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهم الله تعالى بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وانما سماه رسولا باضا فاقمه الى الله عز وجل لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه لرسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ونبيا لانه رفيع الدرجة عند الله ثم وصفه بالامى وهو الذى لا يكتب ولا يقرأ وهى صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لاننا لا نكتب ولا نحسب والعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون أى الخط والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك قال أهل التحقيق وكونه أميا بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه الأول أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوما مرة بعد أخرى من غير تبديل الفاظه ولا تغيير كلماته والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها فلابد وأن يزيد فيها أو أن ينقص عنها بالقليل والكثير ثم انه عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان يكتب ولا يقرأ يتلو كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك معجزة واليه الاشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الثانى انه لو كان يحسن الخط والقراءة لكان منهم ما فى أنه ربحا طالع كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا الارتاب المبطلون الثالث تعلم الخط شئ سهل فان أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعى فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم ثم انه تعالى آتاه علوم الاولين والاخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل اليه أحد من الخلق ومع تلك القوة العظيمة فى العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذى يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلا وفهما فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارا يجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجارية بحجى المعجزات وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط ان تقدم موته على زمانه صلى الله عليه وسلم وتارة يخرج من القوة الى الفعل كن خلق زمان دعوته فمن علم الله تعالى منه انه لا يتبعه اذا أدركه لا يغفر له ولوعمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه اهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيئه ريب ولا يتعالى فى أمره بعقله ولذلك اتبعه (الذى يجذوبه) أى علماء بنى اسرائيل (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه ونعته وانكسرتهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان وعن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا نبي الله انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وخرزاللاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا خباب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى

يقيم به الله العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيننا عما وآذانا صمما وقلوبنا غلما انتهى
(شرح غريب ألفاظه) القضا السي الخلق والغليظ الخافي القاسي والسحاب بالدين والصاد الكبير
الصباح والاعوجاج ضد الاستقامة والله العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شيء
ينفعه كأنه في غلاف وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) قال الزجاج يجوز أن يكون استئنافا
ويجوز أن يكون المعنى يجذبونه مكتوبا عنه دهم أنه يأمرهم بالمعروف قال الرازي ومجامع
المعروف في قوله عليه الصلاة والسلام التنظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وذلك لأن
الموجود أما واجب الوجود لذاته وأما ممكن لذاته أما الواجب لذاته فهو الله تعالى ولا معروف
أشرف من تعظيمه وإظهاره عبوديته وإظهار الخشوع والخضوع على باب عزته والاعتراف
بكونه موصوفا بصفات الكمال مبرا عن النقائص والآفات منزها عن الاضداد والانداد وأما
الممكن لذاته فإن لم يكن حيوانا فلا سييل الى اتصال الخير اليه لأن الاتفاغ مشروط بالحياة
ومع ذلك فإنه يجب النظر الى كلاهما بعين التعظيم من حيث أنهما مخلوقا لله ومن حيث أن كل
ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلًا لإظهاره وبرهانا بآثاره على توحيدته وتنزيهه فإنه يجب
النظر اليه بعين الاحترام ومن حيث أن الله سبحانه وتعالى في كل ذرة من ذرات المخلوقات
أسرار عجيبة وحكم خفية فيجب النظر اليها بعين الاحترام وأما أن كان ذلك المخلوق من جنس
الحيوان فإنه يجب الشفقة عليه بأقصى ما يقدر الانسان عليه ويدخل فيه بر الوالدين وصلة
الارحام وبث المعروف فنبت أن قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق
الله كلمة جامعة لجميع جهات الأمر بالمعروف (وينهاهم عن المنكر) وهو ضد الامور
الذكورة وقال عطاء بأمرهم بالمعروف بخلق الانداد وبكوارم الاخلاق وبصلة الارحام
وبنهاهم عن المنكر أي عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) أي ما حرم عليهم في
شرعهم كالشحم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير والربا والرثوة (ويضع عنهم
أصرهم) أي ثقلهم الذي كان يحمل عليهم وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة للمدة والصاد وألف بعد
الصاد على الجمع والباقون بكسر الهمزة وسكون الصاد ولا ألف بعدهما على التوحيد (والاغلال
التي كانت عليهم) أي ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم من الدين والشرعية وذلك مثل
قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة من البدن والثوب بالمقراض
وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما
أن اليد لا تقام مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال
في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السميلة (الذين آمنوا به) أي بمحمد صلى الله عليه
وسلم (وعزروه) أي وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه
وسلم تعظيمه وإجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه)
أي القرآن سمى نورا لأنه يستنير قلب المؤمن فيخرج من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء

اليقين والعلم وقيل الهدى والبيان والرسالة وقيل الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور
 (فان قيل) كيف يمكن حمل النور هنا على القرآن والقرآن ما أنزل مع محمد صلى الله عليه
 وسلم وانما أنزل مع جبريل عليه السلام (أجيب) بان معناه انه أنزل مع نبوته لان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال (أولئك هم المفلحون) أى
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة ولما تم ما نظمته تعالى في أثناء هذه القصص من جواهر
 أوصاف هذا النبي الكريم حنا على الايمان واجبا باله على وجه يعلم منه انه رسول الله الى كل
 مكاف تقدم زمانه أو تأخر قال تعالى (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة النقلين بل والى الملاذكة قاله السمكى
 والبقاعى وغيرهما وهذا هو الاتفاق ببقامه صلى الله عليه وسلم وان خالف في ذلك بعضهم وأما
 سائر الرسل فمبعوثون الى أقوامهم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت نكاحا لم يعطهن أحد
 قبلى أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لى الارض طيبة مسجدا وطهورا ونصرت على
 عدوى بالرعب يرعب منى مسيرة شهز وأطعمت الغنمة دون من قبلى وقيل لى سل تعطه واخبأت
 شفاعتى لامتى (فان قيل) كان آدم عليه السلام مبعوثا الى جميع أولاده ونوح عليه السلام لما
 خرج من السفينة كان مبعوثا الى الذين كانوا معه مع ان جميع الناس في ذلك الزمان ما كانوا
 الا ذلك القوم (أجيب) بأن ذلك لم يكن اعموم رسالتهم بل العصر المذكور فليس ذلك من
 باب عموم الرسالة وقوله (جميعا) حال من اليكم أى ان الكل يشترط عليهم الايمان بى والاتباع لى
 وقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل
 مدرولا وبرولاهل ولا جبل ولا بحر ولا برقى مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا
 به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائله عنهم يوم القيامة وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله
 عنه حين رفع اليه الذراع فنش منها فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وعن جابر رضى الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا فائدهم اذا قذوا
 وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا يسألوا الحمد يومئذ
 يبدى وأنا أنا كرم ولد آدم على ربي ولا فخر وعن أبي بن كعب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وعن ابن
 عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء
 الحمد يوم القيامة تحمته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا
 أكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبدى لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ
 آدم فمن سواه الا تحت لوائى والفخر ادعا العظمة والكبر والشرف أى لا أقول تجعوا ولكن شكرا
 وتحمدا بالنعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعد اجتمع بهم ليلة الاسراء
 في بيت المقدس فصلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السماء فصلى بيمينهم أهل السموات اماما وأما يوم

الجميع الاكبر والكرب الاعظم فيجعل الكل عليه وما حال بعض الاكبر على بعض الاعلام منهم
 بأن الختام يكون به ليكون أظهر للاعتراف بإمامته والانتقاد لاطاعته لأن الحمل على الحمل على
 الشيء محيل على ذلك والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى
 كافة الخلق فيظهر سر هذه الآية الذين يتبعون الرسول قال البقاعي ولما دل بالاضافة الى اسم
 الذات ما يدل على جميع الصفات على عموم دعوته وشمول رسالته حتى للجن والملائكة أي ذلك
 بقوله (الذي له ملك السموات والارض) فيكون محله جزا على الوصف وان حيل بين الصفة
 والموصوف بقوله اليكم جميعا لانه متعلق المضاف اليه فهو كلمة تقدم عليه قال الزمخشري
 والاحسن أن يكون محله نصبا باضمار اعني وهذا الذي يسمى النصب على المدح قال البيضاوي
 أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) أي فالكل منقادون لامره خاضعون له ثم علل ذلك بقوله (يحيي
 ويميت) أي له هاتان الصفتان محتصاهما ومن كان كذلك كان منفردا بما ذكر قال البقاعي
 وإذا راجعت ما يأتي ان شاء الله تعالى في أول الفرقان مع ما مضى في أوائل الانعام لم يبق عندك
 شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة اه وقد مرت الإشارة الى ذلك ولما أمر
 الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله
 تعالى جميع خلقه بالايان به وبرسوله بقوله (فا منوا بالله ورسوله) وذلك أن الايمان بالله هو
 الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلماذا بدأ بالايمان بالله ثم ثني بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى
 بقوله (النبي الأمي) وتقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى سائر
 الرسل من كتبه ووحيه وقال قتادة المراد بكلماته القرآن وقال مجاهد عيسى بن مريم لانه خلق
 بقوله كن فكان ولم يكن من نطفة تتنى ولهذا سمى كلمة الله وقيل هو الكلمة التي تكون عنها
 عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن (واتبعوه) أي واقفدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم
 عنه (أعلمكم تهتدون) أي لكن تهتدوا وترشدوا جعل تعالى رجاء الاهتداء أثر الايمان
 والاتباع تنبيهها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو بعد في خطيئة الضلالة
 (ومن قوم موسى) أي من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهتدون بالحق) أي يهدون الناس
 محقين أو بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعتدلون) أي يحكمون والمراد بتلك الأمة الثابتون
 على الايمان القائلون بالحق من أهل زمان موسى عليه السلام اتبع ذكر المرتابين
 الكافرين من بني اسرائيل بدكر اصدادهم كما هو عادة القرآن تنبيهها على أن تعارض الخير
 والشر وتزاحم أهل الحق والباطل مستقر وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي
 صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (واعترض) بأنهم كانوا قليلين في العدد ولفظ
 الأمة يقتضي الكثرة (وأجيب) بأنهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الأمة عليهم
 كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا
 اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم
 ففهم الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم

هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب
 به ليلة الاسراء فحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تسلمون
 قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا
 ان من أدرك منكم أجد فليقرأني عليه السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليه وآله وسلم
 السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بمكة ولم تكن فريضة نزات غير الصلاة والزكاة
 وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستبشرون فأمرهم أن يجبهوا ويتركوا السبت ولا يتظالموا ولا
 يتحاسدوا ولا يصل اليهم من أحد ولا ينضمهم أحد قال بعض المحققين هذا القول ضعيف وان
 كان البغوي صحيحه لوجه الاول كونه أقرأهم عشر سور وقد نزل عليه أكثر من ذلك وكان فرض
 الزكاة بالمدينة فكيف بأمرهم بها قبل فرضها الثاني كون جبريل ذهب اليهم به ليلة الاسراء
 لم يرد بذلك نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث الثالث ان أحد امهم لا يصل اليها ولا يصل
 اليهم من أحد في الذي أوصل خبرهم النفاقت بذاك بطلان هذا القول (فان قيل) ان يا جوج
 وما جوج قد وصل خبرهم اليها ولم يصل خبرنا اليهم (أجيب) بال منع في أين يعرف أنه لم يصل
 خبرنا اليهم ثم قال فالحق في تفسير هذه الآية انها ما ان تكون قد نزات في قوم كانوا متمسكين
 بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزات فيمن أسلم
 من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وقطعناهم)
 أي فرقنا بني اسرائيل وقوله تعالى (انتي عشرة) حال وتأييده جلال على الامة (اسباطا) بدل
 منه ولذلك جمع قبائل والاسباط اولاد الولد وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
 يعقوب عليه السلام (أما) بدل بعد بدل أو نعت لاسباط أي وقطعناهم أعمالا لان كل سبط كان
 أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تألف
 (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) أي حين استسقوه في التيه (ان اضرب بعصاك الحجر
 فانجسبت) أي انفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة يقال بجست الماء فانجس
 أي فجرته فانفجر قاله الجوهري وعلى هذا انتقرير فلتابين بين الانجاس المذكور هنا وبين
 الانفجار المذكور في سورة البقرة وقال آخرون الانجاس خروج الماء بقله والانفجار
 خروجه بكثرة وطريق الجمع أن الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وهذا الفرق مروى
 عن عربين العلماء (فان قيل) هلا قيل فضر به فانجسبت (أجيب) بأنه انما حذف ذلك للايماء
 على أن موسى لم يتوقف في الامتنال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته (منه)
 أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) أي بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط منهم
 (مشر بهم) أي لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظلنا عليهم الغمام) أي في التيه ليعيهم من
 حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن) التريبييل (والسلوى) أي الطير السماوي يخفف الميم والقصر
 جعل الله تعالى ذلك طعاما لهم في التيه وقيل المن الخبز والسلوى الا دام وقال ابن يحيى
 السلوى طائر يشبه السماوي وخاصيته ان أشكل له يلبس القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت

الرعد كما أن الخفاف يفتله البرد فليهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون
 فيها مطر ولا رعد إلى انقضاء أو أن المطر والرعد فيخرج من البحر زائرياً يستمر في الأرض
 (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) مما لم تعالجوه نوع معاملة وقوله تعالى
 (وما ظلموا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فيه حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام
 عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فامتنعوا من ذلك وسميوا وقالوا لن نصبر على
 طعام واحد وسألوه غير ذلك لأن المكلف إذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصياً
 بفعل ذلك فلهذا قال تعالى وما ظلمونا أي بفعل شئ مما قابلوا به الاحسان بالكلية فمران ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون بخالفهم ما أمروا به وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (وإذا
 قبل لهم) أي وإذا كر يا محمد لقومك اذ قيل لبي اسراييل (أسكنوا هذه القرية) أي بيت
 المقدس (وكلوا منها) أي من القرية (حيث شئتم وقولوا) أمرنا (حطة وادخلوا الباب) أي باب
 القرية (بجداً) أي سجدوا فخناء وقوله تعالى (نغفر لكم) قرأه نافع وابن عامر بضم الناء وفتح
 الفاء على التانيث والباقون بنون مفتوحة وكسر الفاء وقوله تعالى (خطاياكم) قرأه نافع بكسر
 الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة وبعد الهمزة ناء مضمومة على الجسع وابن عامر كذلك
 الآية يقصر الهمزة على التوحيد وأبو عمرو بفتح الخاء والطاء وبعد الطاء ألف بعدها ياء وبعد
 الياء ألف على وزن قضاياكم والباقون بكسر الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة بعدها
 ناء مكسورة (سنزيد المحسنين) أي بالطاعة ثواباً (فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قبل لهم)
 فمأواجبة في شعرة ودخلوا برحمتهم على أسألهم أي ادبارهم (فأرسلنا عليهم رجلاً) أي عذاباً
 (من السماء بما كانوا يظلمون) وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن ألفاظ هذه
 الآية تختلف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه الأول أنه قال هناك واذقلنا ادخلوا
 هذه القرية وهنا قال واذقل لهم أسكنوا هذه القرية والثاني أنه قال هناك فكلوا بالقاء وقال
 هنا وكلوا بالواو والثالث أنه قال هناك رغداً وأسقطه هنا والرابع أنه قال هناك وادخلوا
 الباب سجدوا وقولوا حطة وقال هنا على التقديم والتأخير والخامس أنه قال هناك نغفر لكم
 خطاياكم وقال هنا نغفر لكم خطاياكم والسادس أنه قال هناك وسنزيد المحسنين وهنا
 حذف الواو والسابع أنه قال هناك فانزلنا على الذين ظلموا وقال هنا فأرسلنا عليهم الثامن أنه
 قال هناك بما كانوا يفسقون وقال هنا بما كانوا يظلمون ولا منافاة بين هذه الالفاظ المختلفة
 أما الأول وهو أنه قال هناك ادخلوا هذه القرية وقال هنا أسكنوا فلا منافاة بينهما لأن كل
 ساكن في موضع فلا بد من الدخول فيه وأما الثاني وهو قوله هناك فكلوا بالقاء وقال هنا وكلوا
 بالواو فالفرق بينهما ما أتت للدخول حالة مقتضية لا كل عقب الدخول ففسد دخول القاء
 التي هي التمتع بالقاء ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى
 فيكون الالفاظ حاصلات من شأوا فظهر الفرق وأما الثالث وهو أنه ذكر هناك رغداً وأسقطه
 هنا فلأن الالفاظ عقب الدخول الأول أكمل والآخر مع السكنى والاستمرار ليس كذلك فبين

دخول لفظ رغدا هنا لدون هنا وأما الرابع وهو قوله هناك ادخلوا الباب سجدا وقولوا
 خسة وقال هنا على التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله
 تعالى وإظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير وأما
 الخامس وهو أنه قال هناك خطاياكم وقال هنا خطاياكم فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء
 كانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الاتيان بهذا الدعاء والتضرع وأما السادس وهو
 قوله تعالى هناك وسنزيد بالواو وقال هنا بجدتها فالقائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد
 بشيئين بالغفران وبإزالة المحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يحل بذلك المعنى لأنه استئناف
 مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران فقيل إنه سينزل المحسنين وأما السابع وهو
 الفرق بين أنزلنا وبين أرسلنا فلان الأنزال لا يشعر بالكثرة والأرسال يشعر بها فكانت تعالى
 بدأ بأنزال العذاب القليل ثم جعله كثيرا وهو نظير ما تقدم من الفرق بين أنجيست وأنفجرت
 وأما الثامن وهو الفرق بين قوله تعالى يفسقون وبين قوله تعالى يظلمون فلأنهم لما ظلموا أنفسهم
 فيما غيروا وبدلوا فاسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم
 ظلموا أنفسهم وبكونهم فاسقين لأنهم خرجوا عن طاعة الله فالقائدة في ذكر هذين الوصفين
 التنبه على حصول هذين الأمرين هذا المخلص كلام الرازي رحمه الله تعالى ثم قال وتتمام العلم
 بذلك عند الله تعالى (واسألهم) أي أسأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ
 وتقريع (عن القرية) أي عن خبرها وما وقع بأهلها لأسؤال استعظام لانه صلى الله عليه وسلم
 كان قد علم حال هذه القرية بوحى من الله تعالى إليه وأخباره أيام مجيئهم وأما المقصد من هذا
 السؤال تقرير اعتداء اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وإن اصرارهم على الكفر
 بحمد صلى الله عليه وسلم وإنكارهم نبوته ومجهزاته ليس بشيء قد حدث الآن في زمانه بل
 اصرارهم على الكفر كان حاصلا في قديم الزمان وفي الأخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله
 عليه وسلم لانه كان أميالا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبرهم بما جرى
 لأسلافهم في قديم الزمان وأنهم بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى مسخوا قردة واختلغوا في هذه
 القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قرية يقال لها إيل بين مدين والطور على شاطئ البحر
 وقال الزهري هي طبرية الشام وقيل مدين والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبي هريرة
 العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن التي كانت
 حاضرة البحر أي مجاورة بحر القلزم على شاطئه والحضور تقيض الغيبة كقوله تعالى ذلك
 لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام (أذ) أي حين (يعدون) أي يعدون (في السبت) أي
 يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وقد نهوا عنه وقوله تعالى (أذنائهم حيث أنهم) ظرف
 ليعدون (يوم سبتهم شرعا) أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع وقال الخليل متباعدة وعن
 الحسن تشرع على أبوابهم كأنها البكاش البيض والحيات السمك وأكثر ما تستعمل
 العرب الحوت في معنى السمكة والسبت مصدر سبنت اليهود إذا عظمت سبتهما ترك الصيد

والاشتغال بالتعب فغناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبهم معناه يوم تعظيمهم
 أمر السبت يدل عليه قوله تعالى (ويوم لا يفتنون) أي لا يعظمون السبت أي سائر الأيام
 (لأنهم) أي الحيتان ابتلاء من الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك البلاء الشديد (يلوهم
 بما) أي بسبب ما (كانوا يفسقون) وقوله تعالى (واذ معظوف على اذ قبله) (قالت أمة) أي
 جماعة (منهم) أي من أهل القرية لم تصد ولم تنه عنهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم)
 في الدنيا بعذاب من عنده لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يعظون بالمواعظ (أو معذبهم عذابا
 شديدا) في الآخرة لتعاديتهم في العصيان (قالوا) أي الواعظون مواعظنا (معذرة) نتعذر بها
 (إلى ربكم) أي لئلا نسب إلى نقص في ترك النهي فإن النهي عن المنكر يجب وأن علم الناهي
 أن من تركه لا يقطع عن معصيته وقيل إذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط
 النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العيب ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين
 على الماء صرا والجلادين المرتين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك
 ولم يكن الأسبب للتلهي بك (وعلهم يتقون) أي وجازعنا أن يفتعروا بالمواعظ فيسقوا الله
 ويتركوا ما هم فيه من الضياع إذا لم يسلحوا بالهلاك (فلما نسوا) أي تركوا ترك
 الناس (مأذروا) أي وعظوا (به) ولم يرجعوا (أنجيئنا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين
 ظلموا) أي بالاعتداء ومخالفة أمر الله تعالى (بعذاب بئيس) أي شديد (بما) أي بسبب ما (كانوا
 يفسقون) روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسمع الله تعالى يقول أنجيئنا
 الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكنة
 وجعل بيكي قال عكرمة فقلت جعلني الله تعالى فداك ألا تراهم قد أنكروا وكروا ما هم
 عليه قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيئهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجب قولي
 ورضي به وأمرني بريدن فالبسنيهما وقال نجت الساكنة وقال عمار بن زيان نجت الطائفتان
 الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان
 وهذا قول الحسن (فان قيل) إن ترك الوعظ معصية والنهي أيضا عنه معصية فوجب دخول
 هؤلاء التاركين للوعظ الناهين عنه تحت قوله تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ولهذا
 قال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان (أجيب) بأن هذا غير لازم لأن النهي عن المنكر
 إنما يجب على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقي (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن
 عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان أي فلما تكبروا
 عن ترك ما نهوا عنه وعتروا في العصيان من اعتدا بهم في السبت واستحلوا ما حرم الله تعالى
 عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (قلنا لهم) كانوا أقردة حاسنين أي صاغرين
 فكانوها كقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون وهذا يقتضي أن الله
 تعالى عذبهم ثم أولاه بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فسخطهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا
 وتفصيلا للأولى وروى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمر نابه وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا

يوم السبت فابتلوا به وحرم الله عليهم فيه الصيام وابتغى به فكأنات الحيتان تأتيتهم يوم
السبت شرعا يضايمانا كأنهم الخماض لا يرى الماء من كثرتهم أو يوم لا يستقون لتأتيتهم فكأنوا
كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم اغناهم ثم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا
حماضا وسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد
وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شوا يوم الاحد فوجد
جاره ربح السمك فطلع في تنوره فقال انى أرى الله سيغيبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت
القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا ولم يواو باعوا وكانوا نحو من
سبعين ألفا نصار أهل القرية اثلاثا لثلاثهم وكانوا نحو من اثني عشر ألفا وثلاثا لثلاثهم فغظون
قوموا وثلاثهم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون اننا لنساكنكم فقموا القرية بمجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم
يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس شأنا فاعلوا الجدار فظفروا فاذا هم قردة ففتحو الباب
ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون انسابهم من القردة فجعل
القردة يأني نسيبه فيشم مياحه ويكي فيقول ألم تهلك فيقول برأسه بلى وقيل صاروا شباب قردة
والشيوخ خنازير واختلفوا في ان الذين مسحوا اهل بقوا قردة وهل هذه القردة من نسلهم أو
هلكوا وانقطع نسلهم لادلالة الآية على شئ من ذلك وعن الحسن أكلوا واقه أو خم أكلة
أكلها أهلها أثقلها خزي في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة وعن جابر بن العبد وبين رزقه حجاب
فان صبر خرج اليه والاهلك الحجاب ولم يزل الا ما قدر له قال الزمخشري هاه واهم الله ما حوت
أخذهم قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم واجصكن الله تعالى جعل موعدا
والساعة أدهى وأمر وقوله تعالى (وآذ) عطف على واسألهم أي واذكر لهم حين (تأذن) أي اعلم
(ربك) وأجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أوجب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم) أي
اليهود (اليوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي بالاهانة والذل وأخذ الجزية منهم فبعث
الله تعالى عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسبباهم وضرب عليهم الجزية وكانوا يؤذونها
الى الجحوس الى أن بعث الله تعالى نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم فنصرهم عليهم ولا تزال مضروبة
عليهم الى آخر الدهر حتى ينزل عيسى بن مريم فانه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام (فان قيل)
انه يحكم بشرعية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته أخذ الجزية أو الاسلام (أجيب)
بأن شريعته بذلك مغاية بنزول عيسى عليه السلام وقوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) أي لمن
أقام على الكفر كهشة الدليل على انه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب
مستمر عليهم في الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وانه لغفور) أي ان آمن منهم
ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (رحيم) بهم (وقطعناهم) أي فرقناهم
(في الارض أمتا) أي فرقا بحيث لا يكاد يخالقهم منهم تلة لا ديارهم حتى لا تكون لهم شكوة
قط وأما مفعول ثابن وأحوال وقوله تعالى (منهم الصالحون) صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا

بالمدينة ونظروهم (وممنهم) أي اباس (دون ذلك) أي منعطون عن الصلاح فهم كفرتهم
 وفسقهم (وبلوناهم) أي اختبرناهم جميعا الصالح وغيره (بالحسنات) أي بالانصب والعافية
 (والسيئات) أي بالجوور والشدة (اعلمهم يرجعون) أي كي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه
 قال أهل المعاني وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما النعم فلاجل
 الترغيب واما النقم فلاجل التهيب (تخاف من بعدهم) أي هؤلاء الذين وصفناهم (خلف)
 والخلف القرن الذي يلي من بعده وهو بسكون اللام شائع في الشر ويقعها في الخير
 يقال خلف صدق يقع اللام وخلف سوء يسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال
 حسان بن ثابت

لنا الاقدم الا ولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابح

وقال لبيد في الذم.

ذهب الذين بعاش في كفاهم • وبقيت في خلف يكلد الاجرب
 فترك اللام والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والمراد به الذين كانوا في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) أي التوراة من اسلافهم يورثونها ويقفون
 على ما فيها (ياخذون عرض هذا الادنى) أي هذا الشيء القاني الادنى أي الدنيا وما يتتبع به
 فيها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتهقير والادنى اما من الدنوب بمعنى القرب لانه عاجل قريب
 واما من دون الحال وسقوطها وقتها والعرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض
 حاضر يأكل منها البر والقاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير
 وجعه عروض والمعنى انهم يأخذون حطام الدنيا وهو الشيء النافه الخسيس الحقير لان الدنيا
 بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فالهم ودورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل
 بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون أنه حرام (و) مع اقدمهم على هذا الذنب
 العظيم واصراوهم عليه (يقولون سبعفقرنا) أي لا يؤاخذهم الله تعالى بذلك فيمتدحون على الله
 الاماني الباطلة وعن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا
 يقومون على الذنوب ويقولون سبعفقرنا وهذا هو التي بعينه وقوله تعالى (وان يأثمهم عرض
 منله يأخذوه) الواو فيه للعال أي يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون الى مثل فعلهم غير
 تائبين وليس في التوراة وعد المغفرة مع الاصرار وقوله تعالى (ألم يؤخذ) استفهام تقرير
 (عليهم ميثاق الكتاب) أي التوراة والاضافة بمعنى في (ان لا يقولوا على الله الا الحق) أي
 المعلوم شأنه وايس من المعلوم اثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق
 الكتاب وقوله تعالى (ودرسوا ما فيه) أي ما في ذلك الميثاق الذي في الكتاب أو الكتاب بتقرير
 القراءة للفظ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا ولم يؤخذ اعتراض
 (والدار الاخرة خير) أي وما في الدار الاخرة عما اعد الله خير (الذين يتقون) الله ويحافظون

عقابه (أفلا يعقلون) أي حين أخذوا ما يشقهم ويفنى بدل ما يسعدهم ويبقى أن الدار الآخرة خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب ويكون المراد الاعلام بتناهي الغضب والباقون بالياء على الغيبة (والذين يسكنون بالكتاب) يقال مسكت بالشئ وتمسكت به وأمسكت به والتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه وإقامة حدوده والتمسك بأحكامه وقرأ شعبة بسكون الميم وتخفيف السين والباقون بفتح الميم وتشديد السين (وأقاموا الصلاة) أي وداوموا على إقامتها في مواقيتها وانما أفردها بالذكر وإن كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الإيمان بالله تعالى وهذه الآية ترات في الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله تعالى (إنا لانضيق أجراً للمحسين) الجلة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم (وإذ) أي اذكري يا محمد إذ (تقنا) أي رفعنا (الجبل فوقهم) أي من أصله (كأنه ظلة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كأنه سقفة والظلة كل ما أظلك من سقف بيت أو حجاب أو جناح حائط والجمع ظلال وظلال (وظنوا) أي ايقنوا (أنه واقع بهم) أي ساقط عليهم بوعده الله بوقوعه ان لم يقبلوا أحكام التوراة روى أنهم لم يقبلوا أحكام التوراة لعظمها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم فكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والاليعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خزر كل واحد منهم ساجدا على حاجبه وهو ينظر بعينه الى مني خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى به وديا يسجد الاعلى حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقوله تعالى (خذوا) هو على اضممار القول أي قلنا لهم خذوا أو قائلين خذوا (ما آتيناكم) أي من الكتاب وقوله تعالى (بقوة) أي بمجد وعزم على تحمل مشاقه حال من واخذوا (وإذ كروا ما فيه) أي بالعمل به ولا تتركوه كالمثني (أعلكم تقون) أي فضائح الاعمال ورذائل الاخلاق (وإذ) أي واذكر يا محمد حين (أخذ ربك من نبي آدم) وقوله تعالى (من ظهروهم) بدل اشتغال مما قبله باعادة الجار كما قاله السيوطي أو بدل بعض كما قاله البيضاوي (ذرياتهم) أي بأن أخرج بعضهم من صلب بعض نسل بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل للجمال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى يا جمال أو بي معه والطير كما جعل تعالى للبعير عقلا حتى يسجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا للشجرة حين سمعت لأمهه وانقادت وكذا للثعلب حين قالت يا نمل ادخلوا مساكنكم وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بآلف بعد الباء وكسر التاء على الجمع والباقون بغير ألف وفتح التاء على التوحيد (وأشهدهم على أنفسهم) قال (أأست بربكم قالوا بلى) أنت ربنا وعن مسلم بن يسار الجهني أنه قال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنها فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء

الى النار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل
 من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت
 على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
 من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبصا من نور وعرضهم على آدم فقال أى
 رب من هؤلاء قال ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه ويص من نور وعرضهم على آدم فقال أى
 داود قال يارب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زد من عمرى أربعين سنة قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الأربعين سنة جاءه ملك الموت فقال آدم أولم يبق من
 عمرى أربعون سنة قال أولم تعطها ابنتك داود فجعد آدم فجعدت ذريته ونسى آدم فأكل من
 الشجرة فذبت ذريته وخطئى فخطئت ذريته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما أنه أبصر آدم فى ذريته فومأ لهم نور فقال يارب من هم فقال الانبياء
 ورأى واحدا هو أشبههم نورا فقال يارب من هو قال داود قال فكم عمره قال ستون سنة قال
 آدم هو قليل وكان عمر آدم ألف سنة فقال يارب زد من عمرى أربعين سنة فلما تم عمر آدم تسعمائة
 وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقى من أجلي أربعون سنة فقال ألت قد وهبتها
 من ابنتك داود فقال ما كنت لأجعل لاحد من أجلي شيئا فعند ذلك كتب لكل نفس أجلها وعن
 مقاتل إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمى فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر تتحرك ثم مسح
 صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم
 ألتست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة بريحى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء
 فى النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعا فى صلب آدم فأهل القبور
 محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء وقال تعالى فين
 نقض العهد الاقل وما وجدنا لآكثرهم من عهد وقال بعض المفسرين إن أهل السعادة أقرروا
 طوعا وقالوا بلى وأهل الشقاوة قالوا بغيته وكرها وذلك معنى قوله تعالى وله أسلم من فى السموات
 والأرض طوعا وكرها واختافوا فى موضع الميثاق فقال ابن عباس رضى الله عنهما يظن
 نعمان وهو وادى جنب عرفة وعنه أيضا أنه بدنه من أرض الهمد وهو الموضع الذى أهبط
 فيه آدم عليه السلام وقال الكلبي بين مكة والطائف (فان قيل) ما معنى قوله تعالى وإذا أخذ
 ربك من بنى آدم من ظهورهم وأغما أخرجهم من ظهر آدم (أجيب) بأن الله تعالى أخرج ذرية
 آدم بعضهم من ظهوره وبعض على مايتوالدون فالابناء من الآباء فى الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر
 آدم لما علم انهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره فأنخرج من ظهره وهم مخرج من ظهره وقوله
 (شهدنا) أى على أنفسنا بذلك وانما أشهدهم على أنفسهم كراهة (أن يقولوا يوم القيامة
 أنا كنا عن هذا) التوحيد (عافلين) أى لعدم الأدلة فذلك أشركا وقوله تعالى (أو يقولوا) أى

لولم ترسل اليهم الرسل عطف على أن يقولوا وقرأ أبو عمرو بالماء على الغيبة والباقون بالتاء على
 الخطاب (انما أشركت أباً ونامن قبل) أى قبل أن توجد (وكذا ذرية من بعدهم) أى فلم يعرف انما
 مرياً غيرهم فكنا لهم تبعاً فخلنا اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منه فمتسبب عن ذلك
 انكارهم في قولهم (أفتملكنا بفعل المبطون) أى من آبائنا قال أبو حيان والمعنى ان الكفرة
 لولم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكراً تضمن العهد من توحيد الله وعبادته لكأن
 لهم حجتان احدهما ككافنا الذين والاخرى ككناهم على سلافة فافسكف والذنب انما هو لمن طرقت لنا
 وأضلنا انتهى (فان قيل) كيف يكون ذكر الميثاق عليهم حجة فانهم لما أخر جوامن ظهر آدم
 ركب فيهم العقل وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلبه بطل ما ركب فيهم قتلوا واناسين
 لذلك الميثاق (أجيب) بأن التذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس
 وبذلك قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره
 كان معانداً ناقضاً للعهد ولم تتم الحجة ولا تسقط الحجة بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار
 الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود
 مقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
 والعقلية ومنعهم من التقليد وجعلهم على النظر والاستدلال كما قال تعالى (وكذلك) أى
 ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع (نقصل الآيات) أى كاهل التلاويق اعموا ما لا يليق
 بجهاننا جهل الاعداء الدليل (ولعلمهم يرجعون) أى عن التقليد واتباع الباطل (واتل) أى يا محمد
 (عليهم) أى اليهود (تباً) أى خبر (الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها) أى خرج بكفره كما تخرج
 الحية من جلدها وهو بلم بن باعور ومن علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين سئل أن يدعو
 على موسى وأهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فأثمه الشيطان)
 أى لحقه وأدركه وصيره لثمة نفسه تابعا في معصية الله تعالى فخالف أمر ربه وأطاع الشيطان
 وهو (فكان من الغافرين) أى من الصالحين الهالكين وقصته على ما ذكره ابن عباس رضى الله
 عنهما وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد حب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض
 الشام أتى قوم بلم وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير
 وانه قد جاء بخرجننا من بلادنا ويقتلنا ويحلبنا بنى اسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فانخرج
 فادع الله تعالى أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف
 أدعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون وانى ان فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه
 وألحوا عليه فقال حتى أأمر ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فواصر في الدعاء
 عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد وأمرت ربي وانى نهيت ان ادعوا عليهم
 فأهدوا اليه هدية فقبلها وارجعوه فقال حتى أأمر ربي فواصر فلم يؤمر بشئ فقال قد
 وأمرت ربي فلم يأمرنى بشئ فقالوا لو كره ربك ان تدعوا عليهم لهلك كما ناله في المرة الاولى
 فلم يزالوا يضرعون اليه حتى قتلوه فاقمتم فركب انا ناله متوجه الى جبل يطلعه على عسكر

بنى اسرائيل يقال له حسب ان فلما سار على اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت
 فركبها فلم تسره كثيرا حتى ربضت فضر بها فاذن الله تعالى لها فى الكلام وانطقها الله فوكلته
 حجة عليه فقالت ويحك يا بيلم أين تذهب أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى ويحك
 أنت ذهاب الى بنى الله والمؤمنين قد دعوا عليهم فلم ينزج رضى الله تعالى سبيل الاتان فانطلقت به
 حتى أشرف على جبل حسب ان فجعل يدعوا عليهم فلا يدعوا بشر الا صرف الله تعالى به لسانه
 الى قومه ولا يدعوا قومه بخير الا صرف الله تعالى به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بيلم
 أنت ترى ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا أمل لكه هذا شئ قد غلب الله عليه
 فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب الآن منى الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر
 والحيلة فسا مكر لكم واحتملوا حملوا النساء وزينهون وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى
 عسكر بنى اسرائيل يبعثها فيه ومروهن ان لا تمنع امرأة تقسم من رجل أرادها فانه ان زنا رجل
 بواحدة كفتية وهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من
 عظماء بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يدها حتى أعجبه
 جالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال انى لا ظنك أن تقول هذه حرام عليك قال أجل
 هى حرام عليك لانقر بها قال فوالله لا نطيعك ثم دخل بها اقبة فوقع عليه فأرسل الله تعالى
 عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار وقيل الاية نزلت فى أمة
 ابن أبى الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا أن
 يكون هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وقيل نزلت فى منافق أهل
 الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقيل انهم انزلت
 فى البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة
 وكان له منها أولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لها لك منها واحدة فما تريد بن قالت ادع الله
 أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا الله تعالى فصارت أجمل النساء فى بنى اسرائيل
 فلما علمت أنه ليس فى بنى اسرائيل أجمل منها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة تباعة
 فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة تباعة
 وقد عبرنا الناس ادع الله أن يردنا الى الحال التى كانت عليها فدعا الله تعالى فعادت كما كانت
 فذهب فيها الدعوات كلها وقيل غير ذلك ويدل للقول الاول قوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه) أى
 منازل الاربار (بها) أى بسبب تلك الآيات (ولكنه أخذنا الى الارض) أى مال الى الدنيا
 قال البيضاوى أو السقالة قال الجوهرى السقالة بالضم نقيض العلو وبالفتح المذلة (واتبع
 هواه) أى فى آثار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة
 الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهه على ان المشيئة سبب فعله الموجب لرفع وان عدمه
 دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده
 من هذه الاستجابات وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك

وكان مقتضى ظاهر الكلام أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخذاً إلى الأرض
 واتبع هواه بالغة وتنبهها على ما حمله عليه وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهذه الآية من
 أشد الآيات على أصحاب العلم وذلك لأنه بعد أن خص هذا الرجل بآياته وعلمه الاسم
 الأعظم وخصه بالدعوات المستجابة لما تبع الهوى انسلك من الدين فصارت درجة الكلب
 وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله تعالى في حقه أكثر فآذا أعرض عن متابعة الهدى
 وأقبل على متابعة الهوى كان بعده عن الله أعظم وإلى الإشارة بقوله من ازداد علماً ولم يزد
 هدى فلم يزد من الله الأبعد (فقله) أي فصقته التي هي مثل في الخسة (كمثل الكلب) أي كمثل في
 أخس أوصافه وهو (أن تحمل عليه) أي بالطرد والزجر (يلهث) أي يدلع لسانه (أو) ان (تركه
 يلهث) فهو يلهث دائماً على الزجر والطرد أو تركه وليس غيرهم من الحيوان كذلك
 قيل كل شيء يلهث اغما يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال والراحة
 لأن الله طبعه أصمية فيه فكذلك حال من كذب بآيات الله ان وعظته فهو ضال وان تركته
 فهو ضال وكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه
 وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة لازمة كما أن
 الله طبعه لازمة للكلب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع القواد يلهث ان
 جل عليه أو لم يحمل عليه ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب
 ذليلاً دائماً الذلة لا هنا في الحالين وقيل لمادعاً بل على موسى عليه السلام خرج لسانه فوق
 على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك) أي المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)
 فعم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وبجدها ووجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث
 أنهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا بل هم في ضلال على كل حال (فاقصص القصص)
 أي فاخبر يا محمد قومك بهذه الاخبار التي سبقت بها مواقع الوقائع وآثار الايمان حتى لم تدع
 في شيء منها لاساعلى كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم (لعلهم يتفكرون) أي يتدبرون فيها
 فيؤمنون (ساء) أي بس (مثلاً القوم) أي مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا) أي بعد قيام
 الحجّة عليها وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) أي كان ذلك في طبعهم جبلة لهم لا يقدر غير الله
 تعالى على تغييره وتقدير المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى
 غيرها وقوله تعالى (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) تصرّح
 بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها
 مستتزمة للاهتمام والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على
 أن المهتمين كواحد لا يتساوون فيهم بخلاف الضالين والاقصاري في الاخبار عن هدى الله
 بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتمام وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
 غيره لكفاؤه وانه المستلزم للقول بالنعم الآجلة والعنوان له (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (الجنهم)
 كثيراً من الجن والانس) أخبر الله تعالى انه خلق كثيراً من الجن والانس للنازوه من الذين

حقت عليهم الكلمة الازلية بالقاهرة ومن خلقه الله تعالى للنار فلا حيلة له في الخلاص منها
 روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من
 الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدرك فقال
 أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في اصلااب آباءهم وخلق النار وخلق لها
 أهلا وهم في اصلااب آباءهم أخرجه مسلم قال النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من
 علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيه من لا يعتد
 به لهذا الحديث وأجاب العلماء عنه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه نعمنا عن المسارعة الى
 القطع من غير أن يكون عن دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص قوله اعطه فاني لأراه
 مؤمنا فقال أو مسلما قال بعضهم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أن أطفال
 المسلمين في الجنة فلما علم ذلك أخبر به قال وأما أطفال المشركين فقيم ثلاثة مذهب قال الاكثر
 هم في النار تبعالا بآبائهم وتوقف طائفة منهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون
 انهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال
 وأولاد الشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 ولا يوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول المرسل حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي
 الآية دليل وجحة واضحة لمذهب أهل السنة في أن الله تعالى خالق افعال العباد جميعها خيرها
 وشرها لانه تعالى بين باللفظ الصريح أنه خلق كثير من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان
 الله تعالى ولان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم أن
 له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله تعالى وقالت المعتزلة أن اللام في
 قوله لهم من لام العاقبة واستدلوا بذلك بآيات واشعار في الآيات قوله تعالى فالتقطه آل
 فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لهذا الغرض ومنها قول موسى ربنا انك آتيت
 فرعون وملائته زينة وأموا في الحياة الدنيا ربنا امضوا عن سبيك ومن الاشعار قول بعضهم

ولموت تغدوا والوداد ضالها * كما لخراب الدهر تبني المساكن

وقال آخر أموالنا لذوى المبرات نجمة * ودورنا لخراب الدهر نبتة

وقال آخر له ملك ينادى كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال آخر وأتم شمال فلا تجزى * فلاموت ماتلد الوالدات

وهذا مردود لان المصير الى التأويل انما يحسن اذا ثبت الدليل العقلي على امتناع حمل اللفظ
 على ظاهره فاذا لم يثبت كان المصير الى التأويل في هذا المقام عبثا فالحق مذهب أهل الحق
 جعلنا الله تعالى وأهل مودتنا منهم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ثم وصف الله تعالى هؤلاء
 الذين أضلهم بقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) أي لا يبصرون
 بها طريق الحق والهدى (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي الآيات والمواظع سماع تأمل وتذكر

وقال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفتقون بها مصالحتهم المتعلقة بالدينا ولهم أعين يبصرون بها الرغبات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا الشك فيه وما وصفه لهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكية علم أن المراد من ذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قوله الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * وانى ان أشاء بها سمع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع ولم يسلب عنهم هذه المعاني كانت النتيجة (أو ثلث) أي البعداء من المعاني الانسانية (كالانعام) في انهم الاتقهم ولا تعقل ذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير من الشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه كان لافرق بينه وبين البهائم التي لا تدرك شيئا ولما كانوا قد زادوا على ذلك بفقد نفع هذه الحواس قال تعالى (بل هم أضل) سيما من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها فاذا رأت ناراً مشلا لا تقع فيها واذا رأت كلاً مشلاً دخلت فيه والكافر لا يعرف ذلك ولان الحيوان لا قدرة له على تحصيل هذه الفضائل والانسان أعطى القدرة على تحصيلها ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخسر حالاً من لم يكتسبها مع العجز عنها ولان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع ولان الانعام تعرف ربها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولانها تفضل اذا لم يكن معها امر شدد فأما اذا كان معها امر شدد فقل أن تفضل وهو لا الكفار قد جاءهم الانبياء وأنزل عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلالة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (أو ثلثهم الغافلون) قال عطاء عما أعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب (ولله الاسماء الحسنى) ذكر ذلك في أربع سور اولها هذه السورة وثانيها في آخر سورة بني اسرائيل في قوله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أي اياماً تدعوا فله الاسماء الحسنى وثالثها في أول طه وهو قوله تعالى لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ورابعها في آخر الحشر في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى والحسنى مؤنث الاحسن كالذكرى والصغرى (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الصفات وللدعاء شروط منها أن يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ومنها أن يستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ومنها أن يخلص اليه في دعائه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون ان محمداً وأصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين فأُنزل الله تعالى هذه الآية والاسماء الحسنى كما في الحديث الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط
 الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
 الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
 الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
 الوكيل القوى المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي
 القيوم الواحد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر
 الاول الاخر الظاهر الباطن الوال المتعال ابر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك
 الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع
 النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذي قال النووي
 اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه تعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير
 هذه التسعة والتسعين وقوله من أحصاها دخل الجنة المراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها
 لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في حديث آخر سألك بكل اسم سميت به نفسك
 أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم
 أن الله تعالى ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل
 الجنة قال البخاري من حفظها وهو قول أكثر المحققين ونعضده الرواية الاخرى من حفظها
 دخل الجنة وقيل من أحضر بياله عند ذكرها معناه وتفكر في مدلولها وقوله صلى الله عليه
 وسلم أن الله وتر يحب الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا
 نظير واختلفوا هل الاسم الاعظم الله أو الحي القيوم وهل الاسم عين المسمى أو غيره وفي ذلك
 خلاف وقد حقت ذلك في مقدمتي على البسملة والجدلة (وذروا) أي اتركوا (الذين يحدون)
 أي يعملون عن الحق (في أسمائه) أي حيث اشتقوا منها أسماء لا لهمهم كاللات من الله والعزى
 من العزيز ومناة من المنان وقال أهل المعاني الخاد في أسمائه تعالى هو أن تسميه بعالم
 يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسمائه تعالى كلها توقيفية فيجبوزان
 يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخى ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل ويجوز
 أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طيب (سيجوزون) أي في الدنيا والاخرة (ما كانوا يعملون)
 وفي هذا وعيد شديد لمن الخد في أسمائه تعالى وهذا قبل الامر بالقتال وقرأ سورة يحدون بفتح
 الياء والخاء من الحدة والباء قون بضم الياء وكسر الخاء من الخد ولما ذكر سبحانه وتعالى
 أنه خلق النار طائفة ضالين مضلين لمهدين عن الحق ذكر أنه خلق الجنة أمة هادين في الحق
 عادين في الامر بقوله تعالى (ومن خلقنا أمة) أي جماعة (يهدون بالحق وبه) أي بالحق خاصة
 (يعدلون) أي يجعلون الامور متعادلة لازيادة في شئ منها على ما ينبغي ولا تنقص لانا وفقناهم
 فكشفنا عن أبصارهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك واستبدل بذلك على صحة الاجماع
 لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة وأكثر المفسرين انهم أمة محمد صلى الله عليه

وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله ورواه الشيخان وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال وهو يخاطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك اذ لو اخص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكوره فائدة فانه معلوم وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقبلهم العلماء والدعاة الى الدين (والذين كذبوا بآياتنا) أى القرآن وغيره من أهل مكة وغيرهم (نسبتهم) أى نسبتهم اليهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستبعاد والاستئصال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) أى سناخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون وقيل سقتهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بدين ففتح الله تعالى عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فزادوا بذلك تماديا في النفي والضلالة ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون ان نواتر النعم يقرب من الله تعالى وانما هي خذلان منه وتبعد فهو استدراج الله تعالى فيأخذهم الله تعالى أخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول نسيتهم درجهم من حيث لا يعلمون (وأمل لهم) أى أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم ليمتدوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة (ان كبدى) أى أخذى (متين) أى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا) فيعملوا (ما بصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) أى جنون ويرى أنه صلى الله عليه وسلم معد على الصفا فدعاهم فخذ الخذايا بنى فلان يابى فلان يحذرهم بأمر الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لجنون بات يهوت الى الصباح فترأت ومعنى يهوت يصوت يقال هبت به وهوت به أى صاح قاله الجوهري وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى منه لانه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا اتهموا بقلاعى الآخرة ونعيمها مشغولا بالدعاء الى الله تعالى وانذارهم بأسه ونقمته لئلا ينموا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله تعالى من الجنون بقوله تعالى (ان) أى ما (هو الانذير مبين) أى بين الانذار بحيث لا يخفى على ناظر (أولم ينظروا) أى نظرا اعتبارا واستدلال (في ملكوت السموات والارض) أى ملكهم ما البالغ (وما) أى وفيما (خلق الله من شئ) أى غيرهما مما يقع عليه الشئ من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكتها ومتمولى أمرها ليعظم لهم حسرة ما يدعوه اليه وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قذا اقرب) أى ذنبا (أجلهم) عطف على ملكوت وان محضفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون ولا يصح أن تكون أن مصدريه خلافا للبيانى قال التفنيزانى لان المصدرية لا تدخل الافعال غير المصروفة التي لامصادر لها والمعنى أولم

يتناروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل
 مفاجأة الموت ونزول العذاب فلعل أحلهم قد اقرب فيموتوا على الكفر قبل أن يؤمنوا فيصيروا
 الى النار فيجب على العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز والنعيم
 الدائم (فبأى حديث) أى كتاب (بعده) أى الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
 (يؤمنون) أى يصدقون وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء
 وكتابه خاتم الكتب لا تقطاع الوحي بعده صلى الله عليه وسلم (فان قيل) قوله تعالى فبأى حديث
 بعده يؤمنون يدل على أن القرآن حادث كما تمسك به بعض المعتزلة (أجيب) من جهة أهل السنة
 بأن ذلك محمول على الانفاظ من الكلمات ولا نزاع فى حداتها * ثم ذكر تعالى على اعراضهم عن
 الايمان بقوله تعالى (من يضلل الله فلا هادى له) بوجه من الوجوه أى ان اعراض هؤلاء عن
 الايمان لا ضلال الله اياهم ولو هداهم لا آمنوا (ويذرهم) أى يتركهم (في طغيانهم) أى ضلالهم
 وتماديهم فى الكفر (يعمهمون) أى يترددون متحيرين لا يهدون سبيلا وقرأ نافع وابن كثير
 وابن عامر ونذرهم بالنون والباقون بالياء وحزم حزمة والكسائي الراى قال سيبويه انه عطف على
 محل القاء وما بعده من قوله تعالى فلا هادى له لان موضع القاء وما بعده حزم لجواب الشرط
 ورفعها الباكون استئنافا وهو مقطوع عما قبله * ولما بين تعالى التوحيد والنبوة والقضاء والقدر
 أتبعه المعاد لتكمل المطالب الاربعة التى هى أهميات مطالب القرآن مينا ما اشتمل عليه عامة
 الكلام من تلبسهم فى العمه وتلددهم فى أشراك الشبه بقوله تعالى (يسئلونك) يا محمد سؤال
 استهزاء (عن الساعة) أى عن وقتها واختلقوا فى ذلك السائل فقال ابن عباس ان قومنا من
 اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى هى فنزلت هذه
 الآية وقال الحسن وقادة ان قرشا قالوا يا محمد ديننا وبينك قرابة فاذا كررنا متى الساعة
 والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أولان حساب
 الخلق يقضى فيها فى ساعة واحدة فسميت بالساعة لهذا السبب أولانها على طولها عند الله
 تعالى كساعة واحدة وقوله تعالى (أبان) سؤال استقهاهم عن الوقت الذى تقوم فيه
 الساعة ومعناه متى (مرساها) قال ابن عباس منتهأها والمرسى هنام صدر بعنى الارساء
 كقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها أى اجراؤها وارساؤها والارساء الاثبات يقال
 رسايرسوا ذابنت قال الله تعالى والجبال أرساها (قل) لهم يا محمد (انما عملها) أى متى تكون
 (عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الساعة الا الله تعالى اما تأثر الله تعالى بعلمها فلم يطع
 عليه أحد من خلقه ولهذا المسأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 متى الساعة فقال عليه الصلاة والسلام ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال المحققون
 والسبب فى اخفاء الساعة عن العباد أنهم اذ لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها فيكون ذلك
 أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال (لا يجليها) أى يظهرها
 (لوقتها) أى فى وقتها المعين فاللام بعنى فى وهو أولى من قول البيضاوى انها للتأنيب (الاهو)

أى لا يقدّر على اظهار وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو (ثقلت) أى عظمت (فى السموات
 والارض) أى ثقل أمرها وخفى عليها على أهل السموات والارض وكل شئ خفى فهو وثقل
 شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان
 فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقل على القلوب وقوله تعالى (لا تأتكم الابغية) نأ كيداً أيضاً لما
 تقدم وتقرر لكونها بحيث لا تتجىء الا فجأة على حين غفلة من الخلق وعن أبى هريرة رضى الله
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما
 فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقخته فلا يطعمه ولتقومن
 الساعة والرجل قد رفع الاكولة الى فيه فلا يطعمهما ولتقومن الساعة وهو يلبط حوضه
 فلا يسقى فيه اللقحة بفخ اللام وكسرهما الناقة القرية العهد بالساج وقوله يلبط حوضه ويروى
 يلوط حوضه أى يطينه ويصلحه يقال لا ط حوطه يلبطه ويلوطه اذا طينه والاكولة بضم الهمزة
 اللقمة وفى رواية ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته
 والرجل يقوم بسلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه رواه جماعة الشيوخان (يسألونك)
 أى يسألك قومك عن الساعة (كانك حفى عنها) أى عالم بهم من قولهم أحفيت فى المسئلة
 اذا بالغت فى السؤال عنها حتى علمتها وقبل الحفى البار اللطيف ومنه قوله سبحانه وتعالى انه
 كان بى حفياً أى باراً لطيفاً مجيب دعائى اذا دعوته أى يسألونك كانك باراً بهم لطيف
 العشرة معهم وهذا قول الحسن ويؤيده ما روى فى تفسيره أن قريش قالت لمحمد صلى الله عليه
 وسلم ان يئنا وبينك قرابة فاذا كرنا معى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفى فتعفى بهم
 أى تفصمهم لاجل قرابتك بتعليم وقتها وترؤى عليها عن غيرهم ولو أخبرت بوقت المصلحة عليها الله
 تعالى فى اخبارك لبه أكنت مبلغه القريب والغريب من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل
 كانك حفى بالسؤال عنها تحبسه وتؤثره أى انك تكرمه السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى
 استأثر الله تعالى بعلمه ولم يؤته أحداً من خلقه كقوله تعالى (قل) يا محمد (انما علمها عند الله) أى
 استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا هو (فان قيل) قوله تعالى يسألونك عن الساعة
 أيا نمرساها وقوله تعالى ثانياً يسألونك كانك حفى عنها فيه تكرار (أجيب) بأنه لا تكرار لان
 السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والثانى عن كنهه نقل الساعة وشذتها ومهابتها
 فلا يلزم التكرار وقيل ذكر الشئ للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفى عنها
 وعلى هذا تكرار العلماء الخذاق فى كتبهم لايحلون المكرر من فائدة ومنهم محمد بن الحسن
 صاحب أبى حنيفة رحمه الله تعالى (فان قيل) لم أجاب عن الاول بقوله انما علمها عندى ربي
 وعن الثانى بقوله انما علمها عند الله (أجيب) بأن السؤال الاول لما كان واقعاً عن وقت قيام
 الساعة والثانى كان واقعاً عن مقدار شذتها ومهابتها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند
 الله لانه أعظم أسمائه مهابة وعظمة ثم انه تعالى ختم هذه الآية بقوله (ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون) أى لا يعلمون السبب الذى من أجله أخفيت معرفة علم وقت قيامها المغيب عن

الخلق وقيل لا يعلمون ان علمها عند الله وانما استأثر بعلم ذلك حتى لا يبأ لواعنه وروى آن أهل مكة قالوا يا محمد ألا تخبرنا بالسعر الرخيصة قبل أن يغلو فنشتريه ونبيع فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد أن تجذب فدرحل عنها الى ما قد اخضبت فأنزله الله تعالى (قل) لهم (لا أملاك لنفسي نفعا) اجتلاب نفع بأن أبيع فيما اشتريه (ولا ضررا) أي ولا أقدر أدفع عن نفسي ذرا أنزل بها بأن أرتحل الى الارض الخصبه أو من الارض الجلبه (الاماشاء الله) من ذلك ففاهمني اياه ويزفني له وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة بنى المصطلق عثقت ربيع في الطريق فقترت الدواب منها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموت رفاعه بالمدينة وكان فيها غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظر وأين ناقتي فقال عبد الله بن أبي المنافق مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولم يعرف أين ناقتة فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كبت وكبت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى هذه الآية (ولو كنت) أي من ذاتي (أعلم الغيب) أي جنسه (لا استكثرت) أي أوجدت لنفسي كثيرا (من الخير وما مني السوء) أي ولو كنت أعلمه لخالفته على ما هي عليه من استكثار المنافع ويدخل فيه ما يتصل بالخشب واجتناب المضار حتى لا يمسي سوء (ان) أي ما (أنا الانذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) أي يصدقون وقيل لقوم يؤمنون متعلق بنذير وبشير لانهم المستفعدون بهما (هو الذي خلقكم) أي ولم تكونوا شيئا (من نفس واحدة) أي خلقها ابتداء من تراب وهي آدم عليه السلام (وجعل منها) أي من جسدها من ضلع من اضلاعها وقيل من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) أي حواء قالوا والحكمة في كونها خلقت منه ان الجنس الى الجنس أميل والجنسية عله الضم (ليسكن اليها) أي ليأنس بها ويعطمئ اليها اطمنئنان الشيء الى جزئه أو جنسه وانما ذكر الضمير في يسكن بعد ان أثبت في قوله تعالى من نفس واحدة ذهابا الى معنى النفس ليناسب تذكر الضمير في قوله تعالى (فلما تغشاها) أي جامعها ولئلا يوهم لو أن نسبة السكون الى الأنثى والامر بخلافه ازالة للاستيماشه فكانت نسبة المؤانسة اليه أولى (حملت حملا خفيفا) أي خفف عليها ولم تلق منه ما يلقى الحوامل غالباً من الازدي أو محجولا خفيفا وهو النطفة (فحرت به) أي فعاملت به أعمالها وقيامت وقعدت ولم يعقبها عن شيء من ذلك لخفته (فلما أنزلت) أي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها (دعوا الله) أي آدم وحواء عليهما السلام (ربهما) مقسمين (لئن آتيتنا صالحا) أي ولدا سويا لا يعيب فيه (لنكونن من الشاكرين) أي نشكر وأولادنا على نعمته علينا وذلك انه ما جاوزا ان يكون غير سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يزيد لانه الفاعل المختار (فائدة) اتفق القراء على ادغام تاء التأنيث الساكنة في الهمزة (فلما آتاها صالحا) أي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بدنا وقوة وعقلا فكثر وافي الارض وانتشر وافي نواحيها ذكورا واناثا (جعل) أي النوعان من أولادهما الذكور والاناث لان الصالحا صفة للولد وهو الجنس فيشمل الذكر والانثى

والقليل والكثير فكانه قيل فلما آتاهما أولاد اصالحى الخلقة من الذكور والاناث جعل
النوعان (له شركاء) أى بعضهم أصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك وقيل
جعل أولادهما له شركاء (فيمآ آتاهما) أى فيما آتى أولادهما فسماه وعبد العزى وعبد مناف على
حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون
أيشركون ما لا يحاق شيأ وهم يخلقون) أى الاصنام (فان قيل) كيف وحدي يخلق ثم جمع فقال وهم
يخلقون (أجيب) بأن لفظ ما يقع على الواحد والاثني والجمع فوجد بحسب ظاهر اللفظ وجمع
باعتبار المعنى (فان قيل) كيف جمع بالواو والذون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
(أجيب) بأنه لما اعتقد عابدوا الاصنام أنها تعقل وتغزور ردها بالجمع على ما يعتقدهونه وقيل
لما حلت حواء آتاهما ابليس في صورة رجل فقال لهما ما يدريك ما فى بطنك ولعله بهيمة أو كلب وما
يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهم ما منه وهو بضم الهاء وتشديد الميم من
الهم وهو هنا الحزن ثم عاد إليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله على أن يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس حارثا فى الملائكة ففعلت ولما ولدته
سمته عبد الحارث (فان قيل) قد قال البيضاوى وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل أن يكون
الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها
عربية قرشية فطلبها من الله تعالى الولد فأعطاها أربعة بنين فسميهم عبد شمس وعبد مناف وعبد
قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولا عقابى ما المقتدين بهما (أجيب) بأنه
نظرت فى ذلك الى الظاهر والافتقار وى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس
وسكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسميته فعاش فكان ذلك من وصى
الشیطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب وروى عن ابن عباس
أنه قال كانت حواء تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصميمهم الموت فأتاهما
ابليس فقال ان سركا أن يعيش لسكا ولد فسمياه عبد الحارث فسمياه فعاش وجاء فى حديث خذعهما
ابليس مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض وهو قول كثير كجاهد وسعيد بن المسيب وهذا كما
قال البغوى ليس اشرا كافى العبادة ولا أن الحارث ربه ما فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصد الى أن الحارث كان سبب نجات الولد وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به
انه محلول كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا كما راجل اذ انزل به ضيف يسمى
نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لاعلى وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر
وانى لعبد الضيف مادام ناويا * ولا شعبة لى بعد هاتسبه العبد

وتقول للغير أنا عبدك قال الرازى ورأيت بعض الافاضل كتب على عنوان عبود ودود فلان
وقال يوسف عليه السلام اعز بى مصر انه ربى ولم يرد به معبوده كذلك هذا فقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون ابتداء كلام وأزيد به اشرا بالاهل مكة وقرأ نافع وشعبة شركا بكسر
السين وسكون الراء وألف مفعولة بعد المكافى فى الوصل وفى الوقف يغير تنوين أى شركا

والباقون بضم الشين وفتح الراء وبعد الكاف ألف بعدهم هاء مضمومة مفتوحة (فان قيل) المطاع
 ابليس فكيف يعبر بالجمع (أجيب) بأن من أطاع ابليس فقد أطاع جميع الشياطين هذا ان
 حلت هذه الآية على القصة المشهورة اما اذا لم نقل به فلا حاجة الى التأويل (ولا يستطيعون)
 أى الاصنام (لهم) أى لعابديهم (نصرا) أى لا تقدر على النصر ان أطاعها وعندنا ولا تضر
 من عصاها والمعبود الذى يجب عبادته يكون قادرا على ابطال النفع والضرر وهذه الاصنام
 ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها (ولا أنفسهم ينصرون) أى وهى لا تقدر
 أن تدفع عن نفسها مكر وهما فان من أراد كسرها قد رعليه وهى لا تقدر على دفعه عنها
 والاستعانة بهم التوبيخ ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى)
 أى الى الاسلام (لا يتبعوكم) أى لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية وقرأ نافع
 يسكون التاء وفتح الباء الموحدة والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة (سواء)
 عليكم أَدْعَوْهُمْ الى الهدى (أم أنتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالتين
 لا يؤمنون وقيل الضمير في تدعوهم للاصنام أى ان هذه الاصنام التى يعبدونها المشركون معلوم
 من حالها أنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهدى وذلك أن المشركين كانوا اذا
 وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا الى أصنامهم واذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا فقبل لهم
 لافرق بين دعائكم الى الاصنام وسكونكم عنها فانها عاجزة في كل حال (ان الذين تدعون)
 أى تعبدون (من دون الله عباد) أى مملوك (أمثالكم) فهمى لا تملك ضمرا ولا تنفعا (فان قيل)
 كيف وصفها بأنها عباد مع أنها اجاد (أجيب) بأن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر
 وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاحتمت فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدتهم تبيكنا
 لهم وتوق بخلاف ذلك قال (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في كونها آلهة ولم يقل
 فادعوهن فليستجيبن وقال ان الذين لم يقل التى وبأن هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء
 بالمشركين لانهم لما اتخذوها بصورة الاناسى قال لهم ان نصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عتلاء
 أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما انه لا يستحق بعضكم عبادة بعض فلم جعلتم أنفسكم عبيدا
 وجعلتموها آلهة وأربابا ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالكم بقوله تعالى (ألهم أرجل يمشون
 بها أم) (ألهم أيدي يمشون بها أم) (ألهم أعين يمشون بها أم) أى بل (ألهم أذان
 يسمعون بها) وهذا الاستفهام انكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم
 وأنتم أتم حال منهم اذ لا يليق بالانسان العاقل أن يشتمغل بعبادة الاخس الادون الارذل ونظير
 هذا قول ابراهيم الخليل عليه السلام لا يه لم تعبد ما لا تسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شئ وقد تعلق
 بعض الجهال بهذه الآية في اثبات هذه الاعضاء لله تعالى فقال ان الله تعالى جعل عدم هذه
 الاعضاء لهذه الاصنام دليلا على عدم الهيئتها فلو لم تكن هذه الاعضاء موجودة لله لكان عدمها
 دليلا على عدم الالهية وذلك باطل فوجب القول باثبات هذه الاعضاء لله تعالى (أجيب) بأن
 المقصود من هذه الآية بيان أن الانسان أفضل وأحسن حالا من الصنم لان الانسان له رجل

ماشية ويدباطشة وعين باصرة وأذن سامعة والصنم رجله غير ماشية ويده غير باطشة وعينه غير
 مبصرة وأذنه غير سامعة فكان الانسان أفضل وأكمل حالاً من الصنم فاشتغال الافضل الاكمل
 بحال الاخص الادون جهل فهذه احوال المقصود من ذكر هذا الكلام لا مذهب اليه وهم هؤلاء
 الجهال (قل ادعوا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا (شركاءكم) أي الى هلاكى (ثم كيدون)
 قال الحسن كانوا يخوفونه صلى الله عليه وسلم بألهمهم فقال الله تعالى له قل لهم ادعوا شركاءكم
 ثم كيدون أي ليظهر لكم أنهم لا قدرة لها على ابطال المضار التي توجبها وقرأ أبو عمر وبائبات الباء
 وصلوا ووقفوا وهشام له فيها وجهان الاثبات والحذف وصلوا ووقفوا والباقيون يحذفونهم وصلوا
 ووقفوا * ثم تهكم عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (فلا تنتظرون) أي فاجعلوا في كيدي أنتم
 وشركاؤكم فانهكم لا تقدرين على ذلك وعلى عدم قدرتهم على ذلك بقوله (ان ولي الله) الذي
 يتولى حفظي ونصري هو الله (الذي نزل الكتاب) المستعمل على هذه العلوم العظيمة النافعة
 في الدين وهو القرآن (وهو) أي الله سبحانه (يتولى الصالحين) أي ينصرهم وحفظه فلا يضرهم
 عداوة من عاداهم قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئاً ولا يعصونه في عاداته
 تعالى أن يتولى الصالحين من عبادته فضلاً عن أنبيائه وفي هذا مدح للصالحين وأن من تولاه الله
 تعالى يحفظه لا يضره شيء وعن عمر بن عبد العزيز أنه ما كان يدخله ولا دابة شيئاً فقل له فبنيته فقال
 ولدي اما أن يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوليه هو الله تعالى ومن
 كان الله تعالى له ولما فلا حاجة له الى مالي وان كان من المجرمين فقد قال الله تعالى فلن أكون
 ظهير للمجرمين ومن رده الله تعالى لم أكن مستغلاً بهم ماته (والذين تدعون من دونه) أي الله
 (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) أي فكيف أبالي بهم (فان قيل) هذه الاشياء قد
 صارت مذكورة في الآيات المتقدمة في الفائدة في تسكيرها (أجيب) بأن الاول مذكور على
 جهة التقرير وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كأنه قيل
 الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون
 سالحة للالهية (وان تدعوههم) أي الاصنام (الى الهدى لا يسمعون) ادعاهم (وتراهم) يا محمد
 (ينظرون اليك) أي يقابلونك كالناظر (وهم لا يصرون) لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من
 يواجهه وقال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه ان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى
 لا يسمعون ادعاهم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يصرون
 أي يصارقونهم * ولما بين تعالى أن الله هو الذي يتولاه وان الاصنام وعابديها لا يقدرين
 على الايذاء والاضرار بين ما هو المنتهج القويم والصراط المستقيم في معاملته الناس بقوله
 تعالى (خذ العفو) أي اقبل الميسور من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل
 قبول الاعتذار ويدخل في ذلك ترك التشديد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضاً
 التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والغلظة قال تعالى ولو كنتم فظاً غليظاً القلب
 لاتفضوا من حولك وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال

الشاعر خذني العفومني تستدعي مودتي * ولا تنطق في سورتي حين أغضب
 وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل ما هذا قال لا أدرى حتى
 أسأل ثم رجع فقال إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
 عمن ظلمك (وأمر بالعرف) أي بالمعروف قال عطاء بلا إله إلا الله (وأعرض عن الجاهلين) أي
 فلا تقابلهم بالسفاهة وذلك مثل قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وذلك سلام التاركة
 وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه
 الآية وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً
 ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن جابر
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني بمكارم الأخلاق وعظام محاسن
 الأفعال * قال أبو زيد لما نزل قوله تعالى وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
 كيف يارب والغضب فقول (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ينزعك من
 الشيطان نزغ) أي وسوسة وقوله تعالى (فاستعذ) أي فاستجد (بالله) جواب الشرط
 وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك * (تنبه) * احتج الطاعنون في عصية الانبياء بهذه
 الآية وقالوا لولا أنه يجوز من النبي الاقدام على المعصية والذنب لم يحتج الى الاستعادة
 (وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول ان معنى هذا الكلام ان حصل في قلبك نزغ فاستعذ بالله
 كما أنه تعالى قال لئن أشركت ليحبطن عملك ولم يدل ذلك على أنه أشرك الثاني على تقدير أنه
 لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله تعالى قد عصم قلب نبيه صلى الله عليه وسلم من قبولها
 وشبها في قلبه وانما القادح لو قبل صلى الله عليه وسلم وسوسة والاية لا تدل على ذلك وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان الا ومعه شيطان وفي رواية ما منكم من أحد الا وقد
 وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا ويايها رسول قال ويايها الا أن الله تعالى
 أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وفي رواية لاكنه أسلم بعون الله فلقد أناني فأخذت بحلقه
 ولولا دعوة سليمان لأصبح في المسجد طريحاً قال النووي يروي بفتح الميم وضمها في ضمها معناه
 فأسلم أنا من شره وقتته ومن فتحها قال معناه ان القرين أسلم أي صار مسلماً فلا يأمرني الا بخير
 الثالث أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره أي واما ينزعك أيها الانسان من
 الشيطان نزغ فاستعذ بالله كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (أنه سميع) لا تقول
 (عليم) بالفعل وفي الآية دليل على أن الاستعادة باللسان لا تفيد الا اذا حضر في القلب العلم
 بمعنى الاستعادة فكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعادة بلسانك فاني سميع واستحضر معني
 الاستعادة بعقلك وقلبك فاني عليم بما في ضميرك وفي الحقيقة القول اللساني بدون المعارف
 القلبية عديم الفائدة والاثر (ان الذين اتقوا اذا مسهم) أي أصابهم (طيف) أي شيء ألم بهم
 (من الشيطان نذروا) عقاب الله ونوابه (فاذا هم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون وقرأ
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي يباسا كنه بعد الطاء والباقون بألف بعد الطاء بعد هاهمة

مكتوبة (واخوانهم) أي واخوان الشياطين من الكفار (يبدونهم) أي يبدونهم الشياطين
(في الغي) أي يزيدونهم في الضلالة بالتزيين والجل عليهم (ثم لا يقصرون) أي لا يكفون عن الضلالة
ولا يتكفونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر
وعرف ذلك فزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستقر في ضلاله لا يتذكر ولا يرعى (وإذا لم تأتهم)
أي أهل مكة (بآية) أي مما اقترحوها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا
(فألو لا اجتنبها) أي هلا تفوتنا من عند نفسك كسأرا ما تقره فانهم كانوا يقولون ان هذا
الافك مفترى تقول العرب اجنبت الكلام اخلفته واقبلته وأنشأته من عندك وهلا طلبتها
من ربك منزلة عليك مقترحة قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألو الآيات
(انما أتبع ما يوحى الي من ربي) أي ليس لي ان أقترح علي ربي في أمر من الامور انما انظر الوحي
فكل شيء أكرمني به قلته والافلاواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الاتيان بتلك
المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة باهرة
فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب
التعنت فذكر في وصف القرآن ألفاظا ثلاثة أولها قوله (هذا بصائر من ربكم) أي هذا القرآن
فيه حجة وبرهان وأصل البصائر الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن
سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة فهو من باب
تسمية السبب باسم السبب وثانيها (وهدي) أي وهو هدى وثالثها (ورجة) أي وهو رجة (لقوم
يؤمنون) فان قيل ما الفرق بين هذه المراتب الثلاث (أجيب) بأنهم متفاوتون في درجات
العلوم فتنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم
أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق القسم الاول وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني
وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رجة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وانصتوا) أي عن الكلام (لعلكم ترحمون) أي لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمرت به من أوامره
واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب قوم الى أنها نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها
فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يتكلمون
في الصلاة بجوامعهم فأمروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت في ترك
الجهل بالقراءة خلف الامام وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع
الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون
اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود أنه سمع ناسا يقولون مع
الامام فلما انصرفوا قال اما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما أمركم
الله وهذا قول الحسن والزهرى ان الآية نزلت في القرآن في الصلاة وقال سعيد بن جبيرة وعطاء
ومجاهد ان الآية نزلت في الخطبة أمروا بالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد

العزير الانصات لكل واعظ وقيل معناه واذا اتلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له
وانصتوا وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تتجاوزوه قال البغوي والاقول اولها وهو انها
في القراءة في الصلاة لان الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة قال البيضاوي وظاهر الآية يقتضي
وجوب ما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعمامة العلماء على استحبابهم ما خارج الصلاة واحتج به من
لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف اهـ أي مردود بخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها
بفاتحة الكتاب وقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما
والمراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة الله تعالى جل جلاله لان الذكر باللسان اذا
كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واشعاره عظمة
المذكور تعالى قال الرازي سمعت بعض الاكابر من أصحاب القلوب كان اذا أراد أن يأمر
واحدا من المريدين بالخلو والذكر أمره أربعين يوما بالخلو والتصفية ثم عند استكمال هذه
المدة وحصول التصفية الكاملة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول للمريد اعتبر
حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عنده سماعة قوى تأثره وعظم تشوقه
فاعلم ان الله تعالى انما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم
بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب اهـ وقيل ذلك أمر للمأموم بالقراءة سرا
بعد فراغ الامام من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (نضرا) أي تذلا
(وخيفة) أي خوفا منه * (فائدة) * انما قال تعالى واذا كركبك ولم يقل واذا كرك الهك ولا غيره من
الاسماء وانما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا وأضاف نفسه اليه وكل ذلك يدل على نية الربة
والقريب والفضل والاحسان والمقصود منه أن يصير العبد فرحا مسرورا مبتهجا عند سماع
هذا الاسم لان لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد أقسام انعام
الله تعالى عليه وبالحققة لا يصل عقله الى أقل أقسامه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فعند انكشاف هذا المقام في القلب يقوى الرجاء فاذا سمع بعد ذلك قوله نضرا وخيفة عظم
الخوف وحينئذ يحصل في القلب موجبات الرجاء وموجبات الخوف وعنده يكمل الايمان كما
قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا وهذا جرى عليه بعضهم في حالة
العصاة فيكون الخوف والرجاء مستويان والذي جرى عليه الغزالي وهو التحقيق أنه ان قوى
رجاؤه يقوى جانب الخوف والعكس بالعكس وأما حال المرض فيكون جانب الرجاء أرجح وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
تجد قال أرجو الله يا رسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف (ردون الجهر من القول)
أي ومثلكما كلاما فوق السرودون الجهر أي قصدا بينهما فانه أدخل في الخشوع والاخلاص
(بالقدوة) جمع غدوة وقيل انه مصدر (والأصال) جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر الى الغروب
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو آخر الموت الى

الليظة التي هي كالحياة فاستجب له أن يستقبل حالة الاتقاء من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله تعالى وأما وقت الاتصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب الذكر لأن حاله تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله وقيل إنما خص بالذكر لأن الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة واستحب للعبد أن يذكر الله تعالى فيهما ليكون في جميع أوقاته مشغولاً بما يقربه إلى الله تعالى من صلاة وذكر وقيل إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب فاستحب له الذكر فيه ما ليكون ابتداء عمله بالذكر وختامه بالذكر (إن الذين عند ربك) أي الملائكة المقربون بالفضل والكرامة (لا يستكبرون) أي لا يستكبرون (عن عبادته) لأنهم عبيدة خاضعون اعظمته وكبريائه (ويسبحونه) أي وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان الله ربنا (وله يسجدون) أي ويخضعون له بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وفي هذا الإشارة إلى أن الأعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فأعمال القلوب هي تنزيه الله تعالى عن كل ما سواه وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربون في عبادتهم وعن معاذ قال سألت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حدثني حديثاً ينفعني الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة وعن عبد الله بن عروة رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وتسجد معه حتى ما يجذب بعضنا موضعاً لمكان جبهة في غير وقت صلاة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار والحديث الذي ذكره البيضاوي تعالى من شئى وهو من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الانفال مدنية﴾

وقيل الا وانك تكذب الذين كفروا والآيات السبع فكملة وهي خمس أوست أو سبع وسبعون آية وألف وخمسة وسبعون كلمة وخمسة آلاف وغانون حرفاً

(بسم الله) الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم جميع خلقه بنعمه المتواترة (الرحيم) الذي خص من أراد من عبادته بما يرضيه فكان حامداً وشاكراً (يستأنس) بأشرف الخلق يا محمد (عن الانفال) أي الغنائم إن هي وكيف مصرفها وانما سميت الغنمة

أقلالانها عطية من الله تعالى وفضل منه كما يسعى به ما بشرطه الامام لمقتسم خطر عطية له وزيادة
 على سهمه (قل) يا محمد لهم (الاتفال لله والرسول) يجعل لانها عيشة أو أكثر المفسرين ان سبب
 نزولها اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم فقال الشبان هي لنا لاننا باشرنا القتال وقال
 الشيوخ كآرد آلكم ولولا انكم كنتم لقتلتم البنا فزات وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لمن كان له غناء وهو يفتح الغني المجبة والمدة النفع أن يتقله فإرش بانهم حتى قالوا سبعين
 وأسر واسبعين ثم طلبوا انظلمهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
 الرايات كآرد أي عونا لكم وقته تهازون البنا فزات وقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرک وعن عباد بن الصامت نزلت فينا معاشر أصحاب
 بدر حين اختلافنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا فترعه الله من أيدينا فجعله لرسوله صلى الله عليه
 وسلم تقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واصلاح ذات البين وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه قال لما كان يوم بدر وقاتل
 أخى غير وقتل به سعيد بن العاص وأخذت سيفه وأتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واستوهبته منه فقال هذا ليس لي ولالك اطرحه في القبض وهو يفتحني ما قبض من الغنائم
 فطرحت وبني ما لا يعلم الا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سبلي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
 الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي اذهب
 نخذه وقيل انه نزلت فيما يصل من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو
 للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء واختلفوا هل هذه الآية منسوخة أو لا فقال مجاهد
 وعكرمة هي منسوخة بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان الله خسه وللرسول الآية فكانت
 الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم تقسمها الله تعالى بالنسب وقال بعضهم هي ناسخة من وجه
 ومنسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرايع انبيائهم
 وأباحها الله تعالى بهذه الآية لهذه الامة وجعلها ناسخة للشرع من قبلنا ثم نسخت بالآية بالنسب
 وقال عبد الله بن زيد بن أسلم هي ناسخة غير منسوخة ومعنى الآية قل الانفال لله وللرسول
 يضعها حيث أمره الله تعالى وقدين الله تعالى مصارفها في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان
 الله خسه الآية (فان قيل) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول (أجيب) بأن معناه أن حكم
 الغنime يختص بالله ورسوله بامر الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول صلى الله
 عليه وسلم أمر الله تعالى فيها وليس الأمر في قسمها مفوضا الى رأى أحد (فأتقوا الله) بطاعته
 واتركوا مخالفته واتركوا الخاصة والمنازعة في الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) أي وأصلحو
 الحال فيما بينكم بالمودة وترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله)
 فيما يأمركم به وينهاكم عنه (ان كنتم مؤمنين) حذوا ان الايمان يقتضي ذلك (انما المؤمنون)
 أي الكاملون في الايمان (الذين اذا ذكر الله) أي وعبدوه (وجلّت) أي خافت وخضعت وورقت
 (قلوبهم) أي أن المؤمن انما يكون مؤمنا كاملا اذا كان خائفا من الله تعالى وتقديره قوله

تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون (فان قيل)
انه تعالى قال هذا وجات قلوبهم وفي آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما
(أجيب) بأنه لا منافات بينهما لأن الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من اليقين
وشرح الصدق معرفة التوحيد وهذا مقام الخوف والزجاء وقد اجتمع في آية واحدة وهي قوله
تعالى نقشه عن من جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند رجاء ثواب
الله وقال أهل التحقيق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الجلال
والعظمة وهو خوف الخواص لانه تعالى غنى بذاته عن كل الموجودات وما سواه من المخلوقات
محتاجون اليه والمحتاج اذا حضر عند الملك الغنى هابه وخافه وليست تلك الهيبة من العقاب
بل مجرد علمه بكونه غنيا عنه وكونه محتاجا اليه يوجب تلك المهابة وذلك الخوف وأما العصاة
فيخافون عقابه والمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر معرفته (واذا تلئت عليهم آياته
زادتهم ايمانا) أى تصديقا وبقينا لأن زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه
الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت عنده الدلائل
أكثر وأقوى كان أزيد ايمانا لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لو وزن
ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند
الله ولما كانت التكليف متوالية في زمنه صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف كانوا
يزدادون تصديقا وقرارا ومن المعلوم أن من صدق انسانا في شئ كان أكثر من صدقه في شئ
واحده وقوله تعالى واذا تلئت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا
بقرار جديد فكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق (فان قيل) ان تلك الآيات لا توجب الزيادة
وانما الموجب هو سماعها أو معرفتها (أجيب) بأن ذلك هو المراد من الآية واختلاف أهل
الايمان يقبل الزيادة والنقصان أولا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا
يقبل الزيادة ولا النقصان والذين قالوا انه مجموع الاعتقاد والقرار والعمل قالوا يقبل
الزيادة والنقصان واحتجوا بهذه الآية من وجهين الاول أن قوله تعالى زادتهم ايمانا يدل على
أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
قبل النقص الوجه الثانى انه تعالى ذكر في هذه الآية أوصافا متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال
بذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخله في معنى الايمان
وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون
شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
ففى الحديث دليل على أن للايمان أدنى وأعلى فيكون قابلا للزيادة والنقصان وقال عمر بن
حبیب ان للايمان زيادة ونقصا ناقيل له فبان زيادته وماتقصانه فقال اذا ذكرنا الله وحده فذلك
زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان

للإيمان فرائض وشرائط وحدودا وستنافي استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها
 لم يستكمل الإيمان * ثم وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بصفة أخرى تالفة وهي الاتكال عليه
 بقوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون جميع أمورهم إليه لا يرجون غيره ولا يخافون
 سواه لأن المؤمن إذا كان واثقا بوعده الله تعالى ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره
 وهذا الحال مرتبة عالية ودرجة شريفة وهي أن الإنسان بحيث يصبر لا يبقى له اعتماد في أمر
 من الأمور إلا على الله تعالى وهذه الصفات الثلاث مرتبة على أحسن صفات الترتيب فإن
 المرتبة الأولى هي الوجل عند ذكر الله والمرتبة الثانية هي الانقياد لمقامات تكاليفه والمرتبة
 الأخيرة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنى بالكلية
 عما سوى الله ثم إن هذه المراتب الثلاث أحوال معتبرة في القلوب والبواطن ثم انتقل منها إلى
 رعاية أحوال الظاهر فقال (الذين يقيمون الصلاة) أي الذين يؤدونها بحجة وقها (ومارزقناهم)
 أي أعطيناهم (يتقون) في طاعة الله لأن رأس الطاعات المعبرة في الظاهر ورئيسها بذل
 النفس في الصلاة وبذل المال في مرضاة الله ويدخل في ذلك صلاة الفرض والنفل والزكاة
 والصدقات والاتفاق في الجهاد والاتفاق على المساجد والقناطر ثم قال تعالى (أولئك) أي
 الموصوفون بهذه الصفات الخمسة (هم المؤمنون حقا) لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم
 أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي المعيار عليها
 وهي الصلاة والصدقة وحقا مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقوله هو
 عبد الله حقا أي أحق ذلك حقا * (تنبيه) * اختلف العلماء في أنه هل الشخص أن يقول أنا مؤمن
 حقا أو لا فقال أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء
 الله تعالى ولا يقول أنا مؤمن حقا وقال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول
 أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول إن شاء الله تعالى واستدل للأول بوجوه الأول أن قوله
 أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ليس على سبيل الشك ولكن الشك إذا قال أنا مؤمن فقد مدح
 نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله تعالى زال ذلك العجب
 وحصل الانكسار له الثاني أن الله تعالى ذكر في أول الآية ما يدل على الحصر وهو قوله تعالى
 أنا المؤمنون هم كذا وكذا وكلمة أنا تفيد الحصر وذكر في آخر الآية قوله تعالى أولئك هم
 المؤمنون حقا وهذا أيضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الآية على هذا المعنى ثم أن الإنسان لا يمكنه
 القطع على نفسه بمحصل هذه الصفات الخمس فكان الأولى له أن يقول إن شاء الله تعالى وعن
 الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت فقال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن بها وإن
 كنت تسألني عن قوله تعالى أنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري
 أنا منهم أم لا وقال سفيان الثوري من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة
 فقد أم من نصف الآية وهذا الزام منه أي كمال الانقطاع أنه من أهل الجنة قطعا فلا ينقطع

أنه مؤمن حقا الثالث أن قوله أنا مؤمن أن شاء الله تعالى للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وأنا أن شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي بأنه لاحق بأهل القبور الرابع أن المؤمن لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا ختم بالإيمان ومات عليه وهذا لا يحصل إلا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن أن شاء الله تعالى فالمراد صرف هذا الاستثناء إلى الخامسة الخامس أن ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع ألا ترى أنه تعالى قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمين وهو تعالى منزوع عن الشك والريب فثبت أنه تعالى انما ذكر ذلك تعليلًا منه لعباده فالأولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض الأمور إلى الله تعالى حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الإيمان واستدل الثاني بوجهين الأول أن المتحرك يجوز أن يقول أنا متحرك ولا يجوز أن يقول أنا متحرك أن شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذا ههنا الثاني أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا فكان قوله أن شاء الله يوجب الشك فيما قطع الله تعالى لهم به وذلك لا يجوز وأجاب الأول عن قولهم المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك أن شاء الله تعالى بالفرق بين وصف الإنسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا إذا الإيمان يتوقف حاله على الخامسة والحركة فعل للإنسان نفسى فحصل الفرق بينهما وعن قولهم أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فحكم لهم بكونهم مؤمنين حقا إذا أتوا بتلك الأوصاف الخمسة على الحقيقة ونحو ذلك فثبت حينئذ أن الصواب مع أصحاب القول الأول (لهم) أى للموصوفين بتلك الصفات (درجات) أى منازل في الجنة (عند ربهم) بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أعمالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة على قدر أعمالهم قال عطاء درجات الجنة يرتفعون فيها بأعمالهم وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في أحدا حق لو سعتهم (ومغفرة) أى لما فرط منهم (ورزق كريم) أعقب لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى أمده (فان قيل) أليس المفضل إذا علم حصول الدرجات لعالية للفاضل وحرمانه منها فإنه يتألم قلبه ويتغصن عيشه وذلك يحيل كون الثواب رزقا حسنا (أجيب) بأن استغراق كل أحد في سعادته الحاضرة غمعه من حصول النظر إلى غيره وبالجملة فأحوال الآخرة لا تناسب أحوال الدنيا إلا بالاسم وقوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقتضى تشبيه شئ بهذا الإخراج واختلّفوا في تقدير ذلك فقال المبردة قد يره الانقال لله والرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال وإن كانوا كارهين له قال الرازى وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة في هذا الموضع وقال عكرمة تقديره فأنقوا الله وأصلحو أديبكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد من بيته خير لكم وإن كرهه فريق منكم وقال الكشاف الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يمجّدونك في الحق والتقدير كما أخرجك

ربك من بيتك بالحق على كره فربى من المؤمنين كذلك هم بكرهون القتال ويحاديرونك فيه وقل
الكاف بمعنى على تقديره امض على الذى اخرجك ربك وقل الكاف بمعنى اذ تقدره واذكر
اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق (وان فريقامن المؤمنين لكارهون) الخروج والجملة حال من
كاف اخرجك وقل كما خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحالة فى كراهتهم لها مثل اخرجك فى حال
كراهتهم وقد كان خيرا اليهم فكذلك هذه أيضا وذلك ان أباسفيان قدم بعير من الشام فى أربعين
واكباً منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى وفيها تجارة كثيرة فأخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأجمعهم لى العير لكثرة المال وقلة العبد فلما سمع
أبوسفيان بسير النبي صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعته الى مكة
وأمره أن يأتى قريشا فيستغفرهم ويخبرهم أن محمداً وأصحابه قد خرجوا العيرهم فخرج ضمضم
سريعا الى مكة وكانت عاتكة أخت العباس بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال
رأت رؤيا فالت لآخيه العباس انى رأيت عجا رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف
بالإبط ثم صرخ بأعلى صوته ألا انقروا يا آل عذرله ارفعكم فى ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا
عليه ورأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بهم ورمى أى رعى بها الى
فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فقال العباس اكتبها فلا تدكرها
لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان صديقه فذكرها له
واستكفمه فذكرها الوليد لآبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس
فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى رهط من قريش فعوذيت بعد ثوب برؤيا عاتكة فلما
رأى أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل علينا قال فلما فرغت من طوافى
أقبلت حتى جلست معهم فقال أبوجهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه القصة فيكم قالت
وماذا قال الرؤيا التى رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضىتم ان تتبنوا رجالكم
حتى تتبنوا نسائكم قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انقروا فى ثلاث فتربص بكم الثلاث فان
بك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا أنكم اكذب
أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير أمر إلا بنى جدد ذلك وأنكرته ان
لا تكون عاتكة رأت شيا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم يبق أمرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتني فقالت
أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجاكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك
غيرة لشيء مما سمعت قال قلت والله ما كان منى اليه من شئ وإيم الله تعالى لا تعرضن له فان عاد
لا كفيسكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى ان قد فأتني
منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت قال فوالله انى لامشى نحوه لا تعرضه
ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان أبوجهل رجلا خفيا حديد الوجه حديد اللسان حديد
النظر اذ خرج نحو باب المسجد شمتة قال قلت ماله لعنه الله كان هذا فرأيتني أن أشأته قال
فاذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يعلن الواذى واقفا على بعيره وقد حوّل

رحله وشق قبضه وهو يقول يا معشر قريش هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد
 وأصحابه فنأدى أبو جهل فوق الكعبة يأهل مكة النجاء النجاء وهو بالمتأسرع منصوب على
 الاغراء أي الزموا الاسراع على كل صعب وذلول أي أسرعوا مجتمعين ولا تفقن لان تحتاروا
 للركوب ذلولادون صعب غيركم أموالكم ان أصابهم محمد ان تفلخوا بعدها أبد ان خرج أبو جهل
 بجمع أهل مكة وهم النفير في المثل لافي العز ولا في النفير فقبل له ان العير أخذت طريق الساحل
 ونجت فارجع بالناس فقال والله لا يكون ذلك أبد حتى تفر الجزور ونشرب الخور ونقيم القينات
 والمعازف بيدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمد لم يصب العير فانا قد أعضضناه فغضى
 بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومافى السنة ونزل جبريل عليه السلام
 وقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
 اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب اليئامن لقاء العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم رد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله
 عنهما فأحسنوا الكلام وأمالاه الى المضى الى العدو ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرنا فاقض
 فوالله لو سرت الى عدن أبين وهى مدينة معروفة باليمن وأبين بوزن أبيض اسم رجل من حمير عدن
 بها أى أقام ما تختلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما
 أمرك الله فانامعك جميعا أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
 اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون
 فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم
 قالوا الذين بايعوه على العقبة انابراهم من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الى ديارنا فانت
 فى ذمامنا نمنعك مما تمنع منه ابناؤنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف ان تكون
 الانصار لا ترى عليهم نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لك انك تريدنا
 يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك
 على ذلك عهدونا ومو ائتمنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أوردت فوالله الذى بعثك
 بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تختلف منا رجل واحد وما نكره
 ان تلقى بنا عدونا وانالصر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك مناماتقربه
 عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد رضي الله عنه
 قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكافى الان أنظر
 الى مصارع القوم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن
 أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يري نامصارع أهل بدر بالامس يقول هذا
 مصارع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصارع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه

بالحق نبيا ما أخطأ الحدود التي حدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على
 بعض فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم
 ما وعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر كيف تكلم أجساد الأرواح
 فيها فقال ما أنتم اسمع لما أقول لهم منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا وروى أنه قيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونهاشي فناداه العباس وهو في
 وثاقه أي قبله وكان العباس حينئذ مأسورا مقيدا لا يتصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال
 لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكأن الكراهة من بعضهم لقوله تعالى
 وإن فرى قام من المؤمنين لكارهون (يجادلونك في الحق) أي القتال (بعد ما تبين) أنك لا تصنع شيئا
 إلا بأمر ربك (كما تبين) يساقون إلى الموت وهم ينظرون) إليه أي يكرهون القتال كراهة من
 من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وذلك أن المؤمنين لما يقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم
 يعلمنا أن تأتي العدو فتستعد للقائهم وانما خرجنا لطلب العير اذ روى أنهم كانوا رجالة وما كان
 فيهم إلا فارسان وفيه إيمان إلى أن مجادلهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم (واذ) أي واذا كراذ
 (يعبدكم الله إحدى الطائفتين) أي العير أو النضير واحد من مفعولي يعبدكم وقد أبدل منها
 (أنها لكم) بدل اشتمال (وتودون) أي تريدون (أن عبر ذات الشوكه) أي القوة والشدة
 والسلاح وهي العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها اذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا بخلاف
 النضير لكثرة عددهم وعددهم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه (ويريد الله أن
 يحق الحق) أي يظهره (بكلماته) أي بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكه وبما أمر الملائكة
 من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قلب بدر (ويقطع دابر الكافرين)
 أي يستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكرها والله يريد إعلاء الدين
 وإظهار الحق وما يحصل لكم من فوز الدارين (ليحق الحق) أي يثبت الاسلام (ويبطل الباطل)
 أي يمحى الكفر (ولو كره الجرمون) أي المشركون ذلك (فان قيل) قوله تعالى ليحق الحق
 بعد قوله أن يحق الحق يشبه التكرار (أجيب) بأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول
 لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حل الرسول على
 اختيار ذات الشوكه على غيرها ونصره عليها (اذ) أي واذا كراذ (تستغيثون ربكم) واستغاثتهم
 أنهم لم يعلموا أن لا يحص من القتال أخذوا يقولون ربنا انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث
 المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى
 أصحابه وهم ثلثمائة أي وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني
 اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه وأخذ أبو بكر
 رضي الله تعالى عنه فأتاه على منكبه والتممه من وراءه وقال يابني الله كفالته ما شدتك ربك
 فإنه سينجز لك ما وعدك وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء
 والباء قون بالادغام (فاستجاب لكم أي) أي بأني تخذف الجمار وساط عليه استجاب فنصب بحمله

(عندكم بألف من الملائكة مردفين) أي متتابعين يردف بعضهم بعضا. وقرأ نافع بفتح الدال وقيل بالفتح والكسر والباقون بالكسر وعددهم بالالف أو لاثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف كما في آل عمران فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وميكائيل عليه السلام على الميسرة وفيها علي رضي الله تعالى عنه في صور الرجال عليهم عمام بيض وشباب بيض قد أرخوا أذانهم بابين أكا فهم فقاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين وروى أن أبا جهل قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لأنهم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشهد في طلب رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك وقد ختر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقاتلوا يوم بدر سبعين وأسر واسبعين وعن أبي داود المازني تبع رجل من المشركين لاضر به يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال لقدر أقاتل يوم بدر وإن أحدنا ليسير بسيفه إلى المشرك فتقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وقيل أنهم لم يقاتلوا وإنما كانوا يكترون السواد ويثبتون المؤمنين والافلاك واحد كاف في أهلاك أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد غود قوم صالح عليه السلام بصيحة واحدة وقيل يدل على هذا قوله تعالى (وما جعله الله إلا بشري) أي وما جعله إلا رداف بالملائكة إلا بشري أنكم (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما به من الوجع اقلتكم وذاتكم والعصم أنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سوا ما تقدم (وما النصر إلا من عند الله) أي لا من عند غيره وأما مداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها فهي وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا أن النصر منها ولا تياسوا منه بفقد ها وفي ذلك تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل إلا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (إن الله عزيز) أي انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده (إذ) أي واذا كراذ (يغشاكم النعاس) وهو النوم الخفيف (أمنة) أي أمنا مما حصل لكم من الخوف من عدوكم (منه) أي من الله تعالى لأنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عددهم وعددهم وقله المسلمين وقله عنهم الكلال والعطش وتكنوا من قتال عدوهم كان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيها بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا واصله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم النعاس في القتال أمنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وقرأ نافع بضم الياء وكسر الشين مخففة وابن كثير وأبو عمر وفتح الياء والشين مع التخفيف فيها والباقون بضم الياء وكسر الشين مشددة ورفع الشين من النعاس ابن كثير وأبو عمر ونصبها

الساقون على أن الله تعالى هو الفاعل (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) أي
 من الأحداث والجنابات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون ويخفيف الزاي والساقون
 بفتح النون وتشديد الزاي وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفرتسوخ فيه الأقدام
 وحواقر الدواب فناموا فاحتمل أكثرهم وكان المشركون قد سبب قهوقهم على ما بدر فنزلوا على
 وأصبح المساقون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس إليهم
 الشيطان أو قال لهم المنافقون ترعون أنكم على الحق وفيكم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنتم
 أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين فكيف ترجون أن تظهروا على
 عدوكم وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا
 من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فغزوا حرا ناشدوا وأشفقوا فنزل الله تعالى مطرا أسال
 منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضأوا وسقوا الدواب وملأوا الأسقية وطفئوا الغبار
 وغظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر وزالت عنهم
 وسوسة الشيطان كما قال تعالى (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسة الشيطان التي
 ألقاها في قلوبكم وقيل الجنابة لأنهم من تحميمه (فان قبيل) يلزم على هذا التكرار فإن هذا تقدم
 في قوله تعالى ليظهركم به (وأجيب) عنه بأن المراد من قوله تعالى ليظهركم به حصول
 الطهارة الشرعية ومن قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان أن الرجز هو عين التي فإنه
 شيء مستغيب وطابت أنفسهم كما قال تعالى (وليربط) أي بحبس (على قلوبكم) باليقين والاصر
 ولبدت الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام كما قال تعالى (ويثبت به الأقدام) أي أن تسوخ
 في الرمل والضمير في به للماء ويجوز كما قال الزمخشري أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن
 فيه الصبر والجراءة ثبتت الأقدام في مواطن القتال وقوله تعالى (أذيوح ربك) متعلق بثبت
 أو بدل من أذيعدكم (إلى الملائكة) أي الذين أمتبهم المسلمين وقوله تعالى (إني) أي بأنني (معكم)
 أي بالعون والنصرة مفعول يوحى (فثبتوا الذين آمنوا) أي قوا قلوبهم بأن تقابلوا المشركين
 معهم وقيل بالتبشير والاعانة فكان الملك عيسى في صورة رجل أمام الصف ويقول أشرؤا
 فإن الله تعالى ناصركم عليهم فأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقيل بالقاء الإلهام في قلوبهم
 كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشرو يسمى ما يلقيه الشيطان وسوسة
 وما يلقيه الملك الهام ثم ين بعلى المعية بقوله تعالى (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب)
 أي الخوف فلا يكون لهم ثبات وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألقى الخوف
 في قلوب المشركين وقرأ ابن عاشر والكسائي برفع العين والباقون بالسكون وقوله تعالى
 (فاضربوا) خطاب للمؤمنين وللملائكة (فوق الأعناق) أي أعاليها التي هي المذايح
 والمفاصل والرؤس فانه فوق الأعناق وقيل المراد الأعناق وفوق صله أو بمعنى على أي
 اضربوا على الأعناق (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس
 يعني الأطراف والبنان جمع بنانة وهي أطراف الأصابع من اليسدين والرجلين وقال ابن

الاباري كانت الملائكة لاتعلم كيف تقايل بنى آدم فعلمهم الله تعالى قبل انما خست الرأس
 والبنان بالذكر لان الرأس أعلى الجسد وأشرف الاعضاء والبنان أضعف الاعضاء فيدخل
 في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وبه هلاك الانسان وبضرب البنان
 وبه تبطل حركته عن القتال لان البنان يتكمن من مسك السيف والسلاح وجله والضرب
 به فاذا قطع بنانه تعطل ذلك كله (ذلك) أى التسليط العظيم الذى وقع من القتل والاسير يوم بدر
 والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أول كل أحد (بأنهم) أى الذين تلبسوا بالكفر (شاقوا الله)
 الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى خالفوه ما فى الاوامر والنواهي والمشاقة المخالفة
 وأصلها المجانبة كانهم صاروا فى شق وجانب غير الذى يرضيانه (ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب) له فان الذى أصابهم فى ذلك اليوم من الامر والقتل شئ قليل فى جنب
 ما أعد الله تعالى لهم من العقاب يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم) خطاب للكفرة على
 طريق الالتفات من الغيبة فى شاقوا أى ذلكم الذى عمل لكم به بدر من القتل والاسير
 (فذوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) آجلا فى الآخرة (عذاب النار) ووضع الظاهر فيه موضع
 المضمر للدلالة على أن الكفر سبب للعاجل والآجل (يا أيها الذين آمنوا اذلقمهم الذين كفروا
 زحفا) أى مجتهدين كانهم لكثرتم زحفون أى يدبون ديبا من زحف الصبي اذا دب على
استه قليلا قليلا لاسمى به وجمع على زحوف واتصابه على الحال وهو مصدر موصوف به كالعدل
 والرضا ولذلك لم يجمع (فلا تولوهم الادبار) أى منزهين منهم وان كنتم أقل منهم (ومن يولهم
 يومئذ) أى يوم لقائهم (دبره) أى يجعل ظهره اليهم منزهما (الامتصفا) أى منعطفًا (للقال) بأن
 يريهم أنه منزهم خدا عا ثم يكر عليهم وهو باب من مكاييد الحرب (أو متحيزا) منضما وضايرا (الى فئة)
 أى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها على القرب يستجديها ومنهم من لا يعتبر
 القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان فى سرية تبعثهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن القرارون فقال بل أنتم العكارون وفى رواية
 الكرارون أى المتعاطفون الى الحرب وأنافتكم وانهمز رجل من القادسية فأتى المدينة الى
 عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر أنافتك
 (فقد بآه) أى رجع (بغضب من الله وما أواجههم وبئس المصير) أى المرجع هى وعن ابن عباس
 ان القرار من الزحف من أكبر الكبائر هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الا ان
 خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا وقيل هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام
 يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فانه مجاهد ولما انصرف المسلمون من قتال بدر كان
 الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى (فلم تقتلوهم) أى
 بقتلهم (ولكن الله قتلهم) أى بنصره اياكم بأن هزمهم لكم قال البيضاوى تبع للزمخشري
 والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اه ورده
 ابن هشام بأن الجواب المنقى لم لاتدخل عليه الفاء واختلف فى سبب نزول قوله تعالى

(وما رميت) يا محمد (اذ رميت واكن الله رمي) على ثلاثة أقوال الأول وهو قول أكثر المفسرين
 نزلت في يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الى قتال بدر نزلوا بدرا ووردت
 عليهم رواق قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاصي بن سعد
 فأقواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما أين قريش فقالا لهم وراء هذا الكتيب
 الذي بالعبدة القصوى الكتيب العقبة قل وهو الكتيب العظيم المتداخل الرمل قاله
 الجوهري فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عدتهم قال لا ندرى
 قال كم يخرجون كل يوم قالوا يوم عشرة ويومانسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
 ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيهم من اشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة
 ابن ربيعة وأبو الجعثري بن هشام وأبو جهل بن هشام وعدا جماعة أخرى فقال صلى الله عليه
 وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلا ذكبتها فلما طاعت قريش من العقبة قل قال عليه الصلاة
 والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فأتاه
 جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجعان قال لعلي رضي الله
 عنه أعطني قبضة من حصاء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شامت الوجوه أي قبحت فلم يبق
 مشرك الا دخل في عينيه وقع ومنخره فانزمو وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم والمعنى
 ان الرمية التي رميتها بلغ أثرها الى ما لا يبلغه أثر البشر لكونها كانت برمي الله حيث أثرت ذلك
 الاثر العظيم لان كفا من الحصاء لا يعلمون الجيش الكثير برمية البشر فأثبت الرمية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل
 الله تعالى فكان الله تعالى هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانهم لم توجد من الرسول صلى الله
 عليه وسلم أصلا القول الثاني انها نزلت يوم خيبر روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو
 على باب خيبر فرمى سهما فأقبل السهم حتى قتل لبابة بن أبي الحقيق وهو على فرسه فترأت
 القول الثالث انها نزلت في يوم أحد في قتل أبي بن خلف وذلك انه ألقى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعظم رميم وقتله وقال يا محمد من يحيي هذه وهي رميم فقال صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك
 ثم يميتك ثم يدخلك النار فأسر يوم بدر فلما اقتدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندي
 فرسا أعلفها كل يوم فراق من ذرة أقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك
 ان شاء الله تعالى فلما كان يوم أحد أقبل أبي بكر رضي الله عنه على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأخروا
 ورماء بجربة كسر ضلعان من أضلاعه فمات ببعض الطريق فترأت والاصح الاول والا أدخل في
 اثناء القصة كلاما أجنبيا عنها وذلك لا يليق وقال الرازي لا يبعد أن يدخل تحتها سائر الوقائع
 لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقرأ ابن عامر وحجة والكسائي ولكن الله قتلهم
 ولكن الله رمى بكسر التون مخففة ورفع الهاء من اسم الله فيهما والباء قون بفتح التون مشددة
 ونصب الهاء وقوله تعالى (وليسلي المؤمنين منه بلاء حسنا) معطوف على قوله تعالى ولكن الله

روى أي وليسلم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنية ثم ختم الله تعالى هذه الآية بقوله تعالى (إن الله
 سميع) لا قوا لكم (عليهم) بأحوال قلوبكم وهذا جرى مجرى التحذير والترهيب لئلا يغير العبد
 بظواهر الأمور ويعلم أن الخالق تعالى يطالع على مافي الضمائر والقلوب وقوله تعالى (ذلكم)
 إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وقوله تعالى (وإن الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على ذلكم أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهم كيد الكافرين وإبطال
 حيلهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب الدال
 وقرأ حفص بسكون الواو وتخفيف الهاء وعدم تنوين النون وخفض الدال والباقون بسكون
 الواو وتخفيف الهاء مع تنوين النون ونصب الدال وقوله تعالى (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)
 أكثر المفسرين على أنه خطاب للكفار روى أن أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم أينما كان
 أقطع للرحم وأجفرا فها لك الغداة وقال السدي أن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا
 بإسمار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على الجندين وأهدى القبيلتين وأكرم الخبز بين بأفضل
 الدين فأنزله تعالى هذه الآية أي أن تستنصر والأهدى القبيلتين وتسعة ضوا فتدجاءكم
 النصر والقضاء بهم إلا من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وقيل خطاب للمؤمنين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين وكثرة عددهم
 وعددهم استغاث بالله تعالى وطلب ما وعده الله تعالى به من إحدى الطائفتين وتضرع إلى الله
 تعالى وكذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال تعالى أن تستفتحوا أي أن تطلبوا النصر الذي
 تقدم به الوعد فقد جاءكم الفتح أي حصل ما وعدتم فاشكروا الله تعالى والزمو الطاعة قال
 القاضي عياض وهذا القول أولى لأن قوله تعالى فقد جاءكم الفتح لا يليق إلا بالمؤمنين اه وقال
 البيضاوي أنه خطاب لأهل مكة عن سبيل التمسك اه ويدل له قوله تعالى (وان تنهوا) أي
 عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) أي لتضمنه سلامة الدارين
 وخير المنزلاتين (وان تعودوا) أي لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) أي لنصرته عليكم
 (ولن تغني) أي تدفع (عنكم فتتكم) أي جماعتكم (شيئاً) لأن الله تعالى على الكافرين
 فيخذلهم (ولو كثرت) فتتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر
 وحفص بفتح الهمزة على ولان الله تعالى والباقون بالكسر على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله ولا تقولوا) أي تعرضوا (عنه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة
 أمره فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للوطئة
 والتبعية على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل
 الضمير للجهاد وأنتم تسمعون أي القرآن والمواظبة على الكسر على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا
 قالوا سمعنا) أي بأسمعتهم (وهم لا يسمعون) سمعاً يتفهمونه وهذه صفة المنافقين (ان شر
 الدواب عند الله) أي أن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عنده (الصم) عن سماع
 الخلق (البكم) عن النطق بالحق فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) أمر الله وسميهم دواب لقلة

انتفاعهم بعبقواهم كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل قال ابن عباس هم نقر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا) أي سعادة كُتبت لهم أو انتفاعا بالآيات (لا تسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) على سبيل الفرض وقد علم أن لا خير فيهم (تولوا) عنه ولم يتفعوا به وارتدوا عن التصديق والقبول (وهم معرضون) إعتادهم وبخودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا يشهد لك بالنبوة فتؤمن بك فقال الله تعالى ولو أسمعهم كلام قصي لتولوا وهم معرضون (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) أي أجيبوهما بالطاعة ووحده الضم في قوله تعالى (إذا دعاكم) لأن دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم روى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه ففعل في صلاته ثم جاء فقال له صلى الله عليه وسلم مامنة عنك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تجدد فيها وحى إلى استجبوا لله وللرسول ويؤخذ من ذلك أن اجابته صلى الله عليه وسلم بالقول لا تقطع الصلاة وهو كذلك بل ولا بالفعل الكثير كما قاله بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث أيضا ولما كان اجتناء عمرة الطاعة في غاية القرب منه نبه على ذلك باللام دون الالف فقال (لما يحبسكم) من العلوم الدينية فانما حياة القلوب والجهد موتها قال أبو الطيب

لا تنجبن الجهول حليته * فذا لميت وثوبه كفن

أومما نورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد وقال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيضيا بالايمان وقال ابن ابي عمير هو الجهاد أعزكم الله تعالى به بعد الذل وقال العتبي هو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي أنه يحسه فتقوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلاجه ورده سليما كما يردّه الله تعالى فاعترضوا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وقال الضحالي يحول بين المرء المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة وقال السدي يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر الا بآذنه وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل وعن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء (وأنه) أي واعلموا أنه تعالى (اليه تحشرون) لا الى غيره فلا تتركوا مهماتكم مع طاعتكم فيجازيكم بأعمالكم وفي هذا تشديد في العمل وتحذير عن الكسل والغفلة (واتقوا فتنة) أي ذنبا قيل هو اقرا والمنكر بين أظهرهم وقيل انقراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله تعالى (لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) جواب الامر والمعنى ان أصابكم من الظالمين منكم خاصة ولكنها انعمكم بما يحكي ان علماء بني اسرائيل لم ينهوا عن المنكر فعمهم الله تعالى بالعذاب (فان قيل) كيف جازان تدخل

النون المؤكدة في جواب الامر (أجيب) بأن فيه معنى النهي فقل انزل عن الدابة
لا تطرح ولا تطرحنك وكقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
(واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (وأذكروا) بامعاشر المهاجرين (إذا أنتم) في أوائل
الاسلام (قليل) أي عددكم (مستضعفون) أي لا منعة لكم (في الارض) أي أرض مكة
واطلاقها لانها اعظمها كانها هي الارض كلها ولا تـ حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها
أو قريباً من ذلك ولهذا عبر بالناس في قوله تعالى (تخافون أن يحطفكم الناس) أي تأخذكم
الكفار بسرعة كما تحطف الجوارح الصيد (فأواكم) الى المدينة أو جعل لكم مأوى
تـصـنـون فيه على أعدائكم (وأيدىكم) أي قواكم (بنصره) أي بامداد الملائكة يوم بدر وبظاهرة
الانصار (ورزقكم من الطيبات) أي الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم
تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول) أي بأن تـضمروا خلاف
ما تظهرون روى انه صلى الله عليه وسلم حاضر يوم بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فساءلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى اخوانهم
بأذرع وأريحا من الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على
حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أنزلنا أبو لبابة وأسمه رفاة أو مر وان بن عبد المنذر وكان
مناصحا لهم لان ماله وعياله عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقا لوا يا أبا لبابة
ما ترى أن نزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح أي حكم سعد هو
القتل فلا تفعلوا فقال أبو لبابة والله ما زال قدماى من مكانها حتى علمت انى قد خنت الله
ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من
سوارى المسجد وقال والله لا أدوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فلما بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أما لو جئنى لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فانى لأطلقه حتى يتوب
الله تعالى عليه فكث سبعة أيام لا يدوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له قد تيب عليه ان فـلـ نفسه فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذى يحلنى فجاءه فخله بيده فقال ان من تمام توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب
وأن أـتـزع من مالى فقال له صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فـتـزلت هذه الآية
وعن المغيرة بن زناز في قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وعن جابر بن عبد الله ان أباسه فيان خرج
من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فـكـتـب رجل من
المنافقين اليه ان محمد يريدكم فخذوا حذركم فـتـزلت وقيل معنى لا تخونوا الله بأن لا تعطوا فرأضه
ورسوله بأن لا تستنوابه وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد
الامانة لـتـضمينه اياه وقوله تعالى (وتخونوا أماناتكم) أي ما ائتمتم عليه من الدين وغيره معزوم
بالعطف على الاول أي ولا تخونوا أو منصوب بأن مضرة بعد الواو على جواب النهي أي
لا تجـمـه جوابين الخيا تـسـين كقوله * لانه عن خلق وتأتى مثله * (وأنتم تعلمون)

أنكم تخونون أي وأنتم علماء يرون الحسن من القبيح (واعلموا أنكم وأولادكم
فتنة) أي محنة من الله تعالى ليلوكم فيهم فلا يحمانكم جهنم على الخيانة كأبي لبابة
لأنه يشغل القلب بالدنيا ويصير به جبابعا عن خدمة المولى ثم أنه تعالى به بقوله تعالى (وأن الله
عنده أجر عظيم) على أن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف
وأعظم في القوة وأعظم في المدة لأنها تبقى بقاء لأنها لا يفنى هذا هو المراد من وصف الله الأجر
الذي عنده بالعظيم قال الرازي ويمكن أن يتصل بهذه الآية في بيان أن الاشتغال بالنوافل
أفضل من الاشتغال بالكساح لأن الاشتغال بالنوافل يفيد الأجر العظيم عند الله والاشتغال
بالكساح يفيد الولد ويوجب الحاجة إلى المال وذلك فتنة ومعلوم أن ما يقضي إلى الأجر العظيم
عند الله هو خير مما يقضي إلى الفتنة اهـ لكن محله في غير المحتاج إلى الكساح الواحد أهبة
والأفالكساح حينئذ أفضل وأولى من التخلي للعبادة * ولما حذر الله تعالى عن الفتنة بالاموال
والاولاد رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الاموال والاولاد بقوله
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي بالامانة وغيرها (بجعلكم فرقانا) أي هداية في
قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يستترها ما دمتم على التقوى
(ويغفر لكم) أي يمحو ما كان منكم غير صالح عينا وأثرا وقبل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفر الله تعالى لهم وقوله تعالى
(والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس
بما توجبهم تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده اذا ما على عمله * ولما ذكر سبحانه وتعالى المؤمنين
بمعهم عليهم بقوله تعالى واذكروا اذا أنتم قليل الى آخره عطف عليه قوله تعالى (واذمكروا بكم
الذين كفروا) فذكر رسوله صلى الله عليه وسلم نعمة عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر المنافقين
عنه وهذه السورة مدنية وهذا المكر كان بمكة ولكن الله تعالى ذكره بالمدينة مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله تعالى عليه في نجاته من مكرهم واستملائه عليهم وكان ذلك
المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين أن قريشا لما أسلمت الانصار وباعوه فرقوا
ان يتفارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتعت رؤسأوهم تأبى جهل وعيبة وشيعة
ابن ربيعة وأبي سفيان وهشام بن عمرو وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبي الجحترى
ابن هشام في دار الندوة متشاورين في أمره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم إبليس لعنه الله
تعالى في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن
أحضركم ولن تعدوا مني رأيا ونجحا قالوا ادخل فدخل فقال أبو الجحترى رأيي ان تحبسوه
في بيت ونسأ وباب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرا به منها وتربصوا به رب المنون
حتى يهلك مثل ما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عند والله التجدي وقال بنس الرأي رأيتم
والله لئن حبسته وفي بيت ليايتنكم من قومه ويخلصه من أيديكم قالوا صدق الشيخ

النجدي فقال هشام بن عمرو رأي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم
 ما صنع واسترحم فقال النجدي بنس الرأي تعمدون الى رجل قد أفسد سقاءكم فتخرجوه
 الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه
 والله اني فعلت ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يسيرهم -م اليكم ويخرجكم من بلادكم قالوا
 صدق والله الشيخ النجدي فقال أبو جهل لعنه الله تعالى والله لا شئن عليكم برأى لا رأى غيره
 اني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا وتعطوه مسية فاصار ما يضربوه ضربة رجل
 واحد فيفترق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كما هم -م فاذا طلبوا العقل
 عقلناه واسترحنا فقال ابليس الملعون صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا القول ما قال لا رأى
 غيره ففترقوا على قول أبي جهل -م فجعل على قتله فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره ان لا يبيت في منجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله
 تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
 فنام في منجعه وقال له اتشح ببردي فإنه لن يخلص اليك أمر تذكره ثم خرج النبي صلى الله عليه
 وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل يثر التراب على رؤسهم
 وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله تعالى فهم لا يصرون ومضى الى الغار وهو أبو
 بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التي كانت بمكة عنده وكانت الودائع تودع عنده
 لصدقه وامائه وبات المشركون يحرسون عليا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون
 انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا نادوا اليه فزأوا عليا فقلوا له وأين صاحبك
 فقال لا أدري فاقصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا عليا عليه نسج العنكبوت فقالوا
 لو دخله لم تكن تنسج العنكبوت على بابك فحك فيه ثلاثا ثم قدم المدينة وأبطل الله مكرهم
 وهذا معنى قوله تعالى واذا يكرهك الذين كفروا (أيشتولك) أي يوثقوك ويحبسونك (أو يقتولك)
 كما هم قتله رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويكرهونك) أي يرمونكم عليهم
 بتدبير أمرك بأن أوحى اليك ما يدبروه وأمرك بالخروج الى المدينة وأخرجهم الى بدر وقل
 المسلمين في أعينهم حتى جلاوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) أي أعلمهم به فلا يتقدم مكرهم دون
 مكره قال البضاوى واسناد أمثال هذا انما يحسن للمزوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لمافيها
 من ايها المذموم واعترض عليه بأنه لا يتعين في مثل ذلك المشاكاة بل يجوز أن يكون ذلك
 استعارة لان اطلاق المكر على اخفاء الله تعالى ما وعد به من استوجبه ان جعل باعتبار أن
 صورته تشبه صورة المكر فاستعارة أو باعتبار الوقوع في حجة مكر العبد فشاكاة وعلى هذا
 لا يحتاج كما قال الطيبي الى وقوعه في حجة مكر العبد قال ومنه قول علي رضي الله عنه
 من وسع الله تعالى عليه في دنياه ولم يعلم انه مكربه فهو مخدوع في عقله (واذا تتلى عليهم آياتنا)
 أي القرآن (قالوا) أي هؤلاء الذين اتقروا في أمره صلى الله عليه وسلم (قد سمعنا ونشأه)
 لقننا مثل هذا وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو اضبطوا عن ذلك لقلعوا والاقامتهم

لو كانوا مستطيعين وقرعهم بالعجز عشرين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع
انفتهم وقرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان وقيل قائله النضر بن الحرث
المقتول صبر الانه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار العجم ويحدث بها أهل مكة واسناده
إلى الجميع اسنادا مفعلا رئيس القوم اليهم فكانه كان قاضيههم وقد أسرهم المقداد يوم بدر فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيري يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله
تعالى ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك
فقال ذاك الذي أردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدت أخته
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ الحق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه (أن) أي ما (هذا) أي
القرآن (الأساطير الأولين) أي أخبار الأمم الماضية وأسماءهم وماسطر الاقوالون في كتبهم
والاساطير جمع أسطورة وهي المكتوبة من قولهم سطر أي كتبت وقيل أساطير جمع أسطور
وأساطير جمع سطر (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أي الذي يقرؤه محمد (حوالحق) المنزل
(من عندك) فأمر علينا بحجارة من السماء أو اتينا بعذاب أليم) أي مؤلم على انكاره غير الحجارة قاله
النضر وغيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وبخزم يطلانه وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال
لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما قالوا ان كان هذا هو الحق فأهدنا اليه (فان قيل) قد
حكى الله تعالى هذه المقالة عن الكفار وهي من حسن نظم القرآن فقد حصلت المعارضة
في هذا القدر وأيضا حكى عنهم أنهم قالوا في سورة بنى اسرائيل وقالوا ان تؤمن للحتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الآية وذلك أيضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن
وذلك يدل على حصول المعارضة (أجيب) بأن الاتيان بهذا القدر لا يكفي في حصول المعارضة
لانه كلام قليل لا تظهر فيه وجوه المعارضة والفصاحة والبلاغة لأن أقل ما وقع به التعدي سورة
أو قدرها قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم) أي بما سألوهم (وأنت فيهم) أي لأن العذاب اذا
نزل عنهم ولم يعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله لمعذبهم وهم يستغفرون)
أي وفيهم من يستغفروهم المسلمون بين أظهرهم ممن يخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المستضعفين وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه كان في هذه الامة أمانان أما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة فاللفظ وان كان
عاما الا أن المراد بعضهم كما يقال قدم أهل البلدة الفلانية على القتال والمراد بعضهم (ومالهم
أن لا يعذبهم الله) بالسيف بعد دخرك وجك والمستضعفين فتق تعالى في الآية أنه لا يعذبهم مادام
الرسول والمؤمنون فيهم وذكر في هذه الآية أنه يعذبهم اذا خرجوا من بينهم وقال الحسن الآية
الاولى منسوخة بهذه ورد بأن الاخبار لا يدخلها النسخ واختلفوا في هذا العذاب فقال بعضهم
لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب

الآخرة والعذاب الذي نفي عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لاجله يعذبهم فقال (وهم
 يصدون) أي يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به وذلك
 عام الحديبية ونبه تعالى على أنهم يصدونهم لادعائهم أنهم أولياؤه فكانوا يقولون نحن ولادة البيت
 والحرم فنصد من نشأه وندخل من نشأه ثم بين تعالى بطلان هذه الدعوى بقوله تعالى (وما كانوا
 أولياءه) كانوا (ان) أي ما (أولياؤه الا المتقون) أي الذين يهتزون عن المنكرات الذين
 لا يعبدون فيه غيره وقبل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أن لولاية لهم
 عليه وكأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
 (وما كان صلاتهم عند البيت) أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الامكاه)
 أي صفيها (وتصدية) أي تصدقة قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون
 ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في
 الطواف ويستهمزون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون ويخطون عليه طوافه
 وصلاته فالمكاه جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال مقاتل كان النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا دخل المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه ورجلان عن يساره يصفقان
 ليخطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته (فدوقوا العذاب) أي عذاب القتل والامر
 بيد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة (بما) أي بسبب ما (كنتم تكفرون) اعتقادا وعلا
 ولما ذكر تعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاه والتصدية ذكر عقبه عبادتهم المالية التي
 لاجدوى لها في الآخرة بقوله تعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) في حرب النبي صلى
 الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله) أي لمصرفوا عن دين الله تعالى نزلت في المطعمين يوم بدر
 وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو جهل بن هشام وعمية وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قريش وكان
 يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر أو في أبي سفيان استأجروهم أحد الفين من العرب سوى
 من استجاش أي اتخذ جيشا أو اتفق عليهم أربعين أوقية والواقية اثنان وأربعون مثقالا أو في
 أصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعن الله سائر
 نأرا ففعلوا (فسيبفقونهم تسكون) أي عاقبة الامر (عليهم خسارة) أي ندامة لفواتها
 وفوات ما قصدوه (ثم يغلبون) أي آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك كما اتفق لهم
 في بدر فانهم أنفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك بل كان وبالاعليهم فانه
 كان سببا لجراهم حتى قدموا كما كان في الحقيقة الاقوة للمؤمنين (والذين كفروا)
 أي ثبتوا على الكفر (الى جهنم يحشرون) أي يساقون اليها يوم القيامة فهم في خزي في الدنيا
 والآخرة (فان قيل) لم يقل تعالى والى جهنم يحشرون (أجيب) بأنه اسلم منهم جماعة
 كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وحكيم بن حزام بل ذكر ان الذين ثبتوا على الكفر
 يكونون كذلك (ليس الله الخبيث) أي القريب الكافر (من الطيب) أي من القريب
 المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعا) أي يجمعه مترا كما بغضه على بعض

كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أى افترطوا دحامهم وقيل لميز المال الخبيث الذى
 أنفق الكافر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذى أنفق المؤمن فى جهاد
 الكفار كاتفاق أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما فى نصرته النبى صلى الله عليه وسلم فتركه جميعا
 (فيجعل فى جهنم) فى جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوحهم وظهورهم
 الآية واللام على هذا متعلقة بتكون من قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول
 متعلقة بيمشرون أو يغلبون وقرأ الميزجة والكسافى بضم الباء الاولى وفتح الميم وتشديد
 الباء الثانية مع الكسر والباقون بفتح الباء الاولى وكسر الميم وسكون الباء الثانية
 وقوله تعالى (اولئك) اشارة الى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران
 لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم ولما بين تعالى ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية
 أرشدهم الى طريق الصواب فقال (قل) يا محمد (للذين كفروا) كأبى سفيان وأصحابه
 (ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) أى قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عن الكفر وقال
 النبى صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد سلف من ذلك ولو كان بمعنى خاطبهم به لقل ان تنتهوا
 يغفر لكم (وان يعودوا) أى الى الكفر ومعادة النبى صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنة
 الاولين) أى باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه واجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله
 واختلفوا هل الكافر الاصلى مخاطب بفروع الشريعة وهل يسقط عن المرتد ما مضى
 فى حال ردة كالكافر الاصلى كما هو ظاهر الآية وهل الردة تحبط ما مضى من العبادات قبلها
 ذهب أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه مخاطب بدليل قوله تعالى ما سلككم
 فى سقر قالوا لم نك من المصلين الآية وأن المرتد لا تسقط عنه العبادات القائمة فى الردة
 تغلظا عليه وأن الردة لا تحبط ما مضى وقد تقدم الكلام على ذلك فى المائة وعن يحيى بن معاذ
 أنه قال توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجوان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب * ولما
 بين تعالى أن هؤلاء الكفار ان انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وان عادوا فهم متوعدون
 سنة الاولين أسبعه بالامر بقتالهم اذا صرّوا فقال تعالى (وقالت لهم حتى لا تكون قنصة) أى شرك
 كما قاله ابن عباس وقال الربيع حتى لا يفتن أحدكم عن دينه لان المؤمنين كانوا يفتنون عن دين
 الله فى مبداء الدعوة فافتن من المسلمين بعضهم وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا
 الى الحبشة وقنصة ثانية وهو أنه لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة
 نواصرت تريش أن يفتنوا المؤمنين بحكمة عن دينهم فأصاب المؤمنين جهده شديد فأمر الله تعالى
 بقتالهم حتى تزول هذه القنصة (ويكون الدين كله) خالصا لله تعالى وحده لا يعبد غيره (فان
 انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) أى فيخبارهم به (وان تولوا) عن الايمان
 (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم ومتولى أموركم (نعم المولى) هو فانه لا يضيع من تولاه (ونعم
 النصير) أى الناصر فلا يغلب من نصره فن كان فى حياية هذا المولى وفى حفظه وكفايته كان
 آمنا من الآفات مصونا عن المخالفات (واعلموا أنما غنمتم) أى أخذتم من الكفار الحربيين

(من شيء) مما يقع عليه اسم شيء مما هو لهم ولو اختصا (فإن لله خمسة وللرسول) واعلم أن الغنمة
والتي اسمان لما يصيبه المسلمون من الحربيين والصحيح أنهم مختلفان فالتي ما حصل لنا مما
هو لهم بلا إيجاب كجزية وعشر تجارة وما جلاوا عنه ولو تغير خوف كضرب أصابعهم وتر كد امرئ
وكافر معصوم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وسياق حكمه أن شاء الله تعالى عند
قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله وأما الغنمة فهي ما حصل لنا منهم مما هو لهم بإيجاب أو سرقة
أو التقاط وكذا ما انهمزوا عنه عند التقاء الصقين ولو قبل شهر السلاح أو أهدها الكافر لنا
والحرب قائمة ولم تحمل الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبياء إذا غنوا ما لا يجعوه فتأق
نار من السماء تأخذ ثم أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه
كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم نسخ ذلك واستقل الامر على أنها تجعل خمسة أقسام
متساوية ويؤخذ خمس رفاع ويكتب على واحدة لله وألله صالح وعلى أربع للغنائم ثم تدرج
في بنادق مستوية ويخرج لكل خمس رقعة فخرج لله وألله صالح جعل بين أهل الخمس على
خمس أصناف وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وذكر الله تعالى في الآية للتبرك وأما
ما كان له صلى الله عليه وسلم فهو وألله صالح المشلين كسدد الثغور وأرزاق علماء بعلوم تتعلق
بمصلحتنا كتفسير وفقه وحديث والصنف الثاني ما ذكره الله تعالى بقوله (وإلى القربي) أي
قراة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب دون من عداهم لاقتصاره صلى الله
عليه وسلم في القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بني عمهم نوفل وعبد شمس له لقوله صلى الله عليه
وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه فيعطون ولو أغنياء ويفضل الذكر
على الأنثى كالارث لانه عطية من الله تعالى تستحق بقراة الاب كالارث فلا يعطى أولاد البنات
من بني هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع أن أم كل واحد منهما
كانت هاشمية والصنف الثالث ما ذكره الله تعالى بقوله (والبناحي) اليتيم صغير ولو أنثى تلعب
لا يترك بعد احتمال لأب له وان كان له أم وجد ومن فقد أمه فقط يقال له منقطع واليتيم في الهاشم
من فقد أمه وفي الطبر من فقد أباه وأمه والصنف الرابع ما ذكره الله تعالى بقوله (والمساكين)
الصادقين بالفقر والمساكين من له مال أو كسب لاثق به يقع موقعان كفايته ولا يكفيه العمر
الغالب وقيل سنة كمن يملك أو يكسب سبعة أو ثمانية ولا يكفيه الا عشرة والفقر من لا مال له أو له
ذلك ولا يقع موقعان كفايته كمن يحتاج الى عشرة ولا يملك أو لا يكسب الا درهمين أو ثلاثة
والخامس ما ذكره الله تعالى بقوله (وابن السبيل) وهو المسافر المحتاج ولا معصية بسفرة
والاجناس الاربعة الباقية للغنائم وهم من حضر القتال ولو في أثناءه بنية القتال وإن لم يقاتل
أو حضر بلانية وقاتل كأجير لحفظ أمتعة وتاجر ومخترق وقوله تعالى (إن كنتم آمنتم بالله)
متعلق بمخدوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهم ولا فسلوه اليهم
واقنعوا بالاجناس الاربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود
بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وقوله تعالى (وما) عطف على بالله (أزنا على عبدنا)

محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أي يوم بدر فانه فرق به
 بين الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم
 الجمعة تسعة عشر وأربعة عشر من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
 وبضعة عشر رجلاً والمشركون مابين الالف والتسعمائة فهزم الله تعالى المشركين وقتل
 منهم سبعون وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير
 والذليل على العزيز كما فعل ذلك بكم ذلك اليوم وقوله تعالى (أذا أنتم بالعدوة الدنيا) أي القربي
 من المدينة بدل من يوم الفرقان أو من يوم التقي الجمعان أو منصوب بأذكروا مقدرات العدو
 الدنيا بمابلي المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أي البعدى من المدينة وهي ممابلي مكة وكان
 الماء بها وكان استظهار المشركين من هذا الوجه أشد والقصوى تأنيث الاقصى وكان
 قياسه قلب الواو كالدينا والعلا ولكن لم تقلب بفرقة بين الاسم والصفة فانها انقلب في الاسم
 دون الصفة على الاكثر وقيل بالعكس وعلى الاول القصوى وان كان صفة للعدوة في الآية
 كالدينا لكن غلب عليها الاسمية لترك الوصف بها في أكثر الاستعمال كما قاله ابن جني فالقصوى
 بالواو على القولين شاذ بالنظر الى اسميتها في الاول والى وصفيتها في الثاني ومثال الصفة
 النخالصة حاوى تأنيث الاحلى فهي بالواو مقببة على الاول شاذة على الثاني ومثال الاسم
 النخالص حروى اسم مكان فهو بالواو شاذ على الاول مقبب على الثاني وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 العدو وهي شط الوادى بكسر العين فيهما والباقون بضم العين فيهما أو أم الدنيا والقصوى
 فأما الهماجزة والكسائي محضة وأبو عمرو وبين بين وورش بالفتح وبين اللظنين (والركب) أي
 العير التي خرجوا إليها التي يقودها أبوسفیان (أسفل منكم) أي أسفل منكم على ساحل البحر
 على ثلاثة أميال من بدر وأسفل نصب على الظرفية معناه مكاناً أسفل من مكانكم وهو مرفوع
 المحل لانه خبر المبتدأ (ولوقا عدتم) أنتم والذين للقتال (لاختلفتم في الميعاد) وذلك أن المسلمين
 خرجوا يأخذوا العير راغبين في الخروج وخروج الكفار مرعوبين بمبالغتهم من تعرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم فيمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد لقتلهم وكثرة
 عدوهم (ولكن) جمع الله تعالى بينهم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقضى الله أمراً كان
 مفعولاً) في علمه وهو نذر أوليائه وأعز أذنيه وعلاء كلمته وقهر أعدائه وقوله تعالى (لهلاك
 من هالك عن ينة ويحيى من حى عن ينة) بدل من ليقضى أو متعلق بقوله مفعولاً واستعير
 الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح ينة لا عن مخالطة
 شبهة حتى لا يبق له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أبضاع يقين وعلم بأنه دين الحق الذى
 يجب الدخول فيه والتسليم به فأن وقعت بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان
 مكابراً لنفسه مغالطالها وقرأ نافع والبرى وشعبة بياء من الاولى مكسورة والثانية مفتوحة
 والباقون بياء واحدة مشددة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وان الله لسميع عليم) أي يسمع دعاءكم

ولنعلم حاجتكم وضعفكم لاتخفى عليه خافية (اذ) أى واذا ذكر يا محمد نعمة الله عليكم اذ
 (يرىكمهم الله) أى المشركين (فى منامك) أى نومك (قليلاً) فأخبرت أصحابك فسرّوا وقالوا ربنا
 النبي صلى الله عليه وسلم حق وصار ذلك سبباً لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم (فان قيل) روي
 الكثير قديلاً غلط فكيف يجوز على الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 ولا يستل عما يفعل وأنه تعالى أراه بعضهم دون بعض فحكم صلى الله عليه وسلم على أولئك الذين
 رآهم بأنهم قليلون وقال الحسن ان هذه الاراء كانت فى البقطة قال والمراد من المنام العين التى
 هى موضع النوم (ولو اراكمهم كثير القليل) أى ولو اراكمهم كثير الذى ذكرته للقوم ولو سمعوا
 ذلك لغشوا أى جبنوا (ولتأزعمتم) أى اختلقتم (فى الامر) أى امر القتال وتفرقت أراؤكم بين
 الفرار والقتال (واكن الله سلم) أى سلمكم من الفشل والتنازع فيما بينكم وقبل سلمكم من
 الهزيمة والقتل (انه) تعالى (عليه) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فى القلوب من الجراءة
 والجرأة والجزع وغير ذلك (واذ يرىكمهم) أيها المؤمنون (اذا التقيتم فى أعينكم قليلاً) أى ان
 الله تعالى قلل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم التقوا فى القتال امتناً كد فى البقطة ما رآه
 النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبر به أصحابه وتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزاد جرأتهم
 ولا يجبنوا عن قتالهم قال ابن مسعود قد قتلوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أترأهم سبعين
 قال أراهم مائة فأسرنا رجلاً منهم فقلنا كم كنتم قال ألفاً والضمير ان مفعولاً يرى وقليلاً
 حال من الثانى (ويقلل لكم فى أعينهم) أى ويقلل لكم يا معشر المؤمنين فى أعينهم أى المشركين لئلا
 يهربوا واذا استمعوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك
 سبباً لظهور المؤمنين قال السدى قال ناس من المشركين ان العبر قد انصرفت فارجعوا فقال
 أبو جهل الآن اذبرزلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم انما محمد وأصحابه أكلة
 جزور يعنى جمع آكل أى قليل يشبعهم جزور واحد يضرب مثلاً فى القلة والامر الذى
 لا يعاب به ثم قال فلا تقتلوههم وأربطوهم بالحبال أراد بقوله ذلك القدرة والقوة (فان قيل) كيف
 يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل (أجيب) بأن ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وان الله تعالى على
 ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هى من خوارق العادات
 فلا يكر ذلك وأن الله تعالى يستر عنهم بعضه بساتر أو يحدث فى أعينهم ما يستقلون له الكثير كما
 أحدث فى عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين قبل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
 بين يديه ديك قال فالى لا أرى هذين الديكين أربعة وهذا قبل التهام القتال فلما التحم أراهم اياهم
 مثلهم كفى آل همران (لما قضى الله أمراً كان مفعولاً) أى فى علمه وهو اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله
 (فان قيل) قد تقدم ذلك فى الآية المتقدمة فكان ذكره هنا محض تكرار (أجيب) بأن المقصود
 من ذكره فى الآية المتقدمة هو أنه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلاء المؤمنين على الكافرين
 على وجه يكون معجزة لله تعالى صدق النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره هنا ليس هو
 ذلك المعنى بل المقصود أنه تعالى ذكره هنا أنه قلل عدد المؤمنين فى أعين الكفار فيبين تعالى أنه

انما فعل ذلك ليصبر ذلك سببا لا ليبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيصبر ذلك سببا
 لانكسارهم (والى الله ترجع الامور) كلها فلا ينفع الا ما يريد انفاذه فلا تجرى الامور على
 ما ينظنه العباد وفي هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة واعمال المراد منها ما يصلح أن يكون
 زاد اليوم المعاد * وما ذكر تعالى أنواع نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
 يوم يدركهم اذا التقوا بالقلة وهى الجماعة من المحاربين نوعين من الادب بقوله تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا اذا قاتلتم) أى قاتلتم لأن القلاء سبب للقتال غالباً (فئة) أى جماعة كافرة (فاقتلوا)
 اقتلهم كما باتم في بدر ولا تحذروا أنفسكم بفرار هذا هو النوع الاول (واذكروا الله كثيرا)
 بقلوبكم وألسنتكم قال ابن عباس أمر الله تعالى أولياءه بذكره في أشد الأحوال هم تنبيهها على أن
 الانسان لا يجوز له أن يخجل لوقته ولسانه عن ذكر الله ولو أن رجلاً أقبل من المشرق الى المغرب
 على أن ينطق الاموال سخاءه والآخر من المغرب الى المشرق يضرب بسيفه في سبيل الله لكان
 الذاك لله أعظم أجراً وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر لأن ذلك لا يحصل
 الا بمعونة الله تعالى (اعلمكم تفعلون) أى تطفرون بمرادكم من النصر والثبوت (فان قيل) هذه
 الآية توجب الثبات على كل حال وذلك يومهم أنهم بانامضة لآية التحرف والتحيز (أجيب)
 بأن المراد من الثبات الجدة في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف
 والتحيز * ثم قال تعالى مؤكداً لذلك (وأطيعوا الله وأطيعوا رسوله) في سائر ما أمران به لأن الجهاد
 لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا) أى تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) أى
 تفشلوا (وتذهب ريحكم) أى قوتكم ودولتكم والريح مستعارة للدولة شبهها في نفوذ أثرها
 بالريح ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء وأطلق اسم المشبه به على المشبه وقبل المراد بها
 الحقيقة لأنه لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله تعالى وفي حديث الشيخين نصرت بالصبا
 وأهلكك عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القاتل حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه
 أبو داود (واصبروا) أى عند لقاء العدو ولا تنهزموا عنه (ان الله مع الصابرين) بالصبر
 والمعونة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية
 فاذا التقيتهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السبوف ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم
 منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ولا تكونوا كالذين
 خرجوا من ديارهم) أى ايمانهم واعيرهم ولم يرجعوا بعد فبجائهم (بطرا) أى غرأ وطغيا نافي النعمة
 وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فانصرفها في المفاخرة على الاقران
 وكثر بها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وانصرفها في
 طاعة الله وابتغاه مرضاه فذلك شكرها (ورثاء الناس) أى لبثوا عليهم بالشجاعة والسماحة
 وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وأنهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلبت غيركم فقال أبو جهل
 لا والله حتى تقدم بدرا وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيها سوق في كل عام

ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات والعزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها
 مما يضرب به قاله ابن الاثير وغيره والقينات الجواري ونظم به من حضرنا من العرب فذلك
 بطرهم ورباؤهم الناس باطعاهم فوافوه فاسقوا المنيا ما كان الخمر وناحت عليهم النوايح
 مكان القينات فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرادين وأمرهم أن يكونوا
 أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهى عن الشيء أمر بضده (ويصدقون عن سبيل الله) أى
 ويعتصمون الناس الدخول في دين الله (والله بما يعملون محيط) لا يخفى عليه شئ لانه محيط بأعمال
 العباد كلها فيجازيهم بأعمالهم (وإذ) أى واذكروا أيهم المؤمنون نعمة الله عليكم إذ (زين لهم)
 أى المشركين (الشيطان) أى ابليس (أعمالهم) الخليفة بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا
 الخروج من أعدائهم بنى بكر بن الحرث جاء ابليس وجند من الشياطين معه راية فقتل لهم
 في صورة سراقته بن مالك بن جعشم الشاعر الكثافي وكان من أشرفهم (وقال) غار الله
 في أنفسهم (لأغلب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم) أى يحير لكم من كتمانته (فلما
 ترامت الفتان) أى التقى الفريقان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله
 ابليس أنهم لا طاقة لهم بهم (نكص على عقبيه) قال الضعفاء ولى مدبر أو قال النضر بن سميل
 رجع القهقرى على قتاه هاربا (وقال انى برى منكم) قال الكلبي لما التقى الجعان كان ابليس
 في صف المشركين على صورة سراقته بن مالك وهو أخو زيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله
 ابليس على عقبيه فقال له الحرث الى أين أتخذ لنا في هذه الحالة فقال له عدو الله ابليس
 (الى أرى ما لاترون) ودفع في صدر الحرث وانطلق فانهمزوا قال الحسن رأى ابليس جبريل
 بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب قال قتادة قال ابليس انى
 أرى ما لاترون وصدق وقال (انى أخاف الله) وكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له
 ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وذلك من عادة عدو الله ابليس لعنه الله لمن أطاعه إذا التقى الحق
 والباطل أسلمهم وقبر أمهم وقال عطاء مخاف ابليس ان يهلكه الله تعالى فيمن يهلك وقيل
 أخاف الله عليكم وقيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة تنزل من السماء خاف أن
 يكون الوقت الذى أنظر اليه قد حضر فقال ما قال اشفا فاعلى نفسه * ولما انهمزوا وبلغوا مكة
 قالوا هزم الناس سراقته فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما أسلوا علوا
 أنه الشيطان وقوله تعالى (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلام ابليس أى انى أخاف
 الله لانه شديد العقاب وأن يكون مستأنفا أى والله شديد العقاب لمن خالفه وكفر به (فان قيل)
 كيف يدرك ابليس أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا
 (أجيب) بان الله تعالى أعطاه قوة وأقدره على فعل ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على
 أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنية لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما روى ابليس يوم فاهيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أعظم
 منه يوم غرقة وما ذاك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان

من يوم بدر (اذ) أى واذا كذاذ (يقول المنافقون) أى من أهل المدينة والمنافق هو من يظهر
الاسلام ويخفى الكفر كما أن المرائى هو من يظهر الطاعة ويخفى المعصية (والذين فى قلوبهم
مرض) أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقع الاسلام فى قلوبهم
ولم يتمكن فلما خرج قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
نظر والى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غزو هؤلاء) المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع
قلتهم ومقاتلون الجمع الكثير توهموا أنهم ينصرون بسببه فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن
المغيرة وعدي بن أمية بن خلف الجعفي والعاص بن أمية بن الحجاج قال تعالى فى جوابهم (ومن
يتوكل على الله) أى يتوكل به يغلب (فإن الله عزيز) أى غالب على أمره (حكيم) أى فى صنعته يفعل
بحكمته البالغة ما يستبعد العقل ويجوز عن ادراكه ولما شرح تعالى أحوال هؤلاء
الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذى يصل اليهم فى ذلك الوقت بقوله تعالى (ولو ترى)
أى عاينت وشاهدت يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى بقبض أرواحهم عند الموت
(يضربون وجوههم وأدبارهم) أى ظهورهم واستأخهم قال البضاوى ولعل المراد
تعميم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بمقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا
عذاب الحريق) أى النار قال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا
وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلاحرم قلوبهم الله بمشله فى وقت نزاع الروح
وجواب لو محمد وف والتقدير رأيت منظرها ثلثا وأمر افظعها وعقابا شديدا والملائكة
مرفوعة بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون فى قوله يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر (ذلك) أى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق
(بما) أى بسبب ما (قدمت) أى كسبت (أيديكم) من الكفر والمعاصى وانما عبر بالأيدي دون
غيرها لأن أكثر الافعال تراول بها والتعقيق أن الانسان جوهر واحد وهو الفاعل
وهو الذرأ وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصى وهذه الاعضاء آلاته وأدوات
فى الفعل فأضيف الفعل فى الظاهر الى الآلة وهو فى الحقيقة مضاف الى جوهر ذات
الانسان (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام لئلا يكفر
لاجل العبيد أى أنه بمعنى ذى ظلم (كدأب) أى دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب (آل
فرعون) وهو عاداتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه فجوزى هؤلاء بالقتل والاسريوم
بدرهم كما جوزى آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان
دأب فى كذا أى داوم عليه وسميت العادة دأبا لأن الانسان مداوم على عادته مواظب
عليها (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون وقوله تعالى (كفروا بآيات الله)
تفسير لدأب آل فرعون (فأخذهم الله بنوبهم) أى بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء
(إن الله قوى) أى على ما يريد فيفقههم عن كفرهم وكذب رسوله (شديد العقاب) بمن كفر
وكذب رسوله وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما قبلهم من العقاب (بأن) أى

ليسبب ان (الله لم يك مغير انعمة أنعمها على قوم) أى مبدل لاهلها بالنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 أى بأن يتولوا ما بهم من الحال الى حال أسوأ منه (فان قيل) فما كان من تغيير آل فرعون
 ومشركي مكة حتى غير الله تعالى نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
 (أجيب) بأنه تعالى كما يغير الحال المرضية الى المسخوطة يغير الحال المسخوطة الى الأفضل
 منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كفرة عبدة أو ثان فلما بعث اليهم بالآيات
 البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غير واحالهم الى أسوأ مما كانت
 عليه فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع)
 ما يقولون (علم) بما يفعلون (ككذب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
 بذنوبهم) أى أهلكنا بعضهم بالرغبة وبعضهم بالخسوف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح
 وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون) أى هو وقومه
 (فان قيل) ما فائدة تكرير هذه الآية مرة ثانية (أجيب) بأن فيها فوائد منها أن الكلام الثاني
 يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الكلام الاول فيه ذكر أخذهم وفي الثاني ذكر
 اغراقهم وذلك تفصيل ومنها أنه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية
 أنهم كذبوا بآيات ربهم في الآية الثانية اشارة الى أنهم كذبوا بما مع بحجودهم لها وكفرهم بها
 ومنها أن تكرير هذه القصة للتأكيد ولما يربط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
 وبيان ما أخذ به آل فرعون ومنها ان الاولى لسيئة الكفر والثانية لسيئة التغير والنعمة
 بسبب تغيرهم ما بأنفسهم (وكل) أى من الفرق المكذبة أو من غرق القبط وقتل قريش (كانوا
 ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي وغيرهم بالاضلال واضعين الآيات في غير موضعها وهم
 يظنون بأنفسهم العدل ولما وصف تعالى كل الكفار بقوله تعالى وكل كانوا ظالمين أفرد بعضهم
 بجزية في الشر والفساد فقال (ان شر الدواب عند الله) في حكمه وعلمه (الذين كفروا) أى أصروا
 على الكفر (فهم لا يؤمنون) أى لا يوقع منهم ايمان وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم ثم
 ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل البعض من الذين كفروا وهم هم وقد قرينة عاهدتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان لا يمانوا أى يساعدوا عليه فسنكون بأمان أعانوا مشركي مكة بالسلاح
 وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدتهم فنهكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق **ع**عب بن
 الاشرف الى أهل مكة فخالفهم وانما جعلهم الله تعالى شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
 الكفار المصرون منهم وشر المصريين الناكثون اليهود (وهو لا يتقون) الله في حذرهم
 (فاما) فيه ادغام ان الشرطية في ما الزائدة (تثقفهم) أى تجسدون هؤلاء الذين نقضوا العهد
 وظفرت بهم (في الحرب فسرده) قال ابن عباس فنسك (بهم) أى بهؤلاء الذين نقضوا العهد
 (من خلفهم) أى من وراءهم من أهل مكة واليمن وغيرهما فيخافون أن يفعل بهم كفعلي هؤلاء
 وقال عطية أنحن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم (لعلهم) أى الذين خلفهم (يذكرون) أى يتعلمون
 بهم (واما تخافون) أى تعلم يا محمد (من قوم) عاهدتهم (خيانة) في العهد بامارات تلوح لك

كما ظهر من قرينة والنصير (قائداً) أي اطرح عهدهم (اليهم) وقوله تعالى (على سواء) حال
 أي مستويًا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لك - لايتهمونك بالغدر إذا نصبت
 الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) أي في نقض العهد أو غيره روى أن معاوية
 كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم بغيا
 رجل على فرس أو برزون وهو يقول الله أكبر الله أكبر فوافوا لا غدرًا فآذاهم وعروا
 عنقه فأرسل اليه معاوية يسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه
 وبين قوم عهد فلا ينبذ عقده ولا يحلها حتى ينقض أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية
 قال الرازي حاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمره بقتل من ينقض العهد على أقبح الوجوه
 وأمره أن يتباعد على أقصى الوجوه من كل ما يوجب نكث العهد ونقضه قال أهل العلم إذا ظهرت
 آثار نقض العهد من عاهدهم الامام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض أما أن يظهر ظهورا
 محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام عليه على ما هو مذكور في هذه الآية
 وذلك أن قرينة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأباسفان ومن دعه من المشركين
 الى مظاهرتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فحصل للنبي صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به
 وبأصحابه فهنا يجب على الامام أن ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما إذا ظهر نقض
 العهد ظهورا مقطوعا به فهنا لا حاجة الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا
 وجيش النبي صلى الله عليه وسلم لم يمر الظهران وذلك على أربعة فزا سخ من مكة * وما بين تعالى
 ما يفعله صلى الله عليه وسلم في حق من يجده في الحرب ويتكبر منه وذكر أيضا ما يجب أن يفعله
 فيمن ظهر منه نقض العهد بين أيضا حال من فاته في يوم بدر وغيره لكي لا يتبقى حسرة في قلبه فقد
 كان فيهم من بلغ في أذية النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما بقوله تعالى (ولا تحسبن الذين
 كفروا سبوا) أي خلاصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يعجزون) الله أي لا يقوتونه بهذا
 السبق في الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسليمة للنبي صلى
 الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منه فأعلمه الله تعالى انهم لا يعجزونه وقرأ ابن عامر
 وحزرة وحفص يحسبن بالياء على الغيبة على أن الفعل للذين كفروا والباقيون بالتاء على الخطأ
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشرده من صدره منه نقض
 العهد الى من خاف منه النقص واتفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قصدوا الكفار بلا
 آلة ولا عدة أمرهم في هذه الآية بالاعداد لهؤلاء الكفار بقوله تعالى (وأعدوا لهم) أي لقتالهم
 (ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراء بالقوة اقوال الاول
 الرمي وقد جاءت مفسرة به عن النبي صلى الله عليه وسلم لم فيما رواه عقبه بن عامر قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم الا ان القوة الرمي ثلاثا
 أخرجه مسلم وعن أبي أسيد بن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم بدر حين

صفقنا قريش وصفوا لنا اذا كبسوكم فعليكم بالنبل وفي رواية ليس من الله ومحمود الاثلاثة
تأديب الرجل فرسه وملاعبة أهله ورميه بقوسه أى نبهه فانتهى من الحق ومن ترك الرمي بعد
ما علمه رغبة عنه فانهم عنه تركوها وكفرها أخرجه الترمذى والثاني انها الحصون والثالث
انها جميع الاسلحة والآلات التى تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم وقوله تعالى
(ون ربط الخيل) مصدري عن جيسمها في سبيل الله سواء كانت ذكورا أو إناثا وقال عكرمة
المراء الاثا وروى عن خالد بن الوليد انه قال لا يركب في القتال الا الاثا نقله صاحبها وعن
ابى محيرز انه قال كانت الصحابة يستحبون ذكورا الخيل عند الصغوف واثا الخيل عند
البيات والغارات وقيل ربط الفحول أولى لانها أقوى على الكثرة والفرز ويدل الاول ما روى
عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله
ايما نأ بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة يعفى حسنة
وعن عروة البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم
القيامة الاجر والمغنم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف فقال ما نزل على فيها الا هذه
الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ترهبون)
أى تخوفون (به) أى تلك القوة وبذلك الرباط (عدو الله وعدوكم) أى الكفار من أهل مكة
وغيرهم وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبون للجهاد مستعدون لمستكمهم لوجع
الاسلحة والآلات الحرب واعدا بالخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام
بل يصبرون ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام وبذل الجزية للمسلمين (و ترهبون) اخرين من
دوهم (أى غيرهم وهم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسننهم ما ليس
في قلوبهم (الله يعلمهم) أى انهم منافقون (فان قيل) المنافقون لا يخافون القتال فكيف يجب
ماد كرا اراهاب (أجيب) بأن المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم واسلحتهم كان
ذلك مما يخوفهم ويقطع طمعهم من أن يصيروا غالبين فيحملهم ذلك على أن يتركوا الكثرة من
قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مختصين في الايمان وقيل هم اليهود وقيل الفرس (وماتنقوا من
شئ) وان قل (في سبيل الله) أى طاعته جهادا كان أو غيره (يوف اليكم) قال ابن عباس أجرة
أى لا يضيع في الآخرة أجره ويهمل الله عوضه في الدنيا (وانتم لا تعلمون) أى لا تنقصون من
الثواب ولما دل ابن عباس عن هذا التفسير تلاوة تعالى آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ولما بين
تعالى ما يرب به العدو من القوة والاسلحة تظاهروا بين جواز الصلح بقوله تعالى (وان جنحوا)
أى مالوا (للسلم) أى الصلح (فاجنح) أى دخل (لها) وعاهدهم وتأنيث الضمير في لها لجل السلم مع انه
مذكر على ضده وهو الحرب قال الشاعر

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفبك من انفسها جرح

فأنت ضمير السلم في تأخذ جملا على ضده وهو الحرب وعن ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله
تعالى فأتوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

وقال غـ يرهما الصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
أو سلم وليس يجزم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا الى الهدنة أبداً وهذا ظاهر وقرأ شعبة بكسر السين
والباقون بالفتح (وكل على الله) أى فوض أمرك اليه فمعاقدته معهم ليكون عونك في
جميع أحوالك (أنه هو السميع) لا قوا لهم فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وفي غيره كما يسمعه
علانية (العليم) بنيتهم فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم كل ما أعلنوه (وان يريدوا) أى الكفار
(أن يحددوا) أى باظهار الصلح لئلا يمتدوا لك (فان حسبك) أى كافيك (الله هو الذى أيدك
بنصره) فى سائر أيامك فان أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته الى وقت وفاته كان أمراً
إلهياً وتديراً علوياً وما كان لكسب الخلق فيه مدخل (و) أيدك (بالمؤمنين) أى الانصار (فان
قبل) فإذا كان الله تعالى مؤيداً بنصره فإى حاجته مع نصره تعالى الى المؤمنين (أجيب) بأن
التأييد ليس الامن الله تعالى دائماً لكنه على قسمين أحدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب
معلومة معتادة والثانى ما يحصل بذلك فالقول هو المراد من قوله تعالى أيدك بنصره والثانى هو
المراد من قوله تعالى وبالمؤمنين والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم بنصره ثم بين
تعالى كيف أيدهم بالمؤمنين بقوله تعالى (وألف) أى جمع (بين قلوبهم) ولذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث الى قوم أنفقتهم شديدة وجيتم عظيمة حتى لو ان رجلاً من قبيلة لطم لطمته واحدة
فانلت عنه قبيلته حتى يدركوا ناره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أباه وأخاه
وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً دعاة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها
بالحبة القوية مما لا يقدروا عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لوانفقت ما فى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أى
تناهت عداوتهم الى حد لو أنفقت فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم تقدر على
الالفة والصلح بينهم (ولكن الله ألفت بينهم) بقدرته البالغة فانه تعالى المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء (انه) أى الله تعالى (عزيز) أى غالب على أمره لا يعصى عليه ما يريد (حكيم)
لا يخرج شئ عن حكمته وقيل الآية تنزل فى الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع
ما أهلك ساداتهم ورؤساءهم فأنساهم الله تعالى ذلك وألف بين قلوبهم بالاسلام حتى تصادقوا
وصاروا أنصاراً وما ذلك الا باطيف صنعه وبلغ قدرته (بأيها النبي حسبك) أى كافيك
(الله) * (فان قيل) هذا مكثر (أجيب) بأنه تعالى لما وعد به النصر عند محاربة الاعداء
وعده بالنصر والظفر فى هذه الآية مطلقة على جميع التقديرات فلا يلزم حصول السكرار لان
المعنى فى الآية الاولى ان أرادوا خداعك كفاك الله تعالى أمرهم والمعنى فى هذه الآية عام
فى كل ما يحتاج اليه فى الدين وقوله تعالى (ومن اتبعك من المؤمنين) أى ما فى محل نصب على
المفعول معه كقول الشاعر * فحسبك والضحك سينمهمند * يروى الضحك بالنصب على انه
مفعول معه والمعنى كفاك وكفى اتبعك المؤمنين الله ناصراً ورفع عطفه على اسم الله تعالى
أى كفاك الله وكفى المؤمنون وهذه الآية تنزل بالنبيذ فى غزوة بدر قبل القتال وعن سعيد بن

جبراً أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فقام الله تعالى
 به الأربعين فنزلت هذه الآية (يا أيها النبي حرّض المؤمنين) أي حثهم (على القتال) للكفار
 والتجريس في اللغة كالتخصيض وهو الحث على الشيء (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
 مائتين) منهم (وإن يكن منكم مائة) صابرة يغلبوا ألقامن الذين كفروا (وهذا خبر عني الأمر
 أي ليعاقل العشرون منكم المائتين والمائة ألف قتال عشرة أمثالكم) * (تنبيه) * تقييد ذلك
 بالصبر يدل على أنه تعالى ما أوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابراً قادراً على ذلك وإنما
 يحصل هذا الشرط عند حصول أشياء منها أن يكون شديد الأعضاء قويا جلدًا ومنه أن يكون
 قوى القلب شديد البأس شجاعاً غير جبان ومنه أن يكون غير متحرف لقتال أو متهمز إلى فمة
 فإن الله تعالى استثنى هاتين الحالتين في الآيات المتقدمة فعند حصول هذه الشروط كان يجب
 على الواحد أن يثبت للعشرة (فإن قيل) حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة
 فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة (أجيب) بأن هذا انما ورد على وفق الواقعة
 فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص
 عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذين العديدين
 وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء على التانيث والباقيون بالياء على التذكير (بأنهم) أي
 بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أي جهلوا بالله تعالى واليوم الآخر فلا يقاتلوا لطلب ثواب
 وخوف عقاب إنما يقاتلون حمية فاذا صدقت قوتهم في القتال لا يثبتون معهم وكان هذا يوم بدر
 فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المسلمين قتال عشرة من الكافرين فنزلت على المؤمنين
 قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف بهذه الآية صاح المهاجرون وقالوا يا رب نحن جبايع
 وعدونا شبايع ونحن في غربة وعدونا في أهلهم ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا وعدونا ليس
 كذلك فسخنها الله تعالى بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم) أيها المؤمنون (وعلم أن فيكم
 ضعفاً) أي في قتال الواحد للعشرة (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وإن يكن
 منكم ألف يغلبوا ألفين) منهم (بإذن الله) أي بإرادته تعالى فزاد من العشرة إلى اثنين فاذا كان
 المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز أن يفروا وقال عكرمة إنما أمر الرجل أن يصبر
 عشرة والعشرة لما مال ما كان المسلمون قليلاً فلما كثروا خفف الله تعالى عنهم وقال ابن
 عباس رضي الله عنهما أعمار جل فر من ثلاثة فلم يعرفان فر من اثنين فقد قهر (والله مع الصابرين)
 بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون قال سفيان بن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر مثل ذلك ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (ما كان) أي ما ضاع وما استقام (لنبي أن
 تكون له أسرى) قرأ أبو عمرو وبالتاء على التانيث والباقيون بالياء على التذكير (حتى يفض في
 الأرض) أي يكثر قتل الكفار ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حربة ويغز الإسلام
 ويستولى أهله لأن الملك والدولة إنما تقوى وتشتد بالقتل قال الشاعر
 لا يستلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

روى انه صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر سبعين أسيراً فيهم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
 وعقيل بن أبي طالب فاستأثر فيهم فقال أبو بكر رضي الله عنه قومك وأهلك أستبقهم
 أحل الله تعالى أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه
 كذبك وأخرجوك فقد مههم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن
 القدامكن علياً من عقيل وحجرة من العباس ومكنى من فلان لنسب له فلنضرب أعناقهم وقال
 عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الخطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارا فقال له
 العباس قطعت رحل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجهم ثم دخل فقال ناس يأخذ
 يقول أبي بكر وقال ناس يأخذ يقول عمر وقال ناس يأخذ يقول ابن رواحة ثم خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لين قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال من تبعني فانه مني
 ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم
 ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ومثل موسى حيث قال
 ربنا اطمس على أموالهم ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبي بكر روى انه صلى الله
 عليه وسلم قال لعمر يا أبا حفص وكان ذلك أقول ما كناؤه إنما مرني أن أقسل العباس فجعل عمر
 يقول ويل لعمر شركته أمه ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة ولا يفلتن أحد منهم إلا بداء أو ضرب
 عنق فقال ابن مسعود الأسهيلي بن بضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسهكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم واشتد خوفي فخاراً فبني في يوم أخوف من أن تقع على الحجارة من السماء من
 ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسهيلي بن بضاء ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم للقوم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتوهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل
 ناخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فدا الاسارى عشرين أوقية والواقية أربعون درهما
 فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف
 قال عمر رضي الله عنه فلما كان من الفداء جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضي الله عنه يسيان قالت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبيكي أنت وصاحبك
 فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء تبا كيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على
 أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قرية منه
 (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذ فداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا
 عرضاً لانها لا ثبات لها ولا دوام فكانتم تعرضتم ثم تزول بحد ألف مفع الآخرة (والله يريد)
 لكم (الآخرة) أي ثوابها بقهركم المشركين ونصركم الدين (والله عزيز) لا يهزم ولا يغلب
 (حكيم) أي لا يصدر منه فعل الا وهو في غاية الاتقان قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون
 يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى في الاسرى فاماناً بعد واما فداء مفع
 الله تعالى نبيه والمؤمنين في أمر الاسرى بالحب وان شأوا قتلوهم وان شأوا فادوهم وان شأوا

أعقوبهم أي فهذه الآية نسخت تلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حراما على
الأنبياء والامم وكانوا اذا أصابوا غنما جاعلوه للقربان وكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما
كان يوم بدر أسرع المؤمنون وأخذوا الفداء فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) أي لولا
قضاء الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم (لمسكم) أي لما لكم (فما أخذتم) أي من
الفداء (عذاب عظيم) وقال الحسن ومجاهد لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا من شهد
بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي عمير لم يكن من المؤمنين أحد الا أحب الغنائم الا عمر
ابن الخطاب فإنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ قال يا رسول
الله كان الانحياز في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب من أجابه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ روي لما نزلت هذه الآية كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم أن يأخذوا من الفداء فنزلت (فكلوا مما غنمتم) أي من
الفداء فإنه من جملة الغنائم (حلالا طيبا) فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وقال صلى
الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لم تحل
الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل لنا الغنائم ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا (فان قيل)
ما معنى القاء في قوله تعالى فكلوا (أجيب) بأنهم اسيسية والسبب محذوف تقديره أصبحت لكم
الغنائم فكلوا وينحصر تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الخطر للاباحة وحلالا حال من
المنعوم أو صفة للمصدر أي كالحلالا وفائدته اراحته ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاناة ولذلك وصفه بقوله طيبا (واتقوا الله) في مخالفة (ان الله غفور) غفر ذنوبكم (رحيم)
أباح لكم ما أخذتم وقوله تعالى واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله تعالى ان الله غفور
رحيم اشارة الى الحالة الماضية ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من الاسارى وثق
عليهم أخذوا ما لهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استملا لاهم فقال عز من قائل (يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الاسارى) قرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف والباقيون بفتح
الهمزة وسكون السين ولا ألف بعدها واما الالف بعد الراء أبو عمرو وحزرة والكسائي تحضة
وورش بين بين (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي خلوص ايمان وصحة نية (بوتكم خيرا مما أخذ
منكم) من الفداء قال ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث كان
العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجهما اعطى الناس فكان أخذ
العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النبوة حتى أسرف فقال العباس كنت مشايما
الا أنهم الزموني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك واما طاهرا أمرنا
فقد كان هائنا قال العباس وكنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذلك الذهب لي فقال
اما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال فكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية
وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أن تكف قرىبا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأين ما دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقالت لها ما أدري ما يصيبني فإن

حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي
قال أخبرني به ربي فقال العباس أنا أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله
والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرثيا في أمرك فاما اذ
أخبرني بذلك فلاريب قال العباس فأبداني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان أدناهم
لي ضرب في عشرين ألفا وأعطاني زعم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر
المغفرة من ربي وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فوضا
لصلاة الظهر وما صلي حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على جملة وكان يقول
هذا خير مما أخذتني وأنا أرجو المغفرة من ربكم يعني الدعوة بقوله تعالى (ويعفركم والله عفوور
رحيم) واختلف المفسرون في أن الآية نزلت في العباس خاصة أو في جملة الاسارى قال بعضهم
انها نزلت في اكل قال الرازي وهذا أولى لان ظاهر الآية يقتضي العموم من ستة أوجه أحدها
قوله تعالى قل لمن في أيديكم وثانيها قوله تعالى من الاسرى وثالثها قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا واربعا قوله تعالى يؤتكم خيرا وخامسا قوله تعالى مما أخذ منكم وسادسا قوله تعالى ويعفركم
لكم فدللت هذه الالفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخصيص أقصى ما في الباب أن يقال
سبب نزول هذه الآية هو العباس الآن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وان يريدوا)
أي الاسارى (حياتك) أي بما أظهر وامن القول (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعهد (من قبل) أي قبل بدر (فأمكن منهم) يدرق قتلوا و اسرافلستوقعوا مثل ذلك ان
عادوا (والله عليم) بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق وخيانة (حكيم) أي بالغ الحكمة
فهو يتقن كل ما يريد فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيطعهم لا محالة وكذا قول تعالى في
ابن عزة الجمعي فانه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه بغير شيء الفقير وعياله وعاهده على
أنه لا يظاهر عليه أحد انهم خان فظفروا في غزوة حراء الاسد عقب يوم أحد أسيرا فاعتذروا وسأله
العفو عنه فقال لا لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وأمر به فضربت عنقه (ان الذين آمنوا) أي
بالله ورسوله (وهاجروا) أي وأوقعوا الهجرة من بلاد الشرك وذهب المهاجرون الاولون هجروا
أوطانهم وعشائرهم وأحبابهم حبابة تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (وجاهدوا) أي
وأوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر (بأموالهم) وكانوا في غاية العزة في أول
الامر (وأنفسهم) باقدامهم على القتال مع شدة الاعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام
النفس أي بانفاقهم لها في الجهاد وتضييع بعضها بالهجرة من الديار والختل وغيرها وآخر
قوله تعالى (في سبيل الله) لذلك وفي سبيل أي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد ويسهل المرور
فيه من غير قاطع (والذين آووا) أي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فأسكنوهم في ديارهم وقسموا اليهم من أموالهم وعرضوا عليهم أن ينزلوا اليهم عن بعض نسائهم
ليترجوهن (ونصروا) أي الله ورسوله والمؤمنين وهم الانصار رضى الله عنهم حازوا هذين
الوصفين الشرقيين فكانوا في الذروة من هذين الجنسيتين ولكن المهاجرون الاولون أعلى منهم

لسببهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل والجلهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم
 على فرقة الاهل والاوطان وأشار تعالى الى القسمين باداة البعد لعل مقامهم فقال (أولئك) أى
 العالمو الرتبة (بعضهم اولى ببعض) أى دون أقاربهم من الكفار قال ابن عباس في الميراث فكانوا
 يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام وكان من آمن
 ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث
 كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله (والذين
 آمنوا ولم يهاجروا) أى آمنوا وأقاموا بكم (مالكهم من ولايتهم من شئ) أى فلا يرث بينكم
 وبينهم ولا نصيب لهم في الغنمة (حتى يهاجروا) أى الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) أى
 ولم يهاجروا (فعليكُم النصر) أى فيجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم
 وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير) في ذلك
 ترغيب في العمل بما حث عليه من الايمان والهجرة وغير ذلك مما تقدم وترهيب من العمل
 باضدادها وفي البصير إشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا ومشو بافقيه من يدت على
 الاخلاص (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أى في النصر لان كفار قريش كانوا معادين
 لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا وفي الميراث فبرث بعضهم
 بعضا ولا يرث بينكم وبينهم (الاتقواوه) أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض
 حتى في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) أى تحصل (قسنة) أى عطفية (في الارض)
 بضغف الايمان وقوة الكفر (فساد كبير) في الدين ولما تقدمت أنواع المؤمنين المهاجرون والانصار
 والقاعد وذكر أحكام موالاتهم أخذ بين تفاوتهم في الفضل بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى بالله
 ورسوله وما أتى به (وهاجروا) في الله تعالى من يعادى نبيه صلى الله عليه وسلم سابقين (وجاهدوا
 في سبيل الله) بما تقدم من المال والنفس وغيرهما فبذلوا الجهد في اذلال الكفار ولم يذكر آلة
 الجهاد لانها مع تقدم ذكرها لازمة (والذين أؤوا) أى من هاجر اليهم (ونصروا) أى حزب الله
 (أولئك هم المؤمنون) أى الكاملون في الايمان (حقا) أى لانهم حققوا ايمانهم بتحقيق
 مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ثم وعدهم الموعد الكريم بقوله تعالى
 (لهم مغفرة) أى لزلاتهم وهفواتهم لان معنى الاذى على العجز اللازم عند التقصير وان اجتمعت
 ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تركيتهم بالرحمة بقوله تعالى (ورزق)
 أى من الغنائم وغيرها في الدنيا والاخرة (كريم) أى لا تبعة ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين
 من يستلحق بهم ويتسم بسمتهم بقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد) أى بعد السابقين الى الايمان
 والهجرة (وهاجروا) أى لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم من هاجر بعد
 الحديبية قال وهى الهجرة الثانية (وجاهدوا معكم) أى من تجاهدونه من حزب الشيطان
 (فأولئك منكم) أى من جعلتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم مالكم وعليهم ما عليكم من
 الموارث والمغانم وغيرها لان الوصف الجامع هو المدار الاحكام وان تأخرت رتبتهم عنكم بما

أنهم مائة البعد (وأولوا الارحام) أي ذوو القربان (بعضهم أولى ببعض) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية فبين الله تعالى به ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ به اذلك التوارث وقوله تعالى (في كتاب الله) أي في حكمه في اللوح المحفوظ أو القرآن وتمسك أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بهم هذه على توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الشافعي رضي الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي ينه في سورة النساء فصارت هذه السورة مقدمة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء في قصة التوارث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقي فلعصبات فوجب أن يكون المراد من هذا هو ذلك فقط فلا يتعدى الى توريث ذوى الارحام ثم قال تعالى في ختم السورة (ان الله بكل شيء عليم) أي ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها احكام وصواب ومصلاح وليس فيها شيء من العيب والباطل لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظيره ان الملائكة لما قالوا أفعل فيهم من يشاء فيها ويسفك الدماء قال الله تعالى مجيبا لهم اني أعلم ما لا تعلمون أي كما علمت بكوني عالما بكل المعلومات فاعلموا أن حكمي يكون منزها عن الغلط فكذا هنا وقول البضاوي في بعض النسخ تبعا للزمخشري وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبرائة فأنشفع له يوم القيامة وشاهد أنه برى من النفاق وأعطى عشر حسنات بعد ذلك مناقق ومناققة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا حديث موضوع

(سورة التوبة منبرية)

الايتين من قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم وهي آخر ما نزلت وآية امانة وثلاثون وقبل تسع وعشرون وعدد كلماتها ألفان وأربع مائة وسبع وتسعون كلمة وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وعشرون حرفا ولها عدة أسماء التوبة براءة المقشقة البعثة المبعثرة المنقرة المثيرة الحافرة الخزية الفاضحة المشكلة المشردة المدممة سورة العذاب وانما سميت بذلك لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين وانارتهم والحقر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكاهم ويشردهم ويدمدم عليهم ولم تكتب فيها البسالة لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي ان البسالة أمان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمنها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء انها آخر سورة نزلت وقبل كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه سورة أو آية بين موضعها قفوني ولم يبين موضعها وكانت قصتها شابه قصة الانفال وتسامتها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة تبذرها فضمت اليها قال القاضي بعد أن يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الانفال لان القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم لم على الوجه الذي نقل ولوجوزنا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوحي بل جوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يخرجها عن صكونه

حجة بل الصحيح انه عليه الصلاة والسلام أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحيا وانه عليه الصلاة والسلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا والقول بأن قصتها تشابه قصتها وتناسبها فضمت اليها النعائم اذ اقلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل أنفسهم لهذه العلة وقيل ان الصحابة رضوا الله عنهم اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأن كلتيهما نزل في القتال ومجموعهما هو السورة السابعة من الطوال وهي سبع ومابعد ها المؤن لانهم اجمعوا ما تان وست آيات فها بمنزلة سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من الصحابة في هذا تركوا بينهم ما فرجة تنبيه على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعض أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه لم يعمل الله لماعلم من بعض الناس انهم ينازعون في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن أمر أن لا تكتب ههنا ليدل ذلك على كونها آية من كل سورة فانها لما لم تكن آية من هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة وقيل غير ذلك والصحيح من هذه الاقوال ما ذهب اليه القاضي من أن القرآن مرتب من قبل الله ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل وانه صلى الله عليه وسلم حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا وانما ذكرت هذه الاقوال تشجيذا للاذهان وقوله تعالى (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة وقوله تعالى (من الله ورسوله) من ابتدائية متصلة بمحذوف تقديره واصله من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ تخصيها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم) أي أو قعتم العهد بينكم وبينهم (من المشركين) أي وان كانت معاهدتكم لهم إنما كانت باذن من الله ورسوله فكما فعلتم المعاهدة باذنهم ما فافعلوا النقص تبعالهما وادل سياق الكلام وما حواه من بديع النظام ان العهد انما هو لاجل المؤمنين واما الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فغنيان عن ذلك اما الله فبالغنى المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذي اختاره للرسالة لانه ما نزل ذلك الا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك كان المنافقون يرجفون الا را حيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ونقض العهد بما يذكر في قوله تعالى (فسبحوا) أي سيحوا آمين أيها المشركون (في الارض أربعة أشهر) لا تعرض لكم فيها ولا أمان لكم بعدها وكان ابتداء هذه الاشهر يوم الحج الاكبر وانقضاؤها الى عشر من ربيع الآخر وقال الا زهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لانهم انزلت في شوال وقيل في ذي الحجة والحرم وصفه وشر ربيع الاقل وعشرين من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والحرم منها قال البغوي والاقول هو الاصبوب وعليه الاكثرون اه وقيل العشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاقل لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذي الحجة

وكان نزولها في سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه على موسم الحج سنة تسع ثم اتبعه عبد ارضى الله عنه
 راكب العضباء ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقراها على أهل الموسم فقبل له لوبعثن بها إلى
 أبي بكر فقال لا يؤذى عنى إلا رجل منى فلما دنا على من أبي بكر سمع أبوبكر الرغاء فوق وقال هذا
 رغاء ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل العضباء المشقوقة الأذن ولم تكن ناقدة صلى الله
 عليه وسلم كذلك ولكن كان ذلك علما عليها والرغاء بالمتصوت ذوات الخلف قاله الجوهري فلما لحقه
 قال أميراً ومأموراً وروى أن أبابكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطرق هبط جبريل وقال يا محمد
 لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل علياً رضي الله عنه فراجع أبوبكر رضي الله عنه وقال
 يا رسول الله أثنى نزل قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآي فلما كان قبل التروية
 يوم خطب أبوبكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال أيها الناس اني
 رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا أفقر أعليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد
 ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع آي بأن أخبر ونادي بها أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
 ولا يطوف به عربان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وان يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا
 عند ذلك أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن
 بالرمح وضرب بالسيف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (فان قيل) قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة لان يؤذوا عنه كثيرا ولم يكونوا من عترته (أجيب) بأن
 هذا ليس على العموم بل مخصوص باليهود لان العرب عادتهم ان لا يتولى العهد ونقصه على
 القبيلة إلا رجل من الاقارب فلو قولا له أبوبكر رضي الله تعالى عنه لما نأ أن يقولوا هذا خلاف
 ما يعرف فينا من نقض العهد وفرض ما لم يقبلوا فلم يخف عليهم ثم تنوالت عليه ذلك وبدل على ذلك
 ان في بعض الروايات لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي وقبل لما خص أبابكر بتولية
 الموسم خص علياً بهذا التبليغ تعظيماً للقلوب ورعاية للجوانب وقيل قرأ أبوبكر على الموسم وبعث
 علياً خليفة لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون ذلك جارية مجرى تنبيهه على علي
 امامة أبي بكر (فان قيل) ما وجه اطلاق أكثر العلماء على جواز قاتلة المشركين في الأشهر الحرم
 وقد صانها الله تعالى عن ذلك (أجيب) بأنهم قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبج قتال المشركين
 فيها (واعلموا انكم غير معجزى الله) أي لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين)
 أي مذلهم في الدنيا بالقتل والامرو في الآخرة بالعذاب (وأذان) أي اعلام واقع (من الله
 ورسوله إلى الناس) اذا الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة فانه اعلام بوقتكم وارتفاعه
 كارتفاع براءة على الوجهين (فان قيل) لم علفت البراءة بالذين عاهدوا من المشركين
 وعلق الاذان بالناس (أجيب) بأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناس كثير منهم وانما الاذان
 فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهدوا ومن نكث من المعاهد ومن لم ينكث
 (يوم الحج الأكبر) أي يوم عيد النحر لان فيه معظم أفعاله من طواف ونحر وحلق ورمي بقع

فيه ولان الاعلام كان فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في حجة الوداع فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر وروى ان عليا رضي الله عنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبابة فجاهاه رجل فأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا فخل سبلها وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقيل أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقوله يوم صفين ويوم الجمل لان الحرب دامت في هذه الايام ويطلق عليهم ايوم واحد وقيل هو الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليزود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وانما قيل لها الاصغر لئلا تصان أعمالها عن الحج وقيل وصف بذلك لما وافقه حج النبي صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وقيل وصف بذلك لاجتماع اعياد الملل في ذلك اليوم وقيل لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين وقوله تعالى (ان الله يرى من المشركين) أي من عهودهم فيه حذف تقديره وأذان من الله ورسوله بأن الله يرى من المشركين وانما حذف الحار دلالة الكلام عليه وقوله تعالى (ورسوله) هر فوع على انه مبتدأ حذف خبره أي ورسوله كذلك وحكى ان اعرابا سمع رجلا يقرأ ورسوله بالجر فقال ان كان الله يرى من رسوله فأنا منه يرى فليبه الرجل الى عمر رضى الله عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ امر عمر بتعليم العربية وحكى أيضا ان اعرابيا قدم في زمن عمر فقال من يقرئني مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل براءة فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي أو قد برئ الله من رسوله ان يكن الله يرى من رسوله فأنا برئ من الله فليخ عمر رضى الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه فسأله فأخبره الاعرابي بذلك فقال عمر ليس هكذا يا اعرابي فقال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالرفع فقال وأنا واقه أبرأ مما برئ الله ورسوله منه فأمر عمر ان لا يقرأ القرآن الاعلام باللغة وأمر أبا الاسود الدؤلي فوضع النخوة (فان تبتم) أي عن الكفر والغدر (فهو) أي ذلك الامر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والافلاح عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليت) أي عرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير معجزى الله) وذلك وعيد عظيم واعلام بأن الله تعالى قادر على ازال أشد العذاب بهم كما قال تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) أي مؤلم وهو القتل والاسرى الدنيا والنار في الآخرة ولفظ البشارة هنا ورد على سبيل الاخبار وأعلى سبيل الاستهزاء كما يقال محبتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا كما قال تعالى (ثم لم ينقضوكم شيئا) أي من عهودكم التي عاهدتموهم عليها (ولم ينظروا) أي ولم يعاونا (عليكم أحدا) من عدوكم (فأعزوا

لهم عهدهم الى امتهم) أى الى انقضائهم ولا تجبروهم بحجى الناكثين وقوله تعالى (ان الله يحب
 المتقنين) تعليل وتنبية على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا أنسلخ) أى انقضى وخرج
 (الاشهر الحرم) التى حرم الله تعالى عليهم فيها قتالهم وضربت أجالا لسياحتهم والتعريف منه
 فى فارسنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول والمراد بكونها حراماً ان الله تعالى حرم
 القتل والقتال فيها وقيل هى وجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قال البيضاوى وهذا يجعل
 بالنظم أى نظم الآية اذ نظمها يقتضى نوال الاشهر المذكورة (فاقتلوا المشركين) أى الناكثين
 الذين ضربتم لهم هذا الاجل احساناً وكرماً (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر
 حرام أو غيره (وخذوهم) أى بالاسر (واحصروهم) أى بالحبس عن اتيان المسجد الحرام
 والتصرف فى بلاد الاسلام فى القلاع والمحصون حتى يضطروا الى الاسلام أو القتل (واقعدوا
 لهم) أى لاجلهم خاصة فان ذلك من أفضل العبادات (كل مرصد) أى طريق يسلكونه
 لئلا ينسبوا الى البلاد واتصاب كل على الظرفية كقوله لا قعدن لهم صراطك المستقيم
 وقيل ينزع الخافض قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن
 المشركين والصبر على اذى الاعداء (فان تابوا) أى عن الكفر بالايمان (وأقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) تصديقاتهم وقيامهم فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلاق
 (تخافوا سيولهم) أى فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفى هذه الآية دليل على ان تارك
 الصلاة ومانع الزكاة لا يجزئ سبيله لانه ان كان جاحداً للوجوب ما فهو مرتد والقتل بترك
 الصلاة وأخذت منه الزكاة قهراً وقول على ذلك كما نقل عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال لما
 نوفى النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر كافر من كفر من العرب قال عمر لابي بكر رضى الله
 تعالى عنهما كفى تقايل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بجهتها
 وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال
 والله لو منعونى عنها فاكفوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عفا لا كانوا
 يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت
 أن الله شرع صدر أبى بكر الى القتال فعرفت انه الحق (ان الله غفور) أى بليغ المحو للذنوب
 التى تاب صاحبها عنها (رحيم) به (وان أحد من المشركين) أى الذين أمرت بقتالهم (استجارك)
 أى طلب أن تعامله فى الأكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة (فأجره) أى
 فأمنه ودافع عنه من يقصده بسوء (حتى يسمع كلام الله) أى القرآن بسماع التلاوة والدلالة عليه
 فعمل بذلك ما يدعى الله من المحاسن ويتحقق انه ايس من كلام الخلق (ثم) ان أراد الانصراف
 ولم يسلم (أبلغه مأمنه) أى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه لينظر فى امره ثم بعد ذلك
 يجوز لك قتالهم وقتالهم من غير غدر ولا خيانة قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة
 • (تنبيه) • أحد من غرغ بفعل مضمر يفسره الظاهر وتقديره وان استجارك أحد ولا يجوز أن

يرتفع بالابتداء لان من عوامل الفعل فلا تدخل على غيره (ذلك) أى الامر بالاجارة للعرض
المذكور (بأنهم) أى بسبب انهم (قوم لا يعلمون) أى لا علم لهم لانهم لا عهد لهم بنبوته ولا رسالة
ولا كتاب فاذا علموا أو شك أن يفهمهم العلم وقوله سبحانه وتعالى (كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله) استفهمهم معناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله
وبهم يغترون وينقضون العهد (الالذين عاهدتم) أى من المشركين (عند المجدد الحرام) يوم
الحديثة وهم المستنون قبل (فما استقاموا اليكم) أى أقاموا على العهد ولا ينقضوه (فاستقيموا
أهم) أى على الوفاء وهو كقوله تعالى فأقوا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد
وما تحتمل الشرطية والمصدرية (أن الله يحب المتقين) أى من اتقى يوفى بعهد من عاهد وقد
استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه باعانة بنى بكر على خزاعة وقوله تعالى (كيف)
تكرار للاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم
عهد ثابت (وان) أى والحال انهم مضطرون لكم الغدر والخيانة فهم ان (يظفروا عليكم) أى
يعلموا أمرهم على أمركم بأن يظفروا بكم بعد العهد والميثاق (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم) أى
في اذا كم بكل جليل وحقير (الا) أى قرابة محقة قال حسان

لعمرك أن الله من قريش * كال السقب من رأل النعام

السقب ولد الناقة والرأل ولد النعامة والخطاب في لعمرك لاني سفيان أى لا قرابة بينك وبين
قريش كالأقربة بين ولد الناقة وولد النعامة وقيل الالهة وقيل جبريل (ولاذمة) أى عهدا
بل يؤذوك وما استطاعوا وقوله تعالى (يرضونكم بأفواههم) أى بكلامهم كلام مبتدأ في وصف
حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) أى عن
الوفاء به لخالفه ما فيها من الاضغان (وأكثرهم فاسقون) أى راسخو الاقدام في الفسق (فان
قيل) الموصوفون بهذه الصفة كفار والكفر أقبح وأخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم
بالفسق في معرض المبالغة في الذم وأيضا الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله وأكثرهم فائدة
(أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه فلا ينقض العهد وقد يكون فاسقا خبيث النفس
في دينه فينقضه فالمراد بالفسق هنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهد فلهذا
قال وأكثرهم أى ان هؤلاء الكفار الذين من عادتهم نقض العهد أكثرهم فاسقون
في دينهم وعند اقوامهم وذلك يوجب المبالغة في الذم وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض
أولئك الكفار قد أسلم وتاب فلهذا السبب قال وأكثرهم فاسقون حتى يخرج عن هذا الحكم
أولئك الذين دخلوا في الاسلام (استروا) أى استبدلوا (آيات الله) أى القرآن (غنا قليلا)
أى عرضا يسيرا من الدنيا وهو اتباع الاهواء والشهوات مع مصاحبة الكفر وذلك ان آبا
سفيان بن حرب اطعم حلفاء وترك حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فنقض العهد الذي بينهم
بسبب تلك الاكالة (فصدوا) أى فتسبب لهم ذلك وأداهم الى ان صدوا (عن سبيله)
أى منعوا الناس من الدخول في دينه (انهم ساء) أى بش (ما كانوا يعملون) أى عملهم

هذا وما دل عليه قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن الا ولادة) فهو تفسير لا تكبر وقيل
 الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشترى واوهم اليه ووالا عراب الذين جعلهم ابوسفيان
 واطعمهم (واولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (هم المعتدون) الذين تعدوا ما احاد الله لهم
 في دينه وما يوجب العهدة والعهد * ولما بين تعالى حال من لا يرقب في الله الا ولادة وينقض
 العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما احاد الله تعالى له بين ما يصيرون به من أهل دينه بقوله تعالى
 (فان تابوا) أي رجعوا عن الشر الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلاة)
 أي المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها (وأآتوا الزكاة) المفروضة عليهم طيبة بها
 نفوسهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) لهم مالكم وعليهم ما عليكم وقوله تعالى
 (وفصل الايات لقوم يعاون) اعتراض للبحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال
 التائبين (وان نكثوا) أي نقضوا (ايمانهم) أي عهودهم (من بعد عهدهم) الذي عاهدوكم
 عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) أي وهابوا
 دينكم الذي أنتم عليه وقد حوافيه (فقاتلوا أئمة الكفر) أي الكفار بأسرهم وانما خص
 الأئمة منهم بالذكر لانهم هم الذين يحرضون الاتباع منهم على هذه الاعمال الباطلة وقال ابن
 عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأبي جهل وسائر رؤساء قريش وهم الذين
 نقضوا عهودهم وهموا باخراج الرسول وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وقرأ نافع وابن كثير
 وأبو عمرو بتسبيل الهمزة الثانية المكسورة وحقة الباقون وقول البيضاوي والتصريح
 بالياء لحن تتبع فيه الكشف التابع للفراء وهو مردود فالجهور من النجاة والقراء على جواز
 قلب الهمزة الثانية حرف لين فبعضهم على جعلها بين بين وبعضهم على قلبها ياء خالصة وقوله
 تعالى (انهم لا ايمان لهم) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة أي لا تصديق لهم ولا دين وليس في ذلك
 دلالة على ان توبة المرتد لا تقبل والباقون بالغنح جمع عين أي لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
 ليست بايمان والالماطعوا في دينكم ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذي اذا طعن في الاسلام
 فقد نكث عهده أي ان شرط ذلك عليه كما هو مذهبننا ونعكس أبو حنيفة رحمه الله تعالى بهذا
 على ان عين الكافر لا تكون يميناً وعند الشافعي رحمه الله تعالى يمينهم منعقدة ومعنى هذه
 الآية عندهم لمالم يؤمنوا بها صارت ايمانهم كأنها ليست بايمان والدليل على أن يمينهم
 منعقدة ان الله تعالى وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ولولم تكن منعقدة
 لما صح وصفها بالنكث وقوله تعالى (اعلمهم ينهون) متعلق بقاتلوا أي ليهكن غرضكم
 في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظام ان ينهوا عما هم عليه من الكفر والطعن في
 دينكم والمظاهرة عليكم وهذا في غاية كرم الله تعالى وفضله على الانسان وليس الغرض ايصال
 الاذية لهم كما هو طريقة الموحدين * ولما قال تعالى فقاتلوا أئمة الكفر اتبعه بذكر ثلاثة أسباب
 تشككم على مقاتلتهم كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انقرد كيف به حال الاجتماع أحدها
 ما ذكره تعالى بقوله (الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم) أي نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا

عقد الصلح بالحديبية واعانوا بنى بكرة على خراصة وهذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجرا لغيرهم وثانيها قوله تعالى (وهو باخراج الرسول) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على ما ذكر في قوله تعالى واذا يكررك الذين كفروا وقبل هم اليه وذكروا عهد الرسول وهو باخراجهم من المدينة وهذا من أوكد ما يجب القتال لاجله وثالثها قوله تعالى (وهم يدؤكم) أي بالقتال (أول مرة) أي هم الذين كانت منهم البداية بالقتال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير وتقدمهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادون بالقتال والبادئ أظلم فاعينكم من أن تقتلواهم بمثل وان تصدموهم بالشبر كما صدموكم ويخفهم الله تعالى بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الخس عليه وان يقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبداء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوجب من فترط فيها (أتخشونهم) أي أتخافونهم أي المؤمنون فتركون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بوعده الله تعالى ووعيده لأن قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بغيره سواء كونه تعالى سماوي ولا يخشون أحدا الا الله * ولما وجههم الله تعالى على ترك القتال جدد له الامر به بقوله تعالى (فاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) أي بالقتل والاسر واعتنام الاموال (فان قيل) قد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف قال تعالى هنا يعذبهم الله بأيديكم (أجيب) بأن المراد بالعذاب في الآية الاولى عذاب الاستئصال وبهذه الآية القتل والاسر والفرق ان عذاب الاستئصال قديم يعنى الى غير المذنب وانه في حقه لمزيد الثواب وعذاب القتل مقصور على المذنب وهذا كالتصريح بأن هذا الفعل وما عطف عليه فعله تعالى وان كان جاريا على أيدي العباد كسب الا يرد على ذلك أنه لا يقال يعذب الله المؤمنين بأيدي الكافرين لأن ذلك انما امتنع لشيعة العبارة كما لا يقال يا خالق القاذورات والابوال والعذرات وان كان هو الخالق لها (ويخزهم) أي بالذل والافضيحة في الدنيا والعذاب في الآخرة (ويصرم عليهم) أي يكتسبكم من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) أي طائفة من المؤمنين وهم خراصة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسباقدم مكة فاسلموا فافلقوا ومن أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكنون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) أي كربها وجددها وقد وفي الله تعالى بما وعدوا الآية من المعجزات وقوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء) استئناف أي ان الله تعالى يهدي من يشاء الى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله تعالى عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وحسن اسلامهم (والله اعلم) أي يعلم ما نسيكون كما يعلم ما قد كان فهو عليهم بكل شيء يعلم من يصلح للتوبة ومن لا يصلح لها أو يعلم ما في قلوبكم من الاقدام والاجام (حكيم) أي أحكم جميع أموره (أم حسبتم) أي أظنتم (ان تتركوا) فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمنحوا البظهر الصادق من

الكاذب والخطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم بعض في
 همزة الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي علمنا ظاهرا تقوم به الحجة عليكم في مجاري
 عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد في الواقع بالفعل وعبر تعالى بلمادون لمدالتهما
 مع استغراق الزمان على أن تين ما بعدهما متوقع كائن بقوله تعالى (ولم يتخذوا من دون الله
 ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قبل ولما يعلم الله
 المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من وبع كالدخيلة
 من دخل وهي البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة هي الخيانة
 وقال عطاء هي الاولياء (والله حبير بما تعملون) من موالاته المشركين وغيرهافيجاز بكم عليه
 قال ابن عباس رضي الله عنه - ما ولما أسر العباس يوم بدر - يره المسلمون بالكفر وقطعية الرحم
 وأغلظ على رضي الله عنه عليه القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون
 محاسنا فقال له على وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم انما النعمر المسجد الحرام
 ونحجب الكعبة ونسقي الحجج ونفك العاني يعني الاسير فأمر الله تعالى رد على العباس (ما كان
 للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا ومسجد الله بدخوله
 والقعود فيه وخدمته فاذا دخل بغير إذن مسلم عزروا وان دخل باذنه لم يعزروا لكن لابد من حاجة
 فيشترط للجواز الاذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى
 الله عليه وسلم لم شد ثيابه من اثار الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر وذهب جماعة الى أن
 المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وترميمه عند خرابه فيمنع منه الكافر وقرأ ابن كثير
 وأبو عمرو بسكون السين ولا ألف بعده على التوحيد وفي هذا دلالة على أن المراد المسجد
 الحرام والباقيون يفتح السين وألف بعده على الجمع وفيه دلالة على أن المراد جميع المساجد
 وقيل المراد على القراءتين المسجد الحرام وانما جمع لانه قبله المساجد وامامه افعامه كعاهم
 الجميع وقوله تعالى (شاهدني على انفسهم بالكفر) حال من الواو في يعمرها أي ما استقام
 لهم أن يجتمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى
 شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم قال الحسن لم يقولوا نحن كفار وانكر
 كلامهم بالكفر شاعده عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهم ما شهدتهم على انفسهم
 بالكفر بنجودهم للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بنباب قد علمنا فيها المعاصي وكلما طافوا أسبوعا
 سجدوا للاصنام فلم يزدادوا من الله الا بعدا وقيل هو قولهم امينك لا شريك لك الا شريك
 هو لك فاعلمك وما ملك وقال السدي شهدتهم على انفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من
 أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشركي يقول مشرك (أو ائت بك حبط) أي
 بطلت (أعمالهم) أي الاعمال التي عملوها من أعمال البر واقتصر واجبهم امثل العبارة والحجبة
 والسقاية وفك العنة مع التكفير لتأثيرها (وفي النارهم خالدون) لجعلهم الكفر مكان الايمان

واسخج أصحابنا به هذه الآية على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإيمان لا يبقى مخلد في النار
 من وجهين الأول قوله تعالى وفي النار هم خالدون بقيد الحصر أي هم فيها خالدون لا غيرهم ولما
 كان هذا واردا في حق الكفار ثبت أن الخلود لا يحصل إلا للكافر الثاني أنه تعالى جعل الخلود
 في النار جزاء للكفار عن كفرهم فلو كان هذا الحكم جزاء لغير الكافر لما صحت تهديد الكافر به
 وفي الكشف أن الكبيرة تهدم الأعمال وهو جار على مذهبه الفاسد ولما بين تعالى أن الكافر
 ليس له أن يعمر مساجد الله بين المستحق لعمارتها بقوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن
 بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش) أحدا (إلا الله) أي انما يتم عمارتها
 لهؤلاء الجامعين بين الكمالات العملية والعلمية (فان قيل) لم يذكّر الإيمان برسوله صلى الله
 عليه وسلم مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان (أجيب) بأنه تعالى لما ذكر الصلاة والصلاة لأنتم
 إلا بالتشهد وهو مشتق على ذكره كان ذلك كافيا ومما علم من أن الإيمان بالله تعالى قرينه وتتامه
 الإيمان به فكان الآية ن بالرسول صلى الله عليه وسلم مذكورا بطريق أبلغ وهو طريق السكينة
 لما تزامن مقارنتهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر وقيل ان المنكرين كانوا يقولون ان
 محمدا انما ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلذلك ترك ذكر النبوة ~~ف~~ أنه يقول مطلوبني
 من تبليغ الرسالة ليس إلا الإيمان بالمبدأ والمعاد فذكر المقصود الأصلي وحذف ذكر النبوة
 تنبيه للكفار على أنه لا مطلوب له من الرياسة (فان قيل) كيف قال تعالى ولم يخش إلا الله
 والمؤمن يخاف الظلمة والمفسدين (أجيب) بأن المراد من هذه الخشية الخوف والتقوى في
 أبواب الدين وان لا يختار على رضا الله تعالى عنه رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران
 أحدهما حق الله تعالى والاخر حق نفسه أن يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله تعالى على حق
 نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد في تلك الخشية عنهم ومن عمارة المساجد
 ترميمها وفرشها وتنويرها بالسراج التي لا سرف فيها وادامسة العبادة فيها والذكر ومن الذكّر
 درس العلم فيها بل هو أجل وأعظمه وصيانتها بمنامت بن المساجد لأجل الحديث الدياروي أنه
 صلى الله عليه وسلم قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقععدون حلقات ذكرهم
 الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل
 الحسنات كأتا كل البهيمة الحشيش وفي الكشف انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
 ان يوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
 فحق على المزور أن يكرم زائره قال شيخنا ابن حجر لم أجده هكذا وفي الطبراني عن سلمان رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ن توفأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر
 الله وحق على المزور أن يكرم زائره وروى عنه صلى الله عليه وسلم لم من ألف المسجد ألقه الله
 تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعبد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس
 رضي الله عنه من أخرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وجله العرش تستغفر له مادام في ذلك
 المسجد ضوه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وراح أعد الله تعالى له نزلا

من الجنة تكافؤا وراح وفي قوله تعالى (فَعَسَى أُولَئِكَ) أي الموصوفون بهذه الصفات
 (أن يكونوا من الممتدين) تبعيد للمشركين عن موافق الاعتداء وحسم اطماعهم والانتفاع
 بأعمالهم التي قد استعظموها واقتضوا بها وأملوا عاقبتها فأنه تعالى بين أن الذين آمنوا وضمو
 إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضمو إلى الخشية من الله تعالى فهو لا صار حصول الاعتداء
 لهم دائرا بين لعل وعسى فبال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ويجزمون بقضوهم
 بخير من عند الله ومنع للمؤمنين من أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها وذكر المفسرون
 في سبب نزول قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم
 الآخر وجهدي سبيل الله) أقوالا فمن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال رجل لأبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل
 عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي
 الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
 ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيتية فيما اختلقت فيه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما قال العباس حين أسري يوم بدر لئن كنتم سبقتونا بالاسلام وبالهجرة والجهاد لقد كنا نعلم
 المسجد الحرام ونسقى الحاج فنزلت وقيل إن المشركين قالوا لليوم ونحن علينا سقاية الحاج وعمارة
 المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقال لهم اليوم أنتم أفضل فنزلت وقيل إن عليا
 قال للعباس رضي الله عنه ما باعكم إلا ثم أجروا الاتمقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 أأنت في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فأنزلت قال العباس ما أراي
 إلا تاركا سقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتهم فان لكم فيها خيرا وكان
 العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام
 وأسلم العباس أمره صلى الله عليه وسلم على ذلك وروى أنه صلى الله عليه وسلم جاء السقاية
 فاستسقى فقال العباس رضي الله عنه لابنه الفضل يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال له صلى الله عليه وسلم اسقي قال يا رسول الله يجعلون أيديهم
 فيه قال اسقي فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل
 صالح وعن أبي بن عبد الله المزني رضي الله عنه قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه
 امرأتي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل والبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من
 جهل فقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله ما بنا من حاجة ولا جهل انما قدم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فأبناه باننا من نبيذ فشربه وسقى فضله اسامة وقال
 أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوه فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ
 يتبع في الماء غدوة وهو حلال فان فلا وجزئكم * (تنبيه) * السقاية والعمارة مصدران من سقى
 وعمر كالعمارة والوقاية فلا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
 الحرام كإيمان من آمن بالله (لا يستوون عند الله) أي لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله

وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحياح وعو المسجد الحرام وهو مقيم على كفره لان الله
 تعالى لا يقبل عملا الا مع ايمان به وبين عدم تساويهم بقوله تعالى (والله لا يهدي القوم
 الظالمين) أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم منهم مكنون في الضلال
 فكيف يساويون الذين عاهدهم الله تعالى ووفقههم الحق والضواب وقيل المراد بالظالمين الذين
 يسقون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
 اعظم درجة عند الله) أى اعلى مرتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات والمراد من
 تكون العبد عند الله بالاستغراق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه قطع العندية بحسب
 الجهة والمكان لان الارواح البشرية اذا ظهرت من دنس الاوصاف البدنية اشرقت بأنوار
 الجلال وتجلي فيها أضواء عالم الكمال وسرت من العبودية الى العندية وقيل أعظم درجة عند
 الله ممن اقتصر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام (فان قيل) على هذا كيف قال في وصفهم أعظم
 درجة مع انه ليس للكافر درجة (أجيب) بأن هذا ورد على حسب ما كانوا يقدرون لانفسهم
 من الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره قوله تعالى قل الله خير أم ما يشركون وقوله تعالى اذلك
 خير من لا أم شجرة الزقوم (وأولئك) من هذه صفتهم (هم الفاترون) أى بسعادة الدنيا والآخرة
 (يشركهم) أى يخبرهم (ربهم) والبشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر
 بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر سبحانه وتعالى الذى يبشرهم به بقوله تعالى (برحمة منه
 ورضوان) فهذا أعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله تعالى سبحانه وتعالى على العبد
 نهاية مقصوده (وجنات) أى بساتين كثيرة الاشجار والثمار (لهم فيها) أى الجنات (نعيم) أى
 جزاء خالص عن كدرهما (مقيم) أى غير منقطع وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة وحقق
 الخلود بقوله تعالى (أبدا) ولما ذكر تعالى هذه الاحوال قال (ان الله عنده أجر عظيم)
 وناهيك بما يصفه الله بالعظم وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه به هذه
 العبارات الثلاث المقررة بالعظم والاسم الاعظم فكان أعظم الثواب لان ايمانهم أعظم
 الايمان وذلك كالمفسرون في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
 وأخوانكم أولياء) أقوالا فقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطلحة
 وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بالهجرة الى المدينة فنهى من تعلق به أهله وولده يقولون نشدك الله ان لا تنضم عنا فارق لهم فيقيم
 عندهم ويدع الهجرة فزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه أو ابوه أو أخوه أو بعض أقربائه
 فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا يتفق عليه حتى رخص لهم بعد ذلك قال مقاتل نزلت في التسعة
 الذين ارتدوا ولحقوا بجمعة أى لا تتخذوهم أولياء يمنعوكم عن الايمان ويصدوكم عن
 الطاعة لقوله تعالى (ان استحبوا) أى اختاروا (الكفر على الايمان) أى أقاموا عليه
 تركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم) أى ومن يختار المقام معهم على الهجرة
 والجهاد (فأولئك هم الظالمون) أى فقد ظلم نفسه بخالفه أمر الله تعالى واختار الكفار على

المؤمنين * ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا أن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا
 ذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا رحماننا فنزل قوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين قالوا
 هذه المقالة (ان كان آبائكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ
 من العشرة وقيل من العشرة فإن العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة (وأموال
 قترتوها) أي اكتسبتوها (وتجارتهم تحشون كسادها) أي عدم نفاقها بفراقكم لها
 (ومساكن ترضونها) أي نسيه وطمونها راضين بسكنائها (أحب اليكم من الله ورسوله) أي
 الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فقعدتم لاجل ذلك عن الهجرة والجهاد أي
 ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد
 في سبيل الله (فترهبوا) أي انتظروا متربصين وهو تهديد بليغ (حتى يأتي الله بامرهم) حال
 مجاهد بقضائه أي عقوبة عاجله أو آجله وقال مقاتل بفتح مكة (والله لا يهدي القوم) أي
 لا يخلق الهداية في قلوب (الفاستقين) أي الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع
 تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا
 (أقدنصركم الله) النصرة المعونة على الاعداء باظهار السمايين عليهم (في مواطن) أي
 ما كن للحرب (كثيرة) كبدور وقرينة والنضير والمراد بذلك غزواته صلى الله عليه وسلم
 وسراياه وبعوثه وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد
 ابن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منها وأما جميع غزواته وسراياه
 وبعوثه فقبل سبعون وقيل ثمانون (ويوم) أي واذكريوم (حنين) وهو وادي بين مكة والطائف
 أي يوم قتالكم فيه هو وزن وقوله تعالى (اذ أعجبكم كرتكم) بدل من يوم حنين وكانت
 صفة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقد بقي من شهر رمضان
 أيام وخرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال عطاء بن ابي عبيد رضي الله عنهم ما كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا
 عشرة آلاف وقال قتادة كانوا اثني عشر ألفا عشرة آلاف الذين حضر وافتح مكة وألفان
 انضموا اليهم من الطلقاء وهم الاسراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا بالجملة كانوا
 عددا كثيرا وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين ان تغلب اليوم
 من قلة انما يابك فترتهم فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وقبل
 قائمها أبو بكر رضي الله عنه وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعد جد الانه
 صلى الله عليه وسلم كان في أحواله كاهاتوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها
 ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهمز المشركون وتخلوا عن الذراري ثم تادوا بإجاة السواد اذكروا
 لفضائل قترأجوا وانهم كشف المسلمون حق بلغ منهمزهم مكة وبقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس أخذ بالجام بقلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
 وزاهب بهذا شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تناهي شجاعته قال البراء بن عازب كانت

هو اذن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكيننا على الغنائم واسنة قبلوا بالسهام فأنكشف
المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس وأبوسفیان قال البراء والذي
لا اله الا هو ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط قد رأيت به وأبوسفیان أخذ بالركاب
والعباس أخذ بالجم الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب فطابق
يركض بغلته نحو الكفار لا يولي ثم قال للعباس وكان صنيصا صبح يا عباس فما دى يا عباد الله
يا أصحاب الشجرة وهم أصحاب بيعة الرضوان المذكورون في قوله تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يادعونك تحت الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال الطيمي وهم المذكورون في قوله
تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل الذين أنزلت عليهم سورة البقرة فرجعوا
بجماعة واحدة يقولون لبيك ابيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة
والسلام هذا حين جى الوطيس أى اشتد الحرب ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفامن
تراب فرماه ثم قال انهم زموا ورب الكعبة فانهم زموا وروى أنه صلى الله عليه وسلم نزل
عن البغلة ثم أخذ قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم ثم قال شأفت الوجوه قال
سلمة بن الاكوع فما خلق الله تعالى منهم انسانا الا اعينيه تراثيك القبضة قولوا
مدبرين فهزمهم الله تعالى (فلم تغن) أى الكثرة (عنكم شيا وضافت عليكم الارض بما
رحبت) أى برحبها أى بسعة ما لا تجدون فيها مقرات مطمئن اليه تقوسكم من شدة الرعب
ولا تبتون فيها كن لا يسعه مكانه (ثم وليتم مدبرين) أى الكفار اظهروكم مدبرين أى
منهم من والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى
سكنوا اليها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) أى على الذين انهم زموا فرددوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين تقوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنودا) أى ملائكة (لم تروها) بأعينكم قال سعيد
ابن جبير مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل غانية آلاف
وقيل ستة عشر ألفا وروى أن رجلا من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباقى
والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم الا كهية الشامة وما قتلنا الا بأيديهم فاخبروا
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي
العيال وسلب المال (وذلك جزاء الكافرين) أى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا وروى أنه صلى
الله عليه وسلم لما قسم ما آفاه الله عليه يوم حنين فى الناس وفى الموائمة فلو بهم لم يعط الانصار شيئا
فكأنهم وجدوا اذ لم يصهم ما أصاب الناس فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاشر
الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بنى وكنتم متفرقين فآلفكم الله بنى وعالة فأغناكم
الله بنى كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن قال ما يمنعكم أن تعجبا وارسول الله لو شئتم قلتم جئنا
كذبا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة
لكنتم امرا من الانصار لو ليك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار

شعار والناس دثارا لكم ستلقون بعدى أثره فأصبروا حتى تلقوني على الحوض وعن رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال العباس بن مرداس

أتجعل نهي ونهي العبيد بين عينة والاقرب
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يحقق اليوم لا يرفع

قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم له مائة (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) فتيجا وزعنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبهر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قبل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا ما ذار يكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالا حساب شيئا والحسب ما يعلّمه الانسان من مفاخر آبائه كنوا بذلك عن اختيار الذواري والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم في ذل الاسرى يقضى الى الطعن في احسابهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئا فمن كان يدهم شئ وطابت نفسه ان يردّه فشاؤه أى فليأزم شأنه وأمرهم ومن لا تغلب نفسه ليعطنا وليكن ترضاع علينا أى بمنزلة القرص حتى نصيب شئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لأدرى لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك اليا فرفعت اليه العرفاء ان قدرضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذوو نجس لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس وانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يتجنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كلهم النجاسات بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمه الله تعالى من صافح مشركا قوض وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين والنجس مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع (فلا يقربوا المسجد الحرام) أى لحياستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة والمنع من دخول الحرم قال العلماء وجبة بلاد الاسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخل المسجد بهال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يؤذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم ويجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الجواز فيجوز للكافر دخوله بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى

لا ادع الاسلام فاجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجر اثلاثا وجزيرة العرب من
 أقصى عدن أبين الى ريف العراق في الطول وأما في العرض فن جدة وما والاها من ساحل
 البحر الى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقسم فيها بركة
 أو أمان لكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم لحاجة وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) إشارة الى
 العام الذي حج فيه ابو بكر رضي الله تعالى عنه ونادى على رضى الله عنه براءة وهو سنة تسع من
 الهجرة وقيل سنة حجة الوداع ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يقرأ على مشركي
 مكة أول براءة وينبذ اليهم عهدهم وإن الله يرى من المشركين ورسوله قال اناس يا أهل مكة
 ستعلمون ما تلقون من الشدة لا تقطع السبيل وفقد الجولات وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم
 من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون فلما امتنعوا من دخول الحرم
 خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وان
 خففتم عبادة) أي فقرأوا حجة بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم الله من فضله)
 أي من عطائه وتفضله من وجه آخر وقد أنجز الله تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدرارا
 فكثر خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وتبالة وبحرش وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة
 فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون وتبالة بفتح التاء وبحرش بضم الحيم وفتح الراء وشين مجمعة
 قريتان من قرى الين وقيد ذلك بقوله تعالى (ان شاء) لتقطع الآمال اليه تعالى ولينبيه على
 أنه منفضل في ذلك وإن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله) أي
 الذي له ساطة الكاملة (عليم) أي بوجوه المصالح (حكيم) أي فيما يعطى ويمنع وعن ابن
 عباس رضى الله تعالى عنهما ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكون فأمرهم
 الله تعالى بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)
 (فان قيل) اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله تعالى
 عنهم بذلك (أجيب) بأن من اعتمد أن العزيز ابن الله وأن المسيح ابن الله فليس يؤمن بل هو
 مشرك وبأن من كذب برسول الله لا من الرسل فليس يؤمن واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء
 (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) من الشرب وكل أموال الناس بالباطل وتبديل التوراة
 والانجيل وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أي الثابت الذي هو ناسخ اسائر الاديان وهو
 الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام (من الذين أتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى
 بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) وهي الخراج المضروب على رقابهم في نظير سكناهم
 في بلاد الاسلام آمنين مأخوذ من المجازاة لكفنا عنهم وقيل من الجزاء بمعنى القضاء قال الله
 تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا أي لا تعفى وقوله تعالى (عن يد) حال من الضمير
 أي من مقادين مقهورين يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما يعطونهم بأيديهم ولا يرسلونهم على يد غيرهم وهل يجوز أن
 يوكوا مسلما في دفعها أولا ينبغي على تفسير الصغار المذكور في قوله تعالى (وهم صاغرون)

أي أذلة منقادون لحكم الاسلام ويكفي في الصغار ان يجري عليهم الحكم بما لا يعقدون
 حله أن يجوز التوكيل على هذا تفسيره ان يجلس الآخذ ويقوم الكافر ويطأ رأسه ويحني
 ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض الآخذ لحية ويضرب لهنز منيه وهو مجتمع اللحم بين
 الماضع والاذن من الجانبين مردود بأن هذه الهيئة باطلة ودعوى سفيهاً ووجودها أشد بطلاناً
 ولم ينقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحداً من الخلفاء الراشدين فعل شيئاً من ذلك وعلى
 تفسيرهما بما ذكره يمنع التوكيل اذا قيل بوجوبه لا باستحبابه * (تنبيه) * مفهوم الآية يقتضي
 تخصيص الجزية بأهل الكتاب ولكن الحق بهم الجحوس لانه صلى الله عليه وسلم أخذها من
 مجوس هجر وقال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وكذا من زعم التسليم بصحف ابراهيم وزبور داود
 صلى الله عليهما وسلم ومن أحد أبويه كتابي والا تخروثنى وأولاد من تهوداً وتنصر قبل النسخ
 أو شيككافي وقت اليهود والنصارى كان قبل النسخ أم بعده فلا تعقد ولا ولامن تهوداً وتنصر
 بعد النسخ في ذلك الدين ولا بعدة الاوثان والشمس والملائكة والسامرة والصابئون
 ان خالفوا اليهود والنصارى في أصول دينهم فليسوا منهم ولا عنهم وعن مالك تؤخذ الجزية
 من كل كافر الا المرتد وعن أبي حنيفة الا مشركي العرب وأقل الجزية دينار لكل سنة عن كل
 واحد لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذين جبل لما بعثه الى اليمن خذ من كل حالم أي محتلم ديناراً
 صححه ابن حبان والحاكم وتوخذ من زمن وشيخ هرم وأعمى وراهب وأجير وفقير مجز عن كسب
 فاذا تمت سنة وهو معسر في ذمته حتى يوسر وقال أبو حنيفة على الغني ثمانية وأربعون درهماً
 وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوف ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب ولا بد أن يكون
 المأخوذ منه حرّاً ذكراً غير مميّ ومجنون وتلقى أفاقة مجنون ككثرت فان قل زمن الجنون
 كساعة من شهر فلا أثر لها ولو بلغ ابن ذمي ولم يوط جزية الحق بأمنه وان أعطاه عقده وقيل
 عليه بجزية أبيه ولا يحتاج الى عقده اكتفاء بعقد أبيه ومن مات عن مات عن عقد له الجزية أو أسلم أو
 جن أو هجر عليه بفاس أو سقه بعد سنة فجزية كدين آدمي أو في أثنائها انقسط وتسقط بالاسلام
 والموت عند أبي حنيفة (وقالت اليهود عزير ابن الله) اختلفوا في قائل هذه المقالة على أقوال
 أحدها قال عبيد بن عمير إنما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فحماص بن عازوراء
 وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء وثانيها قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة وعكرمة
 أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم ونعـمان بن أوفى وشاس
 ابن قيس ومالك بن الصيغ فقالوا كيف تبسح دينك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم
 ان عزيراً ابن الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذين القولين القائل انما هو بعض
 اليهود الا أن الله تعالى نسب ذلك الى اليهود بناء على عادة العرب في إبقاء اسم الجماعة على اسم
 الواحد يقال فلان ركب الخيول ولعله لم يركب الا واحداً منها وفلان يجالس السلاطين ولعله لم
 يجالس الا واحداً وثالثها أن هذا المذهب لعله كان ثابتاً فيهم ثم انقطع فحكي الله تعالى ذلك عنهم
 ولا عبرة بانكار اليهود لذلك فان الآية تليق عليهم فما أنكره وأولا كذبوا مع تهاكهم على

التكذيب واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 ان اليهود اضعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم
 فمضت عزير الى الله تعالى وابتهل اليه أن يرده اليه الذي نسج من صدورهم فيمضوا ويصلي مبتلا
 الى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم
 قد آتاني الله تعالى التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله تعالى ثم ان التابوت
 أنزل بعد ذهابه عنهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير
 فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله وقيل لما رفع الله تعالى عنهم التوراة خرج
 عزير وهو غلام يسبح في الارض فأنابه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب
 العلم فحفظه التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لا يخرم منها حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة
 في قلبه وهو غلام الا أنه ابنه وقال الكلبى ان يجتنبصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ
 التوراة وكان عزير اذ ذلك صبغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
 المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة فبعث الله تعالى عزير ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية
 بعدما أماته الله تعالى ما نسيته وأرسل اليه ملكا بانا فيه ما فسد فاه ثلث التوراة في صدره فلما
 أناهم وقال لهم أنا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم قاتل علينا التوراة فكذبهم الهم من صدره
 ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني ان التوراة جعلت في خاية ودفت في كرم فانطلقوا
 معه حتى أخرجوها فعارضوا بها ما كتبه عزير فلم يجدوه غادروا فقالوا ان الله تعالى لم يذف
 التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقرأ عاصم والكسائي
 عزير بالتونين والباقون بغير تنوين قال الزجاج الوجه اثبات التنوين فقوله عزير مبتدأ وقوله
 ابن خبره واذا كان كذلك فلا بد من التنوين في حال السعة لان عزير ينصرف سواء كان عربيا أم
 عجميا وسبب كونه منصرفا أمران أحدهما أنه اسم خفيف فينصرف وان كان أعجميا كهود
 ولوط والثاني أنه على صيغة التصغير وأن الأسماء الاعجمية لا تصغر وأما الذين تركوا التنوين
 فلمهم فيه أوجه أحدها أنه أعجمي معرفة فوجب أن لا ينصرف وثانيها قال القراءون
 التنوين ساكنة من عزير والباء من ابن الله ساكنة فحصل ههنا التقاء الساكنين فحذف التنوين
 للتخفيف ورده هذا الوجه بأنه مخالف لما تقر من ان الوجه عند ملاقات التنوين للساكن
 التحريك لا الحذف وثالثها ان الابن وصف والخبر محذوف والتقدير عزير بن الله معبودنا ورده
 هذا أيضا بأنه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقتدر لان من أخبر عن ذات موصوفة بصفة
 بأمر من الامور وأنكره منكر توجه الانكار الى الخبر فكان المقصود بالانكار قوله عزير ابن
 الله معبودنا وحصل تسليم كونه ابن الله ومعلوم أن ذلك كفر (وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن
 الله) واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقبل انما قالوه استعماله لان يكون ولد بلا أب وقيل
 ان النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وعشرين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام
 يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع

يقال له بولص قل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان الحق مع عيسى
 وقد كفرناوم صبرنا الى النار ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني ساحاتل وأضلهم
 حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة
 ووضع التراب على رأسه وقال للنصارى نوديت من السماء ليس لك توبة الا ان تنصروا وقد تبت
 وأنتم تكلمتم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتنا فمات ~~كث~~ فيه سنة لا يخرج منه ليللا
 ولا نهار حتى تعلم الانجيل ثم خرج منه وقال انه نودي ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا
 شأنه فيهم ثم عمد الى ثلاث رجال اسم واحد منهم نسطور والاخر يعقوب والاخر ماركاف علم
 نسطور ان عيسى ومريم والا اله ثلاث وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولا جسم ولكنه
 ابن الله وعلم ماركاف ان عيسى هو الاله لم يزل ولا يزال فلما اشتهر ذلك فيهم دعا كل واحد منهم وقال له
 أنت خالستي فادع الناس لما علمت وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت
 عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى
 المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
 وواحد الى ناحية أخرى وأحكم كل واحد منهم مقاتله ودعا الناس اليها فاتبعوه على ذلك
 طوائف من الناس فتمت قوتوا واختلفوا ووقع القتال فهذا هو السبب في وقوع ~~ال~~ كفر
 في طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدى رحمه الله تعالى قال الرازي عقب هذه الحكاية
 والاقرب عندي أن يقال ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف ثم ان القوم لاجل
 عداوة القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهمال قبلوا ذلك وفشا هذا المذهب
 الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة (ذلك قولهم بأفواههم) أى
 لا مستند لهم عليه (فان قيل) كل قول يقال بالقلم فامعنى بأفواههم (أجيب) بأنه قول لا يعضده
 برهان فاهو الالفاظ فهو هو ابه فارغ من معنى تحتها كالاتفاظ المهمة التي لا تدل على معان
 وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالقلم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول
 بالقلم لا غير وبأن يراد بالقول المذهب ~~ك~~ قولهم قول الشافعى رحمه الله تعالى يريدون
 مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ويدعيهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا جهة معه ولا شبهة
 حتى تؤثر في القلب لوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له ولا ولد لم تكن لهم شبهة في اتقاء
 الولد قال أهل المعانى لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالافواه والاسن الا كان ذلك زوراً
 (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
 كفروا من قبل) أى من قبلهم ولا بد من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قول الذين كفروا
 ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مر فوعا والمعنى ان الذين كانوا
 في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم فالكفر
 قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى
 أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم وقرأ أعاصم بكسر
 الهاء وبعدها همزة مضمومة والباقون بضم الهاء ولا همز بعدهما وقوله تعالى (فانزلهم الله) دعاء

عليهم بالهلاك فان من قاده الله تعالى هلك أو تعجب من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قائله الله ما أعجب فعلة وقيل لعنهم الله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنه قال كل شئ في القرآن مثله فهو لمن (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل بأن الله تعالى واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لأن الله تعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبة آلهم فالتعجب تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أى اتخذوا اليهود أحبارهم أى علماءهم والخبر فى الاصل العالم من أى طائفة كان واختص فى العرف بعلماء اليهود من ولدهرون وكان أبو الهيثم يقول واحد الاحبار رحب بالفتح وينكر الكسر واتخذ النصارى رهبانهم أى عبادهم أصحباب الصوامع والراهب فى الاصل من تمكنت الرهبنة من قلبه فظهر آثارها على وجهه ولباسه واختص فى العرف بعلماء النصارى أصحباب الصوامع (أربابا من دون الله) لانهم أطاعوههم فى تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى كما أطاع الارباب فى أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن وقال ابراهيم الخليل عليه السلام يا أبت لا تجذب الشيطان وعن عدى بن حاتم أنه قال آتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح هذا اللون من عنقك فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية فقلت اننا لسنانعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويمحون ما حرمه فمحواونه قات بلى قال تلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل بدّل الدين الا الملوک * وأحبار سوء ورهبانها

(فان قيل) انه تعالى كفرهم بسبب ان أطاعوا الاحبار والرهبان فالعاسق بطبع الشيطان فوجب الحكم بكفره على ما هو قول الخوارج (أجيب) بأن العاسق وان كان يقبل دعوى الشيطان الا أنه لا يعظمه بل يلعنه ويستخف به وأما هؤلاء فكانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونه وقد يبلغ بعض الجهال فى تعظيم شجفهم بحيث يعيل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدين بعبادة عن الاسخوة بعبادة عن الدين قد باقى اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون وعن الفضيل رضى الله تعالى عنه ما أبالى أظعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة (والمسيح بن مريم) أى اتخذوه كذلك لكونهم جعلوا ابنا فأهملوه للعبادة بذلك مع كونه ابن مريم فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته لادمين فى الحمل والولادة والاكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للعاجبة المنافية للالهية (وما أمروا) أى فى التوراة والانجيل (الا لعبادوا) أى ليطيعوا على وجه التعبد (الها واحد) أى لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالمآثلة وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة من أمر الله بطاعته فهى فى الحقيقة طاعة الله تعالى وقوله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية أو استئناف مقول للتوحيد (سبحانه عما يشركون) أى تعالى وتزود عن أن يكون له

شريك في العباد والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاحلال (يريدون)
 أى رؤساء اليهود والنصارى (أن يطقوا نور الله) أى شرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته
 وتقديسه عن الولد والقرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بأقواهم) أى بأقوالهم
 الكاذبة وشركهم وفي تسمية دينه أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم نوراً ومبادئهم
 انطباعاً بأقوالهم تمثيل لحالهم في طلبهم أن يطلوا نور الله بالكذب بالشرك بحال من يريد أن
 ينفع في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الاشراق
 والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (وياي الله) أى لا يرضى (الأن يتم نوره) بأعلاء التوحيد
 واعزاز الاسلام (فان قيل) كيف جازأبى الله الكذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا
 (أجيب) بأنه أجرى أبى مجرى لم يرد الأتري كيف قبول يريدون أن بطقه وأبقوله وبأبى الله
 وكيف أوقع موقع ولا يريد الله الآن يتم نوره وقوله تعالى (ولو كره الكافرون) محذوف
 الجواب لدلالة ما قبله أى ولو كرهوا غلبته (هو الذى أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
 (بألهدى) أى القرآن الذى أنزله عليه وجعله هادياً له (ودين الحق) أى دين الاسلام (ليظهره)
 أى ليعليه (على الدين كله) أى جميع الاديان المخالفة له وهذا كالبيان لقوله تعالى وبأبى الله
 الآن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون
 للدلالة على أنهم ضمو الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى (فان قيل) الاسلام لم يضم غالباً سائر
 الاديان فى أرض الصين والهند والروم وسائر بلاد الكفر (أجيب) عن ذلك بأوجه الاول بأنه
 لا دين بخلاف الاسلام الا وقد هزمهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك
 في جميع مواضعهم فقهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد
 الشام وما والاها الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام
 على كثير من بلادهم مما يلى الهند والترك وكذا سائر الاديان فنبت ان الذى أخبر الله تعالى عنه
 في هذه الآية قد وقع وحصل فكان ذلك اخباراً عن الغيب فكان معجزاً الوجه الثانى ما روى
 عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال هذا وعد من الله تعالى بجعل الاسلام غالباً على
 جميع الاديان وتنام هذا النما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام فانه لا يبقى أهل دين
 الا دخلوا في الاسلام وقال السدى ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام
 أو أدى الخراج الوجه الثالث أن المراد اظهاره في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه تعالى
 ما أتى فيها أحد من الكفار وقال ابن عباس الهاء في ليظهره الى الرسول صلى الله عليه وسلم
 والمعنى ليعلم شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شئ منها (يا أيها الذين آمنوا ان
 كثير من الاحبار) أى علماء اليهود (والرهبان) أى عباد النصارى (لبا كاون) أى يتناولون
 (أموال الناس بالباطل) كالرشا وانما عبر بالاكل لانه معظم المراد من المال وإشارة الى تحقير
 الاحبار والرهبان بأن يفعلوا ما ينافى مقامهم الذى أقاموا أنفسهم فيه باظهار الزهد والمباغة
 في التدن قال الرازى ولعمري من تأمل أحوال الناس في زماننا وجد هذه الآيات كأنها

ما أنزات الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعلق
 خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعظمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل
 الامر الى الرغيف الواحد ترأه يتالك عليه ويحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله (ويصدون)
 الناس (عن سبيل الله) أي دينه ولما كان مطلوب الخلق في الدنيا المال والجاه بين تعالى في صفة
 الاحبار والرهبان كونهم مشغوفين بهذين الامرين أما المال فهو المراد بقوله تعالى لياكون
 أموال الناس بالباطل وأما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون عن سبيل الله فانهم لمواقر وابتأت
 بهذا صلى الله عليه وسلم على الحق لزمهم متابعتة وحينئذ كان يبطل حكمهم وتزول
 حرماتهم ولاجل الخوف من هذا المحذور كانوا يبالغون في المنع من متابعتة صلى الله عليه وسلم
 ويبالغون في لقاء الشبهات وفي استخراج وجوه المكر والخديعة وفي منع الخلق من قبول
 دينه الحق (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يحتمل أن يراد بقوله
 الذين أولئك الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحريص الشديد على أخذ أموال
 الناس بقوله تعالى لياكون أموال الناس بالباطل ووصفهم أيضا بالجل الشديد والامتناع
 من اخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة
 وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ولا يؤدّون حقه ويكون اقتراغهم بالمرتشين من اليهود
 والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم بطيب زكاة ماله
 سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وأن يراد كل من كنز المال ولم يخرج منه الحقوق
 الواجبة سواء كان من الاحبار والرهبان أو كان من المسلمين لما روى عن زيد بن وهب قال
 مررت على أبي ذر بالربذة فقلت ما أنزلت به هذه الارض فقال كئنا بالشأم فقرأت والذين
 يكتزون الذهب الآية فقال معاوية ما هذا فينا ما هذا الا في أهل الكتاب فقلت انما فيهم
 وفينا فصار ذلك سببا لو حشة بيني وبينه فكتب الى عثمان ان أقبل الى فلما قدمت المدينة
 انصرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنزع قريبا فقلت
 اني والله لن أدع ما كنت أقول وأصل الكثرة في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض
 فهو مكتوز يقال هذا جسم مكتوز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء واختلاف العلماء الصحابة
 في المراد بهذا الكثرة المذموم على قولين الاول وهو ما عليه الاكثر أنه المال الذي لم تؤدّز كانه
 لما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه
 الله مالا فلم يؤدّز كانه مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
 بلهزمتيه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين ينجلون بما آتاهم الله من
 فضله الآية والشجاع الحية والاقرع صفة لطول عمره لان من طال عمره تفرق شعره وذبح وهي
 صفة أخشب الحيات والزبيبتان الزائدتان في الشدقين وروى لما أنزلت هذه الآية كبر على
 المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا
 لطيبين ما بقي من أموالكم وقال ابن عباس في قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين

لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي عياض تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لاسبيل اليه بل
الواجب أن يقال الكنز هو الذي ما خرج عنه ما يجب اخراجه ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب
من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج وبين ما يجب اخراجه في الدين والحقوق والاتفاق
على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنائيات فيجب في كل هذا الاثم وأن يكون
داخلا في الوعد والقول الثاني ان المال الكثير اذ اجمع فهو الكنز المذموم واحتج المذاهبون
الى هذا القول بعدم الآية وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمائزات هذه الآية
تألف للذهب بالفضة قالها ثلاثا فلو أنه أي مال نقص قال لسانا أذا كروا قلبا خاشعا وروحة
نعين أحدكم على دينه وقال عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كروى بها وتوفي
شخص فوجد في مئزره دينار فقال صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران
فقال كيتان وأجاب القائلون بالاول بأن هذا كان قبل فرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة
فإنه أعدل وأكرم أن يجمع عبده ما لا من حيث أذن فيه ويؤدى ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه
وقدر روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه سئل عن هذه الآية فقال كانت قبل أن تنزل
الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال وقال ما بالي لو أنى مثل أحد ذهبا أعلم عدده أركبه
وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى
الله عليه وسلم ما أدى ذكاته فليس بكنز وكان في زمانه صلى الله عليه وسلم جماعة معهم الاموال
كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعددهم من أكابر الصحابة وما عابهم
أحد من أعرض عن القضية لأن الاعراض اختيار لا فضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه وكونه أدخل في الورع لا موره منها ان كسب المال شاق شديد
وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب فيبقى الانسان طول عمره تارة في طلب التحصيل وأخرى
في طلب الحفظ ثم انه لا ينفع منها الا بالقليل ومنها ان كثرة المال والجاه تورث الطغيان كما قال
تعالى ان الانسان لميطأ أن رآه استغنى فالطغيان يمنع من وصول العبد الى مقام رضوان
الرحمن ويوقع في الخذلان والخسران ومنها أنه تعالى أوجب الزكاة وذات سعي في تنقيص
المال ولو كان تكثيره فضيلة لماسعى الشرع في تنقيصه (فان قيل) قال عليه الصلاة والسلام
البدا العليا خير من البدا السفلى (أجيب) بأن البدا العليا إنما فادته صفة الخيرية لانه لما أعطى
ذلك القليل تسبب أنه حصل في ماله ذلك النقصان القليل فحصل له الخيرية وبسبب أنه حصل
للفقر بذلك الزيادة القليلة حصلت له المرحوبة (فان قيل) انه تعالى ذكر شيئين وهما الذهب
والفضة ثم قال ولا ينفعونهما فلم أفرد الضمير (أجيب) بأن الضمير راجع الى المعنى دون اللفظ
لأن كل واحد منهما ناجله واقية وعدة كثيرة ودنانير ودرهم فهو كقوله تعالى وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى المكثور وقيل الى الاموال وقيل التقدير ولا ينفعون
الفضة وحذف الذهب لانه داخل في الفضة من حيث انه ما معايشتر كان في غنية الاشياء
أو ان ذكر أحدهما يغني عن الآخر كقوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها جعل

الضمير للتجارة وقيل التقدير والذهب كذلك كما أن قول القائل * فاني وقيارهم الغريب * أي
وقيار كذلك (فان قيل) ما السبب في كونه خصهما بالذكور من سائر الاموال (أجيب) بأنهما
خصامن دون سائر الاموال لانهم أشرف الاموال وهما الاذان يقصدان بالكنوز ومن كنزا
عنده لم يعدل سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على مساوئهما ثم انه تعالى لما
ذكر من يكنز الذهب والفضة قال تعالى (فبشرهم) أي أخبرهم (بعذاب أليم)
أي مؤلم وعبر بالبشارة على سبيل التحكم (يوم يحصى عليها) أي هذه الاموال (جباهاهم) أي جباهاهم وكنوزهم
قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده
حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة وسئل أبو بكر الوراق لم خصت الجباه
والجنوب والظهور بالسكى قال لان الغنى صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته واذا
جلس الفقير بجانبه تبعه عنه وولى عليه ظهره وقيل المعنى انهم يكونون على الجباهات الاربع
أمام من مقدمه فعلى الجبهة وأمام من خلفه فعلى الظهر وأمام من يمينه ويساره فعلى الجنبين وقيل
لان جمعهم وامساكهم المال كان اطلب الوجاهة بالغنى والتسعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت لاصفايح من نار
فأحس عليها في نار جهنم فتسكوى بها جبهته وجنبه وظهره كل ابردت عليه أعيدت له في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقوله
تعالى (هذا ما كنزتم) على ارادة القول أي يقال لهم هذا ما كنزتم (لا تفسكم) أي لمنفعتهم
وكان عين مضرتهم اوسبب تعذيبها (فدوقوا ما كنتم تسكنون) أي تمنعون حقوق الله تعالى
في أموالكم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في ظل الكعبة فلما رايتي قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت يا رسول الله فدا أبي وأمي
من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هم كذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله وقليل ما هم (ان عدّة الشهور) أي عددها (عند الله اثنا عشر شهرا) وهي المحرم
وصفر وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني وجادى الاول وجادى الثاني ورجب
وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة هذه شهور السنة القمرية التي هي
مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت
حجهم واعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور اثنا عشر شهرا وخمسة وخمسون
يوما والسنة الشمسية عبارة عن دوران الشمس في الفلك دورة واحدة تامة وهي اثنا عشر
وخمسة وستون يوما وربع يوم فتقتص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب
هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال
المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية

فكان يحجهم بقع تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في غيرهما من الشهور فأعلم الله تعالى أن عدة الشهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القبر وسيره فيها وهو قوله تعالى أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أى في علمه وحكمه (في كتاب الله) أى في اللوح المحفوظ الذى كتب فيه أحوال مخلوقاته بأسرها على التفصيل وهو أصل المكتب التى أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل فيما أثبتته وأوجبته من حكمه ورأى حكمه وصوابا (يوم خلق السموات والارض) أى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يومئذ أى السنة اثنا عشر شهرا (منها) أى الأشهر (أربعة حرم) ثلاثة سوا ذوالقعدة بفتح القاف وذوالحجة بكسر الحاء على المشهور فيها وما وسمي بذلك لعودهم عن القتال فى الأول ولوقوع الحج فى الثانى والمحرم بتشديد الراء المفتوحة سمي بذلك لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ايليس ودخلته الامم دون غيره من الشهور لانه أولها تعرفوه كأنه قبل هذا الشهر الذى ابتدأ أول السنة وواحد فرد وهو رجب ويجمع على ارجاب ورجاب ورجوب ورجبات ويقال له الاصم والاصب وقيل لم يعذب الله أمة فى شهر رجب ورد عليه بأن الله تعالى أغرق قوم نوح فيه قاله الثعلبى وهذا الترتيب الذى ذكرناه فى عدد الأشهر الحرم وجعلها من سنتين هو الصواب كما قاله النووي فى شرح مسلم وبؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وعداها الكوفيون من سنة واحدة فقالوا الحرم ورجب وذوالقعدة وذوالحجة قال ابن دحية وتظهر فائدة الخلاف فيما اذا نذر صيامها مرة فعلى الاول يتبدى بذى القعدة وعلى الثانى بالحرم ومعنى الحديث أن الأشهر رجعت الى ما كانت عليه ومعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسيء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذوالحجة وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة ومعنى الحرم أن المعصية فيها أشد عقابا والطاعة فيها أكثر ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جادة حتى لواقى الرجل قاتل أبيه لم يعترض له (فان قيل) أجزاء الزمان متشابهة فى الحقيقة فى السبب فى هذا التمييز (أجيب) بأن هذا المعنى غير مستبعد فى الشرائع فان أمثله كثيرة ألا ترى أنه تعالى ميز البلد الحرام عن سائر البلاد بمزيد الحرمة وميز يوم الجمعة عن سائر أيام الأسبوع بمزيد الحرمة وميز يوم عرفة عن سائر الأيام بتلك العبادة المخصوصة وميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزيد حرمة وهو وجوب الصوم وميز بعض ساعات اليوم بوجوب الصلاة فيها وميز بعض الليالى عن سائرها وهى ليلة القدر وميز بعض الأشخاص عن سائر الناس بإعطاء خلع الرسالة واذا كانت هذه الامثلة ظاهرة مشهورة فأى استبعاد فى تخصيص بعض الأشهر بمزيد الحرمة (ذلك) أى تحريم الأشهر الأربعة (الدين القسيم) أى المستقيم وهو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منها وقيل المراد بالدين الحساب يقال الكيس من دان نفسه أى حاسبها والقسم معناه المستقيم فتمت تفسير الآية على هذا

هذا التقدير ذلك الحساب المستقيم الصحيح والعدد المستوى وقال الحسن ذلك الدين القيم
الذي لا يبدل ولا يغيبير فالقيم هنا بمعنى القائم الدائم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس
عليه (فلا تغفلوا فيه) أي الأشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصي فانما فيها أعظم وزرا لأن الله
تعالى خص هذه الشهور بعز وحرمة واحترام في آية أخرى وهو قوله تعالى الحج أشهر معلومات فمن فرض
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فهذه الأشياء غير جائزة في غير الحج أيضا إلا أنه
تعالى أكد في المنع منها في هذه الأيام تنبيهها على زيادتها في الشرف وقال ابن عباس إن المراد
فلا تظلموا في الشهور الاثني عشر أنفسكم والمقصود من منع الإنسان من الاقدام على الفساد
مطلقا في جميع العمر قال الفراء والاول أولى لأن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة
فيهن فاذا جاوز هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه ان جمع القلة يكتفى عنه كما يكتفى عن جماعة
مؤشبة ويكتفى عن جمع الكثرة كما يكتفى عن واحدة مؤشبة كما قال حسان

لنا الحفقات الغر يلعن في الضحى * وأسبافنا يقطن من نخدة دما

قال يلعن ويقطن لأن الاسياف والحفقات جمع قلة ولوجع جمع الكثرة لقال تلعب وتقطر هذا
في الاختيار ثم يجوز اجراء أحدهما مجرى الآخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فقال بهن والسيوف جمع كثرة وقيل المراد بالظلم المقاتلة في هذه الأشهر وقيل النسيء الذي
كانوا يعملونه فينبه على الحج من الذي أمر الله تعالى بأقامته فيه إلى شيء آخر ويعيرون تكاليف
الله تعالى والجهور على أن حرمة المقاتلة في الأشهر الحرم منسوخة وعن عطاء لا يحل للناس
أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم
حاصر الطائف وغزاها وازن بمجنين في شوال وذى القعدة وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة)

أي جميعا في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة
ومن كان معه نصر لا محالة (انما النسيء) أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية
تفعل كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحياه وحرّموا مكانه شهرا آخر ورفضوا
خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمون صفر
ويستحلون الحرم فاذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخرّوه إلى ربيع وهكذا شهر ربيع
حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى القعدة عامين
ثم حجوا في الحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر رضي
الله عنه في السنة التاسعة في ذى القعدة قبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة
في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر وأعلمهم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض الحديث المتقدم وأمرهم بالحفاظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف
الأيام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى وذلك بعد دهر طويل وروى عن أبي

بكرضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته لنا أى شهر هذا قلنا الله
 ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا
 قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال
 أى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا
 بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم
 هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم
 رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه
 ألا هل بلغت ألا هل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم أشهدوا خلتوا في أول من نسباً
 النفسى فقال ابن عباس بنو مالك بن كنانة وكان يليه أبو عتبة وجنادة بن عوف بن أمية الكنانى
 كان يقوم على جل بالوسم فينادى ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحله ثم ينادى فى قابل أن
 آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فخرموه وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال
 له نعيم بن نعلبة وقيل أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سب السوائب وقال فيه النبي
 صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار وقوله تعالى (زيادة في الكفر) معناه انه
 تعالى حكي عنهم أنوعاً كثيرة من الكفر فلما ضوا تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرّم الله
 تعالى وهو كفر كان ضم هذا العمل الى تلك الأنواع المتقدمة من الكفر زيادة في الكفر لأن
 الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرًا زادتهم رجسا الى رجسهم كأن المؤمن كلما أحدث
 طاعة ازداد إيماناً فزادتهم إيماناً و هم يستبشرون وقرأ ورش النسي بقلب الهمزة ياءً وادغام
 الياء فيها فبقيت ياء مضمومة مشددة والباقون بهمزة مضمومة هذا في الوصل وأما الوقف
 فورش يوقف ياء مشددة ساكنة وحزّة كذلك وله فيه الروم والاشمام والباقون بهمزة ساكنة
 (يضل به) أى بهذا التأخير الذي هو النسي (الذين كفروا) قرأ حفص وحزّة والكسائي بضم
 الياء وفتح الضاد لقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم والباقون بفتح الياء وكسر الضاد على معنى
 انهم هم الضالون لقوله تعالى (يحلون) أى يحلون النسي من الأشهر الحرم (عاماً) ويحرمون
 مكانه شهر آخر (ويحرمونه عاماً) فيتركونه على حرمة وانما فعلوا ذلك (أموا طوا) أى ليوافقوا
 (عسدة) أى عدد (ما حرّم الله) من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر ولا ينقصون عنها
 ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرّم الله) بمواطةء العدة من غير مراعاة الوقت الذي يحل
 اليه الأشهر الحرم (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل حتى
 حسبوا هذا القبيح حسناً (والله لا يهدي القوم الكافرين) أى هداية موصلة الى الإهداء لما
 سبق لهم في الأزل أنهم من أهل النار ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة
 وحث على غزوة بولس وكان ذلك الوقت زمان عسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة ولم يكن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا ورجلا للناس أمرهم لياتها وبوا أهبة غيرهم

فشق عليهم الخروج وتناقلوا فنزل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله
أنا قلتم) بادغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل إذا أصله تناقلتم ومعناه تناطأتم
وملتم عن الجهاد (إلى الأرض) والقعود فيها والاستغناء للتوبيخ قال المحققون وانما تناقل
الناس من وجوه الأقول شدة الزمان في الصيف والقحط والثاني بعد المسافة والحاجة إلى
الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به عادتهم في سائر الغزوات والثالث ادراك الثمار بالمدينة
في ذلك الوقت والرابع شدة الحزن في ذلك الوقت ثم قال لهم الله تعالى (أرضيتُم بالحياة الدنيا)
وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فامتنع الحياة الدنيا) جنب متاع (الآخرة
الاقليل) أي حقيق لا نمتاع الدنيا بفقد عن قريب ونعيم الآخرة باق على الدوام فلهذا السبب
كان متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة قليلا وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال
وفي كل وقت لأن الله تعالى نص على أن تناقلهم عن الجهاد أمر منكرف لو لم يكن الجهاد واجبا لما
عاتبهم الله على التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في قوله تعالى (الآخرة) أي بادغام نون ان
الشرطية في لافي الموضعين (تفروا) أي تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم
عذابا أليما) أي مؤلما في الآخرة لأن العذاب الاليم لا يكون الا فيها وبالاهلاك بسبب فطيمع
كقحط وظهور عدو وقيل باحتباس المطر عنهم قال ابن عباس استغفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما
غيركم) أي يات بهم بدلكم قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير ابناء فارس وقال أبو
روقهم أهل اليمن قال الرازي وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية لأن الآية ليس فيها اشعار بها
بل حمل لذلك المطلق على صورة معينة شاهدها وقال في الكشف بعد ذكره ذلك والظاهر
مستغن عن التخصيص (ولا تضروه شأ) أي لا يقدح تناقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغنى عن كل
شيء وفي كل أمر وقيل الضمير راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي ولا تضروه لأن الله تعالى
وعده أن ينصره ووعده كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) أي فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا عدد كما قال تعالى (الانصروه) أي محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
(فقد نصره الله) فانه المتكفل بنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم في اعز أزمته واعلاء كلمته أعظموه
أو لم تعينوه فانه قد نصره عند قتله الأولياء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد
والعدد وقد نصره (اذ) أي حين (أخرجهم الذين كفروا) من مكة حين مكروا به حيث تشاوروا
في قتله وأخراجه أو اثباته في دار الندوة فكان ذلك لاذن الله في الخروج من بينهم حال كونه
(ثاني اثنين) أي أحدهما أبو بكر رضي الله عنه لاثالثهما لم يصرها إلا الله تعالى وقوله تعالى
(اذ) بدل من اذ قبله (هما في الغار) أي غار ثور الذي في اعلى الجبل المواجه للركن اليماني بأسفل
مكة على مسيرة ساعة منها لما كفا فيه ثلاث ليال ليفترغنهما الطلب وذلك قبل أن يصل اليكم
ويغولا في النصر عليكم وقوله تعالى (اذ) بدل ثان (يقول) صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وثوقا بربه غير مترعج من شيء وقد قال له أبو بكر لما رأى أقدام المشركين

لو نظر أحدهم تحت قدميه لابصرنا (لا تحزن) والحزن هم غلبت وجع يرق له القاب وانما كان
 خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم لما وصلوا الغار نزل أبو بكر الغار وأبلا يتس مافي
 الغار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأمتي الغار مأوى السباع والهوام
 فان كان فيه شيء كان بي لأك وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثرو قرأوا بكي أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) فقال له أبو بكر وان الله لمعنا فقال
 الرسول صلى الله عليه وسلم نعم فجعل يمسح الدموع عن خده وروى لما طلع المشركون فوف
 الغار وأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان نصب اليوم ذهب
 دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وروى لما دخل الغار بعث الله
 تعالى جامين بأضتافي أسفله والعنكبوت نهجت عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم
 أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا ويقولون لودخلنا هذا الغار تكسر بيض
 الحمام وتفسخ بيت العنكبوت * (تنبيه) * دلت هذه الآية على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه
 من وجوه منها ان الهجرة كانت بأذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 جماعة من المخلفين وكانوا في النسبة الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب من أبي بكر
 رضى الله عنه فلو لان الله تعالى أمره بأن يستحبهم في تلك الواقعة الصعبة الهائلة والالكان
 الظاهر أن لا يخصصهم بهذه الصعوبة وتخصيص الله تعالى لهم هذا التشريف دال على منصب عال له
 في الدين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولا شك ان المراد من هذه المعية المعية
 بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة وقد شرف صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين أبي بكر في هذه
 المعية وكفى بها شرفا ومنها أن قوله لا تحزن نهى عن الحزن مطلقا والنهى يوجب الدوام
 والتكرار وذلك يقتضى أنه لا يحزن أبو بكر رضى الله عنه بعد ذلك البتة قبل الموت وعند
 الموت وبعد الموت ومنها اطباق الكل على ان أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم وعلى ان عبد الرحمن بن أبي بكر واسماء بنت أبي بكر هما اللذان كابا بآياتهما
 بالطعام وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 لأبي بكر أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الخوض قال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر
 رضى الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا تكارنص القرآن وفي سائر
 الصحابة اذا أنكر يكون مبيداعا لا كافرا واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فأنزل الله
 سكينته) أى طمأنينته (عليه) هل هو للنبي صلى الله عليه وسلم أو لأبي بكر رضى الله عنه رجع
 الثاني لوجوه الاقول ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكرات وأقرب المذكرات المتقدمة
 في هذه الآية هو أبو بكر لانه تعالى قال اذ يقول لصاحبه والتقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي
 بكر لا تحزن وعلى هذا التقدير فأقرب المذكرات السابقة هو أبو بكر فوجب عود الضمير اليه
 والثاني ان الحزق والخوف كانا حاصلين لأبي بكر لا لرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان آمنا

ساكن القلب فيما وعده الله تعالى أن ينصره على قريش فلما قال لابي بكر لا تحزن صاوأنا
فصرف السكينة لابي بكر ليصبر ذلك سبيل الروال خوفاً وأولى من صرفها الى الرسول صلى الله
عليه وسلم مع أنه كان قبل ذلك ساكن النفس قوى القلب الثالث انه لو كان المراد انزال السكينة
على الرسول صلى الله عليه وسلم لوجب أن يقال ان الرسول كان قبل ذلك خائفاً ولو كان
خائفاً لما أمكنه أن يقول لابي بكر لا تحزن ان الله معنا فتى كان خائفاً لم يمكنه أن يزيل الخوف
عن قلب غيره ولو كان راجعاً الى الرسول لوجب أن يقال فأنزل الله سكينة عليه فقال لصاحبه
لا تحزن فيكون ذلك مما يدل على فضيلة أبي بكر رضى الله تعالى عنه ومنها حديث الهجرة على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام عن عائشة رضى الله عنها وعن أبي بكر قالت لم أعقل أبوى
الا وهما يدينان الدين ولم يخرجهما يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا طرفي النهار بكبرة
وعشية فلما ابتلى المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اني رأيت دار هجرة تكلم سبعة
ذات نخيل بين لابتين وهما الحمرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان
هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر رضى الله عنه قبل المدينة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجوت ذلك يا رسول
الله قال نعم فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاف راحلتين كانتا عنده
من ورق الشجر وهو الخبط أربعة أشهر قالت عائشة فبينما نحن جالوس في بيت أبي بكر في حرة
الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتيها
فقال أبو بكر والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عنده فقال أبو
بكر انما هم أهلك يا رسول الله فقال قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم
قال أبو بكر فخذ احدي راحلتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة
فجهزناهما أحب الجاهز ووضعناهما مسفرة في جراب ففطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من
نطاقها فربطت به على فم الجراب فسميت بذلك ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنافيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر
وهو غلام شاب فبدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بككة فكانت فلا يسمع أمرا يكادان
به الا وعام حتى يأتيهم ما يخبر ذلك حين يمتلط الظلام وكان يرعى عليهما عاقر بن فهيرة مولى
أبي بكر منحه من غنم فيريحهما عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيعمل ذلك كل ليلة من الليالي
الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدليل هادياعارفاً بالهداية
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعنا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما
بعد صبح ثلاث فارتحلا وانطلقا معهما عاقر بن فهيرة والدليل الدليل فأتاهم طريق الساحل
فعلم بهم سراقه بن مالك المدلحي وكان كفار قريش جمعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر كل واحد منهم المني قتله أو أسره دية قال سراقه فقبعتهم حتى دنوت منهم فعمرت قريش فخررت

وسلم لم يؤمرهم ما اذنه للمنافقين وأخذهم القدام من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وقال
 سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ الله تعالى بالعفو قبل أن يعيره وقال القاضي عياض
 في الشفاء ان هذا أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى شيء فيه عدم معصية
 ولا عده الله تعالى معصية عليه بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك وليس عفا
 بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب
 عليهم قط أى لم يكن يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يتول العفو لا يكون الا عن ذنب من
 لا يعرف كلام العرب وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وقال السمرقندي
 ان معناه عافاك الله وقال الرازى ان ذلك يدل على مبالغة الله فى توفيقه وتعظيمه كما يقول الرجل
 لغیره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضى الله عنك ما صنعت في
 أخرى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التعجيد والتعظيم أى كما كانت عادة العرب في
 مخاطبتهم لا كبرهم بأن يقولوا أصلح الله الامروا الملك ونحو ذلك (حتى يتبين لك الذين صدقوا)
 أى في اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) أى فيما أظهره من الايمان باللسان لو لم يؤذن لهم لقعدوا
 بلا اذن غير مصرعين ميثاقهم الذى وافقوا عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
 قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة
 (لا يستأذنك) أى لا يطلب اذنك بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى الذى
 يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب (ان) أى فى ان (يجاهدوا) وانما حسن هذا الحذف
 لظهوره (بأموالهم وأنفسهم) بل يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه ويعثك عموما عليه فضلا
 عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه فان اخلص من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستأذنه
 صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فان ربنا نبينا اليه مرة بعد مرة فأى فائدة فى الاستئذان ولنجاهد
 معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا حيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالعود لشق عليهم كما وقع
 لعلى رضى الله عنه فى غزوة تبوك لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضى الى المدينة شق
 عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم ألا ترضى أن تكون منى بغيره هرون من موسى
 (والله عليهم بالمتقين) أى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يا محمد
 فى التخلف عن الجهاد معك من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون
 لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت) أى شككت (قلوبهم) فى الدين وانما أضاف
 الشك والارتباب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان فاذا داخله الشك كان ذلك نقافا
 (فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم (فى ريبهم يترددون) أى المنافقون يتحيدون لامع الكفار
 ولامع المؤمنين * (تنبيه) * اختلف علماء النسخ والمسخ فى هذه الآيات فقيل انها منسوخة
 بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله
 ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع
 بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير

استئذان فاذا عرض لاحدهم عذرا استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو ومعك (لاعدوا له) أى قبل حلوله (عدة) أى قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون كالحاضرين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عدها * ولما كان قوله تعالى ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو أى تعالى بحرف الاستدراك فقال تعالى (ولكن كره الله انبعاثهم) أى لم يرض خروجهم معك الى الغزو (فتبطلهم) أى حبسهم بالجبن والكسل (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدین) أى مع النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ومعنى قيل لهم أى قدر الله تعالى عليهم ذلك بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره الله انبعاثهم مع المؤمنين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنه في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدین (فان قيل) خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فتبطلهم وان كان فيه مفسدة فلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم في ترك الخروج (أجيب) بأن خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله تعالى (لو خرجوا فيكم) أى معكم (ما زادوكم) بخروجهم (الاخبالا) أى فسادا وشرا بتخذيّل المؤمنين وتقدم الكلام على قوله لم أذنت لهم * (تنبيه) * لا يصح أن يكون فيه الاستثناء قطعا لان الاستثناء المقتطع يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله ما زادوكم خيرا الاخبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكروا وقع الاستثناء من أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا الاخبالا (ولا وضعوا) أى أسرعوا (خلالكم) أى بينكم فيها يحل بكم بالمشى بالنعمة (يغزونكم الفتنه) أى يطلبون منكم ما تنتفنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جعوا لكم كذا وكذا ولا طاعة لكم بهم وانكم ستهمزون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تعجبهم (وفيكهم) أى والحال ان فيكم (سماعون لهم) أى عيون لهم يؤدون لهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الخواسيس أو مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيعلمون منهاهم (فان قيل) كيف يكون في المؤمنين الخالصين من يطيع المنافقين (أجيب) بأنهم ربما قالوا قولا أثرى قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال وقوله تعالى (والله علم بالظالمين) وعبد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتنة والشبهات بين المؤمنين (اقدابغوا الفتنه) أى العنت ونصب الغوائل والسعي في تشييت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد وحنين انصرف عن معه وعن ابن جريح وفتقوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على الفتنه ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) أى قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) أى ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء بينهم في ابطال أمرك (حق جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك

بليت أو تصدقت فأبقيت وروى من كثر ما له اشتد حسابه ومن أراد من السلطان قربا زاد
 من الله بعدا والاحبار الواردة في هذا الباب كثيرة والمقصود منها الزجر عن الاطّباب من الدنيا
 لمنع من التملّك في حبها والافتقار بها لأن الانسان خلق لاخرة لا الدنيا فينبغي أن لا يشتد
 محبه بالدنيا وان لا يميل قلبه اليها فان المسكن الاصل له هو الاخرة لا الدنيا * ولما بين
 على كون المنافقين مستحجعين لكل مضار الدنيا والاخرة خالين عن جميع منافع الاخرة
 والدنيا عاد الى ذكر فضائهم وقبائحهم فيها اقدمهم على الايمان الكاذبة كما قال تعالى
 (ويحلفون) أي المنافقون (بأنه) للمؤمنين اذا جاؤا معهم (انهم لنسكنكم) أي على دينكم
 وملتكم (وما هم منكم) أي لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون منكم أن تفعلوا
 بهم ما تفعلوا بالمشرّكين فيظفرون الاسلام نقيية (لويجدون ملجأ) أي حصنا يلجئون اليه وقبل
 لو وجدوا مهربا هربوا اليه وقبل لويجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم
 وفارقوكم (أو مغارات) أي سرايب جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر
 (أو مدخلا) أي موضع خلوته (لولا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه
 الثلاثة مع انها اشرف الامكنة لدخلوا اليه وتحرّروا فيه (وهم يجمعون) أي يسرعون في دخول
 ذلك المكان اسرعا لا يردّ وجوههم شيء ومن هذا يقال جمع الفرس وهو فرس جوح وهو الذي
 اذا حل لا يردّه البجام * ثم ذكر تعالى نوعا آخر من قبائح المنافقين وهو طعنهم في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بسبب أخذ الصدقات بقوله تعالى (ومنهم من يازل) أي يعيبك (في الصدقات)
 قال أبو علي القاسمي ههنا محذوف والتقدير يعيبك في تقسيم الصدقات واختلاف في سبب
 نزول هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ما لا اذا أتاه
 ذواخو بصرة وهو رجل من بني غنم رأس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
 غنائم حنين واستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال يا رسول الله اعدل فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبك ان لم أعدل فمن يعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل
 فقال عررضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه فقال له صلى الله عليه وسلم دعه
 فان له أصحابا يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز
 تراقيمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له
 الجواظ المنافق ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بألك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال
 صلى الله عليه وسلم احذروا هذا أصحابه فانهم منافقون وقال ابن زيد قال المنافقون والله
 ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا هواه فترت وروى أبو بكر الاصم في تفسيره انه صلى
 الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه ما علمك بفلان فقال مالي به علم الا انك تدنيه في المجلس
 وتجزل له العطاء فقال صلى الله عليه وسلم انه منافق أداريه عن نفاقه وخاف أن يفسد على
 غيره فقال لو أعطيت فلانا بعض ما تعطيه فقال صلى الله عليه وسلم انه مؤمن أكمل ايمانه وأما

هذا اخفاق أداريه خوف فسادهم (فإن أعطوا منها) أي من الصدقات (رضوا) أي رضوا عنك
 في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) أي وان لم تعطهم عابوا عليك وسخطوا قال أهل
 المعاني ان هذه الآية تدل على ركاكة اخلاق المنافقين ودناءة طباعهم وذلك لانه لشدة شرهم
 الى أخذ الصدقات عابوا رسول صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الجور في القسمة مع أنه كان أبعد
 خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم
 ما آتاه الله تعالى من قليل المال وكثيره وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله تعالى
 وأما المنافقون فان أعطوا كثيرا فرحوا وان أعطوا قليلا سخطوا وذلك يدل على أن رضاهم
 وسخطهم اطلب النصيب لا لاجل الدين وكلمة اذا المفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط
 (ولو أنهم) أي المنافقين (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أي ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من الغنائم والصدقات أو غيرها وذكروا الله تعالى للتعظيم والتنبية على أن ما فعله رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان بأمره (وقالوا) أي مع الرضا (حسبنا الله) أي كافينا الله من فضله
 (سيقوتنا الله من فضله ورسوله) أي من غنمة أو صدقة أخرى ما يكفيننا. (إنا الى الله) أي في أن
 الله تعالى يغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس ويوسع علينا من فضله (راغبون)
 أي ريقون في الرغبة ولذلك نكتفي بما يأتي من قبله كأننا ما كان وجوب لو محذوف والتقدير
 لسكان خير الهم نقل عن عيسى عليه السلام أنه مرتب قوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي
 جعلكم عليه فقالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومرت على قوم يشتغلون بالذكور فسألهم
 فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب بل لاطهار ذلة العبودية وعزة الربوبية
 وتشريف القلب بعرقته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه فقال أنتم المحققون
 المحققون ثم بين سبحانه وتعالى مصارف الصدقات تحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقال عز من قائل (انما الصدقات) أي الزكوات مصروفة (للفقراء) والفقير هو الذي لا يجد
 ما يقع موقعه من كفايته كأن يحتاج الى عشرة دراهم وهو لا يجد الا درهمين أو ثلاثا مأخوذ
 من الفقار كأنه أصيب فقاره (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي يجسد ما يقع موقعه من
 كفايته ولا يكفيه كأن يحتاج الى عشرة وهو يجسد سبعة أو ثمانية مأخوذ من السكون
 كان العجز أسكنه والمساكين أعلى من الفقير ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم تعوذ من الفقر وقيل الفقير أعلى لقوله تعالى أو مسكينا إذا مرتبة
 والعبرة عند الجمهور في عدم كفاية الفقير والمساكين بالعم الغالب بناء على أنه يعطى كفاية
 ذلك (والعمالين عليها) أي الزكاة فيعطى العامل وان كان غنيا ويدخل في اسم العامل
 الساعي وهو الذي يعثه الامام لاخذ الزكاة والكاتب والحاشر والعريف وهو الذي
 يعرف أرباب الاستحقاق والحاسب والحافظ للأموال والكيال والوزان والاعداد اعمال ان ميزوا
 أنصاء الاصناف لا المميزون للزكاة من المال وجامعوه فان أجزتهم على المالك (والمؤلفة قلوبهم)
 وهم اما ضعيف النية في الاسلام فيعطى ليقوى اسلامه أو شريف في قومه يتوقع باعطائه

اسلام غيره او كاف لنا شر من يلزمه من الكفار ومانعي الزكاة فيعطى حيث اعطاهما هو
 علينا من بحث جيش واما مؤسسة الكفار لترغيبهم في الاسلام فلا يعطون من الزكاة ولا من
 غيرها الا لاجماع ولان الله تعالى اعز الاسلام واهله وأعفى عن التأليف (وفي الرقاب) وهم
 المكاتبون كتابة صحيحة فيعطون ما يؤدون من النجوم ان عجزوا عن الوفاء ولو لم يحمل النجم لان
 قوله تعالى وفي الرقاب كقوله تعالى وفي سبيل الله وهما لي يعطى المال للمجاهدين فيعطى للرقاب
 فلا يشتري به رقاب للعنق كما قيل به (والغازيين) وهم من لزمهم الديون وهم ثلاثة أضرب دين
 لزمه لمصلحة نفسه ودين لزمه بضمان لا لتسكين فتنة ودين لزمه لتسكينها وهو اصلاح ذات البين
 فمن استدان لمصلحة نفسه أعطى لان استدان في معصية الا ان تاب عنها فيعطى اذا احتاج
 وكان بحيث لو قضى دينه مما معه تسكن فيترك له ما يكفيه ويعطى ما يقضى به بقية دينه ويعطى
 ولو قدر على قضاء بالكسب وكذا المكاتب ويشترط حلول الدين في اعطاء الغريم وان ضمن
 لا لتسكين فتنة وهو معسر ملتزم بمال على معسر أعطى ما يقضى به دينه واذا قضى به دينه
 لا يرجع على الاصيل وان ضمن باذنه وانما يرجع اذا غرم من عنده ويعطى معسر ملتزم بمال على
 موسر بلا اذن من الاصيل لانه اذا غرم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا ضمن باذنه ولا يعطى موسر
 ملتزم بمال على موسر وان ضمن موسر ما على معسر أعطى الاصيل دون الضامن والغارم لا صلاح
 ذات البين يعطى مع الغنى ولو في غير دم ويعطى المستدين لقري ضيف وعمارة مسجد وبناء
 قنطرة وفك أسير ونحو ذلك من المصالح العامة عند المجز عن النقد (وفي سبيل الله) وهم الغزاة
 المتطوعون أى الذين لا رزق لهم في النفي ويعطون ولو أغنياء اعانة لهم على الغزو وتحمون الزكاة
 على الغازي المرتزق ولو كان عاملا فاذا عديم النفي واضطروا الى المرتزق ليكفينا شر الكفار
 اعانة الاغنياء لامن الزكاة (وابن السبيل) أى الطريق وهو من يشي سفر امباحا من محل
 الزكاة فيعطى ولو كان كسوبا أو كان مسافرا للزهوة ويعطى أيضا المسافر الغريب المجتاز يعمل
 الزكاة وانما يعطيان ان لم يجداهما شيئا يكفهما السفرهما وقوله تعالى (فريضة من الله)
 نصب بفعله المقدرا أى فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء (والله
 عليم) أى بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويؤلف بين قلوب المسلمين (حكيم) يضع الاشياء
 في مواضعها وانما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى بلام الملك والى الاربعة
 الاخيرة بنى الظرفية للاشعار باطلاق الملك في الاربعة الاولى وتقييده في الاخيرة حتى اذا لم يحصل
 الصرف في مصارفها استرجع بخلافه في الاولى ويجب تعميم الاصناف الثمانية في القسم ان
 أمكن بأن قسم الامام ولو ثمانية ووجد والظاهر الآية سواء في ذلك زكاة القطرون زكاة المال
 وان لم يمكن بأن قسم المالك اذا غامل أو الامام ووجد بعضهم كأن جعل عاملا بأجرة من بيت
 المال فتعميم من وجد منهم وعلى الامام تعميم اتخاذ كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده اذا
 لا يبعد عليه ذلك وعلى المالك أيضا ان انحصر الاضداد بالباد بأن سهل عادة ضبطهم ومعرفة
 عددهم وفيهم المال فان أخل أحدهما بصنف ضمن وان لم ينحصر أو لم يفهمهم المال ويجب

اعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف ذكره في الآية بصيغة الجمع وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل
الذي هو الجنس ولا عامل في قسم المالك ويجوز حيث كان أن يكون واحداً ان حصلت به الكفاية
كما يستغنى عنه فيما مر وتجب التسوية بين الاصناف غير العامل لابين آحاد الصنف إلا أن يقسم
الامام وتساوى الحاجات فتجب التسوية لأن عليه التعميم فعليه التسوية بمخلاف المالك اذ الم
ينحصر وأولم يفهم المال ولا يميزه بنقل الرصاة من بلد وجوبه مع وجود المستحقين
فيه الى بلد آخر أو حال الحول والمال يبادىة فرت الزكاة بأقرب البلاد اليه أما الامام ولوبنايه
فله نقلها ولو امتنع المستحقون من أخذها قوتلوا وشرط أخذ الزكاة من هذه الثمانية حرية
واسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ولا مولى لهما كما يفرضه السنة هذا مذهب الشافعي رضي
الله تعالى عنه وقال الرازي وغيره لادلالة الآية على قول الشافعي في أنه لا بد من صرفها
الى جميع الاصناف لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف وأما ان صدقة زيد بعينها
يجب توزيعها على الاصناف كلها فلا كما ان قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
الآية توجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق وما ذهب اليه الشافعي رضي
الله تعالى عنه قول عكرمة وما ذهب اليه الأئمة الثلاثة من جواز صرفها الى صنف واحد هو قول
عمر وحذيفة وابن عباس وجعاعة من الصحابة والتابعين وكل على هدى من ربهم (فان قيل) كيف
وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (أجيب) بأنه تعالى ذكر ذلك ليندل
على أن هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم جسمياً
لا طماعهم وأشعاراً باستحقاقهم الحرمان وانهم بعد اعنائهم عن مصارفها فإلهم ومالهأوما
سلطهم على التكلم فيها وبين قاسمها (ومنهم) أي المنافقين (الذين يؤذون النبي) هذا نوع
آخر من جهالات المنافقين وهو أنهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويتقلون
حديثه (ويقولون) اذناؤه عن ذلك ثلاثا يبلغه (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له ويصدق به
بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة للسمع كما يسمى الجاسوس عينا
لذلك واختلاف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في جماعة من المنافقين كانوا
يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه
ما نقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فنفسكه
ما قلنا ونخلف له فيصدقنا فيما نقول فان محمد أذن أي أذن سامعة يسمع كل ما يقال له ويقبله
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل بن الحرث وكان رجلاً ثائراً الشعر
أحمر العينين أسفح الخدين مشوه الخلقة وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى
الشیطان فلينظر الى نبيل بن الحرث وكان بين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فن حديثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنخافه
فيصدقنا فنزلت وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل إلا أذن من شاء صرفه حيث
شاء لا عزمة له ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن ليس له ذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب

أربع الاغتراب لكل ما يسمع فلهذا السبب سمعوا بأذن وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء
 المنافقين (أذن خير لكم) تصديق لهم بأنه أذن لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
 انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر تعالى ذلك بقوله تعالى (يؤمن بالله) أى يصدق به ما قام عنده
 من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أى ويصدقهم ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين (فان قيل)
 لم يهدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (أجيب) بأن الايمان المهدى الى
 الله تعالى المراد منه التصديق الذى هو تقيض الكفر فعدى بالباء والايمان المهدى للمؤمنين
 معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم سمع فعدى باللام كفى قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وقوله تعالى فما آمن لموسى الاذرية من قومه وقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون
 وقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقرأنا فاع أذن في الموضع عين بتسكين الدال والباقون بالرفع
 (ورجة) أى وهو رجة (الذين آمنوا منكم) أى ايمان أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
 وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقاً بكم وترجاء عليكم وقرأ أجزاء ورجة
 بالجر عطفا على خير والباقون بالرفع * ولما بين سبحانه وتعالى كونه سببا للخبر بين أن كل من اذا
 استوجب العذاب الا ايم بقوله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) أى مؤلم لانه اذا
 كان يسمى في ايصال الخير والرجة اليهم مع كونهم في غاية الخيب والغري ثم انهم مع ذلك يقابلون
 احسانه بالاساءة وخبراته بالشرو فلا شك انهم يستحقون العذاب الشديد من الله تعالى ثم ذكر
 نوعاً آخر من قبائح أفعال المنافقين بقوله تعالى (يحافون بالله لكم) أيها المؤمنون (ليرضوكم)
 أى اترضوا عنهم واختلف في سبب نزل هذه الآية فقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من
 المنافقين تختلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوا بعت ذور الهم
 ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذرورهم ويرضوا عنهم وقال قتادة والسدي اجتمع ناس من
 المنافقين فيهم جلاس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان
 المنافقين فيهم محمد حق فحقن أشمر من الخير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فخره
 وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وأنتم أشمر من الخير ثم أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كذب وحلف عامر أنهم كذبة
 فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو الله ثم صدق الصادق وكذب الكاذب فنزلت
 (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى بالارضاء بالطاعة والوفاق وانما وجد الضمير لانه لا تفاوت
 بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم لتلازمهما كما في قوله تعالى احسان زيد واجاله
 نعشى وجبر منى أو ان العالم بالاسرار والضمائر هو الله تعالى واخلاص القلب لا يعلمه
 الا الله تعالى ولهذا السبب خص الله تعالى نفسه بالذكر أولاً لان الكلام في ايداء الرسول
 وارضائه وأخبر الله وأرسوله محذوف وفي كلام البيضاوي اشارة الى ان المذكور خبر الاول
 لانه المتبوع وفي كلام سيبويه انه للشأنى لكونه أقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدا
 والخبر (ان كانوا) أى هؤلاء المنافقون (مؤمنين) أى مهتدين بوعد الله ووعد رسوله في الاسخرة

(ألم يعلموا) قال أهل المعاني هذا خطاب لمن علم شيئا ثم نسبته وتركه فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله تعالى ألم يعلموا أن من شر أئاع الدين التي علمهم رسولنا (انه) أي الشأن (من يحداد الله) أي من يخالف الله (ورسوله) وأصل المحادة في اللغة المخالفة والجمابة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا أي صار في حد غير حده كقولك شقه أي صار في شق غير شقه ومعنى يحداد الله أي يصير في حد غير حده أولياء الله تعالى بالمخالفة وقوله تعالى (فأن له نار جهنم) أي على حذف الخبر أي خلق أن له نار جهنم لأن القاء واقعة في جواب الشرط تقتضي جملة وفأن له نار جهنم مفرد في موضع رفع بالابتداء وقد زجر به مقدمه لأن لا يتبدأ بها قال الرازي أو أن معناه فله نار جهنم وإن تكررت للتوكيد واعتراض بأن فيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بأجنبي ثم قال أو جواب من محذوف والتقدير ألم يعلموا أنه من يحداد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم (خالف فيها) أي دائماً من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة أبدا ثم نبه على عظم هذا الجزاء بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن (انلزي العظيم) أي الهلاك الدائم (يحذر) أي يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أي المؤمنين (سورة تنبئهم) أي تحبرهم (بماني قلوبهم) أي بماني قلوب المنافقين من النفاق والحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويستزنون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم قال ابن عباس أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعيروهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) أمرهم بدي (أن الله يخرج) أي مظهر (ما تحذرون) أخرجه من نفاقكم قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليعتسكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتسكر والاه في ليلة مظلمة فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم وعمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوهه واحلهم فضربها حذيفة حتى نجاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة لا تبعث اليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله (ولئن) اللام لام القسم (سألتم) أي المنافقين عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك (لبقولن) معذرين (أنما كنا نخوض ونلعب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم قصد ذلك قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والشاة يعضك قبل كانوا يقولون إن محمدا يغلب الروم ويغف

مدانهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد ايرغم انه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة
قرآن وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسا
الركب على فذعاهم وقال لهم قلت كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب أى كنا نتحدث
ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب قال الله تعالى (قل يا محمد
لهؤلاء المنافقين) (أبالله) أى بفرائضه وحدوده وأحكامه (وآياته) أى القرآن وسائر ما يدل على
الدين الذى لا يمكن تبديله ولا يتخفى على بصير ولا بصيرة (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى عظمت
من عظمتة وهو مجتهد فى اصلاحكم وتشرى بكم واعلائكم (كنتم تستهزئون) توخنا
وتقربناهم على استهزائهم بما لا يصلح الاستهزاء به والزما للمعجزة عليهم ولا يعبا باعتقادهم الكاذب
* ولما كان الاستهزاء بذلك كفرا قال الله تعالى (لا تعذرُوا) أى لا تشغلوا باعتذاراتكم
الباطلة (قد كفرتم) أى أظهرتم الكفر بقولكم هذا (بعدايمانكم) أى بعد انظهار الايمان
(فان قيل) المنافقون لم يكونوا مؤمنين فكيف قال تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم (أجيب)
بأنهم كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر فقد أظهروا
الكفر بعد ما أظهروا الايمان كما تقرر (ان نغف عن طائفة منكم) أى باخذائهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نغذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أى مصرين على النفاق
والاستهزاء قال محمد بن اسحق الذى عفا الله عنه رجل واحد وهو مخشى بن جيرا الاشجعي يقال
هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى مجتابا لهم وكان ينكر بعض ما يسمع والعرب توقع
لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الجمال والله تعالى يقول الذين قال لهم
النامس يعنى نعيم بن مسعود فلما نزلت هذه الآية تأب من نفاقه وقال اللهم انى لأزال أسمع آية
تقرأ تنشر عندهم الجلود وتحقق منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحدنا
غسأت أنا كفتت أنا دقت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحدا من المسلمين مصرعه وقرأ عاصم
نغذب بالتون مفتوحة وضم الفاء ونغذب طائفة بنون مضمومة وكسر الذال وطائفة بالنصب
والباقون ان يغيب ياء مضمومة وتغذب بضم التاء وفتح الذال وطائفة بالرفع ثم بين تعالى نوعا
آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم والمقصود منه بيان ان انهم كذ كورهم فى تلك الاعمال
المسكرة والافعال الخبيثة بقوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة
فى النفاق والبعد عن الايمان كلبعض الشئ الواحد كما يقول الانسان لغديره أنا منكب وأنت
منى أى أمرنا واحد لا مباينة فيه (بأمر ون بالذكر) أى يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية
وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (ويهنون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أى عن الانفاق
فى كل خير من زكاة وصدقة وانفاق فى سبيل الله والاصل فى هذا ان المعطى يمد يده ويبسطها
بالعطاء وقيل لمن منع ويجعل قد قبض يده فقبض اليه كناية عن الشغ وقوله تعالى (نسوا الله فأنسيهم)
لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لولجنا النسيان على الحقيقة لما استحقوا عليه ذمالا لان النسيان
ليس فى وسع البشر ونسب رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وإضافه هو فى حق الله تعالى محال

فلا بد من التأويل وهو من وجهين الأول معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنزلة المنسي
 بخلافهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورجته وجاء هذا على مزاجه الكلام كقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والشأن على الله ترك
 الله تعالى ذكرهم بالرجة والاحسان وانما حسن جعل النسيان كناية عن ترك الذكر لأن من
 نسي شيئا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون
 في الفسق الذي هو التفرّد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلجأ بكسبه
 هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله تعالى به المنافقين حتى بالغ في ذمهم وقد كره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كرهت كسبات لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى
 الا وهم كسالى فاطنك بالفسق * ولما بين سبحانه تعالى كثيرا من أحوال المنافقين والمنافقات
 وانه قسمهم أي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله تعالى كدهذا الوعيد وضم المنافقين
 الى الكفار فيه بقوله تعالى (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين في عنادهم
 يقال وعده بالخير وعداوا وعده بالشر وعيدا (نار جهنم خالدين فيها) أي مقدرين بالخلود ولا شك
 ان النار المخلدة من أعظم العقوبات (هي حسبهم) أي كافيتهم في العذاب (ولعنهم الله) أي
 ابعدهم مع من أبعدهم من رحمته * ولما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون
 بعده فرج نفى ذلك بقوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع وقوله تعالى (كاذبين من
 قبلكم) نزجوع من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كاذبين للتشبيه والمعنى فعلتم كافتعال
 الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمعروف والنهي
 عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة ثم انه تعالى وصف الكفار بأنهم كانوا أشد
 من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا بقوله تعالى (كانوا أشد منكم قوة) أي بطش
 ومنعاً (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلقهم) أي تمتعوا بنصيبتهم من الدنيا باتباع
 الشهوات ورضوا بهاعوضا عن الآخرة والخلق النصيب وهو ما خلق للانسان وقد رله من خير
 وشركا يقال قسم له (فاستمتع بخلقكم) أي فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلقكم فهو
 خطاب للعاشرين (كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بما أوتوا
 من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الخطيئة
 العاجلة تهديد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم * ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين
 لآلئ المتقدمين في طلب الدنيا وفي الاعراض عن طلب الآخرة بين حصول المشابهة بين
 الفريقين في تكذيب الانبياء وفي المكر والخديعة بقوله تعالى (وخضتم) أي ودخلتم في الباطل
 والكذب على الله تعالى وتكذيب رسوله والاستمراء بالمؤمنين (كالذي خاضوا) أي كالذين
 خاضوا وكالفوج الذي خاضوا هذا كما اذا جعلنا الذي موصولا اسمنا فان جعلناه موصولا
 حرفيا اول مع صلته بمصدر رأى كخوضهم والفوج الجماعة (فان قيل) أي قائدة في قوله تعالى
 فاستمتعوا بخلقهم وقوله تعالى كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم مغن عنه كما أغنى

قوله تعالى كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخصم كالذي خاضوا (أجيب) بأن فائدة ذلك
 أن يذم الأولين بما قرئ يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة كما تريد
 أن تنبه بعض الظلمة على قبح ظلمه بقلك أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب من غير
 موجب وأما وخصم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن
 تلك المقدمة (أو لئلا) أي هؤلاء الاشقياء (حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا) أي بزوالها
 عنهم ونسيان لذاتها (والآخرة) أي وفي الدار الآخرة لأنهم لم يسعوا لها سعيها فلم تنفعهم
 أعمالهم في الدارين بل يعاقبون عليها وازد في التنبيه على بعدهما مما قصدوا لأنفسهم من النفع
 بقوله تعالى (وأولئك هم الخاسرون) أي الذين خسروا الدنيا والآخرة والمعنى أنه كما بطل
 أعمال الكفار الماضين وخسروا بطل أعمالكم أي المنافقون وتحسرون وفي الالتفات إلى
 مقام الخطاب إشارة إلى تحذير كل سامع عن مثل هذه المقالة قال بعض كبراء التابعين أدركت
 سبعين من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وذكر أن ما لكارحه الله
 تعالى دخل المسجد بعد العصر ودعوى لا يرى الركون بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له
 صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما يراه مذمبا فقبل له في ذلك فقال خشيت
 أن أكون من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بينما وبين
 المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال تعالى لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ينظر
 المنافق الى ما يسقط فاضل أهل الفضل ويتعاضى عن محاسنهم كما روى أن الله تعالى يغض التأول
 لحسنة المؤمن الاخذ بسنته والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوى أهل المساوى فكيف
 بما يبأ أهل المحاسن والمنافق يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا ولا يأخذ ما ينفع في العقبى
 ويجتنب في الدين ما يضر في الدنيا ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا * وبذكر
 أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها دأنى على موضع طاهر أصلى فيه فقال
 له الراهب طهر قلبك مما سواه وقم حيث شئت قال المسلم فنجلت منه وقوله عز من قائل (ألم يأتهم)
 فيه رجوع عن الخطاب إلى الغيبة أي ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى
 التقرير أي قد أتاهم (نبأ) أي خبر (الذين من قبلهم) من الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم
 كيف أهلكتهم حين خالفوا أمرنا وعصوا أرسلنا * ولما شبه تعالى المنافقين بالكفار
 المتقذين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الانبياء والمبالغة في ايدائهم لرسولهم بين منهم ستة
 طوائف الاولى (قوم نوح) أهل كوا بالطوفان (و) الثانية (عاد) وهم قوم هود أهل كوا
 بالريح والثالثة ثمود وهم قوم صالح أهل كوا بالرجفة (و) الرابعة (قوم ابراهيم) أهل كوا بسلب
 النعمة وأهلك غر وذيبعوضة سلطها الله تعالى على دماغه فقتلته (و) الخامسة (أصحاب مدين)
 وهم قوم شعيب ويقال انهم من ولد مدين بن ابراهيم أهل كوا بعباد يوم الظلة (و) السادسة
 (المؤتفكات) وهم قوم لوط أي أهلها أهل كوا بأن جعل الله تعالى أعالي أرضهم سافلها
 وامطر عليهم حجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشأم

والعراق والمين وكل ذلك قريب من بلاد العرب فكانوا يمترون عليهم ويعرفون أخبارهم وقوله تعالى (أتتهم وسلهم) راجع الى كل هؤلاء الطوائف (بالبينات) أى المجزئات الباهرات والنجح الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيام الكفار والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم النعمة كما عملت لهم وقرأ أبو عمرو بسكون السين والباقون بالرفع (فما كان الله ليظلمهم) بتجليل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسمهم يظنون) حيث عرضوا للعقاب بالكفر والتكذيب * ولما بالغ سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالاعمال الفاسدة والافعال الخبيثة ثم ذكر عقبه أنواع الوعد في حقهم في الدنيا والآخرة ذكر بعده صفات المؤمنين بقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة وهذا في مقابلة قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (فان قيل) لم قال تعالى في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض ما الحكمة في ذلك (أجيب) بأنه لما كان اتفاق الابعاح حصل بسبب التقليد لاؤتسك الاكابر لسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الخالصة بين المؤمنين بتوفيق الله تعالى وهدايته لاجتماعهم الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الحكمة وقوله تعالى (يا مروءن بالمعروف) أى بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف من الشرع من خير وطاعة (وينهون عن المنكر) أى الشرك والمعاصي والمنكر كل ما ينكره الشرع وينقر منه الطبع في مقابلة قوله تعالى في المنافقين يا مروءن بالمنكر وينهون عن المعروف (ويقومون الصلاة) أى المفروضة ويتمون أركانهم وشروطها (ويؤتوا الزكاة) أى الواجبة عليهم في مقابلة قوله تعالى في المنافقين ويقضون أيديهم المعبره عن الجمل وقوله تعالى (ويطيعون الله ورسوله) أى فيما يأمرهم به في مقابلة قوله تعالى في المنافقين نسوا الله أنفسهم * ولما ذكر تعالى ما وعده المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين من الرحمة المستقبله وهى ثواب الآخرة بقوله تعالى (أو لئن) أى المؤمنون والمؤمنات الموصوفون بهذه الصفات (سيرجهم الله) بوعده لاخاف فيه (ان الله عزيز) أى غاب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريد (حكيم) أى لا يقدر أحد على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه * ولما ذكر سبحانه وتعالى الوعد على سبيل الاجمال ذكره على سبيل التفصيل بقوله تعالى (وعند الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) فذكر في هذه الآية أن الرحمة هى هذه الانواع المذكورة في هذه الآية أولها قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار فهى لاتزال خضرة ذات بهجة نضرة * ولما كان النعيم لا يكمل الا بالادوام قال تعالى (خالدين فيها) والمراد بالجنات التى تجري من تحتها الانهار البساتين التى يجرى فيها النافار لانه تعالى قال (ومساكن طيبة في جنات عدن) أى اقامة وخلود وهذا هو النوع الثانى فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الاخرى البساتين التى يتزهون فيها فهذه فائده المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه قد ذكر كلام أصحاب الاسماء

في صفة جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين عن قوله تعالى ومساكن طيبة
 فقال علي الخبير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه
 سبعون داراً من ياقوتة جراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً
 على كل سرير سبعون فراشاً على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل
 مائدة سبعون لوناً من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة
 واحدة ما يأتي على ذلك أجمع وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار
 الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر أي دار الله تعالى التي أعدها لأولياؤه وأهل طاعته
 والمقربين من عباده وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها
 قال ابنة من ذهب وابنة من فضة وبلاطها المسك الأزفر وتربها الزعفران وحصبهاؤها الدر
 والياقوت فهي النعيم بلائوس والخلود بلا موت لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه وقال ابن مسعود
 جنات عدن بطنان الجنة قال الأزهرى بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس هي قصر
 في الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى
 وسائر الجنان حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتب ربح طيبة
 من تحت العرش قد دخل عليهم كتيان المسك الأزفر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 تعالى عنه ما إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله
 إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة قبابه على
 حافيه وقال الرازي حاصل الكلام أن في جنات عدن قوانين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في
 الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول وقال في الكشف وعدن علم بدليل قوله تعالى
 جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة الجنة قال الأزهرى مأخوذ من قولك
 عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن جعلنا
 الله تعالى ومن نحبه من أهلها وأهل عليان رضوانه فانه المقصود الأعظم كما قال تعالى
 (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدء الكل سعادة وكرامة والموتى إلى نيل الوصول والقوز بالقاء
 روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك
 وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم
 فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم نعطاء أحد من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من
 ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك قال تعالى أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً
 وهذا هو النوع الثالث وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والياقوت بالكسر (ذلك) أي الرضوان
 أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذي تستصغرونه الدنيا وما فيها وما وصف الله تعالى
 المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بأنواع العقاب وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب
 الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد لا جرم ذكر عقبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة
 الطاهرة الطيبة ووعدهم بالشواب الرفيع والدرجة العالية ثم عاد إلى شرح أحوال الكفار

والمنافقين بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين (والمنافقين) أي الساترين
كفرهم بظهور الاسلام (فان قيل) الآية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين وهو غير جائز
فان المنافق كافر من يستتر كفره ويقر بلسانه ومن كان كذلك لم تجز محاربته ومجاهدته
(أجيب) بأن ليس في الآية ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر
وانما تدل على وجوب الجهاد مع القرية وكيفية تلك المجاهدة انما تعرف من دليل آخر
وقد دلل الدلائل المفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف ومع المنافقين
بالجبة والبرهان وجمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحد ودعائهم اذا تعاطوا أسبابها
قال القاضي وهذا ليس بشئ لان اقامة الحد وواجبة على من ليس غناق فلا يكون امانا تعاق
بالتناق ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرقة وحسن الخلق قال تعالى (واغلظ عليهم)
أي بالانتهاز والمقت في الجهادين لانعام عليهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم في القعود
وهذا بخلاف ما مضى في وعيد المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقون والمناذقات فقدم في
كل سياق الا ليق به (وما وأهم) أي مسكنهم في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي
المرجع هي (بما نقون) أي المنافقون (بأنه ما قالوا) أي ما بلبك عنهم من السب والقسرون
ذكر وافي أسباب نزول هذه الآية وجوها الأول روى أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول
نجد في اخواننا الذين خلفناهم بالمدينة حقنا نحن شر من الخير فقال عامر بن قيس الانصارى
للجلاس أجل والله ان محمدا صادق وأنت شر من الحار فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله عز وجل ما قاله فرفع عامريده وقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت فقال الجلاس لقد ذكر الله تعالى التوبة في هذه الآية
ولقد قلت هذا الكلام وصدق عامر ثم تاب وحسنت توبته الثاني أنها نزلت في عبد الله بن أبي
لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليجزى من الاعز منها الاذل وأراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
فسمع زيد بن أرقم ذلك فبلغه النبي صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضى الله عنه بقتل عبد الله بن
أبي جحاء عبد الله بن أبي وحلف أنه لم يقل الثالث روى قتادة أن رجلا اقتتل احدهما من
جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار فظهر الجاهلي على الغفاري فقال عبد الله
ابن أبي لا اوس انصروا أحاكم فوالله ما ملنا ومثل محمد الا كما قال القائل عن كلبك يا كلك
فسمي به رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فنزلت
(واقعد قالوا كلمة الكفر) وهي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي (وكفر وابتعد اسلامهم) أي وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم
الاسلام (وهو ما لم ينالوا) أي من قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند حرجه من تبوك توافق
خمس عشرة منهم اذا تنسم العقبة أي علاها بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فيبينهاهم كذلك اذا سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبمقعنة

السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون هم واقتل عامر حين رد على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نفعوا) أي وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا (الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) فات أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحجزون الغنمة وبعد قدومه أخذوا الغنائم وفازوا بالاموال ووجدوا الدولة وذات يوجب أن يكونوا محبين له محبتين في بذل النفس والمال لأجله وقتل للجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فالمنافقون عملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن ينقموا منه وقال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء ينقمون منه ولا يعيبون من الله إلا الصنيع وهذا كقول الشاعر

مانعوا من بني أمية إلا أنهم يحلون أن تفضوا

وكقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بين فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيهم عيب (فإن يتوبوا) أي من كفرهم ونفاقهم (يك خير لهم) في العاجل والآجل من أصرارهم على ذلك وهذا الذي حل الجلاس على التوبة والضعف في يك للتوبة (وان يتولوا) أي يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصبروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا بالقتل والأسر والاذلال والآخرة) بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم في النار (ومألهم في الأرض) أي التي لا يعرفون غيرها السفول همتهم (من ولي) بحفظهم منه (ولأنصير) بينهم وأما السماء فهم أقل من أن يطعموا منها في شيء ناصراً وغيره وأغلظ أكباد من أن يرتقي فكرهم إلى ما بها من العجائب وما بها من الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها في شرح أحوال المنافقين ولشأنهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على التفصيل فيقول تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يترك في الصدقات ومنهم من يقول انثن لي ولا تفتني (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لصدقن) فيه ادغام التاء في الأصل في الصاد (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن ثعلبة بن حاطب أبطأ عنه ما له بالآثم فطعته شدة خفاف بالله وهو واقف ببعض مجالس الأنصار لئن آتانا الله من فضله لصدقن ولا تؤذين منه حق الله تعالى والمشهور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فراجع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لساوت ثم أتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله ما لا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا فأخذ غنما

فتمت كما تنهى الدود حتى كثرت ونزل بهم اوديان من اودية المدينة واشتغل بها حتى صار يصلى مع
النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى في غنمه باقى الصلوات ثم كثرت وغت حتى تباعد
عن المدينة أيضا فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة أيضا فصار
لا يشهد الا الجمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار
فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما
ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا فترأت آية الصدقة فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا لاختذ الصدقة وكتب لهما اصناف الصدقة وكيف
ياخذان وقال لهما ما رآ ثعلبة وخذا صدقانه فأتياه وسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزئية أوأخت الجزئية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا
فاسمتهما الناس بصدقاهم ثم رجعا الى ثعلبة فقال كفا لهما الاولى ولم يدفع اليهما شيئا فرجعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك
يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن
يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني من أن أقبل صدقتك فجعل يحشو على رأسه التراب فقال
صلى الله عليه وسلم لقد قلت لك نساء طعتني فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغناه به الى أنى بكرضى الله عنه فلم يقبلها ثم جاء به الى عمر أيام خلافته فلم يقبلها فلما لى عثمان
أنه لم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضى الله عنه (فان قيل) العبد اذا تاب تاب الله
عليه فلماذا منع الله تعالى من قبول صدقته (أجيب) بأن الله تعالى لما قال خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وترزقهم بها وكان هذا المقصد وغير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا السبب
امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة ثم قال الله تعالى (فلما أتاهم من فضله
بخطوبه) أى منعوا حتى أتى الله تعالى منه (وقولوا) عن طاعة الله تعالى (وهم معرضون) أى عن
طاعة الله تعالى (فأعقبهم) أى صبروا عقبتهم (نفاقا) متمككا (في قلوبهم الى يوم يلقونه) أى الله
يوم القيامة (بما خلقوا الله ما وعدوه) أى بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصديق والصلاح
لان الجزاء من جنس العمل (وبما كانوا يكذبون) أى بجدود الكذب دائما مع الوعد
ومنفسكا عنه فقد استكملوا النفاق عاهدوا فغدروا ووعدوا فأخلفوا وحذثوا فكذبوا وقد
قال صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخل واذا
اتى خان (ألم يعلموا) أى المنافقون (ان الله يعلم سرهم) أى ما أمروا في أنفسهم من النفاق
والعزم على اخلاف ما وعدوه (ويخبرهم) أى ما تناجوا بينهم من المطاع في الدين وتسمية
الصدق جزئية وتدبير منعها فكيف يجترونها على النفاق الذى الاصل فيه الاستمرار والتناجى
فيما بينهم مع علمهم بأن الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وأنه يعاقب عليه كما يعاقب على
الظاهر (وان الله علام الغيوب) والعلام بالفتنة في العالم والغيب ما كان غائبا عن الخلق

فكيف يمكن الاخفاء عنه وقوله تعالى (الذين) مبتدأ (يلزوم) أي يعيبون (المطوعين) المستغفرين
 (من المؤمنين) أي الراسخين في الايمان (في الصدقات والذين لا يجتهدون الاجتهادهم) أي
 طاعتهم فيما تون به (فيستغفرون منهم) أي يستغفرونهم والخبر (يجتر الله منهم) أي جازاهم على
 خيانتهم (ولهم عذاب اليم) على كفرهم وهذا نوع آخر من أعمال المنافقين القبيحة وهو لزمهم
 لمن يأتي بالصدقات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وحث على الصدقة
 فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
 مالي ثمانية آلاف درهم جئت بك بأربعة آلاف درهم فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف
 العياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
 تعالى في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وتسعين ألف
 درهم وجاء عاصم بن عدى الانصاري تسعين وسقاً من تمر وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء
 أبو عبيد الانصاري بصاع من تمر وقال أجزت اللذة الماضية بنفسى من رجل لارسال الماء الى
 نخله فأخذت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما العياى وأتيتك بالآخر فأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا عبد الرحمن وعثمان ما يعطيان الاريا
 والله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يترك نفسه ليعطى من مال الصدقات
 فنزلت وقوله تعالى (استغفروا لهم) يا محمد (أولاستغفروا لهم) تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم
 في الاستغفار لهم وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خبرت فاخبرته يعنى الاستغفار رواه
 البخارى (ان تستغفروا لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي
 وكان من المخاضين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أسه أن يستغفر له ففعل فنزلت
 فقال عليه الصلاة والسلام سأزيد على السبعين وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين
 العدد المخصوص لانه الاصل لمواز ان يكون ذلك حداً يخالفه حكم ما ورأه فبين تعالى أن
 المراد لكثيرون التحديد وانما خص السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر
 السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهدة رضى الله عنه سبعين تكبيرة
 ولان أحاد السبعين سبع وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع
 والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم سبع وقد اشاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة
 ونحوها فى التكثير لا شتمال السبعة على جملة أقسام العدد أى عهدة مراتبه الاصلية
 والفرعية مع ذلك أول فروع فروعه وهى سبعة أحاد عشرات مثبتهن أحاد ألوف
 عشرات ألوف مئة ألوف أحاد ألوف الألوف وقوله تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)
 إشارة الى أن الناس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس ليجل من لا تقصو رفق بل لعدم
 قابليتهم بسبب الكفر الصارف عما (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى المعزدين فى كفرهم
 وهو كالتعصية على عذر النبي صلى الله عليه وسلم فى استغفاره وهو عدم بأسهم عن ايمانهم
 ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان

للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون) عن غزوة تبوك (بعدهم) أي بعودهم فهو اسم للمصدر (خلاف رسول الله) هذا نوع آخر من قبائح أعمال المنافقين وهو فرحهم بالعودة وكرههم الجهاد والخلف المتروك من مضي (فان قيل) انهم احتالوا حتى تخلفوا فكانوا متخلفين لا مخلفين (أجيب) بأن من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه مخلف حيث لم ينهض وأقام * (تنبيه) * قوله تعالى خلاف فيه قولان الأول وهو قول الزجاج بمعنى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساروا فأما قال وهو منصوب لأنه مفعول له والمعنى بأن قعدوا مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني قال الاخفش ان خلاف بمعنى خلف ومعناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) تعريض للمؤمنين بحملهم المشاق لوجه الله تعالى بما فعلوا من بذل أنفسهم وأموالهم وإيثارهم ذلك على السكون والراحة وكره ذلك المنافقون وكيف لا يصحكرهون وما فهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا) أي قال بعض المنافقين لبعض أو قالوا للمؤمنين تبسيطاً (لا تنفروا) أي لا تخرجوا الى الجهاد (في الخبر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر ففأجاب الله تعالى عن هذا بقوله تعالى (قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون) أي يعلمون أن بعد هذه الدار داراً أخرى وان بعد هذه الحياة حياة أخرى وان هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية ماتخلفوا ولبعضهم

مسرة أحقاب تليق بعدها * مساة يوم اربها شبه الصابي
فكيف بأن تليق مسرة ساعة * وراء تقضيها مساة أحقاب

وقوله تعالى (فليضحكوا قليلاً) أي في الدنيا (وليبتكوا كثيراً) أي في الآخرة ورد بصيغة الامر ومعناه الاخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ودليل ذلك قوله تعالى (جزاء بما كانوا يكتسبون) أي أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيث في الدنيا روى أن أهل النفاق سيكون في الآخرة في النار عر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فصرحهم وضحكهم طول أعمارهم في الدنيا قليل بالنسبة الى الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمقطع الثاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل روى عن أنس أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابتكوا فان لم تستطعوا فابتكوا فان أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنهم أجداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرع العيون حتى لو أن سففاً اجريت فيها الحرت قال البيضاوي ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كناية عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعتك) أي ردتك (الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) أي من تخلف بالمدينة من المنافقين وانما قال الى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق ومنهم على التصلب أو اعتذر به من رخصه وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين وأرادنا طائفة المنافقين

منهم) فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل) يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا
 الخروج معك وهم مقيمون على نفاقهم (ان تخرجوا معي أبداً) أى فى سفر من الاسفار ان الله
 تعالى قد أغثنى عنكم وأحوجكم الى (ولن تقاوا لى معي عدواً) اخبار بمعنى النهى للمبالغة
 وقوله تعالى (انكم رضيت بالعودة أول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم من ديوان
 الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأقل مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك (فأقعدوا مع الخالفين)
 أى المتخلفين عن الغزوة من النساء والصبيان وغيرهم قال الرازى واعلم ان هذه الآية تدل
 على ان الرجل اذا ظهر له من بعض اخوانه مكر وخداع وراه مشقة دفعه مبالغاً فى تقرير
 موجباته فانه يجب عليه أن يقطع العلاقة بينه وبينه وأن يحتز عن صاحبه * ولما أمر الله
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمنع المنافقين من الخروج معه الى الغزوات اذ لا لاهم
 أمره بمنع الصلاة على من مات منهم اذ لا لاهم أيضاً بقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات
 أبداً) روى أن ابن أبي راس المنافقين دعا النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فلما
 دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم سأله أن يصلى عليه واذا مات يقوم على قبره ثم أرسل للنبي
 صلى الله عليه وسلم يطلب منه قصصه ليكفّن فيه فأرسل اليه القميص القوفاني
 فردّه وطلب الذى يلى جلده ليكفّن فيه فقال عمر رضى الله عنه لم تعطى قصصك
 للرجس التجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قصصى لا يغنى عنه من الله شيئاً وانى أقتل من الله
 أن يدخل فى الاسلام **كثيرهم** هذا السبب فيروى أنه اسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب
 الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات جاء ابنه بعرفه وكان ابنه صحابياً
 خالصاً صالحاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يارسول
 الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلى عليه فقام عمر رضى الله عنه بين
 القبلة فنزلت هذه الآية وأخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
 لا تصل على أحد منهم مات أبداً قال عمر فجمعت من جرائقى على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
 وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه وذلك ان الوحي ينزل وفق قوله فى آيات
 كثيرة منها آية أخذ القديمة من أسارى بدر وقد سبق شرحه ومنها آية تحريم الخمر ومنها آية
 تحويل القبلة ومنها آية أمر النساء بالجاب ومنها هذه الآية قصار نزول الوحي على مطابقة
 قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له فى الدارين ولهذا قال فى حقّه عليه الصلاة والسلام
 لو لم أبعث لبعثت يا عمر نبياً وانما لم يبعث الله عليه وسلم عن التمكنين فى القميص ونهى عن
 الصلاة عليه لان الضمة بالقميص كانت تحل بالكرم وكان الله تعالى أمره أن لا يرسله الا
 بقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ولان ابنه كان بالوصف المتقدم فأكرمه النبي صلى الله عليه
 وسلم لمكان ابنه ولان الرحمة والرافة كانت غالبية عليه صلى الله عليه وسلم ولائها كانت مكافأة
 للباسه العباس قصصه حين كان أسير بيدرو والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
 ممنوع فى حق الكافر قال الواحدى مات فى موضع جبر لانه صفة لا **مكره** كانه قبيل

على احد منهم ميت وقوله تعالى أبدا متعلق بقوله ولا تصل والتقدير ولا تصل أبدا على أحد
منهم معنا كبادائنا وقال البيضاوي مات أبدا بمعنى الموت على الكافرين ان احياء الكافر
للعذاب لا للمنع فكانه لم يجبي واختلف في تفسير قوله تعالى (ولا تقم على قبره) فقال الزجاج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعاه فخرج ههنا منه قال الكلبي
لا تقم لاصلاح مهمات قبره وهو من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وتولاه وقيل
لا تقم عند قبره لدفن أو زيارة والاول أولى لان النهي للتحريم ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة
عليه والقيام على قبره بقوله تعالى (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) أي كافرون
يعني لم يتوبوا قبل موتهم عن كفرهم فسقط بذلك ما قيل ان الفسق أدنى من الكفر فالفائدة في
وصفهم بعد ذلك بالفسق واجب أيضا بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا
فوصف الله تعالى المنافق بالفسق بعد ان وصفه بالكفر تنبيهها على ان طريقة النفاق طريقة
مذمومة عند كل أهل العلم (فان قيل) كيف هم صلى الله عليه وسلم أن يصلى على هذا المنافق مع
قيام الكفر فيه وقيل انه صلى عليه (أجيب) بأن التكليف مبني على قوله صلى الله عليه وسلم
نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فانه كان ظاهرا الاسلام فلما أعلمه الله تعالى بذلك امتنع فلم
يصل على منافق بعد ذلك ولا قام على قبره حتى قبض (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم اغماير يد الله
أن يعذبهم به في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون) سبق ذكر هذه الآية في هذه السورة بعينها
ولكن حصل بينهما تفاوت في الفاظ أربعة أولها أن في الآية المتقدمة فلا تعجبك بالفاء وههنا
بالواو لان الآية الاولى ذكرت بعد قوله تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
للا نفاق وانما كرهوا ذلك الاتفاق لكونهم محبين بكثرة تلك الامول والاولاد فلهذا المعنى نهى
الله تعالى عن ذلك الاعجاب بفناء التعقيب وأما ههنا فلا تعلق لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف
الواو ثانيها أنه قال تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وههنا كلمة لا تحذوفه
لان مثل هذا الترتيب يبدأ به بالادون ثم يترقى الى الاشرف فيقال لا يعجبني أمر الامير ولا أمر
الوزير وهذا يدل على انه كان اعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق اعجابهم بأموالهم
وهذه الآية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم ثالثها أنه تعالى قال هناك اغماير يد
الله يعذبهم وههنا قال اغماير يد الله أن يعذبهم فالأفادة فيه التنبيه على ان التعليل في أحكام
الله تعالى محال وان ورد حرف التعليل ومعناه انه كقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله
وما أمروا الا بأن يعبدوا الله رابعا انه ذكر في الآية الاولى في الحياة الدنيا وههنا أسقط
لفظ الحياة تنبيهها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة مبلغا الى أنها لا تستحق أن تسمى حياة بل
يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهها على كمال دنائتها قال الرازي فهذه وجوه في
الفرق بين هذه الالفاظ والعالم بتحقيق القرآن هو الله تعالى (فان قيل) ما الحكمة في
التكرير (أجيب) بأنه أشد الاشياء جذبا وطلبا للنواطر الاشغال بالدنيا وهي الاموال
والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى في المطالعية والمرغوبة كما أعاد تعالى

قوله في سورة النساء ان الله لا يغفر ان يبشر به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مرتين وقيل انما كرر
هذا المعنى لان الآية الاولى في قوم منافقين اهتم أموال وأولاد في وقت نزولها وهذه الآية في
قوم آخرين والكلام الواحد اذا احتج الى ذكره مع أقوام كثيرين في أوقات مختلفة لم يكن ذكره
مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع آخرين وقوله تعالى (واذا أنزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة تمامها
وان يراد بعضها أي طائفة من القرآن وقيل المراد بالسورة سورة براءة لان فيها الامر بالايمن
والجهاد (ان آمنوا بالله) أي بأن آمنوا ويجوز أن تكون أن المنصورة (وجاهدوا مع رسوله) فان
قيل كيف يأمر المؤمنين بالايمن فان ذلك يقتضي الامر بتحصيل الحاصل وهو محال (أجيب)
بأن معناه الدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل هذا الامر وان كان ظاهره العموم
لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون أي اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله صلى الله
عليه وسلم وانما قدم الامر بالايمن على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير الايمان لا يفيد شيئا ثم حكى
الله تعالى ان عند نزول هذه السورة ماذا يقولون فقال تعالى (استأذنك أولوا الطول منهم)
قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء
المنافقين وكبرائهم (وقالوا) أي أولوا الطول (ذرونا نحن مع القاعدین) أي الذين قعدوا العذر
كل مرضى والزمنى وقيل مع النساء والصبيان ثم ذمهم الله تعالى بقوله (رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت وقيل الخوالف ادنياء الناس
وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وانما خص أولوا الطول بالذكر لان الذم لهم
لازم لكونهم قادرين على السفر والجهاد وأما من لا مال له ولا قدرة له على السفر فلا يحتاج الى
الاستئذان فان المفسرون كان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف (وطبع) أي وختم
(على قلوبهم) أي هؤلاء المنافقين (فهم لا يفقهون) أي لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز
والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والخذلان ولما شرح الله سبحانه وتعالى حال المنافقين من
الفرار عن الجهاد بين حال الرسول والذين آمنوا معه بالصدقة بقوله تعالى (لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله تعالى
والتقرب اليه وفي قوله تعالى لكن فائدة وهي تقرير أنه وأن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد
توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا كقوله تعالى ان يكفر به هؤلاء فقد وكلنا
بهم اقواما وما وصفهم الله تعالى بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع
وهو أنواع أولها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (وأولئك لهم الخيرات) أي منافع الدارين النصر
والغنية في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الخيرات الحور العين لقوله تعالى فيهن
خيرات حسن ثانيها ما ذكره الله تعالى بقوله (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالمطالب
المتخلصون من العقاب والعتاب وثالثها ما ذكره بقوله تعالى (أعد الله لهم جنات تجري من
تحتهم الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) هذا بيان ما لهم من الخيرات الآخوية (وجاء
المعذرون) بادعائهم في الاصل في الذال أي المعذرون بمعنى المعذورين (من الاعراب) الى

النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لعذرهم فأذن لهم واختلف في هؤلاء المعذرين
 فقبلهم أسد وعطفان قالوا إن لنا عيالا وان بنا جهدا فإذن لنا في التخلف وقيل هم رهط
 عامرين الطويل قالوا ان غزوهم عك اغارت اعراب طي على أهالي بناو واشينا فقال صلى الله
 عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وقيل نفر من غفارا عتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
 بالكذب والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله
 تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على
 فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح كافي قول لبيد

* ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو التعتذر الذي
 هو التقصير يقال عذري عذرا اذا قصر ولم يبلغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في
 اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى
 لما ذكره قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي في ادعاء الايمان من منافقي الاعراب
 عن الجبي لا الاعتذار فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويرى
 عن عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تكفوا عذرا يباطل فهم الذين
 عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون ويختلف الآخرون لا العذرو ولا شبه عذرا عذرا على الله
 وهم المراد بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله (سبيصيب الذين كفروا منهم) أي من
 الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره (عذاب اليم) في الدنيا بالقتل وفي
 الآخرة بالنار ولما بين سبحانه وتعالى الوعيد في حق من توهم العذر مع أنه لا عذر له ذكر أصحاب
 الاعتذار الحقيقة وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقطة بقوله تعالى (ليس على
 الضعفاء) كالشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفا فضعيفا (ولا على المرضى) كالزمنى
 والعرج والعمى (ولا على الذين لا يجدون ما يفتقون) في الجهاد (خرج) أي اثم في التخلف عنه
 ففني سبحانه وتعالى عن هذه الاقسام الثلاثة الحرج فيجوز لهم ان يتخلفوا عن الغزو وليس
 في الآية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج لبعين المجاهدين بقدر قدرته
 اما لحفظ متاعهم أو لتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالاعليم كان ذلك
 طاعة مقبولة ثم انه سبحانه وتعالى شرط في جواز هذا التأخر عن الغزو شرطا بقوله (اذ انصحو
 لله ورسوله) في حال قعودهم بالايمان والطاعة في السر والعلانية وان يحذروا عن انقام
 الارجافات وعن اثار الفتن ويسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين الذين سافروا امانا يقوموا
 باصلاح مهمات بيوتهم واما ان يسعوا الى ايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم فان جعله
 هذه الامور جارية مجرى الاعانة على الجهاد وقوله تعالى (ما على المحسنين) في موضع ما عليهم
 ابيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم (من سبيل) أي طريق الى ذمتهم أو لولمهم والمعنى انه سدد
 باحسانه طريق العتاب ومن أعظم الاحسان من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
 مخلاصا من قلبه فان ما عليه من شذيل في نفسه وماله لا باحة الشرع بدليل من فصل اذا عبرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الآتي بالاحسان ورأس أبواب الاحسان
ورئيسها هو قول لاله الا الله محمد رسول الله (والله غفور) أي محاء للذنوب (رحيم) أي
يجمع عباده وفي ذلك إشارة إلى أن الانسان محل التقصير وان اجتهد فلا يسعه الا العقوبه ولما
ذكر الله سبحانه وتعالى الضعفاء والمرضى والفقراء وبين أنه يجوز لهم التخلف عن الجهاد
بشرط ان يكونوا بايعين لله ورسوله وهو كونهم محسنين وأنه ليس لاحد عليهم سبيل ذكر قسم
رابع من المعذرين بقوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك للحملهم) إلى الغزو وهم
البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وخنبر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعليه بن زيد أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا بدرنا
بالخروج أي أسرعنا فاجلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فنزوف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أجلكم عليه فتولوا وهم يكونون ولذلك سموا البكاكين وقيل هم بنو
مقرن من خزينة وكافوا لانه اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه وقيل
نزلت في العرياض بن سارية ويحتمل أنهن نزلت في كل من ذكر وقوله تعالى (قات لأجد
ما أجلكم عليه) حال من الكاف في أتوك باضمار قد وقوله تعالى (تولوا) جواب اذا (وأعينهم
تفيض) أي تسيل (من الدمع) أي دمعها فان ومن البيان كقولك أفديك من رجل وهو أبلغ
من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعاً فاضاً وقوله تعالى (حرنا) منصوب على
العله (أن لا يجذوا) أي لا يجذوا وحمله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حرنا
(ما ينفقون) في الجهاد ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر
ولا عذرله (انما السبيل) أي انما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يسألونك) يا محمد في
التخلف عند الجهاد (وهم أغنياء) أي قادرون على أهبة الخروج معك وقوله تعالى (رضوا
بأن يكونوا مع الخوالم) استئناف كأنه قيل ما بالهم اسأمتوا ذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة
والضعة والانتظام في جملة الخوالم وهم النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم) فلاجل ذلك
الطبع قال الله تعالى (فهم لا يعلمون) أي ما في الجهاد من منافع الدارين أمافي الدنيا فالنور
بالغنية والظفر بالعدو وأمافي الآخرة فالنور بالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (يعتذرون)
أي هؤلاء المنافقون (اليكم) أي في التخلف (اذا رجعتن) من الغزو (اليهم) بالاعذار الباطلة
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له ويحتمل ان يكون له ولله مؤمنين
يروي ان الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من المنافقين كانوا بضعة وثلاثين رجلاً فلما رجع النبي
صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل قال تعالى (قل لهم يا محمد لا تعتذروا) بالاعذار
الباطلة (لن تؤمن لكم) أي لن نصدقكم فيما اعتذرت به وقوله تعالى (قد نبأنا) أي أعلمنا (الله
من أخباركم) أي بعض أحوالكم التي أنتم عليها من الشر والفساد عله لا تنفأ تصديقتهم
لأن الله تعالى اذا أوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام بأحوالهم وما في ضمائرهم
من الشر والفساد لم يسبقهم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أي

أَتُوبُونَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَمْ تَقِيمُونَ عَلَيْهِ (ثُمَّ تَرْدُونَ) أَيْ بِالْبَعْثِ (إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أَيْ اللَّهُ الْمَطْلُوعُ عَلَى مَا فِي ضَمَائِرِكُمْ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ وَاخْتِلَافِ الْوَعْدِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْخُبَائِثِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ (سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ) أَيْ رَجَعْتُمْ
(إِلَيْهِمْ) مِنْ تَبَوُّكِ انْهَارِهِمْ مَعْذُورُونَ فِي التَّخَلُّفِ (لَتَعْرُضُوا عَنْهُمْ) أَيْ لَتَصْغُرُوا عَنْهُمْ فَلَا تَعْتَابُوهُمْ
(فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ) أَيْ فَدَعَوْهُمْ وَمَا اخْتَارُوا وَالْأَنفُسُ مِنْ النِّفَاقِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ تَرْكُ
الْكَلَامِ وَالسَّلَامَ قَالَ مِقَاتِلُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَا تَجَالِسُوا هَهُمْ وَلَا
تَكَلِّمُوهُمْ قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي هُوَ لَا مَطْلَبُ أَعْرَاضُ الصَّفْحِ فَأَعْطَوْا أَعْرَاضَ الْمَقْتِ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى
عَلَّةَ الْأَعْرَاضِ بِقَوْلِهِ (أَنَّهُمْ رَجَسٌ) أَيْ قَدْ رُحِلَتْ بَاطِنُهُمْ فَكَانَ يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْإِنْجَاسِ
الْجَسَمَانِيَّةِ يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْأَرْجَاسِ الرُّوحَانِيَّةِ خَوْفًا مِنْ سِرِّيَّاتِهِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَحَذَرًا مِنْ أَنْ
يُعِيلَ طَبِيعَ الْإِنْسَانِ إِلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ) مِنْ تَمَامِ الْعَلَّةِ (حَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ
كَأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ) مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ فِي الدُّنْيَا وَاخْتَلَفُوا فِي نَزْلِ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ نَزَلَتْ فِي الْجَدْبِ قَيْسٍ وَمُعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ وَأَصْحَابِهِمْ كَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَا تَجَالِسُوا هَهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ وَقَالَ مِقَاتِلُ نَزَلَتْ فِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَلَفٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَتَخَفُ عَنْهُ بَعْدَهَا وَطَلَبَ مِنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَنَزَلَ (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا
عَنْهُمْ) أَيْ يَحْلِفُ لَكُمْ هُوَ لَا الْمُنَافِقُونَ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ بِحَلْفِهِمْ فَتُسْتَعِيدُوا عَلَيْهِمْ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِمْ
(فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ) أَيْ فَإِنْ رَضِيتُمْ عَنْهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَا حَلَفُوا لَكُمْ وَقَبْلَتْ عَنْهُمْ (فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالشُّكِّ فَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ
وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ عَدَمُ الرِّضَا عَنْهُمْ وَالْإِعْتِرَازُ بِعَازِرِهِمْ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْأَعْرَاضِ عَنْهُمْ وَعَدَمُ
الْإِتِّفَاقِ نَحْوَهُمْ * وَنَزَلَ فِي سَكَانِ الْبَادِيَةِ (الْأَعْرَابِ) أَيْ أَهْلُ الْبَدْوِ (أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) أَيْ
مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ لِحَقَائِقِهِمْ وَغُلْظِ طَبَاعِهِمْ وَبَعْدَهُمْ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَوْلُهُ اسْتَمَاعَهُمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ
وَاسْتِبْلَاءَ الْهَوَاءِ الْحَارِّ الْيَابِسِ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ يُوجِبُ مُزِيدَ التَّيِّبَةِ وَالتَّكْبَرِ وَالنُّخُوةَ وَالْفُجْرَ وَالطُّيْشَ
عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ وَاقِعَتْ سِيَاسَةُ سَائِسٍ وَلَا تَأْدِيبُ مُؤَذِّبٍ وَلَا ضَبْطُ ضَابِطٍ فَتَشَوُّوا كَمَا شَاءُوا وَمِنْ كَانَ
كَذَلِكَ خَرَجَ عَلَى أَشَدِّ الْجَهَاتِ نِفَاقًا وَلَوْ قَابَلَتْ الْقَوَاكِمُ الْجَبَلِيَّةُ بِالْقَوَاكِمِ الْبَسْتَانِيَّةِ لَعَرَفَتْ الْفَرْقَ
بَيْنَ أَهْلِ الْحَضَرِ وَأَهْلِ الْبَادِيَةِ قَالَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ يُقَالُ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ إِذَا كَانَ لَهُ نَسَبٌ فِي
الْعَرَبِ وَجَعَهُ الْعَرَبُ كَمَا يُقَالُ مَجُوسِيٌّ وَهَوْدِيٌّ ثُمَّ تَخَذَفَ بِأَنَّ النَّسَبَ فِي الْجَمْعِ يُقَالُ الْمَجُوسُ وَالْيَهُودُ
وَرَجُلٌ عَرَبِيٌّ بِالْأَلْفِ إِذَا كَانَ بَدْوِيًّا يُطْلَبُ مَسَاقِطُ الْغَيْثِ وَالْكَلَالُ وَسِوَاهُ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ وَيَجْمَعُ الْأَعْرَابِيَّ عَلَى الْأَعْرَابِ وَالْأَهَارِيَّ وَالْأَعْرَابِيَّ إِذَا قِيلَ لَهُ يَاعَرَبِي فَرَحٌ وَالْعَرَبِيَّ
إِذَا قِيلَ لَهُ يَاعَرَبِي غَضَبٌ لَهُ فَمِنْ اسْتَوَاطِنِ الْقُرَى الْعَرَبِيَّةِ فَهَمَّ عَرَبٌ وَمِنْ نَزْلِ الْبَادِيَةِ بِهِمْ
أَعْرَابٌ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حُبُّ الْعَرَبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَمَّا
الْأَعْرَابُ فَقَدْ ذَمُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقِيلَ سَمُوا بِالْعَرَبِ لِأَنَّ أَسْنَتَهُمْ مَعْرَبَةٌ عَمَّا

في ضمائرهم ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من القضاة والحزاة لا توجد في سائر
 الاسنة قال الرازي ورأيت في بعض الكتب عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم في أدبهم
 وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في أوامهم وحكمة اليونان في
 أفنديهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في أسنتهم وذلك لخلاوة أسنتهم
 وعذوبة عباراتهم ثم حكّم الله تعالى على الأعراب بحكمهم آخري بقوله تعالى (وأجدر) أي أحق
 وأولى (أن) أي بان (لا يعلموا أحد ودما أنزل الله على رسوله) من الأحكام والشرائع فرائضها
 وسننها (والله عليم) بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الأعراب
 من يتخذ ما ينطق في سبيل الله تعالى (مغرماً) أي غرامة وخسراً وناو الغرامة ما ينطقه الرجل
 وليس يلزمه لأنه لا ينطق إلا بلسان من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وإنما المشوبة عنده وهم
 أسد وخطفان (ويترص) أي ينتظر (بكم الدوائر) أي دوائر الزمان أن ينقلب عليكم فيموت
 النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون قال الله تعالى (عليهم دائرة السوء) دعاء عليهم معترض
 قال التفنيزاني بين كلامين لا في أثناء كلام ولا في آخره دعاء عليهم بنصومادعوا به قال الله تعالى
 وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم أي يدور عليهم البلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله
 عليه وسلم دينه وأصحابه إلا ميسوسهم ويكيدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون
 بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل سوء في نقض قولك رجل صدق (والله سميع)
 لا قوالهم (عليم) بما تخفى ضمائرهم ولما بين سبحانه وتعالى أنه حصل في الأعراب من يتخذ اتفاقه
 في سبيل الله مغرماً بين أن فيهم قوماً مؤمنين صالحين مجاهدين يتخذون اتفاقه في سبيل الله مغرماً
 بقوله تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كـ بعض جهنمة ومن ينة قوم صفيهم
 الله تعالى بوصفين كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر والمقصود التنبيه على أنه لا بد في جميع
 الطاعات من تقديم الإيمان وفي الجهاد أيضاً كذلك والثاني ما ذكره بقوله تعالى (ويضغما ينطق
 قربات) جمع قرية أي يقربه (عند الله) الذي لا أشرف من القرب عنده (و) وسيلة إلى (صلوات)
 أي دعوات (الرسول) صلى الله عليه وسلم لأنه كان يدعو لامة صدقين عنده بالخير والبركة
 ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى قال تعالى وصل عليهم أي ادع
 لهم ولما كان ما ينطق سبباً لذلك قيل يتخذ ما ينطق قربات وصلوات الرسول (الأنها) أي نفقاتهم
 (قرية لهم) عند الله وهذا شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كونه
 نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول وقد اكدت على هذه الشهادة بحرف التنبيه وهو قوله
 تعالى (أو يحرف التحقيق وهو قوله تعالى أنها ثم زاد في التأكيده فقال تعالى (سيدخلهم الله
 في رحمته) فإن دخول السبب توجب مزيداً التأكيده وهذه النعمة هي أقصى مرادهم وقرأ ورش
 قرية برفع الراء والباقون بالسكون والأصل هو الضم والاسكان تخفيف (إن الله غفور) أي
 بليغ السر لقباً مع من تاب (رحيم) بهم * ولما ذكر تعالى فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينطقون
 قربات عند الله وما اعتداهم من الثواب بين تعالى أن فوق منزلاتهم منازل أعلى وأعظم منها

بقوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) أما من المهاجرين فقال سعيد
ابن المسيب هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل
بيعة الرضوان وقال محمد بن كعب هم جاهل الأعصاب وقيل هم الذين أسأروا قبل الهجرة
واختلف في أول الناس اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض
العلماء أول من أسلم بعد خديجة على بن أبي طالب وهذا قول جابر واختلفوا في سنة وقت
اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغاً والاكثر
على أنه لم يكن بالغاً وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قول عروة بن الزبير وكان اصحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي وحن الموالى زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء أربعة سباق الخلق الى الاسلام وأما من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة
نفر ثم العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلاً فهؤلاء سباق الانصار وقيل المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
وبدل على هذا أنه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لهم أنهم سابقون فيما ذقبي اللفظ مجعلاً
فوجب صرف ذلك اللفظ الى ما قد صاروا به مهاجرين وانصاراً وهو الهجرة والنصرة فوجب
أن يكون المراد منه السابقين الاولين في الهجرة والنصرة ازالة اللامحالة عن اللفظ وأيضاً فان
الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أعدائه وآووه وآسوه وآووا أصحابه وآسوه هم فلذلك اثني الله تعالى عليهم وعددهم
(والذين اتبعوهم) أي الفريقين الى يوم القيامة (باحسان) أي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء
من طريقهم وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار ويترجمون عليهم ويدعون لهم
ويذكرون محاسنهم وقيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين ومن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل
أحد ذهابا يبلغ مئداً حدهم ولا نصيفه والمذربع الضاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحداً
عمل مماً قد رغب عليه من أعمال البر والاتفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر الصغير من عمل
الأصحاب وانفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا الجهد في وقت الحاجة وعن عمران بن حصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري
أذكر بعد قرنين أم ثلاثاً والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضاً واختلفوا في مدته من
الزمان من عشرين سنة الى عشرين سنة وقيل من مائة الى مائة وهذا هو المشهور وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة ثم جمعهم الله تعالى في الثواب فقال (رضي الله عنهم) فالسابقون مرتفع
بالابتداء وخبره رضي الله عنهم أي بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما أقاض عليهم

من نعمه الجدة في الدنيا والآخرة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) أي هي كثيرة المياه
فكل موضع أردته ينبع منه ماء يجري منه نهر وقرآن كثير زيادة من تحتها ويجزئ الماء بعد الحاء
والباقون بغير من وقع التاء ثم نفي سبحانه الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) وأكدم المراد من
الخلود بقوله تعالى (أبداً) ثم استأنف مدح هذا الذي أعد لهم بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر
العالى الرتبة (الفوز العظيم) ولما شرح تعالى أحوال منافق المدينة ثم ذكر بعده أحوال
منافق الاعراب ثم بين أن في الاعراب من هو مؤمن صالح مخلص ثم بين أن رؤساء المؤمنين من هم
وهم السابقون والمهاجرون والانصار ذكر أن جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق بقوله
تعالى (ومن حولكم) أي أهل بلادكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأنجب وعفار كانوا نازلين حولها وقوله تعالى (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ
الذى هو من حولكم ويجوز أن يكون جملة معدوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل
المدينة قوم (مردوا على النفاق) على أن هو دواصفة موصوف محذوف كقول الشاعر
* أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه
وقال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة
منافقون مردوا على النفاق أي ثبتوا واستمروا فيه ولم يتوبوا عنه وأصل المرد المالة ومنه
صرح حمزة وعلام أمر (لا تعلمهم) بأعيانهم أي يحفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق
فراستك لفرط توقيهم ما يشك في أمرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله تعالى (نحن نعلمهم) أي
لا يعلمهم إلا الله تعالى ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يظنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطناً
ويبرزون لك ظاهراً كظواهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على
النفاق وضروا به فلم يه في اليد الطولى واختلقوا في تفسير قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) فقال
الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال أخرج يا فلان فانك منافق
أخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد جماعة من المنافقين وفجهم فهداهم العذاب
الأول والثاني عذاب القبر (فان قيل) كيف هذا مع قوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم (أجيب)
بأنه تعالى أعلمهم بعد ذلك وقال مجاهد الأول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقال ابن زيد
الأول المصائب في الأولاد والثاني عذاب الآخرة وقال ابن عباس الأول إقامة الحدود عليهم
والثاني عذاب القبر وقيل عذبوا بالجوع مرتين وقيل الأول صرب الملائكة وجوههم
وأدبارهم عند قبض أرواحهم والثاني عذاب القبر وقيل الأول إحراق مسجدهم مسجد
الضرار والثاني إحراقهم بنار جهنم كما قال تعالى (ثم يردون) أي في الآخرة (إلى عذاب عظيم)
هو النار وقوله تعالى (وآخرون) أي وقوم آخرون مبتدأ وقوله تعالى (اعترفوا بذنوبهم) لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة نعمة والخبر (خطوا وأعمالاً) أي وهو وجهادهم
قبل ذلك أو اعترفوا بذنوبهم أو غير ذلك (وآخراً) أي وهو تخلفهم (عسى الله أن يتوب عليهم
إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه نزل في طائفة من المتخلفين عن غزوة

نبوك واختلف في عددهم فعن ابن عباس انهم كانوا ثلاثة عشر وروى عنه انهم كانوا خمسة وقال
 سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقيل كانوا ثلاثة تدموا الما بلغهم ما نزل بالمخلفين وتابوا وقالوا ان يكون
 في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد والاذواء فلما رجع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى
 فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقها ويعذرنا فربطوا أنفسهم
 في سوارى المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد على عادته في رجوعه من
 سفره فصلى ركعتين فقرأهم فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم وترضى
 عنهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عني وتحلفوا عن الغزو مع المسلمين
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وأطلقهم وعذرهم فلما
 أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسبيهم أخذها فتصدق بها عنا وطهرنا
 واستغفر لنا فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئا فأرسل الله تعالى
 (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من الذنوب وأحب المال المؤدى الى مثله وتجري لهم مجرى
 الكفارة هذا قول الحسن كان يقول ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي
 كفارة الذنب الذي صدر ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلث أموالهم وتصدق بها وابتقى
 لهم الثلثين ولم يأخذ الجميع لأن الله تعالى قال خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالصَّدَقَةُ الْوَاجِبَةُ لَا يُؤْخَذُ
 فِيهَا ثُلُثُ الْمَالِ (وتركهم بها) أي وتبني بها حسناتهم وترفعهم الى منازل الخاصة (وصل عليهم)
 أي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم والسنة أن يدعو أخذ الصدقة لصاحب الصدقة اذا
 أخذها وعن الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول أحب أن يقول الولى عند أخذ الصدقة
 اجره الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما أبقيت (ان صلاتك سكن لهم) أي
 تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحا قوية مشرقة
 صافية باهرة فاذا دعا صلى الله عليه وسلم لهم وذكركم بالخير فاضت آثار من قوة روحه الروحانية
 على أرواحهم فأشرفت بهذا السبب أرواحهم وصفت أسرارهم وأتت لواء من الظلمة الى النور
 ومن الجسمانية الى الروحانية فحصل لهم بذلك غاية العلمانية وقرأ أحفص وحجرة والكسائي
 صلاتك بغير واو وبعد الالام ونصب التاء على التوحيد والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع
 لتعدد المدعو لهم وقيل ان هذه الآية كلام مبتدأ والمقصود منها الإيجاب أخذ الزكوات من
 الأغنياء وعليه أكثر الفقهاء داسستدلو بهذه الآية في إيجاب الزكاة وقالوا في الزكاة انها
 طهرة (والله سمع) لا قوا لهم واعتراهم ودعائهم لهم (عالم) بندا متهم ونياتهم والمأخى سبحانه
 عن القوم الذين تقدم ذكرهم انهم تابوا عن ذنوبهم وانهم تصدقوا وهالك لم يذكر الا قوله عسى
 الله أن يتوب عليهم وما كان ذلك حريصا في قبول التوبة ذكر بعد ذلك انه يقبل التوبة وانه
 سبحانه يأخذ الصدقات ترغيبا لمن لم ينب في التوبة وترغيبا لكل العصاة في الطاعة بقوله تعالى
 (ألم يعلموا ان الله عو يتقبل التوبة عن عباده ويأخذ) أي يقبل (الصدقات) والضعير الملمتوب

عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم وأما الغيرهم والمراد به
التخصيص عليها والآية وإن وردت بصيغة الاستفهام إلا أن المراد به التقرير في النفس ومن
عادة العرب في أفهام الخطاب وإزالة الشك عنه أن يقولوا أما علمت أن من علمك يجب عليك
خدمته أما علمت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول
توبتهم وصدقاتهم ترغيباً في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال
الذين لم يتوبوا من المخلفين هؤلاء كانوا معتاباً لا مسمي لا يكلمون ولا يجالسون فإلهام اليوم فأنزل
الله تعالى هذه الآية ترغيباً في التوبة ثم زاد تأكيداً بقوله تعالى (وأن الله هو التواب الرحيم)
أي وإن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها
وأن الله يقبلها من عبده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا ولا يصعد الى
السماء الا الطيب الا يصفها في يد الرحمن عز وجل فيريها له كما يري أحدكم فلهو حتى ان الأقامة
اتم في يوم القيامة وانها كمثل الجبل العظيم ثم قرأ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات (وقل أعملوا) أي وقل لهم أول الناس يا محمد أعملوا ما شئتم (فسيرى الله عملكم) فانه
لا يخفى عليه شيء خيراً كان أو شراً فبه ترغيب عظيم للمطيعين ووعد عظيم للمذنبين فكانت له قال
اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يري أعمالكم ويجازيكم عليها (و) يرى أيضاً (رسوله
والمؤمنون) أعمالكم أمارؤية النبي صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله ايامه على أعمالكم وأمارؤية
المؤمنين فبقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين (وستردون الى عالم
الغيب والشهادة) أي وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شيء
من أعمال بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) من خير وشئ
فيجازيكم على أعمالكم واعلم أن الله تعالى قسم المخلفين عن الجهاد ثلاثة أقسام أولهم
المنافقون الذين مردوا على النفاق والذاني التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث الذين بقوا موقوفين وهم
المدكورون في قوله تعالى (وآخرون) أي من المخلفين (مرجون) أي مؤخرون عن التوبة
وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بغير همز بين الجيم والواو والباقيون بهمزة مضمومة بين
الجيم والواو (لامر الله) أي لحكم الله تعالى فيهم والفرق بين القسم الثاني وبين هذا ان أولئك
سارعوا الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قال ابن عباس نزلت هذه الآية في كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا
تخلفوا كسلا وميلاً الى الراحة لا اتفاقاً ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف
أمرهم خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم بعد (أما بعد) بأن عيبتهم من غير توبة (وأما توب
عليهم) ان تابوا (فان قبل) كلمة أما وأما لا شك والله تعالى منزعه عن ذلك (أجيب) بأن التردد
بالنسبة للعباد أي ليكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء فان الله تعالى لا يخفى عليه

خافية وفي هذا دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوال عبادہ (حكيم)
 فيما يفعل بهم * ولما ذكر تعالى اصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال تعالى (والذين اتخذوا
 مسجدا) قال ابن عباس رضى الله عنه وهم ثنائع من رجلا من المنافقين بنوا مسجدا (ضرازا)
 أى مضارة لخواصهم أصحاب مسجد كعباء (وكفرا) أى وتقوية للنفاق وقال ابن عباس يريدون به
 ضرارا للمؤمنين وكفرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن
 على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام (وتفرقوا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون بمسجد
 كعباء فبنوا مسجدا للضرار ليصل فيه بعضهم فيؤذى ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة
 (وارصادا) أى ترقبا (لن حارب الله ورسوله) وهو أبو عامر والد أبي حنظلة الذي غسلته الملائكة
 وكان قد تهرب في الجاهلية وتنصر وليس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاده
 لانه زالت رياسته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين
 ابراهيم عليه السلام فقال له أبو عامر اناعلمنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليهم ا فقال
 أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلك معهم ولم يزل يقاتله
 الى يوم حنين فلما انهزم تهاوى من خارج الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما
 استطعتم من القوة والسلاح وابنوا الى مسجد الضرار الى جنب مسجد كعباء وانتظروا محيى ابى عامر
 الروم فأتوا بجمعهم وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد كعباء وانتظروا محيى ابى عامر
 ليصلي بهم في ذلك المسجد وقوله تعالى (من قبل) متعلق بجارب أى حارب من قبل أن يبنى مسجد
 الضرار أو يتخذوا أى اتخذوا من قبل أن ينافق هؤلاء بالخلف * ولما وصف تعالى هذا المسجد
 بهذه الصفات الاربعة قال تعالى (وليجلفن ان أردنا الا الحسنى) أى وليجلفن ما أردنا ببياننا
 الا القلة الحسنى وهى الفرق بالمسلمين في التوسعة على أهل الضعف والعلل والعجز عن المصير
 الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقدمنا
 مسجد الذي العلة والحاجة والليله المظلمة والليله الشاتية (والله يشهد انهم لكاذبون) في
 قولهم * (تنبيه) * قوله تعالى والذي اتخذوا محله نصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيم
 الصلاة أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وعن ذكرنا الذين * وما بنى المنافقون ذلك
 المسجد للاغراض الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك وقالوا
 يا رسول الله بنينا مسجد الذي العلة والليله المظلمة والليله الشاتية ونحن نحب أن نصلي
 لنا فيه وتدعو لنا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر فى حال شغل
 واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل أى رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
 سألوهم ايمان المسجد نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس رضى الله عنهم انه لما نزل
 فيه أبدا وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب الى ذلك المسجد فنادى جبريل
 لا تقم فيه أبدا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن

السكن ووحشاً فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاحدموه وأحرقوه فخرجوا
 جهماسر يهاشقي أنوا بنى سالم بن عوف وهم رطط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى
 أخرجكم من نار من أعلى فدخل الى أهله وأخذ سيفاً من النخل فاشعل فيه ناراً ثم خرجوا
 يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فهدموه وأحرقوه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر الراهب
 بالشام وحيداً فريداً غريباً وقيل كل مسجد بنى مباهاة ورياء وسعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه
 الله تعالى أو عمل غير طيب فهو ملحق بمسجد الضرار وعن عطاء لما فتح الله تعالى الامصار على عمرو
 رضی الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار
 أحدهما صاحبه وقوله تعالى (المسجد) اللام فيه للإبتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد
 (أسس) أى رضع أساسه وقواعده (على التقوى) أى تقوى الله تعالى (من أول يوم) أى من أول
 أيام وجوده لان من تم الزمان والمكان أى فأحاطت به التقوى لانها اذا أحاطت باقوله أحاطت
 بآخره (أحق) أى أولى (أن) أى بأن (تقوم) أى تصلى (فيه) واختاف في هذا المسجد الذى
 أسس على التقوى فقيل هو مسجد المدينة قاله زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى قال أبو سعيد
 رضى الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله
 أى المسجد الذى أسس على التقوى قال فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو
 مسجدكم هذا مسجد المدينة وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن أم سلمة قالت قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان قوائم منبري هذا رأت في الجنة أى ثوابت وقيل هو مسجد قباء
 قاله سعيد بن جبيرة وقناة أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهو يوم
 الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة ويدل على هذا قوله تعالى (فيه رجال
 يحبون أن يتظاهروا) أى من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لمرضاة الله تعالى عليهم (والله
 يحب المظهرين) أى يشبههم ويرضى عنهم ويدينهم من جنابه اذناء المحب حبيبه وروى انها
 لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا
 الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فمكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
 لمؤمنون وأنامهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء فقالوا نعم قال أتصبرون على
 البلاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب السكبة فقام ثم قال يا معشر الانصار
 ان الله عز وجل قد أتى عليكم فاذا الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
 الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال
 يحبون أن يتظاهروا وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن ساعدة انه صلى الله عليه وسلم أتاهم
 في مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن اليكم الشاة في الطهر وفي قصة مسجدكم فما
 الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا

يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البراءة قالوا تتبع الحجارة بالماء
فقال هو ذلك فعليكموه وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنبات ويتبعون الماء أثر البول وعن
الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحنى المكفرة لذنوبهم فحموا
عن آخرهم (أفمن أسس بنيانه) أي بنيان دينه (على تقوى بن الله ورضوان) أي على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) أي طرف
(بحرف) أي جانب (هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق
الذي مثله مثل شفا جرف هار أي مشرف على السقوط (فانهار به) أي سقط مع بنيانه (في نار جهنم)
خير وهذا تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يقول اليه والاستفهام للتقرير أي الأول خير وهو
مثال مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار قال الرازي ولا نرى في العالم مثالا أحسن
مطابقة لأمر المناققين من هذا المثال وحاصل الكلام أن أحد البناءين قصد بنيانه تقوى
الله تعالى ورضوانه والبناء الثاني قصد بنيانه المعصية والكفر فكان البناء الأول شريفا
واجب الإبقاء وكان الثاني خسيسا واجب الهدم * قيل حفرت بقعة في مسجد الضرار
فرؤى الدخان يخرج منها وقرأ نافع وابن عامر أفمن أسس بضم الهمزة وكسر السين الأولى
مع التشديد وضم النون قبل الهاء والباقون بفتح الهمزة والسين مع التشديد أيضا ونصب
النون قبل الهاء وقرأ شعبة رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وروى سمعته أم هانم مقطوعة
من من والكلام على أسس بنيانه كالكلام على التي قبلها وقرأ ابن عامر وشعبة وخزعة جرف
بسكون الراء والباقون بالرفع وأما شفا فلا تمال بخلاف هار فان أبا عمرو وشعبة والـ ~~كافي~~
يقرونه بالأماله المحضة وابن ذكوان بالفتح والأماله وورش بالأماله بين بين والباقون بالفتح (والله
لا يهدي القوم الظالمين) أي إلى ما فيه صلاح ونجاة (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) أي بناؤهم الذي
بنوه وهو مصدركم كإفقران والمراد هنا المبني واطلاق لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور
يقال ضرب الأمير ونسج زيد والمراد مضروبه ومنسوجه وليس يجمع خلافا للواحدى
في تجويزه أن يكون جمع بنيانه لأنه وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ريبة) أي شك (في قلوبهم)
والمعنى أن بناء ذلك البنيان صار مباحصول الريبة في قلوبهم فجعل نفس ذلك البنيان ريبة
وانما جعل سببا للريبة لأن المناققين فرحوا ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتجريبه عظم خوفهم في كل الأوقات وصاروا مرتابين في أنهم هل يتركهم على ما هم
فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال السكبي صار حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنيانه وقال
السدسي لا يزال هدم بنائهم ريبة أي حارة وغيطا في قلوبهم (الآن تقطع قلوبهم) قطعاً مائلاً
بالسيف وأما بالموت بحيث لا يبقى لهم قابلية الادراك وقيل التقطع بالتوبة ندماً وأسفا (والله أعلم)
بأحوالهم وأحوال عبادته (حكيم) في الأحوال التي يحكم بها عليهم وعلى غيرهم * ولما تقدم
الانكار على المشاقلين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل
الله الآية ثم الحزم بالجهاد بالنفس والمال في قوله تعالى أنفروا خفافاً وثقالاً الآية ذكر فضيلة
الجهاد وحقيقته بقوله تعالى (إن الله اشترى) أي بعهداً ومواثيق غليظة شديدة (من)

المؤمنين بالله ورسوله وبما جاءه من عنده (أنفسهم) التي تفرد بخلقها (وأموالهم) التي
 تفرد برزقها وهو يملكها دونهم وقد قدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال
 ولما ذكر البيع تبعه الثمن بقوله تعالى (بأن لهم الجنة) مثل الله تعالى إثابهم على بذلهم
 أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجهم الله تعالى فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي
 الله عنه فجعل لهم الجنة فحينئذ جيعا وعن الحسن أنفسهم ما هو خلقها وأموالها هو رزقها وروى
 أن الأنصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله العقبه بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد
 الله بن رواحة اشترط الربك ولنفسك ماشئت فقال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تنشروا كوا به شيئا
 ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون به أنفسكم وأموالكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا
 ربح البيع لا تغفل ولا تستعجل فزلت ومزاعراي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرفها
 فقال الاعرابي كلام من قال عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الاعرابي والله يسع
 مريح لا تغفله ولا تستعجله فخرج إلى الغزو فاستشهد وقال الحسن اسمعوا والله يبعه رابحة وكفة
 رابحة يابح الله تعالى بهم أكل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة والمراد
 بالاموال انفاقها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهلهم وعيالهم وفي جميع وجوه البر والطاعات
 وقوله تعالى (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف بيان بالأجله الشراء وقبل
 يقاتلون في معنى الامر وقرأه جزء والكسائي بتقديم المقتولين على القاتلين لأن الواو لا تقتضي
 الترتيب ولأن فعل البعض قد يستند إلى الكل أى فيقتل بعضهم ويقاثل الباقي والباقون بتقديم
 القاتلين وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدرا من مصوبان بفعلهم ما المحدثين ثم أخبر الله
 تعالى بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعده ثابت (في التوراة) كتاب موسى
 عليه السلام (والانجيل) كتاب عيسى عليه السلام (والقرآن) أى قد أثبتته فيهما كما أثبتته
 في القرآن أى الكتاب الجامع لكل ما قبله (ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى منه سبحانه
 لأن الاخلاف لا تقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالفهم الذي له الغنى المطلق وقوله تعالى
 (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة أى فافرحوا غاية الفرح (ببيعكم الذي بايعتم به) فإنه
 أوجب لكم عظام المطالب كما قال تعالى (وذلك هو الفوز العظيم) * (تنبيه) * هذه الآية
 مشتملة على أنواع من التأكيد أولها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بكون
 المشتري هو الله تعالى المقدس عن الكذب والخيانة وذلك من أدل الدلائل على تأكيد هذا
 العهد ثانياً انه تعالى عبر عن ايماله هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق مؤكدا ثالثها
 قوله تعالى وعدا ووعدا الله تعالى حق رابعها قوله تعالى عليه وكلمة على للوجوب خامسها قوله
 تعالى حقا وهو لتأكيد التحقيق سادسها قوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن وذلك يجري
 مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة سابعها قوله تعالى
 ومن أوفى بعهده من الله وهو غاية في التأكيد ثامنها قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
 وأيضاً هو مبالغه في التأكيد تاسعها قوله تعالى وذلك هو الفوز وعاشرها قوله تعالى العظيم فثبت

اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيذ والتقرير والتحقيق * ولماذا كرتعالى
 في هذه الآية انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بين أن أولئك المؤمنين هم الموصوفون
 بهذه الصفات التسعة الآية أولها قوله تعالى (التائبون) وهو مرفوع على المدح أى هم
 التائبون يعنى المذكّورين في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين وقال الزنجاج لا يبعد
 أن يكون قوله التائبون مبتدأ وخبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا
 اقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أى التائبون عن الكفر وعلى الحقيقة هم
 الجامعون لهذه الخصال والتائبون صبغة عموم محلاة بالالف واللام فتناول التوبة من كل
 معصية والتوبة انما تحصل عند أربعة أمور أولها احترام القلب عند صدور المعصية ثانيها
 الندم على ما مضى ثالثها العزم على الترتلى المستقبل رابعها أن يكون الحامل له على هذه الامور
 الثلاثة طاب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منه رافع مذقة الناس وتحصيل
 مدحهم أو لغرض من الاغراض الدنيوية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم الى أهلها ان كانت
 الصفة الثانية قوله تعالى (العايدون) أى الذين أخلصوا العبادة لله وقال الحسن هم الذين
 عبدوا الله في السراء والضراء وقال قتادة قوم أخذوا من ابدانهم في ايلهم ونهارهم الضقة
 الثالثة قوله تعالى (الحامدون) وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودنياً
 ويجهلون اظهار ذلك عادة لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أول
 من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء الصفة الرابعة قوله
 تعالى (السانحون) واختلف في المراد منهم فقال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون
 قال ابن عباس رضى الله عنهم كل ما ذكر في القرآن من السباحة وهو الصوم وقال صلى الله عليه
 وسلم سباح أمتى الصوم وعن الحسن أن هذا صوم القرض وقيل هم الذين يديعون الصيام
 قال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسبح في الارض متعبداً لارادته كان ممسكاً عن
 الاكل والصائم ممسكاً عن الاكل فلهذه المشابهة يسمى الصائم سائحاً وقال عطاء السائحون
 الغزاة في سبيل الله تعالى وروى عن عثمان بن مظعون انه قال يا رسول الله ائذن لنا في السباحة
 فقال ان سباحة أمتى الجهاد في سبيل الله وقال عطاء السائحون هم طلاب العلم والسباحة أمر
 عظيم في تكميل النفس لانه يلقى أفاضل مختلفين فيستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة وقد
 يلقى الاكابر من الناس فيستحقرون نفسه في مقابلتهم وقد يصل الى المدارس الكثيرة فينتفع
 بها وقد يشاهد اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من
 الاحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته وبالجملة فالسباحة لها أثر قوي في الدين الصفة الخامسة
 والسادسة قوله تعالى (الراكون الساجدون) أى المصلون وانما عبر عن الصلاة بالركوع
 والسجود لان بهما يتميز المصلى عن غيره بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره
 ولان القيام أول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غاية انخفض الركوع
 والسجود بالذكرا لانهم على غاية التواضع والعبودية تنبيه على أن المقصود من الصلاة

نهاية الخسوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة قوله تعالى (الأمرون بالمعروف والناهون
 عن المنكر) أي الأمرون بالإيمان والطاعة والناهون عن الشرك والمعصية ودخول
 الواو في والناهون عن المنكر للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصاله واحدة فكانت له قال
 الجامعون بين الوصفين ولأن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
 وقوله تعالى في صفة الجنة وفتح أبوابها إذا نأى عن التعداد قد تم بالسابع من حيث إن السبعة
 هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر مغطوف عليه ولذلك تسمى والواو الثمانية وقيل
 الموصوفون بهذه الصفات هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعلى هذا يكون قوله
 تعالى التائبون إلى قوله الساجدون مبتدأ خبره هم الأمرون بالمعروف والناهون عن
 المنكر الصفة التاسعة قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أي لأحكامه بالعمل بها والمقصود
 أن تكاليف الله تعالى كثيرة وهي محصورة في نوعين أحدهما ما يتعلق بالعبادات والثاني
 ما يتعلق بالمعاملات (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر تلك الصفات الثمانية على
 التفصيل ثم ذكر عقوباتها ثم أقسام التكاليف على سبيل الاجمال في هذه الصفة التاسعة (أجيب)
 بأن التوبة والعبادة والاشتغال بتحميد الله والسياسة والركون والسجود والأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر أمور لا ينفك المكلف عنها في أغلب أوقاته فلهذا ذكرها الله
 تعالى على سبيل التفصيل وأما البقية فقد ينقل المكلف عنها في أكثر أوقاته مثل أحكام البيع
 والشراء وأحكام الجنائيات ودخل في هذه الصفة التاسعة رعاية أحوال القلوب بل البحث
 عنها والمبالغة في الكشف عن حقائقها أولى لأن أعمال الجوارح انما تراد لأجل تفصيل
 أعمال القلوب ثم ذكر سبحانه وتعالى عقب هذه الصفات التسعة قوله تعالى (وبشر المؤمنين)
 تنبيها على أن البشارة في قوله تعالى فاستبشروا لم تقاوال المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات
 التسعة وحذف تعالى المبتدئة للتعظيم فكانت له قيل وبشرهم بما يجمل عن احاطة الافهام وتعريف

الكلام * واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
 للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فقال سعيد بن المسيب عن أبيه أنه نزل في شأن أبي طالب
 وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه منه أبي طالب لما حضرته الوفاة فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عتد الله فقال أبو جهل
 وعبد الله بن أمية أترغب عن مله عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
 عليه الى تلك المقاتلة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على مله عبد المطلب وأبي أن يقول لا اله
 الا الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنزل ذلك وعن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه قل لا اله الا الله أشهدك به يوم
 القيامة قال لو لأن يعزني قريش يقولون انما حمله على ذلك الخزع لا قررت به ساعتك فانزل
 الله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية وقال بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى
 قبر أمه آمنة فوقفت عليه حتى جئت الشمس رجاء أن يؤذن له يستغفر لها فنزل ما كان للنبي

الآية وقال أبو هريرة رآه النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه آمنة بكي وأبكي من حوله وقال
 استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته أن أزورها فأذن لي فزوروا القبور فإنهم يذكرون
 الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفروا لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبيه وهما
 مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو
 مشرك فقد كرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فتركت هذه الآية لا وروى الطبراني بسنده عن
 قتادة قال ذكرنا أن رجلا قالوا يا نبي الله إن من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم
 ويملك العاني أفلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم والله لا أستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم
 لأبيه فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي
 قربى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي بأن ما نوا على الكفر قال البيضاوي وفيه
 دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار
 إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة
 وعدها إياه) أي وعدها إبراهيم أباه بقوله لا تستغفرن لك أي لا طلبت مغفرة لك بالتوفيق للإيمان
 فإنه يجب أي يقطع ويعمو ما قبله وقرأ هشام إبراهيم بالالف بعد الهاء في الموضعين والباقرن
 بالماء فيهما (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر وأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن
 (تبرأ منه) أي قطع استغفاره (إن إبراهيم لأواه) أي كثير التضرع والدعاء (حليم) أي صبور
 على الأذى والجله لبيان ما حمله على الاستغفار لأبيه مع صعوبة خلق أبيه عليه (وما كان الله ليعضل
 قوما) أي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لأجل ارتكابهم المنهي عنه (بعد أذهابهم)
 للإسلام (حتى تبين لهم) بياناً شافياً للداء العمى (ما يتقون) أي ما يجب اتقاؤه للنهي أمّا قبل
 العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم
 وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وقيل أنه
 في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر وغير ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير
 مكلف (إن الله بكل شيء عليم) أي بالغ العلم فهو بين لكم ما تأتقون وما تذررون عما يتوقف
 عليه الهدى وما تركه تعالى فإما ينزركم رجاء لكم لا يضل ربي ولا ينسى (إن الله له ملك السموات
 والأرض) فلا يخفى عليه شيء فهو خير بكل ما يثقكم أو يضركم (يحيى ويميت) أي يحيى من
 شاء على الإيمان ويميته عليه ويحيى من شاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لأحد عليه
 في حكمه وعبيده (ومالكم) أي الناس (من دون الله) أي غيره (من ولي) يحفظكم منه
 (ولا نصير) يمنع عنكم ضرره (لقد تاب الله) أي أدام توبته (على النبي والمهاجرين والأنصار)
 واقترح الله تعالى الكلام بذكر توبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان سبب توبتهم فذكره معهم
 كقوله تعالى فإن الله خمسته وللرسول ونحوه وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد
 الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار لقوله تعالى وتوبوا

الى الله جميعا اذ ما من أحد الا وله مقام ينقذ دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة
 واطهارا لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عبادهم * (فائدة) * اتفق القراء على ادغام
 دال قد في التاء (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في وقت العسرة لم يرد ساعة بعينها وكانت
 غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة السدة فكانت عليهم
 عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعقبونه
 يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس والشعير المتغير
 وكان النفر يخرجون مامعهم الا القرات البسيطة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ القرة
 فلا كلها حتى يجرد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيصمها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي
 على آخرهم ولا يبقى من القرة الا النواة فوضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم وبقينهم
 رضى الله عنهم وأرضاهم أجعين ورضى عناهم أمين وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قبط شديد فزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى
 ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه ويجعل ما بقي على كبده
 وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع فقال أبو بكر
 يا رسول الله ان الله تعالى قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى قال أئخب ذلك قال نعم فرفع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجع حتى أظلت السماء ثم سكبت فلا تاما معنا ثم ذهبنا
 ننظر فلم نجد هاجا وزت العسكر (من بعد ما كاد تزيغ) أي قرب أن تميل (قلوب فريق منهم) أي هم
 بعضهم عند تلك العسرة العظيمة أن يفارقوا النبي صلى الله عليه وسلم لكنه صبر واحتسب
 ولم يرد الميل عن الدين فلذلك قال الله تعالى (ثم تاب عليهم) لما صبروا وابتغوا وندموا على ذلك الامر
 العسير (فان قيل) قد ذكر الله تعالى التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التكرار (أجيب) بأن الله
 تعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطميذا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه
 بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما شأنهم وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفاه عنهم وقرأ
 حفص وحزرة بن يغالباء على التذكير لان تأنيث القلوب غير حقيقي والباقون بالتاء على التأنيث
 وأدغم أبو عمرو والدال من كاد في التاء بخلاف عنه (انه بهم - هم رؤوف رحيم) هاتان صفتان لله
 تعالى ومعناها متقاربان فالرأفة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي
 في اصال المنفعة وقيل احدهما للرحمة السابقة والاخرى للمنة تقبله وقوله تعالى (وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا) أي عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع
 معطوف على الآية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
 في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهذه الثلاثة
 كلهم من الانصار وهم المذكورون في قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله روى عن ابن
 شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بني
 حنيفة قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشروا بخير يوم تمزعليكم منه
 ولدنك أمتك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق
 على الثائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبه * ولما
 حكم الله بقبول توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل ماضى وهو التخلّف عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاز بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى بترك
 معاصيه (وكونوا مع الصادقين) أى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم
 أجمعين فى الغزوات ولانكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين فى البيوت وقيل كونوا مع
 الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وقيل مع بمعنى من
 أى وكونوا من الصادقين * (تبيينه) * فى الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ويدل
 عليه أيضاً أشياء منها ما روى عن ابن مسعود أنه قال عليكم بالصدق فإنه يقرب الى البر والبر
 يقرب الى الجنة وإن العبد ليصدق فيكتب عند الله تعالى صدقاً وإياكم والكذب فإن الكذب
 يقرب الى الفجور والفجور يقرب الى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً
 ألا ترى أنه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت ومنها ما روى أن رجلاً جاء الى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال انى رجل أريد أن أؤمن بك ألا أنى أحب الخير والزنا والسرقه والكذب والناس
 يقولون انك تحترم هذه الأشياء ولا طاقة لى على تركها فان قنعت منى بترك واحدة منها فعات
 فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه
 وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسأنى نبي صلى الله عليه وسلم وكذبت فقد نقضت
 العهد وان صدقت أقام على الحد فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطى فتركه وكذا
 فى السرقه فعاد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب
 انسدت أبواب المعاصى على وفات الكل ومنها ما قيل فى قوله تعالى حكاية عن ابليس فبعزتك
 لاغوينهم أجمعين الاعداء لك منهم الخفاصين لان ابليس انما ذكر هذا الاستثناء أنه لو لم يذكره لصار
 كاذباً فى ادعاء اغواء الكل فكأنه استكشف عن الكذب فذكر هذا الاستثناء وإذا كان الكذب
 شيئاً يستكشف منه ابليس لعنه الله فالمسلم أولى أن يستكشف منه ومنها قول ابن مسعود
 الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم أخاه ثم لا ينجز له أقرؤا ان شئتم وكونوا
 مع الصادقين (ما كان) أى مباح وما ينبغى بوجهه من الوجوه (لاهل المدينة) أى دار الهجرة
 ومعدن النصرة (ومن حواه) أى فى جميع نواحي المدينة الشريفة (من الاعراب) أى
 سكان البوادي وهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وقيل عام فى كل الاعراب لان اللفظ
 عام وجهله على العموم أولى وقوله تعالى (أن يتخلفوا عن رسول الله) أى عن حكمه وقوله تعالى
 (ولا يرفعوا بأنفسهم عن نفسه) أى بأن يصونوها بما رضى لنفسه عليه الصلاة والسلام من
 الشدا ئذيجوز فيه النصب والجزم على أن لانهية روى عن أبي خزيمة أنه بلغ بسببانه واستوى
 ونضح وله امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت له الرطب والماء البارد فقال

ظل تظليل ورطب بافع أي ناضج وما بارد وامرأة حسنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الضحك والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومزكاريه فقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب أي يدفعه وهو عبارة عن
 السرعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباحيثة فكان هو فخرج به رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واستغفر له (ذلك) أي النبي عن التخلف (بأنهم) أي بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) أي
 عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا محنة) أي جماعة (في سبيل الله) أي في طريق دينه
 (ولا يظنون) أي يدوسون وقوله تعالى (موطأ) مصدر رأى وطأ أو مكان وطء (يعبظ) أي يغضب
 (الكفار) أي وطؤهم له بأرجلهم ودوابهم (ولا ينالون من عدوئنا) أي قتلا أو أسرا أو غنمة
 أو هزيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الا) كتب لهم به أي بذلك (عمل صالح) أي ثواب
 جزيل عند الله تعالى يجازيهم به (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي لا يترك ثوابهم وأظهر
 موضع الاضمار تنبيهه على أن الجهاد احسان * (تنبيه) * في هذه الآية دلالة على أن من
 قصد طاعة الله تعالى كان قيامه وعوده ومشييه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
 عند الله تعالى وكذا القول في طرف المعصية فإن حركته فيها كلها سيئات فإما عظم بركة الطاعة
 وما كبر ذل المعصية إلا أن يغفرها الله تعالى * عن أبي عيسى رضي الله تعالى عنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله تعالى على النار
 (ولا ينفقون) في سبيل الله (نفقة صغيرة) عمرة فادونها (ولا كبيرة) أي أكثر منها مثل ما أنفق
 عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون) أي يجاوزون (وادي) أي أرضا
 في سيرهم مقبلين أو مدبرين (الا) كتب لهم ذلك من الاتفاق وقطع الوادي (ليجزئهم الله
 أحسن ما كانوا يعملون) أي يجزيهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب
 * (فائدة) * الوادي كل منفرد بين جبال وأكام يكون منفذا للسبيل وهو في الأصل فاعل من
 ودي إذا سال ومنه الوادي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي
 غيرك * (تنبيه) * في الآية دليل على فضل الجهاد والاتفاق فيه ويدل عليه أشياء منها ما روى عن
 ابن مسعود قال جاء رجل بشاقة مخطوبة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لتبها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطوبة ومنها ما روى عن زيد بن خالد أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل
 الله فقد غزا ومنها ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها
 وفي رواية وما فيها ومنها روى عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه في سبيل الله قال ثم أي قال ثم رجل في شعب من
 الشعب يعبد الله تعالى وفي رواية يتيقن الله ويدع الناس من شره وقوله تعالى (وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة) فيه احتمالان الأول أنه كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد والثاني أن يكون من

بقية أحكام الجهاد فعلى الأول يقال وما استقام لهم ان ينقروا جميع النواجز ووطب علم كما
لا يستقيم لهم ان يتبطلوا جميعا فانه يحل باهر المعاش (فالولا) أى فهلا (نقر من كل فرقة) أى
قبيله (منهم طائفة) أى جماعة ومكث الباقيون (ليثقة هوا) أى ليشكفوا (الفقاهة) (فى الدين)
ويتجشموا مشاق تحصيلها ليعرفوا الحلال من الحرام ويعودوا الى أوطانهم (ولا) روا
قومهم اذ ارجعوا اليهم) أى وليجمعوا لواعية شعبيهم ومعظم غرضهم من الفقهانية
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن الفقه والتدبير من مريض الكفاية
وأنه ينبغي أن يكون غرض المتكلم فيه أن يستقيم ويقسم لا الترفع على الناس وصرف
وجوههم اليه والتبسط فى البلاد ليدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
فى الدين وفى قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم وفى قوله
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه العلم سهل الله تعالى له طريقا الى الجنة (عليهم
يحذرون) عقاب الله تعالى بامثال أمره ونهييه وعلى الاحتمال الثانى يقال انه لما نزل
فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفي وانقطعوا عن الثقة فامر وأبان بنقر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويكث الباقيون يثقهون حتى لا ينقطع الثقة الذى هو الجهاد الا كبر لان
الجسد بالجملة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى لينة هو اولينذر والبواقي
الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف واولينذر والباقي قومهم النافرين
اذ ارجعوا اليهم عاصروا أيام غيبتهم من العلوم قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والى
قبلها بالنهى عن تخلف أحد فاما اذ اخرج النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلفظونكم من الكفار) أمر وابقى الاقرب منهم فالاقرب كما أمر صلى الله عليه وسلم أولا
بأنذار عشيرته الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب
الجزاز ثم غزا الشام وقبيلهم قرينة والنضير وفدك وخيبر وقبيل الروم لانهم كانوا يسكنون
الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المأخوذون على أهل كل ناحية أن
يقاتلوا من وليهم ما لم يضطرروا الى أهل ناحية أخرى (وليجدوا فيكم غلظة) أى شدة وصرا على
القتال والغلظة ضد الرقة أى اغلظوا عليهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة
والحراسة (واذا ما أنزلت سورة) من القرآن (فمنهم) أى المنافقين (من يقول) أى لاصحابه
انكارا واستمرا بالمومنين (أيكم زادته هذه) السورة (ايانا) أى تصديقا قال الله تعالى
(فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل فى تدبر السورة وانضمام الايمان بها واما
فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) أى يفرحون بنزولها لانه سبب زيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق سمى الشك فى الدين مرضا لانه فساد
فى القلب يحتاج الى علاج كالمرض فى البدن اذا حصل يحتاج الى علاج (فزادتهم) أى السورة
أى نزولها (رجسا الى رجسهم) أى كفر اياها مضموما الى التكفر بغيرها (وما نوا) أى هؤلاء
المنافقون (وهم كافرون) أى وهم جاحدون لما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

قال مجاهد في هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وكان على رضى الله تعالى عنه
 يأخذ بيد الرجل والرجلين من الصحابة ويقول تعالى حتى نزداد إيماناً وقوله تعالى (أولايرون)
 قرأه حمزة بالتاء أى أيها المؤمنون والباقون بالياء على الغيبة أى المنافقون (أنهم يفتنون) أى
 يبتلون (فى كل عام مرة أو مرتين) بالامراض والقحط والحرب (ثم لا يتوبون) من نفاقهم ونقص
 عهودهم الى الله تعالى (ولا هم يذكرون) أى ولا يتعقلون بما يرون من نصرته صلى الله عليه وسلم
 وتأنيده (واذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المنافقين وتوبيخهم وقرأها صلى الله عليه وسلم (نظر
 بعضهم الى بعض) أى تغامضوا وباعيون انكارها وهما مخفية أو غبطة لما فيها من عيوبهم
 ويريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) أى من المؤمنين إذا قمتم فان لم يرههم أحد قاموا
 وخرجوا من المسجد وان علوا أن أحدا يراهم يبتوا على تلك الحالة (ثم انصرفوا) على كفرهم
 ونفاقهم وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون وقوله تعالى (صرف الله
 قلوبهم) أى عن الهدى يحتمل الاخبار والدعاء (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)
 أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنسكم عربى مثلكم وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم تعرفون حسبه ونسبه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ليس قبيلة من
 العرب الا وقد ولدت النبى صلى الله عليه وسلم وله فيها نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه
 شئ من ولادة الجاهلية من زمن آدم عليه السلام وعن الطبراني قال صلى الله عليه وسلم انى
 خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شئ مما ولدنى الانكاح كنكاح الاسلام وعن وايله بن الاسقع
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا
 من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وقرأ أبو عمرو وجزة والسكسافى
 بادغام دال قدفى الجسيم والباقون بالاظهار (عزيز) أى شديد شاق (عليه ما عنتم) أى عنكم
 وايتاؤكم المكره وقيل يشق عليه ضلالتكم (حريص عليكم) أى ان تهتدوا وعلى احوال الخير
 اليكم (بالمؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف) أى شديد الرحمة بالمطيعين (رحيم) بالمذنبين
 وقدم الابلق وهو الرؤف محافظة على الفواصل وعن الحسن بن الفضل لم يجمع الله تعالى لاحد
 من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفاً رحيماً وقال تعالى
 ان الله بالناس لرؤف رحيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الله همزة من رؤف
 والباقون بالقصر (فان تولوا) أى فان أعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله
 ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وناصروا الحرب (فقل حسبى الله) أى يكفينى الله وينصرنى
 عليكم وانما كان كافياً لانه (لا اله الا هو) فلا مكافئ له ولا راد لامره ولا معقب لحكمه (عليه
 توكلت) أى فلا أرجو الا اياه ولا أخاف الا منه لانه امره نافذ فى كل شئ (وهو رب العرش) أى
 الكرسي (العظيم) وخصه بالذكر تشريفاً لولاه من أعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى روى عن
 أبى بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر

ابن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب
كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن
قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جعلت قبلها راحتين قط حتى جمعهم ما
في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وزي بغيرها حتى كانت
تلك الغزوة فأخبرهم بوجهه الذي يريد فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساوون معه
قطعت اعدوا لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شياً فلم يزل ذلك يتعادي لي حتى أمر عوا
فهممت أن أرتحل وأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك وكنت اذا خرجت في الناس بعد
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ان لا أرى الى اسوة الارجل المغموضات في النفاق
أورجل الامن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك
فقال وهو جالس في القوم يتبول ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه
والنظر في معصيته فقال معاذ بن جبل بنسما قلت والله يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه فأقلا
حضرني همي وطفقت أذكر الكذب وأقول بما أخرج به من مضطه غدا واستعنت على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي فلما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل فادما راح عن الباطل
وعرفت اني لم أخرج بشي أبدا فيه ~~كذب~~ وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان
اذا قدم من سفر يدا بالمسجد فركب فيه وركعتين ثم جلس للناس وجاءه المخلصون يعتذرون اليه
ويحلفون له ~~وكذا~~ انا تسعة وعيمان رجالا قبل منهم صلى الله عليه وسلم علاتهم وبأيعهم
واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى فحتمه فلما سالت عليه تبسم تبسم الغضبان ثم قال فجئت
أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابنت ظهرك قلت بلى يا رسول الله والله
لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأريت ان أخرج من مضطك بعذر واقدم أعطيت جزلا ولكنني
والله لقد علمت ان حديثك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليو شكن الله أن يضطك على وتين
حديثك حديث صدق تجد على فيه اني لارجو فيه عواقبه والله ما كان لي من عذر والله
ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد
صدق فقم حتى يعصني الله فيك فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا لي والله ما علمناك
كنت أذنب ذنبا قبل هذا وقد كان كافيك لذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لهم
هل أتى هذا مني أحد قالوا نعم رجلان قالوا فقلت فقلت لهم ما مثل ما قيل لك فقلت من هما
قالوا امرأتين الربيع وهلال بن أمية فذكر والي رجلين صالحين قد شهدا بدرا ففهم ما اسوة
فصيت حين ذكر وهما لي ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من
تخلف عنه فاجبتنا الناس ولبننا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبنا فاستسكننا وقعدا
في بيوتهم ما يكره وأما أنا فكنيت أبت القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين وأطوف بالاسواق ولا يكلمني أحد وأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حركت شفعية برد
 السلام على أم لا ثم أصلي قريبا منه واسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظرت إلى وإذا التفت
 نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة
 وهو ابن عثم إلى وأحب الناس إلى فسات عليه فوالله ما ردت على السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك
 الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشده فسكت فعدت له فنشده فقال الله
 ورسوله أعلم ففاضت عيناي وبوليت فينبأ أنا أمشي في سوق المدينة إذا ببطي من أنباط الشام
 من قدم بالطعام يبيعه يقول من يداني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاني
 فدفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فقد بلغني أن صاحبك جفالك ولم يجعلك الله بدار
 هوان ولا مضبعة فالحق بنا فواسيك فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء فبعت به التنوير
 فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسين أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقتربهن فقلت
 لا مرأتى الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله تعالى في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة
 هلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له إن هلالا شيخ ضعيف ليس له خادم هل تكره
 أن أخدمه فقال أخدمه ولكن لا يقربك قالت والله أنه ما به حركة إلى شيء والله لا يزال يبيكي
 منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في امرأتك لأذن لك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تتخذه فقلت والله لأستأذن
 فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول إذا استأذنته فيها أو نارجل شاب فلبثت
 بعد ذلك عشر ليال حتى كتبت لنا خسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح بخسين ليلة وأنا على ظهريت من يوتنا فينبأ أنا
 جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى في قوله (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)
 أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمثون إليه (وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم
 بالغم والوحشة أي بتأخير توبتهم فلا يسعهم سرور ولا أنس (وظنوا) أي أيقنوا (أن) مخففة
 (لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم) أي وفقهم للتوبة (ليست بوائت الله هو التواب الرحيم)
 إذ سمعت صوت صارخ أو في على جبل سلع ينادي بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت
 ساجدا وعرفت أنه جاء فرج وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا
 حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون ورجل رحل إلى
 فرسا وسعي ساع من أسلم فأوفى إلى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي
 سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي وكسوته إياهما والله ما أم لك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين
 فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقاني الناس فوجافوا جباهن وثني بالتوبة
 ويقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وثنأني رضي الله تعالى عنه
 والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها طلحة قال كعب فلما سأت على

السورة وقال هـ ما أحدث الآيات بالله عهدا وما رواه البيضاوي رحمه
 الله تعالى هـ ما لكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل على
 القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله
 أحد فانهم ما أنزلوا على هـ ومعهم ما سبب معون ألف ضعف
 من الملائكة هـ حديث منكرو ومخالف لما مر عن
 أبي من أن آخر ما نزل الآياتان
 انتهى والله سبحانه
 وتعالى اعلم

تم الجزء الاول وباليه الجزء الثاني وأوله سورة يونس *

48/2